البدو

الجزء الثالث

شمال ووسط الجزيرة العربية والعراق "الجنوبي"

تأليف
ماكس فرايهير فون أوبنهايم
آرش برونيلش و فرنركاسكل

ترجمة : محمود كبيبو
تحقيق وتقديم ماجد شبَّر

شركة دار الوراق للنشر المحدودة
المملكة المتحدة ـ لندن

الطبعة العربية الأولى 2004

لشركة دار الوراق للنشر المحدودة ـ المملكة المتحدة

First edition Published in Arabic by Al Warrak publishing Ltd. UK in 2004

ISBN (Volume three) 1 900 700 46 8

الطبعة العربية الثانية 2007

التـوزيـع

Al Warrak publishing Ltd.
56 Gloucester Road
Suite 500
London SW7 4UB -UK
Tell. 00 44 208 723 2775
Fax. 00 44 207 281 9213
www.alwarrakbooks.com
e-mail: warraklondon@hotmail.com

الفرات للنشر والتوزيع
ص. ب 6435 ـ 113 بيروت ـ لبنان
هاتف: 750054 - 1 - 961
فاكس: 750053 - 1 - 961
e-mail: Info@alfurat.com

البدو

Max Freiherr von Oppenheim

Die Beduinen

Unter Mitarbeitung von

Erich Bräunlich und Werner Caskel

Band III

Die Beduinenstämme in

Nord-und Mittelarabien und im Irak

Bearbeitet und Herausgegeben von
Werner Caskel

OTTO HARRASSOWITZ
1952 Wiesbanden

First edition Published in Arabic by Al Warrak publishing Ltd. UK in 2004
Second edition 2007

The Publication of this work was supported by a grant from the Goethe-Institut Inter nationes

ساهمت مؤسسة غوتا ـ إنترناسيونس مشكورة في بعض تكاليف هذه الترجمة

ISBN (Volume three) 1 900 700 46 8

المساهمون في الجزء الثالث

* تحقيق ومراجعة وتدقيق، ماجد شبّر.

* ترجمة محمود كبيبو.

* مراجعة القسم الثاني - العراق: إبراهيم الحيدري.

* التصحيح اللغوي: عبد الحسن دهيني - عبد الرزاق الدجيلي.

* التنضي والصف والإخراج: زهرين بيروت.

* المتابعة والإشراف: ماجد شبّر.

* إعداد وتصميم بعض مشجرات القبائل والعشائر: ماجد شبّر.



الفهرس

القسم الأول

شمال ووسط الجزيرة العربية

القسم الثاني
العراق (العراق الجنوبي)

الجزء الثالث

القسم الأول

القبائل العربية في شمال ووسط الجزيرة العربية



تمهيد

شارك في إنجاز هذا السفر، ثلاثة من العلماء، لم يُقيّض لاثنان منهما أن يرياه، فقد رحل البارون ماكس فون أوبنهايم في الخامس عشر من تشرين الثاني عام 1946م، في لاندسهوت، في باڤاريا. ولم يرَ سوى بضع صفحات من مخطوط هذا الجزء التي كانت حافزاً له لمتابعة البحث لدى أصدقائه من العرب، عن أخبار القبائل القديمة.

احتفظ فون أوبنهايم حتى سن متقدمة، بقدرته على التحمس، ولم يتحقق الأمل في استكمال بعض المسائل المعلقة ببحثها مع اريش برونيلش بعد الحرب، كونه قضى نحبه في أيلول عام 1945م، إثر مرض عضال في الأسر في يوغسلافيا.

فُقِدت بعض المواد من هذا الكتاب، الذي تمَّ إنقاذه بشكل درامي، حيث سحب جزء منه، من تحت سقف مشتعل، وأنقذ الفصل الرابع من نيران الرعاة، وهو أمر جد مثير، إلا أنني آمل أن لا تؤخذ هذه الأمور على الكتاب، وبخاصة، إذا علمنا أن العمل في هذا الكتاب قد بُدىء به تحت نيران القصف أواخر عام 1943م، وتمَّ إنجازه في رحاب غرفة جدّ صغيرة، محرومة من النور، اللهم إلا من ضوء شمعة تذوب.

برلين، آذار 1949م.

فرنر كاسكل

المقدمة

بدايةً من وديان الفرات وسواحل الخليج العربي، تبدأ نجد، مرتفع الجزيرة العربية، بالارتفاع التدريجي، وصولاً إلى (990متر) في الداخل، و (1000متر) في المناطق المتاخمة للحجاز. يحيط بهذا المرتفع، طوق من الصحارى الرملية والتلال. ففي الشمال، تمتد صحراء النفود الرملية بكثبانها التي تشبه الحذوة، وذلك فيما بين منخفض الجوف وجبل شمّر. وتمتد في الجنوب الغربي حتى واحة تيماء، وتتفرع بلسانين في الشرق الجنوبي، الأول يُسمّى دهنا/ الدهناء[1]، في حين تتغير تسمية الثاني من منطقة لأخرى.

تمتد منطقة الحجيرة الصخرية، على تخوم النفود والدهناء، وكانت تُعرف قديماً باسم الحزن. ويتكوّن جبل شمّر من سلسلتين جبليتين هما الأجأ والسلمى اللتان تمتدان باتجاه المسما في الغرب، والرمان في الجنوب.

ويتحدد شكل وسط الجزيرة العربية من خلال سلسلة جبال الطوّيق التي تحيط المرتفع الداخلي كطوق كبير (كما تعني التسمية). وغالباً ما تكون أدنى منه وتتحدد بمنخفض حاد. وتنبسط الأرما (سهل أراما) في الشرق، والدهناء والسلسلة

(1) الكلمة التي تلي الخط هي اللفظ العربي الكلاسيكي للاسم، أو الاسم القديم.

الصخرية الصمّان حول الطوّيق، حتى تنتهي مثلها في بحر الرمال المسمى الربع الخالي، أما في الغرب فيحاذي اللسان الثاني للنفود الطوّيق على شكل شريط ضيق من الأرض الصلبة ـ الحماد. وفي طريقه نحو الجنوب الشرقي ينقسم إلى شريطين يحيطان بواحات الوشم وينتهيان بقوس الطوّيق. وعبر تلال الماروت وبصورة منفصلة عنه، رغم أنها تصب فيه في النهاية يبرز خط رملي ثانٍ يأتي من منطقة القصيم المغطاة بالكثبان الرملية. وقبل الطوّيق الجنوبي تقع النفود الثانية المتداخلة مع بحر من الرمال.

ووسط هذه المنحنيات تبرز سرّة نجد، المعروفة بسرّة الجزيرة العربية العليا، والتي كانت تسمى حمى الضرية، محاطة بشريطين رمليين، العريض في الغرب، ونفود الشقيقة في الشمال الشرقي، تعلوها بعض الجبال المنفصلة، التي يبدو أن النير أكثرها ارتفاعاً. وبين كل من النير والطوّيق سلسلة من الجبال المنفصلة كمسرح ينفتح نحو الشمال الغربي.

وتغطي الصخور البركانية مساحات شاسعة في الغرب، وقد شكلت هذه الصحاري الصخرية الحرات موضوع الجزء الثاني (ص 450). وهي تمتد من حرَّة خيبر، الواقعة شمال المدينة المنورة، حتى حرّة النواصف في الشرق من الطائف.

تمر في مرتفعات الجزيرة العربية العديد من الوديان الكبيرة ومجاري الأنهار، وذلك منذ عهود موغلة في القِدم، فينبع وادي الرمة[1] من مرتفعات حرّة خيبر، ويمتد نحو الشرق، ثم ما يلبث أن ينحني بعد ذلك شمالاً، حيث يختفي في أحضان رمال النفود. على الجانب الآخر من النفود يجري تحت اسم (الباطن) حتى البصرة. ويلتقي من ناحية العريف «العرائف» مع مصب وادي (المياه) مع وادي (جرير)، بينما ينتهي وادي (الرشا)[2] مع بحر (شعيب) قبل نفود الشقيقة، دون أن يصل وادي الرمة.

(1) تلفظ وادي الرمّة.

(2) تلفظ وادي الرشا.

يبدأ وادي حنيفة من جبال العارض في وسط الطوّيق، ثم يسير متعرجاً في الفج الذي يخترق الجبال من الغرب نحو الشرق، ويتابع سيره تحت اسم السهبا إلى الرمال الشرقية.

لا توجد تسمية موحدة في هذه البلاد للمسار الثالث، المشار إليه، ويطلق عليه البعض وادي (الدواسر)، وذلك، انطلاقاً من اسم واحته الذائعة الشهرة. وتقع منابعه في الجهة الجنوبية الشرقية باسم وادي (بيشه) ووادي (رنية) ووادي (تثليث) التي تنبع من جبال الحجاز وعسير.

تجري مياه الوديان، بعد الأمطار الغزيرة، في الجبال والأراضي الصخرية، وتجري المياه لفترات معينة في وادي الرمة، في حين جرت المياه في وادي الدواسر وللمرة الأولى منذ ثلاثة أجيال في عام 1916م، ومثلما يتم امتلاء الأحواض الجبلية بالمياه وبسرعة، فإنها تفرغ وبنفس السرعة. وقد أقيمت بعض السدود في بعض المناطق، للاحتفاظ بالمياه أطول فترة ممكنة، . . ويزرع الناس أشجار النخيل في مجرى الأمطار في بطن السيل، إلاّ أن معظم الواحات تعيش من الآبار التي تسحب منها المياه بآلات بدائية، لكنها ناجعة، حيث يتم توزيعها على الحقول ومزارع النخيل عبر مجاري صغيرة.

هناك أيضاً مناطق أخرى تجري مياهها الجوفية تلقائياً أو بتدخل بسيط في ينابيع ومسيلات مائية قصيرة.

وتوجد في دساكر اليمامة[1] ثلاثة ينابيع طبيعية ذات أعماق غير معروفة، وهي أقدم واحات الجزيرة العربية، في منطقة الخرج حيث تلتقي ثلاثة وديان كبيرة قادمة من الشرق والجنوب هي النساح والفرع والبرك، قبل أن تصب في وادي (حنيفة السهبا). وتقع إلى الجنوب من الخرج واحات الأفلاج، وتوجد هنا ينابيع مشابهة

---

(1) أعطت هذه الواحة قبل الإسلام اسمها للمناطق المجاورة (الخرج، الفرع، العارض) والتي كانت تقطنها نفس القبيلة. لكن منطقة اليمامة أصبحت من العصر الإسلامي، تشمل كل منطقة الطويق، والمنطقة الغربية الواقعة أمامها حتى حمئ الضرية.

لتلك التي توجد في الخرج وكانت تغذي سابقاً نظام أقنية واسعاً، لا يجري فيها الآن سوى سيح (مسيل) واحد أخذت منه الواحة اسمها. وتقع منطقة العارض بمحاذاة الخرج في الشمال الغربي، حيث يوجد، ومنذ أربعة عشر قرناً، المركز السياسي لوسط الجزيرة العربية. هنا كانت توجد هجر، العاصمة القديمة لليمامة، والدرعية التي حلت محلها في العصر الحديث، وهناك توجد الرياض العاصمة الحالية لنجد. ويفصل وادي (شعيب العطس) أو العتك، العارض عن منطقة (السدير)، التي ينتهي فيها (الطوّيق). وتغذي الينابيع الواحتين القديمتين في شرق الجزيرة، والتي تشكل مدينة (الهفوف)[1] ومرفأ (القطيف) مركزها. وتشكل زراعة أشجار النخيل المرتبة الأولى في اقتصاد الواحات، ولكن، من الممكن، أن تتم زراعة الحبوب أيضاً بالاعتماد على الري أو في الأراضي التي تسقيها الأمطار أو السيول.

تهطل الأمطار في الجزيرة العربية شتاءً، بين شهري كانون الأول وشباط، وتبدأ بشكل مبكر في الشمال، بينما تنتهي متأخرة في الجنوب. وتنزل الأمطار بصورة غير منتظمة، بل ومن الممكن أن تنحبس طيلة سنوات عديدة. بعد هطول الأمطار الأولى، سرعان ما تظهر النباتات الشديدة التنوع، فوق الأرض الرملية، مما يجعل هذه المناطق مقصداً للبدو في الشتاء. بالمقابل فإن قلة الينابيع في هذه المناطق لا تؤثر على الحيوانات، لأنها لا تحتاج إلى مياه للشرب، طالما أنها تتناول العشب الأخضر. أما الرعاة فيتغلبون على العطش بشرب الحليب. بعد ذلك، تبدأ النباتات المطرية بالنمو على الأرض الصخرية. لهذا تتوجه القبائل إلى (الحجيرة) في الربيع، ويتجمع البدو في الصيف حول مواقع المياه في (صمان)،

---

(1) كانت هذه الواحة تسمى في العصور القديمة البحرين وعاصمتها هجر. وكان اسم البحرين يطلق على المقاطعة بأكملها. وفي العصور الوسطى أصبحت القرية المجاورة لهجر، الأحسا (لحسا) وهي عاصمتها. وقد بقيت (الأحساء) حتى الوقت الحاضر اسماً للواحة المجاورة وكذلك المقاطعة. كما أصبح اسم البحرين يطلق منذ العصور الوسطى على جزيرة في خليج العقير وميناء الهفوف.

في (طوال مطير)، أي الآبار العميقة لهذه القبيلة. وتتغذى الحيوانات بعدئذٍ من النباتات الدائمة التي تكون في المناطق الرملية أكثر وفرةً منها في المناطق السهلية.

يتوقف جل الاعتماد الاقتصادي للبدو على الواحات، ما عدا بعض الاستثناءات لأن الإنسان ليس بمقدوره أن يعيش على منتجات الحليب فقط. وبعبارة أخرى: اقتصاد الواحات شرط لا بد منه للبداوة، ولهذا فإن جميع الحياة التاريخية قد انطلقت من الواحات.

يمتاز السكان الأصليون للجزيرة العربية بالبشرة السمراء، وقد أصبحوا الآن محصورين في ظفار بين حضرموت وعمان. ولا تتضمن أقدم المعلومات التاريخية أية إشارة لغير العرب سكاناً للجزيرة العربية. ومن الطبيعي أن لا تعتد بهذه المعلومات لفترة ما قبل الميلاد. وقد وصلت غزوات الآشوريين، والبابليين إلى حدود نجد ـ تيماء والجوف ـ بصورة عابرة فقط. وقد أشارت الكتابات العربية القديمة بالحروف السبأية، والتي عثر عليها في شرق الجزيرة العربية، وفي جنوب الطوّيق، إلى وجود طريق تجاري قديم، يمر من نجران إلى اليمامة، ومن هناك عبر شرق الجزيرة وصولاً إلى بلاد ما بين النهرين. وفي القرون التي سبقت ميلاد السيد المسيح ازدهرت في واحة الاحسا، مدينة جرها التجارية[1]، التي كان تجارها ينافسون السبئيين في سوق البتراء. وكانت جرها تقيم علاقات مع البابليين عبر ميناء كان موجوداً في المكان الذي تقع فيه العقير اليوم. الشط، وهي الاسم القديم لواحة القطيف، موجودة أيضاً في ذلك الوقت.

وبعد ميلاد السيد المسيح، بدأ الظلام ينحسر عن وسط الجزيرة العربية. وتبعاً لأقوال بطليموس (النصف الثاني من القرن الثاني) ظهرت قبيلتا تنوخ وأسد، اللتان ترتبطان، وفقاً للمراجع العربية، مع بعضهما البعض الآخر بصورة وثيقة. وقد

(1) انظر الجزء الثاني، ص252 وص453.

اتجهتا نحو الشمال، في المائة الثالثة، مثل طي، والسرزانن[1] اللتين سبقتاهما. وقد حكم ملوك أسد قبل عام 272م المنطقة الصحراوية المتاخمة للفرات، ثم جاءت سلالة ملوك جديدة من بني لخم[2] إحدى القبائل العربية الشمالية الغربية. وقد حكم ملكهم الأول عمرو في الحيرة تابعاً للفرس[3]، وأخضع ابنه امرؤ القيس ـ ملك كل العرب ـ كلا الأسدين أحدهما يتطابق مع أسد بطليمس ومع أسد كتابة شرف الدين، اليمن، 33. ونزار[4] وملوكهم، ومن ثم قبائل معد بعد حملاته العسكرية التي قادته إلى نجران في جنوب الجزيرة، هذا ما يستفاد من لوحة قبره في عام 328م التي عثر عليها في النمارا (الرحبة) موطن قبيلته، ومن غير المعروف بدقة من هم النزاريون. بالتأكيد، كانت تتبع لهم "إياد"[5] التي تعتبر، وفق المصادر، القبيلة الأولى التي التحقت ينتنوخ نحو الحدود العراقية. لقد سكنت آنذاك مع غيرها من النزاريين في شمال الجزيرة. أما معد فلا بد أن نتصور أنهم سكنوا بعيداً نحو الجنوب، في تهامة وعسير، على امتداد الطوّيق الجنوبي حتى شرق الجزيرة العربية، وكانوا في معظمهم من المقيمين. ومن خلال التوزيع اللاحق للقبائل، ووفقاً لمصادر قديمة ووقائع محددة، يمكننا أن نعرض حركة الهجرة، على النحو التالي:

في الغرب، انفصلت أسد عن تهامة وعبرت إلى جبال طي (جبل شمّر). وفي الشرق تركت تغلب الطوّيق، وبدأت ترحالها في سرّة نجد. وقد لحق بها قسم من قبيلة بكر. وأرغمت الحروب التي شنتها كندة، هاتين القبيلتين على التحرك مجدداً. وهذه القبيلة هي إحدى القبائل القادمة من حضرموت والتي حكمت شمال

(1) انظر الجزء الأول، ص 265 وص 411 وما بعد.

(2) أحدهم جذيمة ملك تنوخ، مثبت في النصوص.

(3) في النقوش عام 299م، ومثبت في الكتابات منذ الزمن القديم.

(4) ورد الاسم مرتين فقط قبل الإسلام، وكان غير معروف تقريباً عندما تناوله النسابون فذكروه على أساس أنه ابن معد ووالد إياد، وربيعة ومضر.

(5) يبدو أن موطنهم كان في بيشة، قارن الجزء الثاني ص 563.

الجزيرة العربية منذ نهاية القرن الخامس وتحركت في عامي 497م و501م، إلى شرق الأردن وإلى سورية، واحتلت الحيرة بعد ذلك لفترة قصيرة[1].

وقد شكلت قبيلة بكر، المقيمة في اليمامة، دعامة لكندة في وسط الجزيرة العربية، ورافقتها قبيلة تغلب في حملاتها مما استدعىٰ تغيير منطقة الإقامة نحو الشمال، ولفترة بقيت القبيلتان تحتفظان بموطىء قدم في الجزيرة العربية، ولكن عندما تفسخت دولة كندة حوالى عام 530م هاجرت تغلب بصورة كاملة نحو الشمال، ثم لحقت بها بكر. وإذا ما صرفنا النظر عن فترة حكم كندة العارضة، فقد كانت الحيرة عاصمة اللخمينيين، وعاصمة خصومهم الغساسنة في سورية المركزين السياسيين والثقافيين الرئيسيين لعرب الشمال، وكانت مكة مركز تجارتهم الرئيسي وعاصمتهم الدينية.

احتفظ اللخميون، والغساسنة بنفوذهم داخل الجزيرة العربية، من خلال الحروب التي قادت إحداهما إلى وادي القرى، وخيبر، ومنطقة سليم، والثانية إلى سرة نجد.

كانت حدود مصالح الطرفين تتقاطع في منطقة طي وأسد، وكانتا كلتاهما تجندان الرجال في الجزيرة العربية لمساندة حروبهما، بل وحروب أسيادهما: القيصر البيزنطي وملوك الفرس الكبار في سورية وبلاد ما بين النهرين. وكان زعماء وشعراء القبائل يزورون البلاطين. علاوة على ذلك، آمن اللخميون والغساسنة بمبدأ (فرق تسد)[2]. وقد كانت القوى العظمى التي تقف وراء هذه الدول الصغيرة تقيم علاقات مباشرة مع العرب، وبخاصة البيزنطيين، قبل الاعتراف بمملكة

(1) تابعة لجنوب الجزيرة العربية؟ في حوالى عام 516م أقام ملك جنوب الجزيرة العربية في معزل، جنوب شرق سراة نجد، التي بناها أحد أجداده قبل مائة عام انظر فيلبي G J، ص 116، 213، وما بعد.

(2) أن يكون لملك الحيرة مصلحة في التوفيق بين بكر وتغلب اللتين كانتا تسكنان على أبواب قصره ـ صلح ذو المجاز ـ فهذا أمر لسنا في صدد الحديث عنه الآن.

الغساسنة (عام 529م). ويتناقل الناس الحديث عن غزوات عديدة للملوك الكبار الأوائل في الجزيرة العربية، وبالفعل كان الساحل الشرقي على الدوام تحت الإدارة الفارسية.

وحتى قبل الحروب الكبرى (604م ـ 628م) التي أُنهكت فيها القوتان العظيمتان إحداهما الأخرى، بحيث لم تتمكنا من مواجهة جيوش المسلمين، كان ملك الفرس قد قام بعزل اللخمينيين في عام 602م.

بعد ذلك حدثت بعض الصعوبات مع البدو. فقد تمّ دحر حملة تأديبية فارسية من بعض قبائل بكر المعسكرين في منبع مياه ذي قار الصيفي لأنها لم تزود بمياه كافية حوالى عام (604م)، عقب ذلك أثبت نظام الإدارة الفارسي المباشر في مناطق الحدود نجاحه بصورة جيدة، ولم ينته إلا في ضوء الخلافات العائلية ضمن الأسرة الحاكمة التي بدأت في عام 628م.

في بداية القرن السابع كانت خارطة القبائل كما يلي:

كانت قبيلة طي تقيم في جبل شمّر التي اضطرت للوصول بعيداً نحو الشمال. الآن اقتصرت في إقامتها على المنطقة ما بين أجأ وسلمى والرمان، وعاشت نصف مستقرة، كسكان الواحات ومربي الأغنام.

وكانت منطقة وادي الرمَّة تتبع قبائل غطفان، الأشجع في الغرب، و (ذبيان ـ فزارة) في المنطقة الممتدة إلى الأبانين، وعبس في القصيم، وقد ضمت هذه القبائل بعض المستقرين بين صفوفها. وفي الشرق تقع منطقة (أسد) التي شكلت ما يشبه الهلال حول منطقة طي بدءاً من شرق الأجا عبر الشافة (الكهفة) إلى سميرا. وتحاذي أسد في الجنوب ذبيان ـ فزارة وفي القصيم (عبس). وفي الرس والسرّ كانت تتجاوز وادي الرمة. وفي الشرق حتى بئر لينه، والجزء المحاذي له من الحجيرة/ الحزن. وقد شكل هذا السهل المرعى الربيعي ـ تميم، التي سنتكلم عنها فيما بعد.

وقد تم الاستيلاء على المنطقة الواقعة فيما بين شمال الحزن والسهل وحتى

الفرات، من قبيلة بكر، التي تمتد ديارها من خليج الكويت وحتى الحيرة، حيث حدود قبيلة أشقائهم تغلب.

توجد قبيلة سليم في منطقة حرّة، حيث تنتشر الصحارى ذات الصخور البركانية فيما بين الحجاز ونجد.

هذا وقد استولت قبائل بني عامر، التي تنتسب إلى عامر بن صعصعة، على المرتفعات الداخلية من حدود غطفان جنوب وادي الرمة حتى وادي الدواسر والطويق الجنوبي (وفروعهم رنية، وبيشه، والتثليث). وكانت كلاب أهم قبيلة بينهم، وكانت تنتشر فيما بين سرة نجد، حتى طريق مكة ـ حجر اليمامة، حيث يحاذون إلى الجنوب الغربي منهم في حرة النواصف أقرباء بعيدين كانوا متحدين مع بني هلال، وإذا تحدثنا عن بني كلاب كقبيلة، فإن الأمر بالنسبة لأخوتهم بنو كعب، ليس كذلك.

أهم قبيلتين من قبائل كعب هما عقيل وقشير. كانت الأولى تسكن في وادي الدواسر وروافده، أما قشير وبقية قبائل بني كعب فكانت تسكن واحات أفلاج. كان قسم من قشير يتجول حتى وعبر القسم الشرقي من طريق مكة ـ حجر. وأما واحات طويق الأوسط أي اليمامة، (وذلك من الفرع جنوباً حتى العارض)، فقد سكنت فيها قبائل بني بكر، كان أشهرها، حنيفة، الذين كانوا يصلون بشكل فردي حتى الوشم وسدير. وينتشر حولها بنو تميم، أكبر القبائل العربية، ومنطقتهم على شكل مستطيل يشكل خطا الطول 44 و49 ضلعيه الطويلين بينما ينطبق ضلعه القصير العلوي تقريباً على خط العرض 30 درجة شمالاً. أما الضلع القصير السفلي فلا ينطبق عليه التشبيه لأن بكر يدخلون هنا كالإسفين في منطقة تميم. وتنقسم تميم إلى أربعة بطون كبيرة تجاوزت إطار القبيلة وهي: "بني" سعد، "بني" عَمرو، وحنظلة مع يربوع، ويتكون الرابع من أقاربهم الرباب، وهم الضبة وبعض القبائل الصغيرة.

تنتشر سعد في شرق الطويق، بدءاً من خليج الكويت حتى وادي السهبا. أما في الشتاء، فيرتحلون، لجميع من جاء بعدهم في شرقي الجزيرة العربية، إلى

الدهناء. وتقيم حنظلة ورباب في فصل الشتاء غرب الطويق، في حين، تقضيان الربيع في الشمال: في حجيرة ـ الحزن، في الباطن وطوال مطير. ويقيم هناك في نفس الفصل عَمرو، الذين يتخذون من الطويق ملاذاً، ويقيم قسم آخر كبير من تميم في واحات الوشم وفي شرق الجزيرة. أما الواحتان الكبيرتان في هذه المنطقة، البحرين والقطيف، فلم تكن تسكنهما تميم وإنما عبد القيس وهم من أقارب بكر.

من الطبيعي أن هذه الحدود لا تعطي سوى صورة تقريبية عن الواقع لأن مجموعات كبيرة أو صغيرة تضطر في كثير من الأحيان، سواء بسبب النمو الكبير للقبيلة أو بسبب عداوات داخل قبائلهم، إلى البحث عن مآوى لدى الغرباء.

وهكذا، فإن القبائل لا تشكل وحدات سياسية، وإن جماعات المصالح والدم، تقتصر عند الأقسام الدنيا، فإذا كانت المجموعات الأكبر من القبائل قد التقت حول هدف محدد، فقد نجد عدداً من القبائل الأخرى الغريبة تشاركها ذلك التحالف. إن تحالف المجموعات الكبرى من القبائل لمدة طويلة إنما هو أمر نادر[1]، ما عدا الحلف الذي أقيم بين أسد، وطيء، وعبس، وذبيان، فقد استمر عشرات السنين.

إن شن الحروب في الفترة السابقة لظهور الإسلام، كان أكثر عنفاً وشدة منه في الفترة التالية لظهور الإسلام. فقد كان الأسر يطال النساء والرجال، ولم يكن ليطلق سراحهم إلا بعد تسديد فدية تحددها القبيلة الآسرة، وإلا يتم بيعهم كعبيد.

لم تكن توجد في ذلك الوقت في وسط الجزيرة العربية مظاهر لحياة الدولة. فقد كانت الواحات جميعها تقريباً ملكاً للقبائل المحيطة بها، الأمر الذي لم يسمح بنشوء إمارات منظمة على شكل دولة. فقط في اليمامة كان الوضع مختلفاً. وفي البحرين (هجر) حكم ولمدة طويلة، أحد فروع قبيلة كندة، ثم ما لبثت أن انتقلت

---

(1) غالباً ما كانت تحصل تحالفات بين القبائل، ولم يحدث أي تغيير في هذا الوضع حتى يومنا هذا.

السيادة على الواحة إلى أيدي الحيرة. ومنذ سقوط اللخمينيين، كان المقيم الفارسي/ ممثل الحاكم الفارسي/ هو الذي يدير المنطقة (كما في الحيرة) مع أحد الرجال العرب الموثوقين واستمر بنو كندة يحكمون في كل من الجوف والشعيبة في سرة نجد حتى ظهور الإسلام.

توغلت المسيحية منذ القرن الرابع في كل مكان، إلا أنها لم تدمر الأنظمة القديمة، ولم تمس سوى بضعة أشخاص.

هذه هي الصورة، التي كان عليها الوضع العربي، وهكذا كانت الأمور، عندما ظهر للوجود، مجتمع المدينة الذي أسسه النبي محمد منذ انتصار بدر عام 624م، وذلك كسلطة جديدة في الجزيرة العربية. وكي يمحو محمد الانطباع الذي ساد بعد هزيمة جبل أحد عام 625[1]، فقد أرسل غزوة ضد بني أسد لم تحقق الكثير، وانتهت الحملة التي لم يعلن عن أسبابها ضد سليم (أو كلاب) بمأساة بئر معونة 625م، ومنذ ذلك الوقت ازدادت الحملات نحو نجد، والتي كان حصيلتها مع بعض الاستثناءات، شيء لا يذكر. أما الهدف الذي كان يتوخاه النبي فيما يبدو، وهو تعويد أبناء المدينة المهاجرين من مكة وفلاحي المدينة المنورة على أساليب الحرب البدوية، فإنه قد تحقق ـ وغالباً ما كانت الحملات تتجه ضد قبائل غطفان: الأشجع، وثعلبة ومرة وفزارة، الذين كانوا يشكلون خطراً ما، لأنهم كانوا يقيمون تحالفاً سياسياً واقتصادياً مع السكان اليهود المقيمين في واحات فدك وخيبر والمدينة. وبعد الحصار الفاشل للمدينة عام 627م، والذي شارك فيه بدو من قبائل فزارة، ومرة، والأشجع، خضع الأشجع ولكن دون أن يعتنقوا الإسلام[2]. وبعد صلح الحديبية، حيث تم اعتراف أهل مكة بمحمد كزعيم دولة مستقلة، غير النبي سياسته تجاه البدو، فلم يعد يطلب من القبائل مجرد التحالف السياسي فقط، وإنما الديني أيضاً. وفي خريف عام 629م، دخل شيخ مشهور من بني كلاب (الشاعر

(1) انظر الجزء الثاني، ص 456 وما بعد.

(2) المزينة/ الموزنه، يعتبرون من عشائر الحجاز، لأنهم مرتبطون اقتصادياً بالمدينة.

علقمة بن عُلاثة) الإسلام وكان قومه في صيف العام نفسه قد عانوا الأمرين من غزوة شنها عليهم أهل المدينة. ثم ما لبث أن التحق بعدها بنو سليم بالنبي، أولئك الذين كانوا يسيطرون على طريق مكة الشمالي الشرقي. وفي النهاية، وجد عيينة الطريق إلى المدينة، وهو أمير من أسرة شيوخ فزارة من الواضح أنه لم يكن شجاعاً كأسلافه المشهورين الذين تنسج حولهم الأساطير.

حاول النبي أوائل عام 630م، وقبل فتح مكة، إقامة علاقات سياسية مع واحدة حجر في اليمامة والتي كانت تزود المدينة ومكة بالقمح. إلا أن هوذا بن علي، الرجل القوي في وسط الجزيرة، وهو المسيحي وحليف الفرس، أجاب على هذا التحالف ببرود وثقة. تابع النبي بعد وفاة هوذا عام 630م، جهوده دون تحقيق أي نجاح، وذلك لأن الشخص الجديد الذي آلت إليه مقاليد رئاسة القبيلة، وهو مسيلمة (الكذاب) كان هو نفسه يدعي النبوة. إلا أن سياسة النبي كانت مثمرة في شرقي الجزيرة العربية. فقد فقد هناك حاكم المنطقة الفارسي ومساعده العربي. المساندة جراء الأزمات التي انتابت العرش الأمبراطوري ـ الفارسي في عام 628م، ولهذا، فقد لقيت الرسائل التي أرسلها النبي محمد إليهم وإلى قبائل عبد القيس القبول المرضي، ولم تقتصر أهمية هذا الحدث على الجانب السياسي فقط، وإنما تعدّت ذلك إلى الجانب المالي، فقد قام جابي الضرائب المسلم بإرسال (80000) درهم إلى المدينة في العام العاشر هجري/ 631م وكان ذلك أكبر مبلغ أُرسل للمدينة في حياة الرسول.

أدى التحاق شرق الجزيرة بالنبي إلى خضوع قبيلة تميم أيضاً، وكذلك جميع القبائل الأخرى تقريباً في السنة التاسعة للهجرة (تبدأ في 20 نيسان 630م). بخصوص انهيار مقاومة طي (الجزء الأول ص 266).

بدأت هنا وهناك قبل وفاة النبي (8 حزيران 632م)، الردة تجاه النظام الجديد وقد كان مسيلمة لا يزال يحكم اليمامة حيث فشلت محاولة خلعه، بواسطة خصم محلي هو ثمامة بن أثال. وبعد أن انتشر الخبر، بأن محمداً مريض جداً، ظهر في اليمن النبي الأسود (الكذاب)، الذي كان نصف كافر، ونصف مسيحي، وبدأ في

صفوف بني أسد، وهي قبيلة مشهورة منذ القدم بمتنبئيها، الزعيم طليحة (بن خويلد) بلعب دور النبي. ولكن بعد وفاة محمد، اندلعت المقاومة في كل الجبهات، وامتنع الناس عن دفع الضرائب وتم تهديد المناصرين، وطرد رسل الحكومة. وإذا ما كانت الاحتجاجات رغم ذلك لم تصل في أي مكان إلى درجة التمرد الجماعي ولم يحدث أي تعاون فيما بين المجموعات المرتدة المختلفة، فإن السبب في ذلك يعود إلى أن الإسلام لم يقض على الخلافات العميقة بين القبائل بل غطاها ظاهرياً فقط. وهكذا وجد مسلمو المدينة في كل مكان تقريباً، مجموعات من الناقمين، والذين تم بمساعدتهم القضاء على أهل الردة. كانت أكثر المناطق تهديداً بالخطر، هي المدينة، فقد تمكن طلحة بن خويلد من إعادة التحالف القديم بين بني أسد، وطي، وغطفان، (فزارة، وعبس). وكانت المدينة قد بقيت بدون حماية لأن الجيش الإسلامي كان قد توجه بناء على أمر النبي قبيل وفاته، إلى سورية. كان الوضع محرجاً، إلا أن الخليفة أبا بكر ظل ثابتاً، ولم تحاول القبائل البدوية انتهاز الفرصة الملائمة.

أقام الخليفة معسكراً لتجميع القوات التي عادت من حدود الشام بعد شهرين من تحركها وكان المعسكر على مبعدة يوم للشرق من المدينة. وقد قامت قبيلة فزارة بهجوم مباغت بقيادة أخ عيينة فتحاشى المسلمون في البداية الاصطدام لكنهم تمكنوا في آخر الأمر من إيقاف العدو. وبعد ذلك كلف الخليفة القائد خالد بن الوليد بقيادة الجيش الإسلامي، القائد النشيط الذي لا يرحم. كان طليحة ينتظر خالداً في بزاخه، جنوب اجا، وكان محاطاً بقبيلة طي، وترك جزءاً من قواته في الجنوب في غمر. إلا أن خالد بن الوليد التف على مواقع العدو الرئيسية، ونزل من الجنوب الشرقي باتجاه منطقة طي. وقد أُشيع في نفس الوقت، أن الخليفة يزحف بجيش آخر نحو خيبر، فما كان من طي، وبضغط من عدي بن حاتم (الطائي المشهور) إلا أن ألقت السلاح.

بعد ذلك اتجه خالد نحو البزاخة. لكن طليحة الذي لم تكن تنقصه الشجاعة بأي حال مارس دوره النبوئي حرفياً وظل جالساً في خيمته كي يتنبأ. فما كان من

عيينة إلا أن أوقف القتال غاضباً بينما ظل بنو أسد يقاتلون حتى هرب طليحة. وقد حسم انتصار الجيش الإسلامي في بزاخة، الوضعَ في شمال الجزيرة، وفشلت محاولات تجمّع العصاة في كل مكان.

تردد بنو تميم طويلاً، ومع أنه قد ظهر في صفوفهم نبي، أو بالأحرى نبية، هي سجاح، فإن هذه النبية لم تتمكن من تجاوز التناقضات بين بطون تميم، ولا من جعلهم يتعاونون مع خصومهم القدماء، بكر اليمامة، بقيادة مسيلمة. وبعد البزاخة غيرت تميم موقفها رأساً، إلا أن الشاعر مالك بن نويرة كان ضحية تردده.

وبقي مسيلمة وحيداً. لم يكن مسيلمة متردداً كالمرتدين الآخرين بل كان مستعداً للموت من أجل عقيدته، وكان أتباعه المحاربون من فلاحي اليمامة، يختلفون عن البدو المراوغين. قاد خالد بن الوليد جيشه من القصيم على مشارف الطويق، ثم انعطف إلى الشمال الشرقي، حتى يتمكن من الوصول إلى وادي حنيفة/ العارض، عبر ممر الحسية/ ممر أحيسا. وهناك فاجأ مجموعة معادية ثم اندفع في الوادي نحو الأسفل، في حين أرسل دورية عبر الجبال إلى قرية بني سدوس وملهم في عقرباء أي جبيل الحالية التقى بمسيلمة الذي كان مستعداً لقتاله. وبعد مجزرة مخيفة، تمكن المسلمون من إحراز النصر، وكانت الخسائر جد فادحة، إلى درجة أن خالد عقد إثر المعركة اتفاقاً ترك بموجبه لأتباع مسيلمة الجزء الأكبر من أملاكهم. ولم يشمل ذلك الاتفاق مناطق الوشم سدير العائدة لحنيفة فقد آلت ملكيتها لبني تميم، الذين هم بحاجة إلى الأرض، وتم ذلك في نهاية السنة الثانية عشرة (التي تبدأ في 8/ 3/ 633م) أو بعد بضعة أشهر.

عاد خالد إلى المدينة، لكنه أرسل جزءاً من قواته إلى منطقة شرق الجزيرة، لمساندة القوات الإسلامية المدافعة في "جواثة" شمال حجر، وبعد وصول التعزيزات الجديدة، انتقل المسلمون للهجوم، واستولوا على قلعة المدينة، ولم ينته الوجود الفارسي في زارا الواقعة في منطقة الواحات في القطيف ـ الشط ـ إلا في بداية حكم الخليفة عمر بن الخطاب، في العام 634م.

أدت حروب الفتح التي تلت حروب الردة مباشرة، إلى خلو الجزيرة من الشباب، الذين شاركوا في الجيوش، وتوجهوا إلى ساحات القتال، وما لبثت أن لحقت بهم عائلاتهم إلى الأمصار الجديدة.

وبدأت كذلك، وإبان حملات الفتح، عمليات استصلاح الأرض وزراعتها على نطاق واسع، تماماً كما في الحجاز، وبدأ الاستيطان في سرة نجد، وقد حدد الخليفة عمر (634 ـ 644م) منطقة لرعي الجمال، جمال الضرائب وكذلك الجمال التابعة للجيش، المسماة حمىٰ الضرية[1]. ثم توسعت عدة مرات، فيما بعد، كان آخرها، في العشرينيات من القرن الثامن الميلادي، وبالرغم من أنه، في ذلك الوقت لم تكن لأغراض حكومية مركزية، بل لأغراض محلية، بل وللخدمة الخاصة لبعض الزعامات الكبيرة في المدينة. بدأ الخليفة عثمان بن عفان، خليفة عمر (644 ـ 656م)، خارج الحمىٰ، بإقامة الينابيع والقنوات، وقد قلده بعض أقاربه من الأمويين، الذين انتقلت ممتلكاتهم بعد القضاء على الخلافة الأموية، إلى العباسيين.

كانت معظم المرافق موجودة في الحمىٰ نفسها، وبالدرجة الأولى في منطقة قمة الشُعبا المزدوجة، والغنية بالأمطار، وكذلك في قرية الضرية. إلا أن العمل الأكثر أهمية كان تكثيف العمل الزراعي في مناطق الواحات القديمة. وكان معاوية ابن أبي سفيان، الخليفة الأموي الأول (660 ـ 680م) يملك مزرعة في القرية الحالية اليمامة في الخرج، ويعمل فيها 4000 عبد. وكانت اليمامة والبحرين المصدر الرئيس لتزويد مكة والمدينة بالحبوب في تلك الأيام، وكان نظام الري، يعتمد في ذلك الوقت، أيضاً، على نظام الأقنية الفارسية (تمديدات تحت الأرض)، وحافظت على حالها حتى اليوم في كل من الخرج والأفلاج وغيرهما.

في هذا السياق تم التفكير بطرق الحج المؤدية من المدينتين العسكريتين الجديدتين الكوفة والبصرة إلى مكة والمدينة، لأن محطات هذه الطرق أصبح بعضها

---

(1) حمى، تعني منطقة رعي خاصة لأفراد أو جماعات، ويمنع الرعي العام فيها.

مركزاً لمستوطنات بشرية[1] . نذكر من هذه المستوطنات النباج/ النبقية الواقعة عند نقطة خروج الطريق القادمة من البصرة من الرمال ودخولها في القصيم والتي أسسها القرشي عبد الله بن عامر بن قريز عامل البصرة فيما بين (651 ـ 657، 662 ـ 665م) .

كما يعود إليه الفضل في تطوير القريتين، والواقع على بعد 3,5 كم عن نبع الماء والمدينة الحالية العتيزة. ولم يكتمل إنشاء المحطات في القسم الشمالي من طريق الحج انطلاقاً من الكوفة، إلا في العهد العباسي، وأصبح ذلك الطريق يحمل اسم درب السيدة زبيدة، نسبة إلى اسم زوجة الخليفة هارون الرشيد، التي قامت بالتبرع لأكثر من بناء على الطريق.

من بين الحركات الدينية السياسية التي نشأت في ذلك العصر كان الخوارج المتزمتون الوحيدين الذين ثبتوا أقدامهم لفترة قصيرة في شبه الجزيرة العربية. فقد انضم إلى خوارج البصرة بقيادة بكر اليمامة (64هـ/ 683م ـ 684م) كثير من الأنصار. وعندما تولى قيادتهم نجدة (من قبيلة حنيفة) قاموا بحملات واسعة واحتلوا البحرين واليمن وحضرموت والطائف. إلا أن الخلافات الداخلية أثرت في تلك المسيرة وشلت نشاطات الحركة وفي عام 691م ـ 692م (72هـ) قتل نجدة الذي كان متفوقاً على رفاقه الضيقي الأفق. وفي السنة التالية أبيد أتباعه في قلعة حجر.

مع انتقال الخلافة من الأمويين، إلى العباسيين، وبالتالي حاضنة الخلافة من دمشق إلى بغداد (750م) اكتسبت طريق الحج الكوفية الأهمية التي كانت قبل ذلك لطريق الحج السورية. ورفعت إلى مرتبة ناحية إدارية مستقلة (ناحية طريق مكة) وكانت غالباً تضم إلى ولايات أخرى، إلى ولاية المدينة على سبيل المثال.

ظهرت في ذلك الوقت، فيما بين القبائل، وبخاصة في الشرق، الحركة التي أدت خلال المائة سنة التالية إلى تغير كامل في الحدود. وقد بدأت هذه الحركة في خط الفرات، حيث تم اختفاء قبائل بكر فيما عدا شيبان، وتم احتواؤها في كل من

---

(1) ذكرت في هذا الكتاب أسماء الأماكن والقبائل القديمة قبل خط الفاصل.

الكوفة والبصر وغيرهما من البلدان التي تم فتحها مجدداً، وكذلك كان الحال مع تميم في المناطق الخلفية. وجاء إلى المناطق المتروكة بنو أسد الذين تحولوا إلى الكوفة في القرن التاسع، وتبعتهم قبيلة طيء. وفي الجنوب هجر بنو تميم الرحّل (حنظلة، وضبة/ رباب، وعمرو) مقرهم الشتوي على هذا الجانب من الطويق واستقروا بصورة دائمة في مقراتهم الصيفية الممتدة من الحزن حتى الصمان. وإلى السهول الخالية نتيجة ذلك زحفت من الجنوب قشير ومن الغرب نمير، قبيلة عامر ابن صعصعة، والتي كانت تعيش في المنطقة الضيقة على الضفة اليمنى لوادي الرشا/ التسرير. ثم ما لبث أن انتشر بعد ذلك، بنو نمير، حيث امتدت مناطقهم فيما بين السر واوضاخ في الشمال، إلى طريق الحج حجر ـ الرياض ـ مكة في الجنوب. وكانت الحركة في الغرب أقل، فقد بدأت بغطفان الذين أخذوا بالانتشار التدريجي باتجاه البلقاء وحوران. وما يلاحظ في هذه التحركات، أن الخسائر التي تعرضت لها تلك القبائل أثناء وبعد حروب الفتح، ونتيجة الهجرات، قد تم تعويضها، وأصبحت، هذه الحقيقة كاملة الوضوح خلال ثورات البدو، التي اندلعت في كل مكان قبل وقت قصير من منتصف القرن التاسع وقد بدأت في العام 230هـ/ 845م في غرب الجزيرة على يد قبائل سليم، وتم القضاء على حملة صغيرة أرسلها الخليفة الواثق إلى المدينة من قبل البدو الذين اضطروا إلى القتال. أسندت مهمة القضاء على المتمردين للقائد بُغا الكبير، وتم الانتصار في السوارقية، حاضنة قبيلة سليم، وخضوع القبيلة بكاملها. حظي بُغا بتكريم بني هلال، خلال رحلته إلى الحج في (ذات العرق)، وبعد عودته إلى المدينة، تحول ضد غطفان في الغرب (الأشجع، مرة، ثعلبة وفزارة) الذين فروا نحو الشمال. وأنهى حملاته سنة (856م) بحملة باتجاه حمىٰ الضرية ضد بني كلاب الذين أعلنوا خضوعهم. لكن المهمة الأصعب كانت ما زالت في انتظاره. كان بنو نمير، كما هي طبيعة البدو، يضايقون المستوطنين، ومعظمهم من تميم، في الوشم والواحات الأخرى. وما كانت الحكومة لتحرك ساكناً لو لم يتمكن مالك الأراضي المعروف والشاعر المشهور (عمارة بن عقيل من الأثيثية) خلال رحلة إلى العراق من إيجاد أذن صاغية لدى الخليفة فكلف الخليفة، بُغا، الذي كان لا يزال يقيم في المدينة بتأديب

القبيلة. . فزحف بُغا مباشرة نحو الشرق، وأقام معسكره في مرآه جنوب الوشم، بعد مهاجمته لجماعة من نمير في الطريق. وفي نهاية أيلول 846م، اتجه نحو الغرب، هذا في حين فشلت حملة جانبية إلى الجنوب لأن البدو فروا من طريقها وتحاشوا الاصطدام. وفي شباط 847م، بعد أن أعدوا مواقعهم للقتال، في السر، دخلوا المعركة وحققوا انتصاراً باهراً، أوقعوا بالقائد بُغا وقواته هزيمة كبيرة، فقد فيها حوالى ثلث قواته ومؤنه. لكن البدو المنتصرين ارتكبوا خطأ قاتلاً، فبدلاً من استغلال الهزيمة، ومطاردة فلول المنهزمين، انصرفوا لجمع الغنائم، الأمر الذي أتاح الفرصة لبُغا، فقام بإعادة تجميع لفلول قواته ووجه إلى العدو ضربة ساحقة. ولم تشف نمير من هول تلك الضربة واحتلت مناطق إقامتهم من كلاب، وفي الجنوب من قبل عقيل.

في بادىء الأمر بقيت منطقة اليمامة[1] وشرق الجزيرة هادئة. وكانت قد نشأت بموافقة الحكومة، في القرن التاسع، إمارة في الواحة في شرق الجزيرة. وقد حكم في القطيف وما حولها، أربعة زعماء، بالرغم من أن تلك الواحات، كانت تشكل حتى أواخر العصور الوسطى، منطقة واحدة مترابطة.

وكان الوضع في البحرين مماثلاً، فقد انقسمت إلى إمارات هجر، وجُواثا، والأحساء، وكان الحكام يعودون بأروماتهم للقبائل القديمة في البلاد وهي عبد القيس وسعد ـ تميم (في الأحساء)، والأزد القادمون من عُمان (60هـ/ 680م) (زارا قرب القطيف). وكان أشهرهم ابن مسمار في القطيف، والعريان في جُواثا.

انقطع الهدوء في العام 863م، بواسطة رجل علوي أو علوي مزيف، فقد جرب حظه أولاً في هجر، محاولاً استغلال الخلاف المستشري فيما بين الحزبين اللذين ينقسم إليهما السكان في المنطقة. وبعد ذلك أقام صلات مع سعد في الأحساء، ثم ما لبث أن ذهب إلى السهل، حيث تمكن من تجنيد جيش كبير من بني تميم ونمير وكلاب. وتمكن العريان وبمساعدة الأمراء الباقين من عبد القيس من

(1) في نهاية العقد السادس أسس محمد بن يوسف الأوخيضر إمارة في الخضرمة/ اليمامة.

طرد المتمردين وكانت هذه بمثابة التمهيد للثورة القرمطية، التي تعتبر أكبر الثورات التي عصفت بالعالم الإسلامي.

كان القرامطة، أو بالتحديد الإسماعيليين[1]، إحدى الجماعات التي نبعت من الشيعة، وقد شاركوهم في الاعتقاد بأن أحد أولاد علي سيقيم دولة المهدي (القائم) واعتقدوا إما بعودة محمد بن إسماعيل المختفي أو انتظار المهدي من بين أبنائه[2]. لكنهم كانوا يختلفون عن الشيعة، أولاً، في الأُسلوب السياسي: لم يكن الإسماعيليون مندفعين أو متسرعين مثل الفرق الباطنية الأخرى. كانوا يعرفون كيف ينتظرون. ومن الاتجاهين المذكورين آنفاً، كان الثاني (أي الإسماعيلي) لا يعلن اسم الإمام. ويعود السبب في ذلك إما لإخفاء نقاط الضعف التي قد توجد لدى خلفاء محمد بن إسماعيل أو لمنع الانشقاق فيما بينهم، أو ربما أيضاً لعدم استفزاز أتباع الاتجاه الآخر. رغم ذلك لم يحققوا وحدة كاملة. فالاتجاه الأول الذي كان ممثلاً بصورة رئيسية في العراق وشرقي الجزيرة العربية لم يخضع لهم إلا لفترة مؤقتة.

يوضح هذا الوضع، بالإضافة إلى طموح الزعماء، ضعف التعاون بين الجماعات القرمطية المختلفة في العراق وسورية وبلاد ما بين النهرين وشرق الجزيرة، في الثورات التي مهدت لظهور المهدي عبيد الله (297هـ/ 909م في مراكش) الذي قاد الاتجاه الثاني إلى النصر، وتأسيس الحكم الفاطمي. حدثت اضطرابات في الكوفة (284هـ/ 897م) كانت بمثابة إعلان عن الثورة. لكن الثورة الفعلية اندلعت في شرقي الجزيرة العربية (286هـ/ 899م) وبعد ذلك انتقلت

(1) الاسم مشتق من إسماعيل وهو زعيم الطائفة الإسماعيلية. وهو من نسل الإمام علي من الظهر الخامس. ويعتقد الإسماعيليون بأن ابنه محمد بن إسماعيل هو الإمام السابع، بعكس الشيعة (الإمامية). كما أن هناك اختلافاً في نسب وأهمية القرامطة، ولكننا سنعتمد على المؤرخين العرب الذين يقولون بأنهم في سورية والعراق والجزيرة العربية، بينما الحقيقة هي أنهم في العراق وشرق الجزيرة العربية.

(2) انظر النوبختي، فرق الشيعة، ص 61.

الشرارة إلى العراق. وفي عام 901م اندلعت في البادية السورية. ولكن بينما أخمدت هذه الحركات خلال فترة قصيرة فإن النيران في شرقي الجزيرة العربية لم تخمد إلا بعد مائتي عام وقد كان مؤسس الحركة في شرقي الجزيرة العربية رجل فارسي جنابة على الخليج، هو أبو سعيد الحسن بن بهرام، الذي بدأ نشاطه في القطيف متنكراً في زي جابي ضرائب، إلا أنه تمكن من التغلغل في صفوف العديد من العائلات، التي أصبح بعض أفرادها أعضاء في مجلس الدولة، إلا أنه اضطر لمغادرة المدينة بعد نزاع مع الشيخ ابن مسمار. فذهب إلى البادية، وأقام في صفوف بني كلاب، الذين كانوا قد أعلنوا تأييدهم لأحد دعاة القرامطة. حدثت نزاعات فيما بين الداعيين، وقيض لأبي سعيد تحقيق النصر، وأسر غريمه وقتله. وبذلك، شكل بنو كلاب، منذ ذلك الوقت النواة الرئيسة للدعوة القرمطية بين البدو، وبرز أحد أبناء القبيلة، كقائد للجيش، بينما تولى اثنان آخران في المجلس، حقيبتي وزارتي الحرب والخارجية. بعد كَلاب جاءت قبيلة عقيل كانت قد تمكنت في هذه الأثناء من توسيع منطقتها عبر القطيف إلى شرقي الجزيرة العربية. ولكن بينما دخلت كلاب في الجيش، حافظت عقيل على بداوتها. وبعد ذلك هاجرت القبيلة بالكامل إلى شرق الجزيرة، حيث توفر لها المكان الكافي أما بدو المنطقة القدماء، عبد القيس وسعد (تميم)، فقد كانوا قد استقروا منذ زمن طويل.

بدأ، أبو سعيد، بعد أن تمكن من الإطاحة بسلفه، حملاته ضد واحات المنطقة، فسقطت القطيف أولاً، واشتعلت زارا، ثم تبع ذلك باقي الأماكن باستثناء هجر (286هـ/ 899م). تداعت تلك الأنباء لحاضرة الخلافة، وتحسباً من هذه الأخبار، أرسل الخليفة المعتضد، جيشاً قوامه ألفا رجل بقيادة قائد عسكري قدير، إلى منطقة شرق الجزيرة، وقد تم تدعيمه في البصرة من قبل المهاجرين المتطوعين، وثلاثمائة بدوي من ضبة. تصدى أبو سعيد لقوات الخليفة، على مسافة يومين أمام القطيف وقضى عليها، ولم ينج سوى بضع مئات من قوات الخليفة. فأرسلت لهم مساعدة من البصرة، إلا أن القافلة تعرضت لغارة بني أسد،

وقتل معظم اللاجئين. وبذلك، وبعد احتلال هجر أصبح شرق الجزيرة بكامله بيد القرامطة.

اقتصرت السيطرة المباشرة للقرامطة على تلك المنطقة، التي ينبغي أن نضيف إليها أيضاً جزيرة أوال(البحرين اليوم)، وبعض واحات نجد.

لم تكن حملات أبو سعيد المقبلة باتجاه عُمان، وكذلك خلفائه من بعده ترمي إلى السيطرة على الأرض، وإنما كان الهدف منها ابتزاز الأموال وجمع الضرائب ومما يعبر عن سلوك أبي سعيد أبلغ التعبير أنه دمر واحة يبرين المزدهرة تدميراً بالغاً لم تستعد بعده عافيتها حتى اليوم. وكانت الغاية من عمله هذا، الحيلولة دون إمكانية استخدامها، أو الاستفادة منها قبل الخصوم. ووصل أبو سعيد في نجد، إلى الأفلاج، ثم ترك السلطة للأخيضر في اليمامة، الذين انضموا إلى القرامطة.

اغتيل أبو سعيد عام (301هـ/ 919م)، فخلفه ابنه أبو طاهر سليمان، الذي تولى بعد تسع سنوات قيادة الجيش بنفسه، واتبع من حيث المبدأ نفس السياسة السابقة لوالده، لكنه كان يريد ضرب الدولة العباسية في الصميم في قلب بغداد. أثارت العمليات التي قام بها القرامطة، والتي كان منها الاستيلاء على البصرة عام (311هـ/ 923م)، والهجوم على قافلة الحج العائدة من الأراضي المقدسة[1]، والذي أسفر عنه مقتل الآلاف وأسر الآلاف، ثم الاستيلاء على الكوفة في عام 925م، أثارت استياء بالغاً رافقته حالة من الشلل العام. وكانت أكبر عملية له الحملة التي امتدت خلال المدة الواقعة ما بين (315 ـ 317هـ/ 927 ـ 929م)، وتمكن

---

(1) حدث أول هجوم على قوافل الحج القادمة من الكوفة بداية عام 285هـ/ 898م في منطقة تدعى اجفور وكان من قبل قبيلة طي. وعندما حاول الطائيون في العام التالي إيقاف القافلة القادمة من مكة أمام المدينة انتصرت عليهم الحامية المرافقة للقافلة. وفي بداية عام 294 هـ/ 906م قام زكرويه قائد القرامطة في بلاد الرافدين بمهاجمة ثلاث قوافل حج (القافلة الفارسية والقافلتين الحكوميتين) قرب واكصة والعقبة وفي الرمال وأبادها عن بكرة أبيها. وكرر أبو طاهر نفسه عملية عام 923/ 934م بأن استولى على قافلتين بنصب كمين لهما.

خلالها من القضاء على جيش كبير قرب الكوفة، ووصل إلى منطقة تبعد عن بغداد عدة كيلومترات فقط، ثم قام بالزحف باتجاه الفرات، وأرسل بعض الطلائع إلى رأس العين، ونصيبين، ثم إلى أسفل جبال آسيا الصغرى.

طوّر أبو طاهر فناً قتالياً جديداً. فقد كان يقسم جيشه إلى مجموعات صغيرة قدر الإمكان ـ 1000 ـ 2000 رجل معتمداً على المشاة أكثر من اعتماده على الخيالة ـ الأمر الذي حقق له التفوق على عدوه، الذي كان يمتاز بالتفوق العددي، إلا أنه كان أقل قدرة على الحركة. ومع أنه كان يأخذ معه، أثناء الغزوات الكبيرة كميات كبيرة من المعدات والمؤن لكنه لم يكن يتوان عن القيام بحرقها عندما يتطلب الوضع العسكري ذلك. ولم يكن يردع قواته عن القيام بعمليات القتال أو النهب، مما جعلهم يتبعونه حتى في أصعب الأوقات كما حدث أمام بغداد وعند الانسحاب من مكة. توفي أبو طاهر عام (332هـ/ 943 ـ 994م)، عن سبعة وثلاثين عاماً، كان متعصباً بصورة خالصة، وتسيطر عليه أحلامه، لدرجة أنه بقي لمدة شهرين أمام نصاب فارسي ادعىٰ أنه المهدي، وأطاع تعليماته الجنونية، لأنه اكتشف أن المهدي الفاطمي لم يجلب معه الحياة الأبدية وإنما أقام امبراطورية دنيوية فحسب.

مع أبي طاهر انتهت المرحلة الحماسية للقرامطة وبدأت دولتهم تنمو ضمن دول الشرق الأدنى، أما واقعهم العسكري، فقد بقي محافظاً على مستواه القديم، وشكلت غزواتهم نحو سورية وفلسطين إنجازاً مدهشاً، وذلك خلال المدة الواقعة فيما بين (353 ـ 357هـ/ 964 ـ 968م)، والتي دعموا بها ومن خلالها زحف الفاطميين نحو مصر، وقد تحقق ذلك بمشاركة طي وبدو آخرين.

بعد سقوط القاهرة في يوليو/ تموز 969م حصل شقاق فيما بين القرامطة والفاطميين وقد أثاره، الخلاف بين أبناء أبو سعيد، المستند إلى الشكوك الدينية القديمة ضد الخلفاء الفاطميين. وعلى الفور أشهر القرامطة، الذين كانوا لا يزالون في سورية، السلاح ضد حلفاء الأمس. وتبع ذلك حملتان جديدتان كبيرتان ضد مصر، ففي نهاية 971م، وصل الحسن، حفيد أبو سعيد، إلى أبواب القاهرة،

وتقدم عام 974م كثيراً في أعماق مصر، حتى أرغم على العودة من حيث أتى، وذلك بعد أن غدرت به قبيلة طي. واستمرت الحرب حتى (368هـ/ 978 ـ 979م)، وبعد الانتصار، اشترى الخليفة الفاطمي العزيز، السلام، مقابل دفعة نقدية سنوية. وأنهت الحملة على العراق في العام (375هـ/ 985م) المرحلة الثانية من دولة القرامطة. ودام حكمهم في الأحساء، منذ أن احتل أبو سعيد عاصمة الواحة وشرق الجزيرة، وفي القطيف، وفي جزيرة البحرين حوالى مائة سنة أخرى.

لقد أراد القرامطة إقامة دولة الله على الأرض بواسطة السيف. وعندما ضاقت بهم السبل العسكرية جنحوا إلى تحقيقها بالوسائل السلمية. وقد قدم رجل فارسي زار الأحساء في العام (443هـ/ 1051م)، صورة جذابة عن جزيرة السلام هذه: لا يوجد ضرائب، المحتاجون والحرفيون المهاجرون يحصلون على قروض بدون فوائد، والقمح يطحن مجاناً، وبيوت الفقراء المتداعية يعاد بناؤها بالأموال العامة كانت تكاليف هذه الخدمات العامة المجانية تغطى من ممتلكات الطبقة الحاكمة التي يعمل فيها العبيد.

ظلت الجوامع خالية، إلا أنه لم يجبر أحد، على اعتناق فكر القرامطة. فالحلم بعودة المهدي ونشر السلام والرخاء على الأرض لم يكن قد تبخر بعد إذ كان يقف أمام ضريح أبي سعيد ليلاً ونهاراً حصان مسروج دائماً لكي يمتطيه، عندما يظهر ثانية، وذلك لينشر السلام «العدل» في العالم.

ألحقت سياسة القرامطة وحروبهم، أضراراً لا توصف بالزراعة في مناطق واسعة من أرض الجزيرة، وتهدمت محطات طرق الحج، ومعها المستوطنات السكنية التي نشأت حولها. وبذلك اختفت الواحات المزدهرة إلى الأبد[1].

وهكذا، عادت الجزيرة إلى البداوة، وأخذت القبائل تتقاضى رسوم الحج "الخفارة" التي اعترفت بها حكومة بغداد في العام (327هـ/ 938 ـ 939م)،

---

(1) ترك سكان قرّان (قرب ملهم) أراضيهم عام 310/ 923 بسبب الضرائب المقيتة التي كان يفرضها عليهم بني الأخيضر واستقروا في البصرة. وكانت ربضة، التي كانت في عداء مع واحة ضرية، قد تركها سكانها أيضاً بعد أن طلب أهالي ضرية مساعدة القرامطة عام 319 هـ.

للقرامطة، لقاء السماح للقوافل بالمرور، وكانت أول القبائل طيء (أنظر الجزء الأول ص498). ولم يمض وقت طويل، إلا وشعر القرامطة بسلطة البدو في عقر دارهم. ففي عام 378هـ/ 988 ـ 989م ثار شيخ المنتفق، أحد فروع عقيل، ضدهم وكبدهم خسائر فادحة.

أدت غزوات القرامطة، إلى دخول جديد للقبائل إلى البلدان الشمالية الحضارية. فقد نزح فرعان من بني عقيل، هما خفاجة، والمنتفق، إلى العراق، في القرنين العاشر والحادي عشر، وبقي فرع واحد هو فرع بني عامر في شرق الجزيرة. أما طي فقد انقسمت في نهاية القرن العاشر إلى قسمين. أحد القسمين، ربيعة، وصل سورية بسبب انضمامه للقرامطة، وظل هناك. وكان الثاني، الغازية، يتنقلون في شمال الجبل، من شرق الأردن والجوف إلى طريق الحج الكوفي، بينما كان بنو لام يتنقلون جنوب الجبل، فيما بين المدينة وطريق حج البصرة.

في عام (469هـ/ 1076 ـ 1077م)، تمكن عبد الله بن علي، زعيم آل إبراهيم، وهم عائلة مرموقة من العيون قرب الأحساء من الإطاحة بحكم القرامطة وذلك بعد حرب طويلة استمرت سبع سنوات. وتم حسم الأمر على يد جيش سلطان السلاجقة (ملكشاه)، بالرغم من أن القلعة لم تسقط، إلا بعد انسحاب القوات الغريبة. وعرف عبد الله كيف يسيطر على الحامية الصغيرة المتبقية، وذلك بأن أعدم قائدها. إلا أن هذه العملية جرّت عليه حملة تأديبية، فقد حاصره السلاجقة لمدة عام كامل في القلعة، إلا أنهم اضطروا للانسحاب، بسبب الطقس الرطب والحار، وصعوبات الإمداد.

كان قسم من الأعيان قد ساعد العدو أثناء الحصار. لذلك سحب عبد الله من هؤلاء الأراضي التي سبق أن خصصها لهم، بعد سقوط القرامطة. كان للاستياء الناجم عن ذلك عواقب وخيمة في وقت لاحق. وبعد الاستيلاء على القطيف وجزيرة أوال (البحرين)، اللتين كانتا قد تخلصتا قبل ذلك من حكم القرامطة، أصبح عبد الله بن علي الحاكم الوحيد في منطقة شرق الجزيرة. وقد بقيت البلاد

أثناء حكم خليفته الأول، موحدة، ثم ما لبثت أن انقسمت إلى القطيف ـ البحرين والأحساء. ووحد محمد، أحد أحفاد عبد الله بن علي، الدولة مرة أخرى، لوقت قصير، وكان على صلة وثيقة بالخليفة الناصر (1180هـ ـ 1225م)، الذي نظف بناء على طلبه، الطريق الصحراوي الواقع فيما بين خط الفرات حتى عُمان، بل تقدم حتى قبيلة العدوان شرق الطائف(أنظر الجزء الثاني ص561). إلا أن سلطة العائلة، سرعان ما انهارت، بعد وفاة محمد في العام (602هـ/ 1205 ـ 1206م)، وذلك جراء نشوب القتال فيما بين الأخوة، سواء في الأحساء، حيث وصل أولاد عم محمد للقيادة من جديد، أو في القطيف التي بقيت في يد أحفاده. وكان بني عامر هم الذين حفروا لها قبرها. فقد طالبوا بحصة من إنتاج الأحساء المخصص لهم من قبل القرامطة، مقابل حمايتهم لتلك الواحة، إلا أن العيونيين (أي آل إبراهيم)، رفضوا تلبية ذلك الطلب، عندئذ، قاموا بتهديد العاصمة بين الحين والآخر، وساهموا أيضاً في جميع الثورات ضد الأسرة الحاكمة وفي الصراعات الدائرة داخلها. وأخيراً اضطرت الأسرة إلى تلبية طلبهم. وبما أن المخازن كانت خالية فقد أعطوهم بدلاً من الحبوب مساحات من الأراضي بحيث أصبح الجزء الأكبر من الأراضي في كل من الأحساء والقطيف في أيدي البدو.

ساعدت السيطرة الاقتصادية، في فرض السيادة السياسية. ففي عام (633هـ/ 1235م)، سيطر السلفوريون من فارس على جزيرة البحرين، بينما ظلت مناطق اليابسة خاضعة لبني عامر، الذين انحدرت منهم عائلة الجبور الحاكمة، والتي كانت في أوج قوتها عندما وصلت القوات البرتغالية إلى الخليج العربي، عام 1507م. وكانت عُمان، وبلاد البخور ظفار، تدفع الضرائب للجبور الذين امتد نفوذهم حتى أعماق الجزيرة العربية. ولكن أميرهم مقرن قتل عام 1521م في معركة مع البرتغاليين في البحرين التي تم احتلالها فيما بعد من قبل الغرباء. استمر الجبور في الحكم في الأحساء، حتى سقوطها بيد العثمانيين سنة 1591م، الذي تمكنوا من احتلال البحرين والقطيف سنة 1550م بشكل عابر. إلا أن اسمهم استمر مع الجبور، أحد بطون قبيلة بني خالد، الذين حلوا في الأحساء في القرن الثامن عشر بدلاً من الباشا العثماني.

إضافة إلى سادة الأحساء كانت هناك منذ القرن الحادي عشر الميلادي قوتان لهما نفوذ سياسي كبير في شمال الجزيرة هما إمارة المدينة، وإمارة مكة، ومنذ سنة 1482م، لم يبق سوى الثانية فقط.

لا تتوفر سوى معلومات قليلة عن الأوضاع في المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية: ما نعرفه هو أن واحات الوشم اجتازت الهجمات القرمطية بسلام، وفي السدير، الواقعة في أقصى الجزء الشمالي من الطويق، والتي كانت قبل ذلك قليلة السكان، نشأت في القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر عدة مراكز سكنية جديدة، من بينها مجمعة، العاصمة اللاحقة للمنطقة، 820هـ/ 1417م.

حصلت في نهاية العصور الوسطى، العديد من التغيرات الهامة في المناطق البدوية، فقد تقدم بنو لام من الحجاز إلى شرق الأردن، وفي الوقت نفسه تحرك / الغازية/ نحو الشمال الشرقي إلى الفرات (الفلوجة، كربلاء، السماوة). وبذلك حدث نوع من الفراغ في المنطقة حول الأجا والسلمى، الأمر الذي أتاح الإمكانية لانتشار فرع آخر من طي هو شمّر. وفي بداية القرن الرابع عشر ظهرت قبيلة جديدة في الحرّة قرب سويرقية هي المطير.

كان أمراء مكة (الأشراف الكبار) ومنذ العصر الجديد، وربما منذ زمن أقدم من ذلك، يعتبرون المنطقة الواقعة غرب نجد، بما في ذلك حمى الضرية (سرة نجد)، مناطق نفوذ لهم. وقد حاول الأشراف، ولأكثر من مرة، بسط منطقة نفوذهم، عبر العديد من الحملات لتصل إلى العارض والوشم. وفي عام (1032هـ/ 1623م)، ظهر الشريف محسن بن حسين في شرق الجزيرة، حيث التقى هناك، بالأمير العثماني إبراهيم باشا.

على أساس هذه الخطوة، أقنع الباب العالي بإعطائه ولاية الأحساء. لكن هذا الحق ظل حبراً على ورق. وقد قام باشاوات الأحساء وخلفاؤهم، أمراء بني خالد أيضاً، بعدة حملات نحو الداخل. وكان الأخيرون يطالبون بنجد من الرمان في الشمال إلى شعيرا ووادي حنيفة. ولكي يحافظوا على نفوذهم في العارض كانوا

يدفعون في النصف الأول للقرن الثامن عشر أتاوات لأمراء العيينة.

إضافة إلى ما ذكرنا أصبحت الظروف في الداخل أكثر وضوحاً: ففي منتصف القرن السادس عشر هاجر بنو لام إلى العراق، لكنهم تركوا في الشرق الشمالي مجمعاً كبيراً من بني قومهم هم الفضول. وفي نفس الوقت بدأت عنزة بالانتشار فيما بين وادي الرمة والقصيم (أنظر الجزء الأول ص128)، ورحلت معهم إلى الشرق قبيلة صغيرة كانت تسكن في شمال الحجاز، هي قبيلة ضفير، التي ما لبثت أن تطورت إلى مجمع كبير نتيجة انضمام عدد كبير من العناصر الغريبة إليها. وكانت في النصف الأول من القرن الثامن عشر تتنقل في كامل الطويق الشمالي. كما أن المطير بدأوا في الوقت نفسه بالتحرك من الحرّة نحو الداخل. وظلوا فترة من الزمن يرحلون إلى الجنوب الشرقي، وفي وقت لاحق نحو الشمال الشرقي إلى أسفل جبل شمّر.

وبين حرة كشب والطائف ظهرت عام 1500م قبيلة العتيبة التي ظلت في بادىء الأمر في الحجاز. ومن الجنوب، من عسير والتثليث، رحلت قحطان نحو الشمال إلى طريق الحج مكة ـ الرياض. وإلى الشرق من قحطان تحرك في نفس الاتجاه بنو هاجر المنحدرون منهم. وقبلهم كانت القبيلة التي أعطت وادي الدواسر اسمه قد رحلت من الجوف (أنظر ج1 ص120)، وعندما وصل الدواسر في القرن السادس عشر إلى الوادي كان الطويق الجنوبي مسكوناً بصورة رئيسية من العنزة الذين كانت منطقتهم قبل العهد القرمطي تقتصر على واحات فرع. وبعد وقت قصير أصبح الوادي الشحيح بالمياه والأمطار ضيقاً لا يكفي الدواسر. ولذلك بدأ جزء منهم بالتحول إلى بدو رحل وجزء آخر بالاستيطان في الطويق الجنوبي. وأسست مجموعات صغيرة منهم وقامت مجموعات صغيرة منهم بإنشاء مستوطنات في شرق الجزيرة، وبشكل خاص في شط العرب. وهاجر العتوب (بني عتبة)، فرع من الجميلة (عنزة)، من الهدار في الطويق إلى الشمال حيث استقروا في الميناء، الذي أطلق عليه فيما بعد اسم الكويت حوالى (سنة 1715م)، وأصبحوا تجاراً وبحارة، بعد أن كانوا مزارعين. وهاجرت بحراً إحدى عائلاتهم والمعروفة باسم آل خليفة

إلى الزبارة على الساحل الغربي لشبه جزيرة قطر، وفي (سنة 1783م)، تمكنوا من احتلال البحرين، والتي كانت تخضع في حينه لشيخ بوشهر الفارسي، واستمرت تحكمها حتى اليوم، ومنذ سنة 1840م دخلت تحت الحماية البريطانية[1]، وبقي في الكويت فقط آل الصباح، حكام الإمارة اليوم، بينما استقر في الخرج والعارض وبعض الواحات أولاد حنيفة وبكر، الذين أطلقوا على أنفسهم كأقربائهم في الشرق، اسم ربيعة، واستقرت تميم بجوارهم منفردة في واحة الحوطة (حوطة بني تميم) في الفرع العليا.

ساهم بنو تميم وبدرجة كبيرة في عمليات الاستيطان التي بدأت أواخر العصر الوسيط. آنذاك بدأت تزدهر في العارض القريتان اللتان أصبحتا فيما بعد المدينتين الواحيتين الدرعية والرياض. وفي العام (950هـ/ 1543م) تم إنشاء بريدة في القصيم، والتي فاقت أختها عنيزة فيما بعد، وتحولت بالتالي إلى أكبر مدينة في وسط الجزيرة. هذا، ولا يعرف الكثير، عن التطور الذي ألم بالواحات الواقعة في منطقة جبل شمّر، إلا أن السكان المقيمين هناك كانوا ومازالوا من تميم، أيضاً الذين قدموا للمنطقة من الجنوب. في القرن السابع عشر، أسس كثير من الواحات في المناطق المسماة شعيب ومحمل في العارض، أو أعيد استيطانها نذكر منها حريملا، المركز الرئيسي لشعيب، وثادق والرغّبة وغيرها.

في بعض الحالات يتاح لنا المجال لإلقاء نظرة على الأساس القانوني لقيام الإمارات في الواحات. عجينة في أعلى وادي حنيفة، وتشمل المنطقة الواقعة ما بين جبيلة ومفرق مياه إلبكين/ بكّين، اشتراها سنة (1446م) صاحب ملهم، جدّ آل المعمر، من عائلة شيوخ حاكمة تحت الجبيلة (وكلاهما من تميم). وفي الوقت نفسه قام أمير من ربيعة كان حاكماً حول الرياض (كان الاسم آنذاك يطلق على الناحية) بإهداء، أو تأجير، قريتين في واحة الدرعية اللاحقة لرجل من أبناء "قبيلته" قادم من القطيف، هو جد آل سعود. وتم الحصول على بريدة عن طريق

(1) العتوب هم أيضاً جلهمة في خور حسن في قطر، وآل ابن علي في الزبارة.

الشراء لكننا نجد هنا نشوء نوع من نظام الحكم الجمهوري، إذ تم تبادل السلطة بين العائلة المؤسسة آل دريبي وعائلة آل عليان. ونجد الشيء نفسه في واحات أخرى، كما في حوطة بني تميم على سبيل المثال.

إذا ما أضفنا إلى القبائل المذكورة أعلاه قبيلة البقوم في تربة، والسبيع الذين يوجد قسم منهم شرقي البقوم وقسم في العارض، وأتباعهم السهول، فإننا نعرف كيف كانت الظروف هناك عندما بدأت حركة دينية جديدة غيرت شكل الجزيرة العربية تغييراً كاملاً، ألا وهي الحركة الوهابية. وتعود التسمية، نسبة إلى مؤسس الحركة محمد بن عبد الوهاب، والتي تحولت من اسم سخرية إلى اسم شرف.

ولد محمد بن عبد الوهاب سنة (1703م) في العيينة، من أسرة فقيرة، تعود بأروماتها لتميم، وحافظت على التراث الفقهي في نجد، كما احتلت مناصب القضاء في الواحات. وكان والده قاضياً. قام الفتى محمد بن عبد الوهاب ومنذ سن مبكرة، بزيارة للأماكن المقدسة، ثم أتبعها بعدد من الرحلات التعليمية طلباً للعلم. أقام مطولاً في البصرة، ولفت الانتباه من خلال تفكيره المستقل وإرادته الصلبة، وفي سنة (1740م) طرح وجهات نظره بشكل علني أولاً في الحريملة «الحريملا» ثم في العيينة مسقط رأسه.

يتبع هذا المصلح، كما هو شأن سائر علماء نجد، المذهب الحنبلي، الذي يعود لمؤسسه أحمد بن محمد بن حنبل (780م ـ 855م)، والذي تصدى في حينه للاتجاه العقلاني. حاول في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، اثنان من الحنابلة (ابن تيمية، وابن القيم الجوزية) أن يحلّا محل عالم التصوف، الذي كان سائداً في العصور الوسطى، مجموعة من التعاليم البسيطة، والعودة في الحياة المعاصرة إلى طريقة حياة المسلمين الأوائل المتقشفة. لم يجرؤ أحد على تطبيق نظرية هذه المدرسة بشكل عملي، وبذلك، بدأ محمد بن عبد الوهاب النضال ضد عبادة الأصنام وتبجيل الأولياء، والاعتقاد بالخرافات، وكان هذا يعني في وطنه، النضال ضد العقيدة التي تقدس قبور أصحاب النبي الذين سقطوا في القتال ضد مسيلمة، وكذلك النضال ضد الوثنية وتقديس الحجر والشجر الذي اتخذ مظهراً

إسلامياً[1] لدى الرعاة والفلاحين ومنع الربا، وألحّ على إقامة الصلوات الخمس بشكل جماعي، (صلاة الجماعة)، ووقف ضد إساءة الاستخدام في جماعته، كالدفع للقاضي من طرفي النزاع. وحاول نزع العلماء من التراخي فشجعهم على الوقوف مع الحقيقة حتى ولو كانت تتعارض مع مصالحهم الشخصية أو مصالح الحكام. وبعد تردد، تبعه عدد من رجال الدين من موطنه البعيد، كما أيده كثير من الناس. ثم تبع ذلك، قيام موجة من الكراهية والنكران ضده، وأرغم (سنة 1744م) وبعد نشاط دام أربعة أعوام تقريباً، على مغادرة مسقط رأسه العيينة إلى الدرعية المجاورة، والتي استضافه فيها الأمير محمد بن سعود، ووجد فيه السند الداعم لحركته الإصلاحية. توثقت العلاقة منذ العام 1766م بين الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود ـ وبين الداعية، ولم يحدث ما يعكر صفو هذه العلاقة، ولم تشُبها أي شائبة.

أصبحت الدولة والمجتمع وحدة واحدة، تماماً، كما كان عليه الحال في العهود الأولى للإسلام، وحظي الأمير بلقب الإمام، الذي غدا يمثل الزعيم الديني ـ السياسي للمجموعة، والذي بقي حتى ذلك الوقت كوجود خيالي في أقبية الفقهاء.

زود الداعية أتباعه بسلاح فتاك، لاعتباره أعداء الدعوة خصوماً، مرتدين، يمكن تقويمهم بحد السيف إذا لم يعودوا لجادة الصواب، ولكن، كان لهذا السلاح خطورته، فهو سلاح ذو حدين، فقد وضع الوهابيين خارج المجموع الإسلامي وأدى إلى خوض الحرب، مع زعيمة الإسلام آنذاك، الامبراطورية العثمانية. وقد قيض له النجاح في توحيد نجد. وعندما توفي محمد بن عبد الوهاب (سنة 1791م)، ترك نجد موحدة، بعد حروب دامية، امتدت قرابة نصف قرن من الزمان، وقد ساد في تلك البلاد السلام والأمن ولأول مرة منذ ألف عام. كانت البداية مضنية. إذ كان القتال يتراوح بين أخذ ورد، واحة تكسب، وأخرى تخسر،

(1) حتى القرن الخامس عشر كان يتم من قبل البدو تقديس أحد الأولياء، وهو كليب، من العصر الجاهلي.

مع استمرار روح المقاومة، واستمرار النصر والهزيمة، وكان الخصم الألد هو أمير الرياض دهام بن دواس، حيث كانت توجد أيضاً الخصومة الدينية الأشد عداء لابن عبد الوهاب، إلا أن دهام تخلى في سنة (1773م) عن القتال نهائياً، بينما استمر بعض من مساعديه من الضفير في القتال لفترة أطول. ومع أنهم انضووا تحت حكم الوهابيين في الثمانينيات، إلا أن النظرة إليهم استمرت قائمة على الشك مما حدا بهم للرحيل نحو العراق في سنة 1795م.

اتسم تقدم الوهابيين، خارج نجد، بنفس الآلية والسمة التي اتصفت بها الحروب، والتي كان أمراء الواحات قد ألفوها ألا وهي عدم التدخل إلا بعد فوات الأوان. وهكذا، وعندما تمكن الوهابيون من تثبيت أقدامهم في الوشم والسدير، قرر عريعر شيخ بني خالد، وأمير الأحساء، القيام بالهجوم المضاد عليهم، إلا أن محاولته باءت بالفشل، ولم يتمكن من إعادة التوازن. وفي سنة (1764م)، ظهر على مسرح الأحداث خصم جديد، وغير متوقع، هو الحسن بن هبة اللّه المكرمي، أمير الإسماعيليين في نجران، الذي كان يرمي إلى السيطرة على شرق الجزيرة، متخذاً ذريعة تحرير الجماعات الإسماعيلية المتواجدة في كل من الأحساء والقطيف منذ عهد القرامطة، ولذلك غدا عريعر خصمه. إلا أنه في سياق تحقيق أهدافه، والذي كان يستدعي تحرير الطريق عبر العارض، وتأمين سلامتها، جعل من عريعر حليفاً طبيعياً له. وقد حقق المكرمي أول انتصاراته قبل حاير حيث ينعطف وادي حنيفة نحو الشرق. وعندما اضطرته الظروف الطارئة في بلدته، للانسحاب والعودة إليها، أعرب جميع أعداء الوهابيين عن تأييدهم له. أما عريعر فقد جاء متأخراً، وقام منفرداً بحصار الدرعية بضعة أسابيع. لكن عبارة "جاء متأخراً" كانت الصفة المشؤومة التي تنطبق على جميع العمليات التي قام بها.

وهكذا فقد قيض لهذه الدولة الفتية التقدم بصورة سريعة، بعد أن تم إنقاذها بطريقة تثير العجب، من التحديات التي أحدقت بها، وفي سنة (1769م) خضعت لها مدن وقرى القصيم، وخلال المدة الواقعة فيما بين (1774 ـ 1775م) دانت له آخر واحات السدير. ولكن وبما أن الامتثال كان بسبب الخوف لا بسبب القناعة،

فإن معظم المناطق انفصلت مرة أخرى فور شعورها بالأمل في تلقي مساعدة من الخارج.

تكررت نفس الصورة أيضاً في الجنوب، وغدا أمير الدلم، الذي قدم المكرمي مرة أخرى من نجران إلى ما قبل حاير (1776م) لنجدته زعيماً للمتمردين بعد فرار دحام بن دواس. وأخيراً، وفي سنة (1782م)، تم إخضاع الشمال، وفي عام 1785م الجنوب وحتى أفلاج بشكل نهائي.

إلى جانب هذا الاعتناق الجماهيري للمذهب الجديد، كانت هناك، بطبيعة الحال، اعتناقات حقيقية صادقة. فقد اعتنق المذهب الوهابي رجال كان لهم فضل كبير في نجاح الحركة. نذكر منهم: ربيع، أحد شيوخ الدواسر، الذي جعل منطقته تنضم بعد قتال دام خمس سنوات (1785م ـ 1790م) إلى المملكة الجديدة والمذهب الجديد، وهادي بن قرملة، الذي صمد طويلاً ووقف إلى جانب الوهابيين في أصعب الظروف قبل أن تتبعه قبيلته قحطان.

ولكن في أوساط الذين آمنوا بالقوة أيضاً بدأت بذرة المذهب الجديد تعطي ثمارها. ففي ثورة اندلعت في القصيم (1774م) أثبتت العائلة النبيلة عليّان من البريدة ولاءها. وفي ثورة أخرى (1782م) قضى رجل من العائلة نفسها، اسمه حجيلان، على المتمردين منفرداً، واستولى في سنة 1787م، على جبل شمّر، وقد كان للاستقلالية العسكرية للمقاطعات الحدودية، أهمية كبيرة، وبخاصة، عندما وجد الوهابيون أنفسهم، قد تورطوا في حرب تجاه الغرب والشرق.

التجأ أمير الأحساء، سعدون، إلى الدرعية سنة 1785م، بسبب خلافات عائلية في بيت عريعر، وقد امتنع الإمام عبد العزيز عن استقباله، لأن خصوم سعدون كانوا مدعومين من قبل شيخ المنتفق القوي، ثويني، الذي كان من رعايا الأمبراطورية العثمانية. ولكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي رأى إرادة الله في هذه الحادثة تمكن من إقناع عبد العزيز بأنه يجعل من العدو صديقاً، بغض النظر عما يمكن أن تؤول إليه النتائج. وهكذا، بدأت حرب صغيرة مع المنتفق،

وقد دارت تلك الحرب في القصيم وحدود الفرات، ومهد الانقسام فيما بين آل عريعر الطريق أمام الوهابيين للتقدم نحو الأحساء. وفي هذه الأثناء، أدرك أهل مكة أيضاً مدى الخطر القادم من نجد. وكانت قد جرت في مكة عام 1771م مباحثات دينية بعد مجابهات بين قوات الشريف والوهابيين وانتهت تلك المباحثات، إلى اعتراف علماء مكة بأن الأفكار الوهابية تتوافق مع التقاليد الحنبلية المعترف بها. إلا أنه، كان لتطبيق هذه المبادىء، أثره السلبي المباشر على مصالح أهل مكة، وقد تعرضت قبائل حرب، ومطير، وبني هاجر، وقحطان، لاعتداءات الوهابيين عليهم لأكثر من مرة، تلك القبائل، التي كان لمكة سلطة ضعيفة عليها وتعتبرها موالية لها. ولذلك انتهت الجولة الثانية من المباحثات الدينية بين الطرفين، والتي دعا إليها الشريف الأكبر غالب في عام 1790م، بوداع المندوبين الوهابيين وداعاً فظاً.

وفي العام نفسه أرسل الشريف غالب شقيقه على رأس جيش إلى نجد، مصحوباً ببني مطير وقحطان، فتحرك نحو القصيم ولكنه لم يصل إلا إلى قصر بسام في السرّ الذي دافعت عنه مجموعة صغيرة من الناس دفاعاً باسلاً. بينما اكتفى أمير الجيش الوهابي الأمير سعود بمشاغلة البدو المعادين له، وبالعمل على إنقاذ وادي الدواسر، الذي كان الشريف قد أرسل جزءاً من قواته إليه.

لم تثن تلك النتائج الشريف غالب عن مواقفه، فصمم على المشاركة في القتال شخصياً، فأعد جيشاً في العام التالي، وخرج على رأسه إلى ميدان القتال، حيث التقى وشقيقه قبل الشعرا، إلا أنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها، وعاد أدراجه إلى حيث انطلق، إلى الحجاز دون أن يعترض طريقه أحد. وبدلاً من أن ينتقم الوهابيون من الشريف انتقموا من البدو وتغلبوا على مطير وشمّر، عند العدوة، بعد مقاومة ضارية (أنظر الجزء الأول ص220)..

لم تتوقف الحروب في شبه الجزيرة العربية، ففي العام التالي اندلعت الحرب مجدداً، وفي سنة 1793م، دخل ولي العهد سعود الحسا، ولكنه ما أن غادرها حتى قامت انتفاضة محلية ضد المعلمين والموظفين الوهابيين.

وبصورة عامة فإن سكان المدن سواء كانوا من السنة أو البحارنة (الشيعة أو الإسماعيليون المقيمون هناك منذ القديم) لم يقبلوا بحكم البرابرة القادمين من نجد. ولم يتمكن سعود من إخماد نار الثورة، فأوكل مهمة لجم أبناء بلده إلى حاكم المنطقة برّاك، الذي اعتنق الوهابية. واستمر القتال في تلك المنطقة حتى أواسط سنة 1796م.

شن سعود سلسلة جديدة من الغارات في آذار 1795م، كانت وجهتها الحجاز، بدأها بالاعتداء على (ترابة)، فرد الشريف، بحملة جديدة نحو القصيم، النقطة المفصلية الهامة بين جبل شمر وبقية مناطق المملكة والتي كانت مهددة من الشرق أيضاً. في ذلك الوقت كان سعود قد عاد للتو من غزوة ضد العتيبة ولذلك اضطر إلى ترك مهمة الدفاع للبدو الذين تجمعوا على عجل. فقام هادي بن قرملة بالتصدي للقوات المكية، والتقى الطرفان عند الجمانية أسفل النير، وأوقع بهم الهزيمة (1796). وقد اندلعت أثناء ذلك اضطرابات في الشرق بسبب ظهور الحركة الوهابية على حدود الفرات، وبتكليف من الباب العالي، استمع سليمان باشا والي بغداد للمهاجرين من شرق الجزيرة العربية وأوكل لثويني مهمة قيادة حملة ضد الوهابيين. وضع ثويني نصب عينيه، الأحساء، كهدف أول لقواته، وتقدم في أوائل سنة 1797م على رأس حملة قوية إلى شرق الجزيرة، فقام براك بالانضمام إليه. على إثر ذلك أخلى الوهابيون المنطقة واكتفوا باحتلال الممرات المؤدية إلى نجد. ولكن في أثناء التحرك، أقدم عبد شبه مجنون على قتل ثويني، فتفرق جيشه وانسحب.

بعد عامين كرر الأتراك المحاولة وجهزوا حملة قادوها هذه المرة بأنفسهم. تمكنت القوات من الوصول إلى الأحساء، وبعد حصار طويل للقلعة دون جدوى اضطروا للانسحاب مع البدو المتحالفين معهم.

استمرت الحروب الصغيرة في هذه الأثناء على حدود الحجاز وحاول الشريف غالب مرة أخرى عقد محادثات دينية، جرت هذه المرة أيضاً بطريقة متمدنة، إلا أنها باءت بالفشل. ورغم النشاط الحيوي والفعال للقوات الشريفية،

إلا أن عدداً من القبائل الحدودية آثرت الانضمام للوهابيين، وكان منها عتيبة. واستمر البقوم وحدهم على ولائهم للشريف ومقاومتهم للوهابيين. وقد ذهب الشريف غالب بنفسه إلى ساحة الحرب ولكن بدون طائل. وعلى الرغم من ذلك قدم له الإمام عبد العزيز بعض التنازلات واعترف في صلح عام 1799م بأن حرب وعتيبة هما من رعايا مكة، وأن المنطقة الواقعة شمال عسير تتبع مكة أيضاً. وأصبحت حركة الحجاج من العراق حرة، إلا أن ذلك لم يكن ليحول دون تعرض قوافلهم عند العودة للاعتداءات المتتالية من قبل العشائر العراقية، الأمر الذي أوجد الذريعة، للوهابيين، لشن حرب انتقامية ضد العراقيين، وأخذ الثأر الذي كانوا ينتظرونه منذ أمد بعيد.

اجتاح الوهابيون، بقيادة سعود، المدينة الشيعية المقدسة، كربلاء، في نيسان 1801م، ونهبوا الكنوز الموجودة في ضريح الإمام الحسين، وقتلوا من صادفوه من السكان. أدت هذه الأعمال إلى حدوث موجة من الاستياء والغضب عمت سائر البلدان الإسلامية. وفي نهاية سنة 1803م، انتقم رجل شيعي من أبناء المدينة المنكوبة، والذي قتل أبناؤه في كربلاء، من اغتيال الإمام عبد العزيز، وقد خلفه ابنه سعود، الذي كان في أواخر الخمسين من العمر، إنما بكامل قوته ورجولته رغم حمله عبء الغزوات والحروب أكثر من ثلاثين عاماً. وتم تحقيق أكبر اتساع لرقعة الدولة الوهابية في عهده، وسنة بعد سنة عكرت قواته صفو المنطقة الواقعة بين كربلاء والبصرة، ووصلت في بعض الأحيان إلى ما وراء الفرات، ووصلت في عام 1806م إلى منطقة حلب. وفي سنة (1808م) وصلت القوات الوهابية إلى ما بعد الجوف ووادي سرحان القريبين من دمشق، ونهبت غوطتها.

وجه الباب العالي من برجه العاجي في اسطنبول عدة أوامر لشن حملات عسكرية ضد الوهابيين ولكن عبثاً، لأن باشاوات بغداد ودمشق كانوا سعداء لو استطاعوا توفير بعض الحماية لأراضيهم، ولذلك اكتفوا بالمظاهرات ومنذ سقوط مكة (306دم) أصبح الساحل الغربي حتى الحديدة خاضعاً للوهابيين. واعترفت

عُمان، التي كانت تحتل منذ عام 1801م واحة البريمة، بسلطتهم. وتحول القواسم في رأس الخيمة والعتوب في خور حسن (قطر) والبحرين، الذين كانوا يمارسون منذ زمن طويل التجارة مع الهند، إلى قراصنة بحار، وصاروا يدفعون خمس الغنائم للدرعية (للوهابيين).

إلا أن حملات محمد علي باشا من مصر وضعت حداً لمسلسل الانتصارات الوهابية، وأصبح سعود كبير السن، ولم يعد بمقدوره قيادة المقاومة بشكل فعال، وباتت الاتصالات صعبة، الأمر الذي تعذر معه صد الغزو. وعند وفاته في أيار 1814م، كانت الحجاز قد أصبحت بحكم المفقودة، وخلفه ابنه عبد الله، الذي لم يكن على مستوى الأحداث، وبدلاً من سحق طوسون[1]، الذي انقطعت صلاته مع المدينة، في القصيم، قام بعقد محادثات معه، وتركه وفقاً لاتفاق الصلح الذي عقد بينهما، والذي كانت شروطه غير محتملة للطرفين، أن يعود للمدينة.

اختلفت الحملة المصرية الجديدة، التي شنها والي مصر محمد علي باشا في خريف 1816م، ضد نجد، والتي أوكل مهمة قيادة القوات فيها لولده إبراهيم باشا، عما سبقها من حملات؛ فقد كانت حسنة التنظيم، ونفذت على مراحل، مستفيداً من الخبرات التي اكتسبها من فن الحرب الأوروبي، وتم إدخال نظام المشافي الميدانية وإن كان بشكل متخلف، وعمل محمد علي باشا كل ما يمكنه لتذليل الصعوبات، وتسهيل مهمة ابنه، لذا، اهتم باستمرار بدعمه سواء بالقوات أم بالوسائط المادية. وكان إبراهيم تلميذاً نجيباً، فهم وبمهارة كوالده، كيف يتعامل مع البدو، ومع هذا، لم يكن في مستوى خصمه من حيث الخبرة الحربية، ولكنه تفوق عليه بالصلابة ونظرة القائد العسكري.

أقام إبراهيم معسكره عند ينبوع النخل، في حين أرسل طلائعه إلى الحناكية،

(1) انظر الجزء الثاني، ص 446، ص 533، 534.

وبعد أن اكتسب الاحترام جراء حملته المظفرة ضد بدو جهينة، بدأت تأتيه عندئذٍ إمدادات الجمال والزاد بحيث تمكن جيشه من التقدم نحو الحناكية. وهنا انضم إليه غانم بن مضيان، شيخ حرب الشمالية (انظر الجزء الثاني ص540) .

قام إبراهيم خلال الشهور التالية، بثلاث حملات نحو نجد، وصل في إحداها إلى الأبانين وسحق رحاله، التي كانت لا تزال موالية للوهابيين. لهذا فقد رفضت بعض القبائل تنفيذ أوامر عبدالله، والتي تقضي بالتراجع نحو القصيم، والتحقت بإبراهيم باشا. تقدم عبد اللّه نحو (العلم)، بينما انسحب بدو إبراهيم باشا إلى الحناكية. ولتوفير الحماية لحلفائه، قام إبراهيم باشا باحتلال موقع مياه الماوية حيث نشبت المعركة الميدانية الوحيدة، في تلك الحرب، وتمكن الأتراك من رد هجوم عبد اللّه، حيث فر البدو من أنصاره، أمام نيران المدافع. (في الثاني من أيار). بعد ذلك زحف عبد اللّه نحو مستسه في سرة نجد، وذلك للحيلولة دون وصول المطير لمعسكر الأعداء. وفي أوائل تموز تحرك إبراهيم من الماوية إلى القصيم حيث انضم إليه في الطريق فيصل بن دويش مع قبيلته مطير. وأمام الرس توقف زحف إبراهيم بعد فشل هجوم كلف كثيراً من الضحايا. ولم تسقط الرس إلا بعد حصار دام أربعة أشهر (تشرين الأول/ أكتوبر). اهتم كل من غانم بن مضيان، وفيصل الدويش بالمحافظة على الاتصال مع المدينة، واستسلمت باقي المدن الأخرى في القصيم بعد قتال قصير. وعن طريق مذنب والسر وَصل إبراهيم إلى وشم، وتوجهت عتيبة وبني خالد، نحو حرب والمطير، بمهمة الاستطلاع وحماية خطوط المواصلات الخلفية. واستسلم حصن شقرا، وهو الحصن الوحيد في المنطقة، بعد حصار دام أسبوعاً واحداً، وإثر نيران المدافع التي كان يقودها الملازم الفرنسي فيسير. وبعد أن توقف أمام ضرمة (ضرمى) لمدة قصيرة، قام بمهاجمة الواحة وبقتل جميع من فيها من الرجال، في حين استباح الجنود وبوحشية النساء والأطفال. ثم وصل وادي حنيفة، عبر ممر الحيسية وفي السادس من نيسان وصل إبراهيم إلى أبواب الدرعية. كان عبد اللّه قد حوّل منذ عدة أشهر الواحة الواسعة إلى قلعة، الأمر الذي جعل إمكانية تطويقها متعذراً، فاستمر الحصار لأشهر عدة، كان يتخللها بين الحين والآخر، شن هجمات محددة، وبعد أن

تحولت القلعة إلى أنقاض، اضطر عبد اللّه للاستسلام في التاسع من أيلول. وواجه عدوه المنتصر رافع الرأس عالي المهابة. فنقل إلى القسطنطينية عن طريق القاهرة، وفي السابع عشر من كانون الأول (1818م)، قطع رأسه أمام مسجد أيا صوفيا.

تبع ذلك عصر قاتم، وفي أنقاض مدينة الدرعية، التي تم تدميرها بناء على أوامر محمد علي باشا، استقر في بادىء الأمر، أحد أبناء معمر، الذي يعود بنسبه إلى عائلة أمراء العيينة السابقة. وفي آذار (1820م)، نجح مشاري، شقيق عبد اللّه بن سعود، بعد هربه من مصر، في إبعاد حاكم الدرعية، لكن الأخير تمكن من استعادة الواحة بمساعدة بني مطير، واعترف به المصريون الذين كانوا قد احتلوا القصيم مجدداً. لكن وبنهاية العام نفسه، هب تركي بن عبد اللّه آل سعود[1]، الذي كان قد فر من الدرعية في الوقت المناسب، ضد المغتصب وأمر بإعدامه. بعد هذا التمرد اشتد ضغط المصريون الأتراك وغضبهم. فقد كان على نجد أن تسدد كامل الحساب، الناجم عن الغزو الأجنبي. وفي سنة (1822م)، نجح تركي في استعادة العاصمة الجديدة، الرياض، التي سبق واضطر مرغماً لمغادرتها، ثم ما لبثت، أن بدأت حرب جديدة، اعتمد فيها المصريون ـ الأتراك على المطير، بينما وقفت العمارات (عنزة) إلى جانب تركي، وأخيراً، وافق تركي على دفع الضريبة لمحمد علي، واستغل السلام الحاصل بينهما، للاستيلاء على الأحساء. حيث كانت قد تمت خلال حملة إبراهيم باشا، بناء على تحريض من باشا بغداد، إعادة العائلة الحاكمة السابقة من بني خالد، ولم يستمر الهدوء طويلاً، إذ بعد مدة قصيرة عادت الاشتباكات مجدداً مع المصريين، ووجد هؤلاء أداتهم في أحد الأقارب البعيدين من تركي وهو مشاري بن عبد الرحمن[2]، الذي سبق له أن قام بثورة ضد تركي في سنة 1831 ـ 1832م، بمساعدة القحطانيين. وأثناء توقف جيش تركي في القطيف، والذي كان يقوده ابنه فيصل، وذلك للتصدي لهجوم شيخ البحرين، تم اغتيال تركي من قبل المشاري، فاضطر فيصل للعودة بسرعة، وتقدم صديقه شيخ شمّر،

---

(1) أحد أبناء عمومة سعود.

(2) ابن مشاري بن حسن بن مشاري بن سعود.

عبد اللّه بن الرشيد، مع مجموعة من المقاتلين إلى القلعة، التي تحصن بها القاتل، وقتله سنة (1834م). وفي سنة (1837م) جاء المصريون بأحد المطالبين بالعرش، إلى نجد، وهو خالد، أحد أشقاء عبد اللّه، ودخل الرياض سنة (1838م)، فعاد فيصل إلى الدليمية. لكن الحاكم المصري، خورشيد باشا، أجبره على الاستسلام واقتيد إلى القاهرة. مدّ خورشيد باشا نفوذه نحو شرق الجزيرة، لكنه اصطدم بمعارضة بريطانية، بعد أن أبدى رغبته في احتلال البحرين وتثبيت قدمه في البريمي، تلك التي كانت تسعى لتعزيز وجودها في الخليج منذ سنة (1820م). وفي صيف (1840م) أرغمت القوات المصرية على الانسحاب، جراء تدخل الدول العظمى ضد محمد علي باشا. وكان خالد مصرياً أكثر منه وهابياً، فاضطر في نهاية سنة (1841م) إلى التنحي أمام مُطالِب[1] جديد بالزعامة. لكن هذا أيضاً لم يجد أي قبول لدى الناس. وعندما عاد فيصل سنة (1842م) إلى نجد، بعد الإفراج عنه في مصر، استقبل بحفاوة بالغة من قبل أوساط واسعة من أبناء الشعب، وتمكن بعد قتال قصير من دخول الرياض في أوائل سنة (1843م).

في ذلك الوقت انتهت مؤقتاً التغييرات الكبيرة، التي عرفتها خارطة القبائل منذ بداية الدولة الوهابية. ولقد تم الحديث عن هجرة شمّر جربا وعنزة، في الجزء الأول ص128، 220، والضفير تم التعرض إليها آنفاً. وجاءت حرب إلى وادي الرمة الذي أخلته عنزة، وجاء المطير إلى المنطقة الواقعة إلى الجنوب منهم، بينما كانت عتيبة تحتل رقعة أكثر اتساعاً وانتشاراً، فقد وصلت من حرّات عبر سرة نجد إلى القصيم، ومن الطائف على امتداد طريق الحج، إلى نفوذ دلجان، ونزولاً إلى السدير. وهكذا، تم فصل المطير إلى قسمين، الغربي ويقع بين السويرجية «السويرقية» وسراة نجد، بينما يقع الشرقي بين السدير والكويت. وانتشرت قحطان جنوب طريق الحج وصولاً إلى زاوية الطويق. وإثر حملات سيد نجران، فقد وصلت قبيلة عجمان المقاتلة إلى نجد. ثم نقلت بعد ذلك على يد تركي آل سعود سنة 1850م، إلى شرق الجزيرة، لكي توقف بني خالد الذين أصبحوا منذ ذلك

(1) هو عبد الله بن طنيان بن إبراهيم بن طنيان.

الوقت شبه مستقرين. واستقر بني هاجر في شرق الجزيرة أيضاً، وهم يتنقلون منذ ذلك الوقت جنوب عجمان.

أعاد فيصل بناء دولة آل سعود. بقدر ما سمحت به الظروف، فحكم في داخل وشرق الجزيرة، دون منازع. وفي عام 1845م أعاد احتلال واحة البريمي، قاعدة الوهابيين القديمة، في المناطق الخلفية من عُمان، وأجبرت جراء ذلك كل من صحار ومسقط على دفع الضرائب. وتم إعادة الاتصال مع عسير. وفي الغرب قدمت له إمارة مكة، التي استعادت قوتها بعد انسحاب القوات المصرية من الجزيرة، الدعم. وفي الشمال أصبح حكام جبل شمّر يدفعون له ضريبة صغيرة. وأصبحت القصيم، المنطقة الوحيدة في وسط الجزيرة التي ترك الاحتلال المصري فيها ذكريات سارة، تتمتع بقدر معين من الاستقلالية، منذ ظهور الشريف محمد بن عون مع جيشه هناك سنة (1846م)[1]. وكذلك قبيلتا مطير وعتيبة، اللتان اضطر فيصل للاعتراف بتابعتهما لمكة، أبدتا عدم خضوعهما طالما أقامتا في نجد. لكن هذا البناء، الذي شيده فيصل بصعوبة، لم يصمد طويلاً، إذ سرعان ما انهارت دعائمه بعد وفاته سنة (1865م).

لم يكن الابن الأصغر لسعود، يرغب في الخضوع لأخيه عبد الله المعتز بنفسه والسريع الغضب، والذي كان يقود الجيش منذ عدة سنوات، ويمثل والده الضرير. وهكذا نشبت حرب بين الأخوين، فاحتل سعود، بمساعدة العجمان، منطقة شرق الجزيرة، ودخل الرياض في سنة (1871م). عندئذ، طلب عبد الله العون والدعم من الأتراك، عبر مدحت باشا والي بغداد، فجاءوا وظلوا في شرق الجزيرة. وفي عام 1874م توفي سعود نتيجة إصابته بجرح أثناء قتاله ضد عتيبة. وبعد تجاوز بعض الصعوبات تم الاعتراف مجدداً، بعبد الله كحاكم، إلا أن وضعه كان صعباً. فقد انسحب أولاد سعود إلى الخرج غاضبين، وأصبح محمد، أمير جبل شمّر، وهو

---

(1) في عام 1855م أجبر فيصل على الاعتراف باستقلال العنيزة والبريدة. لكن زامل آل سالم فقط حافظ فترة من الزمن على هذا الاستقلال. أما آل أبا الخيل في البريدة فقد وقفوا إلى جانب فيصل خوفاً من عودة خصومهم آل عليّان.

ابن عبد الله بن رشيد الذي كان قد ساعد أباه في الماضي على تولي العرش، شبه مستقل نتيجة حرب الأخوة داخل أسرة سعود. وعندما حاول عبد الله، في تقدير خاطىء لوضعه، مساعدة آل عليان، أسرة أمراء البريدة التي عزلها أبوه، على استعادة الحكم، وقف محمد بن رشيد إلى جانب أسرة أبا الخيل الحاكمة وطرد عبد الله بمساعدتها من القصيم والسدير والوشم. على إثر ذلك قام أبناء سعود المتمردون بعزل عبد الله وسجنه. فتوجه محمد بن رشيد على الفور إلى الرياض بحجة أنه يريد تحرير الأمير السجين، وأرسل عبد الله مع عدد من أمراء الأسرة الآخرين إلى عاصمته حايل «حائل» وعين واحداً من رجاله حاكماً في الرياض (1885م). وفي الأعوام التالية قتل أبناء سعود الثلاثة ونقلت عائلاتهم إلى حايل «حائل» أيضاً.

وقد سمح لعبد الله بالعودة مرة أخرى إلى الرياض ولكنه توفي بعد ذلك بوقت قصير (1889م). قام ابن الرشيد بتعيين أخيه عبد الرحمن حاكماً على عارض. وفي عام 1891م فشلت آخر محاولة قامت بها مدن القصيم للثورة ضد ابن الرشيد (معركة مليدة). فهرب عبد الرحمن مع عائلته ووجد، بعد رحلة طويلة قادته إلى أماكن مختلفة، ملجأ في الكويت. وهنا في الكويت أعلن الشيخ مبارك نفسه حاكماً عام 1896 بعد قيامه بقتل أخويه. وكان مبارك رجلاً واضح الرؤية ولكنه شديد الميل إلى حبك الحيل والمؤامرات، وقد أصبح له خلال العشرين عاماً التالية تأثير غير عادي على السياسة العربية. وفي عام 1899م وضع نفسه تحت الحماية البريطانية محافظاً في نفس الوقت على علاقاته مع الأمبراطورية العثمانية، وذلك، لوجود أملاكه في شط العرب الذي يقع تحت السيطرة العثمانية. ونظراً لدخوله منذ عام 1900م في حرب مع عبد العزيز، خليفة محمد بن رشيد، فقد احتفى بعبد الرحمن الهارب من ابن رشيد وقام بتدريب ابنه الأكبر عبد العزيز على شؤون السياسة.

في خريف عام 1901م توجه الأمير الشاب عبد العزيز نحو الجنوب بعد أن جهزه مبارك بما يحتاجه من العدد. وفي يناير/ كانون الثاني 1902م شن مع

عدد قليل من الرجال غارة على الرياض واستولى عليها. ولم يتمكن عبد العزيز بن رشيد من طرده منها بل اضطر بعد عامين من القتال إلى إخلاء الجزء الجنوبي من نجد. وعندما اقترب آل سعود من القصيم طلب ابن رشيد النجدة من الأتراك.

في يونيو/ حزيران 1904م وصلت بعض الكتائب العثمانية إلى القصيم واشتركت عدة أشهر في القتال. وعند تبين أن الهدف الحقيقي للأتراك هو الاستيلاء على القصيم، فقد ابن الرشيد اهتمامه بحلفائه. حاول الأتراك تحقيق هدفهم بعدة طرق، تارة عبر المفاوضات مع آل سعود وتارة عبر حيل ومؤامرات شارك فيها؛ إلى جانب زعيم البريدة وشيخ المطير فيصل بن دويش، الشيخ مبارك أيضاً لأن تلميذه عبد العزيز آل سعود حقق تقدماً أكبر من اللازم. وبعد مقتل عبد العزيز بن رشيد في ربيع عام 1906م توقفت الحرب. وفي نهاية العام نجح عبد العزيز آل سعود في طرد الأتراك من الجزيرة العربية. وفي عام 1907م بلغت عائلة رشيد، نتيجة سلسلة من الاغتيالات بين الحكام، درجة من الضعف اضطرت معها إلى الدخول في ربيع عام 1908م في صلح مذلّ اقتصرت منطقتها بموجبه على جبل شمر فقط. وأصبح كل من حرب والهتيم، وولد سليمان والمطير في الغرب يدفعون الضرائب لآل سعود. وعندما تولى حمود آل سبحان، وهو خادم مخلص لآل شمر، الحكم في حايل «حائل» في خريف عام 1908م، بدأ الوضع يسير نحو تحول تدريجي.

حاول حمود التفاوض مع عبد العزيز لتعديل اتفاقية عام 1908م، لكن عبد العزيز رفض الطلب بفظاظة، إلا أنه تجاوب معه عندما أرسل له حمود وسيطاً ثانياً.

ولكن الخصم كان عنيداً جداً مما جعل الحرب تندلع من جديد. غير أنها اقتصرت على غارات السلب والنهب إلى أن أجبر هطول المطر الخريفي كلا الطرفين على العودة إلى بيوتهم. في العام التالي فكر عبد العزيز آل سعود في التحالف مع العنزة، العدو اللدود لشمر، على درب زبيدة ضد ابن رشيد. إلا أنه

كان عليه أن يقوم أولاً بإخضاع الهزازنة في الحريق (فرع) الذين كانوا هائجين نتيجة عداوات عائلية. وعندما عاد إلى الرياض علم بأن "العرايف"، أحفاد مغتصب العرش سعود بن فيصل، قد غادروا العاصمة غاضبين وتوجهوا إلى أخوالهم العجمان في الجزء التركي من شرقي الجزيرة العربية. عندئذ عرض الشيخ مبارك على عبد العزيز آل سعود مصالحته مع أقربائه إذا ما جاء إلى الكويت. أما السبب الحقيقي للدعوة، وهو الطلب من عبد العزيز مساعدته ضد المنتفق، فقد أخفاه مبارك في بادىء الأمر. لبى عبد العزيز الدعوة آملاً في أن يتمكن رغم ذلك من لقاء عنزة في الموعد المحدد. ولكنه تأخر عن الموعد وفي منتصف فبراير / شباط سيطر ابن رشيد على الرولة والعمارات (نظر الجزء الأول ص176) على الرغم من ذلك لبى عبد العزيز طلب مبارك، الذي ذكّره بفضله على أبيه وأنه هو الذي آواه في وقت الضيق، وهو المشاركة في حملة ضد المنتفق. لكن هذه الحملة باءت، كما كان يتوقع عبد العزيز، بفشل ذريع.

وبسبب نفاد المؤن والوسائل ـ حيث لم يسقط المطر في نجد في شتاء ذلك العام ـ لم يبق أمام عبد العزيز مفر من توقيع صلح مع ابن رشيد. وعلى إثر ذلك تخلت عنه حرب، وهتيم، وولد سليمان، ومطير الغربيين، وعادوا إلى حايل «حائل». كما أن المصالحة مع العرايف لم تتحقق، بل إن هؤلاء راحوا يستعدون للثورة وما إن بدأ عبد العزيز باتخاذ الإجراءات المضادة اللازمة حتى تلقى صفعة جديدة. فقد دخل الشريف حسين بموافقة الأتراك إلى نجد ووقع سعد، الأخ المدلل لدى عبد العزيز، أسيراً في يده. ولذلك اضطر عبد العزيز مرة أخرى إلى القبول بسلام مهين يقضي باعترافه بتابعية العتيبة لمكة وبخضوع القصيم لسيادة الأمبراطورية العثمانية، وبالتزامه بدفع ضريبة عن هذه المنطقة قدرها 6000 مجيدي. وبالطبع لم يدفع هذا المبلغ ولم يكن قادراً على دفعه، الأمر الذي كان يعرفه حق المعرفة الشريف حسين الذي كانت غايته نيل إعجاب الأتراك بما يحققه من نجاحات. وأخيراً تمكن عبد العزيز من الإلتفات إلى العرايف الذين كانوا في هذه الأثناء قد وجدوا ملجأ لدى الهزازنة في الحريق. فهجم على الحريق ولكن العرايف فروا إلى أفلاج. وقبل وصول عبد العزيز إلى هناك كان حاكم المدينة التابع

له قد أنهاهم. فقد اعتقل رب العائلة[1] وهرب أحدهم إلى شرقي الجزيرة العربية والآخرون إلى مكة.

أدت خيبات الأمل المخيفة التي مني بها عبد العزيز في السنة الماضية إلى جعله يفكر ملياً بالسبب الذي أدى إلى فشل خطته الرامية إلى إعادة بناء المملكة. ولم تكن معرفة السبب عسيرة. ذلك أن المملكة الوهابية القديمة عاشت على الحماس الديني: ومنذ انطفاء هذا الحماس أصبحت إمارة آل سعود مثل بقية الإمارات تتلاعب بها الظروف. ولذلك كان لا بد من إيقاظ الحماس الديني مرة أخرى. ولكن كيف وعند من؟ عند الفلاحين وسكان المدن الذين استنزفتهم الحروب المتواصلة؟ أم عند البدو؟ البدو كانوا غير مستنزفين وكانت لديهم غريزة الحرب والميل الغريزي إلى الفوضى المرتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة البداوة العربية لذا كان لا بد من انتزاعهم من قبائلهم وتوطينهم ثم دمجهم في مجتمع جديد لا تسود فيه شريعة الصحراء، أي قانون الحماية والثأر، وإنما شريعة الإسلام.

في عام 1911م بدأ الدعاة والمعلمون الدعوة إلى هذه الأفكار. وفي عام 1912م أسست في منطقة المطير أول مستوطنة للبدو، مستوطنة الأرطاوية على الطريق من الكويت إلى زلفي. ثم تبعتها مستوطنة غطغط في زاوية الطريق وقد تبرعت ببنائها العتيبة. وكما ذهب المهاجرون في فجر الإسلام إلى المدينة والمدن العسكرية الجديدة فقد هاجر الأخوان، أخوان المجتمع الجديد، إلى هذه المستوطنات التي أطلق عليها لهذا السبب اسم الهجر. وكان أكثر ما يجذب البدو إلى هذه المراكز السلاح الذي كان يعطى لكل شخص. ولذلك ما لبثت أن نشأت خلال وقت قريب مستوطنات كثيرة أخرى: بلغ عددها في نهاية العشرينيات نحو 75 هجر (أي مستوطنة)، وبلغ عدد سكان الأرطاوية عدة آلاف نسمة. إلا أن المحاولات التي أجريت لجمع عدة قبائل في هجر واحد، كما في الأرطاوية،

(1) سعود بن عبد العزيز بن سعود. انتزع سلاحه بسبب كرم ابن عمه وبعد نظره ثم أصبح من أخلص أتباعه.

باءت بالفشل وتم التخلي عنها وكان توزع الهجرات يتطابق مع مناطق تنقل القبائل. ومن البديهي أن سكان المستوطنات الجديدة لم يكونوا يمارسون الزراعة وتربية النخيل فقط. بل كان رعاة مستوطنات الأخوان يتنقلون في البوادي بحثاً عن المراعي كما كان يفعل رعاة الواحات القديمة.

مضت سنتا 1911م و1912م بهدوء. فلم يترك عبد العزيز آل سعود الشيخ مبارك يورطه في حرب جديدة ضد المنتفق، ولم يرد على استفزازات الشريف حسين الذي كان يدعم العرايف ضده. ولكنه كان عليه أن يضرب إذا ما أراد إعادة الاعتبار لهيبته المتضعضعة. ولقد ضرب فعلاً في مكان لم يكن يتوقعه أحد: في الحسا التركية. كانت علاقاته مع الأمبراطورية العثمانية منذ عام 1906م غير سيئة: فقد منحه السلطان عبد الحميد لقب باشا، واستمرت الحكومة التركية الجديدة في دفع المعونة الصغيرة لوالده والتي كانت قد خصصتها له عام 1891م. ولكن منذ عام 1911م كان عبد العزيز منزعجاً من تقديم متصرف الأحساء الحماية لعجمان الذين صاروا بقيادة أحد أقربائه يهددون أمن البلاد. إلا أن الشيء الحاسم كان العجز الدائم في خزينته الأمر الذي أراد وضع حد له بالاستيلاء على أغنى واحة في شمال الجزيرة العربية. ولذلك قام في أبريل/ نيسان 1913م باحتلال مفاجىء لقلعة الهفوف وأرغم الأتراك، الذين أخذوا على حين غرة، على الانسحاب إلى الساحل. ومن هناك نقلوا مع حاميتي قطيف والعجير «العقير» بالسفينة إلى البحرين. ولم تتمكن الأمبراطورية العثمانية من الرد بسبب انشغالها في حرب البلقان. بل إن الحكومة أرسلت إلى عبد العزيز في ربيع 1914م لجنة مهمتها إبلاغه بتنصيبه والياً على نجد ووعده بتزويده بالمال والسلاح. لم يرفض عبد العزيز هذه البادرة الطيبة لكنه بدأ بعد ذلك بوقت قصير بالتفاوض مع المندوب السياسي في الكويت، النقيب ف. إتش. جي. شكسبير، حول عقد حلف مع بريطانيا.

عندما بدأت الحرب العالمية الأولى حاول الباب العالي، حرصاً على نجاح هجومه المرتقب على مصر، تحقيق السلام فيما بين الأطراف المختلفة في شبه

الجزيرة العربية. ولكن هذه المحاولة جاءت متأخرة. فقد كان ابن رشيد الذي زوده الأتراك بالسلاح متلهفاً للهجوم على آل سعود، وكان شكسبير، الذي أرسله السير برسي كوكس المستشار السياسي لقوات الرافدين «العراق»، إلى الرياض ومنحه كامل الصلاحيات، يلح على عبد العزيز آل سعود كي يبدأ الهجوم. وهكذا اصطدم الجيشان عند جراب (أجراب) في الكثبان الرملية شمالي زلفي. وكان النصر حليف شمر وسقط شكسبير إلى جانب المدفع الوحيد الذي أرسله عبد العزيز إلى ساحة المعركة، وانشق العجمان عن عبد العزيز (نهاية يناير/ كانون الثاني 1915م). وعلى إثر ذلك عقد صلح رخيص على أساس المحافظة على الوضع القائم.

صحيح أن عبد العزيز قبل في نهاية عام 1915م بحماية إنجليزية مستورة، ولكنه لم يلبّ طلب الإنجليز بالهجوم على ابن رشيد. ولم يبدأ بعملياته العسكرية إلا في سبتمبر/ أيلول 1918م حيث هاجم مملكة شمر التي كانت قد ضعفت بسبب انفصال بعض المشايخ، إلا أنه تحاشى الدخول في معارك طويلة لأنه لم يكن يريد التضحية بجيشه بسبب الوضع المتأزم على حدود الحجاز (انظر الجزء الثاني ص612) ظل منتظراً إلى أن أجبره ترشيح فيصل لعرش العراق على الهجوم في صيف عام 1921م، وذلك خوفاً من أن يؤدي تولي فيصل عرش العراق إلى تقوية ابن رشيد. وفي الثاني من نوفمبر/ تشرين الثاني سقطت حايل «حائل».

وهكذا تهدم السد الذين كان يحول دون عبور الوهابيين الجدد نحو بلدان الشمال الموعودة. وتدفق الأخوان إلى منطقتي الانتداب البريطاني في العراق وشرقي الأردن. وفي عام 1925م ساد الهدوء على الحدود العراقية. ولكن في صيف 1927م وقعت هناك اشتباكات جديدة؛ وفي الخريف والشتاء قاد فيصل بن دويش، الذي كان في هذه الأثناء قد أصبح أمير الأرطاوية، الأخوان ثلاث مرات عبر الحدود وضد إرادة الملك[1]. فردت القوات الملكية البريطانية على ذلك

(1) منذ فبراير/ شباط 1927م أصبح عبد العزيز آل سعود يحمل لقب: ملك الحجاز ونجد والمناطق التابعة لها.

بقصف جوي. وتمكن الملك، الذي لم يكن يريد بأي حال الانجرار إلى حرب إلا بعد ضبط الأخوان بالإشارة إلى المفاوضات المرتقبة مع بريطانيا. لكن المفاوضات فشلت في بادىء الأمر. عندئذ لم يعد هناك ما يوقف الرجلين الشرسين فيصل بن دويش وسلطان بن بجاد بن حميد، أمير غطغط. فأعلنا عصيانهما على الملك، لكنهما هزما في أبريل/ نيسان 1929م عند سبله (قرب الأرطاوية). إلا أنَّ الثورة اندلعت مجدداً في الصيف، وهذه المرة عند عجمان في حصا الذين لم يخضعوا أبداً خضوعاً كاملاً. كما أن المطير والعتيبة تحركوا من جديد. وبعد حرب صغيرة طويلة قضي على آخر المتمردين في نهاية العام على حدود البلدان الثلاثة.

منذ ذلك الحين نشأت جزيرة عربية جديدة دخلت إليها التكنولوجيا. فقد أخرج النفط في الكويت والظهران وقطر الذي بدأ استخراجه في العقد الماضي، وإعادة استثمار منجم الذهب القديم، معادن بني سليم، رغم الصعوبات التقنية الكبيرة، وشبكات الري في خرج وأفلاج، أخرجت البلاد من تخلفها الاقتصادي. وانحسر النفوذ الإنجليزي أمام النفوذ الأمريكي[1].

على الرغم من هذه التغيرات ستبقى نجد بلد الرعاة المتنقلين؛ لأنه صحراءه الرملية والصخرية لا يمكن استغلالها إلا بهذه الطريقة. إلا أن أيام البدو، أي القبائل الرُحّل، صارت معدودة. لكن عادات البدو وتقاليدهم ستبقى زمناً طويلاً تتوارثها أجيال السكان المستقرين، كما بقيت حية لدى المستوطنين القدامى.

يدور تاريخ البدو في داخل الجزيرة العربية حول موضوعين اثنين فقط هما: هجرة القبائل وترحالها. وقد كانت الحاجة هي التي جعلت هذه الحركة تبقى مستمرة دون توقف: فعندما تضيق المراعي أو الواحات يطرد القوي الضعيف، وغالباً أحد فروع القبيلة فرعاً آخر. وهدف الهجرة هو "الهلال الخصيب"، بلاد

(1) وصف هذه المرحلة الحديثة من تاريخ الجزيرة العربية ك. س. تويتشل، في كتابه: العربية السعودية، برينستون 1947.

الميعاد في الشمال. أما أصلها فيحتاج إلى البحث. ويجري تسريعها بسبب الرغبة في توسيع الكيانات الدينية والسياسية. وقد حوّل الإسلام التدفق البطيء للقبائل إلى تيار جارف من الهجرة الجماعية. وساهم في ذلك أيضاً، إنما بقدر أقل، مملكة كندة والحركة القرمطية والحركة الوهابية.

عند مقارنة خريطة القبائل في عام 600م مع خريطتها في عام 1900م يبدو لنا للوهلة الأولى تكرر اسمين اثنين فقط هما: تميم وعنزة. وكلاهما من القبائل المستقرة (عنزة الرُحّل ليسوا موضوع بحثنا هنا)، تميم منتشرة إلى خارج منطقة إقامتها القديمة، والعنزة في واحتين فقط هما: حريق وهدار. وعند تدقيق النظر نعثر على اسمين آخرين هما: شمر وربيعة؛ إذ تحت اسم شمر تنطوي أيضاً طي التي بقيت في جبال موطنها الأصلي، بينما ربيعة هي استمرار لتعبير نسب قديم يشمل بقايا بكر المستقرين وأقرباءهم أما جميع الأسماء الأخرين فهي جديدة. ومن المفهوم أن القبائل التي تحمل هذه الأسماء قد استقبلت بقايا قبائل أقدم، ولكن فيما عدا ذلك فإن القبائل الأحدث هي من المهاجرين أو إن الدافع إلى تشكيلها قد جاء من الغرباء. فمن أين جاءت القبائل الجديدة؟ ضفير، وحرب، ومطير، وعتيبة، من الحجاز، قحطان، وبني هاجر، ومرّة، وعجمان، والدواسر، من المناطق الممتدة على السفوح الشرقية للسراة، أي من عسير ونجران والجوف الجنوبي كما أن حرب أيضاً يعود أصلهم إلى السراة، ومن القبائل العربية القديمة التي يرد ذكرها في هذا الفصل ينحدر من هناك كل من طي وإياد.

وهذا يعني، كما يبدو، أن هذه المنطقة الجبلية يتشكل فيها منذ قديم الزمان فائض سكاني يجبر بين حين وآخر جزءاً من السكان على الهجرة ويتجه طريق الهجرة الرئيسي من هناك إلى الشمال الشرقي بمحاذاة الطويق الجنوبي. وقد رحل الدواسر أنفسهم عبر واديهم إلى المنطقة المرتفعة، ورحل مرّة على هذا الجانب من السلسلة الجبلية إلى الربع الخالي، ورحل قحطان على الجانب الآخر إلى قوس الطويق. ووصلت أجزاء من هذه القبائل إلى شرقي الجزيرة العربية حيث حل أيضاً

بني هاجر والعجمان. ويندر أن سلك أحد الطريق إلى الشمال الغربي، وقد كان هناك ظرف خاص، انسحاب خزاعة، هو الذي جعل حرب تذهب إلى جبال الحجاز الجرداء الواقعة بين مكة والمدينة. فالشمال الشرقي يبقى في الحجاز أيضاً الاتجاه الرئيسي للمهاجرين. فقد خرج من رنية وخرمة قبيلتا السبيع والسهول إلى العارض والجزء الشمالي من الطريق، وخرج من الطائف العتيبة حتى القصيم، ومن الحرّات المطير الذين وصلوا إلى ما قبل الكويت. واتبع حرب مسار وادي الرمة حتى الرمل. أما إلى الشمال من المدينة فلا يوجد اتجاه موحد للهجرة. هنا كانت تتقاطع طرق تتجه من جبل شمر نحو الغرب مع طرق تتجه نحو الشرق، حسبما رأينا في الجزء الثاني ص475، 476. وهنا ينفتح أيضاً أحد المعبرين المؤديين من الجزيرة العربية إلى "هلال الخصيب" البلدان المجاورة. أما المعبر الثاني فينفتح شرقي جبل شمر. في هذا المعبر تصب جميع طرق الهجرة المؤدية إلى الشمال الشرقي. وقد سلكت هذا الطريق كل من تنوخ وإياد، وبكر وتغلب، وخفاجة والمنتفق، وبنو لام والغازية، وشمر والعمارات، متجهة إلى العراق أو إلى سورية ومنطقة ما بين النهرين العليا(*).

وكما هو الحال مع أسماء القبائل الرحالة فإن أسماء القبائل المستقرة أيضاً، تميم، وبنو زيد، وعايد، وفضول، تغطي بقايا جماعات عزيبة؛ إذ إن الضعفاء ينضمون إلى الأقوياء عند الرُحّل والمستوطنين على حد سواء. ونذكر من الغرباء الزنوج فقط الموجودين في خرمة وتربة على طريق الحج الرياض ـ مكة وفي بعض الواحات الموجودة جنوبي الطويق من وادي الدواسر حتى حاير.

في الجزء الرابع سنعالج قبائل الشرارات والحوازم وبعض قبائل الجزيرة العربية الصغيرة وكذلك بعض القبائل المنتشرة في المناطق المجاورة شمال الجزيرة العربية. وكذلك قبائل الباريا من هتيم وصلبّة وبني خضير.

(*) راجع الهامش بخصوص تسمية العراق وبلاد الرافدين ص251 من هذا الجزء. (ماجد شبّر).

القبائل مصنفة من الشمال نحو الجنوب ومن الغرب نحو الشرق مبتدئين بقبائل نجد ثم قبائل شرقي الجزيرة العربية. وقد يثير الاستغراب أن نجد على رأس قبائل شرقي الجزيرة بني عقيل لأن جماعة بهذا الاسم موجودة في العراق (وفي أماكن أخرى) ولكن غير موجودة في نجد. وقد ارتأينا أنه من الأفضل فصل المقال لأنه يتعلق في قسمه الأول بالجزيرة العربية حصراً. وفي النهاية تأتي القبائل المستقرة.

شمّر

لم تكن شمّر نجد حتى وقت قريب، قبيلة بدوية فحسب، وإنما كانت دولة، هي دولة شمّر في حائل، إلا أنه ينبغي الفصل فيما بين القبيلة وبين الدولة، لأن حدود الاثنتين لا تتطابق بأي حال. فقد امتدت الدولة لبعض الوقت على كامل شمال ووسط الجزيرة، في حين اقتصرت منطقة القبيلة على الشمال.

لم تصل هذه المنطقة في الشمال، والغرب، والجنوب، لأبعد من جبال أجا وسلمى المعروفة تحت اسم الجبل (جبل شمّر). وتشمل صحراء النفود في الشمال، وتنتهي في الغرب قبل سلسلة جبال المسما[1]، وفي الجنوب عند قريتي (قصر) السليمي والسميرا. أما في الشمال الشرقي فتمتد حتى الفرات تقريباً، حيث تكون القبيلة بتماس مباشر ودائم مع شمّر في بلاد ما بين النهرين.

تنقسم شمّر نجد إلى أربعة أقسام هي: العبدة، تومان، سنجارة، أسلم[2]. تتحرك العبده من (أجا) قرب موقاق نحو الشرق حتى طريق حج الكوفة القديم، قرب أجفر وعلى امتداد هذه الطريق عبر زرود والخضرا (قرب ثعلبية) إلى لينة.

---

(1) يتبع نبع الماء "بيضة نثيل" ولد سليمان (عنزة)، الجزء الثاني ص 498.

(2) حول نسبهم انظر الجزء الأول ص 246 وما بعدها. هناك تصحيح ص 157، لما أورده هوبر، من اسم محمد الحارثي إلى محمد الحريثي؛ العزاوي عشائر العراق ج1، ص 183، 189، 191. محمد بن حريث.

وتتبع لهم في النفود آبار الروض قرب جبّة، والتيّم، ومرفي، والأطوا، والخريزي؛ وشمال حائل قرية الوقيد، وعند أسفل جبل سلمى واحة عدوة الصغيرة. لكن الدغيرات (1، ط ـ م) يقعون في مكان أبعد إلى الجنوب من قصر العشروات عبر المستجدة والروضة حتى سليمي.

تمتد منطقة تنقل السنجارة من سهل الغوطة (على هذا الجانب من المسما) إلى السفح الشمالي الغربي للأجا ثم عبر النفود عن طريق جبّه وحيّانية إلى منطقة الحزول الغنية بالمياه. وهذا يعني أنها تتقاطع جزئياً مع منطقة العبدة. وتقضي مجموعة من السنجارة الشتاء في الباطن، وتذهب في أول الصيف إلى أبا ألروات جنوب شرق الجوف، وفي عز الصيف إلى الحزول، وفي الخريف إلى الفرات.

يملك الأسلم، السلمى، مع قريتي سبعان وطابا، ومحطة الحجاج السابقة فيد. وهم يتنقلون من هنا إلى القصيم وإلى الباطن.

أما التومان فيخيمون عادة في موقع منفصل عن بقية شمر. وتمتد منطقة تنقلهم من شبتسة شمال واقيصا على امتداد طريق الحج درب الست زينب إلى العراق. ولكنهم يذهبون في بعض الأحيان إلى الجبل وتسرح قطعانهم هناك تحت حماية العبده والأسلم[1].

صحيح أن معظم سكان الجبل المستقرين ينتمون إلى تميم، ولكن عدد الشمّر الذين يعيشون هناك مستقرين أو شبه مستقرين ليس قليلاً. فقد وجد فالين عام 1845م في واحة الجبّة 170 عائلة من فرع السنجارة الرمال (3 أ ا)، الذين يعيشون إلى حد كبير من تربية الإبل بحيث يسلّمون قطعانهم لإخوانهم الرحل من القبيلة أو يتركونها ترعى في الأماكن القريبة المجاورة. ووجد في القنا، في الطرف الجنوبي للنفود، 50 عائلة من الرمال، وفي اللقيطة، عند أسفل الجهة الشمالية الشرقية من الأجا، 120 عائلة من شمر. ومنذئذ تراجعت هذه المستوطنات تراجعاً كبيراً. فقد

(1) جورماني (1864م)، العادات النجدية، 180 وما بعدها؛ هوبر (1883 ـ 1884م)، جورنال، 200، 381؛ موزيل (1915م)، شمال الحجاز، 7، 32 وما بعدها، 66، 67، 81، 149.

وجد موزيل 20 بيتاً فقط. وموقاق، التي تراجعت كثيراً أيضاً[1]، يشكل الغفلية، قبيلة فرعية من السنجارة (3 أ)، نصف سكانها. وفي الشرق يشكل الجعفر (عبدة 1 ل) نصف سكان البقعا التي يوجد فيها أكثر من 40 بيتاً. وفي الجنوب يسكن شمر في الغزالة[2] وسليمي (12 بيتاً). وفي الروضة يعيش بين تميم بعض الدغيرات. وتقوم أسلم في فصل الشتاء بزراعة بعض الأراضي قرب فيد التي تغادرها في الربيع ثم تعود إليها في موسم الحصاد، وكذلك الحال مع سميرا[3]. ومن الطبيعي أن شمر يقيمون أيضاً في عاصمة جبل شمر في حايل «حائل».

لا تتحدد علاقة شمّر بجيرانها، سواء القريبين منهم أو البعيدين، وهم عنزة في الشمال والغرب، وحرب في الجنوب، والمطير في الجنوب الشرقي، والضفير في الشمال الشرقي، لا تتحدّد من خلال السياسة القبلية، وإنما من خلال السياسة العامة للدولة. فقط بالنسبة للعلاقة مع عنزة كان هناك دور هام لعلاقة العداوة المتأصلة بين شمّر وعنزة في الفترة السابقة لإنشاء الدولة. لقد تم الحفاظ على تماسك قبيلة شمّر، ودولة شمّر، من خلال الدور الذي قامت به عائلة ابن الرشيد، التي جمع زعيمها في يده بين منصب أمير الجبل، ومنصب الشيخ الأكبر للقبيلة. تم الاستيلاء على الجبل في العام 1201هـ/ 1787م، من قبل الوهابيين، ولكن اعتناق هذا المذهب لم يكن نهائياً، الأمر الذي تم بصورة كاملة إثر معركة عدوا (1791م) وانسحاب شمّر الجرباء نحو العراق (الجزء الأول، 220)، وبالتحديد إبان الحملة التي شارك فيها أهالي الجبل[4]، ضد واحة الجوف في العام (1208هـ/ 1793م).

---

(1) 1915 حوالى 20 بيتاً، يوتنغ 1884، 2، 3. يقدر عدد السكان بـ 1000 ـ 1200. أما والين فيقدره بـ 220 عائلة (1845).

(2) والين: 200 عائلة، موزيل 25 بيتاً، وكلاهما معلومات شفوية.

(3) والين 1854JRGS، ص 162، 166، 174، 204 وما بعدها جورماني، ص 181، دوتي (1878)، جـ 2 ص 258، هوبر جورنال ص 186، 605، 684، شمال نجد ص 72، 93، 149.

(4) روضة الأفكار، جـ 2، تحت عامي 1201 و1208، انظر منغين، تاريخ مصر، جـ 2 ص 496، 508.

لا نعرف شيئاً عن إدارة المنطقة في البداية. أما في وقت لاحق فقد كانت في يد عائلة ابن علي من فرع جعفر من العبدة. حكم بنو علي الجبل حتى سقوط الدولة الوهابية (1818م) كحكام تابعين لآل سعود وبعد ذلك كأتباع للحكم المصري التركي. وفي عام 1827م أجبرهم تركي، مجدد الدولة الوهابية، على الالتحاق بالجيش، وفي عام 1834م عزلهم ابنه فيصل. فحلت محلهم عائلة ابن رشيد[1] التي تربطها بهم صلة قربى. صحيح أن أحد أبناء علي (عيسى) تمكن عام 1838م بمساعدة المصريين الأتراك من الدخول إلى حائل مرة أخرى، إلا أنه اضطر في العام التالي إلى التخلي عنها لخصمه عبد الله بن رشيد الذي عرف كيف يتغلب عليه عند الغرباء. وقد نجح عبد الله (1835م ـ 1837؛ 1838 ـ 1847م) في إعادة السلام والهدوء إلى منطقة الجبل. وقام بعدة غزوات ضد واحة الجوف انتهت بإجبارها عام 1838م على دفع ضريبة الزكاة التي أعاد الوهابيون فرضها. وبنفس الطريقة مهد الطريق لإخضاع حرب[2].

قام ابنه طلال (1847م ـ 1868م) باحتلال الجوف، عندما رفضت دفع الضريبة، وكل من واحة تيما، وخيبر[3]، وحايط، وحويّط في الغرب. وبذلك

(1) نذكر من المراجع التي تتحدث عن تاريخ ابن رشيد تقارير محمد البسام (1906م ـ 1915)التي عالجها ماكس فرايهرفون أوبنهايم في كتيب نشر عام 1918م عن تطور علاقات السلطة في شمال الجزيرة العربية، وكذلك موجزاً للأحداث بين عامي 1915م و1924م ولبعض الأحداث قبل عام 1906م. وقد تبنى محمد البسام روايات ووجهات نظر آل الرشيد. وينطبق هذا أيضاً على فصل «تاريخ بيت ابن رشيد» في كتاب موزيل "شمال نجد". ولكن منذ عام 1910م فإن موزيل تأثر بروايات الشعلان (شيخ عنزة الرولة) المنحازة بالتأكيد وبتجاربه الشخصية المزعجة. ومن الواضح تماماً أن فيلبي يعتمد على موزيل في فصل بيت ابن رشيد، من كتابه (آرابيا)، الذي يصل إلى عام 1897م، إلا أنه يصححه ويكمله في بعض المواقع، وخاصة اعتباراً من الصفحة 149، استناداً إلى الرواية السعودية كما ترد ـ مع بعض التحويرات السطحية البسيطة ـ عند الريحاني، تاريخ نجد. أما مقالة مورتمان "ابن رشيد" في EI، المقتضبة ولكن الغنية بالمعلومات، فتعتمد إلى حد كبير على تقارير الرحالة.

(2) كانوا عام 1864م مازالوا مرتبطين بآل سعود، جوماني، 189.

(3) احتل تيما في العام الأول من حكمه، انظر فالين (1848م) JRGS 1851، 324. أما محاولة

أصبحت قبائل هذه المنطقة أيضاً، عنزة الحجاز، خاضعة لابن رشيد وحتى البلي على الجانب الآخر من طريق الحج رأت أنه من الأفضل لها دفع الزكاة؛ الجزء الثاني ص493 و499.

في عهد أخي طلال، محمد (1869 ـ 1897م) ، أصبح آل الرشيد أقوى قوة في وسط الجزيرة العربية. وبينما كان أسلافه يعترفون بسيادة آل سعود، بأن يقدموا لهم بين حين وآخر خدمات عسكرية ويرسلوا لهم حصة من الغنائم ومن رسوم الحج[1] أو على الأقل هدية رمزية مؤلفة من بعض الخيول، فإن محمد رأى نفسه، وخاصة بسبب الخلافات التي حدثت بين أبناء فيصل بن تركي بعد وفاته (1865م)[2]، في حل من كل التزام تجاه آل سعود. وعندما حاول الوريث الشرعي عبد الله بن فيصل عام 1874م إخضاع الشمال من جديد اندلعت الحرب. وكانت النتيجة أن عبد الله خسر المعركة قبل أن تبدأ ثم خسرها بعد ذلك فعلاً[3]. ففي عام 1885م احتل محمد بن رشيد الرياض لفترة مؤقتة ثم احتلها نهائياً عام 1891م[4].

وهكذا أصبحت منطقة حكمه تمتد من حوران وتدمر في الشمال وحتى حدود جنوبي شبه الجزيرة العربية. وحسب تقاليد عائلته فقد كان يحرص على بقاء علاقاته جيدة مع السلطان ومع السلطات التركية في البلدان المجاورة لشبه الجزيرة العربية.

الأتراك الاستيلاء على الجوف فقد أدت إلى احتلالها فترة قصيرة فقط (1870م)، وأما خيبر فقد كانت تركية من 1874م حتى بداية الثمانينيات.

(1) فالين، JRGS 1854، 181.

(2) يضع فيلبي، بلاد العرب، 119، 145، تاريخ وفاة فيصل في عام 1867 وتاريخ وفاة ابنه سعود في عام 1877م. ولكن هذا خطأ.

(3) تختلف الروايات الرشيدية والسعودية حول تسلسل معركتي عروا (1883م) وحمادة. معركة حمادة وقعت بالتأكيد في مارس/ آذار 1884م؛ أو يتنغ، الجزء الثاني، 226.

(4) في عرض هذه الأحداث، التي رويناها بالتفصيل في الصفحة 30 من هذا الجزء، تتطابق أقوال محمد البسام مع أقوال فيلبي. أما موزيل فيختلف عنهما كثيراً، ومن الصعب أن يكون صحيحاً.

إلا أن ابن أخيه، عبد العزيز (1897م ـ 1906م) أضاع هذه المملكة الواسعة فقد دخل، خلافاً لنصيحة عمه الذي كان على فراش الموت، في حرب لا معنى لها مع الكويت التي كانت محمية من جهة الغرب بحلف مع المنتفق ومن جهة الشرق مع العجمان، وكانت علاوة على ذلك مغطاة منذ عام 1899م بمعاهدة مع بريطانيا. صحيح أنه حقق في ربيع 1901م نصراً باهراً في منطقة الكثبان الرملية بين الطرفية وصريف وتقدم حتى الجهرا الواقعة على خليج الكويت، ولكن سفينة حربية انجليزية أوقفته هناك. وعندما كان في الخريف متوقفاً في حفر الباطن تحرك الشاب عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود لتنفيذ تلك العملية التاريخية التي كان من شأنها أن تشكل فاتحة حقبة جديدة في تاريخ الجزيرة العربية. ففي ليلة 15 ـ 16 يناير/ كانون الثاني 1902م دخل مع حفنة من الرجال إلى مدينة الرياض وأعلن نفسه في صبيحة اليوم التالي سيداً لها. بعد شيء من التردد قرر عبد العزيز بن رشيد مواجهة الموقف لكن الحملة العسكرية التي قادته حتى خرج لم تسفر عن أي نتيجة.

في الربيع التالي بدأت لعبة قط وفأر بين الرجلين المتشابهين بالاسم: توجه عبد العزيز آل سعود إلى الكويت التي هددها مرة أخرى عبد العزيز بن رشيد وفجأة قطع ابن رشيد توقفه في حفر ووصل بعد مسيرة هائلة خلال بضعة أيام إلى مشارف الرياض. فتصدى آل سعود لهذه الضربة بأن تحرك إلى القصيم ثم انعطف إلى الوشم واحتل أهم واحات هذه المنطقة قبل أن يتمكن ابن رشيد من الوصول إلى هناك. ثم تبعه بعد ذلك إلى سدير، فانسحب ابن رشيد إلى القصيم. كان واضحاً له أن الجنوب قد ضاع منه. وفي ربيع 1904م احتل ابن سعود، رغم المقاومة الباسلة للقوات الرشيدية، سرّ والقصيم، بينما نصب ابن رشيد معسكره بعيداً إلى الشمال مقابل سماوة لكي يتظاهر بالقوة أمام الأتراك الذين كانوا يزودونه سراً بالمال والسلاح منذ الحرب مع الكويت. فطلب منهم الآن معونة عسكرية أيضاً. وبالفعل جاء دعم عسكري تركي ولكنه ظل دون تأثير. ذلك أن القوات التركية غير القادرة على تحمل الظروف المناخية السائدة هناك انسحبت بعد عامين ونصف من القصيم حيث كانت قد حققت مرة واحدة فقط (يونيو/ حزيران 1904م قرب البكيرية)

نصف انتصار[1]. وفي هذه الأثناء كان عبد العزيز بن رشيد قد سقط (أبريل/ نيسان 1906م) في إحدى المعارك الصغيرة. وبذلك انتهت حياة رجل كان محارباً عظيماً ولكنه لا يملك بعد النظر السياسي ولا موهبة كسب قلوب الناس وتأييدهم.

حفلت السنوات التالية، بمجموعة من الاغتيالات، التي طالت عدداً من أفراد أسرة الرشيد، حيث اغتال بعضهم البعض. وظل الأمر كذلك إلى أن تولى حمود ابن سبهان الذكي، الوصاية على الأمير سعود، ذي الثمانية أعوام في حائل (خريف 1908م)، حيث تم تثبيت الوضع الداخلي. وبعد مفاوضات فاشلة[2] تابع حمود الحرب مع آل سعود، تلك الحرب التي كانت قد توقفت في ربيع 1908م بسلام هش.

صحيح أن ابن عمه زامل بن سبهان النشيط أيضاً، والذي حل محله، بعد بضعة شهور، كوصي على الأمير الصغير[3]، لم يستطع الحيلولة دون نجاح عنزة في احتلال الجوف، أو احتلال تيماء من قبل الأتراك 1909م، لكنه استطاع هزيمة عنزة في الميدان سنة (1910م)، (انظر الجزء الأول، ص173 وما بعدها) وبما أن المشاكل والصعوبات الداخلية والخارجية التي حاقت بآل سعود في الوقت نفسه جعلتهم، مشلولين وعاجزين عن اتخاذ القرارات الحاسمة، اغتنم زامل الفرصة، لكي يعقد معهم سلماً ملائماً[4]. وبذلك تمكن من إخضاع تيماء مرة أخرى، وكذلك، عنزة الحجاز، التي كانت إبان ذلك، قد ارتبطت بالأتراك. وقد دفع احتلال آل سعود في سنة 1913م، لمنطقة الأحساء، بالأتراك، لدعم ابن الرشيد.

---

(1) انظر حسين حسني، نجد قيت عسونن أحوالي عموميسي (باللغة التركية)، اسطنبول 1328هـ.

(2) كان لابن الرشيد فقط حق فرض الضريبة على شمّر، وكان عليه أن يقدم لابن سعود واجبات الجيش.

(3) معلومات موزيل (وفيلبي) حول موت حمود مسموماً غير صحيحة.

(4) استعاد ابن رشيد حق جباية الضرائب من حرب، وهتيم، وولد سليمان، وبني عبد الله (مطير)، وأصبح مستقلاً سياسياً وعسكرياً. إن موزيل يخلط بين هذه الشروط وشروط صلح عام 1908م الذي لا يرد له ذكر عنده.

ولكن بعد وقت قصير من وصول السلاح والمال إلى حائل فقد زامل ثقة الأمير الصغير، وتمّ قتله بعد ذلك، على يد أحد الأقارب: سعود بن صالح بن سبهان في ربيع (1914م)، وآلت مقاليد الأمور إلى القاتل، إلا أنه فشل في انتزاع الثقة في البلاد، ومن القبائل، بينما ظل على ولائه وإخلاصه للأتراك.

اشتبك ابن رشيد وابن سعود من جديد، بعد دخول الأتراك الحرب العالمية، وبالقرب من جراب، شمال الزلفى، استطاع الشمّريون في نهاية (كانون الثاني 1915م) إحراز نصر مؤزر، على عبد العزيز آل سعود. وتوسط ثلاثة من شيوخ شمّر، هم: ضاري بن طوالة من أسلم، ووادي بن علي وابن جبرين من عبده، لعقد سلم رخيص على أساس الوضع القائم. وقد بدا ظاهرياً أن دولة شمّر قد ترسخت جذورها مرة أخرى، إلا أنها، في واقع الحال، كانت تتفكك شيئاً فشيئاً. وبعد الإطاحة بسعود بن سبهان في نهاية سنة 1916م، وهروبه من حائل[1]، بدا الانقسام العلني بين فروع شمّر. ذهب ضاري بن طوالة، مثل بن سبهان، في سنة (1917م)، إلى الإنكليز، بينما ذهب ابن جبرين إلى آل سعود، وسعى شيوخ آخرون إلى طلب الحماية لدى نواف سيد الجوف. أما الأمير الشاب سعود الذي كان واقعاً، منذ هروب سعود بن سبهان تحت تأثير والد زوجته، عقاب بن عجل فقد ذهب، في صيف (1917م)، بناءً على طلب الأتراك مع حاشيته إلى مدائن صالح الواقعة على سكة القطار الحجازي. وعاد بعد عام إلى الجبل. وفي عام (1918م)، بدأ آل سعود أخيراً، الهجوم الذي كان الإنكليز يحثونه على القيام به، منذ وقت طويل. وتمكن من هزيمة الشمّريين، في ياطب غير البعيدة عن حائل، إلا أنه لم يجرؤ على حصار حائل، ولا على مهاجمة ابن رشيد، الذي كان موجوداً في البقعا. منحت الحرب التي اندلعت عقب ذلك، فيما بين آل سعود، والشريف حسين في مكة، دولة شمّر فترة هدوء قصيرة، وتمكنت في بداية عام 1920م من السيطرة مجدداً على الجوف،

(1) حسب موزيل حاول إسقاط آل رشيد. ولكن هذا الخبر يبدو لي مشكوكاً فيه. وفيلبي، الذي كان في السابق (الجزء الأول، 249) قد أصدر حكماً حاداً جداً ضد سعود السبهان، غيّر رأيه في وقت لاحق (آرابيا بلاد العرب، 277).

وذلك بواسطة السلاح الذي زوّدها به الشريف حسين.

في هذا الوقت عاد مسلسل الاغتيالات ليذر قرنه فيما بين أفراد عائلة الرشيد من جديد. فقد تمّ قتل الأمير سعود أثناء إحدى الرحلات، على يد واحد من أقربائه، ثم قام عبد المقتول بقتل القاتل.

ومن بين الرجلين الأكبر سناً في أسرة آل رشيد اللذين كانا على قيد الحياة تولى أحدهما، عبد الله، الحكم، بينما زج الآخر، محمد، وهو أخو القاتل، في السجن. ومرة أخرى لاح بريق من الأمل وذلك لأن رجالاً ذوي نفوذ واسع وقفوا في كل من بغداد ولندن إلى جانب آل رشيد. وفي الوقت نفسه رشح فيصل لتولي عرش العراق. فيصل ابن الملك حسين في بغداد! هذا ما كان بمقدوره إنقاذ دولة شمّر! إلا أن هذه الإمكانية بالذات هي التي جعلت عبد العزيز آل سعود يقرر القضاء على ابن رشيد، إذ تقدمت قواته في تموز (1921م) إلى الجبل. وبما أن عبد اللّه بن الرشيد، لم يكن على مستوى الحدث، فقد أرغم من قبل مجموعة قوية على الإفراج عن محمد بن رشيد الموجود في السجن. وقد فرّ بعد ذلك، بوقت قصير، خشية على حياته، إلى آل سعود، واستلم محمد الحكم. وقد اتجه ضد المطير الذين كانوا يعسكرون بألفي رجل في جطامية. ووصل عبد العزيز آل سعود في الوقت المناسب، لكي يحسم الصراع لصالحه. ثم بدأ بعد ذلك بمحاصرة حائل. وفي 2 نوفمبر/ تشرين الثاني استسلم محمد بن رشيد للمنتصر.

"لقد قام عبد اللّه وأخوه عبيد بتأسيس دولة ابن الرشيد، ثم قام عبد اللّه وابن عمه محمد بهدمها، ولقد ساد الرخاء والسرور أثناء حكمهم في البلاد، وجادت السماء بمطر غزير، وأينعت الأرض بالحبوب الوفيرة"[1].

منذ ذلك الوقت أصبحت إدارة الجبل في يد موظفين تابعين لآل سعود، بينما عادت المرتبة الأولى بين شيوخ شمّر إلى أسرة ابن علي.

(1) بهذه العبارات يختتم محمد البسام تقريره عن عائلة ابن رشيد.

ابن الرشيد، عائلة شيوخ شمّر

تختلف مكانة آل الرشيد كثيراً عن مكانة خصومهم آل سعود. فلم يكونوا مجرد أمراء واحات فقط، مضطرين إلى الاعتماد على مساعدة البدو غير المضمونين[1]، وإنما كانوا هم أنفسهم زعماء قبيلة يمكنهم الاعتماد عليها حتماً.

هذه الحقيقة وحدها، تجعل من المفهوم كيف استطاع أمراء جبل شمّر الصغير وذي الكثافة السكانية المنخفضة[2]، إخضاع سادة المناطق الغنية في الجنوب، والتصدي لهم حتى في مرحلة السقوط طيلة عقدين من الزمن تقريباً.

يحمل زعيم العائلة لقب شيخ المشايخ. وشأنهم شأن غيرهم من زعماء البدو الكبار، وغيرهم من الأمراء العرب، يقومون بحماية أنفسهم على يد حرس خاص، يتكون من العبيد السود المحررين، ومع عبد اللّه مؤسس العائلة، كان الحرس يتألف من أتراك ومصريين فارين من الخدمة العسكرية وقد تم استبدالهم فيما بعد، بمجموعة من الرجال الفتيان المتطوعين (رجاجيل)، كان بعضهم أيضاً من الغرباء.

---

(1) هذا مع استثناء إعادة إحياء أفكار دولة الوهابيين وتطبيقها العملي على حركة الأخوان منذ 1912م.

(2) يقدر دوتي عدد السكان المستقرين في الجبل بما في ذلك واحات الجوف وتيماء بـ 20,000 شخص. وأنا لا اعتقد (مثل فيلبي ـ بلاد العرب 196)، بأن هذا الرقم أقل من الواقع. إذ إن فالين يقدر العدد بدون المواقع الخارجية بألفي عائلة. إن حايل التي توسعت منذ ذلك الوقت كثيراً على حساب بقية المستوطنات كانت تضم آنذاك بـ 200 بيت. وقد قدر فيلبي عدد سكانها 20000 ألفاً وتويشل بعشرة آلاف.

في حين، شكل أبناء حائل والقوى المجاورة، النواة الرئيسية للجيش. في البداية، كانت تتم دعوتهم قبيل الحملة العسكرية، وكان يتعيّن عليهم توفير السلاح لأنفسهم بينما كان المقاتلون البدو يزودون بالسلاح والحيوانات والتموين من لدن الأمراء، ويعفون من الضرائب[1].

كانت قوة الجيش تتشكل من أربعمائة من الرجاجيل، ومثلهم من البدو الرحّل، وذلك في الغزوات العادية، أما العدد الأكبر فكان يصل إلى حدود 3 ـ 4 آلاف رجل.

كان آل الرشيد يسكنون في قصر برزان، الذي لم يكن يختلف في فترة الأربعينيات عن غيره من البيوت في حائل، إلا من حيث حجمه الكبير، ولكنه تحول فيما بعد إلى قلعة ضخمة.

كان يتولى مهمة القضاء كل من الأمير والقاضي، الذي يعنيه الأمير. وكان دخل الإمارة يعتمد بالدرجة الأولى على عطاءات المستوطنين من القمح والتمر، وكانت الزكاة التي يدفعها البدو الرحّل توفر واردات أقل جداً (الخمس[*]) إلا أنه كان هناك واردات جيدة تأتي من القوافل التي تنقل الحجاج من مختلف المناطق، من بينهم بعض الفرس، حيث كانت تنقلهم من النجف، عبر حائل إلى مكة، وتعود بهم، والتي كان لها بطبيعة الحال أبعاد تجارية. ولما لها من أهمية، فقد كان يخصص لقيادتها أمير من العائلة[2]، وفي عهد محمد بن رشيد، تمّ إقناع قوافل الحج، القادمة من البصرة عبر القصيم، بسلوك طريق حائل. ومنذ سنة (1899م)، أصبح الأمراء، بصفتهم أمراء قوافل الحج العراقية، يتقاضون بالإضافة إلى ذلك، معونة من الحكومة التركية.

---

(1) حسب موزيل؛ محمد البسام والرحالة القدماء يتحدثون وبشكل عام فقط عما تقدمه القبيلة من رجال.

(*) ان الخمس يؤخذ من غنيمة الجهاد أي من غنائم الحرب وليس كحال الزكاة التي تشبه الضرائب(ماجد شبّر)

(2) إضافة إلى ذلك كان السكان يرسلون كل عام أربع قوافل إلى العراق تحمل الصوف وشعر الجمال والمعز والسمن، وتجلب معها الأرز والحنطة والأقمشة والمعادن. وكان على كل جمل أن يدفع ربع مجيدي عند الذهاب وعند الإياب؛ أما التجار فكانوا يدفعون الضعف.

كان على التجار الذاهبين عن طريق الجبل إلى العراق، ودمشق أو مصر، أن يدفعوا رسوماً جمركية، وكانت القبائل الغريبة تدفع رسوم رعي وبيع وشراء. وكانت هذه الرسوم تذكر دائماً في معاهدات السلام مع آل سعود.

يُضاف إلى ذلك ما كان يتقاضاه آل رشيد من ممتلكاتهم الخاصة، من قُرى الموقاق ولقيطة والجثامية، تماماً، كما كان الحال مع الملاكين الآخرين، الربع أو خمس المحصول. وكانت تجارة الخيول في الأربعينيات، سواء مع مصر، أو مع الهند فيما بعد، تدر أرباحاً كبيرة، وكانت قطعان الإبل والغنم العائدة للأمير موكلة إلى قبيلة بني يحرف[1].

وقد قدر دوتي، إيرادات الحكومة ـ تقدير منخفض بالتأكيد ـ بحوالى (40000 ليرة) في العام، والنفقات بـ (13000 ليرة). وكانت الميزانية الخاصة، وإدارة الأملاك، وتكاليف العبيد، والمواشي والحرس، وحُكام تيماء، والجوف وكذلك نفقات الضيافة غير المحددة للأمراء، تلتهم الجزء الأكبر من تلك الأرقام. يُضاف إلى ذلك شراء الأسلحة، والنفقات الناجمة عن العلاقات الديبلوماسية: الهدايا للموظفين الأتراك في مناطق الحدود، وللشريف الأكبر لمكة والتي كانت في الغالب تتكون من الخيول، وكذلك للتجار الذين يسهلون التعامل مع الإدارات المختلفة[2]. في دمشق فوض ابن الرشيد قريبه رشيد باشا أبا ليلى ليكون ممثلاً له هناك[3].

كان حكم بن الرشيد، يبدو للعرب المحبين للحرية، حكماً قاسياً، ولكنه عادل. كانت قبيلة شمّر متمسكة بعائلة شيوخها. ولقد أثبتوا ذلك في عام 1921م عندما فضلوا الإقامة في الغربة، على الإقامة في وطن يسيطر عليه حكم أمير غريب[4].

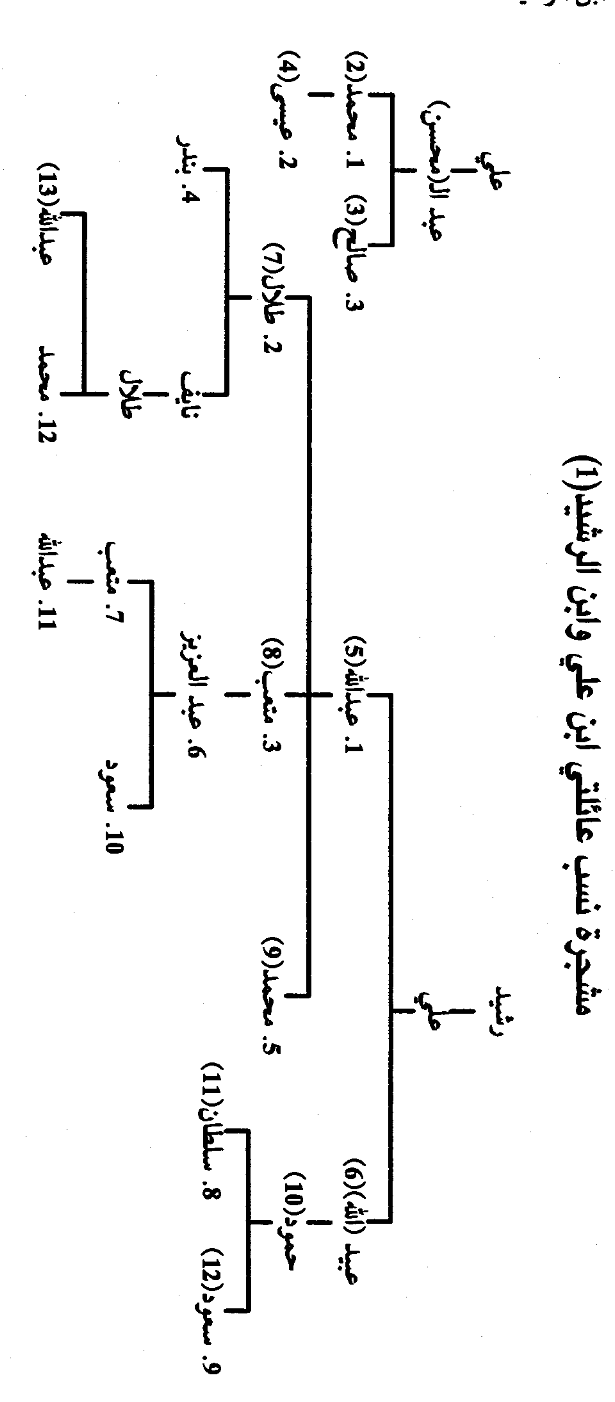
---

(1) وسم ابن الرشيد: IX أو +، صيحة الحرب: أخو نورا (نسبة إلى اسم إحدى أخوات عبد الله).

(2) والين JRGS، 1854م ص 178 وما بعدها، ص 185، 187 وما بعدها، ص 197، 200، 206، دوتي جـ 2، ص 19 وما بعدها، ص 47 وما بعدها. شمالي نجد، 149، 237، 243 ـ 253، فيلبي جـ3، ص 298 ومحمد البسام.

(3) عندما قمنا بزيارته في دمشق 1939م كان قنصلاً للملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية.

(4) انظر الجزء الأول ص 221. رجعت القبائل المعنية في الثلاثينيات.


مشجرة نسب عائلتي ابن علي وابن الرشيد(1)
رشيد
علي
1. عبدالله(5)
3. متعب(8)
6. عبد العزيز
7. متعب
11. عبدالله
10. سعود
5. محمد(9)
2. طلال(7)
4. بندر
نايف
طلال
عبدالله(13)
12. محمد
عبيد (الله)(6)
حمود(10)
8. سلطان(11)
9. سعود(12)
علي
عبد ال(محسن)
1. محمد(2)
3. صالح(3)
2. عيسى(4)

ملاحظات حول المشجرة

1 ـ المصادر كما هي في المقال، منذ (1906م) من محمد بن بسام. فقد تمّ ذكر الأمراء الحاكمين وأجدادهم فقط. وقد رُسم خط منقّط بين علي وعبد المحسن وبين الرشيد وعلي، لأنه ليس من المؤكد أن الأخيرين هم أبناء أم أحفاد. . . إلخ، من نسل علي أو رشيد.

2 ـ تمّ ذكر محمد بن علي عام 1226هـ/ 1813م، لدى عثمان بن بشر (عنوان المجد في تاريخ نجد ص 97). بينما يذكره العزاوي (عشائر العراق ج1 ص218)، في عام 1208هـ/ 1794م. وكان عام 1818 لم يزل في الحكم ورفض الخضوع للمصريين الأتراك. قائمة شبرنغر ، ص 220.

3 ـ تم في سنة (1834م)، عزله من قبل فيصل بن تركي آل سعود، انظر أعلاه، كذلك بشأن الملاحظات اللاحقة أيضاً، وقد تم بعد ذلك طرده من قبل عبد اللّه بن الرشيد، حيث قتل أثناء محاولة هربه إلى المصريين.

4 ـ اضطر في سنة (1827م)، للاعتراف بسلطة تركي بن عبد اللّه آل سعود، ويخمن فيلبي، في (بلاد العرب)، ص 132، أنه ذهب للمصريين، لهذا السبب، وترك الحكم لعمه صالح، وفي الحقيقة فإن عيسى دخل حائل مرة أخرى مع قوات مصرية.

5 ـ صهر محمد بن علي وقد اضطرإلى مغادرة البلاد في سنة (1820م)، لأن محمد خشي من نفوذه، وبعد عدة سفرات، استقر في الرياض، حيث كان أيضاً تركي آل سعود يحاول في ذلك الوقت إعادة بناء دولة آبائه. وساعد سنة (1834م)، فيصل بن تركي للوصول إلى العرش، حيث قتل المشاري المطالب بالعرش وقاتل تركي. اعترافاً بالجميل، قام فيصل بتعيينه حاكماً على جبل شمّر، هذا المنصب الذي كان على عبد اللّه أن يخوض قتالاً ضارياً لتوليه فعلياً. وقد وصف المغامرات التي خاضها في سبيل ذلك بلغة الشعر. وكذلك أخوه عبيد، وبعض أبنائه، كانوا يتمتعون بهذه الموهبة الشعرية.

6 ـ قائد قوات أخيه.

7 ـ انتهى بعد إصابته بحالة اكتئاب بالانتحار في آذار 1868م.

8 ـ تم قتله رمياً بالرصاص في بداية سنة 1869م من قبل ابن عمه بندر.

9 ـ لقد وصف دوتي، لعبة الحزن الدموية التي رسخت حكم محمد بن الرشيد الكبير بكلمات لا تنسى، يمكننا هنا فقط التأكيد على بعض الحقائق باختصار: في أيام أعياد الميلاد 1869م وبعد العودة من إحدى رحلات القوافل، قتل محمدٌ قاتلَ أخيه على أبواب حائل. ثم بدأت المذبحة. لم يهدأ محمد، حتى قضى على جميع إخوة طلال، بعضهم عاجلاً وبعضهم في وقت لاحق، لأنه خشي الثأر والمرض المتوارث لدى عائلات الأمراء العرب ألا وهو: صراع الأخوة من أجل السلطة.

10 ـ القائد الميداني عند محمد، ورجل ثقته. تأثر بأعمال أولاده المخزية من القلب، بحيث هرب إلى المدينة وتوفي هناك عام 1329هـ/ (1911م).

11 ـ كان سلطان بن حمود على خلاف مع ابن عمه عبد العزيز، غادر إلى القسطنطينية، ولم يعد إلى حائل إلا قبيل وفاة هذا الأخير (نيسان 1906م)، وفي نهاية كانون الأول من العام نفسه، قتل ابن أخته، الأمير الشاب متعب، الذي رافقه، واثقاً منه مع اثنين من إخوته في إحدى الرحلات وحتى هذان قتلا على يد أخوي سلطان: فيصل وسعود. ولم ينج إلا سعود الصغير بن عبد العزيز، لأن سلطان تزوج أمه، وكانت من سبهان. وقد خشي أولاد عمها رؤساء هذه العائلة الكبيرة، على حياة هذا الطفل، فهربوا به إلى المدينة.

وفي أثناء ذلك تابع سلطان الحرب، ضد آل سعود في القصيم. وفي موقعة بالقرب من طروفية تصرف بجبن، الأمر الذي أدى لفقدانه احترام أفراد قبيلته. فقام بجمع ممتلكات العائلة في حائل، وترك البلاد، محاولاً الهرب إلى مصر؟ وصل إليه أخوه قبل تيماء بقليل، وأخذه إلى حائل حيث زج به في السجن ومات فيه مخنوقاً، (نهاية كانون الثاني 1908م).

12 ـ عقد سعود بن حمود سلاماً مهيناً مع آل سعود، (الذي أشرنا إليه سابقاً). الأمر الذي دفع آل سبهان في المدينة، وعلى رأسهم حمود وزامل، إلى التحرك. فهجموا على موظفي الضرائب التابعين لسعود، الذين جاؤوا بالتمر من قُرى الحايط والحويط من حرة خيبر، وقدموا هذه التمور لقبيلة الهتيم التي قدمت لهم الجمال للتوجه إلى حائل. وقد كسبوا، خلال الطريق، السنجارة إلى جانبهم، من خلال تقديم معونات مالية ضخمة وعندئذٍ ثار حي لبدة، الحي المحارب في حائل، تأييداً لهم. وبعد تخلي جماعته عنه استسلم سعود بن حمود ودخل الفتى الصغير (11 عاماً) سعود بن عبد العزيز إلى حائل دخول المنتصر. أما الأمير المخلوع فقد قتله في السجن أحد العبيد بأمر من أخت الأمير الصغير منيرة.

13 ـ قَتلَ عبد اللّه بن طلال، سعود بن عبد العزيز، وكان ابن عمه عبد اللّه بن متعب وأخوه محمد، آخر أميرين من أسرة آل رشيد.

شمّر(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ عبدة(2)	ابن علي(3)	اجا ـ لينة	2550
أ ـ المفضل(4)	برجس بن جبرين(5)		200
ب ـ الفضيل(6)	مطنى بن شريم(7)		100
ج ـ الجندة	برغش بن دهام(8)		150
د ـ آل جرى	حمد الفديد(9)		100
هـ ـ الشميلة	... المشوى		100
و ـ آل هامل	....(10)		50
ز ـ السليط	عبد العزيز السليطي(11)	القصر ـ السليمي	100
حـ ـ آل عليان(12)	فرحان بن سعيّد	القصر ـ السليمي	200
ط ـ الغازي	تحيمر بن غازي	القصر ـ السليمي	150
ي ـ آل شريهة	حماد بن هزاع(13)	القصر ـ السليمي	300
ك ـ الغيثة(14)	عايد الغيثي(15)		300
ل ـ الجعفر(16)	ابن علي(17)		200
1 ـ العلي	ابن علي		
2 ـ آل خليل	عويد بن خليل(18)		
م ـ الويبار(19)	فهد بن بدير		300
ن ـ الجدي(20)	نهار بن جدي		200
س ـ .....(21)	ندا بن نهير(22)		100
2 ـ التومان(23)	نواف بن بندر التمياط	درب السيدة زبيدة	
أ ـ الوضاح(24)	نواف التمياط		250

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
ب ـ الربعة(25)	سعد الربع(26)		150
جـ ـ الهدبة	مطلق العايش		300
د ـ الصخيل	مسهوج بن حمد		50
3 ـ سنجارة(27)	غضبان بن رمال	الغوطة ـ الحزول	
أ ـ الغفيلة(28)	غضبان بن رمال		
1 ـ الرمال(29)	غضبان بن رمال		350
2 ـ الكلاب	. . .(30)		50
3 ـ القنى	عيادة بن زويمل(31)		150
4 ـ الجرذان(32)	لعيبان بن مايق		200
ب ـ الزميل(33)	بايق بن ثنيان(34)		
1 ـ السهيل(35)	بايق بن ثنيان		200
2 ـ السلمان	ابن سمير(36)		200
3 ـ الذرفان			50
4 ـ النمسان			50
5 ـ الشلقان(37)	عبكلي بن فالح		150
6 ـ النبهان(38)	قاسم بن رخيص		200
7 ـ الخمسان			50
جـ ـ آل سويد(39)			250
ملحقة بها :			
ـ العامود(40)	شلاش بن فنيدل	الجفيقة	
أ ـ العامود	شلاش بن فنيدل		150

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
ب ـ البريك(41)	مياح بن سعدي(42)		100
جـ ـ الحسيني	فرز الحسيني		150
4 ـ الأسلم(43)	محمد بن ضاري بن طوالة(44)	سلمى الباطن	
أ ـ الطوالة	محمد بن طوالة		
1 ـ المعاضيد	كريويل المعضاد		100
2 ـ النفقان	محمد النفاقي		100
3 ـ المناصير	خضير بن الصعيليق(45)		150
ب ـ الفايد	رغيان الوجعان(46)		100
جـ ـ الكامل	سليمان بن غشام		100
د ـ المسعود	ابن لغيصم		100
هـ ـ الوهب	ناصر بن بدر(47)		100
و ـ الجحيش(48)	نهار الجنفاوي(49)		300
ز ـ الوريك	محمد ابا وريك		100
حـ ـ الهيرار	حماد بن زعل		100
ط ـ الغرير(50)	محمد بن غرير		150

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1915 (المرجع: تسايد الرزني، دليل قافلة محمد البسام، كان يقود في معركة "جراب" الجملَ الذي كان يحمل شارة المعركة، العطفة، العائدة للجعفر)، وكذلك إلى عام 1925م (محمد البسام). البيانات الإحصائية موجودة: هوبر، جورنال (1883م ـ 84)، ص 637 وما بعدها، 660 وما بعدها.

كتاب (هاندبوك) I، ص 79. موزيل، شمالي نجد ص 31 وما بعدها. مونتان، مجلة الدراسات الإسلامية، 1932، ص 66. العزاوي، عشائر العراق، جI، ص 179 ـ 222 (باسم). يتضمن الجدول فقط وحدات سياسية بينما تم في الملاحظات إيراد التجمعات حسب النسب، أو التي كانت تعكس حالة سياسية سابقة. عدد الخيم لما في الجدول وهو 6950 يعتبر قريباً من الواقع. التقديرات الأخرى تتراوح ما بين 18000 و4000. الأرقام والحروف ما بين قوسين تتعلق بالجدول الخاص بشمّر في بلاد ما بين النهرين (الجزء الأول 241 وما بعدها) أما التي بدون أقواس فتتعلق بالجدول أعلاه.

2 ـ تنقسم مثل العبدة في بلاد ما بين النهرين (ب 3) «الجزء الأول ص256» إلى اليحيى والربيعيّة التي لم تعد هنا تشكل وحدات سياسية. تحتوي الأولى على الفروع (أ ـ ك)، أما الثانية فتضم (ل ـ س) الأخيرة.

3 ـ انظر الملاحظة 17.

4 ـ تتطابق ب3 ا د أ «الجزء الأول ص257» وعند موزيل تضم ز، حـ.

5 ـ أو: جبريل. 1915 نخيلان بن جبرين سابقاً ملبس بن جبرين.

6 ـ شيخها عقاب بن عجل من عائلة سنان، هاجر عام (1930؟م) إلى بلاد ما بين النهرين انظر أعلاه (3ب1).

7 ـ من عائلة سنان أيضاً ب3 أ ملاحظة 28 «الجزء الأول ص261».

8 ـ 1915 محمد بن غزال.

9 ـ العزاوي 219: حمدان.

10 ـ العزاوي: صياح بن مثيجل.

11 ـ 1915 هبكان السليطي.

12 ـ يشكل الفروع (حـ ـ ك) مجموعة الدغارات (3ب2) التي تشكل هنا فقط وحدة جغرافية.

13 ـ موزيل: سحلي بن هزاع.

14 ـ كذلك غيثة (الوسم ـــᴧᴧــ).

15 ـ 1925 سالم الغيثي.

16 ـ ب3 جـ «الجزء الأول ص257» تلفظ جعفر.

17 ـ العزاوي بخصوص1: عباس بن علي الآن هايس العباس. (في بلاد ما بين النهرين).

18 ـ العزاوي ابن سحيمان. من عائلة خليل تنحدر عائلة ابن الرشيد.

19 ـ ب3 د1 «الجزء الأول ص257».

20 ـ ب3 هـ «الجزء الأول ص257» ابن جدي تمت مهاجمته من قبل الوهابيين (1786) الروضة II، عام 1201.

21 ـ العزاوي 221: الصويان.

22 ـ العزاوي: الآن شقيقه حلو.

23 ـ صيحة الحرب: المساعيد (العزاوي ج1، 184).

24 ـ العزاوي: الأوضاح.

25 ـ صيحة الحرب: راعي العليا.

26 ـ العزاوي: سعد بن سُطام الربع 1915م: مثقال الربع.

27 ـ جزء من السنجارة وسمهم الباكور: ˥ .

28 ـ (أ 2 و) «الجزء الول ص255». موزيل ومونتان: خفيلة.

29 ـ الوسم: ـلـلـا على الردف الأيسر.

30 ـ موزيل: جماش بن كلب (چلب).

31 ـ موزيل: مسلم بن زويمل.

32 ـ فقط بالنسبة لهذا الاسم أشار المترجم إلى أن النطق الحقيقي لـ ج لدى شمّر: چ.

33 ـ أ 2 هـ «الجزء الأول ص255».

34 ـ 1915: ابن عمه فهد بن ثنيان، يذكره فيلبي أيضاً «الجزء الأول ص255». وإلى جانبه كان يقف في ذلك الوقت شايع بن نويتسي التي ذكر فيلبي من عائلته شيخين كمساعدين لفهد بن ثنيان.

35 ـ موزيل ومونتان يصنفانه من العشائر ب ـ هـ.

36 ـ البيانات وكذلك العزاوي 187. موزيل: برجس بن عردان. كتاب الجيب فلاج بن عردان.

37 ـ الوسم 7/// على الوجنة اليسرى.

38 ـ موزيل يصنفه تحت .

39 ـ يذكر موزيل ضمنهم عشيرة هرابدة.

40 ـ (أ 3). الوسم ┌┬┐ . صيحة الحرب أهل عصلة(*). عامودي: حول أصل هؤلاء يتحدث العزاوي 180.

41 ـ تنطق: بريتس! (ب 1 أ). «الجزء الأول ص255».

42 ـ (ب 1 أ 1). «الجزء الأول ص255».

43 ـ (ب 2 ب) «ج1 ص256» يضيف موزيل فروع السليطة إليها، العزاوي 209: صليته.

44 ـ هل برغش بن طواله لدى موزيل هو الشيخ المذكور عند هوبر 126؟

(*) يذكر العزاوي أيضاً نخوتهم عصلان. وهي مأخوذة من الناقة التي لا ذيل لها. (ماجد شبّر).

صيحة الحرب: أخوشيمة! الوسم F .

45 ـ العزاوي: ابن شكر.

46 ـ العزاوي: محمد الوجعان.

47 ـ موزيل: لهيلم بن عقل.

48 ـ تنطق: جحيش! (ب 2 ب 2). «الجزء الأو ص256».

49 ـ 1915: بندر بن عبادة من نفس العائلة التي تتبع شيوخ (ب 2 ب 2).

50 ـ يسميها موزيل التشتنة بينما يذكرهم العزاوي إلى جانب الغرير.

هجر شمّر(1)

المنطقة	الأمير	شيخ العشيرة
1 ـ الصنينا	سعدون بن عباس	
2 ـ الأجفر	عياد بن النهير	حمدان بن جدي
		سلطان بن عايش
3 ـ التيم	فريح الحمزي	
4 ـ القلبان	غضبان بن رمال	
5 ـ جبّة	عدوان بن رمال	مرعيد بن رمال
6 ـ الحفير	كاتب النمّاس(2)	
7 ـ الخبّة	فريح الهربيد(3)	
8 ـ الصفرا	مغيليط بن جار الله	
9 ـ النعي	عبد الكريم الزيد	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ راجع أم القُرى رقم 208، 18/ 12/ 1928. تم ترتيب المستوطنات ـ ما أمكن ـ وفق تسلسل القبائل بل وفق تسلسل عائلات الشيوخ في الجدول. 1 ـ 3 تابعة للعبدة 1 ل، ن، س بمشاركة تومان أيضاً 2، 2جـ، 4 ـ 5 تابعة لسنجارة، 3، وكذلك 6 و7 (انظر الملاحظة التالية) 8 و9 حسب موقعهم ـ قرب طابة ـ تابعين لاسلم (4). والأماكن 2 ـ 5معروفة. حفير هو نبع ماء في الطوية. لم يعثر على الباقي.

2 ـ بالتأكيد تابعة للنمسان 3ب 4.

3 ـ بالتأكيد تابعة للهرابدة ملاحظة رقم 39. الجدول.

ضفير

تتكون قبيلة الضفير من مجموعات غير متجانسة. وما يثير الانتباه، أن هذه القبيلة، برغم ذلك، تمكنت من التصدي للوهابيين مدة تزيد على الثلاثين عاماً. وتنقلت مع بداية القرن الماضي حتى حدود الفرات، حيث وجدت الحرية، التي فقدتها في موطنها، في ظل ظروف صعبة.

تفيد المصادر الشفهية أن معنى اسم القبيلة (المتحالفة)، ومع أن هذا المعنى ينطبق على الحقيقة، إلا أنه غير صحيح. فالمراجع المكتوبة تورد الاسم بصورة واضحة بالظاء (ظفير)[1] وتشير حكايات التنقل والترحال لكثير من قبائل الضفير إلى الحجاز[2]، وبهذا، يصبح من الممكن ربط الظفير مع قبيلة تحمل الاسم نفسه، كانت تقطن في المنطقة الواقعة شمال المدينة، في النصف الأول من القرن الثالث عشر[3].

(1) سليمان الغنام، مؤلف كتاب الروضة، ومحمد البسام الذي أعد قائمة شبرنغر رقم 86، عثمان ابن بشر، عنوان. في لهجة البدو لا تختلف الكلمتان عند النطق.

(2) محمد باشا العصيمي (1925م)، وبالدرجة الأولى دوتي، جـ1، ص 126. في الأصل كانت لهم الحِجْر (مدائن صالح).

(3) حمداني، لدىٰ القلقشندي، ص 91، 265 وما بعده. مصادر لاحقة تنسبهم إلى بني لام وإلى حلفاء المرا؛ نفس المصدر السابق، 97، 265؛ أنظر الجزء الثاني، ص 355.

لم يكن لهذه القبيلة، عند هجرتها قبل 350 عاماً إلى نجد، أكثر من الاسم[1]، وتمكنت هناك من تشكيل قبيلة جديدة، وبزعامة عائلة سويط، من مجموعات قبائل شتى ضمت عنزة، سبيع، قحطان، وغيرها من العناصر الأخرى غير المنسوبة، وبذلك ظهرت لأول مرة في حوليات نجد في عام (1108هـ/ 1696 ـ 1697م)[2].

في منتصف القرن الثامن عشر كانت الضفير تتنقل من جراب[3] عبر السدير، إلى محمل، ومن الوشم حتى حفر العطس، وعلى ضوء هذا، فقد اشتبكوا منذ زمن مبكر، مع الوهابيين أي في العام (1163هـ/ 1750م). ولم يكن حكم آل سعود وقتذاك، يتجاوز كثيراً الدرعية، وقد تعرضت مواقعهم الأمامية، ظرمة أسفل الطويق والرغبة في المحمل الغربي والشقرا بصورة متكررة للاعتداءات من قبل مستوطني الوشم والسدير وحلفائهم الضفير (1751م ـ 1756/ 1757م)[4]. وانقلبت تلك العلاقة في الستينيات، جراء تعرض العديد من فروع قبيلة الضفير، لحملات النهب التي كانت تشن من قبل الوهابيين في البرا في المحمل الغربي، وفي حفر العطس وجراب[5]، وقد استبسلت الضفير للدفاع عن استقلاليتها تجاه الوهابيين، طيلة الخمسة عشر عاماً التالية رغم أنها فقدت بعضاً من قادتها[6]، وظل الأمر

(1) عصيمي باشا.

(2) العزاوي، جـ1، ص 297، المعركة مع الفضول، أنظر الفصل، قبائل مستقرة في الجزيرة العربية.

(3) تقع على الطريق الممتد على الجانب الشرقي للنفود، الذي كانت الضفير تتصل عبره مع سورية. قارن بوركهاردت، رحلات إلى سورية، ص 308: في السابق (أي قبل ظهور عنزة). كثيراً ما كانت حوران هدفاً للضفير.

(4) الروضة، جـ 2، في سنوات 1163هـ، 1165هـ وبداية 1170هـ. قارن عنوان المجد، ص28، منجن جـ 2، ص455 .

(5) الروضة، في سنوات 1173/ 1176هـ، 1174، 1764م، قارن منجن جـ 2، ص 457 وما بعدها، ص 461، عنوان المجد ص 36.

(6) الروضة، جـ 2 في سنوات 1181هـ/ 1767م ـ 1768م، 1195هـ/ 1781م، قارن عنوان المجد ص 40، منجن، جـ 2 ص 471 (1184).

كذلك، حتى الثمانينيات، حيث حدث تحول واضح، على الأرجح بسبب إخضاع الأمير سعدون من بني خالد، ألد خصوم الوهابيين. وهكذا، ففي سنة (1786م) حارب أفراد القبيلة الضفير ولأول مرة، جنباً إلى جنب مع آل سعود[1]. لكن الضفير لم يصبحوا أبداً وهابيين حقيقيين. ولتفادي الطلبات المزعجة للخدمة العسكرية، هاجروا نحو الشمال عبر الدهنة «الدهناء» إلى الحجرة، وفي الدرعية، لم يطمأنوا لهم، بحجة تقديمهم الدعم والمساندة للغزو المعادي، وأنهم لم يتقيدوا بالتعاليم الجديدة للمذهب. ولهذا، هاجمهم ولي العهد سعود في سنة (1795م) شمال لينة وكبدهم خسائر فادحة[2].

اضطر الضفير بعد ذلك للهرب، باتجاه الفرات إلى المنتفق، الذين وفروا لهم الحماية بالاتفاق مع باشا بغداد[3]، لهذا رافقوا المنتفق في حملتهم الكبيرة ضد الوهابيين في شتاء (1796 ـ 1797م)[4]، وتم في سنة (1806م)، القضاء على تجمع للقبيلة استعداداً للغزو، في (الفليج)، أحد الأودية الجانبية للباطن، وذلك من قبل قوات سعود. وكان هذا آخر لقاء بين الضفير والوهابيين[5].

ما لبثت القبيلة، وبعد سنوات قليلة، أن تحركت مجدداً، في إطار سعيها لإيجاد موطن جديد لها في منطقة ما بين النهرين العليا، وهنا حصلت اشتباكات مع شمّر جربا. صحيح أنها تمكنت من قافلة تركية ترافقها شمّر في سنة (1809م) على نهر البليخ[6]، إلاّ أنهم اضطروا للعودة إلى السهول في منطقة الفرات الأسفل،

---

(1) الروضة، جـ 2، تحت 1200.

(2) هكذا في عنوان المجد، لدىٰ العزاوي جـ1، ص 298 التاريخ غير واضح، الروضة، جـ 2 في ذي القعدة 1209، تسكت عن ذكر الظروف التفصيلية، تذكر فقط الجواسم كضحية.

(3) صابت (Sabit) (سليمان فايق بك ابن حجي طالب الكهية)......

Baghdadda Kolemem laukumetinin teschekkülite inkyrazyna dair risale, 24f.

(4) عنوان المجد، ص 73.

(5) العزاوي، جـ1، ص 299 عن عنوان المجد.

(6) انظر الجزء الأول، ص 237.

لإدراكهم، أنه لن يكون بمقدورهم وعلى المدى الدائم، الاستمرار في التصدي لكل من الأتراك وشمّر وجربا في آن معاً.

لم يكن بمقدور الضفير القيام بهذا المشروع المغامر بعد الضعف الذي لحق بها نتيجة صراعها على مدى خمسين عاماً مع الوهابيين، لولا التحاقها خلال ذلك بقبيلة الفضول التي أضعفها الوهابيون أيضاً[1].

رتب الضفير أوضاعهم في منطقتهم الجديدة، والتي تشكل منطقة الحجرة قاعدتها. ولما كانوا محاصرين بين المنتفق، أقوى قبائل العراق الأسفل، وشمّر في الجبل، فقد اضطروا مرغمين، لإقامة علاقات صداقة مع القبيلتين.

دخل البطون (أ)، في علاقات قريبة مع مجموعة المنتفق من بني مالك، أما الصمدة (ب)، فمع مجموعة الأجود، وكذلك في الوقت نفسه مع شمّر[2]. وُلّد هذا بالضرورة علاقة عداوة مع عنزة، جيرانهم في الشمال الغربي[3]، وكان للضفير علاقات طيبة أيضاً مع زعماء القبيلتين، آل الرشيد، وآل السعدون[4]. وإبان حكم محمد بن الرشيد (1869 ـ 1897م) كان بعض قبائلها تدفع الضريبة إلى حائل، ولاحقاً زاد ثقل نفوذ آل السعدون، وقد خاضت غمار معركة طروفية ـ صريف، مع سعدون السعدون ضد عبد العزيز بن الرشيد.

لكن هذه العلاقة تغيرت بشكل مفاجئ. فقد كانت القبائل المقيمة على

---

(1) عجمي السعدون، 1929، قارن شمال نجد ص 169. تشير الحكاية الواردة لدى لانديبرغ (لغة بدو عنزة) ص 17 وما بعدها، إلى علاقة قديمة مع شمّر.

(2) انظر موزيل، العادات والتقاليد عند بدو الرولة، ص 574 وما بعدها (بداية القرن التاسع عشر، هوبر، جورنال، ص 174 وما بعدها (1876)، بدو الرولة ص 619 (1905).

(3) مثال ذلك في مقال الخزاعل في فصل العراق. كانت السعدون تورد للضفير الحبوب والتمر والملابس، خورشيد، ص 67.

(4) محمد البسام، آب 1913م، أخبار الصحافة البغدادية التي جمعها مارتن هارتمان، عن لغة العرب في عالم الإسلام، رقم 2، ص 33 ـ 47 لباسم، لا تعطي سوى فكرة مشوشة عن الأحداث.

الفرات فيما بين السماوة والناصرية، والتي كانت تخضع سابقاً للسعدون، تسعى ومنذ زمن طويل، للتخلص من هذا النير. وحدثت في الأشهر الأولى من سنة (1911م)، اضطرابات جديدة، تمّ خلالها إلقاء القبض على شيخهم سعدون من قبل الأتراك الذي توفي في نهاية تلك السنة، الأمر الذي شجع الشيخ الطموح لضفير، حمود السويط، على القطيعة مع أصدقائه القدامى، فأقدم على نهب مواشي عجمي ابن السعدون، وعندما شعر عجمي بالتهديد من قبل قبائل الفرات والضفير، وهو لا سند له ضمن عائلته، توجه إلى حائل طلباً للدعم والمساندة من ابن الرشيد. إثر ذلك أعلن الحاكم زامل السبهان عن استعداده للمجيء إليه، ولكن فقط لغرض التوسط لتحقيق السلام. وفي ربيع عام 1912م انطلق مع الأمير الشاب سعود بن الرشيد. ولكن رفض حمود السويط، الذي كان تولى أثناء ذلك قيادة المتمردين، رفض أية مفاوضات من هذا القبيل. ولما كان ابن الرشيد لا يملك سوى قوات صغيرة، قرر عجمي السعدون البحث عن حلفاء جدد. وعاد ابن الرشيد، لكنه أجبر على خوض الحرب، بالقرب من الخميسية من قبل قوات حمود والثائرين، وتمكن من إيقاع الهزيمة بهم. لكن شيخ الضفير ظل، رغماً عن هزيمته، على موقفه المعادي لعجمي. وقد ساعدته الخلافات العائلية المستشرية فيما بين السعدون، على القيام بلعبته تلك، حيث انحاز إليه اثنان من أبناء عمومته. ومع نهاية سنة (1912م)، وبداية سنة (1913م)، حقق التحالف الجديد، نصراً في وادي الحنيقة «الحنيكة»، إلا أن بعض الظروف التي ذكرناها في الفصل الأول عن المنتفق، مكنت عجمي من أن يصبح الرجل الأول داخل عائلته وقبيلته. وتوقفت الحرب بين السعدون والسويط.

انعكست الخصومة فيما بين الشيخين في الحرب العالمية، فبينما وضع العجمي نفسه تحت تصرف الأتراك، فإن حموداً استنكف بحذر. وبعد أن حقق الإنكليز النجاحات الأولى، وقف حمود علناً إلى جانبهم، في ربيع 1915م، والتحق به جزء صغير فقط من القبيلة، وبالتحديد، البطون، بينما أيدت الصمدة، عجمي والأتراك. بعد ذلك تولى حمود مهمة حماية خط القطار الذي مده الإنكليز

فيما بين البصرة والناصرية. وفي وقت لاحق احتل رجاله جزءاً من الممر الذي كان الإنكليز يريدون فيه منع وصول الإمداد إلى شمّر والأتراك[1].

برزت الخلافات بعد قرارات مؤتمر السلام، وتأسيس مملكة العراق، فيما بين الدولة الجديدة ونجد حول تبعية الضفير، وقد حدثت احتكاكات بعد الحرب مباشرة بين الإخوان والضفير. وتوتر الجو لأن حمود بن سويط قد جرح كبرياؤه، بسبب تعيين رجل من سعدون قائداً لجندرمة الجمّالة العراقية، وذهب سنة (1922م)، إلى الرياض، وعاد برفقة عميل وهابي. انقسمت الضفير إلى قسمين، الأول يؤيد الوهابيين، والثاني يعارضهم، ويتكون الثاني من الصمدة بقيادة لزام أبو ذراع حيث حدثت، نتيجة لذلك، اعتداءات جديدة من الإخوان[2].

لهذا شكلت مسألة جنسية الضفير مادة في اتفاق المحمرة (مايس 1922م)، والذي تم بموجبه تحديد الحدود فيما بين نجد والعراق، فقد اعتبر الضفير مواطنين عراقيين، بينما أعلن جزء من منطقتهم في طوال الضفير، منطقة محايدة[3].

وظلت حرية العبور إلى آبارهم ومراعيهم المعهودة حتى خارج الحدود متاحة لهم، ولكن أنصار الوهابيين من الضفير، استقروا في نجد وشكلت هجر الشعبية مركزهم الرئيسي[4].

تحددت منطقة تجوال الضفير، بشكل تقريبي، بالخط الممتد من السماوة، الزبير وحفر الباطن ـ والشبتسة[5] ثم السماوة. وكانوا ينتقلون في فصل الربيع إلى الحجرة، فيما عدا ذلك كانوا يخيمون في السهول الشمالية. أما القواسم (ب2)،

(1) محمد البسام، قارن مع كتاب الجيب (هاندبوك) جـ1 ص 82، فليبي جـ1، ص 238.

(2) الريحاني، تاريخ نجد، ص 275 ـ 277.

(3) تم الاعتراف بها من قبل آل سعود وفق بروتوكول عجير «عقير» في نهاية عام 1922م.

(4) أم القرىٰ، رقم 208، 18/ 12/ 1928م.

(5) كانوا سابقاً يذهبون إلى مدىٰ أبعد باتجاه الغرب حتى سكاكة في الجوف، جورماني، ص 194.

فيعبرون الفرات صيفاً ويخيمون في الجزيرة أحياناً. كانت مجموعتا الضفير: البطون، والصمدة، تقفان، كما لاحظنا، بشكل متضاد لبعضهما البعض. ضمن (البطون) الذي يعني ببساطة العشائر، هناك بني حسين المستقلون نسبياً. منهم يدعون أنهم أشراف، يبدو أن لهم الحق في ذلك، وذلك لوجود فرع من قبائل الحسينيين الرحل في المدينة خلال العصور الوسطى[1].

يكتنف أصل كل من عائلتي الشيوخ ابن سويط وأبو ذراع (جد الذرعان)، غموض غريب، فيقال إن ابن سويط من الصلبّة (صليب، الباريا) وأن أبا ذراع من نسل العبيد. وتوجد قصائد يُعيّر فيها المعنيون بعضهم البعض بهذا الأصل، في حين يدّعي كل طرف أنه من الأشراف ومن قحطان. ومع الإقرار، بأن اتهاماً كهذا بالنسبة للسويط، هذه الأسرة المرموقة القديمة، يبدو أمراً غير معقول، وكذلك الحال مع الذرعان[2].

---

(1) إلا إذا كان القلقشندي، ص 97 يقصد بذلك حسينيّ المدينة أنفسهم. قارن الجزء الأول، ص 434[*] وما بعدها. يظهر بنو حسين كأحفاد للنبي محمد عند شبرنغر رقم 78.

(*) الجزء الأول الألماني يتألف من 387 صفحة فقط. من هنا أعتقد أن هناك خطأً مطبعياً، يوجد بنو حسين في الجزء الأول ص271 ألماني وفي الترجمة العربية 401. (م. شبر).

(2) قصيدة (أبا ذراع) توجد لدى العزاوي[**] جـ1، ص 171، 302، 304.

(**) مقطع من القصيدة:

عـاشـت يـمـيـنـك يـولـد	شـوابـعـك جـتـنـا مـن بـعـيـد
هـذي مـراكـيـض الـولـد	مـا يـضـرب إلا بـالـوريـد
يـابـا الـخـلـد ذرب جـوابـك	يـا شـيـن مـا حـنـا عـبـيـد

وقد قيلت عندما اتهمه السويطي بأنه عبد. (ماجد شبّر).

الضفيـر(1)

جدعان بن سويط(2)

عجمي بن سويط(3)

الحجرة ـ السماوة ـ الزبير

عدد الخيام : 3200

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أ ـ البطون	حنتوش بن سويط		
1 ـ البويت(3)	هزاع بن سويط		25
2 ـ آل سعيد(4)	عبد الرزاق بن حلاف(5)		300
3 ـ بني حسين(6)	مسعود بن مرشد(7)		
أ ـ العمور(8)	ابن نومان		250
ب ـ الرزقة			200
4 ـ بني خالد(9)	عبد الله بن منديل(10)		
أ ـ الخوالد			200
ب ـ الفضول(11)			100
5 ـ آل كثير(12)	ابن جريد		70
6 ـ الطلوح(13)	جزاع الخشم		50
7 ـ عدوان(14)			
8 ـ السويط(15)	ابن سويط		
أ ـ السلطان			75
ب ـ الضويحي	حمدان بن ضويحي(16)		50
ب ـ الصمده(17)	لزام أبا ذراع(18)		
1 ـ آل عريف(4)	نحيطر العصلب(19)		300

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
2 ـ القواسم(20)	محمد بن عفيصان(21)		400
3 ـ النفيسان			
4 ـ المعاليم(22)	طميش البريكي		100
5 ـ المسامير(23)	محمد بن عفيصان		100
6 ـ آل عسكر(24)	محمد بن قحيطان		50
7 ـ العلجانات	محمد الحقيش		50
8 ـ الذرعان	لزام أبا ذراع		
أ ـ الوسامة			100
ب ـ المحمرة(25)			50
جـ ـ الجمعان			50
د ـ الروابع			50
هـ ـ المعاديل(26)			50

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1915م (المرجع : غطيط الذرعاني)، 1925م (عصيمي باشا) 1929م (عجمي السعدون). أقدم قائمة للقبيلة موجودة لدى روسو (رحلة إلى بغداد وحلب (1808م، ص 65. تتضمن فروع القبائل أ2، 6، ب1، 3، 6، 8، 8هـ. وكذلك عائلات شيوخ أ2، 8ب، ب7. ويذكر جرماني (1864م) ص 194، أ2، ب1، 4، 5، 8. وهناك قوائم تفصيلية توجد في كتاب الجيب I، 83 موزيل، شمال نجد، ص169، العزاوي I، ص 301 ـ 303 عبد الجبار الراوي ص 90 وما بعدها. تتطابق المعلومات حول حجم القبيلة، بصورة جيدة مع جدولنا (2620 خيمة): خورشيد، 66: 3000 محارب، كتاب الجيب: 3000 محارب. موزيل: 3500 خيمة.

2 ـ تنقسم عائلة الشيوخ إلى ثلاثة خطوط: أ8أ، ب، 1. من أفراد العائلة القدماء: فيصل بن شيل (العزاوي) سلامة بن مرشد 1108هـ/ 1696م (قارن صفحة 54 أعلاه) راشد بن فهد بن عبد اللّه السليمان (1220هـ/ 1806م) قارن صفحة 55 أعلاه). سلطان الذي عاصر الدريعي بن شعلان (بداية القرن التاسع عشر، موزيل، الرولة، ص 574 وما بعدها. الجزء الأول 188 الملاحظة (3)، سلطان (1864 جرماني). حفيده حمود بن نايف بن سلطان معروف لدينا من خلال النص. في عام 1928 كان **عجمي** بن حمود زعيم هجر الشعيبة. (مبارك بن سويط، فيلبي، الجزيرة العربية، ص 222، مدين بوجوده لعبارة للريحاني مصاغة بأسلوب سيّىء ص 179، 4). صيحة الحرب: خيال الجروة (القروا/ القرواء)، في صيحة الحرب ابن سويط/ صوطة (!) تعود إلى قطيع مشهور من النوق، وفي الأصل إلى الناقة الأم.

3 ـ آل عفنان. حول اسم البويت قارن مع فيلبي I، ص 250، حيث إن شيخ عفنان يحمل لقب راعي البويت سيد الخيمة الصغيرة . هذه الخيمة هي ملجأ لكنها تستخدم أيضاً لاستقبال الضيوف (غ. رنتس، 79). زعيم البويت هو نوعٌ من قاضي الاستئناف لقبائل الجزيرة (العزاوي). هزاع هو نائب زعيم هجر الشعيبة.

4 ـ قحطان؟

5 ـ إلى جانبه عائلة شيوخ المديهيم، التي تم ذكرها في الروضة I في صفر 1178/ 1764.

6 ـ صيحة الحرب: أولاد حسن!

7 ـ الآن: خلف بن مرشد وكما كان في عام 1925 عبد العزيز الجعيب، 1915: خلف الجعيب.

8 ـ الفضول، انظر الجزء الأول 498 وما بعدها.

9 ـ أحد تفرعات بني خالد في شرق الجزيرة العربية، وكانت سابقاً مع الفضول.

10 ـ 1915م: بن منديل.

11 ـ راجع الفصل بعنوان «قبائل مستقرة».

12 ـ تلفظ: تسيطير! انظر الجزء الأول 268، 269.

13 ـ عنزة؟

14 ـ قائمة شبرنغر رقم 87، تذكرهم بصورة مستقلة قارن بوركهاردت ص338.

15 ـ القبائل الصغيرة، المزعل، الحولة، البطاح، تعتمد على السويط. في كتاب الجيب والعزاوي ترد أيضاً الرسمي = الرسيمة عند عبد الجبار.

16 ـ نائب زعيم هجر الشعيبة.

17 ـ صيحة الحرب: أخوة سلمة.

18 ـ (دهام أبو ذراع) سقط في عام 1781م قرب امبايض في السدير، الروضة II، تحت عام 1195هـ.

19 ـ 1015: فدعوس العصلب.

20 ـ انظر أعلاه، صفحة 93، سبيع، صيحة الحرب: خيال الصبحة، طمّاح!.

21 ـ ابن عفيصان سقط 1795م، انظر ص 93 أعلاه.

22 ـ تميم.

23 ـ عنزة؟

24 ـ الروضة II، ورد ذكره تحت عام 1173هـ/ 1760م.

25 ـ قتل جدهم عام 1184هـ/ 1769م في معركة ضدالوهابيين. عنوان، 40 = منجن II، ص 471.

26 ـ الروضة II تحت عام 1211هـ/ 1796م ـ 1797م، وروسو: معادين. الآن مع القواسم ب2.

حرب

قبيلة حرب قبيلة حجازية قديمة. أما في نجد فهي حديثة العهد وكانت حتى وقت قريب تعيش هنا حياة بدوية محضة.

أسهم انسحاب عنزة (الرولة والعمارات) من منطقة وادي الرمة في إتاحة الفرصة لحرب للهجرة إلى هنا، لكن هذه الهجرة لم تحدث على نطاق واسع إلا خلال فترة الحروب الوهابية. رافقت القبيلة الجيش المصري ـ التركي أثناء تقدمه من المدينة إلى القصيم خلال عامي 1815 ـ 1816م[1]، وظلت هناك، وتزايد عدد أفرادها إثر موجات جديدة من الهجرة، وبعد رحيل القوات الأجنبية (1840 ـ 1841م)، تمتعوا بالحرية لأمد قصير، إلا أنهم سرعان ما عادوا في عهد فيصل بن تركي (1843 ـ 1865م) إلى التبعية السعودية[2]. ثم أخضعوا في بداية السبعينيات من قبل محمد بن الرشيد، ومنذ ذلك الوقت ظلوا خاضعين لدولة شمّر، ولذلك كانوا خلال الحروب التي كانت تدور بين كل من ابن الرشيد وآل سعود عرضة لحملات النهب التي تشن عليهم من آل سعود[3]. واعتبروا بموجب معاهدة (1908م) (انظر أعلاه ص 73) من أتباع آل سعود، ثم ما لبثوا أن تحولوا بموجب سلام (1910م) إلى سيطرة آل الرشيد، واستمر الأمر كذلك حتى الحرب العالمية، حيث ظهرت بوادر انهيار دولة شمّر.

(1) انظر الجزء الأول، ص 128، 129؛ الجزء الثاني، ص 527، 533 وما بعدها.

(2) جورماني، ص 189.

(3) ريحاني، تاريخ نجد، ص 143.

شاركت القبيلة في سنة (1917م) ببناء الحاجز (السياج) الذي أراد الإنكليز به ومن خلاله منع التهريب من الكويت إلى حائل ودمشق. وقامت القبيلة بتأمين حماية الجناح الأيسر لقوات آل سعود، التي بدأت صيف 1918م هجومها على جبل شمّر، وذلك بالوقوف فيما بين وادي الرمة وسلمى. وشارك الشيخ محسن الفرم مع بني علي (3) وابن سعدة مع الوهوب (5) في الزحف الوهابي.

وانضم وقتذاك، حجاب بن نحيت زعيم بني سالم (1) للإخوان، وأقام في مستوطنة الهجرة من دخنة[1]. وحذا حذوه كثير من الشيوخ الآخرين في السنين التالية. وعندما قطع الإخوان في سنة 1929م مع عبد العزيز آل سعود، ما كان من حرب إلا أن وقفت إلى جانب الملك، لأن القائمين بالثورة من المطير وعتيبة كانوا أعداء قديمين لها[2].

وكما رأينا، فقد وجدت الجماعات التي كانت معروفة في الحجاز مثل بني سالم (هناك أ)، وبني عمرو (ب 2) في نجد من جديد، إلا أن هناك تحولاً في حياتها، فبينما كانت تعيش حياة معزولة في قراها السابقة أضعفت تماسكها القبلي، نجدها هنا في نجد، قد أعادتها حياة البداوة إلى طبيعتها القبلية الأصلية. وأما بنو عمرو فقد انضمت لهم بعض القبائل التي تقربهم لضمان الحفاظ على الاستقلال ولأنها كانت ضعيفة جداً في نجد (2 ي،م). ويبدو أن بعض من بني سالم (أ ـ د) كانوا ينتقلون فيما بين الحجاز ونجد.

يمضي بني سالم فصل الشتاء في ثرب وطلال، على مسيرة يومين جنوب وجنوب شرق الحناكية، ويرتحلون في الربيع إلى السفح الجنوبي للجبل إلى المستجدة وسليمى وسميرا، حيث كانوا في السابق يدفعون ضرائب لابن رشد، ومن هناك يتابعون الارتحال حتى حدود القصيم.

---

(1) فيلبي، جـ1 ص 258، جـ3، 227، 236، 297، 315.

(2) أم القرىٰ رقم 249. بالنسبة للعداوة بين القبائل انظر جورماني، ص 188، هوبر، جورنال ص 610.

أما بني عمرو، فقد كانوا يستقرون في الشتاء في المنطقة الواقعة جنوب وادي الرمة، في العريق والمشيشت (سراة) نجد، وحتى وادي النسا شرقاً[1]. وكانت الحدود الجنوبية لحرب في سنة (1900م) تتقاطع مع وادي جرير والمياه على مسافة قريبة فوق نقطة التقائهما. ثم تنعطف بعد العريق شرقاً وشمالاً وصولاً إلى المذنب جنوب القصيم. وكان يجاورهم حتى العريض بني عبد اللّه من المطير، وبعد ذلك العتيبة.

من الطبيعي أن حدوداً كهذه، شأنها شأن جميع الحدود القبلية الأخرى، إلا تعبر لا بشكل تقريبي عن الحقوق التي يدعيها كل طرف (في هذه الحالة العتيبة) لنفسه. أما في الواقع فكان بني عمرو يتجاوزون هذه الحدود بعيداً نحو الجنوب[2]. هناك أيضاً بضع هجرات لبني عمرو (أوضاخ، شبيتسية، والصمعورية) في منطقة العتيبة.

تقدم كل من بني علي وأتباعهم الفردة والوهوب بعيداً نحو الشرق، وكانت منطقتهم تقع فيما بين القصيم الشمالي والدهنا. وكانوا قبل ذلك يذهبون في الربيع باتجاه جبل شمّر حتى السليمي، ثم يتجمّعون في الفوارة لتسليم الضريبة المفروضة من الجمال.

في بداية الثلاثينيات هاجرت مجموعات كبيرة من حرب إلى العراق (العبّيد عين التمر)[*]، إلا أنها ما لبثت أن عادت من حيث أتت بعد عدة سنوات[3].

---

(1) عن طريق الاستفسار من القاهرة عام 1900، قارن أيضاً دوتي جـ 2 ص 235، 282، 299، 300. هوبر، جورنال ص 601، 603، 763، فيلبي جـ3، ص 307، 315، 394، خريطة هيس، سراة نجد، 1910.

(2) جميع ما ورد في تقرير هيس من مستوطنات بني عمرو: البقيعة، العيبل، جلوة، مستسة، القاعية، تقع جنوب الحدود وبعضها بعيداً جداً جنوب الحدود.

(*) هناك اختلاف بين النص الألماني والنص الأصلي لعباس العزاوي. وهو كما يلي: «هذه القبيلة أصل موطنها الحجاز ونجد، وفي الأيام الأخيرة بسبب واقعة آل سعود في الحجاز مال قسم منها إلى العراق، فصارت تسكن الشامية قرب الأخيضر بين الأبيّض في أنحاء الحجرة وبين عين التمر. وغالب الفرق متوزعة في القسمين، كما أن الرؤساء منهم في العراق، ومنهم من الحجاز. العزاوي، عشائر العراق، الجزء الأول، ص 305. (م. شبّر).

(3) العزاوي، جـ1، ص 305.

كان قسم من حرب قد أصبح مستقراً قبل تأسيس مستوطنات الإخوان، وكانوا يقيمون في المريجسية شمال غرب البريدة، وفي العونيد أسفل الطويق في منطقة المحمل البعيدة[1].

حــــرب(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ بني سالم(2)	حجاب بن نحيت(3)	صيفاً: سميرا ـ القصيم شتاءً: ترب ـ طلال	1500
أ ـ آل مسعود			
ب ـ العريمات(4)	ابن بنيان		150
جـ ـ الحصنان(5)	عواد الحصني		150
د ـ الحناينة			
هـ ـ الجملة(6)			200
و ـ الزغبيات	عبيد الزغبي		150
ز ـ ولد سليم(7)	عيسى بن ناقي		200
حـ ـ النواحل	حجر بن ناحل(8)		100
ط ـ المضيان	ابن مضيان(9)		250
ي ـ المريخان	ابن مريخان		200
2 ـ بني عمرو(10)	هندي بن ناهك الذويبي(11)	صيفاً: أبو مغير: المطيري شتاءً: العريق ـ وادي النسا	1500
أ ـ الذوبة	هندي الذويبي		200

(1) فيلبي جـ3، ص 81، 229.

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
ب ـ الطرسان	درع بن طريس		200
جـ ـ البيضان	محسن بن غميض(12)		100
د ـ الشطرة	حديد الشطير		100
هـ ـ الشعب(13)			
و ـ الغربان(14)	ناصر الغرابي		
ز ـ الفندة	ابن بتلا		100
حـ ـ الصلاح	مغيران بن جديع		150
ط ـ الاشدا	جزا أبا الشيوخ		150
ي ـ الذكريين(15)	شديد الذكري		200
ك ـ الربقة	جزا بن ربيق(16)		
ل ـ الفيادين			
م ـ مخلف(17)	ابن مطلق(18)		200
3 ـ بني علي(19)	محسن الفرم(20)	القصيم ـ الدهنا	600
أ ـ الكراشيف(21)	محسن الفرم		
ب ـ الكلحة	عاصم بن جويعد		
جـ ـ ولد مريد	خلف بن شريان		
د ـ البدارين(22)			
هـ ـ القرون	سليطان القرن		
4 ـ الفردة(23)	ذعار بن حماد(24)		500
أ ـ الحماد	ذعار بن حماد	مثل بني علي	
ب ـ الهدبان	حثول بن هديب(25)		

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
جـ ـ الفريد	صالح الفريد		
د ـ النومان	محمد النومان		
هـ ـ الدواميك	حمد بن داموك		
و ـ الخليفة	نايف بن نومان		
5 ـ الوهوب(26)	ذعار بن سعدة(27)	مثل بني علي	400
أ ـ المضيخ	ذعار بن سعدة		
ب ـ العويض	نقا المهرول		
جـ ـ الخلصة	زهيان بن صوران		
د ـ الشراثين	دايس بن شريثان		

ملاحظات حول الجدول

1 ـ وفقاً لاستقصاءات تعود إلى عام 1900 (القاهرة) 1925، 1929م (دمشق). من المراجع الأخرى نذكر فقط أيوب صبري III، ص 325 (بني سالم، الذويبي، الفرم، بني نخيض، حوالى 14000 شخص)، فيلبي III، ص 393 وما بعدها. العزاوي ج I، ص 306 وما بعدها. وبالنسبة للشيخين الجديدين في الملاحظة II، و25 نذكر، عبد الجبار الراوي ص 188. استند العزاوي بتقسيم فردة (4) والوهوب (5) على ما يبدو على فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب (قارن ملاحظته ص 310) التي استند إليها فيلبي بدوره. وهنا قام عزاوي بتصحيح بعض الكتابات غير الصحيحة الواردة لدى فؤاد حمزة ومما يؤسف له أن بياناته الشخصية قد تضررت بسبب الأخطاء المطبعية. يبدو مجموع عدد الخيم في الجدول وهو 4500 رقماً كبيراً جداً فقد قدَّره محمد البسام في عام 1915 بـ3000 فقط. الحروف والأرقام الواردة بين قوسين تعود إلى الجدول الخاص بحرب الحجاز الجزء الثاني، ص 543 وما بعدها.

2 ـ تتبع أ، ب، جـ المزينة آ II 4، وتتبع د إلى قبيلة تحمل نفس الاسم آ II 3 شرق المدينة. «الجزء الثاني ص543 و544».

3 ـ ابن نحيت (شيخ المسعود) لدى هوبر، جورنال ص 618/ الوسم ┼ (العرقاي) أكبر من صليب ابن الرشيد.

4 ـ العزاوي: العريمان ـ مربي أغنام. دوتي II، ص 308. عالم الإسلام II، ص 57 تم ذكره خطأ كمؤسس الأرطاوية.

5 ـ العزاوي: الحضنان.

6 ـ ورد لدى بوركهاردت ص 334.

7 ـ مرآة الحرمين II، ص 103: السليمي.

8 ـ تمّ ذكره لدى فيلبي كشيخ أكبر ثان لبني سالم. ابن ناحل عائلة شيوخ حديثة. مؤسسها خلف بن ناحل، أصبح غنياً من خلال تجارة الجمال والبذور ثم اكتسب من خلال علاقته بابن الرشيد نفوذاً سياسياً. دوتي II، ص 274، 276، 282، 284، 288 وما بعدها.

9 ـ حول هذه العائلة القديمة من عائلات الشيوخ. انظر الجزء الثاني ص 376 وما بعدها. جورماني ص 189، والريحاني. . تاريخ نجد ص 71.

10 ـ أ ، ب تنتسب للعطور (ب II 2) «الجزء الثاني ص545». لم يرد في الجدول ذكر الخضران الذين ذكروا عامي 1900م و1925م لأنهم على ما يبدو لا يخيمون في نجد.

11 ـ الآن: فيحان الضويبي. 1925م مقحم «مجحم» بن الضويبي. والد هندي ناهت، وتكتب غالباً ناهس سقط أثناء القتال ضد المطير في عام 1918م. فيلبي III، ص 394. العائلة قديمة. قارن بوركهاردت ص 331. المقصود الديبة الواردة في قائمة شبرنغر رقم 57.

12 ـ فيلبي: نعمة بن مشدّق.

13 ـ لدى أيوب صبري أيضاً III، ص 279.

14 ـ سبق ذكرها لدى بوركهاردت ص 330. العزاوي يضعها مع بني سالم أما فيلبي فمثلنا.

15 ـ تنتمي إلى العوف (ب I) «الجزء الثاني ص544»، قارن، دوتي II، ص282.

16 ـ 1900: حمد بن سعد بن ربيق (ربيق). الجزء الثاني 435. تم في كتاب الجيب ذكر (الربقة) في فرع الحجاز.

17ـ صحيح أنهم من المسروح (ب، ج2) «الجزء الثاني ص544» لكنهم ليسوا من بني عمرو.

18 ـ العزاوي: ابن مطلح.

19 ـ تم استكمالها وفق فيلبي.

20 ـ ابن حنيتان. صيحة الحرب: أخو حسنا! ورد ذكر الفرم لأول مرة في قائمة شبرنغر رقم 57.

21 ـ فيليي: الخراشيف. تمّ في العربية الفصحى تبديل كلا الجذرين!

22 ـ أيوب صبري III، ص 279، هوبر، جورنال ص 618، وكتاب الجيب هاندبوك. يضمهم العزاوي لبني عمرو. الشيخ حسب هوبر: ابن راجح. الوسم ═ فوق الركبة.

23 ـ حسب برتون، صورة الحج II، ص 120، عوف ب I ـ الوسم: △ (مشعاب) إما على الرقبة الجهة اليمنى أو على الفخذ الأيمن. هوبر المصدر السابق، التقسيم حسب فيلبي (العزاوي).

24 ـ من ابن حماد يدعى ضيف الله، هوبر ص 613.

25 ـ الآن: ضيف الله بن هديب. تنتسب إليها عائلة شيوخ السبعة التي تحمل نفس الاسم، انظر الجزء الأول ص 153، 154.

26 ـ وردت لدى بوركهاردت ص 330، شرق المدينة. تنسب في كتاب

الجيب هاندبوك إلى بني عمرو. التقسيم حسب فيلبي (العزاوي).

27 ـ ابن سعدة يدعى ناصر، هوبر ص 603. الوسم: ∩ على الخد الأيمن و ⊂ فوق الركبة اليمنى.

حول الملاحظة رقم 22 لقائمة حرب في الحجاز: الردادة أو الرداددة وجدت في هذه الأثناء بين ملاحظاتنا لعام 1925م. كذلك سيهيلي وردت عند دوتي كبني شيل (مسروح ب) «الجزء الثاني ص544».

جدول هجر حرب(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ الفوارة	حجاب بن نحيت	ضيف الله بن نحيت
		زيد بن نحيت
2 ـ البقيعا	دويّخ البشري(3)	سميّح البشري(2)
3 ـ الخشيبي	عبيد الزغيبي	عبد الله الزغيبي
		غانم الزعيبي
4 ـ القرين؟	عبد المنعم بن ناجي	عبد الله بن ناجي
		صلاح بن ناجي
5 ـ الكحيلة	نايف بن ناحل	شاكر بن صلف
6 ـ البرود	نايف بن مضيّان	فيحان بن مضيان
7 ـ الذيبية	شاهر بن مريخان	ناصر بن مريخان
8 ـ المحلاني	رشيد بن الرشيد	
9 ـ قيطن	شديد الديري	
10 ـ النمرية	محمد بن الثواب	
11 ـ الشبيتسية	هندي الذويبي	فيحان الذويبي

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
12 ـ الداث	درع بن الطريس	
13 ـ تادز	بجاد بن غميض	متعب بن غميض
14 ـ عقلة الصقور	الشطير	
15 ـ الدخنة	عايد البهيمة	ذعار بن بتله
		بدر المشدّق
16 ـ الدليمية	ابن جديع	دعيج بن جدع
17 ـ الصمعورية	سعدي الدستري	
18 ـ أبو مغير	سعد بن ربيق	
19 ـ البعايت	رياح بن مطلق	مخيمر بن مطلق
20 ـ الجرذاوية	عقاب بن خريص	
21 ـ البقيعة	سعد بن غليفيس(6)	
22 ـ الإجبا	عبد المحسن الفرم(7)	
23 ـ الخصيبة	ذعار بن حماد	سلطان بن حماد
24 ـ الجوارة (القوارة)	علي بن هديب	فالح بن هديب
25 ـ ضيدة	حثول بن هديب	
26 ـ البدع	جاوان	
27 ـ الفيضا	عقيل الزهيري	حمود الزهيري

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب أم القُرى رقم 208، 18/ 12/ 1928م بالإضافة إلى تعديلات من قبل ابن عم محمد البسام في عام 1929م الذي أضاف الأرقام 10، 12، 14، 18، 21، 22. تمّ ترتيب المستوطنات حسب الفروع الأربعة (يبدو أن الوهوب، الفرع

الخامس، لم يكن يملك مستوطنات) وضمنها وفق الجدول كما تم تذييل المواقع غير المعروفة بإشارة استفهام. .

تتطابق مواقع المستوطنات مع مناطق التجول. تبدأ هجرات بني سالم، محلاني (8) قيطن (9) فوارة (1) ذيبية (7) من الجنوب الشرقي لسميرة وتمتد إلى القصيم. والنمرية (10) بين البريدة وعنزة تتبع القبيلة نفسها. وتقع مستوطنات بني عمرو: عقلة الصقور (14) وداث (12) والدخنة (15) مقابل مستوطنات بني سالم خلف وادي الرمة في سراة نجد وتقع الشبتسية (11) جنوب داث. لهذا تتبع لها أيضاً الجرذاوية (20) بين (14) و(11). وتوجد الصمعورية (17) شرق شعبا وأبو مغير شمال شرق الحناكية في المنطقة الصيفية للقبيلة. فقط ثادق والدليمية (شرق الظيبية) تقعان شمال وادي الرمّة. يمكن أن يكون المقصود بالبقيعة (21) نبع المياه الموجود في سراة نجد. وتقع اجبا (22) هجرة بني علي، جنوب شرق الثعلبية، مستوطنة الفرود: قوارة وضيدة في القصيم الشمالي وفي (أسياح) حيث ينتهي وادي الرمة في الرمال. وتتبع بدع، بالقرب من ثعلبية، إما بني علي أو الوهوب. أما الفيضة فتقع في السر.

2 ـ تعتبر البشري إحدى عائلات شيوخ بني سالم المشهورة التي لم يمكن إيرادها في الجدول. انظر أيضاً هس، من البدو 44.

3 ـ أم القُرى: مشعان الديري.

4 ـ أم القُرى: طعيميس(*).

5 ـ في متن النص: دعيع(*).

6 ـ يذكر العزاوي رباح بن خليفيس كأحد شيوخ قبيلة (البدين؟).

7 ـ التحسين الوهابي لمحسن.

(*) لم تظهر أرقام الهوامش 4، 5 في جدول هجر حرب لذا أنبه القارئ الكريم. (ماجد شبّر).

مطير

تنتشر قبيلة المطير[1]، جوار قبيلة حرب، فيما بين السر وحتى الكويت. وهم أيضاً كانوا في الأصل في الغرب وجاؤوا إلى المنطقة الحالية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، لا تتوافر معلومات أكيدة حول أصل المطير[2]، يقع موطنهم على الطريق الشرقية من المدينة إلى مكة وفي الحرّتين الكبيرتين الكشيب وبني عبدالله اللتين تحمل إحداهما بنو عبد الله اسم أحد بطون القبيلة[3]. وهناك شواهد على وجود القبيلة في هذه المنطقة منذ بداية القرن الرابع عشر الميلادي[4].

خضعت هذه القبيلة لسيطرة الشريف الأكبر، وذلك منذ العام (1500م)[5]،

---

(1) تلفظ المطير وجمعها مطيران ومفردها مطيري.

(2) ينسب الأمير شكيب ارسلان المواهة وذوي عون إلى جنوب الجزيرة العربية، والجبلان من دارم (تميم) والسعران والمريخات من ربيعة والعبيات من سبيع والبرزان من السهول. لاحظ بالنسبة لهذه الافخاذ، الملاحظات على الجدول 5، 7، 10.

(3) دوتي جـ 2، ص 366، هوبر، جورنال ص 672.

(4) صبح 4، ص 209 (النص: مطين): من بين أشراف المدينة وبالتحديد منهم عدوان، يتبعون أمراء المرا «المرة» (الجزء الأول، ص 504 وما بعدها)، الذين كانوا يذهبون أحياناً في الشتاء حتى حرة كشب (النص: كشت) تجدر الإشارة إلى أن الحمداني ص 125. يذكر آل مطير في واحة ترج غربي بيشه.

(5) سنوك هوجرانيه، مكة. جـ1، ص 102.

وظلت كذلك حتى أواسط القرن التاسع عشر. حاولت القبيلة عدة مرات مغادرة أرضها القاحلة نحو مناطق أكثر خصباً، نحو الجنوب الشرقي أولاً، حيث وصلت إلى منطقة الحمراء على طريق الحج بين الرياض ـ مكة، تقاسمت المعيشة هنا مع كل من سبيع والسهول، إلاً أنها لم تتمكن من الاستمرار بالعيش طويلاً، كما هو شأنهم[1]، فحاولت الارتحال مجدداً نحو الشمال الشرقي، حيث كانت أوفر حظاً من ذي قبل، فاتجهت بعد الاتفاق مع شمّر، إلى الجانب الجنوبي للجبل. وهناك اصطدمت لأول مرة مع الوهابيين في سنة (1779م).

توالت الاعتداءات الوهابية عليهم منذ الثمانينيات[2]، لذا كان لا بد من الانضمام للقوات التي كان يقودها الشريف الأكبر غالب وأخوه، إبان السنوات (1790 ـ 1791م)، نحو وسط الجزيرة، تماماً كما هي حال حرب وشمّر. ومع هذا، فقد تعرضوا مجدداً لاعتداء إحدى السرايا الوهابية التي كان يقودها قائد الجيش الوهابي الأمير سعود، إلاً أنهم تخلصوا منها بسلام. وعندما تخلّى غالب عن حملته ألحق الوهابيون بهم وبشمر الهزيمة قرب عدوة (الجزء الأول، 220 وما بعدها) وفي عام 1792م هاجم الأمير سعود، المطير وحرب من جديد، في أقصى الشمال، على موقع مياه الشقرا بالقرب من الحناكية. وبما أن المطير تعرضت في الوقت نفسه، لهجوم من الجنوب، قاده ضدها، شيخ قحطان، هادي بن قرملة، أحد الأنصار المتحمسين للوهابيين[3]، فقد اضطرت إلى الخضوع للسلطة الوهابية.

دانت المطير للديبلوماسية المصرية ـ التركية، مثل حرب وغيرها من القبائل، فرافق مقاتلوها في سنة (1815م)، طوسون بن محمد علي باشا، قائد الجيش

(1) فيلبي جـ1، ص 147.

(2) 1779م عند عروة، جنوب غرب سلمىٰ، 1783م عند المستجدة، 1790م في أرض الجريسية، جنوب شرق المدينة، الروضة، جـ 2 في 1193هـ (رجب) 1197هـ، 1204هـ.

(3) الروضة جـ 2، في 1205، 1206، منجن، جـ 2، ص 507.

المصري أثناء زحفه نحو القصيم، ولكنها تعرضت للانتقام بعد انسحاب قوات طوسون، إذ قام الإمام عبد اللّه، جزاءاً لها على انشقاقها بمهاجمة شقيق الشيخ الأكبر فيصل بن دويش، لهذا، حاول فيصل مد الجسور مع الجيش المصري مجدداً، فبدأ محادثاته مع إبراهيم باشا القائد الجديد للجيش المصري أثناء توقفه في الحناكية، لكنه لم يتمكن من اللقاء به كما هو مذكور في الصفحة 52، إلا في الرس، ورافق المصريين بعد ذلك حتى الدرعية. وسرعان ما دب الخلاف بينهما بعد سقوط المدينة، لامتناع الباشا عن إعطاء المطير ما تستحقه من مكافأة[1]. ولكن يبدو أن النزاع تمت تسويته سريعاً، وبشكل ودي، لأن فيصلاً والمطير استمرا في تقديم الدعم الكامل للأتراك ـ المصريين طوال مدة الاحتلال. إلا أن استمرار هذا الموقف الغريب عن جميع السياسة البدوية كان له سبب أكثر عمقاً وهو: أن العمارات (عنزة)، العدو اللدود للمطير، وقفوا إلى جانب الوهابيين. وهكذا نشبت حرب صغيرة في العشرينيات فيما بين المطير والعمارات، الذين انضمت إليهم في أوائل الثلاثينيات، الرولة أيضاً[2].

توسعت منطقة المطير كثيراً، جراء كل من الحكم الوهابي والاحتلال المصري، فانتشرت بطون القبيلة فيما بين حرب وعتيبة، بدءاً من طريق الحج الشرقي وصولاً للقصيم. ولما يمضِ وقت طويل، بعد انسحاب القوات المصرية، حتى اضطر فيصل آل سعود (في سنة 1846م) إلى التخلي عن الضريبة المترتبة على المطير، وذلك لصالح محمد بن عون الشريف الأكبر[3]، بحيث عادوا إلى الارتباط بمكة كما كانوا في الماضي.

في وقت لاحق أقاموا اتصالات مع عُنيزة [4] التي حصلت عام 1855م، أيضاً

---

(1) حسب منجن جـ 2، ص 151 وما بعدها. وعده إبراهيم بحكم الدرعية، وبدلاً من الوفاء بوعده، طالبه بدفع الضرائب التي بقي عبد الله مديناً بها لمدة خمس سنوات.

(2) موزيل، شمال نجد، ص 268، 271.

(3) فيلبي، بلاد العرب، ص 116 وما بعدها، قارن شمال نجد، ص 273.

(4) دوتي، جـ1، ص 609، أيضاً جـ 2، ص 331، 367 لقد ضمنت عنزة «عنيزة» الأمان لطريق تجارتها بإهداء المطير شحنة أو شحنتين من التمر سنوياً.

بسبب نفوذ الشريف الأكبر، على حريتها وتمكنت من المحافظة عليها، رغم بعض الانتكاسات في الستينيات، إلى أن رسخ ابن رشيد أقدامه في القصيم (1879م).

شاركت المطير القصيم مصيره: في سنة 1864م كان عليها دفع الضرائب لفيصل آل سعود، وفي السبعينيات كانت ترسل الهدايا إلى حايل، وفي الثمانينيات أخضعها محمد بن رشيد، في الغرب والشرق، لسلطته[1]. وبذلك انتهت أيضاً غارات النهب التي كانت تشنها مطير ضد شمر وحرب اللتان كانتا قد تحولتا، منذ انزياح منطقة الرعي الخاصة بهما، من أصدقاء إلى أعداء. وتجدر الإشارة إلى أن المطير لم تكن واثقة من رسوخ حكم ابن الرشيد. صحيح أنها قاتلت إلى جانبه في عروة (سنة 1883م)، ولكنها في مليدة (1891م)، حيث قاتلت عنيزة وبريدة ضد ابن رشيد، وقفت إلى جانب حلفائها القدامى. ولذلك ذهب شيوخ المطير أيضاً إلى بلاط الشيخ مبارك في الكويت، الذي كان يتجمع فيه منذ عام 1895م جميع خصوم ابن الرشيد، ثم شاركوا بعد ذلك في معركة طرفية ـ صريف (1901م)[2].

ولفهم حقيقة هذه الأحداث والوقائع يجب أن نعلم أن المطير كانوا منذ عشرات السنين قد تابعوا تقدمهم نحو الشرق بحيث إن منطقتهم هناك أصبحت تمتد من السر حتى ما قبل الكويت[3].

كان الشاب عبد العزيز آل سعود قد استفاد من إقامته في الكويت بأن أقام

---

(1) جورماني، ص 188، هوبر، جورنال ص 610 وما بعد، 633، 672، 700.

(2) محمد البسام، قارن شمال نجد، ص 277. أنظر ص 40 Anm1 .

(3) يعتقد دوتي بأنه على الرغم من ذلك، فإن المطير جميعاً كانوا يمضون الشتاء في الغرب. قد يكون هذا ممكناً، ولكنه بعيد الاحتمال، وهو لا ينطبق بأي حال على نهاية القرن التاسع عشر، لأن معركة مليدة حدثت في الشتاء، (الريحاني، كانون الأول 1890، موزيل، شباط 1891، فيلبي كانون الثاني) ويتبين من حكاية هيسّ، عن البدو، ص34، كم كان الاتصال صعباً بين مجموعتي مطير، إذ كان يتعين على المطير الشرقيين أن يحصلوا على موافقة العتيبة لكي يصلوا إلى إخوانهم في وادي جرير.

علاقات من عائلة ابن دويش، أهم عائلات شيوخ المطير وأكثرها نفوذاً. ولقد دعمه المطير في معركة البكيرية (1904م). ولكنهم لم يكونوا يعتبرون أنفسهم من رعاياه.

كما أن الشيخ فيصل بن دويش شارك أيضاً في لعبة الدسائس التي نجمت عن وجود الأتراك في القصيم. فتقرب في البداية من آل سعود، ثم تفاوض بعد ذلك مع الأتراك (1905م) وبعد انسحابهم مع بريدة الذي كان بدوره يتآمر مع ابن رشيد (1906م). ولم يتعلم فيصل شيئاً من الهجوم الذي شنته العتيبة، المدعومة من آل سعود، على المطير قرب المجمعة وكبدتهم فيه خسائر فادحة، بل إنه طلب المساعدة في إبريل / نيسان 1907م من حلفائه ابن رشيد وبريدة. ولكن في اليوم الذي سبق المعركة الليلية في طرفيّة تم في المساء تفريق المطير بواسطة مجموعة تابعة لآل سعود[1].

وضع صلح عام 1908م المطير تحت رحمة آل سعود، وأدى صلح عام 1910م إلى تقسيم القبيلة إلى قسمين. فحصلت حايل على حق جباية الضرائب من بني عبد الله، أي من المطير الغربيين، وحصلت الرياض على حق جباية الضرائب من علوة وبريه، أي من المطير الشرقيين. وعلى الرغم من ذلك انتقل فيصل بن دويش في بداية عام 1912م[2] إلى صف ابن رشيد. وقاتل معه قرب الخميسية ضد الضفير وبقي مع رجاله الثلاثمائة طيلة فصل الصيف في الشمال.

لم ينتقل إلى صف الوهابيين إلا في بداية الحرب العالمية. وكان ذلك نتيجة

(1) انظر المقطع المتعلق بذلك لدى فيلبي، آرابيا (بلاد العرب)، ص192 ـ 200، الذي يستند فيه إلى ريحاني لكنه يتفوق عليه جداً في فن العرض. لكن معركة طرفية لم تكن بأي حال انتصاراً لآل سعود، حسبما يزعم الريحاني وفيلبي، وإلا لما استطاع سلطان ابن رشيد الهارب الدخول إلى بريدة بعد أن أجبرته شمر على العودة (انظر العرض السابق) ـ وهذه حقيقة يتوجب على ريحاني أيضاً، 156، الاعتراف بها.

(2) وليس في نهاية العام كما يقول ريحاني، ص 183.

جهود سيّد طالب، إحدى الشخصيات البارزة في البصرة. فلكي لا يكون في موقف حرج أمام الأتراك ولا أمام الإنجليز ذهب في نوفمبر/ تشرين الأول 1914م. إلى الرياض بينما كان الإنجليز متوقفين في الفاو. وفي الطريق نجح في استمالة فيصل بن دويش إلى جانب آل سعود. ونتيجة لذلك قاتل المطير قرب جراب إلى جانبه[1]. وفي الصلح الذي عقد بعد ذلك ألحق بنو عبد الله مجدداً بحائل وصار من حق كل من الأميرين تحصيل الضرائب من علوة وبريه فور وصولهم إلى منطقته. وفي الحقيقة كان هذا الشرط يعني أن كلتا القبيلتين أصبحتا خاضعتين لآل سعود؛ إذ إن قطعانهما كانت ترعى عادة في أراضيه.

علاوة على ذلك فقد قام الإخوان، الذين انضمت إليهم أعداد كبيرة من المطير، بدمج القبيلة دمجاً كاملاً في الدولة الوهابية الجديدة. ولقد تأسست أول مستوطنة للإخوان (هجرة)، الأرطاوية (1912م)، في منطقة القبيلة، وكان معظم سكانها من المطير. وبرز إخوان المطير بشكل خاص في القتال الذي دار ضد ابن رشيد عام 1918م وعام 1921م. وكانوا على رأس المشاركين في الهجمات التي شنت باتجاه الكويت والعراق والتي استمرت حتى نهاية عام 1925.

ولكن في وقت لاحق تبين أن تطرف الإخوان وحبهم للقتال أصبح يشكل عبئاً على الدولة. ففي نهاية عام 1927م شن إخوان المطير ضد رأي الملك غزوات في الأراضي العراقية. وعندما عُزل فيصل الدويش في نهاية عام 1928م وقفت القبيلة وهجر الأرطاوية إلى جانبه. ولم يبق مع الملك سوى الحمادين (ب4)[2]. وفي النهاية اندلع قتال مكشوف بين المطير، الذين انضمت إليهم أيضاً العتيبة ـ برقا، وبين قوات الملك. وفي أول أبريل/ نيسان 1929م مني المتمردون عند السبلة بالقرب من الأرطاوية بهزيمة حاسمة. وفي وقت لاحق انضم جزء من القبيلة إلى فيصل الدويش عندما ثار مجدداً على الملك في صيف 1929م. إلا أن الثوار أرغموا

---

(1) محمد البسام.

(2) أم القرىٰ، رقم 249.

في ديسمبر/ كانون الأول 1929م على الفرار إلى العراق أو الخضوع لسلطة آل سعود.

يتألف المطير من ثلاث مجموعات: علوة، وبريه، وبني عبد الله (تلفظ "عبدِلّه"). كان في السابق المقر الرئيسي لنبي عبد الله في المنطقة الغربية للقبيلة. ولكن عندما انقطعت الصلة بين الشرق والغرب في نهاية القرن الماضي استقرت عدة عشائر من بني عبد الله في الشرق ثم تبعتها في وقت لاحق عشائر أخرى.

أما علوة وبرية فكانتا غالباً متخاصمتين، وهكذا كان الأمر عام 1918م[1].

تتألف منطقة رعي المطير الشرقيين من شريط يقطع عمودياً منطقة سدير، وهضبة (سهل) عرمة، ودهنة، وصمّان، ويحده من جهة الجنوب الشرقي خط الجلاجيل ـ قريَّة السفلى، ومن جهة الشمال الغربي خط مواز له قادم من أم الجماجم ـ جراب. وتتبع لهذه المنطقة الآبار الموجودة في ما يسمى طوال مطير: لصافة، وقرعا، ووبرة، وكلتا القريّتين، وكذلك في الغرب الأرطاوية والقاعية. في الربيع تتوفر في الدهنة مراع جيدة، أما في الصيف فيرحل جزء من المطير إلى الساحل وجزء نحو الداخل إلى السر[2]. وفي العديد من القرى الصغيرة الموجودة في القصيم يوجد مطير مستقرون.

تبدأ منطقة المطير الغربيين على مقربة من خط الطول 41. وتضم في الجنوب قريتي سويرقية وصفينة، اللتين يسكن فيهما الشرفاء، والمستوطنة المهجورة هاضة، وتقترب في الشمال من الحناكية. وتمتد في الشرق حتى العريق (عريق الدسم). أما الحدود الشمالية فقد ذكرناها في الصفحة 41، 42 أعلاه لكن الحدود الجنوبية مع العتيبة تسير بشكل مائل نحو الأعلى وتصل إلى عريق فوق موقع المياه متسلاه[3].

---

(1) غورماني، 188، فيلبي، الجزء الثالث، ص 32، 144.

(2) راونكير، بلاد الوهابيين، 1913، ص 133، 250 وما بعدها؛ فيلبي، الجزء الأول، 266، 275؛ الجزء الثالث، 144، 354 ـ 365 وما بعدها، 372.

(3) خارطة هيس.

ابن دويش (الدوشان) عائلة شيوخ المطير

يحتل الدوشان بين عائلات شيوخ المطير المركز الأول منذ زمن طويل.

ويبدو أن حسين الدويش أصبح وهابياً قبل عام 1790م، ولكنه ارتد عن الوهابية عندما تقدمت قوات الشريف الأكبر إلى نجد. في الربع الأول من القرن التاسع عشر كان فيصل بن وطبان الدويش أكثر مشايخ المطير نفوذاً. وهناك حكاية تروي[1]، أن شجاراً جرى بينه وبين خصم قديم له، هو شيخ العنزة الحميدي بن عبد الله. ابن هذّال، وبحضور الإمام سعود. وتروي الحكاية كيف أن الحميدي عيّره بقوله: لولا الإسلام وهذا الإمام لما بلغ سن الشيب بل كان قد قتل كآبائه في سن الشباب على يد العنزة، وكيف رد عليه بقوله: لولا الإسلام والإمام لما بلغ أبداً الثراء الذي هو فيه ولما تجرأ أبداً على دخول أرض المطير. وظلا يتناقران إلى أن تدخل الإمام وأجبرهما على السكوت. وعلى أي حال فإن الإسلام، والمقصود طبعاً الوهابية، لم يكن عميق الجذور عند فيصل. فمنذ عام 1816م كان يقاتل إلى جانب المصريين.

في الثلاثينيات حكم محمد الدويش، وفي الستينيات ماجد بن الحميد (حميدي)، وفي السبعينيات سلطان بن الحميدي. ويذكر أن سلطان لم يتوفى حتى عام 1908م بعد أن كان ابنه فيصل قد تولى منذ عدة سنوات قيادة قبيلة علوة[2].

يعتبر فيصل الدويش، واحداً من أهم الشخصيات التي عرفتها الجزيرة العربية في العصر الحديث. وتعود علاقاته مع عبد العزيز آل سعود إلى زمن بعيد، لكن موقفه السياسي ظل يتراوح ولأمد طويل، فيما بين ابن الرشيد، وابن سعود. ولم يحسم موقفه بشكل نهائي لصالح بن سعود حتى عام 1914م. ربما، تكون بعض الاعتبارات الدينية قد لعبت دورها، حيث انضم فيصل إلى الإخوان، وأصبح

---

(1) عنوان المجد، 105 (1228هـ ـ 1813م).

(2) فيلبي، بلاد العرب، 113، جورماني، 188م شمال نجد.

وبسرعة أهم زعيم لهذه الحركة. وقد أسهمت أعماله في توسيع دولة الوهابيين خلال الفترة التالية لما بعد الحرب، لكنها كانت في الوقت نفسه سبباً لخلافات سياسية خارجية.

في عام 1918م تولى فيصل تغطية آل سعود ضد حائل. وكان قبل ذلك قد دافع عن مستوطنة الإخوان "القريّة" ضد الكويتيين. وفي عام 1920م كان له هنا مرة أخرى دور فعال، وفي وقت لاحق على الحدود مع العراق حيث لم تتوقف المناوشات إلا بعد صلح البحرة (1/ 11/ 1925م). ولقد برز فيصل بشكل متميز في المعارك التي دارت أمام حائل (سبتمبر/ أيلول 1921)، وكذلك عند حصار المدينة عام 1925م[1].

بعد بضع سنوات حصل جفاء بين عبد العزيز آل سعود وفيصل. إذ إن فيصل أصبح قائداً للإخوان الذين لم يكونوا راضين عن سياسة الملك السلمية[2]. في صيف 1927م بدأت حكومة الانتداب في العراق ببناء مخافر للشرطة على مواقع المياه التي تبعد عن الحدود نحو 80 كيلو متراً، وهي: الشبشة، وسلمان، وبصيّة، وذلك خلافاً لأحكام بروتوكول عجير (1922م) الذي حظر بناء منشآت عسكرية على الآبار على كلا الجانبين من الحدود لكي لا تتضايق القبائل عند ترحالها المعهود بحثاً عن المرعى. وكان المطير يأتون إلى بصيّة بين حين وآخر، وعندما وجدوا هناك أعمال البناء قاموا على الفور بقتل العمال[3]، مما أدى إلى نشوب حرب حدود جديدة: بين 15 نوفمبر/ تشرين الثاني 1927م وأول يناير/ كانون الثاني 1928م شن فيصل بن دويش ثلاث غزوات على الأراضي العراقية. وازداد

---

(1) فيلبي جـ3 ص 18 وما بعدها، ريحاني 244 وما بعدها، 251، 276، 291، 376، فيلبي، بلاد العرب، 342 وما بعدها، 244 وما بعدها.

(2) ما يلي حسب الجريدة الرسمية المكيّة أم القرىٰ رقم 157، 161، 163، 165، 167، 169، 174، 224 ـ 249، 252 ـ 267؛ فيلبي ص 342 وما بعدها.

(3) وفق ما جاء لدىٰ فيلبي.

الوضع توتراً عندما قامت الطائرات البريطانية في منتصف يناير/كانون الثاني 1928م بتجاوز الحدود وإلقاء القنابل[1]. عندئذ اقترح الملك على الحكومة البريطانية وقفاً لإطلاق النار وإجراء مفاوضات، ووجد أذناً صاغية على الفور. وعلى إثر ذلك أجبر الإخوان من أتباع فيصل الموجودون عند إجبا على التراجع، لكن القوات الجوية البريطانية انتهكت، قبل أيام قليلة من وصول المفاوض البريطاني، وقف إطلاق النار وشنت هجوماً جديداً (نهاية أبريل/ نيسان 1928م) وهكذا أُفشلت المفاوضات[2].

بدءاً من هذه اللحظة توجه غضب الإخوان ضد الملك الذي لم يكن يريد بأي حال الانجرار إلى حرب مع العراق، أي مع بريطانيا. ولكي يبرر موقفه دعا إلى مؤتمر في الرياض (أول أكتوبر/ تشرين أول 1928م). وقد نجح في إقناع الحضور بوجهة نظره، ولكن زعماء الإخوان، بالإضافة إلى فيصل وحميه (أبي زوجته) سلطان بن بجاد بن حميد، زعيم العتيبة ورئيس هجرة غطغط، لم يحضروا الاجتماع. وكان هذا إيذاناً بالقطيعة مع الملك.

وبينما كان المتمردون يجمعون أنصارهم بدأ الملك بتسليح قواته استعداداً للمعركة. ولم تسفر المفاوضات عن أي نتيجة. فقام الملك بحشد قواته في مارس/ آذار في النبقية في شمال القصيم ثم شن في أبريل/ نيسان هجوماً قضى فيه على المتمردين قضاء مبرماً. وأمام الأرطاوية توسلت نساء فيصل وأولاده إلى الملك المنتصر لكي يدعه يموت في هدوء. لكن الملك أمر بإحضاره إليه محمولاً على نعش، ثم عفا عنه بعد ذلك.

إلا أن الثورة لم تكن بذلك قد انتهت بعد. فقد كان يحمل لواءها الآن شيخ العنزة فرحان المشهور[3] وقبيلة عجمان المتمردة دوماً في شرقي الجزيرة العربية.

(1) وفق أم القرىٰ، فيلبي يشير إلى غزوات نهب الأخوان باعتبارها ثأراً للغارات الجوية.

(2) انظر فيلبي.

(3) انظر الجزء الأول، ص 189 وما بعدها (الملاحظة 20).

وفي يونيو/ حزيران 1929م اندلعت الاضطرابات هناك بينما كان الملك يشارك في مناسك الحج. وقد غادر فيصل أيضاً الأرطاوية، وكان قد شفي من جراحه، وانضم إلى المتمردين، في البداية واجهت الحكومة وضعاً صعباً لأنه لم يكن في وسعها الاعتماد إلا على العوازم فقط. كما أن وسط الجزيرة بدأ في خطر. ولذلك تأخرت الحملة التي كان من المقرر إرسالها في منتصف أغسطس/ آب إلى شرق الجزيرة العربية. في هذا الوقت عبر فيصل الدهنا وهاجم مخيماً للسبيع في القاعية. وكان هذا مقدمة لحدوث اضطرابات جديدة في وسط الجزيرة العربية شاركت فيها أيضاً بني عبيد الله والعتيبة. ولكن الحركة أخمدت على يد حرب ومن بقي وفياً للملك من العتيبة، قبل وصول القوات النظامية. وفي أثناء ذلك استمرت المناوشات في شرقي الجزيرة.

في بداية سبتمبر/ أيلول شن عبد العزيز، ابن فيصل، غارة على منطقة شمر. ووصل إلى الحزول، لكن أمير حايل لحق به على طريق عودته قرب لينه. فسقط قتيلاً مع 700 رجل. ولم ينج من رجاله سوى اثنين. فحزن فيصل لهذا الحدث أبلغ الحزن. وفي أكتوبر/ تشرين الأول خسر هو نفسه معركة ضد العوازم قرب وفرة. وفي نوفمبر/ تشرين الثاني دخل الملك المعركة. فحشد جيشه عند حفر العطس ثم تقدم في ديسمبر/ كانون الأول إلى القريَّة لكي يطرد المتمردين إلى حدود الكويت. وفي نهاية الشهر تم القضاء على آخر تجمعات المتمردين في شعيب العوجا في المثلث الحدودي. وتمكن فيصل بن دويش و(صاهود) ابن لامي أ 2 أ وفرحان بن مشهور من الهرب إلى العراق. وفي نهاية يناير/ كانون الثاني 1930م عاد شيخا المطير إلى السعودية واستسلما للملك. وبعد ذلك بوقت قصير توفي فيصل في أحد سجون الرياض.

مطير(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أ ـ علوة(2)	. . . الدويش	السدير ـ الصمان	1600
1 ـ الموهة	. . . الدويش		500
2 ـ الجيلان	صاهود بن لامي		
أ ـ الاحيا	صاهود بن لامي		150
ب ـ القعيمات	صاهود القعيمي		100
جـ ـ الاعنة	محمد المنديل بن رشدان		100
د ـ المقالدة	فيصل بن شبلان		100
3 ـ ذوي عون(3)	جفران الفغم (جعفر)		250
أ ـ الصهبة(4)	جفران الفغم (جعفر)		
ب ـ الملاعبة			
4 ـ الرخمان(5)	فيحان بن جريبان		200
5 ـ البراعصة	نايف الصور(6)		150
6 ـ العراقبة(7)			
ب ـ بريه(8)	غنيم المريخي	السر ـ الدهنا	1700
1 ـ المريخات	غنيم المريخي		200
2 ـ الصعران	مشاري بن بصيص(9)		200
3 ـ ذوي سعدون	ناصر بن سعدة		100
4 ـ الحمادين(10)	صرير الحميداني(11)		150
5 ـ الهوامل	شعوان بن دمخ		200
6 ـ البرزان(12)	خالد أبو شويربات(13)		200

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
7 ـ العبيات	رفاعي بن عشوان(14)		200
8 ـ المحالثة	شبيب الهفتة		100
9 ـ الوساما	محسن بن مهيلب(15)		100
10 ـ البدنة	طامي القريفة(16)		150
11 ـ الدياحين	مخلف بن جربوع		100
جـ ـ بني عبد الله(17)	قعدان بن درويش(18) ابن سقيان	حرة بني عبدالله ـ السر	1200
1 ـ الصعبة	عليان بن ضمنة(19)		200
2 ـ ميمون	مداد بن عتبان		150
3 ـ ذوي عون	محسن بن جبرين(20)		200
4 ـ الشطر	قعدان بن درويش(18)		200
5 ـ السميحات	دهيميش السميحي		100
6 ـ الهليبات	أبو هليبة(21)		100

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1915م (محمد البسام). 1925، 1929م. تستند جداول المطير إلى بوركهاردت، ص 328 وما بعدها، جورماني ص 188، راونكايرص 132 وما بعدها، كتاب الجيب I ص 84، فؤاد حمزة، ص 193 وما بعدها. يورد جورماني (مع الأخطاء المطبعية المعهودة) أ، 2، 2ب، د، 3أ، 5، 6، مع نفس عائلات الشيوخ ما عدا 2ب؛ ب1، 2، 6، 7، 9، و11، وباستثناء الأخيرة مع عائلات الشيوخ الحالية. يعتمد فؤاد حمزة في قائمته على كتاب الجيب، لكنه يضيف تصنيفاً، تصعب قراءته بسبب الأخطاء المطبعية مع أنه مهم جداً فهو يعكس

حالة قديمة وهو مدين بها للأمير عبد اللّه شقيق ملك الجزيرة العربية. البيانات حول الأعداد متباينة وتتراوح ما بين 4500 (في الجدول) و(6600) (بيانات 1915م).

2 ـ سبق أن وردت لدى بوركهاردت.

3 ـ يضيف الأمير عبد اللّه (المطيرات) لفروعها (مطير راونكير). انظر أيضاً ملاحظة رقم 17.

4 ـ مذكورة تحت نفس عائلة الشيوخ، الروضة، ج2 عام 1197هـ/ 1783م.

5 ـ الأمير عبد اللّه: (المواهة) (1) وكذلك البراعصة أيضاً (5) المذكورون أيضاً في الروضة ج2 تحت عام 1205هـ/ 1791م.

6 ـ الجمع: الصوَرة.

7 ـ الأمير عبد اللّه: جبلان (2).

8 ـ وردت لدى بوركهاردت. ينقسمون إلى وسّامة الهلال (أ 2 جـ)، و(ب 1، 2) وواصل (5 ـ 11).

9 ـ عائلة شيوخ مهمة. لدى جورماني وفيلبي، جزء 3، ص 19، 29: ابن مصيّص.

10 ـ الأمير عبد اللّه، صعران (2).

11 ـ هذه السلالة وجودها مثبت عام 1205هـ/ 1790م، الروضة جزء 2.

12 ـ وردت لدى بوركهاردت. يستخدم دم البرزان كشفاء ضد مرض الكلب. اعتقد العرب القدماء أن دم الملوك يشفي من هذا المرض حيث تمت الإشارة إلى ذلك كثيراً في أشعارهم.

13 ـ فيلبي ج 3، ص 378: (تلاّه) أبو شويربات. هناك رجل اسمه أبو شويربات تمّ إخضاعه في بداية 1930م.

14 ـ هناك رجل اسمه ابن عشوان سقط في بداية عام 1930م بين المتمردين، أم القُرى، رقم 265. وكذلك، هوبر، المجلة ص 700.

15 ـ فيلبي ج3 ص 32، مطلق بن مهيلب .

16 ـ مذكور عند فيلبي ج 3 ص 32؛ أبوه شبّاب مذكور في كتاب الجيب (هاندبوك).

17 ـ الأمير عبد اللّه: يتكونون من حليف مؤلف من: الحلّف من ذوي عون أ3، وصعبة (1)، وميمون (2) وكلاهما من بريه (انظر الملاحظة 8). وهذا ما يفسر ظهور ذوي عون مرتين في الجدول.

18 ـ فيلبي، ج3، ص 304، ضيدان، صادفه فيلبي في القصيم الشمالي عندما كان عائداً إلى دياره مع غنائمه إثر غزوة ضد حائل. هوبر، جورنال ص 672، يذكر علي بن الدرويش الذي كان يعيش مع مجموعة قوية في الحراث.

19 ـ وردت لدى فيلبي، ج3، ص 32

20 ـ ابن جبرين لدىٰ جورماني.

21 ـ سقط أحد أجداده في معركة عدوة. الروضة ج2، في 1205هـ/ 1791م.

هجر المطير(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ الأرطاوية	عبد العزيز الدويش(2)	نايف بن مزيد(3)
		فيصل بن شبلان
		هزاع بن بيدر
2 ـ القريّة العليا	تريحيب بن شقير(4)	فلاح بن شقير
		غضبان بن منديل
3 ـ لصافة	جاسر بن لامي	
4 ـ القريّة السفلى	هايف الفغم	سعود بن كريدي الفغم
5 ـ الفروطي(5)	مشاري بن بصيّص	قاعد بن بصيص
6 ـ التامرية	عقوب الحميداني	ضعار بن الحميداني
7 ـ البوضا	مطلق الهفتة	
8 ـ أمبايض(6)	طامي الغريفة	
9 ـ الشفلاحية(7)	قعدان الدرويش	
10 ـ مليح	علوش بن سقيان	غازي بن سقيان
11 ـ اوضاخ	ابن ضمنة(8)	
12 ـ العمار	عبد المحسن بن جبرين	
13 ـ الإثلة	حويل بن سمحان(9)	مذكر بن سمحان
14 ـ دابان(10)		
15 ـ الأرطاوي(10)	سليم الرجاح	
16 ـ المتيوي(11)	سالم بن مزنان	

ملاحظات حول جدول هجر المطير

1 ـ وفق أُم القُرى رقم 208 في 18/ 12/ 1928م وكذلك ملاحظات قريب محمد البسام (1929). تم ذكر 17 هجرة من أصل 19، وردت الثلاث الأخيرة وكذلك رقما 9 و12 لدى ابن بسام فقط. تم تصحيح الأخطاء المطبعية وغيرها دون الإشارة إلى ذلك. وذُيِّلت المواقع التي لم يعثر عليها بعلامة استفهام. تنتشر هجرات المطير من أوضاخ (11، 13) عبر السرّ (12) والسدير (8، 16) وعرمه (1، 14، 15) إلى ما بعد الصمان (2، 3، 4). لقد تم ترتيبها في الجدول وفق تسلسل الشيوخ أو عائلات الشيوخ، باستثناء الثلاث الأخيرة حيث لا يرد أمراؤهم فيها.

2 ـ سقط قتيلاً 1929. انظر ص: 123 من هذا الجزء.

3 ـ من أحد خطوط نسب الدويش الجانبية.

4 ـ من أحد فروع نسب الدويش الجانبية فيلبي، ج3 ص 366.

5 ـ في الحقيقة = (فريثان) فيلبي ج3 ص 85 في الحمادة.

6 ـ جنوب شرق المجمعة.

7 ـ هناك موقع يحمل نفس الاسم يوجد شمال أجفر في منطقة شمّر.

8 ـ أم القرى: منيف بن القطيّم.

9 ـ تابعة إلى حـ 5.

10 ـ وادي قرب الأرطاوية.

11 ـ جنوب شرق المجمعة.

عتيبة

عتيبة هي أكبر قبائل البدو في الجزيرة العربية[1]. وتمتد منطقة ترحالها من الطائف حتى القصيم، ومن الحرة الجنوبية إلى أسفل الطويق، وتشمل أفضل مراعي شبه الجزيرة.

يقع موطن عتيبة في جبال الطائف، وتنقسم إلى بطنين كبيرين هما الروقة وبرقا (برقة)، وهما من أصول مختلفة.

تنتسب برقة إلى سفيان، وهو فرع من ثقيف يقطن جنوب الطائف[2]، وقد ورد ذكر عتيبة في سجلات مكة لأول مرة في سنة 1500م[3]، وظل وجودها زمناً طويلاً يقتصر على المناطق الواقعة في غرب الجزيرة في القرن الثامن عشر كانت تسكن على الضفة العليا لوادي فاطمة، وفي الحرات الواقعة شماله: حرة الروقة، والطراح وكشيب[4]. وكان التحرك الأول لها إبان الحروب الوهابية. ولكن حتى عام 1818م كان أكثر من ثلثي القبيلة لا يزال موجوداً في الحجاز[5]. بعد ذلك

(1) تلفظ: عتيبة وجمعها عتبان، ومفردها عتيبي.

(2) هيس، أسماء بدوية من قلب الجزيرة العربية، 4. بخصوص ثقيف وفرعها سفيان، انظر الجزء الثاني ص 563، 596. في مكة يدعي البعض أحياناً بأن الروقة ينتسبون إلى عامر بن صعصعة. لا يمكن الاعتماد على هذا الرأي، لأن المصطلح بعيد عن هذا المعنى جداً.

(3) سنوك ـ هرجرونية، مكة جـ1، ص 563 وما بعدها.

(4) نيبور، الجزيرة العربية، ص 399: عتيبة قبيلة كبيرة وقديمة تقيم بين الطائف ومكة. انظر أيضاً الجزء الثاني، ص 374.

(5) قارن جدول سبرنغر رقم 53 بـ80.

انتشرت بسرعة ووصلت إلى حدودها الحالية تقريباً في منتصف القرن الماضي. وبما أن عتيبة احتفظت بموطىء قدم لها في الحجاز فقد تمسكت مكة بحقها في جباية الضرائب منها وأجبرت حكام وسط الجزيرة مرتين على الاعتراف بهذا الحق.

يعرف القارىء الآن الإطار الذي تنضوي ضمنه الأحداث التالية: هوجمت عتيبة لأول مرة عام 1795م من قبل الوهابيين. فقد فاجأهم ولي العهد سعود، بعد مسيرة شاقة، في الحرة وغنم منهم 2000 رأس من الإبل و10000 رأس من الغنم. وفي العام التالي شارك الشيخ المتضرر أبو محيور في حملة كان من المقرر أن تتوجه من مكة إلى وسط الجزيرة العربية. لكن الوهابيين أوقفوها عند بئر الجمانية وهزموها في اليوم الثاني واستولوا على كل ما لديها من مؤن ومعدات؛ وكان أبو محيور قد قتل في اليوم الأول. وبعد أن ضعفت القبيلة نتيجة انتصارات وهابية أخرى أرسلت القبائل المكية في عام 1798م شيخ العتيبة حمود بن ربيعان إلى زعيم الوهابيين كي يطلب منه قبولها في الجماعة الوهابية. فقبل طلبها ضمن شروط قاسية إلى حد ما. ولذلك شاركت عتيبة في الحملات، التي شنها الوهابيون عام 1802م و1803م على مكة والطائف، تحت رايتهم[1].

عندما جاء حاكم مصر، محمد علي باشا، عام 1813م إلى الحجاز وأمر باعتقال الشريف غالب، شريف مكة، الذي كان الوهابيون قد أبقوه في منصبه، اتخذ العتيبة في البداية موقفاً معادياً للأتراك. ولكن الأمر تغير في وقت لاحق. ففي أغسطس/ آب 1814م انضم جزء من القبيلة إلى صفوف محمد علي باشا الذي استهواها بالمال والصبر، بينما قاتل جزء آخر في يناير/ كانون الثاني التالي في معركة بسل إلى جانب الوهابيين[2]. ويبدو أن انقساماً مماثلاً تكرر عندما بدأ إبراهيم باشا، ابن محمد علي باشا، عام 1816م حملته على وسط الجزيرة العربية[3].

(1) الروضة جـ 2، تحت رقم 1210، 1212، منجن جـ 2، ص 510، 514، 526 وما بعدها.
(2) بوركهاردت، ص 516، 527، 548، قارن الجزء الثاني، ص 468، 592 ـ 593.
(3) قارن جودت، تاريخ، الجزء 11، ص57، مع عنوان، ص 115.

بعد احتلال الدرعية (عام 1818م) انفصلت العتيبة على آل سعود وأصبحت في الحجاز وعلى حدود الحجاز تابعة لشريف مكة، وفي نجد مستقلة. أما تخلي فيصل آل سعود عن السيادة على العتيبة، الأمر الذي أرغمه عليه شريف مكة محمد ابن عون بعد الحملة التي شنها عام 1846م على القصيم، فلم يكن سوى تثبيت لوضع قائم. أصبحت العتيبة منذ منتصف القرن الماضي قبيلة مرهوبة الجانب في الشمال. وقد كانت غزواتها تصل إلى ما بعد القصيم. وعلى الرغم من أن آل سعود أوقع بها خسائر فادحة في إحدى الحملات التأديبية، فقد ظلت حتى نهاية السبعينيات غير خاضعة لأحد[1]. ففي حرب الأخوة التي دارت بين ابني فيصل (1865 ـ 1874م) وقفت إلى جانب الحاكم الشرعي عبد الله ولكن ليس كتابع له وإنما كحليف وعبد الله مدين للعتيبة في المحافظة على سلطته. إذ إن أخاه سعود توفي عام 1874م بسبب جرح أصيب به خلال حملته الفاشلة ضد العتيبة[2].

منذ صعود ابن رشيد (1870م) بدأت العتيبة بالوقوف ضده. وقد تعرضت قبيلتا حرب والهتيم المرتبطتان بحائل لغزواتها. إلا أن محمد بن رشيد أخضع في بداية الثمانينيات الروقة الشمالية. وكلفها بجباية الضرائب في المنطقة الواقعة جنوب شقرا بغرض إرسالها إليه. كما أنه خصص لها منطقة للرعي[3].

كان عبد العزيز آل سعود في بداية حكمه يعتبر العتيبة من الأعداء. ولكنه بعد

---

(1) جورماني، 189 "اعداء لكل أمراء نجد". لقد شهد المؤلف عام 1864م حرباً دامت عدة أيام بين ولي العهد الأمير عبد الله وعتيبة (روقة) شمال وادي الرمة، كانت نتيجتها هزيمة عبدالله بسبب شجاعة العتيبة وبسبب تخاذل حلفائه من بني قحطان. دوتي جـ 2، ص 367، 426؛ شمال نجد، ص 273 (انتصار عبد الله على عتيبة في جراب).

(2) محمد البسام: دوتي جـ 2، ص 424 وما بعدها؛ شمال نجد، ص 267؛ فيلبي، بلاد العرب ص 145. يقول فيلبي إن سخا الواقعة على طريق الرياض ـ مكة، في وسط منطقة برقا. هي الموقع الذي انهزم فيه ابن سعود على الرغم من أن المنتصرين كانوا الروقة (وليس برقا)؛ الموقع الصحيح هو على الأرجح سديا الواقعة في جنوب سرة نجد.

(3) جورماني، ص 68، دوتي جـ 2، ص 24، 36، 426 وما بعدها (حملة تأديبية إلى حرة قشيب)، جورنال، ص 591، 611، 650.

تقدمه في القصيم منذ عام 1904م أقام علاقات مع القبيلة التي كانت بين حين وآخر تقدم له المساعدة في معاركه ضد ابن رشيد. إلا أن الخلاف نشب من جديد في الأعوام اللاحقة. ففي صيف 1910م جهز الشريف حسين حملة ضد نجد قادته في بادىء الأمر إلى القويعيّة (على الطريق إلى الرياض) ثم في وقت لاحق إلى الشعرا وإلى حدود الوشم. وفي القويعية وقع في يده أخو عبد العزيز آل سعود، سعد، الذي كان يتنقل في أراضي برقا لكي يجند المقاتلين لمحاربة العرايف الثائرين، لكن برقا نفسها قامت باعتقاله. وهكذا اضطر عبد العزيز، الذي كان قد عقد قبل وقت قصير صلحاً مع ابن الرشيد لم تكن شروطه في صالحه، إلى السكوت عن الإهانة مرة أخرى لأنه لم يكن قادراً على خوض حرب في تلك الظروف الصعبة التي كان يمر فيها. وكان قد اعترف للشريف حسين بعدة حقوق من ضمنها اعتبار العتيبة من رعاياه. ومنذ ذلك الوقت حقد عبد العزيز على العتيبة، على الرغم من أن شيخ البرقا محمد بن هندي بن حميد كان يسعى إلى الصلح، أو ربما لهذا السبب بالذات[1]. وعندما قدمت البرقا، بعلم الشريف حسين ورضاه، ملجأ للعرايف، قام عبد العزيز بتأديبها قرب سخا[2].

لم يتمكن عبد العزيز آل سعود من كسب تأييد العتيبة وانضمامهم إلى رابطة الإخوان إلا خلال الحرب العالمية. فقد تم توطينهم في الأرطاوية وخاصة في غطغط في قوس الطويق. إلا أنه بدا وكأن هذه المستوطنة، التي كانت القبيلة تعتبر سكانها خونة، ستعمق الخلاف بين العتيبة وآل سعود بدلاً من أن تكون جسراً للتقارب. ففي نهاية عام 1917م هاجم العتيبة غطغط وقتلوا شيخاً مرموقاً[3]. فذهب أحد أقربائه مع مناحي الهيضل (ب ـ رابعاً) إلى الشريف حسين، أو

(1) محمد البسام، انظر الجزء الثاني، ص 601، فيلبي، البلاد العربية 219، التاريخ غير صحيح: 1912 اعتمد في تحديده على الريحاني، ص 176، الذي يبدو أنه وقع في الخطأ سهواً.

(2) فيلبي، جـ1، ص 155. قارن أيضاً ريحاني، ص 183.

(3) فيلبي، جـ1، ص 313، جـ3، ص 122، 212. غير متأكد من الاسم. لكنه بالتأكيد ابن عميدي، انظر كتاب الجيب (هاندبوك).

بالأحرى الملك حسين، طلباً للفدية. لكن الملك حسين لم يتمكن من تحصيل حقهم. فهاجموا غطغط مجدداً لكنهم لم يغنموا سوى بعض الإبل، وعاقبهم الإخوان على ذلك بشن غزوة ضدهم أصيبوا فيها بخسائر فادحة عندئذ توجه العتيبة إلى آل سعود الذي أصدر حكمه في القضية حسب قواعد الثارات العادية بحيث حصل العتيبة على 10800 دولار (27 قتيلاً). وقد أدى هذا الحكم غير المنحاز إلى تعزيز مكانة عبد العزيز وتحسين سمعته إلى حد كبير. وبدأت برقا بدفع الضرائب إلى الرياض. وفي عام 1918م، خلال هجوم قوات الشريف على خرمة (الجزء الثاني، 612، 613)، حاول الشريف شاكر (الجزء الثاني، 619، الملاحظة 24) في مرّان جمع الأموال من العتيبة الذي كانوا قد أرسلوا الضرائب إلى آل سعود. فغضب قريب القتيل المذكور أعلاه غضباً شديداً وقرر التوجه فوراً مع أنصاره إلى خرمه لكي يساند المدافعين عنها. ومنذئذ أصبح العتيبة من أشد المتحمسين لحركة الإخوان. وقد انتصروا عام 1919م قرب تربه واستولوا عام 1924م على الطائف[1].

وكان آلاف الرجال من العتيبة وحرب قد شاركوا في تلك الغزوة المغامرة التي انطلقت عام 1922م من نفي، أي من قلب نجد، ووصلت حتى مسافة 16 كيلو متراً قبل عُمان ثم هاجمتها على طريق العودة الطائرات والعربات المصفحة مما أدى إلى إبادتها بالكامل تقريباً. ويذكر أن عيبة من الأرطاوية شاركوا أيضاً في معارك على الحدود العراقية[2].

لذلك كان العتيبة والمطير الطرف الرئيسي للمعارضة السياسية الدينية التي وقفت ضد الموقف الحذر للملك في النزاع مع العراق. وعندما عُزل سلطان بن بجاد، شيخ البرقا وأمير غطغط، بعد مؤتمر الرياض، في أكتوبر/ تشرين الأول 1928م، وقف الجزء الأكبر من القبيلة معه. وشاركت مجموعات قوية من العتيبة في معركة السبلة في أبريل/ نيسان 1929م. وأدى اعتقال سلطان بن بجاد بعد

(1) ريحاني، ص 228 ـ 231، ص 299، 301، أيضاً الجزء الثاني، ص 612 وما بعدها.

(2) انظر الجزء الثاني ص 266، 472، الشرق الحديث جـ 2، ص 230، 248.

المعركة إلى زيادة حدة الاضطرابات. وأصبح الوضع خطيراً إلى درجة أن الملك جهز خلال إقامته في مكة في يونيو/ حزيران 1929م قوات ضخمة لشن هجوم مركّز على القبيلة. إلا أنه دعا، وهو على طريق العودة، العتيبة وخاصة شيوخ البرقا، إلى مؤتمر في الدوادمي. وأعلن الملك في المؤتمر العفو عن الذين اشتركوا في معركة السبلة على شرط أن يشتركوا في القتال ضد الثوار في شرقي الجزيرة. وبعد مفاوضات طويلة أبدى الملك مزيداً من التجاوب ووافق على العفو أيضاً عن زعماء الثورات التي قامت بعد معركة السبلة. إلا أن العتيبة كافأوا الملك على سماحته هذه بموقف سيّىء. ففي أغسطس/ آب أو سبتمبر/ أيلول من ذلك العام حدث تمرد جديد بدأته بعض المجموعات الصغيرة التي كانت حتى ذاك الحين موجودة عند فيصل الدويش. ولكن هذه الحركة قضى عليها حرب والروقة ومن بقي من برقا موالياً للملك، وذلك قبل وصول القوات الحكومية[1]. وفي هذه المرة أيضاً اتخذ الملك موقفاً ليناً لأن الثورة في شرقي الجزيرة العربية لم تكن قد أخمدت بعد. فقد دعا في الأيام الأولى من أكتوبر/ تشرين الأول إلى عقد مؤتمر في الشعرا حضره عدد كبير من شيوخ الروقة والبرقا. واتخذت في المؤتمر قرارات ضد المؤيدين للثورة سراً وضد الذين لم يشاركوا في إخمادها. ومن أجل تنفيذ هذه القرارات أعطيت تعليمات للمجموعات المشاركة في المؤتمر لأن تقيم في أماكن محددة لكي تنتظر هناك حكمها[2].

تمتد منطقة العتيبة في الحجاز من حرّة بني عبد الله حتى ما قبل الطائف، وتتجاوز في الغرب طريق الحج الشرقية (المدينة ـ مكة). وفي نجد تسير الحدود مع المطير (بني عبد الله)، كما ذكرنا أعلاه، نحو الشمال الشرقي حتى عريق الدسم ثم تتبع بعد ذلك الطرف الغربي لهذا الشريط الرملي حتى تصل إلى الحدود الجنوبية

(1) وقعت المعارك في اوضاخ وجبلة وشعبا.

(2) المقطة (ب ثانياً) في الشبتسة، الشيابين (ب خامساً) في حلبان، العصمة (ب ثالثاً) في دلعا، النفعة (ب أولاً) في نبوان. تقع حلبان (إحلبان) جنوب طريق الحج الرياض ـ مكّة، وتقع النبوان عند وادي الرخا تحت مصب شعيب بحار.

لحرب. وفي السر تختلط عتيبة وحرب ومطير. ومن الطائف تتبع الحدود الجنوبية للعتيبة الطريق إلى الرياض، لكنها تضم في داخلها سهوب الركبة. وبعد الركبة تنعطف نحو الشمال لكي تترك خارجها منطقة البقوم والسبيع. وعند وادي نعيم تصل مرة ثانية إلى طريق الحج ثم تتجاوزها في منطقة عرض نحو الجنوب، وتنتهي في الشرق قبل نفود دلقان. ثم تسير الحدود بعد ذلك بمحاذاة الطويق عبر المناطق الرملية في وسط الجزيرة العربية. وتصل شمال السرّ إلى وادي الرمة[1]. من الطبيعي أن العتيبة تخيم أحياناً خارج هذه الحدود. فقد صادف فيلبي رعاتهم حتى في هضبة عرمة[2]. أما توزع مجموعتي القبيلة، الروقة والبرقا، فهو غير معروف إلا بشكل تقريبي. فالروقة تمتد من الطائف نحو الشمال الشرقي حتى القصيم، بينما تمتد البرقا من الركبة حتى السر. أما في الداخل فتتشكل الحدود، كما يتبين من توزع الهجرات تقريباً بواسطة وادي الرخا والشعيب بحار.

تعدّ منطقة رعي العتيبة في نجد من أفضل المراعي في شبه الجزيرة العربية، لأن أمطار (المونسون) تصل إلى جزء منها. ولذلك فإن القبيلة غنية بالإبل والخيول. كما أن المناطق الرملية أيضاً تحتوي على مراعي جيدة. أما في الحرات فإن العتيبة مضطرون إلى الاكتفاء بتربية الأغنام[3].

يمارس بعض عتيبة الحجاز العمل الزراعي. وفي نجد يوجد بعض العتيبة في بعض قرى عارض وسدير، وخاصة في زلفي. وفي القصيم يسكنون في قرية قصر العقيّل، وقرية عين ابن فهيد، وقرى أخرى. وحتى في بقعا، في شرقي جبل شمر، يوجد عتيبة. وهم يسكنون في جزء من أوضاخ في سرة نجد[4].

---

(1) بوركهاردت، 355، تامسيه، رحلة في الجزيرة العربية جـ1، ص 253، فيلبي جـ1، ص 131، 147، 156، 205.

(2) فيلبي، جـ1، ص 280، 282، 284.

(3) دوتي، جـ1، 343؛ جـ 2، 475؛ هوبر، جورنال، 740؛ فيلبي، جـ1، 153.

(4) تامسيه، جـ 2، ص 28، هوبر، ص 93، هاندبوك، جـ1، ص604؛ فيلبي، جـ3، ص 201 (بريده)، 344.

تعيش العتيبة مع حرب، جيرانها في الشمال، منذ قديم الزمان في حالة عداء، وكذلك مع قحطان في الجنوب. أما مع المطير فقد كانت علاقاتهم ودية[1]. ولذلك كان للقبيلتين عمل مشترك في حركة الإخوان.

(1) بوركهاردت، 335؛ هيس، عن البدو، 102.

عائلة شيوخ العتيبة

عائلة شيوخ الروقة، ابن ربيعان، مثبت وجودها منذ نهاية القرن الثامن عشر. فنحن نعرف حمود بن ربيعان الذي توسط لعقد صلح عام 1798م. ونعرف سلطان ابن ربيعان الذي حرر عام 1864م أبناء قبيلته من الحصار الذي فرضه عليهم عبد الله آل سعود وأجبر عبد الله على الانسحاب. وحقق مصلط بن ربيعان عام 1873م(؟) نصراً على سعود بن فيصل آل سعود. وفي التسعينيات كان يحكم محمد بن ربيعان، وفي عام 1915م دحيم بن مصلح، وفي عام 1925م عبد الرحمن بن ربيعان، وفي عام 1929م ابنه عمر بن ربيعان.

أما شيوخ البرقا، ابن حميد، فلم يعرفوا إلا في وقت متأخر بدءاً بتركي بن حميد 1864م[1]. وحكم محمد ابن هندي البرقا حتى الحرب العالمية. وخلفه في الحكم سلطان ابن بجاد. وقد واجه سلطان ابن حميد مصيراً مشابهاً لمصير صهره، شيخ المطير فيصل بن دويش. بصفته أمير هجر غطغط كان له نصيب حاسم في معركة تربة وفي احتلال الطائف. وقد وصل إلى المدينة متأخراً بحيث لم يتمكن من الحيلولة دون وقوع المجزرة التي تعرض لها السكان، لكنه أوقفها فور وصوله وحصل بسبب موقفه النبيل هذا على لقب سلطان الدين، الأمر الذي يعد تكريماً له كإنسان أيضاً. وفي عام 1928م حصل خلاف بينه وبين آل سعود أيضاً. وكان في

(1) جورماني، ص 189.

مارس/ آذار لا يزال يتمتع بثقة الملك. فقد كلفه آنذاك بإعادة الجيش الوهابي المحتشد على الحدود الشمالية الشرقية والذي كان فيصل الدويش يريد مهاجمة العراق به. ولكنه كما يبدو لن ينفذ هذه المهمة أو أنه نفذها على مضض إذ إنه لم يشترك في مؤتمر بريده الذي دعا إليه الملك بعيد ذلك لكي يدافع عن سياسته أمام الإخوان، كما أنه لم يحضر مؤتمر الدولة العام الذي انعقد في الرياض في بداية أكتوبر/ تشرين أول 1928م. فقام الملك بإقالته وقرر تقديمه للمحاكمة، لكنه بذلك دفعه نهائياً إلى صفوف المعارضة وإلى جانب فيصل. وفي معركة السبلة تمكن من إنقاذ نفسه بالهرب. وبعد ذلك طلب العفو من الملك. فأعفى عنه على شرط أن يخضع لحكم المحاكم. وعندما سلم نفسه للسلطة نقل إلى الرياض وزج هناك في السجن.

بعد إقالة سلطان أصبح مناحي الهيضل، زعيم الدعاجين (ب رابعاً)، شيخ مشايخ البرقا. وفي بداية يوليو/ تموز 1929م فقد مناحي أيضاً منصبه لأنه لم يكن قادراً على منع القبيلة من إعلان الثورة. وحل محله جهجاه شقيق سلطان.

عتيبة(1)

أ ـ الروقة(2)

عمر بن ربيعان

المنطقة: الطائف ـ سرة نجد

عدد الخيام: 2500 خيمة

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أولاً: ذوي ثبيت(3)		السيل ـ الركبة	
1 ـ ابن ربيعان(4)			
2 ـ الحمران(5)			100
3 ـ البراريق(6)			
ثانياً: طلحة(7)			
1 ـ الحماميد(8)	فرج المسيلم		200
2 ـ السمرة(9)			
3 ـ الدلابحة(10)	شريم بن عصاي		450
4 ـ الحفاة	جعيلان الحافي		
5 ـ الحناتيش(11)	ناصر بن محيا(12)		250
6 ـ المغايبة(13)	ابن رمحة		200
7 ـ السبقان(14)			
ثالثاً: المزاحمة(15)			
1 ـ المراشدة(16)	بجاد أبو خشيم		
2 ـ العضيان(17)			
3 ـ ذوي عطية(18)			

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أ ـ الحبردية(19)	مجاهد الحبردي		100
ب ـ الخراريص(20)	فاجر بن شليويح(21)		
جـ ـ الغنانيم(22)			
د ـ المغايرة(23)			
هـ ـ المهادلة(24)			
و ـ القساسمة(25)			
4 ـ الغبيات(26)			
5 ـ الجذعان(27)			
6 ـ السياحين(28)			
7 ـ الدماسين(29)			

ب ـ برقا(30)

شيخ المشايخ: جهجاه بن بجاد بن حميد

المنطقة: الركبة ـ نفود دلقان ـ القصيم

عدد الخيام 3500

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أولاً: النفعة(31)	حمود بن درعان		
1 ـ ذوي زياد(32)	أبو رقبة(33)		
2 ـ الحذيفات(34)			
3 ـ الحلسة(35)			750

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
ثانياً : المقطة(36)	جهجاه بن حميد		
1 ـ الروسان(37)	رزين بن جامع(38)		350
2 ـ السودة(39)			
3 ـ الوثالين(40)			
4 ـ المناجيم(41)			
ثالثاً : العصمة(42)	سلطان أبا العلا(43)		
1 ـ العجلة(44)			
2 ـ الشهبة(45)			
3 ـ السبهة(46)			
رابعاً : الدعاجين(47)	مناحي الهيضل(48)		250
1 ـ النكشة(49)			
2 ـ الشعبة(50)			
3 ـ الحسنة(51)			
4 ـ الدهسة(52)			
5 ـ المناصير(53)			
خامساً : الشيابين(54)	هذال بن فهيد(55)		750
سادساً : الدغالبة(56)	جمل المهري(57)		
1 ـ المراوحة(58)			
2 ـ الكرزان(59)			
سابعاً : الجثمة(60)			
ثامناً : المفاريج(61)			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ يستند الجدول إلى قائمة لِـ هس من عام 1899م، سلمها لي مشكوراً في عام 1938م. لكنها لا تتضمن عائلات الشيوخ فقد أخذت هذه من محمد البسام من 1915م ومن ابن أخيه من عام 1929م. توجد قوائم عتيبة لدى أيوب صبري ج3، ص 283 ودوتي ج2، ص 427 وسنوك هور جرونية، مكة ج1، ص 197، كتاب الجيب ج1 ص 69، فؤاد حمزة ص 179. البيانات بشأن حجم القبيلة تتفاوت كثيراً كالعادة. لدى دوتي ج2 ص 367 : 6000 شخص؛ كتاب الجيب : 5500 خيمة. استطلاعاتي الخاصة : 12000 نسمة وأكثر من 4000 خيمة أي أن رقم 6000 الوارد في الجدول يبدو غير مبالغ فيه الأسماء الورادة بين قوسين في بداية الملاحظات تعود لأفراد ينتمون للقبيلة.

2 ـ أيضاً الروقة (الروقي)، شعار الحرب : خيال الرحمن أنا ابن الروق. صيحة الحرب : فوغوم يلاد = (= يا آلاد) روق!.

3 ـ الثبيتي. ثبيتي أيضاً. أقدم قبيلة لعتيبة. فيلبي ج1، ص 194، 205، 210.

4 ـ عائلة مشايخ ابن الربيعان التي تنحدر من ذوي ثبيت ولكنها لم تعد ترتبط بها.

5 ـ حمراني.

6 ـ براقي.

7 ـ طليحي كذلك طلحة (طلحاوي). بيانات 1915م تذكر من فروعها المعاضيد مع الشيخ صنيتان الزيد (1899م : زيط) ذكر هذا في كتاب الجيب أيضاً. تضيف الساعدة بيانات 1929م مع الشيخ ابن زحّاف وهما مذكورانن أيضاً عند فؤاد حمزة.

8 ـ حمّادي.

9 ـ السميري.

10 ـ الدلبحي.

11 ـ الحنتوشي.

12 ـ 1915م: طامي بن محيّا. 1884م: ناصر بن محيّا، هوبر، جورنال ص 588.

13 ـ مغيبي.

14 ـ سبيقي.

15 ـ مزحمي.

16 ـ مرشدي.

17 ـ عضيّاني.

18 ـ عطاوي. تذكر بيانات 1929م من شيوخهم علي بن زريبة. لقد تم ذكر عائلة ابن زريبة في عام 1899 أيضاً.

19 ـ بيانات 1915م، 1929م البوسنون. تم ذكر الشيخ نحازي أبو سنون عام 1930.

20 ـ خراصي.

21 ـ عائلة المشايخ حديثة العهد. هس، أسماء البدو 8، تم ذكره في كتاب الجيب مدموجاً مع أسرة ابن زريبة (انظر ملاحظة 18).

22 ـ غنامي، انظر هس، من البدو 90 حيث يأتي ذكر الغنانيم كفرع من المزاحمة ج3، حسب ذلك يبدو ذوي عطية ليس مصطلحاً سياسياً بل مصطلح أنساب فقط.

23 ـ المغيّري.

24 ـ المهيدلي.

25 ـ الجسّامي.

26 ـ غبيوي.

27 ـ جذع.

28 ـ صيحاني.

29 ـ الدماسي.

30 ـ البرقاوي. يقسمهم فؤاد حمزة إلى ثلاثة فروع: عيال منصور تشمل (ثالثاً ـ سابعاً)، المقطة (ثانياً) النفاعة (أولاً) ثم يضيف لها فرع رابع، انظر ملاحظة 37.

31 ـ نفيعي، بيانات 1929م تتضمن أيضاً الفرع المشار إليه في كتاب الجيب ولدى فؤاد حمزة وهو الفلتة.

32 ـ الزيادي.

33 ـ أم القُرى رقم 252 تذكرهم ضمن الثوار.

34 ـ حذيفي.

35 ـ المحلسي.

36 ـ مقاطي. يبتعد فؤاد حمزة كاملاً عن هذا. الخنافرة = الخنافر عند صنوك.

37 ـ رويسي، قمزة، عند فؤاد حمزة عائلة من الروسان، كذلك في كتاب الجيب. يذكر بالإضافة إلى فرع الروسان هذا فرعاً آخر بالاسم نفسه.

38 ـ 1899م غزيِّر بن جامع.

39 ـ السويدي.

40 الويطالي.

41 ـ نجيمي.

42 ـ عصيمي ـ العصمة سلّموا في عام 1813م عثمان المضايفي إلى الشريف

الأكبر غالب؛ عنوان ص 97 وما بعدها. قارن المجلد 2 ص 391 وما بعدها. مرجعنا محمد باشا العصيمي ينتمي إلى العصمة.

43 ـ عائلة مشايخ قديمة.

44 ـ عجيلي.

45 ـ شهيبي، عند فؤاد حمزة إلى فرع الروسان. انظر ملاحظة 37.

46 ـ سبهاني.

47 ـ دعجاني. شعارهم قبل الحرب: خيّال الرحمن أنا ابن مفلح! يبتعد فؤاد حمزة عن ذلك بصورة كاملة. جاء ذكر الحداف في كتاب الجيب أيضاً. الخيطية هم = ذوي خيوط، نفس المصدر.

48 ـ عائلة مشايخ قديمة.

49 ـ نكيشي.

50 ـ الشعيبي.

51 ـ حسيني.

52 ـ الدهاسي.

53 ـ المنصوري.

54 ـ الشيباني (صيحة الحرب): نحاز الحريب أنا ابن مشيب!. من فروع فؤاد حمزة جاء ذكر ذوي عبدِ اللّه في كتاب الجيب أيضاً. الخليفي = ذوي الخليفة، نفس المصدر.

55 ـ هذال بن هذال. فيلبي ج3، ص 110. والده هذال كان محارباً مشهوراً.

56 ـ الدغيلبي.

57 ـ كتاب الجيب، محمد المهري.

58 ـ مروحي. فؤاد حمزة ج3.

59 ـ كرايزي[*]. فؤاد حمزة ج2.

60 ـ الجيثامي. حسب سنكوك: كثمة.

61 ـ المفرجي = ذوي مفرج ـ كتاب الجيب ـ فؤاد حمزة ج1.

هجر عتيبة(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ الداهنة(2)	عمر بن ربيعان	نايف الحلاج
		ماجد البرّاك(3)
		الشقيري بن الزحاف(4)
2 ـ ساجر	ضعار بن ربيعان	نايف بن تركي(5)
		ضيف الله بن تركي(5)
3 ـ الحيد	ناصر بن محيا	
4 ـ الكرارة	متعب أبو سنون(6)	
5 ـ كبشان	سلطان أبو خشيم	قاعد بن بجاد
		أبو خشيم
6 ـ المتسلاه	ماجد أبو خشيم	
7 ـ عسيلة	غازي التوم	ضيف الله التوم
8 ـ شبيرمة	ناصر بن رازن	
9 ـ أبو جلال	محماس ال....	
10 ـ العرجا؟	قطيم الحبيل	طلق بن جازع
		عبدالله الوتير

(*) فؤاد حمزة يذكر كرزان وليس كرايزي وأعتقد أنه خطأ مطبعياً (ماجد شبّر).

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
11 ـ الصوح؟	سلطان الغربي	
12 ـ عروا	جهجاه بن بجاد بن حميد(7)	
13 ـ إمصده؟	خالد بن جامع	مترك بن جامع
14 ـ السنام؟	سلطان ابا العلا	هزاع بن مغيرق
15 ـ الحفايرة	مناحي الهيضل	صلاّل بن مناص الهيضل
16 ـ اللبيب؟	عبد المحسن بن بدر الهيضل	عمر أبو رقبة
17 ـ الروضة	ماجد بن ذاوي بن فهيد	فيحان بن فهيد
18 ـ الرويضة	جمل المهري	
19 ـ حميّان	غايب بن ناصر بن عجيّل(8)	مناص بن عجيّل

ملاحظات حول الجدول

1 ـ راجع أُم القُرى رقم 208، 18/ 12/ 1928م ورقم 252، في 10/ 1929م الريحاني 413، معلومات أحد أبناء أخ محمد البسام.

من الملاحظ أن هجرة غطغط لم تكن ممثلة في اجتماع الرياض الذي تحدثت عنه أُم القُرى في العدد رقم 208 وهذا يعني أنها كانت منذئذٍ في صف المعارضة.

تم ترتيب المستوطنات في الجدول حسب الفرعين الروقة (1 ـ 11) وبرقا (12 ـ 19) وضمن كل منهما حسب ترتيب المشايخ أو عائلات المشايخ. وغالباً ما توجد المستوطنات في منطقة الفرع المعني: داهنة في الحمادة، ساجر في السّر، متسلاه على وادي المياه، حيد، وكبشان، وشبيرمة وأبو جلال في الجزء الشرقي لسراة نجد بين أوضاخ والنير؛ عروا في الجنوب الشرقي. دوادمي، وحفيّرة وحمّيان شرقي دوادمي، الرويضة على طريق الرياض ـ مكة.

2 ـ حول هذا جاء في أُم القُرى رقم 252: نفي. لدى ابن بسام الداهنة مع

غازي، البراق ونفي مع عمر بن الربيعان.

3 ـ تابعة إلى أ ـ أولاً ـ 3.

4 ـ ملاحظة رقم 7 ـ الجدول.

5 ـ بالتأكيد أبناء تركي بن الربيعان الذي يذكر في كتاب الجيب كشيخ مشايخ الروقة.

6 ـ ملاحظة رقم 19 ـ الجدول.

7 ـ أم القُرى رقم 208: حشور بن مقعد الحميد.

8 ـ أم القُرى رقم 208: بيدر بن عُجيّل. تتبع عائلة المشايخ هذه إلى ذوي خيوط. انظر ملاحظة رقم 47 ـ الجدول.

بقـــوم

قدَّمَت البقوم[1] خدمات جلى لشريف مكة الأكبر، فقد قاوموا منذ سنة 1795م، هجمات الوهابيين وأنصارهم، وظلوا ثابتين على موقفهم، على الرغم من انفصال جيرانهم عتيبة وسبيع في سنة (1898م)، وكذلك النجاحات التي أحرزها الوهابيون بشكل متنام في الواحات الحدودية[2]. ويعتقد أنهم لم يخضعوا إلا بعد احتلال الطائف في أوائل سنة (1803م).

بعد دخول قوات محمد علي باشا في بداية عام 1813م إلى الطائف شارك البقوم أيضاً في القتال وكانت تذكي نيران المقاومة، وتشجع المقاتلين على الثبات، امرأة واسمها غالية، كانت أكثر تأثيراً من الشيخ ابن خرشان نفسه. بعد معركة بسل في بداية سنة (1815م)، احتل الأتراك تربة، عاصمة البقوم. واستطاعت غالية الهرب من الواقعة في الوقت المناسب[3].

ظل البقوم حتى وقت قريب يقفون إلى جانب الشريف الأكبر الملك حسين[4]، ولم يصبحوا وهابيين إلا بعد معركة تربة في أيار/ مايو (1919م).

---

(1) الجمع: بقمان. الفرد الواحد: بقيمي. وهم ينحدرون حسب شكيب أرسلان من أزد.

(2) الروضة 2 تحت 1209 (حملة سعود ضد ترابة) 1212. منجن جـ 2، ص 514، يعتبر البقوم فرعاً من فروع سبيع.

(3) بوركهاردت 498، 514 وما بعدها. 549، 557.

(4) فيلبي جـ1، ص 162، 213.

يبلغ عدد البقوم قرابة ثلاثة آلاف فرد من البدو الرحل، ومثلهم من المقيمين في تربة، بمن فيهم الأشراف والزنوج، تتبع منطقة البقوم الحجاز، وتمتد من الهضاب الرملية لبرقة وحتى شعيب الشعبة في الشرق، بما في ذلك جبل حضان وسهل شرقي[1].

البقوم(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ المزاريق 2 ـ الموركة(2) 3 ـ الرواجح	جبل حضن، الشرقي		750

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1925م، فيما عدا ذلك يمكن أخذ قائمة فؤاد حمزة فقط، بعين الاعتبار (871).

2 ـ منضمون إلى عتيبة. هس: الموركة (المورقة)، تجدر المقارنة مع فؤاد حمزة.

---

(1) فيلبي جـ1، ص 174، 180.

سبيع

تعتبر قبيلة سبيع[1] واحدة من القبائل المحدودة الأهمية نسبياً، وقد كان الأمر مختلفاً فيما مضى عما هو عليه الآن، وإلا فإنه لا يمكن تفسير النسبة الكبيرة التي تمثلها سبيع فيما بين سكان الجزيرة العربية المقيمين.

الموطن الأصلي لهذه القبيلة هو وادي سبيع الواقع في الجنوب الغربي من نجد[2]، والشريط الرملي عرق سبيع المحاذي له شرقاً. ومن هذه المنطقة انتشر جزء من سبيع، باتجاه الجنوب حيث أقاموا في واحة رنية، وجزء نحو الشمال الشرقي وظلوا زمناً طويلاً يعيشون مع المطير في منطقة حمرا. إلا أنه من غير المعروف، الوقت الذي تمّ فيه إبعادهم من هناك، ولا على يد من تم ذلك الإبعاد[3].

في بداية العهد الوهابي كان السبيع الشرقيون يخيمون في منطقة العارض وباتجاه الشمال. وهم من أوائل القبائل التي اتبعت الدرعية وظلوا منذ ذلك الوقت وهابيين[4]. وشاركوا في حروب مختلفة، إذ نجدهم بين المدافعين عن شرقي

---

(1) سبعان: الفرد الواحد: سبيعي.

(2) يرد ذكر وادي سبيع في إحدى القصائد التي أوردها ياقوت في المجلد الرابع، 877 لشاعر قديم(*).
(لا بد من الانتباه إلى الأسماء القديمة للفروع / طور/ ب1، عرينات (الملاحظة 1 على الجدول)!
(*) هو السفاح بن بُكير
«الأهل إلى حومانةِ ذاتِ عرفجٍ   ووادي سُبيْع يا عليل سبيلُ» (شبَّر).

(3) بوركهاردت 340، دوتي جـ 2، ص 355، فِلبي جـ1، ص 147. جـ 2، ص 13 وما بعدها.

(4) ذكرت لأول مرة في عام 1763، الروضة جـ 2 تحت 1177. منجن جـ 2، ص 461.

الجزيرة العربية ضد قبائل المتنفق في عام 1797م[1].

أما السبيع الغربيون فقد خضعوا، كما ذكرنا أعلاه، في عام 1798م. وكان سعد بن قطفان، أخو أمير الرنية، قد اعتنق المذهب الوهابي قبل ذلك، لكنه قتل عام 1794م على يد أفراد من جماعته عندما حاول نشر التعاليم الجديدة.

وبعد الاستيلاء على الواحة تمت تسمية أحد أقربائه، وهو محمد بن سعيد بن قطنان أميراً على رنية[2]، ومن الممكن أن يكون هذا الأمير، نفسه ابن قطنان، الذي سبق له المشاركة في القتال الذي جرى ضد القوات المصرية ـ التركية في سنة (1815م)[3] قرب بسل.

شاركت أيضاً، سبيع الشرقية في العديد من المعارك ضد المحتل الأجنبي: ففي عام (1822م)، تحرك الأتراك الموجودون في الرياض وأنصارهم المحليون ضد سبيع المتمركزة خلف حاير إلا أنهم حاقت بهم الهزيمة. وقد سقط قائدهم قتيلاً، ووجد أمير الرياض الحماية لدى أحد أفراد سبيع، وتمكن من إنقاذ نفسه بالاختباء في أحد الكهوف. إلا أنه وعندما ذهب ممتطياً حصان الأمير إلى أحد المشارب تعرف على هذا الحصان بعض أفراد القبيلة، ثم اكتشفوا هوية خياله وقتلوه[4].

وقفت سبيع الشرقية دائماً إلى جانب آل سعود، في حين بقيت سبيع الغربية ولأمد طويل تحت نفوذ شريف مكة الأكبر. لكنهم انتقلوا في السنوات الأخيرة من الحرب العالمية إلى صفوف آل سعود، وشاركوا بعد ذلك في الدفاع عن خرما «خرمه»[5].

---

(1) الروضة جـ 2 تحت 1211.

(2) الروضة جـ 2 تحت 1209، 1211، منجن جـ 2، ص 509.

(3) بوركهاردت 549، 558.

(4) عنوان، 139.

(5) كتاب الجيب (هاندبوك) جـ1 73، فيلبي جـ3، ص 19 وما بعد 36 وما بعد 41 وما بعدها، وهنا أيضاً الجزء الثاني، ص 428.

تمتد منطقة السبيع الغربيين على امتداد طريق الحج، من شعيب الشعبة إلى وادي نعيم، وتصل في الجنوب إلى وادي رنية. وأثناء قطف النخيل يتجمع السبيع الرحل في خرما، حيث يملكون بساتين يتولى زراعتها الزنوج. ويوجد أتباع لهذه القبيلة من المقيمين وأنصاف المقيمين في مواقع أخرى من هذه المنطقة مثلاً: القنصلية[1].

وتتنقل سبيع الشرقية من وادي حنيفة شرقاً حتى الدهناء، وفي الشمال يصلون إلى ما بعد حفر العطس. وتتبع لهم واحة حاير التي بناها الزنوج. وتقطن سبيع في العديد من قُرى عارض، في الجنوب في حوطة ومبرز أفلاج، وفي الشمال في الوشم، والسدير، والقصيم. وترجع عائلة آل سليم من أمراء عنزة نسبها إلى هذه القبيلة[2].

سبيع(1)

أ ـ سبيع في الغرب

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ بني ثور		وادي سبيع ـ عرق سبيع ـ الشفا	
2 ـ السودة(2)		رنية	

(1) فيلبي جـ1، ص 171، 287.

(2) دوتي جـ1، ص 341، كتاب الجيب جـ1، ص 609 وما بعدها، فيلبي جـ1، ص 48، 122، 126، جـ 2، ص 9، 13 وما بعدها 77، 286، جـ3، ص 58، جـ3، ص 8.

ب ـ سبيع في الشرق

خرفان أبا ثنين(3)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ	فلاح آل دهمان	صيفاً: وادي حنيفة ـ العطس شتاءً: الدهنا ـ الصمان	1700
2 ـ	سعد بن شوية		
3 ـ الصيافا(4)	سعد الصيفي		
4 ـ	فارس بن راجس(5)		

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب ملاحظات تعود إلى عام 1925م و1929م. كتاب الجيب ج1، ص 610. يذكر العديد من العشائر المستقرة، كذلك فيلبي ج2، ص 77، 286. يقسم فؤاد حمزة 155 سبيع الشرقية إلى بني عمر وبني عامر. لعلين = الأعلاوين (غ. رنتس، 81). وهؤلاء يذكرون من قبل فيلبي أيضاً، ج2، ص 4، بأنهم مؤسسو هجرة ضبيعة (2). كانوا يسكنون سابقاً قرب خرما، وقد تم طردهم من هناك من قبل بني ثور (أ 1). فيلبي ج1، ص 167. العرينات سكان الرغبة ينتمون حسب فيلبي إلى بني عامر وحسب فؤاد حمزة إلى بني عمر.

2 ـ مستقرين. من الملفت للنظر أن الكرب عند شبوة على حدود اليمن وحضرموت ينسبون أنفسهم إلى السودان (السودة). فيلبي بنات شبعا، ص 65 و95، قارن رحلة كلاسر إلى مأرب، ملر ورودو كاناكيس، ص 32.

3 ـ 1871: عباس أبا الثنين: شمال نجد ص 275.

4 ـ فؤاد حمزة، بني عامر.

5 ـ فيلبي ج2، ص 41: فارس بن "داقس" ، من بني عامر.

هجر سبيع(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ الحاسي «الحسي»	فدغوش بن شوية	وليد بن شويه بن فهّاد
2 ـ الضبيعة	علي بن هديهد(2)	ثنيان بن هديهد
		فالح بن غيدة
3 ـ الخضر	الضويري بن جفران	ضرمان أبو الثنين
		ضيدان أبو الثنين

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب أم القُرى، رقم 208، 18/ 12/ 1928م. حاسي تقع شمال شرق ثادق، ضبيعة وخضر في الخرج.

2 ـ عائلة مشايخ بني عامر. في عام 1918م في ضبيعة. فيلبي ج2، ص 41.

سهول

ترتبط السهول منذ أمد بعيد مع سبيع، فقد عاشوا سوياً في سلسلة الحمرا، ورافقوهم بشكل جزئي، في ترحالهم نحو الشمال الشرقي.

خضع السهول[1] منذ وقت مبكر أيضاً، للوهابيين، ووقفوا مع آل سعود بشكل مستمر، ورد اسمهم في سجلات الوهابيين للمرة الأولى في سنة 1784 ـ 1785م[2]. لم تكن هذه القبيلة ذات شأن أبداً. ولكن تذكر عنهم مأثرة حربية واحدة: ففي عام 1822م أبادوا الحامية التركية في مجمّع التي شنّت حرباً عليهم[3].

يتقاسم السهول الرحل، منطقة التنقل، وكذلك ملكية واحة حاير مع سبيع الشرقية. وهناك مجموعة ثانية هي القبابنة، والتي تنتشر في منطقة الطويق الجنوبي فيما بين الحمر والحوطة، وتملك واحات ستارة، وحراضة، والغيل. والرويضة، القرية الرئيسية في الحمرا يسكنها السهول، وكذلك في بعض الأماكن الأخرى، وحتى في بسر البعيدة (قصيم) يوجد جماعات مستقرة من السهول[4].

(1) مفردها سهلي.

(2) الروضة، جـ 2، تحت رقم 1199 (عند الرويضة).

(3) عنوان، ص 138.

(4) فيلبي، جـ1، ص 146، جـ 2، ص 265، جـ3، ص 232.

السهول(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ	صوار بن معدل	وادي حنيفة ـ العتس	900
2 ـ القبابنة		الأفلاج ـ الفرع	300

ملاحظات حول الجدول

1 ـ وفق ملاحظات عام 1919م، يذكر فؤاد حمزة 157، أن بعضاً من فروع السهول يتواجدون في عارض.

هجر السهول(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ المشاش	مناحي بن جلعود	
2 ـ الرويضة	عبد الله بن مظهور	
3 ـ البدع	صوار بن معدل	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ وفق أم القُرى رقم 208، 18، 12، 1928م، الرويضة معروفة، والبدع تقع في الخرج. مع المشاش، موقع ماء صغير، أسماء الأماكن المركبة كثيرة، ولكن هنا الجزء الثاني غير موجود، بحيث لا يمكن تحديد المكان.

قحطان

يقع موطن قحطان[1] في عسير الشرقية والجنوبية، وما زالت القبيلة الأم تعيش هناك حتى اليوم، وقد انتقلوا من منطقة الجبال الحدودية ذات الكثافة السكانية العالية، إلى منطقة نجد، وعاشوا هناك حتى وقت قريب كقبائل رحل، بشكل كامل.

تعتبر قحطان إلى جانب عتيبة والمطير، من أقوى قبائل وسط الجزيرة. يذكرنا اسم القبيلة، اسم قحطان[2]، الذي ضم وفقاً لعلماء الأجناس بعد النبي محمد كل عرب الجنوب. ولما كان هذا المصطلح العرقي بخلاف اليمن وقيس، لم يكتسب أبداً أي وجود حقيقي (انظر الجزء الأول، ص 337، 343، والجزء الثاني، ص24 و25)، فإن قبيلتنا لا يمكن أن يكون لها أي صلة به. إلا أنه ظهر عند الرحالة المقدسي (المدون عام 985م) في ظل أمير اليمن آنذاك، عائلة تدعى آل قحطان، كان موطنهم بلاد قحطان[3] في جنوب غرب نجران، أي هناك بالضبط، حيث يعيش قحطان عسير اليوم. لذلك لا يوجد أدنى شك، أن بني قحطان الحاليين، هم

(1) تلفظ گحطان، والجمع قحاطين، والمفرد قحطاني.

(2) من المحتمل أن يكون الاسم لإحدى القبائل التي وجدت قبل الإسلام (كتانيتاي بطليموس).

(3) BGA III، ص 94، 104 (النص غير واضح من ص 106 ولكن من السهل إعادة كتابته) ويطلق عليهم اسم "أقدم أمراء اليمن". غير أن هذا غير صحيح لأن ابن حوقل والهمداني يعرفان اليمن أكثر من المقدسي ولم يذكرا ذلك.

من نسل أولئك الأمراء القدماء، أو لنقل بصورة حذرة، من رعاياهم.

لا يمكن تحديد الوقت الذي غادر فيه قحطان منطقة عسير وبشكل دقيق. فقد هاجروا أولاً نحو الشمال، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر من المجرى الأسفل لوادي بيشة وتثليث حتى طريق الحج مكة ـ الرياض. وكانوا يجاورون في الغرب سبيع وشهران (الجزء الثاني، ص 630) وفي الشرق بني هاجر[1]. وليس مؤكداً ما إذا كانوا يتنقلون في تلك الفترة من الزمن على امتداد طريق الحج، أو لأبعد من ذلك نحو الجنوب في السهول الواقعة في قوس الطويق. واحتكاكهم المتأخر نسبياً، مع الوهابيين يعارض ذلك[2].

ارتبطت قحطان، كغيرها من قبائل الحجاز، بعلاقات حرة ضعيفة الالتزام مع مكة. وتجدر الإشارة إلى أنه كان لديهم ثقة كبيرة بقوتهم الذاتية، وعندما هاجمهم ولي العهد سعود في سنة (1786م) لأول مرة، تصدوا له باعتزاز، (هل يعتقد سعود أننا مثل أولئك البدو، الذين تعامل معهم حتى الآن؟). وبهذه الكلمات عكس أحد المؤرخين الوهابيين تصوراتهم ومزاجهم. لم يكونوا مدعين أو خراطين. فقد حاربت قحطان ببسالة، ولكن النصر لم يكن حليفها. وخلال الحملة المكية إلى قلب الجزيرة (1790 ـ 1791م)، شكلت نواة القوات البدوية المساعدة، وقامت بتغطية انسحاب الشريف الأكبر، الأمر الذي كبدها بعض الخسائر في الخيول والجمال[3]، وفيما عدا ذلك كانت خسائرهم طفيفة.

في هذه الأثناء كان أحد شيوخ قحطان غير المهمين، وهو هادي بن غنيم الذي كان ينسب عادة إلى أمه قرملة ويسمى هادي بن قرملة، قد انتقل إلى صفوف الوهابيين (1787م). وبعد اعتناقه الأفكار الجديدة، سرعان ما تحول إلى قائد بارز.

---

(1) يستخلص ذلك من خلال التقارير التالية عن حرب الوهابيين.

(2) لذلك لا نوافق فيلبي على رأيه (انظر الجزء الأول ص 237 والجزء الثاني ص32، 33) بأنه تم إبعاد المطير والسهول من منطقة الحمرا من قبل قحطان (انظر أعلاه).

(3) الروضة جـ 2، قبل سنوات 1200، 1205، قارن منجن جـ 2، 494، 504.

وحتى في أصعب الأوضاع والظروف، لم تخنه شجاعته. وفي إحدى المعارك ضد بني هاجر، ترك الدواسر أميرهم ربيّع وانتقلوا إلى صفوف العدو. أما ابن قرملة فقد ظلّ إلى جانبه وساعد الفئة الصغيرة من أنصاره على النجاة.

بعد بضعة أعوام نراه على رأس قوة خاصة به. وفي سنة (1795م) فاجأته قوة كبيرة من مكة، عند موقع الماء ماس فيما بين لترابة ووادي الدواسر، وقتلت جماعة الاستطلاع التابعة له. وقام العدو بإغلاق مخرج الوادي الذي كانت تعسكر فيه قواته، ولكنه تمكن من النجاة بعد خسائر قليلة. بعد هذه المعركة جهز الشريف غالب، حملة أكبر، كان هدفها القصيم، الذي كان مهدداً على الدوام لأنه المنطقة الفاصلة فيما بين المناطق الشمالية والجنوبية للدولة الوهابية. فكلف ابن سعود، هادي بن قرملة بمهمة قطع الطريق على القوات المعادية، وذلك، لأنه لم يتمكن من القيام شخصياً بتلك المهمة، لعودته للتو من حملة قام بها ضد قبيلة عتيبة. إذ إن الجمال المستخدمة في الحرب تحتاج بعد الغزوة الطويلة إلى مدة تصل إلى ثلاثة أشهر للراحة. لكنه أرسل له ربيّع للمساعدة. إضافة لذلك، فقد طلب من قبائل نجد الجنوبية الالتحاق بابن قرملة مع نسائهم وأولادهم وممتلكاتهم، بعد أن أوحى لهم أن حملة الشريف المكية موجهة ضد القبائل المتضامنة مع الوهابيين. التقى ابن قرملة عند الجمانية بالقوات المكية وأوقع بهم الهزيمة (في 1 و2 رمضان/ مارس 1796م). وقد وصل ربيع ميدان المعركة متأخراً. لكنه لاحق بني هاجر الفارين من أرض القتال وهم يعبرون طريق الحج عند القنصلية في طريق عودتهم لديارهم[1].

خلال الأعوام التالية انتقلت قحطان إلى صفوف الوهابيين. وفي سنة 1797م شاركت في الحروب الحدودية التي أدت إلى احتلال خرمة وإلى انفصال عتيبة وسبيع في مكة[2].

---

(1) الروضة جـ 2، تحت سنوات 1201هـ، 1204هـ، 1208هـ، 1210هـ، قارن منجن جـ 2، ص 496، 510.

(2) الروضة جـ 2، تحت عام 1212. ملاحظة 19 من الجدول. أن تكون خرما أصبحت وهابية فهو أمر يتبين من التالي.

من أجل إعادة الأمور إلى نصابها توجه الشريف غالب شخصياً في العام التالي إلى ساحة المعركة. وتمكن من أسر جماعة الاستطلاع التابعة لقرملة، ثم فاجأه نفسه عند القنصلية واستولى على كل ما حمل معه من مؤن ومتاع؛ وولت إبل الرعي هاربة[1] بعد ذلك توجه الشريف نحو الجنوب لكي يستعيد واحة رنية التي كان قد فقدها قبل عامين. وبينما كان يتعارك مع سكان الواحة ظهر فجأة ابن قرملة وأجبره على الانسحاب. لكن الوضع ظل خطيراً للغاية مما جعل سعود يرسل الأمير ربيّع لمساعدته. وفي هذه الأثناء كان غالب قد ذهب إلى واحة بيشة بناء على طلب الفئة الشريفية القوية الموجودة هناك، وقضى على أنصار الوهابيين هناك[2]. وعلى طريق العودة مر في خرما. فهرب السكان منها وقام غالب بحرقها. في هذه اللحظة ظهر هادي بن قرملة وربيّع[3]. فاضطر الشريف إلى الهرب وترك المعسكر مع كل ما فيه من مؤن وغنائم حرب والعودة على عجل إلى مكة.

وضع صلح سنة (1799م) حداً للقتال في منطقة الحدود، ولكن ما لبثت الحرب أن تجددت في سنة (1802م)، وشارك فيها ابن قرملة بالهجوم على الطائف، ثم التحق مع قحطان بصفوف القوات التي كان سعود يقوم بحشدها على بئر الحنابج في المنطقة الواقعة أسفل النير جنوباً، بغية الزحف على مكة[4].

عاشت قحطان بعد ذلك سنوات طويلة من الهدوء، ويبدو أنهم في العقد الأول من القرن الجديد قد نقلوا منطقة تنقلهم باتجاه الشرق حيث توفر مكان بعد

---

(1) نفس المصدر، تحت 1212. فيلبي، بلاد العرب 74، لم يفهم النص الصعب فعلاً ورأىٰ فيه انتصاراً لابن قرملة. الصحيح (باستثناء المقدمة). منجن جـ 2، ص 515.

(2) تحولت قريتان من قرىٰ الواحة في الأعوام 1211 هـ/ 1796 ـ 1797م بعد حملة عسكرية قام بها ربيّع إلى الوهابية. كما خضع غيرها في عام 1212 هـ. ولكن قبل الأحداث المشار إليها أعلاه بقليل كان الموقع الهام لتوريد التمور على طريق مكة قد خسره الوهابيون مرة أخرى.

(3) إلى هنا وتنتهي الروضة (فيلبي)؛ منجن جـ 2، ص 516 يواصل الحديث.

(4) منجن جـ 2، ص 526 وما بعدها. ذهب هادي بن قرملة في عام 1810م كمبعوث إلى عُمان. . بوركهاردت، ص 440 وما بعدها. وبعد ذلك لا يذكر أي شيء عنه. هناك قصيدة له، ديوان من قلب الجزيرة رقم 30، مترجم من هيس، من البدو، ص 53 وما بعدها.

انسحاب بني هاجر. إذ إنهم بخلاف أشقائهم في عسير، لم يشاركوا في القتال ضد قوات محمد علي باشا (1814 ـ 1815م). كما أن حملة إبراهيم باشا ضد الدرعية (1816 ـ 1818م)، وما تبعها من احتلال المواقع الهامة في نجد، لم يمسّا مواطن قحطان.

عندما عاد الحاكم الشرعي فيصل بن تركي إلى الحكم (1843م) انضمت قحطان مرة أخرى إلى آل سعود. ورافق القحطانيون جيشه حتى ما بعد وادي الرمة، وشاركوا في حرب الأخوة التي دارت بين ابنيه عبد الله وسعود. لكن الروح الحماسية القديمة لم تعد موجودة فيهم. فقد صاروا يقاتلون كما يقاتل البدو عادة عندما لا يتعلق الأمر بمصالحهم الخاصة: إذ يكون الهدف هو الحصول على الغنائم ويكونون دوماً على استعداد للتخلي عن الصديق، لا بل وللالتحاق بالعدو، حسب تطورات الحرب[1].

يروي دوتي حكاية ملفتة للنظر من تلك الفترة: في عام 1876م رحلت قحطان، 400 خيمة، إلى القصيم بحثاً عن موطن جديد لها هناك. وفي الصيف التالي تعرضت لغزوة من عبد الله آل سعود، لكنها ردته على أعقابه. ويبدو أن عبد الله اعتبرهم من المرتدين. وبالفعل فإن قحطان عرضت على حايل دفع الضرائب لها. لكن ابن رشيد رفض العرض، لأنه لم يكن يريد إزعاج عبد الله الذي كانت علاقته به آنذاك لم تزل جيدة. وفي هذه الأثناء كانت قد نشبت عداوة بين قحطان والمطير وشن القحطانيون على مطير غزوة قتلوا فيها نساء وأطفالاً. كما أن العنزة تعرضت للغزو. ولذلك قرر أمير المنطقة بالتحالف مع مطير طرد القحطانيين. فجهز جيشاً قوامه 400 رجل، كل اثنين على جمل، و160 خيالاً، وهجم على القحطانيين الذين كانوا أسوأ تسليحاً ولكن أفضل تجهيزاً بالخيول.

وكان قحطان قد غادروا مقرهم الشتوي في العيون، متوجهين عبر الدليمية والرس نحو الجنوب، وعند بئر الدخنة، فاجأتهم قوات التحالف. ولإنقاذ

(1) جورماني، ص 64 وما بعدها، دوتي جـ 2، ص 424 وما بعدها.

مواشيهم، قاموا بترك معسكرهم في محنته. وتمكن شيخهم من النجاة بنفسه، ولكنه فقد اثنين من أبنائه وإحدى بناته، الذين سقطوا ضحية ثأر المطير (سنة 1878م). وهكذا، اضطرت قحطان للتفاهم مع عتيبة، لأن طريقهم كانت تمر ضمن مناطق إقامتهم، وعادت مجدداً إلى صفوف آل سعود[1].

خضعت قحطان خلال المدة الواقعة ما بين (1891 ـ 1903م) لحكم آل الرشيد، ولهذا، كانت عرضة لحملات النهب التي كانت تشن ضدها من قبل آل سعود. إلا أن هذه المعادلة تبدلت، بعد احتلال عبد العزيز آل سعود للقصيم في سنة (1903م)[2].

تمّ كسب قحطان إلى حركة الإخوان بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة، وأصبح الشيخ فيصل بن حشر، (ب 2)، سليل الأسرة الحاكمة القديمة ابن حشر، زعيماً لهم. وعلى النقيض من ابن دويش، فقد عرف كيف يوائم بين عصبيته القبلية ودهائه السياسي. واحتفظ به ابن سعود في حاشيته وقربه منه[3]، مع خوفه، في الوقت نفسه من أن يصبح الرجل في قبيلته أقوى من اللازم. ومنذ ذلك الوقت، شارك الإخوان من أبناء القبيلة في جميع المعارك على الحدود الغربية لدولة الوهابيين الجديدة: في كل من الخرمة، وعسير، والطائف وجدة[4].

تنقسم قحطان إلى ثلاث مجموعات عبيدة، وآل محمد، وآل الجمل. وتعتبر عبيدة أكثر تماسكاً من الفرعين الآخرين، ولهم شيخ مشايخ مشترك وموطن خاص بهم، ومن المحتمل أن هجرتهم جاءت في وقت متأخر. ويرجع المؤرخون المحليون أصولهم إلى بني جنب[5]، ويفصلونهم بالتالي عن بقية قحطان.

---

(1) دوتي، جـ 2، ص 37 وما بعدها، 346، 443 وما بعدها.

(2) ريحاني، ص 104، 115 وما بعدها، 122.

(3) فيلبي جـ3، ص 21 وما بعدها.

(4) فيلبي، جـ3، ص 320، الريحاني، 71، 299، 367، قارن الجزء الثاني ص 612، 613 وما بعدها.

(5) فوستنفيلد، جدول 8، 15 والجداول الملحقة الأخرى. إن وجهة النظر التي تقول بأن عبدة شمّر هم من العبدة، وهي لا تعدو أن تكون مقولة تعتمد على التشابه اللفظي.

تمتد منطقة تنقل قحطان من وادي الرنية في الجنوب إلى وادي سبيع على طريق الحج، ومن هنا شرقاً حتى الطويق. وتمتد خلف القويعية وصولاً عبر طريق الحج شمالاً في السهوب الواقعة بين الدوادمي والشقرا. تتنقل الفروع الثلاثة بشكل منفصل، فتخيم عبيدة في الربيع بوادي الرنية ووادي سبيع، وفي الصيف في الحمرا على آبار حليبان وغمرا والإثلة، بينما يستقر آل محمد في الصيف في القويعية والحرملية وعبيسان[1]، وفي الخريف، يتحركون باتجاه الجنوب الشرقي عبر الطريق إلى الحوطة لجني ثمار النخيل، وفي الشتاء بين السيح، ودلقان والانجل.

ويقتصر الفرع الثالث آل الجمل[2] على المنطقة بين الحصاة وحلوة الراين والسيح. وقد صادف فيلبي قحطانيين بعيداً في الشرق في وادي فروق أيضاً[3].

قبل تأسيس مستوطنات الإخوان كان القحطانيون المستقرون الذين يقيمون في قرى نجد، قليلي العدد، كانوا موجودين في ضرمة وقربها وفي مرآة (وشم) وفي غبرا في القصيم. وهناك مستوطنتان صغيرتان للقبيلة واقعتان جنوب غرب الحصاة تحمل إحداهما اسم سكانها عيزرة (حـ 2 ـ أ) والثانية حمر في الطويق الجنوبي، وقد كانت مسكونة من قبل الداود، وذلك قبل أن يتم احتلالها قبل أربعة أجيال من قبل الدواسر[4].

كانت عتيبة العدو الرئيسي لقحطان في الأزمنة الحديثة. ولكن على الرغم من ذلك يمكن أن تطرأ بعض الظروف التي تجبر القبيلتين على الاتفاق بحيث تسمح

---

(1) بين الدوادمي والشقرا، هيس، ملاحظات حول رحلات دوتي إلى بلاد العرب ص 7 ولكن فيلبي قابل شريم في حزيران على نبع الورهية/ جنوب الحوطة، جـ 2، ص 274، (شيرين).

(2) مخبرنا من آل عاصم كان يسمي المجموعة بحسب عائلة شيوخها ابن سيفران، ابن لبدة، ابن معظيمان، ابن عبود (حـ ـ 1)، وابن عليان.

(3) فيلبي، جـ1، ص 45، الفرع المقصود (دعاث) غير موجود في جدولنا.

(4) دوتي، جـ 2، ص 408، فيلبي جـ1، ص 122، 126، 157 (إفارا) في خارطته تبدو صحيحة، جـ 2، ص 262، جـ3، ص 89.

إحداهما للأخرى بالإقامة فترة مؤقتة في منطقتها[1].

لم يكن لقحطان احتكاك مستمر بإخوانهم في عسير. فقط بين حين وآخر يأتي قحطان نجد في أوقات الجفاف إلى الجنوب ويستقبلون هناك أحر الاستقبال[2].

يلاحظ أن كلمة «آل» واردة كثيراً في الجدول، وهذا أمر تتميز به القبائل القادمة من الجنوب.

قحطان(1)
أ ـ عبيدة(2)
شيخ المشايخ: ابن شفلوت(3)
منطقة التنقل: وادي رنية ـ الحمرا

عدد الخيام: 2000

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ آل الجرو(4)			
2 ـ الفهر(5)			
3 ـ آل سالم(6)			
4 ـ آل مهدي(7)			
5 ـ آل العصادة(8)			
6 ـ آل داود(9)			

(1) لاندبورغ، داثينا ص 551 وما بعدها، قارن مع ما ورد أعلاه.

(2) كتاب الجيب هاندبوك، جـ1، ص 442.

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
7 ـ بني هاجر(10)			
8 ـ آل حارث(11)			
9 ـ الحرقان(12)			
10 ـ العرجان(13)			
11 ـ آل شايب(14)			
12 ـ آل دمنان(15)			
13 ـ حمالة(16)			
14 ـ المساردة(17)			

ب ـ آل محمد(18)
منطقة التنقل: الحوطة ـ الوشم

عدد الخيام: 2500

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الروق(19)	ابن حويل(20)		250
أ ـ آل حويل	ابن حويل		
ب ـ آل حامد(21)			
جـ ـ النقاجين(22)			
د ـ آل زميمان(23)			
هـ ـ آل خادم(24)			
و ـ الغربان(25)			
2 ـ آل عاصم(26)	فيصل بن حشر(27)		
أ ـ آل عضيب(28)			

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
ب ـ الخراشفة(29)			
جـ ـ آل نصار(30)			
د ـ آل غنام(31)			
3 ـ آل سعد(32)			
أ ـ آل العوا(33)			
ب ـ آل مسن(34)			
جـ ـ آل سلوة(35)			
د ـ آل جحشان(36)			
هـ ـ آل مخثلة(37)			
و ـ آل فاضل(38)			
4 ـ الخنافر(39)	ابن مجدل(40)		
أ ـ آل قريان(41)			
ب ـ آل كليفيخ(42)			
جـ ـ آل معلى(43)			
د ـ آل سبعان(44)			
هـ ـ آل جرييع(45)			
و ـ آل قير(46)			
ز ـ آل عيينان(47)			
حـ ـ آل ذيبة(48)			
5 ـ آل عاطف(49)	ابن سعيدان		
أ ـ آل سعيدان(50)			

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
ب ـ الضورة(51)			
جـ ـ الحواصلة(52)			
د ـ العشاتلة(53)			
هـ ـ آل مسهرة(54)			
و ـ آل حماران(55)			
ز ـ آل شريم(56)			
6 ـ السحمة(57)	ابن عمر بن هادي(58)		
أ ـ آل صابر(59)			
ب ـ آل عمر(60)	ابن عمر		
جـ ـ العمامجة(61)			
د ـ آل مجلد(62)			
هـ ـ آل عبيدان(63)			
7 ـ المشاعلة(64)			
أ ـ الزنعور(65)			
ب ـ آل خشيم(66)			
جـ ـ آل غربة(67)			
8 ـ آل شبوة(68)			
9 ـ العجارشة(69)			

جـ ـ آل الجمل(70)

منطقة التجول: الحصاة ـ السيح

عدد الخيام: 1000

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ آل مسعود(71)	ابن عبود(72)		
أ ـ العبود(73)			
ب ـ آل حسين(74)			
جـ ـ آل جاهل(75)			
2 ـ آل سويدان(76)			
أ ـ آل عيزرة(77)			
ب ـ آل صبرة(78)			
3 ـ آل عليان(79)	ابن عليان		
أ ـ آل لاحق(80)			
ب ـ آل صالح(81)			
4 ـ آل عياف(82)			
5 ـ آل مريتع(83)			

ملاحظات حول الجداول

1 ـ يستند الجدول، مثل جدول عتيبة، على هيس، وأخذت عائلات الشيوخ من مصدر يعود لعام 1900م من القاهرة. المراجع شحيحة. بوركهاردت، ص 340، أورد فقط عاصم (ب2) مع الشيخ حشر والسحمة (ب6) مع ابن قرملة.

قائمة / شبرنغر/ رقم 17، 33 تفصل عبيدة عن بقية قحطان حيث يرد فيها عاصم مع حشر وبني هاجر.

يقسم فؤاد حمزة 189 القبيلة إلى جنب (عبيدة) والجحادر (انظر ملاحظة 18).

ويقسم الجحادر إلى آل سليمان وآل الجمل (جـ) وآل سليمان إلى آل محمد (أي بمعنى أضيق مما لدينا في ب) وآل عاصم (ب2) وآل محمد إلى آل دهم (ب4، 5، 6، 7) وآل بطن (ب1، 3). مصدرنا يقدر عدد خيم قحطان بـ 5000 إلى 6000 خيمة.

2 ـ تلفظ عبيدي.

3 ـ 1900: الهوادي بن شغلوت؛ هوبر، 589: زيد بن شفلوت.

4 ـ جروي.

5 ـ تلفظ: الفهر. (فهري).

6 ـ سالمي.

7 ـ مهيداني.

8 ـ عصّادي.

9 ـ داوودي.

10 ـ هاجري، القبيلة الأم لبني هاجر.

11 ـ حارثي.

12 ـ حرقاني.

13 ـ عريجي.

14 ـ شايبي.

15 ـ دمناني.

16 ـ حمالي.

17 ـ مسردي.

18 ـ تنطق: آلي محمد (محمدي) وتسمى أيضاً جمادر (جحدري).

19 ـ (روقي) هاجمهم المكيون عام 1797م عند عقيلان (ليس عقيلان "الروق" كما يكتب فيلبي خطأً في بلاد العرب، 72). الروضة، حـ 2، بداية 1212..

20 ـ 1900 فهيد بن حشيفان.

21 ـ حامدي.

22 ـ نقيحاني، مسفر بن نغيحان كان زعيم الروق 1797م، روضة، نفس المصدر السابق.

23 ـ زميماني، مع حمولة المدالي = آل عجيان وآل مريحة (مريحي).

24 ـ غادمي.

25 ـ غربلني. يضاف إلى ذلك آل ملهبة وآل العشوا.

26 ـ عاصمي.

27 ـ 1900م منير بن حشر.

28 ـ عضيبي، الجمع: العضوب.

29 ـ خريشفي.

30 ـ تلفظ: النصّار (نصّاري).

31 ـ غنّامي.

32 ـ سعدي.

33 ـ عواني.

34 ـ مسنّي.

35 ـ السلوي.

36 ـ جحشاني.

37 ـ مخثلي.

38 ـ فاضلي.

39 ـ خنفري.

40 ـ 1900 ناصر بن مجدل.

41 ـ قرياني.

42 ـ كليفيخي.

43 ـ معلّاني.

44 ـ سبعاني.

45 ـ جريبعاني.

46 ـ قيري.

47 ـ عيناني.

48 ـ ذيبي.

49 ـ عطفي.

50 ـ سعيداني = آل معجبة (معجبي).

51 ـ ضويري.

52 ـ حويصلي.

53 ـ عشتلي.

54 ـ مسهري.

55 ـ حماراني.

56 ـ شريمي.

57 ـ سحيمي.

58 ـ 1900 ناصر بن عمر (تلفظ عُمار!) بن هادي ـ من نسل هادي بن قرملة.

59 ـ صابري.

60 ـ عامري.

61 ـ عماجي.

62 ـ مجلدي.

63 ـ عبيداني.

64 ـ مشعلي.

65 ـ زنعوري.

66 ـ خشيمي.

67 ـ غربي.

68 ـ شيبوي.

69 ـ عَجَرَّشي.

70 ـ تلفظ: آل الجمل (الجميلي).

71 ـ مسعودي.

72 ـ 1900: ذياب بن محمد.

73 ـ عبّودي.

74 ـ حسيني.

75 ـ جاهلي .

76 ـ سويداني .

77 ـ عيزري .

78 ـ صبري .

79 ـ عليّاني .

80 ـ لاحقي .

81 ـ صالحي .

82 ـ عيافي .

83 ـ مريتعي .

هجر قحطان(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ الرين العليا(2)	هذّال بن سعيدان	حزام بن مسفر
		عشق بن مسفر
		قبلان حويري
		عبد العزيز بن لبدة
		فيصل بن لبدة
2 ـ الرين السفلى	سلطان بن سيفران(3)	خليل بن عمر
		سعد بن جليغم
		تركي بن صليم
		بداح العجّاج

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
3 ـ الهياثم	فيصل بن حشر	خالد بن فيصل
		فاهد بن مريها
		فيصل بن مجدل
4 ـ الحصاة السفلى	فنيّس بن حويل	
5 ـ الحصى العليا	سعد بن جلبان	
6 ـ الجفير؟	ناصر بن سدحان(4)	
7 ـ المنيصف	هلال بن عبود	
8 ـ لبن؟	رجاء بن ناصر	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ راجع أُم القُرى رقم 208، 18، 12، 1928 ورقم 252، 10، 1929 الهياثم والمنيصيف (7) مزارع تابعة لقرية اليمامة، فيلبي ج2، ص 34، طالما كانت أسماء الشيوخ معروفة فهي تنضوي تحت المجموعة (ب) باستثناء هلال بن عبود (حـ1).

2 ـ لقد تم تقسيم الهجرة فيما بعد حيث أصبح عبد العزيز بن لبدة أميراً.

3 ـ 1929 : خليل بن عمر.

4 ـ ذكر عند فيلبي ج3، ص 44، 52.

دواسر

تمتد منطقة الدواسر[1] من الواحة التي أخذت اسمهم واحة الدواسر عبر الطويق الجنوبي وحتى شرقي الجزيرة العربية. ويوجد خارج هذه الحدود كثير من مستوطنات الدواسر التي تشهد على ما تتمتع به هذه القبيلة من رغبة في الترحال والسفر. من ناحية العدد وسعة الانتشار لا يقل الدواسر أهمية عن جيرانهم قحطان وعتيبة. أما من ناحية القدرة القتالية والأهمية السياسية فيأتون بعد جيرانهم في الترتيب. ينقسم الدواسر إلى مجموعات كثيرة تتخاصم دوماً فيما بينها. ويضرب المثل في وسط الجزيرة العربية بميل الدواسر إلى المشاجرة والنزاع.

يعيد الدواسر أصلهم إلى أخين، سالم وصهيب، جاء أبوهما زايد الملطوب من اليمن. وبالفعل توجد هناك قبيلة دوسرية تنتسب إلى أخ ثالث هو محمد "بن ملطوم". تسمى هذه القبيلة الذويّ وتسكن في رغوان قرب مأرب، ويبلغ عددها نحو 200 رجل[2]. لكن الحقيقة تختلف عن حكايات الأجداد: لقد كان الدواسر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي قبيلة مهمة في اليمن وكان لها اتصالات مع البلاط المملوكي في القاهرة[3]. وبعد ثلاثة قرون سُجِّل وجودهم في

(1) المفرد: دوسيري.

(2) فيلبي، جـ 2، ص 203 وما بعدها. رحلة جلاسرز إلى مأرب ص 32.

(3) ابن فضل الله العمري. (1301 ـ 48) التعريف بالمصطلح الشريف ص 78.

موطنهم الجديد؛ إذ إن الوادي الذي يسميه الجغرافيون القدامي "عقيق تمره"، يسمى في "جهان نيما" وادي الدواسر[1].

يحتوي الوادي على مجموعتين كبيرتين من الواحات: مجموعة سليّل في الشرق، ومجموعة اللدام (الدام) في الغرب، بالإضافة إلى مجموعة صغيرة تمرة، في الوسط[2]. ولما كانت إمكانيات السقاية محدودة وأشجار النخيل والحقول الزراعية تعتمد جزئياً على مياه المطر، سرعان ما بدأ الصراع بين الدواسر.

مما أدى بالتالي إلى هجرات جديدة. توجهت الهجرات في البداية إلى أفلاج ولم تزل مستمرة حتى اليوم. وكان آل حسن (أ) أول من هاجر، إذ طردهم الوداعين (و) من سليلّ. واضطر الحنابجة (أ 2 ب) إلى مغادرة الوادي عام 1916م لأنه جرى فجأة، بعد انقطاع دام عدة أجيال، ودمر مزروعاتهم وبساتينهم. فتبعوا إخوانهم إلى حمر في غرب أفلاج[3].

بدأ احتكاك الدواسر بالوهابيين في وقت متأخر نسبياً. ففي عام 1785م انتقل ربيّع بن زيد، شيخ المخاريم (د)، وأخوه إلى اعتناق التعاليم الجديدة. وكان ربيّع رجلاً صلباً قويّ العزيمة يعود له الفضل في سيطرة الوهابيين على الوادي وفي جزء كبير من انتصاراتهم على مكة. بدأ ربيّع بعد عودته من الرياض ببث الدعاية الوهابية في الوادي، وعزز هذه الدعاية ببناء حصن صغير قرب اللدام، لكنه واجه مقاومة من الرجبان (جـ) والوداعين (و) ومن شيخيهم جماهر وحويل. وحوصر ربيع في حصنه. لكن اتفاقاً على هدنة أعطى المحاصرين الفرصة لإرسال رسالة إلى الدرعية. وبعد وصول الدعم حصل حصار جديد أكثر خطورة

(1) جهان نما، 493. كانت تقام آنذاك كل عام سوق في الوادي يأتي إليها الناس من نجد واليمن وعمان.

(2) في الاستعمال اللغوي المحلي يعني وادي الدواسر، الذي يسمى غالباً الوادي، فقط مجموعة الواحات الواقعة حول قرية اللدام؛ فيلبي جـ 2، ص 45.

(3) فيلبي، جـ 2، ص 73، 164، 188.

استخدم فيه الخصوم آلات اقتحام الحصون. وفي النهاية وجد ربيّع نفسه مضطراً إلى الاستسلام، وحصل على انسحاب مشرف. بعد ذلك توجه إلى الدرعية حيث حصل على الوسائل اللازمة لمؤصلة حملته. وتم بناء حصن جديد قرب تمرة، وفي هذه المرة كان ربيّع أكثر نجاحاً: فقد اعتنق الوهابية كل من الحنابجة (أ 2 ب) وعمور[1].

والولامين (ز). عندئذ توجه زعيما التيار المعارض، جماهر وحويل، إلى أمير نجران (خليفة الحسن) طلباً للمساعدة.

توجه أمير نجران على رأس جيش إلى الوادي لكنه اضطر إلى الانسحاب بعد معارك طويلة دون أن يحقق أي شيء. عندئذ خضع أيضاً الرجبان والوداعين، لكنهم انفصلوا مرة أخرى بعد ستة أشهر. وظلوا كذلك إلى أن جاءت قوة من الدرعية وأجبرتهم على الرضوخ. وتوجه زعماؤهم شخصياً إلى الدرعية حيث فرضت عليهم غرامة مالية كبيرة. ولكن عندما أرسل شريف مكة بمناسبة حملته على نجد عام 1790/ 1791م قوات إلى الوادي، انفصل حويل وجماهر عن الوهابيين مرة أخرى. وبصعوبة بالغة تمكنت القوات الوهابية بالتعاون مع ربيّع من إعادة الهدوء والنظام[2].

في الحروب الحدودية التي دامت من عام 1795م حتى عام 1799م ضد القبائل وضد قوات شريف مكة برز ربيّع مثلما برز هادي بن قرملة تقريباً في نفس الفترة وكان بنو هاجر والشهران، واحتا بيشة ورنيّة، هدف حملاته الحربية. وقام صديقه مبارك بن هادي بالتقدم نحو نجران. وفي عام 1810م وصلت حملة من الدواسر حتى حضرموت[3].

---

(1) ملحقة: 1.

(2) الروضة، جـ 2 تحت 1199، 1202، 1205، قارن منجن جـ 2، ص 496 وما بعدها 502 وما بعدها.

(3) الروضة، جـ 2 تحت 1211، 1212، 1210، منجن جـ 2، ص 537.

لم يحتك الدواسر بالمصريين إلا في معركة بسل (بداية عام 1815)[1]. ومنذ احتلال الدرعية تركوا وشأنهم إلى أن جاء فيصل بن تركي (1843م ـ 1865م) وأعاد الوادي إلى الدولة الوهابية. من عام 1891م حتى عام 1903م كان الوادي تابعاً لابن رشيد. وكان يرسل ممثلين له إلى القرى الكبيرة ويضع تحت تصرف كل منهم 20 رجلاً[2]. وعندما جاء عبد العزيز آل سعود إلى الوادي لم يواجه أي مقاومة ولكنه لقي صعوبة في تحقيق السلام بين الدواسر أنفسهم. واضطر في آخر الأمر إلى نفي البوراس (أ 1 ب) في مبرّز لكي يضع حداً لنزاعهم مع آل عجلان (أ 1 أ) ليلا في عاصمة أفلاج[3].

لم يزل وادي الدواسر حتى اليوم يشكل قاعدة القبيلة. والجماعات الموجودة هناك أصبحت مستقرة جزئياً منذ زمن طويل، أما الرحل فيملكون أراض يزرعها لحسابهم زنوج كانوا عبيداً في السابق. كما أن واحات أفلاج أيضاً يملكها مستوطنون من الدواسر أو يزرعها زنوج يستأجرونها من الدواسر الرحل. وفي المناطق الواقعة أبعد إلى الشمال، في فرع وخرج، يشكل الدواسر جزءاً من السكان المستقرين، ويشكلون في الدلم، القرية الرئيسية في خرج، أكثرية السكان. وهناك أيضاً عدد كبير من الدواسر في عارض ومحمل، على سبيل المثال في ضرمه، وعدد قليل في المناطق الشمالية. ويعمل دواسر من الوادي بين حين وآخر في صيد اللؤلؤ في موانىء الخليج «العربي» ويعملون الآن بصفة عمال في حقول النفط. وفي البحرين يوجد منذ عام 1845م مستوطنة للدواسر[4]. ويعتقد بأن جزيرة

---

(1) بوركهاردت، ص 549.

(2) هذا ما رواه أحد الدواسر في عام 1900م في القاهرة.

(3) فيلبي، جـ 2، ص 76 وما بعدها، ص 167 وما بعدها.

(4) كتاب الجيب هاندبوك جـ1، ص 604 فيلبي، ص 101، 113، 116، 122، 126. تتضح أسباب دوافع الدواسر غير العادية للهجرة من خلال الأسباب التي تم ذكرها في الصفحة 177 وما بعدها أعلاه. لقد صادف فيلبي عندما عاد لزيارة سليل في عام 1932م بؤساً شديداً في ضوء القحط الذي استمر لأكثر من عشرة أعوام وتراجع صيد اللؤلؤ بسبب الأزمة الاقتصادية العامة. (الربع الخالي، ص 360 وما بعدها).

الدواسر في شط العرب[1] حصلت على اسمها من مهاجرين من قبيلتنا.

يولد عدد مستوطنات الدواسر وانتشارها الواسع، الانطباع بأن القبيلة قد تحولت بكاملها تقريباً إلى حياة الاستقرار. ولكن هذا خطأ كما أثبت فيلبي الذي كان الأوربي الأول الذي زار بلدهم. ففي منطقتهم يعيش جزء كبير من الدواسر حياة البدو الرحل. وتمتد منطقتهم من وادي الدواسر حتى وادي نساح وحتى وادي فروق في شرقي الجزيرة العربية. ويعيش الوداعين (و) في الجزء الجنوبي حتى شعيب مقرن، ويعيش آل حسن (أ) في الجزء الشمالي. ويقضي المساعرة (ب) الشتاء في وادي الدواسر، والصيف في وادي نساح[2]. وفيما وراء الوديان يذهب الدواسر أحياناً حتى بئر خضرة على الحدود الجنوبية لنجران[3]. وفي مواسم جني التمور يتجمع الرُحّل منهم في الواحات العائدة لهم أو لأقربائهم من الدواسر المستقرين. وهم يدفعون الضرائب عند بئري ورهيّه ومقرن.

كان الدواسر حتى وقت قريب في عداوة دائمة مع جيرانهم الشرقيين بني مرّة. وهناك بعض المواقع في الطويق التي تحمل أسماء تذكرنا بالمعارك التي دارت بين القبيلتين، ومنها على سبيل المثال اسم منخفض حجلة آل مرة حيث كادت هذه القبيلة تموت عطشاً في إحدى الغزوات، ثم هطلت فجأة زخة من المطر أنقذتها من الهلاك. وتجدر الإشارة إلى أن اليام في نجران شنت أيضاً كثيرات من الغزوات ضد الدواسر[4].

(1) تم ذكرها للمرة الأولى من قبل مؤرخ الدولة العثمانية عزي، ، ص 198 (1748م) وكذلك من نيبور (1765م)، وصف الرحلة جـ 2، ص 205.

(2) القاهرة 1900م.

(3) فيلبي: «بنات شيبا»، 18.

(4) فيلبي، جـ 2، ص 83، 159، 206.

الدواسر(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أ ـ آل حسن		الأفلاج	
1 ـ آل عجلان		ليلى	
أ ـ العجالين	معجب بن تركي	ليلى (المدينة)	600
ب ـ البو راس(2)			
2 ـ الشكرة			
أ ـ الشكرة	هذال بن وقيان	الحمر	120
	عقاب بن حفيظ(3)		
		قرينة(4)	60
		الوصيلة(5)	50
ب ـ الحنابجة(6)		الحمر	
3 ـ السخابرة	مرضى	سلمى	80
4 ـ العمارية			
أ ـ آل عمار(7)		العمار(8)	100
		السيح	150
ب ـ آل مبارك		الروضة(8)	100
جـ ـ تميم(7)			
5 ـ القينان(7)			
6 ـ الغياثات		الخرفا(8)	
	محمد بن وقيان(9)		

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
7 ـ الهواملة(10)	سحمى بن سحمى		
8 ـ الدغمة(11)			
ب ـ المساعرة		الوادي ـ وادي النساح	
1 ـ البو حسن	فيحان بن قويد(12)	قعيز	60
2 ـ البو سبا	شجاع الخريم(13)	نزوة(14)	60
3 ـ الشرفة(15)	مسفر بن هذلول	مشرف(14)	100
4 ـ البريك	محماس بن سويلم(16)	نعيمة(14)	80
5 ـ آل مسرور(17)		الهدار	
ج ـ الرجبان			
1 ـ الرجبان		اللدام	600
2 ـ الخطاطبة(18)			
د ـ المخاريم(19)			550
هـ ـ آل عويمر		الفرعة(20)	
1 ـ آل عويمر		العويمر	90
2 ـ آل معنى(21)		المعنى	50
3 ـ آل ناهش(21)		الناهش	50
و ـ الوداعين		الوادي ـ المقرن	
1 ـ السويلم(22)		السليل	60
2 ـ آل حنش(22)			100
3 ـ آل محمد(22)			100
4 ـ آل ضويان			60
		خثيقان(23)	20

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
5 ـ الخماسين		مشرف(24)	200
6 ـ الخليف		الهدار	20
7 ـ الخضران(25)			
8 ـ الدواس(26)			
9 ـ الحجي(27)		المبرز	
ز ـ الولامين			
1 ـ آل سعد	محمد بن درعان(28)		
2 ـ آل تميم	مبارك بن علي		
ملحقة بها:			
ـ أبات دواسر(29)			
1 ـ العمور(30)		تمرة	100
2 ـ الحقبان		كمدة(31)	20

ملاحظات حول الجدول

1 ـ مأخوذة في القاهرة 1900م (المرجع: دوسيري وتميمي وقحطاني) وتم استكمالها حسب فيلبي. شبرنغر، الجغرافيا القديمة ص 240. يذكر بعض القبائل حسب مايلز. كتاب الجيب ج1، ص 605 وما بعدها، يذكر قائمة تفصيلية للقبائل المستقرة.

في تصنيف قديم للسلالات لفيلبي ج2، ص 204، ترد المجموعات على النحو التالي: آل صحيب (الجمع الصحبة) = أ، ب، ب3، جـ، د؛ آل سالم، ينقسمون إلى آل زايد = هـ1، 2، 3، وآل غانم = و، ز. سالم وصحيب هما بطبيعة الحال أبناء زايد المطلوب والمذكور أعلاه.

الوسم: |oo و :|• ، برترام توماس، الجزيرة العربية، ص 5.

2 ـ سابقاً في المبرز، انظر صفحة 121.

3 ـ رئيس البدو الرحل. فيلبي ج2، ص 262.

4 ـ قرية في واحة بديع.

5 ـ واحة شمال شرق ليلى.

6 ـ في مكان إقامتهم القديم في لدام، انظر أعلاه ص: 178 لم يكن يعيش في عام 1918م سوى حوالى 30 شخصاً، فيلبي ج2، ص 188.

7 ـ قسم منهم بدو رحل يمتلكون أراضي في السيح أقدم واحات أفلاج وأكثرها ازدهاراً، فيلبي ج2، ص 94.

8 ـ قرية قرب ليلا.

9 ـ شيخ البدو الرحل الذين توجد منطقة رعيهم في الحمر. فيلبي ج2، ص 89.

10 ـ بدو رحل، فيلبي ج2، ص 112 قارن 83.

11 ـ غير موجودة لدى فيلبي.

12 ـ تم ذكر ابن قويد في عام 1900م كشيخ أكبر للمصاعرة. أم القُرى رقم 208، 18/ 12/ 1928م. تذكر شيبان بن قويد ضمن أمراء الدواسر.

13 ـ سنة 1900م.

14 ـ استراحة في واحة الوادي (لدام) كذلك مكان إقامة البو حسن (ب 1).

15 ـ ينظر إليهم غالباً كقبيلة مستقلة.

16 ـ أم القُرى، المصدر نفسه، مذكور ضمن أمراء الدواسر (محماس بن سويلمة!) وينضوي تحت قيادته أيضاً بدو رُحل لا تتضمنها الأرقام.

17 ـ الجمع: المصارير وهو الاسم الذي يطلق على الاستراحة التي يسكنونها

في واحة هدار في الطويق. بدو رُحل يربّون الأغنام، فيلبي ج2، ص 248 وما بعدها.

18 ـ الروضة ج2، تذكرهم تحت عام 1202/ 1787/ 88. بدو رُحل، يملكون قرية مقابل في الوادي فيلبي ج2، ص 189، يذكر بدلاً منهم "دهعلوق" الذين هم دون شك فرعٌ منهم.

19 ـ بدو رُحل. يملكون قرية المعتلا في الوادي. فيلبي ج2، ص 189.

20 ـ هكذا يسمى الجزء الغربي من الوادي.

21 ـ عملياً مستقلون.

22 ـ أسماء هذه الفروع تستعمل عادة لتسمية الاستراحات التي يسكنونها. فيلبي ج2، ص 163.

23 ـ واحة قرب تمرة.

24 ـ بعد لدام ثاني أكبر بلدة في الوادي.

25 ـ بدو رُحل، يزورون من أجل محصول التمر المزارع المهجورة شطبة ودلهم في الطويق الجنوبي. فيلبي ج2، ص 243.

26 ـ لا توجد لدى فيلبي.

27 ـ قارن فيلبي ج2، ص 77: "هيِّي".

28 ـ أُم القُرى، المصدر نفسه، تذكر صقر بن درعان ضمن أمراء الدواسر.

29 ـ لا تربطهم بالدواسر صلة قربى. ربما بقايا سكان قدماء للوادي. يتبع لهم أيضاً المشاوية وخيالات في الحسا. فيلبي ج2، ص 204.

30 ـ يسكنون أيضاً الكبكبية قرب تمرة واستراحة الرويسة المهدمة في الوادي (حوالى 20 نسمة) فيلبي ج2، ص 188.

31 ـ تقع بين تمرة والوادي.

هجر الدواسر(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ الحمر	هذال بن وقيّان	
2 ـ المشيرفة	المناجي بن حفيظ	
3 ـ الوسيطا	محمد بن وقيّان	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب أُم القُرى، رقم 208، 18/ 12/ 1928م. كانت المشيرفة سابقاً قرية أثرية جنوب دلم في الخرج. فيلبي ج2، ص 49، حمر معروفة. الثلاثة تتبع الشكرة (آ 2 آ).

عقيل

ينتمي العقيلون في الأصل إلى كعب الذين انحدروا بدورهم من مجمع عامر ابن صعصعة. وكانت قبيلتهم الأم تسكن في أقصى جنوب منطقة بني عامر، من رنية وبيشة وتثليث حتى الخرج، وهذا يعني أنها كانت مستولية أيضاً على المنطقة التي يستولي عليها في الوقت الحاضر الدواسر[1]. وكان وادي الدواسر مع منابعه وواحتا الدام تمرة في حوزة العقيل، بينما كانت القبائل الشقيقة جعدة، وقشير، والحريش، تملك واحات أفلاج، وكان بعضهم، ومنهم قشير والعجلان، يجتازون الطويق ويصلون إلى مقربة طريق الحج حجر (رياض) ـ مكة. ومن الطبيعي أن الجزء الراحل من كعب لم يكن يقتصر تنقله على منطقة استيطان قبيلته بل كان يتجاوزها إلى مسافات أبعد. فقد كان العقيل، مثل خلفائهم الدواسر، يصلون حتى وادي نساح، بينما كان القشير يخيمون أحياناً في سهل مرّوت/ مروته[2].

لم تحتفظ المراجع العربية إلا بعدد قليل من حكايات كعب وتراثهم في العصر

(1) انظر أيضاً بالنسبة لما يلي، الجغرافيين العرب تحت أسماء المواقع، وكذلك تحت، عقيق، عماية، خزبات داو، حلبان، ريب. وبالدرجة الأولى الهمداني، ص 149، 152، 159 وما بعدها، 164، 166، 177.

(2) الأغاني، جـ4، ص 133، عندما يظهر بنو عقيل مرة في الشمال لدى نبع أسد (المفضليات رقم 98) فإنما يشكل ذلك استثناء.

الجاهلي. ولذلك لا تعطي هذه المراجع صورة صحيحة عن الوضع السياسي الداخلي ولا عن الوضع السياسي الخارجي للقبيلة، ولكن يستنتج من الدور الذي تلعبه الأسر العقيلية، أمثال خفاجة وعبادة والمنتفق، في هذه الحكايات أن عقيلاً كان لها دور قيادي بين بني كعب. ويحصل المرء على الانطباع نفسه من الأخبار التي تتحدث عن التحاق العقيل وأقربائهم بالإسلام. فقد اعتنقوا الإسلام دون أي مشاكل وحدث هذا في حياة النبي[1].

تأثرت كعب في العقود التالية بحركة الهجرة الناجمة عن حروب الفتح، فقد رحلت قشير وعجلان، وبالدرجة الأولى عقيل إلى سورية، وكانوا يتمركزون في أغلب الأوقات، في المناطق الشمالية من البلاد، وفي منطقة الخط المحاذي لبلاد ما بين النهرين في ديار مضر، (انظر الجزء الأول ص 337 و338)، كما أنهم كانوا موجودين في جند دمشق وحدات عسكرية، ووصل بعض من أفراد عقيل إلى إسبانيا ضمن أجزاء من هذه الوحدات[2]، ولم تجذب منطقة الكوفة والبصرة عقيلاً بشكل كبير، وإنما مالوا إلى المناطق الفارسية أكثر منها، فقد هاجر أحد فروعها الصغيرة، حبيب، إلى خراسان[3].

في بادىء الأمر لم يطرأ تغيّر على الأوضاع في موطن القبيلة، وقد تمّ النظر إلى كعب من الناحية الإدارية كوحدة واحدة[4]، وكانت هي نفسها تعتبر نفسها كذلك. فقد صدّ الكعبيون مجتمعين هجوماً شنّته عليهم حنيفة عام 744م. فقد

---

(1) الأغاني، جـ4، ص 133 وما بعدها ڤيلهاوزن، المسودات 4، 144 وما بعدها. يبدو من خلال المعطيات القول بأن عقيل قامت بدعم الفرس المنحازين للمسلمين في صنعاء، أثناء حروب الردة، ببعض القوات، كما يدعي سيف لدى الطبري جـ1، ص1993 وما بعدها، يبدو أن الأمر غير معقول.

(2) دوزي: تاريخ الموراكة في إسبانيا، جـ1 ص 184.

(3) ابن حزم 271 قشير وابن جعدة في أصفهان؛ الأغاني، جـ4، 132 انظر أيضاً، قشير في خراسان؛ الطبري جـ3، 1350؛ وانظر أيضاً الأغاني، جـ 10، 144 والحماسة رقم 104.

(4) أنظر أيضاً بالنسبة لما يلي الأغاني، جـ 20، ص141 وما بعدها.

حاول هؤلاء استغلال موت الخليفة الأموي الوليد الثاني، ولكي يستعيدوا سيطرتهم على اليمامة والمناطق المجاورة. وفي العصر العباسي الأول أيضاً نجد أن كعب كانت لم تزل في موطنها القديم[1]، ولكن بعد ذلك مباشرة حصلت بعض التحولات، فقد اندفعت قشير إلى السهوب الواقعة في الشمال الغربي حتى أوقفتها نُمير. ويبدو أن القشيريين قد اندمجوا بعد ذلك مع السكان المستقرين والمقيمين هناك، بينما، توزع الحريش واتجه معظمهم نحو اليمن[2].

في القرن التاسع الميلادي تركت عقيل وادي الدواسر وذهبت إلى قوس الطويق. وبعد انهيار نمير سنة (847م) احتلت المنطقة التي كانت في حوزتهم وهي منطقة باهلة الواقعة على طريق الحج جنوب غرب حجر. وفي الوقت نفسه، احتلت قشير من الطويق الجنوبي واحة يبرين[3]، ولكن هذا لم يكن سوى مقدمة للتغيرات الكبيرة التي حصلت في عهد القرامطة.

يقال إن الرسول الأول للقرامطة، الذي نشط في شرقي الجزيرة العربية، قد كسب تأييد كلاب وعقيل[4] الذين كانوا في هذه الأثناء قد وسعوا منطقة تنقلهم إلى ما بعد الطويق. وعلى أي حال فقد قاتلوا مع الجيش الذي أباد به أبو سعيد القرمطي قوات الخليفة عام 287هـ/ 900م. ويبدو أن حملات أبي سعيد إلى أفلاج ويبرين قد أبعدت كعب جنوبي الطويق (جعدة، وقشير). فالعقيليون الذين اعتنقوا التعليم الجديدة انتقلوا كلياً إلى شرقي الجزيرة العربية.

وشارك بعضهم في الحملات التي شنها أبو طاهر بن أبي سعيد في الأعوام

---

(1) أنظر مثلاً، الأغاني، جـ7، 115؛ جـ11، 143.

(2) الهمداني، ص 159.

(3) الهمداني، ص 165.

(4) والحريش، ابن الأثير جـ7، ص 341 (في النص: الخريش). وكان بعضهم لم يزل موجوداً حتى بداية القرن الثالث عشر في شرق الجزيرة العربية. ديوان ابن المقرب، بومباي 1310، رقم 82 المقدمة (النص: الجريش).

923 ـ 937م على العراق ومنطقة ما بين النهرين[1].

أدت هذه الحملات إلى حدوث موجة جديدة من الهجرة لدى عقيل. فقد غادرت القبيلة الفرعية خفاجة الأحسا ونزحت إلى البادية السورية قرب الكوفة، الساحة الرئيسية للمعارك التي دارت في عهد القرامطة.

أدت حملات القرامطة ضد سورية ومصر إلى توجه عقيل نحو الغرب أيضاً. وقد لعبت عقيل، إلى جانب طي، دوراً رئيسياً في الغزوات التي تمت في السنوات (970 ـ 971، 973 ـ 974م)، حيث شكلتا نواة الجيش القرمطي.

وبعد فشل الحملة الثانية جراء خيانة البدو، سعى هؤلاء العقيل إلى إيجاد موطن جديد لهم في فلسطين، إلا أنهم جوبهوا بمقاومة طي، التي اتخذت من تلك البلاد موطناً لها، فانضموا إلى أبي تغلب الحمداني، الذي أخذ يبحث عن بديل للموصل التي خسرها، إلا أنهم سرعان ما تخلوا عنه. عندما وقع في محنة عام (369هـ/ 979 ـ 980م)[2]، ومنذ ذلك الوقت لم يعد يسمع عنهم ولا عن زعيمهم شبل بن معروف أي شيء. خلال الحروب الصليبية ظهر جماعات من خفاجة في فلسطين[3]. ومن الممكن أن يكون أسلافهم قد جاؤوا إلى هناك مع تلك الموجة.

تلاشت إرادة الغزو عند القرامطة مع الحملة التي شنّوها على العراق عام (375 هـ/ 985م)، وأصبحوا بعد ذلك هم أنفسهم مهددين من قبل عقيل، ففي عام 378هـ/ 988 ـ 989م جمع شيخ من بني المنتفق، كان يحمل لقب الأصفر (الأصيفر) جيشاً، هاجم به القرامطة واحتلّ القطيف، حيث استولى على غنائم كبيرة من العبيد والبضائع والمواشي باعها في البصرة. ثم لعب دور الوريث الشرعي للقرامطة، حيث تولى جباية الضرائب، التي كانت الحكومة قد أقرتها للقرامطة في (327هـ/

---

(1) المسعودي، تنبيه، 392 وما بعدها. ادي غوي ذكريات عن قرامطة البحرين والفاطميين.

(2) فوستنفيلد/ تاريخ الخلفاء الفاطميين، 114، ابن الأثير جـ10، ص 514 وما بعدها، قارن مع الجزء الأول 416، 417.

(3) الانسكلوبيديا الإسلامية، خفاجة، في النهاية.

939م)، لقاء مرور قوافل الحج بحرية. وفي عام (384هـ/ 994م) أغلق طريق الحج عند الثعلبية لأن الرسوم التي دفعت في العام المنصرم كانت غير مرضية. وفي عام 394هـ/ 1004م لم يسمح للقافلة بالمرور إلا لأنه كان بين الحجاج اثنان من قراء القرآن المشهورين. ويقال إنه تأثر بقراءتهم تأثراً بالغاً مما جعله يدفع "مليون دينار"[1].

خلال القرن الحادي عشر الميلادي استقرت المنتفق - وهي القبيلة العقيلية الثانية التي هاجرت إلى الشمال - في المنطقة الواقعة بين السماوة والبصرة.

وهناك قبيلة عقيلية أخرى، وهي عامر، بقيت في مكانها. وسوف نفرد لها فصلاً خاصاً لأن إحدى الأسر الحاكمة الهامة، وهي بني جبور، تنحدر منها.

---

(1) ابن الأثير، جـ9، ص 40، 74، 129، 221 (توفي 410 هـ/ 1019 - 1020م) قارن مع ميتز، (عصر النهضة الإسلامية)، جـ3 - 10، ص 300.

آل بني عامر[1]

برز بني عامر[2] في المرحلة الأخيرة من أيام القرامطة بشكل رئيس. وبما أن الدولة لم يعد لها جيش دائم، فقد قام بني عامر بمهمة حماية واحة الإحساء والطرق المؤدية إليها، وكانوا يتقاضون لقاء ذلك تعويضاً من الحبوب والتمور. وتمسكوا بهذا الحق أيضاً بعد سقوط القرامطة، وقد أدى امتناع سكان العيون (انظر ص 40 أعلاه) عن الاعتراف بهذا الحق، إلى وقوع اشتباكات مستمرة، حقق فيها بنو عامر الانتصار في النهاية: خلال فترة الهدنة التي أنهت حرب السبع سنوات على الإحساء انتشر فخذ القبيلة عوف في الواحة، وبما أن عبد اللّه بن علي العيوني امتنع عن توريد الحبوب فقد اندلعت حرب بين الطرفين، أبيدت فيها عوف (صيف 469هـ/ 1076 ـ 1077م) وتمكن شيخ واحد فقط من اللجوء إلى المنتفق، في حين تم نفي النساء والأطفال إلى عُمان. إلا أنها وفي أواخر أيام حكم عبد اللّه بن علي،

(1) المصدر الرئيسي لتاريخ بني عامر القديم والوحيد بالنسبة لزعمائهم العوينيين، هو ديوان الشاعر ابن المقرب، أحد أحفاد عبد الله بن علي العيوني، انظر مثال دي غوي، يستند إلى تعليقات ناشر الديوان الغنية. لقد اعتمدت على نسخة مصورة عن طبعة بومباي 1310هـ التي أعدها لنا متبرعاً رتر ـ استانبول. للأسف تم اختصار التعليقات كثيراً وأساء إلى القصائد.

(2) ابن ربيعة، أي من أحفاد عامر بن ربيعة بن عقيل المعروف الذين كانوا يقيمون، حسب الهمداني 177، سابقاً في الدام «اللدام» (وادي الدواسر) وهذا ما يتفق عليه علماء الأنساب، ابن سعيد وابن خلدون ومن نقل عنهم.

عادت عامر للتواجد من جديد في الواحة، لا بل إنها تمكنت من تحقيق نصر على العيون عند مهاجمتهم لها. وقام الفضل بن عبد اللّه، بتحويل المراعي الممتدة من "تاج حتى الرمل" إلى محمية[1]، الأمر الذي وجد بنو عامر من خلاله، أنهم محصورين في شمال البلاد. وفي عام (483هـ/ 1090م)، قاموا بالهجوم المباغت على البصرة، وذلك بتحريض من رجل غريب الأطوار، وتمكنوا من نهب المدينة[2].

ولم يتمكن أبو سنان إلا بصعوبة بالغة من منعهم من الاقتراب من مقر إقامته في القطيف، بينما نجح وكيله في الأحسا وبعد معارك ضارية في طرد فلاحي الواحة الثائرين، والمدعومين من عامر، من المدنية. وفي عهد خلفائه هاجم آل عامر الأحسا عدة مرات مما جعل الأمر مثيراً للاستغراب أن أحد الأمراء لم يجد سبباً يستدعي الهجوم على عامر[3]. عوضاً عن ذلك فقد توجه بني عامر عام 588هـ/ 1192م مرة أخرى إلى البصرة وفتحوا، بعد معارك ضارية مع القوات الحكومية، ثغرات في السور ثم دخلوا المدينة وبدأوا أعمال النهب. عندئذ بلغهم أنَّ خفاجة والمنتفق قادمون إلى المدينة لطردهم منها. فخرجوا لملاقاتهم خارجها واشتبكوا معهم في معركة كان النصر فيها حليف بني عامر. وعلى الرغم من أن الحكومة أشرفت على المقاومة المنظمة للمواطنين دخل بني عامر المدينة مرة أخرى ومارسوا فيها أعمال السلب والنهب على مدى يومين كاملين[4].

قاتل بني عامر مع أهالي القطيف ضد الأمير محمد (توفي عام 602هـ أو 603هـ) وتآمروا ضده مع أمير الأحسا المخلوع، وحاصروا ابنه في القطيف حيث وصلتهم إمدادات من العراق (حوالى عام 1212م). وبعد بضعة أعوام فصلوا مدينة

---

(1) دي غوي. المصدر السابق، ص 20 وما بعدها، ابن المقرب، باسم.

(2) ابن الأثير، جـ 10، ص 121 وما بعدها. من الطبيعي أنه من الخطأ اعتبار بني عامر من القرامطة كما حصل في الانسكلوبيديا الإسلامية، مقال نظام الملك.

(3) ابن المقرب، باسم.

(4) ابن الأثير، جـ 12، ص 52.

الأحسا عن الواحة. عندئذ أرغم الأمير، الذي تولى الحكم بعد اغتيال ابن أخيه، من قبل حاشية على شراء السلام بالمال. وبما أن المدينة لم تكن قادرة على تأمين المبلغ اللازم قام الأمير برهن أراضي أقربائه عند شيوخ البدو. وبينما فقد الأمير وخليفتاه خلال أعوام قليلة كل سمعة واحترام، انتقلت ممتلكات العائلة، ليس فقط في الأحساء وإنما أيضاً في القطيف، إلى البدو[1]. وهكذا لا عجب في أن نرى أن الأحساء كانت تملكها عام 651هـ/ 1253م عائلة شيوخ من بني عامر هي عائلة بني عصفور[2].

بعد القضاء على عوف أصبح آل شيبانه (الشبانات) أهم قبيلة من قبائل بني عامر. وفي القرن الثالث عشر كانت قبيلة قديمة (القديمات) التي انبثقت عنهم تقود بني عامر الرحل؛ ومن القبائل الفرعية الأخرى نخص بالذكر قبيلة العقيلات (بني عقيل)[3]. وعندما كان السلطان بيبرس يحكم مصر (1270م ـ 1277م) أرسل بنو عامر وفداً إلى القاهرة[4] استقبل هناك استقبالاً رائعاً؛ إذ إن بيبرس كان يريد توحيد جميع قبائل الصحراء ضد المغول. وفي عهد السلطان محمد (1293 ـ 1294، 1298 ـ 1308، 1309 ـ 1340م) كانت تصل باستمرار قوافل بني عامر إلى القاهرة ولكن الآن لأغراض تجارية أكثر منها سياسية. كانت تأخذ إلى مصر الخيول الأصيلة والإبل واللؤلؤ والبضائع الهندية وتجلب معها من هناك الأقمشة والسكر. وكانت هذه القوافل تسير تحت حماية الفضل انظر الجزء الأول، ص 505، 506، الذين

---

(1) ابن المقرب، باسم.

(2) ابن سعيد لدى ابن خلدون، العبر جـ5، ص 92.

(3) ابن المقرب، باسم، القلقشندي 92 (حسب الحمداني). من ستة أفخاذ أخرى مذكورة هنا وردت لدىٰ ابن المقرب. رقم 87، 54 ـ 55، حرثان وبني مطرف (تلفظ هكذا).
من الملفت للنظر أن صيحات الحرب مشكلة حسب أمهات القبائل: عجيبة! (الشيبانة)، أم العجرّش! لدىٰ ابن المقرب. لو لم يكن التعليق خليعاً لكان بالإمكان الحديث أكثر عن بنية القبيلة.

(4) في ظل شيخ (القُديمة): محمد بن أحمد العقيدي بن سنان بن غفيلة (النص: عقيلة) بن شيبان بن قديمة بن شبانة.

كانوا قد تلقوا تعليمات بهذا الخصوص من السلطان[1]، على الرغم من ذلك، فقد كان يحصل بين الحين والآخر بعض المشاحنات بين القبيلتين كما في العام (718هـ/ 1318م)[2].

بينما ازدهرت قوة بني عامر في القرن الرابع عشر، فإن عائلة أمراء الأحسا التي خرجت منهم لم تصبح قوية إلا في القرن التالي. وقد استعرضنا تاريخ هذه الأسرة الحاكمة، أسرة بني جبر/ جبور، في الصفحة 41. ونود أن نضيف إلى ما ذكرناه هناك أن جبري (رجلاً من جبر) حكم البحرين فترة قصيرة بعد استيلاء العثمانيين على الأحسا (1591م)[3].

ومنذ ذلك الوقت اختفى بنو عامر ولكن ليس دون أثر. فقد استمروا من خلال بني خالد[4]، الذين تحمل قبيلتهم الفرعية، الجبور(3)، اسم عائلة أمرائهم.

---

(1) حمداني وابن فضل الله العمري، لدىٰ القلقشندي 92، صبح جـ7، ص 370.

(2) أبو الفدا، جـ4، ص 87.

(3) انظر كاسكل، عائلة حكام غير معروفة في الجزيرة العربية، الشرق جـ 2، ص 66 وما بعدها (1949م).

(4) وفي التراث الشعري، ديوان من قلب الجزيرة، رقم 69 قارن رومان، نفس المصدر رقم 110.

بني خالد

كان بني خالد يمثلون واحدة من أقوى القبائل البدوية في شرق الجزيرة في الفترة السابقة لظهور الوهابيين، وكان شيوخهم يحكمون بصفتهم أمراء الأحسا المنطقة الواقعة بين الخليج العربي حتى العارض، وقد قاوموا الوهابيين مقاومة شديدة، لكن هذه المعارك أضعفتهم جداً إلى درجة أنهم في القرن التاسع عشر خرجوا من صفوف القبائل الكبيرة.

لا تربطهم أية رابطة مع القبيلة التي تحمل الاسم نفسه داخل الأراضي السورية[1]، بل إنهم تشكلوا من اتحاد العديد من عشائر العقيل الذين هم قبيلة فرعية من فروع بني عامر[2]. ولا شك في أنه قد انضم إليهم بعض العناصر الغريبة. ويبدو أن عائلة شيوخ القبيلة القديمة آل حميد(1) هي من هذه العناصر الغريبة.

هناك تاريخ قديم (1074هـ/ 1663 ـ 1664م) عن بني خالد، يقودنا إلى

(1) بالمقابل فإن بني خالد في شرق الأردن هم فرع من هذه القبيلة كما تؤكد ذلك أسماء الأفخاذ 1، 2، 3 هناك و3، 5، 7 هنا. وفق ذلك ينبغي تصحيح ذلك في الجزء الثاني ص 277، والجزء الأول ص 465، 466.

(2) قارن مع بيت الشعر الوارد على لسان الأمير عبد الله لدىٰ فؤاد حمزة ص146 لابن مشرف «فلاتنسَ جمعَ الخالدية فإنهم قبائلُ شتى من عقيلِ بن عامرِ».

الإحساء، فهذه المدينة القرمطية القديمة، والمنطقة التي أعطتها الاسم، كانتا منذ عام 1591م جزءاً من الأمبراطورية العثمانية. وكانتا تحكمان بالوراثة من قبل حكام يحملون لقب باشا ويحتلون مرتبة ميرميران. ومنذ وقت مبكر قام حكام البصرة من أسرة أفراسياب، والذين كانت لهم علاقات وثيقة مع الباب العالي كحكام الأحسا، بتضييق سلطة هؤلاء. ففي عشرينات القرن السابع عشر فقدوا ميناء عجير «عقير» وفي الخمسينيات القطيف، لا بل إن حسين باشا أفراسياب تمكن في النهاية من إقناع الباب العالي بعزل زميله محمد باشا بن علي باشا ووضع الأحسا تحت سلطته هو أي سلطة أفراسياب. أوكل أفراسياب مهمة احتلال المدينة إلى الشيخ برّاك من بني خالد. فاستولى براك على الإحسا في عام 1074هـ/ 1663م ـ 1664م، ولكنه لم يسلمها لأفراسياب وإنما باعها لمحمد باشا[1]. وفي نهاية عام 1664م اضطر محمد باشا إلى الانسحاب من المدينة بسبب تفوق قوات حسين، ولكنه نجح في العام التالي، بوساطة شريف مكة، في الحصول على موافقة استطنبول على إعادة تعيينه، وأجبر حسين تحت الضغط العسكري على القبول بذلك[2]. وبعد بعض الوقت انتقلت السلطة من يد هذه الأسرة العثمانية الباشاوية إلى يد عائلة شيوخ بني خالد[3]. ولم يحدث نتيجة لذلك من الناحية الشكلية القانونية أي تغير؛ فقد بقيت الأحسا جزءاً من حاكمية بغداد وبقي الشيوخ، أو بالأحرى الأمراء ـ كما أصبحوا يسمون الآن وإن كان بشكل غير رسمي ـ موظفين عثمانيين[4]. ولكنهم كانوا

---

(1) عنوان 30 (الشريف الأكبر زار علي باشا عند الأحسا 1032/ 1623. Les Voyages et Observations, Sievr de la Boullaye le Gouz, باريس 1657، 289 وما بعدها، تافرنيه، رحلة، امستردام 1727، جـ4، ص 571 وما بعدها، نظمي زادة گلّشن إي خليفا، وما بعدها 34.

(2) تيفينو، حـ4، 572، گلّشن، 94، 96 وما بعدها؛ لونكريك 114 وما بعدها.

(3) عالم الإسلام، 1925م، 68: 1688 ـ كان أحفاد عائلات الباشا في القرن الثامن عشر من كبار ملاك الأراضي. نيبور، الجزيرة العربية 340.

(4) علي حزين، مذكرات، F.C. trad.بلفور، 202، اوتر، رحلات. . . نورمبرغ 1781 ـ 89 جـ 2، ص 64 وما بعدها، جودت، تاريخ جـ9، ص 39.

تم في بداية القرن الثامن عشر تسمية شريف مكة، سعد بن زيد، والياً على الأحساء، فون

يلاقون صعوبة في انتهاج سلوك الموظف لأنهم ظلوا يعيشون أحياناً على الطريقة البدوية في الصحراء.

في منتصف القرن الثامن عشر كان أمراء الأحساء بعد أشراف مكة، أقوى أمراء شبه الجزيرة العربية. وكان أمراء العيينة، مسقط رأس محمد بن عبد الوهاب، وأمراء منفوحة خاضعين لهم[1]؛ وفي الشمال كانت الكويت تابعة لهم[2]، وكانت عنزة بزعامة ابن هذال، والتي كانت تخيم آنذاك في القصيم، تقدم لهم المقاتلين عند الحاجة وتلبي دعوتهم للحرب. ولكن هناك مبالغة طبعاً في قول الشاعر راعي البير «أبير»، مادحاً محمد بن سعدون، بأنه يحكم جميع البلاد من الجوف حتى سورية ومن رمّان حتى النير والشعرا[3].

وهكذا أصبح أمراء الأحسا ألد خصوم آل سعود الصاعدين. كما أن التشدد الوهابي التقشفي لم يكن يناسبهم لأنهم هم أنفسهم كانوا من أتباع المذهب المالكي المعتدل، ولأن كثيراً من رعاياهم في مدينتي الأحسا والقطيف كانوا من الإسماعيليين. ويقال بأن سليمان آل (ابن) محمد، الذي تصفه المصادر الوهابية بأنه طاغية وفاسق، قد أجبر أمير العيينة، بتهديده بقطع المعونات عنه، على طرد محمد بن عبد الوهاب[4].

على الرغم من ذلك تجاهل حكام الحسا[5] فترة طويلة من الزمن الخطر؛

هامر، GOR جـ9. لم يمارس الشريف مهمته هذه بصورة فعالة فعلاً، ولكنه على أي حال قام في عام 1107 هـ/ 1696م بحملة نحو داخل الجزيرة العربية قادته إلى شقرا في الوشم، عنوان 67.

(1) كان الأول يتلقى معونة سنوية، قسماً منها ذهب والآخر مواد عينية وأقمشة. تم ذكر منفوحة في هذا السياق من قبل فيلبي فقط ـ (بلاد العرب).

(2) نيبور، بلاد العرب.

(3) ديوان: من قلب الجزيرة العربية، رقم 71، الأبيات 55 ـ 57.

(4) الروضة، جـ 2، قبل 1160 ـ عنوان، ص 14.

(5) تسمية الأحسا بهذا الشكل (الحسا) أخذت تحل شيئاً فشيئاً محل الأحسا في الكتابات الوهابية.

يبدو أنهم اعتبروا المعارك الدائرة في نجد واحدة من الحروب العادية التي تحدث بين حين وآخر بين أمراء الواحات. فقط عندما ثبّت الوهابيون أقدامهم في الوشم وسدير ولم يبق في عارض أي مقاومة لهم سوى في الرياض، تدخل الأمير عريعر ابن دجين، ولكنه لم يتمكن من تحقيق نجاح دائم (1758م ـ 1759)[1]. وفي عام 1764 وصل متأخراً بحيث لم يستطع توحيد قواه مع قوى سيد نجران، فحاصر الدرعية بضعة أسابيع ثم انسحب[2].

عندما خضعت واحات القصيم للوهابيين (1183هـ/ 1769م)، عُيّن في البريدة رجل اسمه عليّان في منصب الأمير. فطلب سلفه دريبي المساعدة من عريعر وحصل عليها. وسقطت البريدة نتيجة خدعة. ولكن على طريق العودة توفي عريعر فجأة. فخلفه ابنه بطيّن الذي قدم الدعم لسيد نجران في حملته الثانية ضد الوهابيين. ولكن الوهابيين استولوا على بريدة مرة أخرى قبل أن يتمكن بطيّن من التدخل (1189هـ/ 1775م) وبعد ذلك بوقت قصير قامت عائلة بطيّن بعزله من منصبه[3].

حاول الحاكم الجديد، أخوه سعدون، عقد صلح مع الوهابيين. وعندما رفضوا[4] ذلك أخذ يقف ضدهم أينما استطاع. وقد دعم بشكل خاص الثورة الكبيرة التي اندلعت عام 1782م في القصيم واستمرت خمسة أشهر.

بعد وقت قصير حدث نزاع جديد في عائلة الأمراء. فقد فر عبد المحسن بن سرداح إلى شيخ المنتفق ثويني، لأنه شعر بأن سعدون يهدده. وعندما دخل ثويني إلى شرقي الجزيرة العربية ومعه عبد المحسن انتقل إليه فرعان من قبائل بني خالد،

---

(1) انظر أيضاً، فيلبي، بلاد العرب، الذي يعتمد على الروضة باستثناء التواريخ التي تم تأكيدها في «العنوان».

(2) قبل ذلك وصلت إحدى غزوات النهب الوهابية إلى الحسا، كذلك نيبور، بلاد العرب 346 وما بعدها، سمع في عام 1764 عن غزوتي عريعر.

(3) موزيل، شمال نجد 258: تم اغتياله.

(4) حسب فيلبي، بلاد العرب 34 لأن سعدون هاجم في أمبايض/بدواً وهابيين. في الحوليات يذكر فقط أن السعدون أقام معسكره فقط في أمبايض/الأمر الذي اعتبر تصرفاً غير ودّي.

هما المهاشير والصبيح. ففر سعدون إلى الدرعية. في بادىء الأمر تردد عبد العزيز آل سعود لأنه لم يكن يريد حدوث قطيعة بينه وبين ثويني، ولكنه قرر في النهاية تحت إلحاح محمد بن عبد الوهاب قبول اللاجىء سعدون (1785م)[1].

وبالفعل فقد أعلن ثويني إنهاء صداقته مع الوهابيين. وفي خريف 1786م دخل إلى القصيم على رأس جيش قوي، ولكنه تخلى عن حصاره للبريدة لأن هدفاً أكبر كان يلوح له في بلده[2]. عندئذ عاد عبد المحسن ودويحس بن عريعر، الزعيم الثاني للقبيلة، أدراجهما بعد أن كانا قد عبرا الدهنا لكي يدعما صديقهما[3]. ومن الآن فصاعداً أصبح الوهابيون في وضع الهجوم (1787م، 1788، 1789م). وفي شتاء 1204هـ/ 1789م ـ 1790م انتصر ولي العهد سعود عند غريميل على بني خالد. وكان أهل المدن قد تخلوا عن عبد المحسن. عندئذ تحول كثير من بني خالد، الذين كان ابن سعود عاملهم معاملة حسنة، إلى المذهب الجديد. وطُلب من زيد بن عريعر، الذي كان قد هرب مع سعدون إلى الدرعية وأصبح الآن ملتحقاً بالجيش الوهابي، أن يذهب إلى الحسا لكي يدعو أهل المدن إلى اعتناق التعاليم الجديدة، لكنه رفض هذه المهمة غير المشكورة.

بعد ذلك بوقت قصير قتل عبد المحسن. فحاول ابنه وخليفته براك الانتقال إلى الهجوم إلا أنه تكبد خسائر جسيمة قرب اللصافة (في طوال المطير 1207هـ، 1793م). وهكذا دخل سعود الحسا التي كانت قد عرضت عليه الاستسلام. وبسرعة

---

(1) يرى فيلبي بحق، 42، أن القطيعة مع ثويني كانت الخطوة الأولى نحو سياسة تتجاوز الجزيرة العربية وستؤدي حتماً وبالضرورة إلى الصدام مع الدولة العثمانية.

(2) انظر المقال الخاص بالمنتفق في قسم العراق «الجنوبي». السبب في الحملة كان قيام الوهابيين بنهب قافلة كبيرة قادمة من سوق الشيوخ في البقعة. فيلبي 43 أساء فهم كلمة /ظهرة/ واعتبرها تعني حملة حربية لثويني.

(3) فيلبي 45 يورد هذه الواقعة في إطار علاقة خاطئة. ذلك أن الحوليات تروي أولاً مصائر ثويني الأخرى ثم تعود بعد ذلك إلى نقطة البداية وتقول إن الأمير الوهابي قد أرسل ابنه لتحرير البريدة. وهنا يأتي ما رويناه أعلاه.

تمّ إدخال المؤسسات الوهابية وطرد زعماء الإسماعيليين وتدمير أماكن اجتماعاتهم وكتبهم وأجهزة عقيدتهم[1]. ولكن ما أن غادر سعود المدينة حتى تمرّد جزء من أعيانها بزعامة اثنين من عائلة أمرائهم ضد الحكم الجديد. وتم في يوم معين قتل الموظفين والمعلمين ورجال الدين الوهابيين أو طردهم. وقد تمكنت الحامية من شق طريقها والمغادرة (مايو/ أيار 1793م)في الخريف عاد سعود مرة أخرى إلى الواحة حيث كان قد تجمع في هذه الأثناء برّاك وجميع «آل عريعر» / العريعر/ تقريباً وكذلك زيد للمشاركة في الدفاع عنها. وقد تعين على المهاجمين احتلال المنطقة قرية قرية. وأخيراً اضطر برّاك إلى الاستسلام. عندئذٍ انسحب سعود بعد أن تعب من القتال تاركاً مهمة فرض الهدوء والنظام لبراك. ولكن الثوار جدّدوا القتال ولكن ضد أميرهم هذه المرة. وبعد معارك طويلة تمكن برّاك من احتلال مدينتي الواحة وهما المبرز والهفوف (ربيع 1794م).

لكن الصراع لم ينته لأن جميع «آل عريعر» العريعر كانوا قد فروا[2] ونصبوا خيامهم مع قسم من القبيلة في الشمال على الحدود التركية. ويبدو أنهم لم يشاركوا في تمرد الإحساء الذي أبقى على برّاك والوهابيين من آذار حتى حزيران 1796م في حالة استنفار، وانتهى بإخضاع القطيف والعقير. ومرة أخرى لاح لعريعر الأمل، فمنذ زمن طويل كان المهاجرون الموجودون في البحرين والكويت والزبير والبصرة يطالبون سليمان باشا في بغداد باحتلال الإحساء واقترحوا عليه تسليم شيخ المنتفق ثويني قيادة الحملة. وفي نهاية عام 1796م وافق الباشا على ذلك[3].

---

(1) ولكن هنا كانت خسائر السكان أقل جداً من خسائر سكان قرى واحات القطيف حيث كان الإسماعيليون يشكلون تقريباً جميع السكان. فقد تصدى هؤلاء في عام 1791م لهجوم من قبل الوهابيين وتكبدوا خسائر جسيمة. في قرية سيهات وحدها قتل 1500 شخص. أما الجموع التي لجأت إلى الميناء فقد أنقذت حياتها لقاء دفع 3000 قطعة ذهبية.

(2) زيد بن عريعر (ليس ابن سعدون كما ورد عند فيلبي ص 61) وأخوته دويحس ومحمد وماجد. سيف بن سعدون كان قد أصبح وهابياً.

(3) المصادر لما سيتبع: الروضة، حـ2 تحت عام 1211: عنوان 72 وما بعد، منجن، 511 وما بعدها، رسول حاوي، دوحة الوزراء 220. إن العرض الغريب الوارد في الروضة، أملته

هيأ ثويني الحملة في الجهرة في خليج الكويت. وضع سليمان باشا بتصرفه خمسة مدافع وبعض الرماة من حامية البصرة من البلوش وفرز له أحد الضباط المماليك من بغداد وبعض الحراس من عقيل للحماية. التحق الضفير وبني خالد الشماليين بقيادة محمد العريعر بثويني. وبعد تعرضه لتهديد قوي تحول برّاك حاكم الحسا وقائد قواتها إليه أيضاً. وقد برر موقفه تجاه الوهابيين بأنه مجرد انحناء أمام العاصفة وأنه عند ظهور الجيش سينتقل فوراً إلى صفهم. ولم يبق في بني خالد مخلصاً للوهابيين سوى المهاشير. وشكل هذا الوضع ضربة قوية لهم لأنهم اضطروا الآن إلى جعل خططهم الحربية تقتصر على الدفاع عن المداخل المؤدية إلى نجد: طلبوا من قبائل المطير، وسبيع، وسهول، وقحطان، وعجمان، الذهاب مع قطعانهم ونسائهم وأطفالهم إلى منطقة بني خالد الشتوية واحتلال موقع المياه في الصمّان. وتحت تغطية البدو تقدمت طلائع الجيش الوهابي إلى الصمان، بينما بقي سعود في حفر العش (منتصف أبريل/ نيسان). وفي هذه الأثناء كان ثويني قد بدأ زحفه ترافقه سفن التموين والذخيرة. قامت طلائع الجيش الوهابي بإخلاء قرية القارية. وعندما علم سعود أن ثويني اختار الطريق الغربي المؤدي إلى طفّ عبر "وادي القرايا"، أرسل كتيبة قوية بقيادة حسن المشاري إلى الطفّ ووضع تحت قيادته القوة الطليعية المتقدمة التي كانت معنوياتها منخفضة إلى درجة خطيرة. وما أن وصل المشاري إلى الطف حتى تلقى أمراً بأن يتخذ مواقعه في مكان أبعد إلى الجنوب قرب جودة وأم ربيعة. وعندما وصل إلى هناك أرسل مجموعة قوية لكي تحتك بالعدو وتمكّن برّاك من العودة إلى الوهابيين. لكن براك لم يجد الفرصة المناسبة أو أنه لم يكن يريد إيجادها. وهنا أنقذ الوهابيون بمعجزة من خطر أكيد. فقد قام عبدٌ شبه مجنون من عبيد بني خالد بقتل ثويني (نهاية يونيو/ حزيران) في شباك على بعد مسيرة 12 يوماً جنوب البصرة، ويبدو أن الدافع إلى ذلك كان حب

الرغبة في تبرئة ساحة براك لأنه بعد موت ثويني عاد إلى الوهابية وقتل في عام 1798م. فيلبي 68 وما بعدها. أخذ من الروضة ما يمكن أخذه. موزيل، شمال نجد 262 يفسر المراجع بطريقة اعتباطية.

الظهور[1]. ولم يتمكن أخوه ناصر من إعادة النظام إلى الجيش المتراجع بحيث استولى الوهابيون على غنائم كبيرة دون قتال.

في عام 1798/ 1799م كرر سليمان باشا المحاولة. ووصلت الحملة التي قادها معاونه علي حتى الحسا. وقد رضخ له سكان المدن لكن الحامية حافظت على حصني مبرز والهفوف إلى أن أجبر الباشا من قبل جيشه والقبائل المتحالفة معه وعلى (رأسهم المنتفق) على الانسحاب[2].

وهكذا فقد العريعر «آل عريعر» أملاً من آمالهم. ولم يبق أمامهم سوى البقاء في العراق وانتظار حدوث تغيّر في أوضاع الجزيرة العربية. وهذا ما حدث فعلاً عام 1816م. عند وصول نبأ حملة المصريين ضد الدرعية أرسل داود باشا من بغداد ماجد بن عريعر وأخوته إلى الحسا وأمر في الوقت نفسه المنتفق بالهجوم على نجد. وبالفعل تمكّن ماجد من احتلال المنطقة لصالح العثمانيين[3]. بعد سقوط المدينة وسّع ماجد مرحلياً سلطته حتى منطقة الوهابيين الأصلية. وقد اضطر الأمير من عائلة ابن معمر المعين كحاكم من قبل الأتراك للاعتراف بسلطته. وما بين 1824 و1830م دخل بني خالد في حرب محدودة مع تركي آل سعود. في عام 1830م توفي ماجد فأخذ شقيقه محمد مكانه. وفي العام نفسه ألحق تركي هزيمة نكراء ببرغش ابن أخ محمد. وبذلك أصبحت الحسا «الإحساء» وهابية مرة أخرى. وفي عام 1838 تم احتلالها من قبل الأتراك المصريين ثم من الوهابيين بعد انسحاب حاميتهم في عام (1840م).

قبل ذلك بوقت قصير تم قتل برغش بأمر من خورشيد باشا بسبب اغتيال وإليه في الهفوف[4]. وقد أعطى احتلال شرق الجزيرة من قبل الأتراك الفرصة مرة أخرى

---

(1) قارن مع عنوان.

(2) عنوان، ص 75، منجن جـ 2، ص 518 وما بعدها، لونكريك، ص 215.

(3) جودت، تاريخ جـ9، ص 59.

(4) عنوان 132، مختارات من تسجيلات حكومة بومباي. رقم 24، الحديدة 437 ـ 449.

لعائلة شيوخ بني خالد كي يلعبوا دوراً سياسياً: ففي عام 1873م عين ناصر باشا الشاب بزيع بن عريعر متصرفاً لسنجق نجد وهذه هي التسمية سنجق التي اعتاد الأتراك على إطلاقها على المناطق التابعة لهم في شرقي الجزيرة العربية. ولكن حكمه لم يصمد طويلاً، فلم يمضِ وقت قصير على انسحاب الأتراك حتى اندلعت حركة مضادة. وعندما ظهر ناصر باشا في عام 1874م[1] للمرة الثانية في شرق الجزيرة أقال بزيع الذي كان يحلم بالاستقلال. فكانت هذه نهاية إمارة بني خالد[2].

إن الأحداث المذكورة أعلاه تثير الانطباع بأن بني خالد أقاموا في القرنين السابع عشر والثامن عشر في المنطقة نفسها التي أقام فيها أسلافهم بني عامر. في الحقيقة كانوا يصلون إلى عمق البادية السورية (الوديان) حيث كانت لهم جولات وصولات مع الموالي الذين كانوا يأتون إلى هذه المناطق شتاءً. كذلك مارسوا تجارة الإبل في حلب[3]. وفي القرن الماضي تقلصت منطقة بني خالد تدريجياً. وهي تمتد اليوم من خط عرض جزيرة المقطع في الشمال حتى قبل الهفوف في الجنوب وفي الشتاء يذهبون إلى الصمان. وغالباً ما يعيش المهاشير (2) والمقدام (4) وبني نهد (5) وصبيح (7) كبدو رُحل مع أن قسماً منهم قد استوطن في واحات القطيف (المهاشير) والحسا «الإحساء» (المقدام وصبيح). وكثير من صبيح يعيشون في قطر والبحرين حيث يشكلون هناك جاليات مستقلة. أما العماير (6) فيعيش جزء منهم كصيادي سمك في الجزيرتين الصغيرتين المسالمية[4]. (التي كانت تسمى في

(1) انظر الملاحظة حول شجرة القبيلة لعائلات الشيوخ المنتفق في قسم العراق «الجنوبي».

(2) والدة سعود بن عبد العزيز ولي عهد السعودية كانت من العريعر: وضحة بنت محمد بن برغش بن عقاب بن عريعر. فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، 36.

(3) نيبور: وصف رحلة جـ 2، ص 238، الأكثر أماناً السفر مع بني خالد الذين يأتون سنوياً بعدد كبير من الجمال إلى حلب للبيع والذين يمرون في طريقهم بالقرب من مدينة البصرة.

(4) وردت للمرة الأولى 1797م (فيلبي 70)، فرع الدواودة 1833م. مختارات من تسجيلات حكومة بومباي. رقم XXIV، السلسلة الجديدة 441.

القرن الثامن عشر جزيرة العماير والجنة اللتان تقعان في إحدى الخلجان شمال القطيف. أما الفرعان آل حسن (أ) والدواودة (ب) فيعيش معظمهم على اليابسة. كما يعيش الجبور (3) نصف رحل في الجشّة في واحة الحسا (الاحساء).

علاوة على ذلك توجد مستوطنات هامة لبني خالد في نجد، في البريدة مثلاً وفي مناطق أخرى في القصيم وفي البرا ومزعل على طريق الحج الرياض ـ مكة. وقد قام عبد العزيز آل سعود بتوطين بني خالد في بداية القرن الحالي في مزعل[1].

وككل القبائل في الجزيرة يربي بنو خالد الأغنام بالدرجة الأولى. ولكونها أكثر حساسية من الجمال فقد مات منها أثناء الحملات الحربية الكبيرة التي تساق معها القطعان الكثير وبخاصة في الصيف[2]، أما تربية الخيول فقد انحسرت، منذ أن تم تجميع كل الخيول الأصيلة في اصطبلات عبد اللّه بن جلوي حاكم الحسا «الإحساء».

(1) دوتي، جـ 2، ص 341، 351 كتاب الجيب جـ1، ص 85، 603، فيلبي جـ1، ص 135، 137. جـ3، ص 82، 159، 201، 232.

(2) الروضة، جـ 2، Passim.

بني خالد(1)

شيخ المشايخ: ....(2)

منطقة التنقل: القطيف ـ الصمان

عدد الخيام: 1500

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ آل حميد(3)			
2 ـ المهاشير			
3 ـ الجبور		الجشّة	
4 ـ آل مقدام(4)			
5 ـ بني نهد(3)			
6 ـ العماير(5)			
أ ـ آل حسن			
ب ـ الدواودة			
جـ ـ آل خالد		المسلمية	
د ـ آل شاهين		الجنة	
7 ـ الصبيح(5)			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ وفق ملاحظات عام 1929. كتاب الجيب ج1، ص 85، 608. فؤاد حمزة ص 146 وما بعدها. فقدم هذا بالإضافة إلى القوائم التي لا يتم نقلها دائماً بأمانة من كتاب الجيب، ملاحظة هامة للأمير عبد اللّه بن عبد الرحمن آل سعود الذي سيذكر فيما يلي باسم الأمير عبد اللّه. يذكر الأمير أيضاً القرشة الذين يعود أصلهم إلى

العبيدة والعمور، الذين لهم نفس الأصل مثل الدواسر.

عدد الخيام لا يتضمن ما للمستوطنين الذين يزيدون على الضعف بما في ذلك 6حـ، د. ـ قائمة شبرنغر رقم 97 ـ 101 تذكر 2، 3، 6، 7 والعمور.

2 ـ كتاب الجيب: شيخ آل خالد (6حـ). أم القُرى رقم 208، 18/ 12/ 1928 تذكر المشايخ التالية أسماؤهم: حربي بن عكل (عقيل؟)، حزام بن ثنيان، فلاح بن تسليب وقد أضاف مخبرنا، مسلط بن شعلان ودرباس بن محمد.

3 ـ القبيلة الأم عريعر. تراجعت كثيراً.

4 ـ ينسبون أنفسهم إلى بني هاجر. الأمير عبد اللّه.

5 ـ الجبور(3)؛ الأمير عبد اللّه.

هجر بني خالد(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ الدفي	فارس الحسن	شبيب الحسن
2 ـ جلمودة	قيران بن عجران	.....

ملاحظات حول الجدول

1 ـ أُم القُرى، رقم 208، 18/ 12/ 1928م.

عجمان

عندما أفل نجم بني خالد ظهر نجم عجمان[1] في سماء شرقي الجزيرة العربية. فمن هم العجمان؟ إنهم إسماعيليون من نجران البعيدة، حيث صمد هذا المذهب الغامض وسط محيط معاد له منذ ألف عام وحتى أيامنا هذه. فقد جاؤوا إلى هذه البلاد كغرباء مغالين، مما كفل لهم تماسكاً لم يتسن لغيرهم من القبائل الأخرى[2]، إلاً أن قوتهم تحطمت اليوم، فقد قادهم القدر للدخول في منازعات آل سعود لدرجة أنهم غدوا أعداء لملك الجزيرة العربية.

يمتد وادي نجران، والذي يعتبر واحداً من أفضل أودية الجزيرة، مسيرة ستة أيام جنوب سليّل من سلسلة جبال عسير نحو الشرق، حتى يختفي في بحر رمال الربع الخالي. كان نقطة ارتكاز (اليام)[3] الذين يعيشون هنا منذ قديم الزمان مستقرين أو بدوا رُحل أو نصف رُحل، وينقسم اليام إلى ثلاثة بطون، أحدها فرع مذكر الذي انحدر منه عجمان[4].

---

(1) المفرد عجمي، المؤنث عجمية.

(2) لدى الريحاني 201 وما بعد نجد الأسباب التي تفسر هذه الظاهرة الملفتة للنظر.

(3) ينتسبون إلى الحمدان، قبيلة قديمة جداً تنتمي إليها العائلة الحاكمة التي برزت في جنوب الجزيرة في أواسط القرن الثالث الميلادي (فستنفيلد، جدول رقم 9/ 19). مورتمان ومتفوخ، النقوش السبأية (رحلات جنوب الجزيرة، لراثين وفيزمن، جـ1) ص 218 وما بعد.

(4) فيلبي، جـ 2، ص 225 وما بعدها، بنات شبعا، 16، المجلة الجغرافية، السنة 10، 2، 1938م، الانسكلوبيديا الإسلامية. انظر «يام». ليس من المفيد الحديث عن القصة الخرافية

بدأ زعيم الإسماعليين الحسن بن هبة اللّه، بعد سنة (1760م) توسيع سلطته خارج نجران، وسعى إلى تحقيق الصلة مع شرق الجزيرة، حيث توجد منذ أيام القرامطة مجموعات من الإسماعيلية في الهفوف والقطيف، وبهذا، كان لا بد من الاصطدام بدولة الوهابيين الفتية، والتي كانت تقف حجر عثرة أمام طريقه نحو الشرق. وفي هذا الإطار تندرج الأحداث التالية:

في عام 1762م التقى عبد العزيز، ابن أمير الوهابيين الأول محمد بن سعود، عند مروره في قرية رغبة على طريق عودته من حملة ضد الجلاجل في السدير بمجموعة من سبيع كانت قد تعرضت للتو، لغزو شديد من عجمان. فقام بملاحقة اللصوص، وأدركهم في قذلة على طريق الحج، فقتل 50 رجلاً من عجمان، بينما سقط 240 شخصاً مع كثير من الخيول والجمال في أيدي الوهابيين. وفي العام التالي تحرك زعيم نجران نفسه على رأس جيش كبير في حملة ضد الوهابيين. وفي منطقة حائر حيث ينعطف وادي حنيفة نحو الشرق اصطدم بالمقاومة الأولى، وقد تقدم عبد العزيز للمساندة، إلا أنه هُزم (أكتوبر سنة 1764م)، وقد أدت تلك الهزيمة لحدوث أزمة داخل الدولة الوهابية، حيث اتحد خصم آل سعود القديم، دهام بن الدواس حاكم الرياض، وأمير شرق الجزيرة مع المنتصرين. ولم يتمكن محمد بن سعود من نسف هذا التحالف إلا بعقده صلحاً مهيناً مع سيد نجران[1].

شاركت عجمان أيضاً في الحملة الثانية التي قام بها سيد نجران في سنة 1775م

التي تربط بين معنى اسم عجمان والفرس (دوتي، سجل عجمان، الريحاني 8، 201). إن العرب الموجودين في /لينجا/ على الساحل الفارسي للخليج والمتفرعين من عجمان ينتسبون إلى الإمارة التي تحمل نفس الاسم على ساحل القراصنة.

(1) الروضة عام 1178 تتحدث هنا بالنسبة لغارات النهب التي ورد ذكرها سابقاً، عن يمنيين فقط (1177)، كذلك منجن جـ2، ص 402، 461 وما بعدها. أما العنوان ص 65 فتذكر اسم عجمان بشكل صريح. وقد سمع نيبور (بلاد العرب 273، 347) أن سيد نجران قد توغل حتى الأحسا ولكن هذا غير صحيح. بناء على هذه الإشاعة تستند أيضاً الملاحظة حول إعادة بناء الدولة القرمطية في القرن الثامن عشر. أعلاه .Annueire du Monde Musulman. 1925, 68

ضد حاير. ويبدو أنهم كانوا من الأنصار المتحمسين لـ(الساحر) الإسماعيلي، كما تسميه الحوليات الوهابية. فقد حملوا معهم على طريق العودة هودج سيدهم الذي ألم به مرض شديد أثناء المعارك[1].

لم يرد ذكر عجمان في الحوليات الوهابية مرة أخرى حتى عام 1797م. عند وصول خبر زحف جيش المنتفق تلقت عجمان مع القبائل البدوية الأخرى مهمة اختيار أماكن إقامتها الشتوية في شرق الجزيرة وذلك لتأمين مصادر المياه الموجودة هناك[2]. وهذا يعني أن عجمان كانوا في هذه الأثناء قد غادروا نجران وأصبحوا وهابيين. كانوا آنذاك يتنقلون في الطويق الجنوبي؛ إذ لم تزل تعيش هناك حتى اليوم جماعات منهم: شامر وعرجا. ثم قام بعد ذلك تركي بن عبد الله آل سعود بتوطينهم[3] في شرقي الجزيرة العربية بغية السيطرة على بني خالد الذين كان قد أخضعهم عام 1830م.

في أواخر حكم فيصل بن تركي هاجمت عجمان قافلة للحجاج فقام عبد الله ابن فيصل، الذي ناب عن والده الضرير كحاكم وقائد جيش، بطرد جزء من القبيلة نحو الشمال إلى ما وراء الحدود، وجزء آخر إلى الطويق الجنوبي[4]. وبعد وفاة فيصل، آخر عام 1865م، ثار ابنه سعود، حاكم المناطق الجنوبية (خرج، وأفلاج، ووادي الدواسر)، ضد الخليفة الشرعي لعبد الله. وكانت العلاقة بين الأخين سيئة منذ أعوام. فكان عبد الله المعتز بنفسه والسريع الغضب يحتقر سعوداً الذي كان يسعى إلى كسب الأصدقاء عن طريق اللطف والتبذير. فجهز ـ ابن العجمية ـ جيشاً من عجمان والدواسر ومرّه وتحرك لمكافحة أخيه في ساحة المعركة. وأدت غزوة قام بها عبد الله، ووصلت إلى معتلا في وادي الدواسر، إلى حسم الحرب في هذا

(1) الروضة، جـ 2 عام 1189، منجن جـ 2، ص 477.

(2) العنوان، 74.

(3) الريحاني، 201.

(4) الريحاني 83.

الميدان لصالحه في سنة (1868م)[1]. ذهب سعود في سياق بحثه عن حلفاء جدد، إلى البحرين، حيث وجد دعماً من محمد بن خليفة زعيم الجزيرة. وعلى اليابسة وقفت عجمان بكاملها معه. وتمكن سعود بهم، من احتلال الهفوف، وقضى على جيش عبد اللّه عند الجودة، ثم ما لبث أن دخل إلى الرياض أوائل سنة (1871م)[2].

في هذه الأثناء كان الأتراك قد احتلوا القطيف والهفوف، بعد أن استنجد بهم عبد اللّه في صيف (1871م). وبدون أي طائل، حاول سعود وبدعم من عجمان ومرة أن يطردهم.

توفي سعود في عام 1874م، وكذلك أنهى أبناؤه المشاكسون حياتهم تحت سيوف شمر أو في سجون حايل. لكن أحفاده جددوا الحلف مع عجمان.

وكانوا في عام 1904م يعيشون في الرياض محرومين من جميع المناصب بصفتهم من المطالبين بالعرش، وذلك بعد أن كان عبد العزيز آل سعود قد حررهم خلال المعارك التي دارت في القصيم[3]. وفي عام النحس 1910م غادروا فجأة البلاط وذهبوا مع حاشيتهم إلى العجمان. وحاول شيخ الكويت مبارك بن صباح التوسط لكن المحاولة فشلت لأن الظروف لم تكن مؤاتية. وفي عام 1911م أعلنوا

---

(1) الريحاني 83 وما بعد، تمّ استكماله من خلال تقرير لمحمد بن البسام. التاريخ 1868م يستخلص من مشاركة متعب بن الرشيد (انظر ص 46) في حملة عبد الله.

(2) يضع الريحاني تاريخ الأحداث بما في ذلك معركة الجودة في العام 1288 هـ (بدأت في 23/ 3/ 1871م). أما موزيل: شمال نجد 274، فيضعه قبل سنة لأنه يذكر أن دخول سعود الرياض قد حصل في نهاية عام 1870م. في الحقيقة كان دخول سعود الرياض في بداية عام 1871م، مورتمان الانسكلوبيديا الإسلامية، ابن سعود الذي تعتبر تواريخه حاسمة.

(3) أو تم أسره، لأنهم كانوا مشتركين مع قوات ابن الرشيد ضد عبد العزيز في المعركة، وقد حملوا منذ ذلك الوقت لقب / العرايف/ مفردها عرافة أي الذي وجد مرة أخرى، انظر أيضاً بالنسبة لما سيتبع، فيلبي، بلاد العرب 1770 والريحاني 163، 174 وما بعد. إن التاريخ الذي حدده فيلبي لثورة العرايف في الطويق في عام 1912م نتج عن التحديد الخاطىء لتاريخ حملة الشريف الأكبر (انظر ص 86).

الثورة في الطويق الجنوبي، المقر القديم لعائلتهم. إلا أنه تم التغلب عليهم بسرعة، ففر عدد منهم إلى مكة، وفر واحد إلى العجمان.

طالما كان الأتراك يحكمون شرقي الجزيرة العربية، كان عبد العزيز آل سعود مقيد الحركة تجاه العجمان[1]. وبعدما أجبر الحاميات التركية في مايو/ أيار على الانسحاب أصبح طليق اليد[2]. فبعد غزوتين، إحداهما فاشلة والأخرى ناجحة (سبتمبر/ أيلول 1913، ومارس آذار 1914م) أجبرهم عن طريق إغلاق الأسواق في وجههم على الاعتراف بسلطته وعلى دفع الضرائب إلا أن حدثاً غير متوقع أفسد السلام المتحقق تواً: فقد التجأ مرة أخرى حفيدان من أحفاد مغتصب العرش سعود (وهما سلمان بن محمد وفهد بن سعد[3]) إلى ابن منيخر، شيخ السفران(2)، الذي هو في الوقت نفسه خالهما. واستناداً إلى حق الحماية رفض العجمان تسليمهما لآل سعود لكنهم تعهدوا بأن يمنعوا ضيفيهما من القيام بأي نشاطات عدائية ضدهم (أي ضد آل سعود).

شارك العجمان في معركة جراب (بداية 1915م) ضد ابن رشيد لكنهم تخلوا عن عبد العزيز آل سعود في اللحظة الحاسمة[4]. وقد استغلوا هزيمة أسوأ استغلال. إذ قاموا في ربيع 1915م تحت قيادة العرايف ببث الرعب في جميع أرجاء شرقي الجزيرة العربية. ونهبوا ميناء عجير «عقير» حيث حصلوا في مستودع الجمارك على غنائم سهلة، ثم حاصروا حاكم المدينة عبد الله بن جلوي في الهفوف. في صيف العام نفسه تحرك آل سعود ضدهم. فتجنب معسكر العجمان في زرنوقة ودخل الهفوف. عندئذ بدأت المفاوضات التي أسفرت عن مغادرة القبيلة بكاملها، باستثناء السفران، المعسكر. وهنا حث سعد آل سعود أخاه عبد

---

(1) مثال للريحاني 180.

(2) نعود لنتابع مع محمد البسام.

(3) فيلبي جـ 2، 103 حسين بن سعد.

(4) فيلبي جـ1، ص 384 وما بعدها، الريحاني 200.

العزيز على استغلال الفرصة السانحة والهجوم على السفران[1]. وفي مساء 11 شعبان (23 يونيو/ حزيران) بدأ الهجوم الذي لم يكن مفاجئاً للسفران. إذ كانوا قد عززوا مواقعهم وحصلوا خلال الليل على دعم من العجمان الآخرين. وأسفرت المعركة عن هزيمة عبد العزيز الذي فر إلى الهفوف. وقتل أخوه سعد في المعركة بينما أصيب هو (عبد العزيز) بجروح. وفي الهفوف حاصره العجمان وظل محاصراً حتى سبتمبر/ أيلول[2].

تألم عبد العزيز أشدّ الألم لوفاة أخيه سعد وأصبح منذ ذلك الوقت قاسي القلب لا يصالح ولا يرحم. فأخلت عجمان منطقته ورحلت إلى الكويت. وهناك احتضنها الشيخ مبارك. لكن مبارك توفي في ديسمبر/ كانون الأول 1915م ورفض ابنه وخليفته جابر منحهم حق اللجوء. إلا أن العجمان تلقوا الدعم من أخيه سالم. وعندما تولى سالم عام 1917م الحكم في الكويت أصبح العجمان في مأمن من التعرض لثارات ابن سعود.

شكلت قضية العجمان عبئاً على السياسة البريطانية ليس فقط بسبب سوء العلاقة بين الكويت والرياض: فقد أدى الموقف المهدد الذي اتخذه العجمان إلى الحيلولة دون القيام بالحملة ضد ابن رشيد التي كان من المقرر القيام بها عام 1916م. وأخيراً أقنعت البعثة البريطانية في الرياض (فيلبي والعقيد هاملتون) آل سعود بأن يقبل العجمان في منطقته. لكن العجمان رفضوا هذا الاقتراح. كما أن الاتفاق الذي تم التوصل إليه في ربيع 1918م والذي ينص على إحضار العجمان إلى منطقة الزبير، أي تحت الرقابة البريطانية، كان نصيبه الفشل. إذ إنه لم يكن من الممكن نقل سوى جزء من القبيلة[3]، وهذا الجزء لم تستطع السلطات البريطانية منعه من القيام بالغزو. فقد تعرض سبيع عند القطيف وحفر العتس، والمطير في

(1) فيلبي، جـ1، ص 103.

(2) الريحاني 203 وما بعدها يورد الأحداث في إطار مختلف تماماً. فهو يقول إن آل سعود قام بالحملة بناء على تحريض من الشيخ مبارك شيخ الكويت لأن قبائله قد تضررت كثيراً من غزوات عجمان.

(3) فيلبي جـ 2، 98 وما بعدها، 103 وما بعدها، 303 وما بعدها.

مستوطنة الإخوان أمبايض، لغزوات قام بها العجمان في صيف 1918م دون أي اعتبار للخسائر الذاتية[1].

بعد معركة تربة (25 مايو/ أيار 1919م) التي حولت الوضع بصورة نهائية لصالح الوهابيين، حاول العجمان التقرب من آل سعود[2]. وفي الأعوام التالية انضم كثير من أبناء القبيلة إلى الإخوان الذين لقي مثلهم الأعلى، الجهاد، قبولاً كبيراً لدى العجمان الميالين للحرب أصلاً. ولكن هذه الخطوة أيضاً، التي بدا أنها ستؤدي إلى مصالحة نهائية بين العجمان وخصوصمهم آل سعود، كانت لها عواقب وخيمة. فعندما حدث في عام 1928م الخلاف بين الملك عبد العزيز والمتطرفين من قادة الإخوان، انضم العجمان إلى الإخوان المتطرفين.

صحيح أن شيخ مشايخ العجمان ضيدان بن حثلين لم يحضر المؤتمر العام الذي انعقد في الرياض (في بداية نوفمبر/ تشرين الثاني 1928م). ولكن العجمان لم يشتركوا في ثورة الإخوان الأولى التي انتهت بمعركة سبله (أول أبريل/ نيسان 1929م). بل إنهم تمسكوا بالخطة الأصلية للإخوان الرامية إلى جر الملك إلى الحرب على طريق الإغارة على الكويت أو العراق. تحسباً لهذه الخطة أرسل حاكم الحسا، عبد الله بن جلوي، ابنه فهد على رأس قوة صغيرة لمراقبة تحركات القبيلة. وعندما جاء ضيدان بن حثلين إلى فهد قام فهد باحتجازه لكنه سمح له بأن يرسل رسولاً إلى القبيلة لإعلامها بذلك. ولكن الرسول ضل الطريق ولم يوصل الخبر. ساور العجمان القلق على زعيمهم بسبب تأخر عودته وتوجهوا إلى معسكر فهد. عندئذ غضب فهد غضباً شديداً وأمر بقتل ضيدان ومرافقيه. نتيجة الاستياء الشديد من هذا الانتهاك الصارخ لحق الضيافة ترك العجمان، الذين كانوا حتى ذلك الحين يعملون في خدمة الحكومة، فهداً وذهبوا إلى أبناء قبيلتهم.

تبع ذلك معركة قصيرة قتل فيها فهد. وبعد وقت قصير ثار العجمان ضد

---

(1) فيلبي جـ3، ص 36 وما بعدها، 189، 356، 362.

(2) الريحاني، ص 243.

الحكومة بقيادة نايف أبو كلاب ابن حثلين. وقد تحدثنا عن مجريات هذه الثورة الجديدة في صفحات سابقة. وفي ديسمبر/ كانون الأول 1929م، أي قبل المعركة الأخيرة، استسلم أبو كلاب وخضع العجمان لآل سعود.

كانت منطقة العجمان تمتد، عندما كانت القبيلة في أوج قوتها، تقريباً من خط العرض 28 إلى ما بعد طريق الهجير ـ الهفوف باتجاه الجنوب، وفي الغرب حتى لصافة ووبرة عند أسفل الصمّان، ثم في عمق البلاد حتى هضبة عرمة (مواقع الماء: أبو جفان، الـ"عجافية"). كانوا في الشتاء يرعون مواشيهم هنا، وفي الصيف حول اللصافة ووبرة وقرب الهفوف. وإلقاء نظرة على توزع مستوطناتهم الإخوانية يشير إلى أنهم منذئذ لم يفقدوا أي شيء من منطقتهم في الشرق. أما في الغرب فلا يتبين من هذه النظرة أي شيء. ولكن يجب أن نفترض أن الوضع هنا أيضاً بقي على حالته القديمة، وذلك لأن قبائل شرقي الجزيرة العربية كانت في جميع الأزمان ترعي ماشيتها في الصمّان والدهنا.

تحددت علاقة العجمان بجيرانهم، العوازم في الشمال والمطير والسبيع في الغرب، إلى حد ما بموقفهم من آل سعود. كانت علاقتهم مع المطيرمتوترة دوماً. أما العلاقة مع الكويت فقد تحدثنا عنها أعلاه. كان الشيخ مبارك يدعمهم، على الرغم من أن قبائله كانت تعرض لغزوهم، لأنه لم يكن يريد أن يصبح عبد العزيز آل سعود أقوى من اللازم. وأما مع الدولة الصغيرة الأخرى، قطر، فلم تكن لهم علاقة تذكر. في عام 1905م دعموا الشيخ الشرعي قاسم ابن ثاني ضد أخيه وأعوانه بني مرة[1]. وكان وضعهم في أحسن حال تحت الحكم العثماني وخاصة في نهاية هذا الحكم. وكانوا يطالبون التجار بدفع رسوم حماية فور وصولهم إلى عجير «عقير»، وكانوا ينهبون كلما وأينما استطاعوا ذلك.

(1) الريحاني، ص 138.

العجمان(1)

شيخ المشايخ: ابن حثلين(2)

منطقة التنقل: نطاع ـ الزرنوقة: الصمان ـ الدهنا ـ العرمة

عدد خيامهم 4000

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ آل ناجعة	ابن حثلين		1000
2 ـ السفران	ابن منيخر(3)		600
3 ـ آل صالح(4)			
4 ـ آل سليمان	ابن جمعة		1000
5 ـ آل محفوظ			500
6 ـ آل هادي(4)	المتلقم		
7 ـ المعيض(3)			600

ملاحظات حول الجدول

1 ـ البيانات غير كاملة (1915م ـ المخبر محمد البسام. 1925م: سليمان العقيلي). وقد بدا من غير المفيد أن يتم تعديلها حسب كتاب الجيب ج1، ص 87 أو حسب فؤاد حمزة 183 الذي أضاف إلى قائمة كتاب الجيب بعض الفروع لأن التقسيم غير واضح، وهناك شك في العديد من الأسماء. نذكر فقط السلوم لأنها موجودة أيضاً في نجران. فيلبي ج2، ص 199، 228. كتاب الجيب يقدر عجمان بـ 4000 إلى 5000 خيمة على أن نطرح منها الشامر 300 والعرجا 325 (انظر الفصل القادم) عبد الجبار الراوي (190)، 2200 خيمة.

2 ـ يبدو أن راكان بن حثلين هو أقدم المشايخ المعروفين. كان حليفاً لابن سعود عام 1870م (موزيل شمال نجد، 274). تم لاحقاً إلقاء القبض عليه من

الأتراك وإبعاده إلى نيش. شارك متطوعاً في الحرب الروسية ـ التركية في عام 1877/ 1878م فسمح له بالعودة. (دوتي ج2، ص 252. أويتنغ ج2، 83) وقد تم اغتيال أحد خلفائه محمد بن حزم عام 1910م. منذ ذلك الوقت ترأس القبيلة ضيدان (كتاب الجيب) حتى سقط عام 1929م.

3 ـ 1915 حزام بن المنيخر، 1900 شافي بن منيخر.

4 ـ ورد ذكرهم عند فيلبي ج3، ص 37.

هجر عجمان(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ الصرّار		حزام بن حثلين
2 ـ الكهفة	فهّاد بن حثلين	
3 ـ الوبدان	سالم بن وضين	
4 ـ حنيذ	منصور بن شافي	
5 ـ بخا	محمد بن حصّة	
6 ـ الزغين	خالد المتلقّم	
7 ـ عريعرة	مانع بن جمعة	
8 ـ العيينة؟	نايف بن حثلين	
9 ـ غنوة	محمد بن عصيدان	
10 ـ الكرادي	خالد بن حثلين	
11 ـ الصحاف	فهد بن بجاش	
12 ـ أم ربيعة	ملهي بن قذعان	
13 ـ البرّا؟	مطلق بن زنيغر	
14 ـ قطنانة	محمد بن ظبية	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب أم القُرى رقم 208، 18/ 12/ 1928م. الكهفة، الصرار، الصحاف، بخا تقع شمال غرب القطيف. زوغين (زوغيل في الخارطة) وأم ربيعة جنوب غرب القطيف قصر القرّادي «الكرادي» جنوب شرق الهفوف. حول حنيذ انظر ياقوت ج2، ص 350.

شامر، مطرة، عرقا

ترتبط هذه القبائل الصغيرة الثلاث، شامر، ومطرة، وعرقا، بصلة قربى مع عجمان، أي أنها تعود بأروماتها لأصول عربية جنوبية، قدمت إلى وسط الجزيرة العربية مع عجمان من نجران، وتعيش الآن في الطويق الجنوبي.

تخيم شامر بين وادي النساح والحريق، وكذلك باتجاه الشمال على هضبة عرمة، في حين يقطن بنو مطرة جنوب شامر، في الأفلاج الأعلى حول الغيل، بينما لا يصل العرجا إلى وسط الجزيرة إلا أحياناً، وتمتد منطقتهم من وادي الدواسر حتى نجران[1].

(1) فيلبي، جـ 2، ص 19 وما بعدها، 105، 160، 191، 217، 270، 284.

شامر، مطرة، آل العرقا(1)

أ ـ آل شامر

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الفرسان (الخرصان)(*) 2 ـ آل جنيفر		العرمة ـ الفرع	300

ب ـ مطرة
منطقة التجوال: الأفلاج

جـ ـ آل عرقا

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ آل رشيد 2 ـ آل فهاد	سمعان بن مطرحة	السليل ـ نجران	350

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب فيلبي (المواقع كما هو مبين أعلاه في النص) والملاحظات التي تعود إلى عام 1915م (كتاب الجيب ج1، ص 87) ترد عرقا (عرجا) وشامر تابعة لعجمان.

(*) الخرصان وليس الفرسان كما جاء في الأصل الألماني، يعدّ آل شامر من الأفخاذ الأساسية والمهمة في قبيلة العجمان. تتفرع من آل شامر أربعة فروع، وهم: 1 ـ آل شايقة وهو الفرع الأكبر في هذا الفخذ ويتفرع إلى ثلاث بطون وهي الخرصان وآل عمرة والبرمان. 2 ـ آل قضبيان. 3 ـ آل خضيّر. 4 ـ آل حسين. 5 ـ آل عوض. الخرصان هم شيوخ آل شامر وقد تولى المشيخة حزام ابن معضد المتوفى 1338هـ ومن بعده معضد بن حزام بن معضد المتوفى 1396هـ. (ماجد شبّر).

العوازم[1]

لقد تطور العوازم إلى قبيلة هامة، ومن المؤكد أنها ستصبح بعد بضعة أجيال قبيلة فاعلة.

بدأ نهوض القبيلة في العامين الأخيرين للحرب العالمية عندما أصبحت منطقتها، المنطقة الحدودية الواقعة بين زبير والكويت ونجد، مركزاً لتجمع قوافل النهب والتهريب[2]. وفي وقت لاحق انضم كثير من العوازم إلى الإخوان. وفي عام 1929م دقت ساعتهم: بفضل مساعدتهم وحدها تمكن ولي العهد سعود من كبح جماح العجمان الثائرين إلى أن استطاع الملك في نهاية العام التوجه بنفسه إلى ساحة المعركة (سبق وتحدثنا عن ذلك ص123 أعلاه).

كان العوازم[*] في السابق يعتبرون من رعايا الكويت وكانوا يعملون لدى شيوخ هذا البلد الصغير عند قيامهم بحملاتهم الحربية. وكانت جباية الضرائب من العوازم من بين القضايا التي أدت إلى توتر العلاقات بين الكويت والرياض. وقد سوي الخلاف حول هذه المسألة عام 1918م بوساطة الإنجليز لصالح الكويت[3].

---

(1) قارن الجزء الثاني ص 358.

(2) فيلبي جـ3، ص 37.

(*) ذكر عدد من الباحثين في تاريخ المنطقة العربية، وكذلك بعض الباحثين في الأنساب، إلى أن قبيلة العوازم تعود بالأصل إلى قبيلة هوازن، تلك القبيلة العربية القديمة التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ المنطقة القديم، وممّن ذهب إلى هذا القول، الدكتور أحمد عبد العزيز المزيني، في كتابه (أنساب الأسر والقبائل في الكويت) ص157، والمستشرق جورج أوغست ڤالان في كتابه (صور من شمالي جزيرة العرب) ص71 كما ورد في الخريطة الإنجليزية بعنوان القبيلة العربية والمحفوظة في مكتبة كمبردج تحت رقم 336.92.1 Mapsl. وتمّ رسمها 1916م. والمؤرخ عبد العزيز الرشيد في مجلة الكويت (ج4 وج5 المجلد الأول ص153)، كما أكد تلك الصلة بعض نقاد الشعر، كالناقد عبد الله الصانع في (ديوان الشاعر سالم الدّواي ص15 ط 1976 الكويت)، من أن العوازم يعودون إلى هوازن.

ومن المرجح لدي أن العوازم هم تشكيل أو مجمع قبلي تشكل في العصر الوسيط من مجموعة من أفخاذ يرجع جلّها إلى قبيلة هوازن، وكان ممّن انضم إلى ذلك التجمع، أفخاذ تعود إلى قبائل عربية أخرى، وهذا ما جعل القبيلة الحالية ـ العوازم ـ تنتسب إلى هوازن. (ماجد شبّر).

(3) فيلبي جـ3، ص 104.

يتنقل العوازم في الشتاء من الكويت حتى ما قبل القطيف، وفي الصيف في منطقة الضفير. كما أنهم يذهبون إلى جزيرة بوبيان أيضاً. ويعمل بعض العوازم في صيد السمك والغوص لصيد اللؤلؤ. يعيش منهم حوالي 250 عائلة في الكويت نفسها، وتعيش عائلات أخرى حياة مستقرة في مستوطنات الإخوان[1].

العوازم(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الهذالين «الهدالين» 2 ـ البريكات 3 ـ المساحمة 4 ـ الملاعبة 5 ـ المساعدة 6 ـ الجواسرة 7 ـ الغربة	مبارك الملعبي	الكويت ـ القطيف	1000

ملاحظات حول الجدول

1 ـ ورد ذكر العوازم والرشايدة في عام 1915م مع (أجانب)، الضفير، وكذلك بشكل مشابه في قائمة موزيل للضفير، شمال نجد 169. في عام 1929م ذكر اثنا عشر شيخاً للعوازم ولكن لم نضع في الجدول منهم سوى واحد فقط. الثاني ورد في قائمة الهجرات (1) والثالث فهد بن معتقة تم ذكره من قبل فيلبي ج3، 37. كتاب الجيب ج1، ص 94 وفؤاد حمزة 183 وما بعدها، الذي أغنى قائمة كتاب الجيب وأضاف إليها إلا أنه أساء إليها من خلال الأخطاء المطبعية. ويقسمان القبيلة إلى قواعه «قوعه» وذوي إياد (كتاب الجيب، غياض).

هجر العوازم(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ عتيق 2 ـ ثاج	فلاح بن جامع مساعد الملعبي	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب أم القرى رقم 208، 18/ 12/ 1928.

(1) كتاب الجيب (هاندبوك)، جـ1، ص 92 وما بعدها.

الرشايدة

أما الرشايدة فقد ظلوا أكثر وفاء لطابعهم وأكثر حفاظاً لصفاتهم. وهم ينتقلون في سهل دبدبة القاحل في منطقة العوازم والمطير[1].

الرشايدة(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ ذوي صياد 2 ـ المهيمزات(2)	}	الدبدبة	

1 ـ قارن فؤاد حمزة 152.

2 ـ اسم لقبيلة عند المدينة، هوبر، المجلة، ص 123.

(1) فؤاد حمزة، ص 152.

بني هاجر[1]

ينتسب بني هاجر[2] إلى قحطان، كانوا في الماضي يخيمون فيما بين وادي الدواسر وطريق الحج وانتقلوا قبل حوالي 150 عاماً إلى شرق الجزيرة، وقد تحدّثنا فيما سبق عن معاركهم مع الوهابيين خلال المدة (1789 ـ 1796م). وبعد معركة الجمانية اختفى اسمهم من الحوليات الوهابية. ويستفاد من ذلك أنهم قد أخضعوا بعدها بوقت قصير ومن المحتمل أن تكون الحكومة قد هجّرتهم إلى شرق الجزيرة، لتدعيم المنطقة ضد الاعتداءات الخارجية، أو من أجل تشكيل قوة تستطيع الوقوف في وجه بني خالد.

بعد ذلك لم نسمع سوى القليل عن هذه القبيلة[3]. إبان فترة حكم الأتراك للإحساء (1871 ـ 1913م)، كانت القبيلة تتقاضى رسوماً من القوافل، أو تقوم بنهبها. وظل الأمر كذلك إلى أن وضع عبد العزيز آل سعود حداً له.

تمتد منطقة بني هاجر من الساحل فيما بين القطيف وقطر وباتجاه الغرب حتى وادي فروق. وتتقاطع في الشمال مع عجمان، وفي الجنوب مع مرة والمناصير، وعند وادي فروق مع مجموعات من قحطان والدواسر.

(1) أيضاً هاير بلهجة بني مرة: الجمع هواجر، ومفردها هاجري.

(2) ورد ذكرها صدفة في تقرير بريطاني هندي عام 1841م.

(3) كتاب الجيب، جـ 1، 87، فيلبي، جـ1، 48، جـ 2، 34، 297.

يوجد في قرية اليمامة في الخرج جماعة مستقرة من بني هاجر

ومن المفترض أن القبيلة كانت في السابق تأتي كثيراً إلى هذه المنطقة. وتوجد في المنطقة الواقعة جنوب وادي النساح، قبور كشواهد صماء على حدوث معركة هناك بين شامر وبني هاجر[1].

يذكر فيلبي (ج3، ص 47) وبشكل عابر ضمن بني هاجر فرعاً اسمه زعب. وهذه هي بقايا قبيلة صغيرة، يرد ذكرها في الحوليات الوهابية (1797 ـ 1798م)[2]، وكذلك لدى بوركهاردت (327)، ومرة أخرى في قائمة شبرنغر رقم 79.

---

(1) كتاب الجيب، جـ1، ص 87، فيلبي، جـ1، ص 48، جـ 2، ص 34، 297.

(2) الروضة، جـ 2، تحت 1212: غزوة كويتية فاشلة ضد زعب الوهابية.

بني هاجر(1)

المنطقة: القطيف ـ القطر ـ وادي فروق

عدد الخيام 1500

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ المخضبة	شافي بن سالم		
أ ـ المضافرة			
ب ـ المزاحمة			
جـ ـ القمزة			
د ـ آل زيد(2)			
هـ ـ آل شهوان			
و ـ آل شرعان			
ز ـ الشراهين			
2 ـ آل محمد	محمد بن طعزة		
أ ـ المسارير			
ب ـ السماحين			
جـ ـ آل جدي			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب ملاحظات عام 1915 معدلة استناداً إلى فيلبي ج2، ص 48، كتاب الجيب ج2، ص 87 وما بعدها وفؤاد حمزة ص 200. لقد قام هذا بنقل القائمة الواردة في كتاب الجيب إلا أنه أضاف إليها 1 ـ د، 2 ـ حـ.

الوسم: OO| ؛ توماس، المجزيرة العربية، المجلد 5.

2 ـ فيلبي : يزيد.

هجر بني هاجر(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ عيندار	محمد بن ناصر بن خليفة	عبد الله بن محمد بن خليفة
		محمد بن مبارك بن خليفة
2 ـ يكرب	شافي بن شافي	مذكر بن شافي
		حمود بن شافي
3 ـ فودة	محمد بن طعزة	شايع بن سوده
4 ـ صلاصل	علي بن عابد	حمد بن عابد

ملاحظات حول الهجرات

1 ـ حسب أُم القُرى، رقم 209، 18/ 12/ 1928م.

تقع عيندار وصلاصل جنوب غرب القطيف.

آل مرة

يتنقل بنو مرة في الصحراء الجنوبية الكبرى. وهم لا يحتكون بقبائل وسط الجزيرة العربية إلا في الحسا والخرج. ويروي جيران بني مرة كثيراً من الأشياء الغريبة عنهم وعن عاداتهم وأسلوب حياتهم. غير أننا منذ عبور توماس وفيلبي[1] الربع الخالي في عامي 1931م و1932م أصبحنا نعرف أن تلك الروايات هي مجرد خرافات. فالمنطقة التي تختلف فيها اللهجة والثقافة والسياسة تقع حدودها جنوب وشرق بني مرة[2].

بنو مرة أبناء عم العجمان، أي إنهم يام، وينحدرون مثلهم من نجران. وما زال أحد بطونهم يتنقل بين حين وآخر في موطنهم القديم. إلا أن هجرة آل مرة أقدم كثيراً من هجرة العجمان. ويبدو أنهم كانوا يعيشون في الطويق الجنوبي إلى أن طردهم الدواسر من هناك إلى الصحراء[3].

(1) برترام توماس، الجزيرة العربية، فيلبي، الربع الخالي. فيما يلي سنكتفي بذكر اسم المؤلف.

(2) لقبائل الجنوب مفردات لغوية مختلفة، أما الشرقية فتستخدم سرج جمال مختلفاً. وكلاهما منخرط في التحزب إلى غافري أو هناوي والذي يعود في الأصل إلى عُمان. توماس 112، 164، 212، 268 وما بعدها. تشارك مرة مع الجريش وبني سفيان (ثقيف) في مكة اللهجة الفصحى (الضاد) والانتقال من الجيم إلى الياء، فيلبي 34.

(3) فيلبي، جـ1، 159، 204، 217.

اصطدم بني مرة مع الوهابيين لأول مرة في عام 1776م في خرج. وفي عام 1783م كانت القبيلة لم تزل عدواً لهم. ولكن في بداية عام 1797م رافقت فصيلة حراسة من بني مرة مراسلين لآل سعود على الطريق إلى القطيف التي تمر عبر منطقة المنتفق[1]. كما أن القبيلة قدمت في القرن التاسع عشر وفيما بعد مراراً وتكراراً دعماً عسكرياً لآل سعود في عداواتهم الداخلية والخارجية[2] وانخرط متطوعون من بني مرة في الحرس الخاص لحكام آل سعود[3]. ولكن بني مرة لم يكونوا أبداً، باستثناء الفترات التي امتدت فيها سلطة آل سعود حتى عمان (1800م ـ 1815م، 1862م ـ 1871م)، خاضعين كلياً لسيطرة الوهابيين.

خلال فترة الاحتلال التركي للحسا (1871 ـ 1913م) عاش بنو مرة أياماً هنيئة. وقبل وقت قصير من نهاية الحكم التركي قضى بنو مرة على حملتين تأديبيتين. فقد كان الحاكم التابع لعبد العزيز آل سعود، وهو عبد الله بن جلوي المشهور بقسوته، لا يتساهل معهم إطلاقاً. وفي عام 1916م قام عبد العزيز نفسه بقيادة حملة ضدهم، وفي عام 1918م شن الدواسر بعلم حاكم الأفلاج غزوة على يبرين، الواحدة الكبيرة الوحيدة التابعة لنبي مرة[4]. بعد الحرب العالمية نجح عبد العزيز في ترسيخ أقدامه في منطقة جيبان الواقعة بين الحسا وقطر، وذلك عن طريق إقامة مستوطنات للإخوان فيها. وفي بداية عام 1924م أصبحت واحة يبرين وهابية[5].

تشمل منطقة تنقل بني مرة الجزء الغربي من بحر الرمال الكبير حتى ما بعد خط الطول 51 بقليل، وصحراء جافورا المحاذية من جهة الشمال. وتصل في

(1) الريحاني 84 وما بعد، 105، 108، 110، 119.

(2) تسمى هنا زغرت. هناك بئر في أقصى جنوب بحر الرمال سميت زغرت نسبة إلى رجل من بني مرة انفصل عن عبد الله بن فيصل آل سعود لأنه اعتقد أنه أهان أمه ثم أسس عصابة للنهب كان مقرها الرئيسي على تلك البئر، فيلبي 213 وما بعد.

(3) كتاب الجيب هاندبوك، جـ1، ص 88، فيلبي جـ1، ص 346، جـ 2، ص 73، 83.

(4) تشيسمان، في الجزيرة العربية المجهولة، باسم.

(5) فيلبي، جـ 2، ص 23.

الشمال إلى ما بعد طريق عجير «عقير» ـ الهفوف أي إنها تدخل في منطقة بني هاجر والعجمان. وفي الغرب تصل إلى الخرج. ويشكل خط الطول 47 الحدود تقريباً[1]. لكن الجزء الجنوبي الغربي من منطقتهم يفتقر إلى المياه.

يقضي آل غفران(1) الصيف في أقصى الجنوب في منطقة الخيران وقرب شنة حيث يوجد أحد آبار المياه الحلوة القليلة في هذه المنطقة. وفي يناير/ كانون الثاني يرحلون شمالاً إلى الحسا[2]. وكذلك مجموعة بني مرة التي تعرف عليها تشيسمان تأتي أيضاً في الشتاء إلى الحسا. وفي نهاية مايو/ أيار ينتقلون نحو الجنوب إلى يبرين حيث يقضون شهرين حتى موعد جني التمر في أغسطس/ آب. وهناك بطون من بني مرة تبقى دائماً في الصحراء، وأخرى في الحسا، وتقضي الشتاء بعيداً في الداخل في الصمان والدهنا.

يعمل بنو مرة في تربية الإبل وهم بدو رحل. ومن بين مستوطنات الإخوان الأربع وجد فيلبي عام 1932م واحدة (سكاكا) مهجورة كلياً وأخرى نباك شبه مهجورة، وكانت يبرين مع خين المجاورة خالية تقريباً من السكان لأن هاتين الواحتين كانتا مصابتين بالحمّىٰ. تعتبر الحياة في الصحراء صحية بسبب ارتفاع معدل الأوزون في الهواء، ولكنها فقيرة جداً. إذ إن حليب الإبل هو الغذاء الرئيسي ولحوم الحيوانات البرية المادة الغذائية المساعدة: الأرانب التي يتم اصطيادها بواسطة الكلاب السلوقية، والظباء الموجودة فقط في الجنوب الغربي الخالي من المياه. تهطل الأمطار(يناير/ كانون الثاني حتى أبريل/ نيسان) بصورة غير منتظمة، وهناك بعض المناطق التي تبقى أحياناً عدة أعوام بدون مطر. ولذلك يضطر بنو مرة إلى التوزع إلى مجموعات صغيرة بحثاً عن المرعى. فقط في حال الخطر يتجمعون

(1) فيلبي، جـ 2، ص 23.

(2) فيلبي، ص 72 وما بعدها، 224. فقط في عام 1929 ـ 1930م. قضىٰ جزء كبير من الغفران الشتاء عند نبع الشينة الذي اكتشف بهذه المناسبة لأنهم كانوا يرغبون في تفادي غزوات ونهب الأخوان واحتمال دعوتهم من الملك. إلى تقديم دعم عسكري.

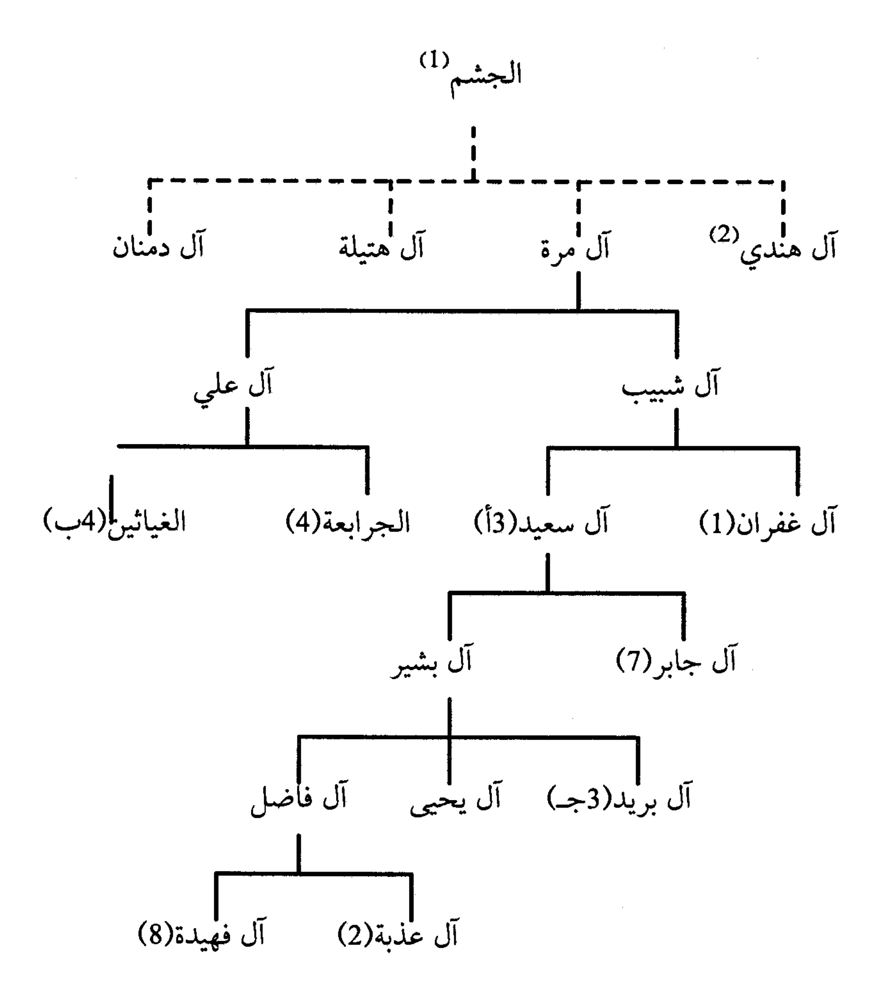
بأقصى سرعة. ونظراً لضرورة التعرف على الخطر في الوقت المناسب فإن بني مرة مشهورين بخبرتهم في تقفي الأثر.

حتى العقود الأولى من هذا القرن كانت تسود في الصحراء حرب الجميع ضد الجميع، الحرب على الملكية الوحيدة: الإبل. بنو مرّة ضد المناصير والمناصير ضد العوامر، وهذه ضد تلك قبائل الشمال كانت تعيش في عداء مرير فيما بينها. وكانت غزوات بني مرة تصل حتى عمان. ولكن في الجنوب، في سهوب حضرموت، كانت تكمن قبيلتا صيعر والمناهيل اللتان كان بنو مرة وجيرانهم في الجنوب الشرقي آل راشد يضطرون دوماً إلى الحذر من غزواتهما. غير أن الخوف من عبد العزيز آل سعود وعبد الله بن جلوي أدى بعد ذلك إلى تصالح هذه القبائل فيما بينها. كان الصيعر الوحيدين الذين ظلوا يقومون بغزوات النهب والسلب[1].

يسود السلام، على الأقل، بين بني مرة أنفسهم. وفيما يلي مخطط توضيحي لعلاقات القربى بين قبائل بني مرة وفروعهم [2]:

(1) فيلبي وتوماس (باسم).

(2) حسب تقسيم الأمير عبد الله بن عبد الرحمن، فؤاد حمزة 195 وما بعدها. رسمنا خطوط الاتصال في الأعلى منقطة لأن النص يقول إن القبائل الأربع تنحدر من أصل واحد هو الجشم.



الجدير بالملاحظة هو أن الدمنان والهتيلة هم «أشقاء» بني مرة. وانقراض هذه الفروع القديمة ـ كلاهما لا يتجاوزان 50 أو 60 خيمة ـ أمر عادي، وكذلك وضع الغياثين والجرابعة في نفس المرتبة بينما هؤلاء (الجرابعة) في الترتيب الحالي أعلى من أولئك (الغياثين).

(1) من الواضح أن المقصود بذلك هو ابن يام، فستنفيلد، الجدول 9، 20.

(2) أهم قبيلة في نجران (يام)، الروضة جـ 2، مذكورة تحت 1210.

آل مرة(1)

منطقة التنقل: الحسا ـ جافورة ـ الرمال

عدد الخيام 2610؟

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ آل غفران	حمد بن صالح بن جلاب(2)	شنة : الخيران	600
أ ـ آل عوير	حمد بن جلاب		
ب ـ آل زايد	صالح أبو ليلى(3)		
2 ـ آل عذبة	فيصل بن نقادان(4)	الحيبان ـ بير فاضل	400
أ ـ آل منصور	فيصل بن نقادان		
ب ـ آل جفيش	جابر بن حنزاب(5)		
3 ـ آل بحيح	متعب بن صعاق(6)	جافورة	500
أ ـ آل سعيد	محمد الهتيل		
ب ـ آل جحيش	سويد بن الحول		
جـ ـ آل بريد	علي المدهوس		
4 ـ الجرابعة	حمد بن نحاب	الرمال	300
أ ـ آل جبران	جابر بن فصل(7)		
ب ـ الغياثين	سعيد الحرير(8)		
5 ـ آل هتيلة	محمد بن صويلح	الحسا	50
6 ـ آل دمنان	سويد الأزمة(9)	مقينمة ـ نجران	60
7 ـ آل جابر	فيصل المرضف(10)	يبرين	300

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أ ـ آل زقيمة	فيصل المرضف		
ب ـ آل هادي(11)	ضيغم بن حجاج		
8 ـ آل فهيدة	لاهوم بن شريم(12)	الحسا	400

ملاحظات حول الجدول

1 ـ لما كنا لا نملك سوى معلومات ضئيلة عن آل مرة اذكر مقطعاً من جدول فيلبي 409 وما بعدها، يتضمن كل الأفخاذ والفروع طالما أنها مذكورة في مكان ما أولها أهمية كتاب الجيب ج1، ص 89 وآلوسي 88 تتضمن كل المراجع الإحصائية. يرى فيلبي أن عدد الخيم عالٍ جداً. إنه يُقدر / مرة/ بـ 5000 نفس أي حوالي 1250 خيمة.

الوسم: [illegible]، توماس رسم رقم 5.

2 ـ يقيم في الغالب في قطر عند الشيخ عبد اللّه بن ثاني.

3 ـ ابن علي.

4 ـ عائلة المشايخ في قائمة / شبرنغر رقم 49 عام 1900م: حزام بن نقادان.

5 ـ ابن حمد بن برجس.

6 ـ ابن محمد.

7 ـ ابن سالم.

8 ـ ابن سعيد.

9 ـ ابن هادي.

10 ـ ابن حمد.

11 ـ ابن حمد.

12 ـ 1900 : محمد بن شريم.

هجر آل مرة(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ يبرين	حمد المرّضف	صالح المرضف
2 ـ السكاك	حمد بن حنزاب	فاضل بن فاضل(2)
3 ـ النباك	سعود بن نقادان	
4 ـ البدوع	راشد بن نديلة (3)	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب أُم القُرى رقم 208، 18/ 12/ 1929م. تقع سكاك أسفل شبه جزيرة قطر، وتقع نباك (أنباك) جنوبها. يقصد بـ البدوع «خين» التي تقع شمال شرق يبرين. فيلبي ص 90.

2 ـ شيخ من عضيبة، لا يعرف فليبي سوى اسم أبيه فقط.

3 ـ شيخ من مشايخ البحيح (فيلبي).

قبائل مستقرة

لكي نستكمل الصورة التي عرضناها في المقالات السابقة عن سكان شبه الجزيرة العربية ينبغي علينا إضافة أربع قبائل أخرى لا وجود لها إلا بصفة القبائل المستقرة، وهي: عايد، وبنو زيد، والفضول، وتميم.

يسكن العائد في واحتي سليمية ويمامة في الخرج وينحدرون حسب الروايات المحلية من جنوب شبه الجزيرة العربية (قحطان؟)[1]

وتوجد مجموعات صغيرة من بني زيد في بعض القرى الواقعة على طريق الحج الرياض ـ مكة وفي الشعرا. ويشغلون واحة الشقرا في الوشم كلياً وواحة أشيقر المجاورة جزئياً. ويعتبر بنو زيد أيضاً من عرب الجنوب[2].

أما الفضول فهم فرع من بني لام، أي من طي. وكانوا في القرن الثامن عشر يشكلون مجمعاً كان يشغل المنطقة الحالية للمطير تقريباً. ويذكر روسو[3] الفروع التالية: تشير (كثير)، وبني خالد، وعمور، وسبحان، وبني لام.

وقد قضى الوهابيون في عام 1788/ 1789م على السبحان قضاء كاملاً

(1) شكيب أرسلان؛ كتاب الجيب هاندبوك، جـ1، ص 602، فيلبي، جـ 2، ص 31، ص 34.
(2) شكيب أرسلان؛ كتاب الجيب هاندبوك، جـ1، ص 611. فيلبي جـ3، ص 107 يضمهم إلى تميم.
(3) رحلة إلى بغداد وحلب (1808م)، 67.

تقريباً[1]. أما بنو لام فقد اختفوا، وانضم الباقون إلى الضفير (أ 3 أ، أ 4، أ 4 ب، أ 5). أنظر الصفحة 98 أعلاه.

تشير مستوطنات الفضول المستقرين والممتدة من السدير حتى أفلاج إلى عمر القبيلة. وتسمى فروعها في مجمعة وبعض القرى المجاورة: فضل وكثير، وفي ملهم: آل طالب وكثران. كما أن قريّة الفضول في واحة الحسا حصلت على اسمها من القبيلة[2].

أما بنو تميم فسنخصص لهم المقال التالي.

(1) بين الوفرة وحفر (العطس) الروضة جـ 2، تحت 1203؛ منجن، جـ 2، 501.

(2) كتاب الجيب هاندبوك، جـ1، ص 606 منجن جـ11، ص 501.

بني تميم[1]

كان بني تميم في يوم من الأيام يحتلون، من ناحية عددهم واتساع منطقتهم، المرتبة الأولى بين قبائل شمال الجزيرة العربية. وإذا ما كانوا رغم ذلك لم ينالوا مكانة مسيطرة فإن السبب في ذلك لا يعود إلى ضعف التضامن - إذ إن الشعور بالانتماء كان لدى تميم أقوى منه لدى القبائل الأخرى[2] - وإنما إلى التشتت الذي تفرضه عليهم طبيعة الحياة القبلية وطبيعة الأرض: فالمجموعات التي تزيد على 500 خيمة لا تستطيع التخييم والعمل معاً إلا نادراً، والمجموعات الأكثر من ذلك لا يمكن جمعها واستخدامها إلا لفترة قصيرة. ولذلك كان بنو تميم منذ نهاية القرن السادس الميلادي مشتتين إلى حد ما. وكانت المجمعات الكبيرة الثلاثة، سعد، وعمرو، وحنظلة، والتي يمكن أن نضيف إليها مجمعاً رابعاً تربطه بالثلاثة صلة قربى وهو مجمع رباب (وهم الضبة وبعض القبائل الصغيرة)، لم تعد تشكل آنذاك وحدات سياسية وإنما وحدات جغرافية فقط في أحسن الأحوال. وكانت قد تشكلت لدى سعد قبيلتا عوف والمنقر وغيرهما، ولدى عمرو قبيلتا بني مازن وبني

(1) أو تميم.

(2) كانت النزاعات بين تميم نادرة وأقل دموية منها بين جيرانهم بني أسد وغطفان. بالنسبة لهذه النقطة وبعض النقاط الأخرى لا بد لي من مخالفة ما جاء في المقال الأساسي لليڤي ديلاڤيدا في الانسكلوبيديا الإسلامية.

العنبر (بلعنبر). وبين حنظلة كان اليربوع على وشك تفكيك تجمعهما القبلي، بينما حدث هذا فعلاً لدى دارم.

كانت منطقة تنقّل تميم[1] آنذاك تشمل: في الشمال حزن بني يربوع، أي الجزء من الحجيرة الواقع بين طريق الحج الكوفية (المتأخرة) وبطن فلج/ الباطن[2] ومنطقة الدوو/ دبدبة الواقعة وراء الفلج، وفي الشرق الدهنا/ دهنة مع الصمان. في الغرب بقي القصيم خارج الحدود، بينما في المنطقة الواقعة شمالها وجنوبها كان أسد وغطفان (عبس، فزارة) يختلطون مع تميم. وكانت منطقتا السدير[3] والوشم وكذلك السهوب والصحارى الواقعة بين تسرير/ وادي الرشا والطويق تابعة لتميم أيضاً. لكن يمامة عارض الخرج كان يسكنها ربيعة (بكر وعنزة) الذين كانوا ينغرزون في منطقة قبيلتنا كالإسفين ويفصلون تميم في الغرب عن تميم في الشرق.

من بين مجمعات القبيلة القديمة كان اثنان، حنظلة ورباب، يقعان في غرب سلسلة الطويق أو كان مقرهما الشتوي، على الأقل، موجوداً هناك: اليربوع في الشريط المجهول نسبياً والواقع جنوب الوشم (وادي حائل، مرّوت/ مروتة)، ودارم، التي تفصلها رباب عن اليربوع، إلى الشرق من خط أوداخ ـ رامة. في الربيع كان اليربوع يرحلون شمالاً إلى الحزن، بينما كانوا يقضون الصيف، في بداية

(1) انظر كذلك بالنسبة لمكان إقامة القبيلة اللاحق، الجغرافيين بين أسماء الأماكن التي وردت في النص وكذلك بالنسبة إلى رباب تحت جبلة، جمران، الوشم، حمادة، بكرة، بكرات، سيلا، تسرير، الاوشي، والمفضليات رقم 38، 1، 113، 2. وبالنسبة إلى يربوع المفضليات رقم 9، 6، قارن: ياقوت: تحت أجفر، وبالنسبة للبقية تحت عاقل، الفليج، حفر سعد/ حفر العطس، حنيذ، القرعا، مبايض، ملج/ مليجة، النيطاعي/ نطاع (إنطاع). طبرة وبرونيلش، بسطام بن قيس ص15 ـ 24 (حيث هناك الكثير تجاوزه الزمن) النقائض 945، 21507، 21701 (استثناء). بعد الردة في الفقي/ السدير، المرآة، الهدار. وبعد الهجرة ياقوت جـ 2، ص 814 قارن المسعودي: تنبيه ص 392 وتحت اللصافة، اللهابة، القرعا، طبرة وبالنسبة للنمير تحت غسل ووركا، وبالنسبة للقشير تحت سوفا (سوقا)، شعبعب.

(2) بخلاف المقدمة، ثم تثبيت الأسماء الحالية بعد الخط المائل.

(3) يعود هذا الاسم إلى أواخر العصور الوسطى.

القرن السابع ميلادي على الأقل، في منطقة أسد بين أثال وملا/ برثة. كما أن الضبّة (رباب) كانوا يرحلون في نفس الاتجاه عندما كانوا يخيمون في الربيع في جزء الدهنا المجاور للفلج، بينما كان الدارم يتجهون أكثر نحو الشرق. وهناك في المنطقة المحاذية للصمان والدوو وعند فلج كانت تقيم أيضاً قبائل مجموعة عمرو (بلعنبر، مازن، أسيِّد) في الربيع. وليس من الممكن أن نحدد بشكل مؤكد المكان الذي كانوا فيما عدا ذلك يخيمون فيه، ربما في الطويق، حيث اصطدموا مراراً وتكراراً مع مستوطني اليمامة البكريين. أما قبائل سعد فكانت تسكن في شرقي سلسلة الطويق، من منطقة عدان الواقعة جنوب الكويت الحالية حتى وادي فروق وواحة يبرين، وفي الشتاء في موقع أبعد نحو الداخل في الدهنا وهضبة عرمة.

وإذا ما كان جزء كبير من تميم من البدو الرحل فإنه كان يوجد أيضاً في صفوفهم، شأنهم شأن غالبية القبائل العربية، مجموعات مستقرة ومجموعات نصف رحل. وكانت القرى والواحات التي يسكنها بنو تميم موجود بعضها في الوشم ومنطقة قرقرا المجاورة له، وبعضها الآخر في شرقي الجزيرة العربية. وكانت توجد مستوطنة للأسيّد عند طرف اليمامة. فيما عدا ذلك كان المستوطنون ينتمون غالباً إلى قبائل رباب الصغيرة (عُكل، عدي، تيم) أو إلى امرىء القيس وخديج، وهما فصيلتان لا يرد ذكرهما إلا نادراً في حكايات القبيلة التي تطغى عليها المثل البدوية العليا.

يبدو أن تميم جاءوا من الغرب: وتربطهم شجرة نسبهم بواسطة خندف (الجزء الثاني، ص576) مع قبائل الحجاز. وكانوا أيضاً يتولون منصب "الإفاضة" المرتبط بفريضة الحج. وأخيراً فإن قبر جد القبيلة موجود في مر الظهران قرب مكة[1].

تروي حكاياتهم كثيراً من البطولات عن أفعالهم الحربية ولكن الحقيقة التاريخية تختلف، كما لدى القبائل الأخرى، عن الحكاية. ولذلك سنكتفي بإبراز

(1) لاحظ أيضاً الهمداني (لودفيج فورر، جنوب الجزيرة العربية 79). الذي يذّكر أحفاد تميم (أو رباب) في سراة بجيلة (انظر هنا الجزء الثاني 564 وما بعدها) ـ في بيت شعر المفضليات 22، 32، عندما يرحلون من واحات الخط حتى الحرات. وكذلك الصفحة التالية.

بعض الجوانب العامة. كان تميم أيضاً، شأنهم شأن جميع قبائل وسط الجزيرة العربية، ينتمون في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي إلى مملكة كندة. وعندما انهارت تلك المملكة بسبب حرب بين الأخوة (معركة كلاب عام 530م) بقي تميم شرق الجزيرة (سعد) تابعين إلى حد ما إلى خط جانبي من آل كندة كان يحكم في هجر وحافظ على وضعه هناك حتى النصف الثاني من القرن السادس الميلادي. وكانت هجر أكبر واحة نخيل في شمال الجزيرة العربية وكان الدخول إلى السوق الموجودة هناك ضرورة حياتية بالنسبة إلى البدو[1] وبطبيعة الحال بقيت هذه الظروف قائمة عندما انتقلت هجر إلى سلطة الحيرة ثم في وقت لاحق إلى الحكم الفارسي المباشر[2].

لكن العاصمة السياسية لتميم، وخاصة لحنظلة ورباب، كانت الحيرة. وكان التميميون يخدمون في جيش الملك منذر الثالث الذي أباده الغساسنة، المناصرون لروما، في يونيو/ حزيران 554م في شمال سورية. فذهب زعماء دارم إلى البلاط وصاروا يرافقون الأمراء في غزواتهم ويؤثرون على سياستهم القبلية. ومن الواضح أن هذه العلاقة قد تعكرت مراراً وتكراراً ـ لا نعرف أسباب ذلك وما ترويه الحكايات عن هذه المسألة يبدو خرافياً ـ وحدثت بعد ذلك حملات تأديبية كانت تصل إلى عمق الجزيرة العربية ولكن لم تكن تنتهي دائماً في صالح القوات الملكية وفي عهد نعمان الثالث (579م/ 580 ـ 601/ 602م)، آخر ملوك الحيرة حدثت القطيعة النهائية[3]. وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن عائلة من تميم، ولكنها انفصلت

(1) نولدكة: الطبري ص 259 وما بعد.

(2) أن تكون تميم قد حكمت هجر في يوم من الأيام أمر غير صحيح. لأنه وإن كان منذر بن ساوا، الذي كان يتولى إدارة هجر مع بداية الإسلام إلى جانب الحاكم الفارسي، لم يكن ينتسب إلى عبد القيس (سكان الواحة) وإنما إلى تميم، فإنه كان يمارس منصبه ليس كممثل للقبيلة وإنما كممثل للفرس. قارن /بلاد سوري/ 78.

(3) المفضليات رقم 119 نقائض جرير والفرزدق، 66، 653، نولدكه، مساهمات في معرفة الشعر العربي القديم، 127.

عن القبيلة بسبب إقامتها الطويلة في الحيرة كانَ لها نفوذ واسع في البلاط الملكي؛ ومن أشهر أبنائها الشاعر عدي بن زيد.

فيما يخص علاقة تميم مع جيرانها نلاحظ ذلك التبدل المتكرر الذي تتصف به عموماً الحياة السياسية في الصحراء. ولم تكن لها عداوة دائمة إلا مع قبائل بكر التي كانت تحتل السهوب الواقعة على هذا الجانب من الفرات بين الحيرة وسفوان. فعندما كان اليربوع يرعون في الربيع في الحزن، ودارم وبلعنبر قرب فلج، كانوا يشعرون بأنهم مهددون من بكر، بينما لم يكن بكر يتهددون إلا إذا قاموا هم أنفسهم لسبب أو آخر بالتخييم في منطقة تميم. وظل الأمر كذلك إلى أن جاء الإسلام حيث سادت هنا أيضاً حالة السلام[1].

ليس معروفاً متى اعتنق بنو تميم الإسلام. ومن المفترض أن العلاقات السياسية مع المدينة المنورة بدأت بتحرير أسرى من أحد فروع بلعنبر كان يخيم في الحجاز ورفض دفع الضرائب[2]. وبعد خضوع هجر، الذي تضعه الروايات في وقت مبكر جداً، (في العام الثامن، لا بل السادس، للهجرة)، توجب على تميم التخلي عن استقلالهم (630م؟).

خلال حرب الردة في عهد الخليفة الأول اتخذ بنو تميم موقفاً مزدوجاً. وهذا أمر غير مستغرب لأنهم كانوا محاطين بالمرتدين في شرقي الجزيرة العربية وفي اليمامة وعلى حدود أسد وغطفان. وحالت التناقضات الداخلية، التي ازدادت حدة بسبب ظهور امرأة ادعت النبوة (سجاح)، دون اتخاذ موقف موحد، وحالت العداوة مع قبائل اليمامة وبني أسد دون الالتحاق علناً بالمتمردين. وبعد معركة بزاخة غيّر بنو

(1) تبدأ التقارير (برونيلش، بسطام بن قيس، النقائض 1023 العقد جـ3، يوم 36، 44، 46، 49) مع بعض الاستثناءات القليلة بالقرن السابع بحيث يصبح من المحتمل أن تكون حالة الحرب الدائمة هذه قد بدأت بعد سقوط سلالة ملوك الحيرة. ولكن من الممكن أيضاً أن تكون هناك أسباب أخرى وراء صمت المراجع.

(2) فلهاوزن، مخطط 4، رقم 78. تم تأكيدها في النقائض رقم 66، 2.

تميم موقفهم فوراً. فقط زعيم اليربوع مالك بن نويرة دفع حياته ثمناً لتردده.

وما أن قضي على تمرد اليمامة حتى هجم بنو تميم المتعطشون إلى الأرض على قرى المهزومين التي لم تكن مشمولة بمعاهدة السلام.

بعد ذلك انجرف بنو تميم في تيار حروب الفتح الإسلامي. وكانوا يشكلون في بادىء الأمر الأكثرية في البصرة، وكان لهم في الكوفة أقلية كبيرة. وكانوا أقوياء بصورة خاصة في الجيش الموجود في شرق فارس والمؤلف من جنود جاء معظمهم من البصرة. وعند وفاة القائد العسكري قتيبة بن مسلم (715م) كان عددهم هناك 10800 رجل مقابل 7000 رجل من بكر و4000 رجل من عبد القيس[1].

تشكل هذه الأرقام في الوقت نفسه مؤشراً جيداً لتكوين فكرة عن الهجرات التي بدأت في تلك الفترة في موطن القبائل الثلاث. بكر، التي أصبحت ضعيفة ليس فقط نتيجة الاستيطان في البصرة وإنما أيضاً نتيجة الهجرة إلى منطقة ما بين النهرين العليا، انسحبوا في الشرق من الصحراء إلى الفرات. ثم تبعهم بنو تميم حيث انصهروا هناك في النصف الثاني من القرن التاسع في مجموعة واحدة أمام البصرة[2].

في شرق الجزيرة العربية أخلى عبد القيس عدة قرى استوطن فيها فيما بعد بنو سعد. لا بل إن بني سعد دخلوا إلى واحة بحرين وأسسوا هناك قرية أحسا. هذا التقدم لتميم نحو الشمال والشرق قابله انسحاب في الجنوب والغرب. وبدأ هذا الانسحاب بتخلي يربوع ورباب عن مقراتهم الشتوية في هذا الجانب من الطويق بحيث لم يبق إلا المستوطنون الموجودون على أطراف الجبل. وهنا حل بنو نمير وبنو قشير محل بني تميم. وكان بنو نمير يقتصرون قبل الإسلام على منطقة صغيرة تمتد على الضفة الشرقية للتسرير الأعلى وتشمل كلاً من ظهر جبل شهلان/ ذهلان وموقع الماء العويند. وبعد إخضاع المرتدين في اليمامة عبروا المنطقة الشتوية

(1) الطبري، جـ 2، 1291.

(2) ورد ذكرها مراراً في تقارير الطبري حول ثورة الزنج.

ليربوع واحتلوا ثرمدا، القرية الرئيسية في الوشم. ثم انتشروا بعد ذلك في السهول، جنوباً حتى تبراك، وشمالاً حتى السر. وفي القرن الثامن احتلوا أوضاخ، وفي القرن التاسع بدأوا بطرد تميم من قرى الوشم ودخلوا جبال قرّان وملهم؛ وعقربا في وادي حنيفة. وتقدم القشير من الجنوب حتى وادي حائل وتقاسَموا مع نمير المنطقة الشتوية لبني تميم الغربيين.

عندما جاءت في منتصف القرن التاسع قبيلة أخرى، كلاب، من حمى ضريّة ودخلت منطقة تميم القديمة، كان بنو تميم البدو قد تقلصوا إلى ثلاث مجموعات هي: ضبّة على طريق حج البصرة، وسعد، وكليب الذين هم فرع من يربوع كان قد استوطن في الوشم ولكن نمير ضغطوا عليه فعاد إلى حياة البداوة. وكان كلاب ونمير، وسعد وكليب، عماد ثورة قادها علويّ حقيقي أو مزيّف في شرقي الجزيرة العربية (249 ـ 254هـ/ 863م ـ 868م)[1].

كانت هذه الثورة آخر ظهور حربي لتميم في شبه الجزيرة العربية.

وفي العهد القرمطي لم يرد ذكر تميم سوى مرة واحدة. فقد التحق 300 رجل من ضبّة بالجيش الذي شن في عام 287هـ/ 900م انطلاقاً من البصرة حملة ضد أبي سعيد زعيم القرامطة الذي كان قد أخضع خلال وقت قصير شرقي الجزيرة العربية بكامله تقريباً. وكان تقدير الضبيين للموقف أصح من تقدير قائد جيش الخليفة، فغادروه قبل دخوله المعركة ـ مسيرة يومين قبل القطيف ـ التي خسرها[2].

وبذلك تختفي قبائل تميم من تاريخ شبه الجزيرة العربية. اختفوا من تاريخ الجزيرة ولكن لم يختفوا من أرضها. فلم يزل يوجد حتى اليوم في وسط الجزيرة العربية أعداد كبيرة من أحفاد بني تميم المستقرين. وفي منطقة استيطان المجتمع القديمة، في السدير والوشم، يشكل بنو تميم جزءاً كبيراً من السكان، وكذلك في واحتي السرّ ومذنب.

(1) المسعودي، تنبيه، 393.

(2) المسعودي، تنبيه، 394.

وهم منتشرون في الجنوب في العارض من محمل حتى خرج، ولهم وجود قوي بشكل خاص في حوطة. كما أن قرى ومدن القصيم حافلة بهم، وفي جبل شمر يشكلون نواة السكان المستقرين. وفي وقت سابق كان جميع سكان قفار من تميم. ولم تزل القرى: قصر العشروات 30 بيتاً وسميرا 50 بيتاً والسبعان 25 بيتاً، حتى اليوم مسكونة من بني تميم حصراً. ويشكل بنو تميم في فيد 45 بيتاً وموقق نحو 30 بيتاً وبقعاً نصف السكان، وفي المستجدة ثلثهم[1]. وقد جاءوا جميعاً من الجنوب.

بعد أن استقر بنو تميم منذ ما يزيد على ألف عام فقد أصبحوا يختلفون عن البدو في بنية أجسامهم وفي تفكيرهم، وفي مزاياهم وعيوبهم. فهم أقوياء ومحبون للعمل، لكنهم عنيدون والتعامل معهم صعب وحريصون إلى درجة البخل[2].

فوق هذه الكتلة الكبيرة من الفلاحين تعتلي فئة صغيرة من العائلات المتعملة أو المسيطرة. ومن هذه الفئة ينحدر مؤسس المذهب الوهابي محمد بن عبد الوهاب (1703م ـ 1792م). وكذلك عائلة شيوخ العيينة مسقط رأسه، عائلة ابن معمر، التي عمل أبناؤها في خدمة الدولة الوهابية القديمة والجديدة وما زالوا. ومن الناس القريبين منا أبناء عائلة بسام الذين ساعدوا بمعرفتهم للعالم وبحبهم للناس كثيراً من الأوروبيين على السفر وإجراء الأبحاث في شبه الجزيرة العربية والبلدان الواقعة على أطرافها، بدءاً من محمد البسام مؤلف قائمة شبرنغر (1818م) التي استشهدنا بها كثيراً في هذا الكتاب، حتى عبد الله الذي حمى دوتي، وابنه محمد مستشار فرايهرفون أوبنهايم، وأصدقاء فيلبي في عنزة. هنا يعيش خط رئيسي من آل بسام منذ عام 1173هـ/ 1759م ـ 1760م (كان قبل ذلك في أشيقر)، ويعيش

---

(1) بوركهاردت، ص 381، والين. JRGS 1854، 201 وما بعدها. جورماني، ص 180، دوتي جـ 2، ص 247، 341، كتاب الجيب جـ1، ص 370، 610 وما بعدها، موزيل، شمال نجد ص 66، 73، 78، 86، 93. فيلبي جـ1، ص 113 (انظر تميم وحنيفة في الدرعية، 120 جـ 2، ص 45، جـ3، ص 134، 137، 139، 143).

(2) دوتي جـ 2، ص 247، 261 وما بعدها، فيلبي جـ 2، ص 277.

آخرون في أشيقر وقراين (الوشم)، وفي حرمة ومجمعة السدير. ويعود جد القبيلة (بسام بن عقية[1] بن ريّس إلى النصف الثاني من القرن الخامس عشر لأن أحد أحفاده ورد ذكره قبل عام 948هـ/ 1541م ـ 1542 (عنوان)[*] ولأن ابن حفيده توفي عام 1040هـ/ 1630م ـ 1631م وهو قاض. وهناك حفيد آخر اسمه بسام بن منيف هو جد محمد بن عبد الله البسام في الجيل الثاني عشر[2].

(1) فيلبي، انظر الملاحظة التالية: ولكن عقية ترد على الأقل كاسم ثانٍ، لدى تميم أيضاً. هناك على سبيل المثال حفيد لمؤسس المذهب الوهابي اسمه: عبد الرحمن العقية، منجن جـ1، ص555.

(*) المقصود كتاب (عنوان المجد في تاريخ نجد) (ماجد شبَّر).

(2) تم الاستناد في مادة البحث هذه على المقارنة بين شجرة أنساب قدمها لنا محمد بن بسام مع أخرى من فيلبي جـ 3 وما بعد 383 قارن 281 وما بعدها. تبدأ شجرتنا من الجيل الثامن وتعود إلى وثيقة مصدقة من القاضي علي بن سليمان اليوسف التي قُدمت من الشيخ حسن أبو حسين الوهبي (أي من قبيلة الوهبة (5) التميمي من الأشيقر (1123هـ/ 1711م). بالنسبة لشجرة فيلبي التي نسخها في عنزة ينطبق الشيء نفسه لأنها تتطابق بدءاً من بسام بن عقية مع شجرتنا. كلتاهما تعودان إلى أبو سود (فستنفيلد الجدول ك 14). وكالعادة فإنها تفتقد إلى عدد من الحلقات. يرتبط آل الريِّس بصلة قربى وثيقة مع آل المشرف (المشارفة) وتنتسب هذه العشيرة حسب وثائق فيلبي إلى محمد بن عبد الوهاب. وأما حسب بوركهاردت فإنها تنتسب إلى الوهبة (5) ربما لا يوجد تناقض لأن شجرتنا تتضمن شخصاً اسمه وهيب الذي قد يكون من الممكن اعتباره جد هذه القبيلة. (السيرة الذاتية لمحمد بن عبد الوهاب، لمع الشهاب، المذكورة في المجلة الإسلامية تحت «الوهابية» تنسبه إلى «بني سنان». ولعل المقصود بذلك الشنانة، وهم فرع من المشارفة. ولكن هذا المصدر غير موثوق).

بني تميم(1)

القبيلة	القرية	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ نواصر(2)	المذنب	القصيم	
	الغاط	الحمادة	
	التويم		
	الروضة	السدير	
	الحوطة		
	الفرعة(3)		80
2 ـ عناقر(4)	الغسلة(5)		30
	ثرمدا	الوشم	400
3 ـ سعد	اثيثية		
4 ـ زامل	اثيثية		400
5 ـ الوهبة(6)	اشيقر		
	بريده	القصيم	650
6 ـ آل معمر	سدوس	الشعيب	100
7 ـ آل شيخ(7)	الرياض	العارض	500
8 ـ المرشد(8)	الحلوة		
	الحلة		
9 ـ العثمان			
10 ـ الرقيب	الحلة		
11 ـ الحسين		الحوطة	
12 ـ العبد الله	الحلة		

القبيلة	القرية	المنطقة	عدد الخيام
13 ـ آل شريم	الحلة	الحوطة	
14 ـ المشاري			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1899م، 1929م (المرجع: شكيب أرسلان)، قارن L. A. (de Corancez) تاريخ الوهابيين ص 177، 215. كتاب الجيب ج1، ص 611، فيلبي ج2، ص 185. ج3، ص 77، 92، 95، 97، 120، 164، 199.

2 ـ يذكرهم كتاب الجيب هاندبوك بالإضافة إلى الحوطة في المجمعة أيضاً (سدير) وفي ضرمة.

3 ـ مزرعة قرب أشيقر.

4 ـ Corancez: إينازر. هذه القبيلة ينتمي إليها مؤسس البريدة، راشد الدريبي العنقري. انظر الجزء الأول، ص 125. ملاحظة رقم 2. عندما زار أويتنغ تيماء في 1884م كان الحاكم التابع لابن رشيد من العنقري.

5 ـ استراحة في واحة القراين. حسب فيلبي يسكن الوقف الموجودة هناك أيضاً فرع اسمه لهبة (حوالى 300 نسمة).

6 ـ Corancez. كتاب الجيب يذكرهم مع المجمعة.

7 ـ أي عائلة داعية التعاليم الوهابية.

8 ـ 8 ـ 14 حسب بيانات 1899م. من المفروض أن يكون المرشد قد تنافسوا على مدى مئات السنين مع عائلة المبارك لحكم هذه المنطقة.



الجزء الثالث

القسم الثاني

العراق

«العراق الجنوبي»(*)

(*) إن المنطقة الممتدة من فلوجة إلى سامراء شمالاً وصولاً إلى نصيبين وماردين هي بلاد الرافدين وقد أسمينها في الكتاب العراق الشمالي.

أما المنطقة الواقعة جنوب الخط الممتد من فلوجة إلى سامراء جنوباً وصولاً إلى الخليج العربي فيسميها المؤلف العراق وقد أسمينها العراق الجنوبي. (م. شبّر).



مقدمة

من يقارن خرائط العراق[1] خلال العقود الأخيرة مع بعضها البعض، أو من ينظر بدقة في أطالس مختلفة إلى صورة الطبيعة هناك، يلاحظ بكل وضوح أن مجاري الأنهار والقنوات والمساحات المغطاة بالمياه هي في تبدل مستمر. وإذا ما أضفنا إلى المقارنة خرائط القرن التاسع عشر نلاحظ حدوث تغيرات أكبر وخاصة لمجرى نهر الفرات. وإذا ما بحثنا عن مراجع أقدم نضطر إلى الصعود إلى القرن العاشر لكي نحصل على معلومات دقيقة عن حالة المياه والأنهار، أمّا الفترة السابقة لذلك فلا يوجد عنها سوى معلومات متناثرة ذكرت مصادفة هنا وهناك. وأمّا الأبحاث الميدانية فتواجه المصاعب بسبب كثرة الأقنية القديمة المنهارة التي تغطي المنطقة. ومما يجعل هذا الوضع المؤسف أكثر إيهاماً ان تاريخ توطن القبائل وتنقلها يرتبط إلى حد كبير بتغير مجاري الأنهار.

يبدو أن نهري دجلة والفرات كان لهما في زمن الاسكندر الكبير مجرى مشابه لمجراهما اليوم، وكانا آنذاك يصبان منفصلين في الخليج «العربي» أو بالأحرى في بحيرة شاطئية قليلة العمق يفصلها عن الخليج عدد من الجزر الطينية. وهذا يعني أن

(1) نستعمل هنا اسم العراق بالمعنى الجغرافي الطبيعي وليس بالمعنى السياسي، وهذا ما أشرنا إليه في الجزء الأول (101 ـ 102)، كما أننا اعتمدنا لأسباب عملية خط سامراء ـ فلوجة لتحديد المنطقة التي تعينها لتفصلها عن منطقة الفرات الأعلى «العراق الشمالي».

الأراضي الواقعة على جانبي شط العرب، وهو الاسم الذي يطلق منذ بضعة قرون على نهري الفرات ودجلة منذ التقائهما عند القرنة وحتى مصبهما عند الفاو، قد تشكلت في وقت حديث من ترسب مواد الطمي التي ينقلها النهران، وكذلك الكرخة وكارون القادمان من الجبال الإيرانية؛ وكان البحر في مطلع العصور الوسطى يصل حتى عبادان (على الضفة اليسرى لشط العرب).

منذ ما قبل المسيحية كان نهر الفرات لم يعد يصل إلى البحر وإنما كان يتيه في المستنقعات، وهكذا كان الأمر أيضاً في عهد الفرس ثم في عهد العرب من بعدهم. وكان الفرات ينقسم آنذاك، في نفس الموقع تقريباً الذي ينقسم فيه اليوم، إلى فرعين: الفرع الغربي، وهو في الأصل قناة ترمي إلى توسيع رقعة الأراضي الزراعية حتى أطراف الصحراء، وكان يمر قرب الكوفة ـ الحيرة وينتهي في مستنقعات تشكلت هناك مرة أخرى في القرن التاسع عشر. وعلى مسافة غير بعيدة يبدو أن الفرع الشرقي، نهر سورىٰ، كانت مياهه تتسرب إلى باطن الأرض.

وفي هذه الأثناء غيّر نهر دجلة مجراه أيضاً. ففي مطلع العصور الوسطى ترك مجراه القديم تحت المنطقة التي تقع فيها اليوم مدينة الكوت وسار نحو الجنوب، تابعاً في بادئ الأمر نهر (شط) الدجيلة[1]، ثم دخل قبل مجرى الفرات القديم في منطقة الأهوار التي تتناوب فيها المجاري المائية التي ترسمها شجيرات الحلفاء مع البحيرات المفتوحة، وأخيراً اتحد تحت القرنة الحالية مع فرع ميّت يمتد في سيره القديم نحو الأعلى حتى عبد الله بن علي/ المذار. كانت منطقة المستنقعات والبحيرات التي تغطي المساحة الواقعة بين فرعي نهر دجلة، وكذلك مستنقعات الفرات، تسمى البطيحة أو بصيغة الجمع البطائح.

يعود الفضل في وجود البحيرات القليلة العمق التي لم تزل موجودة في

(1) يظهر من المنحنى الذي يشكلها دجيلة، أن دجيلة الأعلى هو مجرى طبيعي قديم لدجلة، قد يكون هذا في مجرى العصور الوسطى وقد لا يكون. الشيء الوحيد المؤكد هو أن دجيلة يتطابق مع دجلة العصور الوسطى عند أنقاض واسط/ المنارة.

المنطقة حتى اليوم إلى فيضان النهرين في فصل الربيع. فخلال فترة الفيضان، التي تمتد (في منطقة بغداد) من مارس/ آذار حتى يونيو/ حزيران، وتصل إلى ذروتها في أبريل/ نيسان، كانت ولم تزل تنغمر بالمياه أجزاء واسعة من البلاد. لكن هذه المياه لا تلبث أن تنحسر بسرعة عن المناطق المرتفعة بفعل تراجع المياه وحرارة الشمس اللاهبة، بينما تبقى بصورة دائمة في المنخفضات الطبيعية. تسمى هذه المساحات المغمورة بالمياه هور[1]، وباللهجة العامية خور، وهي كلمة تعني في منطقة مصب شط العرب وفي منطقة الخليج «العربي» "النبع المالح". من الطبيعي أن مواقع الأهوار وحجومها تتبدل تبعاً لتحول مجاري النهر وشدة الفيضان، الذي قد لا يحدث في بعض الأحيان، والجهود التي يبذلها الناس للحد منها. عندما دخل المسلمون إلى العراق كانت المستنقعات والبحيرات تغطي مساحات واسعة جداً لأن الفرس، الذين كانوا هناك قبلهم، كانوا منشغلين في حروب وصراعات على السلطة بين حكامهم الساسانيين ألهتهم عن إعارة السدود والقنوات ما تحتاجه من العناية والاهتمام، ذلك أن القنوات تحتاج إلى تنظيف مستمر من الأوحال (غير الخصبة) التي ينقلها معه النهر، أو ينبغي تبديلها بقنوات جديدة عندما تصبح الجوانب المتكونة عالية جداً بحيث يصبح العمل غير مجد أو يصبح جر الماء إلى الحقول غير ممكن: لأن توزيع ضغط الماء هو غرض ثانوي للفتحات، أمّا الغرض الحقيقي فهو الري الذي بدونه تتحول أرض العراق الجافة إلى صحراء.

قامت شبكة القنوات التي بناها الفرس في العراق الأعلى بسبب أن الفرات يرتفع في تلك المنطقة على دجلة بعدة أمتار. وكانت هناك أربع قنوات كبيرة تربط بين النهرين. كانت تخرج من الفرات بين الأنبار (فوق الفلوجة)[2] وتفرُّع النهر، وتصب في بغداد ثم في أماكن أبعد نحو الأسفل في دجلة. ثم أضاف العرب إلى هذه القنوات الأربع قناتين كبيرتين هما قناة النيل التي بناها والي العراق (694م ـ

(1) في العصور الوسطى استعمل الاسم فقط للبحيرات المفتوحة التي لا تحتوي على الحلفا.

(2) هذه الفلوجة تعود إلى العصور الوسطى المتأخرة. أمّا في بعض مناطق الفرات الأوسط فنجد قنوات وقرى تحمل هذا الاسم منذ العصر البابلي.

714م) الحجاج والتي لم يزل مجراها واضح المعالم حتى اليوم، وقناة الزيب التي كانت تقع تحت القناة الجديدة (المتهدمة اليوم) والتي تحمل نفس الاسم. وإذا ما أضفنا إلى هذه القنوات القنوات التي كانت تخرج من الضفة اليمنى للفرات وكذلك من فرعيه، فإننا ندرك أن النهر لم يكن آنذاك يتجاوز مجراه الأوسط. وكانت هناك شبكة أخرى من القنوات بنيت في العهد الساساني أيضاً شرقي نهر دجلة. كان الشريان الرئيسي لهذه الشبكة يبدأ فوق مدينة سامراء العاصمة اللاحقة للخلفاء العباسيين، ويسير إلى جوار دجلة الذي كان آنذاك يجري غربي مجراه الحالي، بالقرب من قناة الدجيل ثم يصب في ديالى، وهو الرافد الكبير الوحيد للنهر، ثم يفترق عنه باسم النهروان ويصب في نهر دجلة في منطقة الكوت ـ أمّا قنوات واسط ـ التي بناها الحجاج مقابل كسْكَر القديمة ـ فكانت تسير نحو الجنوب والشرق إلى البطايح، وأمّا في غرب المدينة فكانت تمتد صحراء قاحلة. وفي إطار التشكيلات السياسية، التي استوطنت منذ القرن العاشر في منطقة المستنقعات المتقلصة شيئاً فشيئاً، نشأت عند واسط شبكة قنوات جديدة. كان أهم شريان لها قناة الغرّاف التي يجري اليوم في جزئها الأسفل فرع من نهر دجلة الذي يحمل الاسم نفسه.

منذ القرن الحادي عشر أخذت شبكة الأقنية، التي كانت تنتقل عبرها كمية كبيرة من مياه فيضانات الفرات إلى نهر دجلة، تتداعى شيئاً فشيئاً[1]. ونتيجة لذلك صار جزء من مياه الفرات يخرج من المستنقعات ويصل إلى دجلة.

في القرن الخامس عشر بدأ مجرى النهرين يتغير كلياً. فقد اختفى الفرع الغربي للفرات وتوجهت مياه الفيضان المتزايدة في الفرع الشرقي إلى المجرى القديم للنهر واتحدت فيه مع دجلة. نتيجة لذلك نشأت هنا منطقة غمر جديدة وصلت إلى مسافة قريبة مما سمي لاحقاً شط العرب وأطلق عليه اسم "الجزائر". وبعد ذلك عاد نهر دجلة أيضاً إلى مجراه القديم لأن الفروع والقنوات الموجودة

(1) دمر البقية الباقية منها المغول عام 1258م.

عند واسط امتلأت جميعها بالغرين باستثناء نهر الدجيلة[1] الحالي، والغراف. إلا أن النهر وجد لنفسه وصلة جديدة مع الفرات[2] وذلك بأن شق لنفسه مقابل الكوت طريقاً إلى الغراف. في البداية كان هذا الفرع هو الأقوى وفي وقت لاحق أصبح دجلة الأقوى. وقد ظل الغراف حتى أواسط القرن التاسع عشر يصل إلى الفرات عبر مسربين. ولكنه بدأ بعد ذلك يمتلئ بالغرين. والآن تنظم توزيع المياه محطة قرب الكوت بنيت عام 1938م.

عانت النجف (التي فيها قبر الإمام علي)، والتي تفوقت في القرن الرابع عشر الميلادي على الكوفة المتداعية، من جفاف الفرات الغربي. صحيح أن بحيرة "بحر النجف" كانت تمتلئ بالمياه عندما تجري وديان البادية السورية، وصحيح أن المجرى القديم للنهر كانت تسيل فيه المياه أمام الكوفة عندما تغمر المياه منطقة الشامية على الجانب الغربي وكذلك المنطقة الممتدة بين الفرات والكوفة، لكنه لم يكن هناك مصدر دائم للتزود بالمياه. ولذلك تبرع ثري هندي في حوالى عام 1750م بالأموال اللازمة لبناء قناة جديدة من الفرات إلى المدينة المقدسة[*]. واستغرق الأمر عدة عقود حتى أصبحت القناة جاهزة للعمل. تنامت القناة التي بدأت تحت المسيّب، تنامياً كبيراً وشقت طريقها نحو الجنوب حتى وصلت إلى الفرات قبل السماوة وأخذت من النهر الرئيسي، الذي أصبح يسمى هناك شط الحلة، كمية كبيرة من المياه بحيث أصبح في نهاية القرن الماضي يبقى جافاً معظم أيام السنة. وبقي هذا الوضع السيّىء قائماً إلى أن شيد عام 1913م سدّة الهندية.

ظل اسم "الشامية"، خلافاً لمعناه، ملتصقاً بالمنطقة الواقعة بين فرعي الفرات، بينما أطلق كما في منطقة ما بين النهرين اسم "الجزيرة"، على المنطقة

---

(1) أبحر فيه عام 1553م الادميرال التركي سيدي علي ريس.

(2) أول من ذكر ذلك غاسبارو بالبي عام 1580م.

(*) وهي قناة الهندية، حيث موّلت بمساهمة قدرها 500 ألف روبية من حسن رضا خان وزير «اونة» الأول لنقل الماء إلى النجف العطشى دائماً حيث انجزت في 1803م «شيعة العراق» صفحة 56، إسحق نقاش. (م. شبّر)

الواقعة بين الفرات (شط الحلة) ودجلة.

كان في البصرة ـ التي أسسها العرب في عام 636م ـ شبكة كثيفة من القنوات المائية تبدأ فوق الدير. وتجدر الإشارة إلى أن المدينة القديمة كانت واقعة على بعد 14 كيلومتر داخل البر بين البصرة الحالية والزبير. وفي القرن الحادي عشر كانت مساحات واسعة من المدينة، التي وصل عدد سكانها في أحد الأوقات إلى 200000 نسمة، قد تصحرت. وفي القرن الرابع عشر حلت محلها البصرة الجديدة.

منذ انهيار أقنية النهروان في القرن الثاني عشر الميلادي تحولت الأراضي الواقعة بين دجلة والجبال الإيرانية إلى صحراء. فقط على امتداد الطرق القديمة المؤدية من بغداد إلى إيران عبر بعقوبة وشهربان وخانقين، وإلى الموصل عبر دلتاوه «الخالص» ودلي عباس «المنصورية»، نشأت باستخدام المنشآت القديمة شبكة جديدة من القنوات تستمد مياهها من نهر ديالى. ومنذ ذلك الحين انعزلت كلياً المدينتان القديمتان مندلي وبدرة اللتان تستندان إلى آخر انثناءة لجبال (بشتي كوه) (Puschte-kuh). وتنتهي الجداول المالحة، التي تقع عليها المدينتان، قبل الوصول إلى دجلة، في أحواض مائية أكبرها هور السويقية «الشويجيه». كما أن الطيب والدويرق «دويرج» الواقعتين أكثر شرقاً، لا يصلان إلى دجلة.

لم يزل أرض السواد، منطقة الأراضي الزراعية في العراق، التي كانت في الماضي تمتد دون انقطاع من سامراء إلى البطائح، وعلى الرغم من التقدم الهام الذي حققه نظام الري هناك منذ عام 1913م، فإن الأراضي الزراعية تقتصر على شريط ضيق نسبياً يمتد على ضفاف الأنهار. ولذلك يعتمد العراق على محاصيل الحبوب المنتجة في سهول الموصل. بالمقابل تزدهر هنا زراعة (الأرز) التي لقيت تشجيعاً كبيراً على يد العرب في منطقة البطائح وتنتج فائضاً يذهب إلى البدو وإلى شبه الجزيرة العربية. وتصدر البصرة التمور إلى الأسواق العالمية.

ظل العراق حتى في عصر الانحطاط، منذ أواخر العصور الوسطى، يلعب دور الوسيط للتبادل التجاري بين الشرق والغرب. كانت طريق القوافل من البصرة

إلى حلب مزدهرة جداً وخاصة في القرنين السادس عشر والسابع عشر (انظر الجزء الأول، ص 104). وكانت الأنهار منذ القدم تستخدم للنقل على الرغم من أن حركة السفن تواجه المصاعب بسبب تغير مناسيب المياه. كانت الزوارق تُجرُّ سابقاً من الشاطىء عند تحريكها عكس التيار. ومنذ عام 1839م تسير في دجلة سفن تجارية تصل حتى بغداد. وهناك منذ الحرب العالمية الأولى خطوط للسكك الحديدية تصل بين البصرة وبغداد، وأصبحت الآن تصل أيضاً من بغداد إلى الموصل وكركوك وخانقين.

علاقة العرب بالعراق قديمة جداً. فالأمراء المحليون في شمال شبه الجزيرة العربية الذين وقفوا كمساعدين للقوى الموجودة هناك ضد الآشوريين في زحفهم نحو الغرب، هم أنفسهم الذين واجهوا تلك القوى كحلفاء للبابليين في الشرق. وأكثر من ذلك: حوالى 700 قبل الميلاد كان العرب يعيشون جنباً إلى جنب مع الآراميين والكلدانيين في جميع المدن البابلية الجنوبية من سيّار (أبوحبة) گوطا kuta (تل إبراهيم) وحتى نيبور (نفَّر) وأوروك (الوركاء). وبناء على ذلك لا بد من أن نفترض أن العرب ظلوا يتسربون باستمرار إلى العراق على الرغم من أنه لا يوجد عن ذلك سوى القليل من الأخبار المتفرقة التي يجدها المرء بين حين وآخر هنا وهناك. ولكن هؤلاء المهاجرين، وكما هو الحال في جميع البلدان المجاورة، انصهروا في الثقافة الآرامية التي فرضت نفسها في العراق تحت الحكم الفارسي (538 ـ 331ق.م) وحافظت على نفسها على الرغم من كل المستعمرين الذين جلبهم إلى البلاد الحكام الأجانب أمثال القائد الإغريقي الاسكندر، والسلوقيين، والفرشيون، والفرس. وكانت تلك الفئة منهم التي عاشت في القرن الثالث بعد الميلاد هي أول من حافظ على خصوصيتها لأنها وجدت في مملكة امرىء القيس، "ملك جميع العرب"، اللغة الفصحى المشتركة التي كان العرب حتى ذاك الحين يفتقرون إليها. ولقد تحدثنا سابقاً عن أهمية مملكة الحيرة (290م ـ 602م) التي كان امرؤ القيس ثاني ملوكها. كان حكام هذه المملكة المخفر الأمامي للملك الكبير ضد القيصر الروماني الشرقي وممثلي المصالح الفارسية في شمال شرق شبه الجزيرة العربية. وكان السكان العرب في الحيرة المنتمون إلى مختلف القبائل

العربية، ولكن دون أي علاقة سياسية لهم مع هذه القبائل، قد اعتنقوا المسيحية في وقت مبكر بينما لم ينتقل الحكم الملكي إلى هناك إلا في وقت متأخر. وإضافة إلى الحيرة كان يوجد عرب مدنيون في العاصمة الإقليمية الفارسية الأنبار الواقعة على الضفة اليسرى للفرات.

سيطرت بكر وتغلب منذ القرن السادس الميلادي على البادية المجاورة. ولكن بينما كانت تغلب تنتشر في البداية على أطراف المناطق الزراعية حتى خفان (القايم)، وهاجرت في نهاية القرن نحو الشمال الغربي بحيث أصبحت الحيرة تشكل الحدود بين القبيلتين. ومن بين قبائل بكر برز آنذاك بنو شيبان (بنو ثعلبة) والعجل. وكما هو الحال لدى تغلب اعتنق كثير من العجل وبعض الشيبانيين الديانة المسيحية.

كان بنو بكر هم الذين شنوا الهجوم على المملكة الساسانية. فقد استغلوا الخلافات على العرش في المدائن[1] (628 ـ 632م) للقيام بغارات في السواد. وفي أثناء ذلك برز زعيم بني شيبان المثنى ابن حارثة. وعندما سمع بالقضاء على الردة (على المرتدين عن الإسلام) اعتنق الإسلام وضمن لنفسه بذلك الزعامة. وقام بنصب معسكره في الخفان حيث يستطيع التحرك على أطراف مستنقعات الفرات نحو الشمال الشرقي إلى كسْكَر ونحو الشمال إلى الحيرة التي كانت آنذاك خاضعة للحكم الفارسي مباشرة. وأرسل له الخليفة أبو بكر خالد بن الوليد الذي لم يجلب معه سوى عدد قليل من القوات. فكان من الحكمة شن الهجوم على سواد الحيرة، الذي نصف سكانه من العرب، بدلاً من القيام بحملة في داخل العراق فيها كثير من المغامرة. وبالفعل فقد هزمت قوات الاحتلال الفارسية في معركتين استسلم على أثرها رؤساء القبائل العرب في الحيرة (خريف 12هـ/ 633م). وبعد وقت قصير

(1) طيسفون مقابل سلوقية، يسميها العرب المدائن، كانت في البداية المقر الصيفي، ثم أصبحت المقر الدائم، للحكام الساسانيين. ولم تزل الأنقاض العظيمة لقصر طاق كسرى ماثلة هناك حتى اليوم.

احتل المخفر الأمامي الثاني للفرس على الضفة الغربية للفرات، وهو واحة عين التمر، وشردت مجموعة من بني تغلب كانت تدافع عن الموقع. وكانت الأنبار قد سقطت قبل ذلك في أيدي المسلمين بينما كانوا لم يجتازوا الفرات في أي مكان آخر. وبعد وقت قصير من توجه خالد بن الوليد إلى سورية، أول عام 634م، اضطر المسلمون إلى اتخاذ موقف الدفاع وظلوا كذلك حتى نهاية عام 14هـ/ 635م حيث وصلت قوة لمساندتهم. وفي الوقت نفسه بدأ جيش صغير، بهدف تخفيف الضغط عن الجبهة الرئيسية، بشن هجوم على الأُبلّة التي أصبحت فيما بعد تعرف باسم البصرة. وهنا أيضاً كانت تميم وبكر قد أديتا دوراً مساعداً. وعندما سقطت المدينة اجتاز العرب النهر وتقدموا حتى المذار. وفي هذه الأثناء كان الفرس قد جمعوا قواهم واتخذوا مواقعهم وراء الفرات جنوبي الحيرة. أمّا المسلمون الذين تلقوا دعماً قوياً من الخليفة عمر فقد احتشدوا بين العذيب (على بعد 4كم جنوب غرب الرّحبة) والقادسية. كانت خراف الذبح قد جلبت من المدينة أمّا الحبوب فقد تمّ جمعها عن طريق الغزو. وفي يونيو/ حزيران 637م وقعت المعركة الحاسمة حيث انتصر 10000 عربي على أكثر من 30000 فارسي. وبعد ذلك أخذ التقدم يجري بسرعة. إذ انسحب الفرس من المدائن وتراجعوا إلى جلولاء على نهر ديالى ليدخلوا هناك معركة جديدة هُزموا فيها أيضاً. وبذلك أصبح العراق مقاطعة من مقاطعات الإمبراطورية العربية الإسلامية.

تمّ الاستيلاء على أراضي الملاّك الفرس التي أصبح جزء منها ملكاً للدولة وجزء ملكية مشتركة للمسلمين، الأمر الذي يؤدي عملياً إلى نفس النتيجة. تجمع العرب في المدينتين العسكريتين: الكوفة ـ التي تأسست عام 638م على مقربة من الحيرة ـ والبصرة (636م). توجه إلى البصرة بالدرجة الأولى بنو بكر وعبد القيس وتميم وتوجه إلى الكوفة أبناء جميع القبائل القادمة من شبه الجزيرة العربية. هنا أسندت لهم مهام عسكرية وخصصت لهم رواتب وأصبحوا نوعاً من الجيش النظامي. كانوا يسكنون في أحياء المدن، في البصرة على الأقل، منفصلين حسب الانتماء القبلي وبنفس التقسيم كانوا يدخلون إلى ساحة المعركة. وكان هذا الوضع يتكرر في "المستعمرات" أي في البلدان التي يحتلونها في الشرق. وظل عسكريو

الكوفة والبصرة على اتصال مع أبناء قبائلهم الذين استوطنوا هناك طوعاً أو كرهاً. بالمقابل فقدوا شيئاً فشيئاً صلاتهم بالجماعات التي كانوا قد انطلقوا منها في شبه الجزيرة العربية.

على الرغم من ذلك ظلوا فترة طويلة من الزمن محافظين على بعض الصفات المتعلقة بطريقة حياتهم السابقة ومنها غريزة الغيرة بين المجموعات المتنافسة والمتوارثة بالولادة في المجتمعات البدوية. في البصرة كانت القبائل تعيش في جو متأزم جداً. وكما في ما بين النهرين (الجزء الأول، ص 106) اتحدت بكر مع أقربائها ـ وهم هنا عبد القيس ـ تحت اسم ربيعة، واتحدت تميم مع قيس تحت اسم مضر. وبما أن أزد، الأزد الذين كان معظمهم قد هاجروا في حوالى 680م من عُمان، اتحدوا مع ربيعة، فقد توترت العلاقة بينهم هنا أيضاً. وبصورة عامة لم يكن هناك أي انسجام بين النظام القبلي وسيادة الدولة لأن القبيلة تحمي أبناءها وتناصرهم على السراء والضراء ليس ضد أبناء القبائل الأخرى وحسب وإنما أيضاً ضد الحكومة. وهذا الأمر لم يكن يختلف في الكوفة عنه في البصرة؛ هنا أيضاً كان رؤساء القبائل في مواقف متعارضة. وازداد هذا الميل إلى الفوضى قوة لدى المسلمين الأتقياء بسبب المآخذ الدينية على الحكام الذين بدوا لهم أنهم يهضمون حقوقهم من أمثال الخليفة عثمان (644م ـ 656م) والحكام الأمويين (661م ـ 750م)، أو بدوا لهم ضعفاء من أمثال الخليفة علي (656م ـ 661م)؛ وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن خلاص روحهم مهدد إذا ما صلوا خلف خليفة غير شرعي أو خلف ولاته.

أدى الاستياء من الخليفة علي الذي قبل بحل خلافه مع معاوية، الأموي الأول، عن طريق التحكيم بدلاً من اللجوء إلى حكم الله ـ في القتال ـ إلى نشوء فرقة الخوارج الذين اعتبروا جميع المسلمين الآخرين كفاراً. وقاموا، في بادئ الأمر في الكوفة ثم في البصرة وأخيراً في منطقة الموصل، بتشكيل مجموعات مسلحة من المتحمسين الذين أخذوا يجوبون البلاد يقتلون الأبرياء ويتصدون للقوات الحكومية المتفوقة جداً عليهم. وعند سقوط الحكم الأموي تمكن الخوارج

من ديار ربيعة (راجع الجزء الأول، ص 107) من السيطرة على كامل البلاد (745م ـ 747م). كان زعيمهم ينحدر من أسرة شيوخ قديمة جداً هي شيبان. وكان شبيب، زعيم الخوارج في الموصل، وهو شخصية جذابة بين هؤلاء المتعصبين، ينحدر من أب شيباني من نفس الأسرة ومن أم رومية كانت أسيرة حرب.

إبان خلافة علي القصيرة أصبحت الكوفة عاصمة الإمبراطورية، وبعد انتقال الحكم إلى أيدي الأمويين أصبح العراق مرة أخرى منطقة نائية بعيدة عن مركز السلطة. وقد ولد هذا لدى الشيعة "حزب" علي، الذين يرون أنه هو وأولاده الوحيدون الذين يحق لهم تولي الحكم، شعوراً بالإهمال وقلة التقدير. وأدى قتل ابنه الحسين في العاشر من محرم عام 61هـ/ 680م في كربلاء إلى تعميق إيمان الفرقة وحماسها بدافع فكرة الشهيد المقتول ظلماً. لكن هذه العقيدة ما لبثت أن التصق بها بعض العادات والأفكار الغريبة التي ظهرت في بادئ الأمر خلال تمرد المختار في الكوفة (685م ـ 687م). إلاّ أن الشيعة انقسموا بعد ذلك إلى مجموعات كثيرة مختلفة أشد الاختلاف. أهم هذه المجموعات: الاثنا عشرية (الإمامية) والسبعية (الإسماعيلية) اللتان سبق وتعرفنا عليهما (ص33، 34 أعلاه).

أدى نشاط هاتين الفرقتين، الخوارج والشيعة، إلى تسريع التقارب بين المنتصرين والمهزومين. صحيح أن العرب منحوا مجموعتين من النبلاء الفرس، الذين اعتنقوا الإسلام على الفور، الحقوق المدنية الكاملة، لكن معظم المسلمين الجدد، سواء أكانوا عبيداً معتوقين (أسرى حرب) أو أحراراً، كان عليهم أن يقبلوا بوضع يحرمهم من بعض الحقوق وهو وضع الموالي التابعين لسادتهم السابقين أو لمن أدخلوهم في الإسلام. أمّا الخوارج، لأسباب مبدئية، والشيعة (المختار)، لأسباب اضطرارية، فقد ضموا الموالي إلى مجتمعهم متمتعين بالمساواة الكاملة.

أمّا سكان الأرياف الآراميون والفرس، الذين كانوا يعيشون في واسط وفي القرى الواقعة بين بغداد وواسط، فقد ظلوا جسماً غريباً في المجتمع العربي الإسلامي المتشكل. وينطبق الشيء نفسه على الزّط، القريبين من النَورَ (الغجر)،

الذين أسكنهم الحجاج مع جواميسهم في البطايح(*).

لم يبق من البدو سوى بكر، وقبل البصرة، تميم اللذان كانا قد تقلصا تقلصاً شديداً نتيجة الهجرة. استوطن جزء من بكر (شيبان، وأيضاً عنزة) في السهول الواقعة مقابل الموصل وبين الزابين. ويبدو أن هؤلاء المهاجرين كانوا نصف رُحّل ولذلك لم يفقدوا كلياً صلتهم مع أبناء قبيلتهم الموجودين على الجانب الآخر من الفرات.

أرغمت النشاطات التحريضية للأحزاب الدينية السياسية، وعدم إخلاص الجنود، للولاة منذ الحجاج، على جلب مزيد ومزيد من القوات السورية إلى البلاد. وكان السكان المحليون يعتبرون هؤلاء الجنود القادمين من سورية غرباء، مما جعل وجودهم يزيد من استياء السكان من الحكومة. ولذلك لم يجابه الجيش الذي شكله المولى[1] أبو مسلم الخراساني، الداعية الرئيسي للعباسيين في خراسان، مقاومة تستحق الذكر لدى العراقيين. وهكذا انتصر في معركة الزاب (749م) على الخليفة مروان الثاني، وبذلك انهارت الدولة الأموية.

في العهد العباسي اتخذت الدولة والمجتمع شكلاً جديداً. فقد تحولت الدولة العربية إلى نمط من الحكم الاستبدادي الشرقي. وبما أن الأسرة الحاكمة الجديدة التي كانت مدينة في انتصارها لجيش معظمه من الفرس، وإن كان غالبية قادته من العرب، فقد حافظت على هذا الجيش وكانت تفضل الفرس على العرب في الوظائف الحكومية، وانصهرت الأُمتان ـ العربية والفارسية ـ في العراق، وفقدت التناقضات القبلية كل أهمية عملية، وخاصة منذ أن أخذ العباسيون يستبدلون الجيش، الذي كانت تطغى عليه الشعارات القديمة: مضر وربيعة واليمن، بقوات من العبيد من الأتراك وشمال إفريقيا. وبعد أن قام الخليفة العباسي الثاني المنصور

(*) دلت الاكتشافات الأثرية واللقى الطينية عن أسلوب عيش سكان العراق في منطقة الأهوار في العهد السومري وتشابهها مع أسلوب عيش العراقيين في الأهوار في القرن العشرين. (ماجد شبّر).

(1) المفرد مولى، الجمع موالي.

بتأسيس مدينة بغداد (762م) واتخاذها مقراً للحكم - من عام 836م حتى عام 889م كان الخلفاء العباسيون الذين جاؤوا من بعده يحكمون من سامراء وبدأت الكوفة بالتراجع، بينما أصبحت البصرة مرفأ كبيراً. ونشأت في كلتا المدينتين (وفي أمكنة أخرى أيضاً) حياة حزبية جديدة. ولكن بينما كانت البلالية والسعدية في البصرة جماعات غير سياسية كلياً (تسمى باسم الحي الموجودة فيه)، كان العلويون والهاشميون (العباسيون) في الكوفة، وقبل أن يتحولوا في القرن العاشر الميلادي إلى مجموعات من النبلاء، ذوي صبغة سياسية. وكما في الحجاز (راجع الجزء الثاني ص461، 582 وما بعدها) فقد أعلن الثورة هنا أيضاً بعض العلويين الطموحين. إلا أن خط الإمامية والزعماء الروحيين للشيعة، اتخذوا موقفاً في غاية الحذر. وكان موقف السلطة الحاكمة تجاه هذه الأسرة متأرجحاً. وأخيراً حاول الخليفة المأمون (813م - 833م) توحيد الأسرتين (العباسية والعلوية) بأن عيّن صهره علي الرضا[1] ولياً للعهد وحقق بعض التقارب بين المذهبين السني والشيعي. لكن المحاولة فشلت.

بعد أقل من مائة عام من قيام الدولة العباسية بدأت هذه الدولة بالانهيار. في خراسان نشأت بعد المأمون أول إمارة شبه مستقلة (822م). وبعد نصف قرن بدأت هذه الدويلات تتشكل في كل مكان. في البداية كان حكام الأقاليم يرسلون إلى بغداد كثيراً من الأموال. ولكن منذ حوالى عام 930م بدأت الخلافة تواجه مصاعب مالية. وأصبح الخلفاء بصورة متزايدة خاضعين لقادة حرسهم الخاص حتى الترك الذين كانوا يتصارعون على السلطة مع الوزراء وأصحاب الحظوة وطواشيي القصر.

مع انقطاع خط الإمامية[2] في عام 260هـ/ 874م تحررت الدولة من النشاطات السرية المعادية التي كان يقوم بها أتباعها. وبدأ الشيعة (الإمامية) ينظمون أنفسهم

(1) الإمام الثامن (عند الشيعة الاثني عشرية).

(2) الحسن العسكري، الإمام الحادي عشر. وفيما إذا كان الحسن العسكري له ولد ويعتبره الشيعة الإمام الثاني عشر وينتظرون ظهوره مرة أخرى آخر الزمان، فهذا أمر مشكوك فيه.

كنوع من "الكنيسة" . وكان ينتمي إلى الشيعة عائلات مرموقة كالحمدانيين[1]، الذين حكموا في وقت لاحق الموصل وحلب، وموظفون كبار وتجار وجماهير الكرخ، الحيّ التجاري في بغداد، الذين كانوا بين حين وآخر يهدئون غضبهم بالتظاهر والقيام بأعمال الشغب. وبانسحاب الشيعة من السياسة أصبح الطريق مفتوحاً أمام الإسماعيليين الأكثر خطورة والذين يسمون في شبه الجزيرة العربية والبلدان المجاورة القرامطة. وما كان قد أدى إلى الثورة القرمطية في المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية (راجع ص33، 34 أعلاه) تكرر بشكل مخيف في العراق. ففي خريف 869م، بعد عام واحد من هروب العلوي، أو العلوي المزيف، من البحرين، أشعل في جنوب العراق ثورة الزنج، العبيد السود القادمين من شرق إفريقيا، الذين حولوا أراضٍ مالحة قرب البصرة إلى أراضٍ صالحة للزراعة عن طريق قشط الطبقة المالحة. وخلال وقت قصير سيطر على منطقة مصب دجلة واحتل عام 871م البصرة. وبعد القيام بعدة حملات في منطقة خوزستان (الفارسية اليوم) توغل الزنج نحو الغرب في منطقة الأهوار الخالية من السكان تقريباً والتي لا يملكها أحد. وكان الزط قد هُجِّروا عام 835م لأنهم شلوا عدة أعوام حركة السفن بين البصرة وواسط. ومنذ ذلك الوقت تسرب بعض الباهلة Bahila من منطقة الطف[2]، الواقعة على أطراف بادية خفان (القايم)، إلى منطقة البطايح. وهؤلاء الباهلة هم من قبيلة استوطنت في البصرة وحولها خلال فترة الفتح الإسلامي. وبما أن الباهلة كانوا عازمين على التمرد أيضاً فقد قامت بتأديبهم عام 871م قوات كانت في طريقها لقمع تمرد الزنج. ومن المفهوم أنهم وضعوا أنفسهم بعد ذلك تحت تصرف الزنج. وقام أحد أبناء القبيلة، الذي كان قبل بضعة أعوام يتولى إدارة البطايح، بقيادة الزنج في تلك المنطقة الوعرة (876م) وأصبح بعدئذ ممثلهم في الطف. وفي عام 878م احتل الزنج واسط. لكنهم أرغموا بعد ذلك على التراجع شيئاً فشيئاً. وفي عام 883م قضى على تمردهم الموفق (أحد أخوة الخليفة الحاكم

(1) من أتباع تغلب.

(2) كثبان رملية تمتد على طرف الصحراء من خفان (القايم) حتى قرب البصرة.

في بغداد) وابنه المعتضد الذي أصبح خليفة فيما بعد.

بقيت الحملات التي شنها قرامطة شرقي الجزيرة العربية، والتي ذكرناها في الصفحة 36، 37 أعلاه ـ وتمرد قرامطة سورية ـ الرافدين (901م) الذي قضي عليه بصعوبة بالغة خلال الأعوام 904م ـ 906م، مستمرة في المرحلة التالية من تاريخ الخلافة. ولكن قبل التحدث عن هذا الموضوع لا بد من التحدث أولاً عن القبائل التي طرأ عليها إبان ذلك بعض التغير.

منذ عام 251هـ/ 865م نسمع عن هجمات يشنها البدو على الحدود الغربية للعراق (تكريت ـ الأنبار) وعلى سواد الكوفة. وكانت أقوى تلك القبائل البدوية قبيلة بني شيبان التي كانت قد تشكلت من جديد كقبيلة بدوية كبيرة تقضي الصيف في الشمال بين الزابين (الزاب الكبير والزاب الصغير) وتضرب خيامها في الشتاء في البادية السورية، وتتقدم بين حين وآخر لتصل إلى الطفّ، بل إلى البطائح. كانت شيبان تلحق في الشمال أضراراً بالغة بالزراعة والمواصلات إلى أن أخضعها الخليفة المعتضد عام 893م. إلا أنها قدمت في بداية القرن التالي خدمات جليلة للحكومة في حربها ضد قرامطة سورية ـ الرافدين. وكانت تلي شيبان من حيث القوة قبيلة بني أسد التي تقدمت خلال القرن التاسع الميلادي من السفح الشرقي للجبل إلى جانبي طريق الحج إلى الكوفة وحتى منطقة السواد. وأمام البصرة، حيث اختفت بكر كلياً، كانت تعيش الآن تميم. وقد سمحت أسد وتميم لقائد الزنج، الذي كان جيشه يفتقر إلى الفرسان، بتجنيد رجال منهما لمحاصرة البصرة. وفي وقت لاحق خدم أيضاً كثير من البدو تحت رايته. وكانوا يأملون في تحقيق المكاسب من هذه الحرب. فقد زودوا مدينة الزنج، التي حاصرها الموفق، بالخراف اللازمة للذبح إلى أن فتح لهم سوقاً في البصرة. وأثر هذا الانتعاش الجديد للحياة البدوية تأثيراً شديداً على جيرانهم إلى درجة أن الفلاحين الآراميين الذين كانوا يعيشون بين الكوفة وواسط تبنوا التنظيم القبلي العربي، كما يتضح من تقرير عن ثورة القرامطة هناك (316هـ/ 928م).

بدأت المرحلة الجديدة في التاريخ العباسي عام 945م. في ذلك العام استدعى

الخليفة المستكفي، الذي كان غير مطمئن للظروف السائدة، البويهيين الديالمة[1]، الذين أسسوا في فارس دولة من العدم، إلى بغداد. لكنه كان بذلك كمن ينتقل من تحت المطر إلى تحت المزراب. فقد أمر أحمد ابن بويه (معز الدولة) بقلع عينيه «عين الخليفة» لأنه اشتبه في أنه يتآمر مع أعدائه. ومنذئذ لم يعد للخلفاء الذين جاؤوا بعده أي تأثير على الحكومة. لكن المسؤولين عن إدارة الدولة أنفسهم بدأوا في الجيل الثاني صراعات فيما بينهم استمرت حتى استعاد ابن أخ أحمد "عضد الدولة" إحكام قبضته على السلطة (976م). لكن أبناءه بدأوا عام 983م صراعاً فيما بينهم حسم في العراق نفسه.

في ذلك الوقت تقدم البدو إلى عمق المناطق الحضرية. واجتاز بنو أسد الفرات؛ واستوطن قسم منهم على النيل، بينما اجتاز قسم منهم دجلة ووصل إلى خوزستان (حوالى 980م). واستوطن بنو خفاجة (عقيل) القادمون من شرقي الجزيرة العربية بين هيت والكوفة. وسيطروا على أطراف البادية السورية حتى الرصافة، وفي وقت لاحق ظهروا أحياناً قرب البصرة. وقد عانت منهم منطقة الكوفة الحضرية أشد المعاناة إلى أن أعلن البويهيون حمايتهم لهم. وكان بعض العقيليين يهاجرون من منطقة ما بين النهرين إلى الطرف الغربي من العراق لقضاء فصل الشتاء هناك (انظر الجزء الأول، ص 107، ص 380).

تكيف شيوخ البدو بسرعة مع الاتجاهات السياسية السائدة وذلك بأن حاولوا تحويل المناطق التي تحتلها قبائلهم إلى إمارات. حصل شيوخ عقيل (الرافديون) (العقيليون)، الذين كانوا قد استولوا على الجزيرة (نصيبين، والموصل، وتكريت)، على جامعين (الحلة لاحقاً) وعلى الكوفة (996م)، وحصل بنو مزيد، شيوخ أسد على منطقة النيل. واعترف البويهيون بهذا الوضع لأنهم لم يجدوا أي إمكانية أخرى للحصول على الأموال من المناطق التي امتلأت بالبدو. إلا أنهم كانوا لا يريدون أن يصبح هؤلاء الأمراء المنتفعون الجدد أكبر من اللازم. ولذلك

(1) قبيلة إيرانية على الساحل الجنوبي لبحر قزوين.

شاركوا في الحروب التي نشبت بعد وقت قريب بين العقيليين والمزيديين وخفاجة. وكان العقيليون أول المهزومين حيث فقدوا عام 1026م أملاكهم في العراق. وبما أن محاولة أولاد ثُمال، شيوخ خفاجة، تأسيس إمارة في الكوفة فشلت، بقي بنو مزيد العائلة البدوية الوحيدة الحاكمة في العراق.

قابل إذلال الخليفة العباسي على يد البويهيين صعود الخليفة الفاطمي الذي اتخذ منذ 973م من القاهرة مقراً له. وفي عام 401هـ/ 1010م ـ 1011م أعلن العقيلي قرواش ولاءه للفاطميين وراح يدعو لهم. لكن الدعاية الفاطمية لم تقتصر على الشرق الأوسط بل وصلت إلى أعماق آسيا. وهناك بدأ تحت قيادة السلطان محمود الغزنوي (999م ـ 1030م) رد فعل السُنّة ضد الغلو. وتبنى سياسته السلاجقة، زعماء الشعب التركي الغز، الذين أخضعوا بين عام 1308م وعام 1043م شرقي العالم الإسلامي. وفي عام 1055م اتصل الخليفة القائم، الذي كان السلاجقة بصفتهم سنيين جيدين يكنّون له الاحترام، بسلطانهم طغرل بك. ذلك أن الخليفة كان قد ضاق ذرعاً بتسلط البويهيين الذين كان يمثلهم في بغداد القائد العسكري المغرور البساسيري وفي نهاية العام دخل طغرل بك بغداد واعترف به الخليفة حاكماً؛ واقتيد آخر البويهيين إلى السجن.

في هذه الأثناء كان البساسيري قد وحد أمراء ما بين النهرين، أي العقيليين وبني مزيد وأولاد ثُمال، وراح يدعو معهم للفاطميين. وبعد أن حقق طغرل بك عدة انتصارات غيّر العرب موقفهم (بداية 1058م) لكنهم في نهاية العام عادوا إلى ولائهم للفاطميين لأن طغرل بك اضطر إلى مغادرة العراق بسبب خلافات عائلية. ولم تنته هذه اللعبة إلا بوفاة البساسيري في مطلع عام 1060م. ولم ينتصر السُنّة على الغلو وحسب وإنما على الشيعة أيضاً، وذلك لأن البويهيين وبني أسد، مع أمرائهم بني مزيد، كانوا جميعاً من الشيعة.

في عهد السلطان السلجوقي ملكشاه (1072م ـ 1092م) بدأ الوزير نظام المُلْك بالتخلص من الزعامات العربية. كان بنو مزيد الوحيدين الذين احتفظوا بزعامتهم. أدى سقوط العقيليين، أمراء ما بين النهرين (1096م)، إلى مجيء قبيلة جديدة من

بني عقيل إلى العراق هي عبادة. وشأنهم شأن خفاجة وبني شيبان أصبح بنو عبادة تابعين لأمير من بني مزيد اسمه صدقة (1086م ـ 1108م) وأدى نشوب حرب بين ولدي ملكشاه، بركياروق محمد(*)، (1099م) إلى تمكين صدقة من توسيع املاكه في الكوفة وهيت وواسط ولفترة قصيرة في البصرة. لكن تنامي سلطة صدقة ونفوذه أثار قلق السلطان محمد الذي استغل رفض صدقة تسليمه لاجئاً سياسياً وشن عليه حملة عسكرية سقط خلالها قتيلاً ـ وهكذا قضي على شخصية من أنبل الشخصيات التي أنجبها العرب.

أدت الصراعات بين أبناء وأحفاد السلطان محمد (1114م ـ 1117م)، أو بالأحرى بين الاتابكيين، والغيرة بين الأتابكة والوزراء، إلى تفتيت سلطة الأسرة الحاكمة بحيث أن الخليفة المسترشد اكتسب بعض النفوذ السياسي منذ عام 1123م. صحيح أنه سقط عام 1135م ضحية سعيه إلى الاستقلال، وصحيح أن ابنه عُزل بعد عام واحد من تنصيبه، لكن خليفتهما حقق الهدف، في عام 1157م انتهى حكم السلاجقة من العراق.

بسبب انجرارهم إلى الصراع الدائر بين السلطان والخليفة فقد بنو مزيد عام 1150م عاصمتهم الحلة التي كانت منطقتهم في آخر الأمر تقتصر عليها. فقد طرد أتباعهم بنو أسد "الذين وقفوا عام 1157م ضد الخليفة" من الحلة ومحيطها عام 1163م بعد معارك طاحنة. ولكي تحارب الحكومة بني أسد استعانت بالمنتفق وهم عقيليون من الجزيرة العربية كانوا منذ القرن الحادي عشر ينتقلون بين الكوفة والبصرة. وفي داخل العراق أيضاً ظهرت آنذاك قبائل جديدة نذكر منها على سبيل المثال ربيعة الذين كانوا نصف رُحّل وكانوا يسيطرون على الفلاحين والسكان في منطقة المستنقعات قرب السيب والغراف. وحاول شيوخهم بنو معروف الاستقلال. لكن الخليفة الذي كان قد استعاد بعضاً من قوته لم يحتمل وجود أمراء إلى جانبه في العراق. فأرسل لهم قوة ضخمة هزمت بني ربيعة عام 1219م. وفرَّ

(*) محمود وليس محمد (المصدر تاريخ الخلفاء السيوطي ـ ص 340) (م. شبّر).

شيوخهم (بنو معروف)، لكنهم عندما سلموا أنفسهم بعد فترة من الزمن أُبيدوا عن بكرة أبيهم.

كان الخليفة الناصر آنذاك (1180م ـ 1225م) يسعى جاهداً إلى زيادة النفوذ المعنوي والسياسي للخلافة في العالم الإسلامي. وبالفعل عرف كيف يؤثر على الناس باستعمال العديد من الوسائل المختلفة. فقد تبنى الشيعة (الإمامية) ولقي قبولاً واعترافاً حتى لدى الإسماعيلية. وحصل من الإرث السلجوقي على خوزستان (1195م). وحمى حدود العراق الصحراوية من غارات القبائل البدوية بأن استعان بالأمير محمد العيوني (انظر ص 40، و193 أعلاه) في خدمته. ولكي يتحرر من ضغط خوارزم شاه خليفة السلاجقة، حرض عليه القائد المغولي جنكيز خان دون أن يعرف كم هي مخيفة المصيبة التي ستترتب على ذلك (1218م). في عام 1225م مرَ عبّر خوزستان والعراق متجهاً نحو الشمال آخر خوارزم شاه قادماً من الهند التي كان لجأ إليها هرباً من المغول. وقام جنوده المرتزقة الجائعون بأعمال السلب والنهب في طول البلاد وعرضها، وفعل البدو الشيء نفسه.

بعد ذلك بقي لخلفاء الناصر فترة 33 عاماً. ففي يناير/ كانون الثاني 1258م حاصر المغول بغداد. وفي العاشر من فبراير/ شباط استسلم الخليفة المستعصم. فقام المغول بإعدامه ودمروا المدينة تدميراً كاملاً. ولم تشف بغداد أبداً من هذه الضربة، ولم يتمكن العراقيون أبداً من إعادة بناء شبكة الأقنية التي دمرها المغول والتي كانت تصل بين الفرات ودجلة وتحمي في الوقت نفسه بغداد من الفيضان.

بعدما فشل المغول في زحفهم نحو الغرب وانهزموا عام 1260م في معركة عين جالوت أنظر الجزء الأول ص406، أصبح العراق مخفراً أمامياً لمملكة الإلخانية ـ هكذا كان حكام المغول الغربيون يسمون أنفسهم ـ ضد مملكة المماليك. وكان كِلا الطرفين يحاولان كسب تأييد البدو. وكان السلطان بيبرس يدفع مرتبات لخفاجة وعبادة كي يقدموا له خدمات تجسسية ويزعجوا المغول بشن غارات متفرقة عليهم بغرض السلب والنهب. لكن كِلا القبيلتين كانت لهما علاقات وثيقة جداً مع أسواق العراق مما جعلهما غير قادرتين على التفرغ فترة طويلة من

الزمن لمقاومة المغول. ولقد تحدثنا في الجزء الأول ص515، 516 عن الجهود التي بذلها المغول لكسب تأييد بني فضل، القبيلة المسيطرة على البادية السورية. فقد أعطوا عام 1312م أميرهم مهنا الحلة والكوفة وواحة شثاثة «شفاثه» ـ التي كانت سابقاً في أيدي أولاد ثمال.

وأعطوا عام 1314م أخاه الفضل البصرة. وكان المغول الإلخانيين أهملوا العراق فترة من الزمن. ولم ينل حقه من الاهتمام إلاّ في عهد غازان (1295م ـ 1304م) أهم حكامهم وأول من اعتنق الإسلام من هذه الأسرة الحاكمة. وبوفاة أبي سعيد (1316م ـ 1335م) لم يبق لهذه الأسرة أي وريث ذكر. فتبع ذلك فترة من الفوضى وأخيراً قسمت المملكة. فكان العراق من نصيب الأمير الشيخ حسن جلائري الذي كانت تربطه بالأسرة الإلخانية صلة القرابة من جهة أمه.

بدأ انهيار العراق بتقسيمه إلى منطقتين، بغداد والبصرة. ثم استمر التقسيم تحت حكم الإلخانيين اللاحقين: كان يحكم النجف، التي كانت سيطرت على الكوفة، نقيب الأشراف الذي كان يعيّنه السلطان الإيلخاني لكنه كان فيما عدا ذلك مستقلاً تماماً. واستمر هذا الوضع الخاص الذي أعطي للنجف، ثم في وقت لاحق لكربلاء التي فيها قبر الحسين، حتى عام 1908م(*). في عهد أبي سعيد كان ابن أخ أمير المدينة نقيباً في النجف. وفي أعوام الفوضى بعد وفاة أبي سعيد سيطر أحد أشراف مكة على مدينة الحلة وحكم هناك إلى أن قتله السلطان شيخ حسن الجلائري ومنذ ذلك الوقت أصبح العراق فردوس الأشراف «السادة». وبينما كان هؤلاء المغامرون ينزلون في بادئ الأمر في المدن، توجهوا في وقت لاحق إلى القبائل. وعن طريق المصاهرة مع الشيوخ حصلوا على ملكيات عقارية وعلى النفوذ. ولم يزل السادة، هكذا يسمى الأشخاص المنحدورن من أسرة النبي محمد، حتى اليوم أقوياء في مختلف أرجاء العراق.

(*) لقد وقع خطأ مطبعياً في الكتاب الألماني فليس صحيحاً أن استمر الوضع إلى عام 1908م بل إلى 1337م سنة سيطرة حسن الجلائري على العراق وبالتالي أنهى الوضع السابق. (ماجد شبّر).

حققت بَدْوَنَةُ العراق في العهد المغولي مزيداً من التقدم. انتقلت خفاجة من منطقتها القديمة بين هيت والكوفة إلى المنطقة الواقعة بين الكوفة وواسط. ولم تكن القوافل تستطيع الانتقال بين المدينتين إلا تحت حمايتهم. وإلى الجنوب الشرقي من واسط وجد بقية بني أسد موطناً جديداً. وفي الجنوب دخلت المنتفق وعبادة إلى أعماق منطقة المستنقعات.

كان السلاطين الجلائريون، خلفاء الأسرة الإيلخانية، يقضون الصيف في تبريز والشتاء في بغداد. وتمكن الحاكمان الأولان من هذه الأسرة من إعادة الأمن إلى البلاد. ولكن في الجيل الثالث اندلعت في الأسرة حرب بين الأخوة. وفي عام 1384م أعاد السلطان أحمد بن أويس إلى المملكة وحدتها من جديد. وسادت البلاد بعد ذلك فترة من السلام استمرت عشر سنوات إلى أن جاء الغزو المغولي الجديد الذي قلب دول الشرق الأوسط رأساً على عقب.

في أواخر صيف 1393م وقف تيمور لأول مرة أمام أبواب بغداد. فسقطت المدينة دون مقاومة. وكان السلطان أحمد بن أويس قد ولى هارباً. وقامت مجموعات من الجنود بتدمير البلاد حتى واسط والبصرة. وفي صيف 1401م ظهر تيمور مرة أخرى في العراق. وعندما انسحب أمر بترك بغداد مدينة مهدمة وخالية من السكان. كما دُمرت أيضاً الحلة وواسط. أمّا النجف فلم تتعرض لأي أذى. وفي شتاء العام نفسه احتُلت بغداد للمرة الثالثة من القوات المغولية. ومرة أخرى تمكن السلطان أحمد من تغطية فراره عن طريق تحطيم الجسر المتحرك (العبّارة) عند الحلة. وفي الربيع غادر المغول البلاد. وبعد عام واحد (1403م) كُلِّف حفيد تيمور، ميرزا أبو بكر، باحتلال العراق بصورة دائمة. فقضى على قره يوسف، رئيس سلالة قره قويونلو التركمانية، الذي كان السلطان أحمد بن أويس قد اضطر قبل ذلك بوقت قصير إلى التخلي له عن البلاد، وتولى مقاليد الحكم.

بوفاة تيمور في فبراير/شباط 1405م انتهت فترة السلام القصيرة. صحيح أن السلطان أحمد تمكن من استعادة السيطرة على بلاده، لكنه طُرِد من الشمال ثم أرغمه قره يوسف عام 1410م على التخلي عن العرش وأعدمه. بقيت للجلائريين

المناطق الواقعة تحت بغداد[1] والمدينتان المقدستان (النجف وكربلاء) وخوزستان إلى أن انتزعت منهم على يد خلفاء تيمور (1421م ـ 1424م). في عام 1432م حاصر آسبان ميرزا، ابن قره يوسف، آخر السلاطين الجلائريين في الحلة ثم احتل المدينة. وفي عام 840هـ/ 1436 ـ 1437م اعتنق المذهب الشيعي الذي كان آنذاك مزدهراً في العراق وفارس.

في هذه الأثناء كان العراق الأدنى قد أصبح في يد البدو. في منطقة واسط كانت عبادة أقوى القبائل، وكان شيوخها يحملون لقب أمير حصلوا عليه من المغول أو من الجلائريين لقاء عهد الولاء والتأييد. وكانت أسرة أميرية ثانية، هي آل عليّان، تحكم الجزائر، منطقة الأهوار في أسفل دجلة وشط العرب. وكانت بعض القبائل الأخرى قد انضمت في هذه الأثناء إلى بني أسد. أمّا بجوار الأقنية فوق واسط، وفي منطقة المستنقعات التي تشكلت على امتداد مجرى دجلة السابق (واللاحق) حيث كان يعيش مربّو الجاموس الذين كان جيرانهم يسمونهم احتقاراً "معدان".

في حوالى عام 840هـ/ 1436م ـ 1437م ظهر بين هؤلاء المعدان "سيّد" حقيقي أو مزعوم ادعى بأنه رسول المهدي الإمام الشيعي الثاني عشر المنتظر، لا بل بأنه المهدي ذاته. وكان اسمه محمد بن فلاح[2]. وعلى الرغم من تعرضه لبعض الفشل تزايد عدد أتباعه بسرعة كبيرة لأن الظروف كانت مؤاتية. ذلك أن آسبان ميرزا لم يحتل العراق الأدنى ولم يكن في وسع القوة العسكرية التابعة للجلائريين والموجودة في واسط أن تفعل أي شيء ضده (أي ضد محمد بن فلاح) (في بداية عام 1441م). وفي العام نفسه (845هـ) احتل الجزائر. وبعد وقت قصير تمكن من دخول الحويزة عاصمة خوزستان الغربية. فقد تخلى وزير التيموريين في شيراز عن الحويزة لأنه كان يريد تفادي الصدام مع آسبان ميرزا المتقدم، كما أن

---

(1) في عام 824 هـ/ 1421م كانت بغداد في يد الجلائريين.

(2) مزيد من التفاصيل عنه في الجزء الرابع.

ميرزا تفادى لأسباب مشابهة القضاء على المهدي بعد أن كان قد هزمه.

استغل محمد بن فلاح هذا الوضع ليشن حملة في العراق اجتاز خلالها الفرات ووصل إلى الرماحية. وفي عام 1453م شن ابنه مولى علي حرباً جديدة دمر خلالها واسط والنجف وابتز بغداد والمناطق المحيطة بها بتهديدها بالنهب والحرق. وكانت بغداد بلا حماية لأن جهان قره قوينلو، الذي كان منذ بضعة أعوام قد أصبح حاكماً على غرب إيران، استدعى ابنه من بغداد دون أن يسمي خلفاً له. بعد وفاة مولى علي (861هـ/ 1456م ـ 1457م) وحّد أمير عبادة قبيلته مع قوات بغدادية لكي ينهي هذا الوضع المؤلم. لكن محمد بن فلاح تصدى له وهزمه هزيمة نكراء قرب واسط. توفي محمد بن فلاح عام 870هـ/ 1465م ـ 1466م، وبقي أحفاده من بعده يحكمون في الحويزة حتى القرن الحالي، ومنذ حوالى 1510م كتابعين للحكم الفارسي.

خلال أعوام 1467م ـ 1469م اكتسح تركمان آق قوينلو مملكة قره قوينلو وحوصرت بغداد مرة أخرى. أمّا البصرة فقد كانت من نصيب شيوخ عرب من الجزائر والمنتفق.

في نهاية القرن بدأ الصعود الأسطوري للشاه إسماعيل الصفوي مؤسس الدولة الفارسية(*) كان الشاه إسماعيل ينحدر من أسرة دراويش شيعية واسعة النفوذ كان أتباعها يطيعونها إطاعة عمياء وقد تمكن من تمزيق مملكة آق قوينلو ذات التنظيم السيّىء. وفي عام 1502 توّج في تبريز. وما لبث أن تخلى عن التعاليم الصوفية الغنوصية (معرفة الذات الإلهية) التي كان تربى عليها وأعلن مذهب التشيع (الإمامية) مذهباً للدولة. وبعد أن وسع حدوده الغربية حتى الفرات الأعلى، وجه اهتمامه إلى العراق. وفي نهاية عام 1508م دخلت قواته بغداد. وبعد وقت قصير

(*) إسماعيل الصفوي. مؤسس الدولة الصفوية في إيران تولى السلطة عام 907 هـ وتوفي عام 930هـ (هو الذي فرض التشيع الاثنا عشري على الدولة قسراً وجعله المذهب الرسمي للدولة). (ماجد شبّر).

تبعها هو شخصياً فزار المدن المقدسة وأدّب في طريقه قبيلة الغازية التي كانت احتلت شيئاً فشيئاً المنطقة التي انسحبت منها خفاجة بين هيت والسماوة.

لقي الحكم الفارسي الترحيب في العراق، وإن كان السنيون في بغداد شكوا من تراجع دورهم ومن مقتل بعض المتحمسين الانفعاليين منهم. ولكن هذا الحكم لم يدم طويلاً، لأن صعود فارس توافق مع توسع الإمبراطورية العثمانية نحو الجنوب والشرق. ومنذ انتصار السلطان سليم في جالدران حيث دارت أول معركة بين الفرس والعثمانيين (1514م) ولم تتوقف الحرب بين السلطان والشاه إلا نادراً.

اتخذ العثمانيون من سقوط ذو الفقار، الذي كان قد اغتصب السلطة في بغداد وراح يدعو للسلطان (1529م)، ذريعة لاحتلال العراق. في نهاية عام 1534م دخل السلطان سليم الكبير بغداد بعد مسيرة صعبة عبر فارس. وبقي هناك حتى الربيع لكي يأخذ جنوده المنهكون قسطاً وافراً من الراحة ويقوم هو بتنظيم إدارة المقاطعة الجديدة. وفرض السلطان في العراق نظاماً لانتفاع الحكام المحليين وبقاء التزامات عسكرية ومالية تجاه السلطة المركزية، لكنه لم يستطع تطبيقه في المناطق التي يسكنها العرب وهي سناجق الحلة، والرماحية، والجوازر. واستبدل شيخ البصرة السيادة الفارسية بالسيادة العثمانية. وعومل الشيعة معاملة حسنة. وقام السلطان بزيارة المدينتين المقدستين ونفذ مشروعاً لتزويد كربلاء بالماء تماماً كما فعل الشاه إسماعيل بالنسبة للنجف. لكن رجال الدين الشيعة رفضوا كل سبيل للتفاهم واعتبرت القبائل الحكم التركي حكماً معادياً.

تبع ذلك 86 عاماً من الحكم العثماني اتسمت بحالة من الهدوء النسبي. فقد اقتصرت المعارك على المناطق الحدودية ولم تتخذ حجماً كبيراً إلا بعد 20 عاماً من السلام (1555م ـ 1575م). في عام 1584م احتلت الضفة اليسرى من دجلة الأسفل التي كانت حتى ذلك الحين تابعة للحويزة. ثم حلّت فترة سلام جديدة من عام 1590م حتى عام 1602م. كما أن الحرب التالية لم تمس العراق إلا قليلاً (سلام عام 1619م). في الداخل تبين بعد وقت قصير أن الحكم العثماني المباشر لبغداد وغير المباشر للبصرة سيؤدي إلى حدوث مشاكل. ففي عام 1546م احتلت المدينة دون

جهود كبيرة. ولكن بعد ثلاث سنوات حدث تمرد لقبائل الجزائر أدى إلى شل الحكومة في البصرة إلى أن جاءت قوات من بغداد وفرضت النظام من جديد.

في حوالى عام 1575م جاءت قبيلة جديدة متفرعة من طي، هي بنو لام، واحتلت ضفة دجلة بين الوادي (مجرى جداول بكساية) والعمارة وتقدمت حتى الجبال الإيرانية وحتى نهر الكرخة في منطقة الحويزة. وأصبحت أجزاء من ربيعة خاضعة لبني لام، إذ كانت قبيلتهم الأم قد غادرت المنطقة إلى منطقة تفرع دجلة وإلى الغراف، خاضعة بني لام.

كان العثمانيون في صراعهم مع الفرس هم المهاجمون في بادئ الأمر، لكن هذه العلاقة انعكست في عهد الشاه عباس الكبير (1587م ـ 1629م). إذ قام خائن هو بكر الصوباشي (ضابط شرطة) بتمهيد الطريق له إلى بغداد. وكان الصوباشي قد عزل عام 1619م بكلربك «رئيس البيگات» الضعيف ووضع نفسه عام 1621م مكانه. وتحت ضغط الجيش العثماني طلب النجدة من الفرس، لكنه أغلق في وجههم أبواب المدينة بعد أن اضطر قائد الجيش التركي للاعتراف به بكلربك «رئيس البيگات» على بغداد. وبعد حصار دام نحو ثلاثة أشهر فتح ابن الصوباشي أبواب المدينة الجائعة أمام الفرس. فدخلوها وقتلوا مئات السُنّة وسبوا آلاف النساء والبنات وباعوهن كعبيد في فارس (1623م).

لم يقبل العثمانيون بهذه الخسارة بل قامت الجيوش التركية عام 1625م حتى 1626م وعام 1630م بمحاصرة بغداد أشهر عديدة لكنها أرغمت في المرتين على الانسحاب تحت ضغط الجيوش الفارسية التي جاءت لنجدة المدينة. وشاركت في هذه الحرب مجموعتان من القبائل هما الموالي إلى جانب العثمانيين والغازية إلى جانب الفرس. واقتداء بقبيلة أبو ريشة، التي كانت قد أقامت منذ عام 1550م دولة في وادي الفرات بين قلعة جعبر وحديثة، أصبح بنو مهنا، شيوخ الغازية، سادة دولة مشابهة امتدت من الفلوجة حتى السماوة. وكانت كلا الدولتين تعيشان من الرسوم الجمركية التي تجبيها على طريق حلب ـ البصرة.

في يوم عيد الميلاد 1638م سلّم حاكم بغداد المدينة للسلطان مراد الرابع بعد حصار دام أربعين يوماً. وعند دخول القوات التركية إلى المدينة حدثت مصادمات ومعارك انتهت بمجزرة ضد الحامية الفارسية. وعندما انفجر بعد عدة أسابيع مستودع البارود في المدينة تكررت الأحداث الدموية. وانتشرت على إثر ذلك حالة من الرعب في البلاد بحيث لم تحدث مقاومة إلا في مكان واحد: كان شيخ الخزاعل الوحيد الذي ثار عام 1639م ضد العثمانيين قرب السماوة. صحيح أنه انهزم وأرغم على الفرار إلى إيران، لكن وقوفه إلى جانب الشاه أصبح مثالاً تسبب في نشوب عداوة بين الخزاعل والعثمانيين.

وكما حدث بعد الاحتلال التركي الأول، دخل العراق بعد عام 1638م، مرة أخرى ولفترة طويلة إلى دائرة الظل. وفي هذه المرة أيضاً كان إخضاع البصرة المهمة الرئيسية لحاكم بغداد. وقبل الاحتلال الفارسي الثاني، حوالى 1612م، قام أحد باشاوات البصرة، بعد أن تعب من النزاع المتواصل بين الحامية التركية من جهة والسكان والقبائل الرافضين من جهة أخرى، ببيع منصبه لرجل نبيل وغني من الدير اسمه أفراسياب. وكان أفراسياب باشا وابنه علي باشا مجبولين على حب السلطة. فقد وسّعا المنطقة الضيقة التي كانت تابعة للبصرة حتى جبان على الجانب الآخر من الشط وحتى العزير على دجلة، وبعد معركتين حول الجزائر حتى كوت المعمر على نهر الفرات. وكان الحظ حليفهما إلى حد بعيد: ففي عام 1625م سحب الشاه عباس الكبير فجأة ولأسباب غير معروفة القوات التي كانت تحاصر البصرة لأن الشاه كان غاضباً من الديريين (أفراسياب)(*) بسبب اتصالهم بالبرتغاليين. وفي عام 1629م تخلصت البصرة من حصار ثانٍ طويل بسبب وفاة الشاه. أمّا الباب العالي فكان عليه مراعاة الحكام الذين كان من الممكن أن يلجأوا في أي وقت إلى الفرس، واكتفى بأن يعترفوا شكلياً بالسيادة العثمانية. ونظراً لما

(*) قامت إمارة أفراسياب عام 1005 هـ بعد أن اشترى أفراسياب الذي كان كاتب للجند المحافظة في البصرة، بثمانية أكياس رومية وكل كيس رومي ثلاث محمدية على أن لا يقطع اسم السلطان من الخطبة. العزاوي، العراق بين الاحتلالين ص 149، ج4. (م. شبّر).

اتسم له الديري(*) من حكمة وتعقل فقد ازدهرت تجارة البصرة في عهده كان تجار بريطانيون وهولنديون وهنود يلتقون هناك مع تجار من القسطنطينية وسميرنا (Smyrna) وحلب ودمشق والقاهرة.

إلاّ أن الأفراسياب الثالث حسين باشا (منذ حوالى 1650م) كان من طينة مختلفة، كان يميل إلى الغرور والمبالغة في تقدير الذات ويرغب في توسيع سلطته. ولم يدرك أن زوال الخطر الفارسي سيجعل العثمانيين يحرمونه من كل شكل من أشكال المراعاة. وكان أبوه قد تراجع على الفور عندما اصطدم مع حاكم بغداد عند محاولته احتلال عرجه (فوق كوت المعمر) وزكية (فوق العزير).(**) لكن حسين لم يكن يتمتع بهذه المرونة. وأدى نزاع عائلي إلى قدوم أول حملة تركية ضده. فدخل باشا بغداد إلى البصرة بدعم من أهالي الجزائر وفرّ حسين باشا. إلاّ أن الباشا الجديد كان شديد الجشع فامتعض منه السكان وقام تمرد ضده مكّن حسين الهارب من العودة. وأسفرت أفعاله في الأحساء (راجع ص 197 أعلاه) عن قيام مشروع ثانٍ أكبر بكثير (1665م ـ 1666م). لكن الجيش العثماني لم يتمكن من الاستيلاء على القرنة وبذلك بقي حسين سيداً على البصرة وإن كان قد اضطر إلى القبول بتقييد سلطته. وأخيراً جاءت حملة جديدة في شتاء 1667م ـ 1668م أدت إلى طرده.

خلال هذه العمليات ظهر بنو المنتفق مرة ثانية، في البادية كحلفاء للأفراسياب ثم بعدئذ للأتراك. وفي العقود اللاحقة ازدادت قوتهم إلى درجة أن شيخهم مانع من عائلة شبيب تمكن عام 1694م من الاستيلاء على البصرة. وبعد ذلك هجم على منطقة الحويزة لكنه هزم على يد الوالي فرج الله خان. وبالاتفاق، ليس فقط مع سيده ملك الفرس وإنما أيضاً مع العثمانيين قام فرج الله بطرد شيخ المنتفق من

(*) ينسب أن ديري «أي كنيته» منسوبة إلى نهر الدير من أنهار البصرة (العزاوي، العراق بين الإحتلالين ج4، ص 140. (م. شبَّر).

(**) يعتبر مرقد عزرا الكاتب «السوفير» الواقع بين القرنة والعمارة بالقرب من البصرة والذي يسمى «العزير» ثاني أقدس المزارات اليهودية في العراق بعد الجفل وكان يهود العراق يسمون أولادهم باسم «حسقيل عزرا» معناً تأكيداً على أهمية النبي حسقيل «ذو الكفل» وعزرا الكاتب العزير. سمير نقاش جريدة المؤتمر عدد 351 (م. شبَّر).

البصرة، لكنه أرغم بعد ذلك على التنحي لصالح والٍ فارسي. وعندما عزل في الحويزة أيضاً تحالف مع الشيخ مانع لكي يسقط خليفته ـ كانت هناك تحركات للبدو في جميع أرجاء العراق: هدد الخزاعل، المتمردون منذ عدة أعوام، الحلة. ونهب بنو عمير (ربيعة) الجوازر[1]. كما أن بني لام تحركوا أيضاً. وسيطر المتمردون على كامل المنطقة الممتدة من منبع ديالى ومن الحلة حتى البصرة. واحتاج الأمر إلى قوات هائلة لاستعادة الهدوء. إذ تمّ زجّ قوات الولاية الشرقية وجميع القوات الكردية المساعدة، بالإضافة إلى تجهيز أسطول في بيره جيك في الفرات الأعلى. وسُلِّمت القيادة لباشا بغداد. تمكن الباشا من أداء الجزء الأول من مهمته دون إراقة الدماء، إذ أن بني لام تفرقوا دون قتال واستسلم مانع وفرج الله وانسحب الفرس من البصرة (1701م). لكنه لاقى مقاومة على نهر الفرات. وقد تمكن من كسر المقاومة غير أنه لم يتمكن من القبض على زعماء الخزاعل. ولذلك لم تحقق الحملة الفائدة المرجوة. ففي عام 1704م قام الخزاعل بتمرد جديد، وفي عام 1706م اندلعت حرب جديدة مع المنتفق تطلبت إرسال قوات مركزية واستمرت حتى عام 1709م كان بنو لام خصماً في غاية الصعوبة للتغلب عليهم لأنه كان في وسعهم عند الضرورة الانسحاب عبر الحدود إلى الحويزة وبالعكس. في هذه الأثناء حدثت خلافات في أسرة الوالي دفعت عبد الله خان إلى دخول المنطقة العثمانية عام 1785م[*]. وفي عام 1717م شن الأتراك هجوماً معاكساً فدخلوا الحويزة وطاردوا بني لام حتى نهر الكرخة. وفي غضون ذلك كانت قد جاءت قبائل جديدة: في نهاية القرن السابع عشر جاءت الموجة الأولى من شمر إلى حدود البادية الغربية (الجزء الأول، 218 وما بعدها) فدفعت الغازية، الذين أصبحوا يسمون باسم فرعهم القيادي قشعم (چشعم)، إلى منطقة أقرب إلى الفرات. وفي الوقت نفسه تتقدم الزبيد من منطقة الرافدين العليا إلى الجزيرة ويحولون المنطقة الزراعية، الممتدة على الفرات

(1) الجوازر ـ ذكرت كثيراً من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر ـ يبدو أنها تعني بالمعنى الضيق «الجزيرة» الواقعة بين دجلة وشط/نهر الدجيلة، وبالمعنى الأوسع المنطقة الواقعة عند تفرع دجلة. وتجدر الإشارة إلى أن الاسم قديم، انظر خورشيد وقدامة.

(*) خطأ مطبعياً الصحيح هو 1715م وليس 1785م. كما في النص الألماني. (م. شبّر).

من الحلة إلى عمق الداخل، إلى منطقة تابعة للقبيلة.

بعد عدد لا حصر له من الحملات المضنية على حسن باشا والي بغداد من وضع حدّ لحالة الفوضى السائدة. وكان حسن باشا، الذي تربّى في سراي السلطان، رجلاً مهذباً معتدلاً ومحباً للخير مما جعله يفعل الأفضل للبلد من عام 1704م حتى عام 1724م. واعترف الباب العالي بخدماته بأن ضم إليه ولايته البصرة وماردين وأعطاه نفوذاً واسعاً في منطقة كركوك. وكان عدد من أقربائه يعمل تحت قيادته ومن بينهم ابنه أحمد باشا.

توفي حسن باشا عام 1724م في كرمنشاه في إيران. وقبل عام من ذلك التاريخ كانت المملكة الصفوية قد انهارت بسبب ثورة الأفغان. وقام الشاه سلطان[1] حسن بتسليم العاصمة أصفهان والتاج لزعيم الثوار مير محمود. وكان الأتراك قد زحفوا أيضاً على فارس لكي يتقاسموا الغنيمة مع الأفغان. عُيِّن أحمد باشا خلفاً لأبيه فهجم على همدان لكنه لم يجد رداً على الدعاية التي نشرها أشرف خان الماكر (خليفة المير محمود): "السنيون ضد السنيين؟"، مما جعله يخسر المعركة ضده. وعلى الرغم من ذلك تخلى أشرف في صلح عام 1729م عن المناطق الفارسية الغربية للأتراك. لكن نادر شاه، محرر فارس، الذي كان آنذاك لما يزل في خدمة الشاه طهماسب (ابن الشاه حسين)، أعلن إلغاء الاتفاقية وإلغاء الصلح الذي عقده طهماسب مع الأتراك بعد انتصار أحمد باشا في كوريجان (1731م) في أول عام 1732م. وفي نهاية العام زحف نادر على بغداد. وسبق حصار المدينة سلسلة من المعارك العنيفة. وبعدما كانت المدينة على شفا السقوط أنقذها انتصار جيش مركزي (في 19 يوليو/ تموز 1733م) بقيادة طوپال عثمان باشا. وبعد ذلك هاجم نادر بغداد مرتين: في خريف 1733م وفي عام 1743م. وفي عام 1746م انتهت هذه المرحلة الجديدة من الحروب الفارسية، وبقيت حدود عام 1639م قائمة.

أدى غياب القوات وانشغال جميع القوى في الحرب إلى تشجيع البدو على التحرك. فوقفت شمر وبنو لام إلى جانب الفرس وهددت المنتفق البصرة. فشن

---

(1) سلطان ليس لقباً وإنما جزء من الاسم.

أحمد باشا الكهية، وقبله محمد باشا ثم سليمان باشا أبو ليلى، حملات متواصلة لإخضاع البدو؛ وكان أحمد باشا يستغل كل توقف للقتال لكي يقوم بحملات تأديبية ضدهم.

على الرغم من كل هذه الإنجازات لم تكن القسطنطينية تثق به، حيث كان مثال الصوباشي لم يزل ماثلاً أمام العين: وهو نفسه خشي على مركزه. ويقال بأنه هو الذي حرض المنتفق على الثورة لكي يثبت للباب العالي أنه لا غنى له عنه. وبالفعل فقد أعطى زعيمهم الشيخ سعدون عدداً كبيراً من الأراضي المزروعة بالنخيل المثمر قرب البصرة. أدت هذه الحيازة إلى جعل بني شبيب أو آل السعدون، كما أصبحوا يسمون لاحقاً، يتمتعون بقوة لم تتمتع بها أية عائلة مشايخ أخرىٰ.

توفي أحمد باشا عام 1747م دون أن يخلف وريثاً ذكراً. وعلى الرغم من ذلك أسس أسرة ملكية بكل معنى الكلمة: كان أبوه قد نظم حياة القصر على طريقة السراي في القسطنطينية. فكان العاملون لديه في القصر يحصلون في "غرف" مختلفة على أفضل تعليم وتأهيل مما جعلهم يصبحون لاحقاً موظفين وضباطاً. في البداية كان هؤلاء العاملون يؤخذون من عائلات تركية ومحلية؛ لكنهم فيما بعد صاروا يجندون من العبيد، غالباً من القوقاز (من الجورجيين والشركس). وزاد أحمد من حجم هذا الجهاز بحيث تولى أعضاءه شيئاً فشيئاً جميع المناصب العامة في البلاد. كما أن صهريه، سليمان أبو ليلى وعمر آغا، كانا من المماليك[1]؛ وذلك لأن أحمد باشا كعثماني لم تكن لديه أي أحكام اجتماعية (تمييزية) مسبقة. لكن الأمر كان مختلفاً لدى العرب: فعندما أمر سليمان أبو ليلى بقطع رأس الشيخ سعدون (1742م أو 1743م) حدثت ضجة كبيرة لأن عبداً سابقاً تجرأ على وضع يده على عربي حر هو زعيم المنتفق[2].

(1) بالتركية: كولمن.

(2) لم يزل البدو وأحفادهم حتى اليوم يسمّون أحفاد المماليك (القليلين)، ومن بينهم إحدى العائلات الأولى في بغداد، احتقاراً "الموالي".

بعد وفاة أحمد انتظر الناس في بغداد تعيين أبي ليلى خلفاً له، لكن الباب العالي كان مصمماً على وضع نهاية لسلالة حسن باشا. غير أن خطة الباب العالي فشلت لأن الأشخاص الثلاثة الذين عينهم خلال عامين فشلوا جميعاً. وفي عام 1749م جاء سليمان من البصرة، حيث كان قد عين متسلماً[1] لها قبل وقت قصير، إلى بغداد وأجبر الحكومة على الاعتراف به. ومنذ ذلك الحين فشلت جميع المحاولات الرامية إلى إبعاد المماليك. وفي كثير من الأحيان كانت تنشب خلافات بين المماليك أنفسهم حول شغل المنصب الأعلى، على الرغم من أنهم فيما عدا ذلك كانوا متماسكين جداً: فقد قام زملاء علي، خليفة أبي ليلى، (1762م ـ 1764م) بإسقاطه وتعيين عمر، صهر أحمد باشا، مكانه (1764م ـ 1774م). ولكن الاختيار كان سيئاً لأن عمر ترك وراءه دولة مفلسة والعديد من المشاكل غير المحلولة. وهكذا فقد الحكم السمعة المحترمة التي اكتسبها لدى البدو بعد الحملات التي شنها أبو ليلى.

تحدثنا في الجزء الأول عن الظروف الفوضوية التي سادت في بغداد بين وفاة عمر باشا وتعيين سليمان باشا الكبير ـ كان سليمان قد بدأ متسلماً في البصرة. وكانت البصرة المدينة المرفئية المزدهرة قد تراجعت جداً نتيجة إصابتها عام 1773م بوباء الطاعون. ثم لاح في الأفق احتمال هجوم فارسي عليها. من بين زعماء القبائل، الذين تنازعوا على خلافة نادر شاه بعد اغتياله (1747م) برز كريم خان زند الذي أصبح حاكماً على جنوب فارس وغربها. وفي عام 1765م أخضع بني كعب، وهم قبيلة كانت قد استوطنت في بداية القرن السادس عشر بموافقة أفراسياب باشا في منطقة جبان. ومنذ هذه الحملة التي قادت كريم خان إلى شط العرب كانت العلاقة بين الأتراك والفرس متوترة. ثم أدى خلاف على الحدود في كردستان إلى اندلاع الحرب. في عام 1775م بدأ حصار البصرة. صمد سليمان آغا في البصرة 18 شهراً على الرغم من أنه لم يتلق مساندة من بغداد، حيث كانت تعم الفوضى، ولأن

(1) مكلف بإدارة مدينة.

الحكومة المركزية التي كانت منهكة بسبب حروبها الأوروبية. وعندما تقدم الفرس بعدئذ إلى الفرات اصطدموا ببني المنتفق. صحيح أن بني المنتفق لم تشارك بكل ما لديها من قوة في الدفاع عن البصرة، لكنهم استبسلوا في الدفاع عن الأراضي العائدة لهم وهزموا المهاجمين الفرس ثلاث مرات. ظلت البصرة في يد الفرس حتى وفاة كريم خان 1779م. وعندما عاد سليمان آغا من الأسر وجد البصرة في يد المنتفق. لكن الشيخ ثامر السعدون قتل في حرب قبلية وقام خليفته ثويني بفتح أبواب المدينة له أي لسليمان آغا. وبعد وقت قصير أصبح سليمان الكبير والياً على بغداد وشهرزور (وكانت البصرة قد سلمت له قبل ذلك).

لم يكن سليمان الكبير (1780 ـ 1802م) رجل دولة مثل حسن باشا، وكان ينقصه أيضاً الحماس وطيبة القلب وحب الشهرة الذي تحلى به أحمد. لكن مظهره الخارجي كان يسحر الناس وكان حاكماً جيداً. وقد أدى بنجاح المهمتين اللتين كانتا تقعان على عاتقه وهما: إعادة النظام إلى البلاد الممزقة وحمايتها من الوهابيين. وقام بعد صراع عنيف (1787م) بطرد ثويني الذي كان قد تمترس في البصرة وعيّن مكانه حمود بن ثامر، لكنه قبله وآواه عندما عاد بعد أربع سنوات لاجئاً لا موطن له، ثم كلفه عام 1796م بقيادة حملة إلى شبه الجزيرة العربية. وأخيراً تعكرت أيامه الأخيرة بمؤامرة في القصر راح ضحيتها الكهية الذي كان رفيق شبابه وخادمه.

انتصر في الصراع الذي نشب حول خلافته صهره علي باشا (اغتيل عام 1807م). فخلفه ابن أخيه سليمان الصغير الذي راح ضحية حب السلطة لدى السلطان الجديد محمود الثاني ـ تحذير تجاهله خلفاؤه من بعده. فقد خيره رسول السلطان، الرئيس حالت أفندي[1]، بين دفع جميع الضرائب[2] المتأخرة أو التخلي

---

(1) ما يشبه تقريباً وزير الشؤون الخارجية.

(2) في هذه النقطة كان جميع باشاوات المماليك مقصرين ومن الواضح أنهم لم يتلقوا معونات من السلطة المركزية كسابقيهم.

عن منصبه. فرفض سليمان الخيارين. لكن قواته هربت أمام الجيش الذي حشده حالت أفندي في الموصل، وقُتل هو نفسه عند ديالى على يد شيخ قبيلة صغيرة (1810م). واعتقد المملوك التالي عبد الله باشا أنه مهدد من سعيد باشا أحد أبناء سليمان الكبير. ولجأ سعيد في آخر عام 1813 إلى حمود الثامر شيخ المنتفق. فلحقه عبد الله متسرعاً وتمكن خصومه أي خصوم عبد الله من الانتصار عليه وأسره. وبعد ذلك راح مع مرافقيه ضحية عملية ثائر (1813م). فدخل حمود إلى بغداد مع سعيد الذي كان في حمايته؛ وكان هذا نصراً لآل سعدون لا مثيل له. لم يكن سعيد مؤهلاً لمنصبه، فلم يكن عمره سوى واحد وعشرين عاماً ولم تكن لديه أي خبرة في إدارة شؤون الدولة، وخاصة بعد خلافه مع أخي زوجته ومستشاره الدفتردار (مسؤول الشؤون المالية) داود أفندي. ثم حدث تمرد بدوي رهيب شاركت فيه زبيد والخزاعل وشمر لم يتم التغلب عليه إلا بتدخل المنتفق (1814م ـ 1815م). وفي عام 1816م عُزل سعيد وعين داود خلفاً له. لكن سعيد رفض العزل وشن هجوماً بمساعدة المنتفق باء بالفشل وبسبب نفاد الأموال والمؤن اضطر إلى ترك حلفائه ولجأ إلى القلعة حيث قتله الينكجرية آغا(*) بعد أن فتح له الحراس الأبواب.

بدأ داود حكمه بعقوبات تأديبية ضد بلاط سلفه، لأنه كان قلقاً على أمنه الشخصي وكان في وضع مالي صعب. وكان الرسول الذي جلب له فرمان (قرار) تعيينه ينتظر هديته وكانت القوات تنتظر رواتبها. وفي نهاية عام 1818م بدا أن صادق بيك أراد تكرار اللعبة التي لعبها أخوه سعيد. لكن الأمر اقتصر على تمرد الزبيد والخزاعل الذي كان غير مؤات لداود لأنه جاء في وقت كان الفرس يستعدون فيه لشن هجوم ، في كرمنشاه كان يجلس محمود علي ميرزا، أحد أبناء فتح علي شاه (من سلالة القاجاريين 1796م ـ 1925م)، حاكم الولاية الغربية وكان مصمماً على إخضاع دولة بابان الكردية ووضعها تحت السيادة الفارسية. وما أن أعلنت الحرب حتى

(*) وهو محمد آغا معتمد حالت (العزاوي العراق بين الاحتلالين ج6، ص 241) (م. شبّر).

اجتازت قواته الحدود؛ ثم شن هجومين آخرين في الأعوام التالية إلى أن أعاد سلام (صلح) ارضروم(*) (1823م) الوضع إلى ما كان عليه.

في عام 1825م عزل داود باشا حمود باشا الثامر، الذي كان تخلف عن دفع ضرائبه عدة أعوام، وعين مكانه قريباً له اسمه عجيل. لكن العجوز الضرير قاوم العزل بكل ما لديه من قوة إلى أن نجح عجيل "الكريم" في كسب تأييد المنتفق. فكافأه داود بتوسيع المنطقة الخاضعة لسلطته.

كما هي الحال هنا كانت السلطة المركزية قد تخلت في كل مكان عن الإدارة المباشرة. ففي الفرات لم يكن يوجد تحت الحلة أي موظف بعد. وفي كل مكان صار الشيوخ الكبار يؤدون دور متعهد الضرائب. وإذا ما امتنعوا عن التسديد تشن حملة ضدهم لتحصيل جميع الضرائب غير المسددة منذ أعوام. ما عدا الفلاحون العاملون على الأنهار والقنوات البعيدة عن بغداد، والذين كانوا مرتبطين قبلياً ولكن بسبب تفرقهم ليس لهم شيخ كبير واحد، كانوا تابعين لثلاثة مراكز يديرها المماليك.

أدت اضطرابات العهد الوهابي إلى هجرة قبائل جديدة إلى العراق: شمر جربا، وظفير، وعنزة ـ عمارات. ومن القبائل القديمة كانت زبيد قد أصبحت نصف بدوية، لا بل مستوطنة. وكان اتحاد القشعم قد انحل وعبر أعضاءه: سعده، ورفيع، وحميد، الفرات. وفي وقت لاحق استوطنت حميد على الغراف وانضمت إلى المنتفق؛ أمّا سعده ورفيع فما زالا حتى الآن، كالقشعم ذاتهم، بدواً رحلاً.

منذ بناء قناة الدغارة (1795 ـ 1796م) بدأت قبائل الأقرع «الاگرع». وعفك «عفج» والبدير، التملص من سيطرة شيوخ الخزاعل وتبعتهم الجبور المقيمة على النهر باتجاه الأسفل تحت الحلة. وعلى الضفة اليسرى لنهر دجلة، تحت طيسفون (المدائن)، كانت قد استوطنت في القرن الثامن عشر شمر ـ طوقه التي جاءت من

(*) معاهدة أرضوم الأولى الموقعة في 18 تموز 1823م بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية. (م. شبّر).

الموجة الأولى لشمر، ولكنها لم تعتبر أبداً ـ لأسباب غامضة ـ شمرية تماماً.

منذ أن بدأ السلطان محمود الثاني بضرب الزعامات الإقطاعية التي انتشرت على نطاق واسع في جميع أرجاء الإمبراطورية، كانت الأبهة المملوكية قد حكم عليها بالسقوط. وكان رفض داود المساهمة في تمويل الحرب الروسية (1828م ـ 1829م) النقطة الحاسمة. فعندما قام داود بخنق الرسول الذي حمل له أمر عزله، لأنه هو نفسه كان خائفاً على حياته، لم يتبق سوى الحرب. وتولى علي رضا باشا هذه المهمة الصعبة. فخرج على رأس قوات ضعيفة في أول فبراير/ شباط 1831م من حلب. وفي الموصل انضمت إليه قوات أخرى. كما أن داود كان قد أعد العدة أيضاً وجهز ما لديه من قوات: حرس الـ 1800 إنش آغا[1] و(القوات الجديدة) التي حلت منذ عام 1826م هنا أيضاً محل الانكشارية وعددها بضعة آلاف رجل، وبعض الكتائب القديمة، عقيل، وهم مرتزقة من نجد كانوا يعملون منذ عدة عقود في خدمة المماليك. ولكن أسلحته انتزعت فجأة من يده. ففي أول أبريل/ نيسان وصل الطاعون إلى بغداد. وعندما بدأ في منتصف مايو/ أيار بالانحسار لم يكن هناك دولة ولا جيش وكانت بغداد مدمرة؛ لأنه لم يكن هناك أحد لدرء الفيضان. وفي آخر أيام الوباء أصيب داود نفسه بالمرض. وعندما تماثل إلى الشفاء بلغه أن دعاته ومعهم الأموال المخصصة لتمويل الحرب سقطوا في أيدي شمر ـ طوقة. ولم يحاول أحد منع طلائع القوات التركية ـ قاسم العمري، باشا الموصل، وصفوق «صفوك» الجربا[2]. وسليمان الغنام العقيلي[3] ـ من دخول بغداد. فغادر داود القصر وقام نبلاء ورجال دين بتسليمه لأحد ضباطه. وفجأة تغيرت مواقف الناس؛ فقد استاء المواطنون من السلوك الوقح لعقيل وشمر، وخاف من بقي على قيد الحياة من الضباط والجنود من إشاعة تقول بأن الانقلاب سيكلفهم حياتهم. وبينما كان قاسم باشا ينتظر تسليمه داود حاصرته فجأة في منزله قوة من المماليك وعقيل

(1) الحاشية الشخصية للباشا. كان عدد موظفيه مع حاشيتهم 1700 رجل.

(2) انظر الجزء الأول، ص 238.

(3) قاتل العقيليون عن كلا الجانبين.

وأجبرته بقوة السلاح على الاستسلام. وتمكن الماكر سليمان الغنام، الذي كان مختبئاً في السراي، من الفرار. ولكي يغطي فراره أشعل النار في القصر الذي احترق بما فيه من ثروات لداود لا تقدر بثمن. وفي هذه الأثناء كان علي رضا قد انطلق من الموصل ووصل في أول يونيو/حزيران إلى بغداد. وفي سبتمبر/أيلول عرض، بسبب خشيته من تفكك قواته، شروطاً جيدة لاستسلام المدينة. فتردد داود ونائبه في اتخاذ القرار، ولكن في ليلة 14 أيلول فتح جنودٌ أنهكهم القتالُ أحدَ أبواب المدينة وسمحوا لقوات العدو بالدخول. بعد الاستيلاء على المدينة أرسل داود إلى القسطنطينية[1]. وبعد أيام قليلة دعا علي رضا المماليك إلى اجتماع عنده كي يقرأ عليهم قائمة التعيينات. وعند انتهاء الحفل قتلهم جميعاً دون استثناء. وكان هناك عدد قليل منهم مختبئاً في الأرياف عفا عنهم علي رضا في وقت لاحق.

كان علي رضا (1831م ـ 1842م) يتصرف آنذاك بأمر السلطان. أمّا هو نفسه فكان رجلاً طيباً يسيره الآخرون. وأمّا خلفاؤه: نجيب (1842م ـ 1849م)، "محمد رشيد الكوزلكي" (1853م ـ 1858م) الذي كان يهتم كثيراً بنظافة الجهاز الإداري للدولة، (السردار الأكرم عمر باشا 1858 ـ 1859م) الذي كان جندياً من المدرسة القديمة، ونامق (1852؛ 1861 ـ 1868م) الذي أراد حل مشكلة القبائل بوسائل قاصرة، وغيرهم، فليس هناك الشيء الكثير الذي يمكن قوله عنهم. فقد كانوا جميعاً، بوعي أو بلا وعي، أدوات في عملية أدت إلى فك الروابط القروسطية، التي كانت حتى ذاك الحين تحدد العلاقة بين الحكام والمحكومين، وإلى إحلال الحكم المطلق محل النظام الإقطاعي. وعلى هذا الأساس توجب ضرب التنظيمات القبلية وتحويل زعماء البدو من أتباع (شبه مستقلين) إلى رعايا خاضعين خضوعاً كاملاً. وبما أن السادة الجدد لم يكونوا في بادئ الأمر قادرين على إرضاء القبائل وبشكل دائم. لأنهم لم يكونوا قادرين على إعطائهم، مقابل خضوعهم وتخليهم

(1) عفا عنه السلطان وحماه. وتمكن داود بعد ذلك من أن يصبح والياً على البوسنة ورئيساً لمجلس الدولة. توفي عام 1851م وكان شيخ في حرم المدينة.

عن حريتهم، الأمن على حياتهم وممتلكاتهم ولا الحماية من التعسف والاستغلال، فقد أدت هذه السياسة إلى تفتيت البلاد وزرع بذور الكراهية بين الأتراك والعرب.

استمر تحرك القبائل نحو الهندية وامتدادها حتى شط الشامية والذي كان قد بدأ في عهد المماليك. وكان المهاجرون قد جاؤوا في المقام الأول من منطقة الخزاعل بين الديوانية والسماوة، ولكن أيضاً من مناطق المنتفق ومن الحويزة نفسها. في بادئ الأمر تعايش أوائل المهاجرين مع الخزاعل، ولكن بعد ذلك حدث تباعد بين الطرفين وانفصلت قبائل الهندية وبعض قبائل الشامية بقيادة بني حسن وفتلة عن الخزاعل ـ في عهد علي رضا بدأ تمييز تعسفي لصالح زبيد. فقد عيّن نجيبُ شيخَ الزبيد وادي ابن شفلّح رئيساً للخزاعل والمجموعات التابعة لهم، إلى أن ثارت قبائل الهندية ضد هذا الترتيب وأسقطت وادّي والباشا. غير أن الاضطرابات استمرت مما استدعى في الخمسينيات والستينيات إرسال عدة حملات لإخضاع الخزاعل وأتباعهم السابقين. وكان علي رضا يدلّل المنتفق لأن الشيخ عيسى السعدون التحق به في الوقت المناسب وقتل سلفه عجيل في المعركة. وبلغت أسرة السعدون ذروة سلطتها في الأربعينيات: فقد كانت تحكم من الغراف والسماوة حتى البصرة، وعلى أسفل دجلة حتى الحدود الفارسية. ولكن منذئذ بدأ نفوذها بالتراجع. في عام 1852م احتل الأتراك السماوة مما أدى إلى استقلال جماعة بني حكيم «حجيم». وقام نامق بتخليص كوت الحي عن السعدون وجزءاً من منطقتهم على دجلة. إلا أن محاولته زيادة التضييق على المنتفق باءت بالفشل بسبب تضامن السعدون معهم ولم تجلب للبلاد سوى الحرب والبؤس.

في الخمسينيات استقل البو محمد، وانحدروا من العمارة نحو الأسفل ـ معدان وقراصنة نهريون سيئوا السمعة ـ، واستقلوا عن بني لام بسبب قوة شيوخهم التي لا تراعي أي شيء. وبسب تأسيس مديرية العمارة (1862م) فقد بنو لام مزيداً من الرعايا لأن السلطات أجّرت الأراضي لشيوخ القبائل الكبيرة مباشرة. وشيئاً فشيئاً استوطنت زبيد وربيعة، بينما أصبحت القبائل الفلاحية الصغيرة في هور عقرقوف، والدجيل وعلى قنوات ديالى، تعاني في ظل نظام زراعي متخلف من

ابتزاز جباة الضرائب وغزوات السلب والنهب التي تقوم بها عنزة وشمر.

ترك مدحت باشا، أهم رجل دولة تركي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، آثاره الإصلاحية في العراق أيضاً على الرغم من أن إقامته هناك كانت قصيرة جداً (1869م ـ 1872م) وإصلاحاته كانت متسرعة مما جعل تأثيرها غير عميق. فقد فرض نظام الطابو (لتسجيل الملكيات العقارية) في العراق لكي ينهي حالة انعدام الأمان القانوني على الملكية، الذي نجم عن نظام الأتاوات القديم، وعن عقود وبيع وشراء أراضي غير قانوينة، وعن توزيع الباشاوات (داود، وعلي رضا) للأراضي بطريقة كيفية، وعن امتلاك القبائل للأراضي بالعرف والعادة. وكان يأمل من وراء ذلك تشجيع البدو على الاستيطان، لكن الشيوخ خافوا من تكاليف التسجيل ومن تدخل السلطات في شؤونهم. وكان آل السعدون، أو على الأقل زعيمهم آنذاك ناصر باشا، الوحيدين الذين وافقوا على اقتراح مدحت باشا الذي يقضي بتوزيع أراضي منطقة القبيلة بين الحكومة وآل سعدون وتحويل منصب شيخ المشايخ إلى منصب متصرف سنجق جديد (اليوم: لواء)(*). في بادئ الأمر نجحت الخطة. وأصبحت الناصرية التي تأسست بأمر من مدحت باشا على نهر الفرات عاصمة السنجق الجديد. وقد تسابق السعدونيون في إبداء الولاء لكي يحصلوا على أكبر كمية ممكنة من الأراضي. لكن هذا الوضع قضى على تضامن الأسرة وحوّل العلاقة السابقة بين شيخ المشايخ والقبائل إلى علاقة بين مالك أرض وفلاحين. أدى هذا الوضع إلى حالة من الغضب العام انفجر عام 1878م في ثورة خطيرة ضد آل سعدون ومساعديهم الأتراك في منطقة الغراف التي شملها الإصلاح أكثر من أي منطقة أخرى. وعلى إثر ذلك تمّ التخلي عن الربط بين مركز الشيخ وصفة الموظف. ومنذئذ أصبح سنجق المنتفق يُدار من قبل الأتراك. ولكن الأتراك لم يكونوا سعداء بهذا النظام الجديد. فالاضطرابات ظلت قائمة وكانت الحكومة وآل سعدون يضطرون بين حين وآخر إلى القبول بجزء من إيجار الأرض.

(*) لقد تمّ تغيير إسم لواء المنتفق بعد أن عرف لمدة طويلة وأصبح يطلق عليه في العهد الملكي متصرفية الناصرية ومن ثم لواء الناصرية وبعدها أطلق عليه إسم محافظة ذي قار (م. شبّر).

لم يأت بعد مدحت باشا والياً هاماً. وفي مجال الإدارة كانت تُجرى التجارب، فكانت البصرة ترفع مرة إلى مستوى المنطقة المستقلة، وتوضع مرة أخرى تحت سلطة بغداد. وقام السلطان عبد الحميد بتملك مساحات واسعة من الأراضي في مناطق مختلفة وخاصة على نهر دجلة. ولم يؤدِ ذلك إلى حدوث أي تغيير في نظام التأجير القائم، ولكن مع ذلك استفاد الفلاحون من تبدل المالك لأن السلطان صار حريصاً على فتح أقنية الري وغير ذلك من التحسينات.

كان انقلاب تركيا الفتاة عام 1908م يعدّ انتكاساً في هذه الناحية وفي بعض النواحي الأخرى؛ وذلك لأن الإدارة السنيّة التي تولت إدارة الأراضي الأميرية كانت فاشلة. إذ أن بلداً متخلفاً كالعراق لم يكن ناضجاً لنظام يعتمد على الأحزاب السياسية. عندما تحوّل حزب تركيا الفتاة في السياسة الداخلية للفكر القومي ظهرت في العراق أيضاً اتجاهات انفصالية. صحيح أن بغداد ذات الأكثرية السنّية(*) والتي تحتوي على كثير من العائلات التركية ظلت موالية للعثمانيين، لكن في البصرة تحول الحزب التركي القديم، الذي يرأسه نقيب الأشراف وابنه سيّد طالب (انظر الصفحة 114 أعلاه)، شيئاً فشيئاً إلى مجموعة تسعى إلى جعل البصرة إمارة مستقلة.

وبما أن سيد طالب كانت تربطه صداقة مع الشيخ خزعل في المحمرة والشيخ مبارك في الكويت، وهما حليفان للمملكة البريطانية أو بالأحرى خاضعان لحمايتها، فقد بدأ الناس في البصرة أيضاً يوجهون أنظارهم إلى بريطانيا.

كان النفوذ الإنجليزي في البلاد قائماً منذ زمن طويل. ذلك أن تعيين سليمان

(*) بلغت في أواخر القرن الماضي نسبة عدد المسلمين إلى مجموع عدد السكان 92,88٪ وكان المسلمون ينقسمون إلى طائفتين كبيرتين هما: الشيعة والسنّة. وبلغت نسبة الشيعة الى مجموع عدد السكان 61٪، ونسبة السنّة 39٪ وذلك حسب الإحصائية الإجمالية لنفوس ولاية بغداد التي ذكرها السالنامه (cuinet) وبلغ عدد نفوس الشيعة (480,500) نسمة من مجموع السكان المسلمين البالغ (879,500) نسمة، أما المسلمون السنة فقد بلغ عددهم (309,000) نسمة أنظر إلى الإدارة العثمانية في ولاية بغداد للدكتور جميل موسى النجار/ 1991م، ص118 (م. شبّر)

باشا الكبير يعود الفضل فيه إلى العميل البريطاني في البصرة، وشيخ المنتفق حمود الثامر مدين له بحياته.

لم يتغير توزيع القبائل منذ مدحت باشا إلا في منطقة الفرات الأوسط، حيث أدى جفاف شط الحلة إلى حدوث هجرات جديدة وتقلصت بصورة متزايدة المنطقة التي تسيطر عليها الخزاعل. وعلى نهر دجلة تمكن غضبان البنيّة السريع الانفعال من القضاء على بقية شيوخ بني لام ومن إخضاع أتباع القبيلة السابقين مجدداً باستثناء البو محمد. وبعد أن طرده الأتراك عام 1911م عاد إلى النظام الذي كان نافذاً في السابق وهو توزيع الأراضي بين أربعة شيوخ، كما كان الحال لدى البو محمد. وكان نفوذ شيخ مشايخ المنتفق سعدون السعدون مقتصراً بصورة أساسية على البدو نصف الرحل في وادي الفرات الذين كانوا في الشتاء والربيع يعودون إلى البادية. ولذلك كان يشارك بحماس في نزاعات الأمراء العرب. وعندما انتقلت الاضطرابات القبلية من الغراف إلى الفرات تخلص الأتراك منه بمساعدة سيد طالب (1911م). إلا أن ابنه عجمي تمكن خلال عامين فقط من إخضاع قبائل الفرات وأصبح بذلك أهم شيخ بدوي في العراق. وفي منطقة الهندية والشامية وفي سهول الدغارة كان الزعماء المحليون يخوضون باستمرار حروباً صغيرة مع جيرانهم. ولم يكن الأمن سائداً إلا في المدن الكبيرة والمناطق المحيطة بها. في 29 أكتوبر/ تشرين الأول 1914م دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى، وفي 6 نوفمبر/ تشرين الثاني نزلت قوة بريطانية هندية عند مصب شط العرب قرب الفاو. وبعد بضعة معارك انسحب الأتراك من البصرة التي احتلها الإنجليز في 22 نوفمبر/ تشرين الثاني. وبعد ذلك هدأت الأعمال القتالية بينما احتل الإنجليز خط كارون حتى الأهواز لكي يحموا خطوط النفط حتى عبادان. وفي نهاية العام عبرت قوات تركية، يقودها شيخ بني لام غضبان الحدود بين العمارة والحويزا[1]، وتقدمت نحو كارون. وهنا كما في بقية العراق لبى الناس الدعوة التركية إلى الحرب المقدسة (الجهاد) لأنها كانت مدعومة من رجال الدين الشيعة. وهكذا تجمعت أعداد كبيرة من رجال القبائل في المنطقة الواقعة بين الناصرية

(1) هذه الصيغة حلت في القرن التاسع عشر محل الحويزة.

والزبير. وبعد بعض التردد انضم أيضاً عجمي السعدون إلى الأتراك وتبعه 9000 فرد من عشائر المنتفق. وفي 12 أبريل/ نيسان 1915م اصطدم الأتراك ـ ما بين 6000 و7000 رجل يغطيهم من الجانبين رجال القبائل (حوالى 18000 رجل)، مع الإنجليز في منطقة الشعيبة. لكن البدو غير المعتادين على نيران المدفعية لم يصمدوا طويلاً. أمّا الأتراك فقد قاتلوا ثلاثة أيام. وبعد ذلك انتحر قائدهم سليمان العسكري بعد أن أجبر على تنفيذ أمر بالتراجع. وعند انسحاب الأتراك إلى الناصرية شن عليهم العرب كثيراً من عمليات السلب والقتل. وبدأت القوات البريطانية بالتقدم على نهر دجلة. وفي أول يونيو/ حزيران دخل الإنجليز العمارة، فالتحق بهم شيوخ البو محمد. وبعد سقوط علي الغربي (يوليو/ تموز) انضم زعماء بني لام أيضاً إلى المعسكر الإنجليزي، لكنهم بدّلوا حليفهم عدة مرات حسب سير المعارك. أمّا بنو ربيعة الذين احتك بهم الإنجليز عند دخولهم الكوت (سبتمبر/ أيلول) فكانوا أكثر حذراً. وأمّا زبيد وشمر طوقة فلم يعيقوا التقدم. ولم يتمكن الإنجليز من التقدم على الفرات حتى الناصرية. وظل الأتراك مسيطرين على الشطرة الواقعة على الغراف بينما خاض عجمي السعدون بكثير من الشجاعة والمهارة حرباً صغيرة ضد الوحدات البريطانية. وكانت الإمدادات تنقل بالطريق المائي[1] إلى أن وصل إلى الناصرية خط حديدي ضيق. وكانت النشاطات السياسية على هذه الجبهة قوية جداً: إذ كسب الإنجليز تأييد حمود السويط مع قسم من ظفير، لكن محاولتهم القضاء على عجمي بواسطته، ثم في وقت لاحق بواسطة شمر وعنزة، باءت بالفشل، بحيث أن استخدام هؤلاء الحلفاء اقتصر بصورة رئيسية على الحصار (راجع الصفحة 96 أعلاه). بالمقابل قدم الأتراك للإنجليز، نتيجة عدم الحذر، على طبق من ذهب المدينتين المقدستين اللتين كانت الحكومة الهندية على صلة بهما منذ زمن طويل بسبب توزيع عوائد مبرة تبرع بها أمير هندي[*]. وكانت حكومة تركيا الفتاة قد ألغت الامتيازات التي كانت تتمتع بها مدينتا النجف وكربلاء، وعلى رأسها الإعفاء من الخدمة العسكرية. ولدى محاولة القبض على فارّين وتجنيدهم بالقوة حدثت في النجف في

(1) من أجل ذلك أغلقت قنوات هور الحمّار التي كانت تستخدم لزراعة الأرز.

(*) الأمير الهندي اوذه. (ماجد شبّر).

15 مايو/ أيار 1915م اضطرابات عنيفة وانتقلت السلطة في المدينة إلى زعماء «المحلات»[1]. وفي يوليو/ تموز دخل بنو حسن كربلاء وأحرقوا مع الجماهير الغاضبة مقر الحكومة؛ تولى الإدارة هنا السيد رئيس عائلة كمونة[**]. صحيح أن الأتراك أعادوا احتلال كربلاء، لكنهم في النجف اضطروا إلى الاكتفاء بمظهر السلطة. وما أن تولى الحكام الجدد مهامهم حتى توجهوا إلى الضابط السياسي المسؤول عن الحملة السر برسي كوكس، وبعد وقت قصير سعىٰ شيوخ الخزاعل أيضاً إلى إقامة اتصالات مع الإنجليز. لكن دولاب الحظ انعكس فجأة. ففي نوفمبر/ تشرين الثاني 1915م واجه الإنجليز عند طيسفون (المدائن) مقاومة شديدة أجبرتهم على التراجع. وفي 7 ديسمبر/ كانون الأول حوصر الجنرال طونزند في الكوت ثم استسلم في 29 أبريل/ نيسان بعد أن فشلت جميع محاولات فك الحصار بفضل حذاقة غولتس باشا[2]. ومن لحظة الانسحاب بدأت القبائل تلاحق الإنجليز أينما ذهبوا فتنهب المعسكرات وتهاجم المخافر وتقتل الجرحى وتنهبهم. وفي أبريل/ نيسان 1916م حدث تمرد جديد في كربلاء ثم انتقل إلى النجف والحلة. ولقيت الحلة بسبب ذلك عقاباً شديداً[*]، لكن الأتراك لم يتجرأ وا على دخول

---

(1) أيضاً الزقرت والشمرت.

(**) هو الشيخ فخري كمونه، وليس له ارتباط نسبي بعائلة السادة آل كمونه بالنجف الأشرف. لقد لعب الشيخ فخري كمونه دوراً بارزاً في الأحداث عام 1919م و1920م. فقد كان شخصية قيادية في مدينة كربلاء. لقد انطلقت هوسة شعبية. تقول: شيخ فخري لا تخاف كربلاء كلها تفك (أي بنادق) (م. شبَّر).

(2) توفي في 19 أبريل/ نيسان بمرض التيفوئيد البقعي، الضابط البروسي الوحيد الذي كان الأتراك يثقون به ثقة كاملة. ومع ذلك غامر بهذه الثقة وبمركزه لكي ينقذ عائلة للحلفاء من الترحيل.

(*) هي الواقعة المعروفة بدگت عاكف، ان عاكف بك القائد العسكري للجيش التركي الذي حاصر الحلة واقتحمها وأعمل مجزرة عظمى بالحلة، يكون ما قام به جمال باشا السفاح في بلاد الشام مجزرة صغرى مقارنة بما فعل بالحلة عاكف بك. حيث بلغ من أعدم فقط دون من قتل بـ 126 شهيداً. وقد كان قائم مقام الحلة في حينه رفعت الچادرچي والد كامل الچادرچي. المصدر: تاريخ الحلة للكركوش 1965م والحلة من العهد العثماني المتأخر للدكتور علي هادي المهداوي 2002م. (م. شبَّر).

المدينتين المقدستين. وفي نهاية عام 1916 استأنف الإنجليز زحفهم وطردوا الأتراك من الكوت بعد مقاومة مريرة. وفي 11 مارس/ آذار 1917م دخل الجنرال مود بغداد. وتمّ احتلال الفرات من الفلوجة حتى سدة الهندية والمنطقة المجاورة لبغداد حتى بعقوبة. وبعد ذلك توقف القتال. وأدى الاستيلاء على بلدروز «يوليو/ تموز» إلى وضع معظم القبائل الصغيرة المستوطنة على قنوات ديالى تحت السيطرة الإنجليزية، ثم أدى احتلال الرمادي (سبتمبر/ أيلول) إلى وضع زوبع (شمر) تحت سيطرتهم أيضاً.

بقي خط الفرات من المسيب حتى الناصرية خالياً من القوات العسكرية. فقط في الحلة وضع ضابط سياسي، وفي الخريف عيّن ضباط آخرون في الشامية والسماوة. وبما أن الإنجليز كانوا يعتمدون في كل مكان على شيوخ القبائل فلم يواجهوا مع القبائل أي صعوبات إلا قرب السماوة حيث كان بنو حكيم «حجيم» قد تفرقوا منذ زمن طويل إلى عدة قبائل متعادية فيما بينها. بالمقابل سببت لهم المدينتان المقدستان «النجف وكربلاء» كثيراً من المتاعب كما كان الأمر مع الأتراك من قبلهم. وكان حكم رؤساء المحلات والنبلاء سيئاً إلى درجة لا تطاق. فقد كانوا يرهبون السكان ويسمحون لقوافل التهريب، التي كانت تنقل الأقمشة والرز والقهوة إلى سورية الجائعة وإلى الخطوط التركية في منطقة ما بين النهرين، بالعبور لقاء أتاوات معينة. ولقيت الدعاية التركية، التي استفادت من توقف العمليات، أذناً صاغية في النجف. وعندما اغتيل الضابط السياسي الإنجليزي في مارس/ آذار 1918م اضطر الإنجليز إلى التدخل. وكانت الطريقة التي عالج بها الإنجليز الموقف مثيرة للإعجاب في لباقتها ومراعاتها للسكان. ولكن على الرغم من ذلك تركت مرارة لدى السكان ازدادت حدة بسبب العمليات الإنجليزية في إيران منذ خريف 1918م؛ وذلك لأن كبار رجال الدين كانوا من أصول إيرانية وكانت علاقة إيران مع المدينتين المقدستين قوية منذ زمن طويل بسبب الزيارة «العتبات المقدسة».

شكلت حالة غموض المستقبل التي عاشها العراقيون منذ هدنة مدرس (30 أكتوبر/ تشرين الأول 1918م) أرضاً خصبة للأفكار القومية التي جاءت من دمشق

وتركيا. وعندما قبلت بريطانيا في 3 مايو/أيار 1920م الانتداب على العراق كان قد فات الأوان. وجاءت الاقتراحات التي قدمها رئيس الإدارة المدنية سير آرنولد ت . ويلسن بشأن الدستور المقبل أقل جداً من مطالب القوميين الذين كانوا قد نجحوا في تجاوز الهوة بين السُنّة والشيعة وفي توحيد صفوف الشباب المتعلمين ورجال الدين والقبائل الخاضعة للنفوذ المنطلق من المدينتين المقدستين. ومن الواضح أن كل فئة من هذه الفئات الثلاث كانت تنظر إلى الهدف المنشود، أي الحكومة الوطنية، من زاويتها الخاصة. كان رجال الدين الشيعة يحلمون بدولة تيوقراطية حسب الشريعة الإسلامية، وكان المثقفون العرب يريدون دولة عربية بقيادة الأمير عبد الله[1]، وكانت القبائل تأمل في مجيء حكومة تعفيهم من دفع الضرائب. وأدى اعتقال بعض النشطاء إلى زيادة الوضع توتراً. وبسبب تراجع الإنجليز على الفرات[2]، واضطرابات الموصل، وضعف الوحدات العسكرية والتعب من الحرب في بريطانيا، بدا أن الثورة مرشحة للنجاح. واندلعت هذه الثورة فعلاً في الثاني من يوليو/تموز في الرميثة من قبل بني حكيم «حجيم» الذين كانوا غاضبين جداً بسبب حملة تأديب لم تكن مبررة تماماً. وبعد ذلك انتقلت الشرارة إلى الشامية. واحتل آل فتلة أبو صخير، وبنو حسن الكفل؛ وبعد بضعة أيام صدّ الثوار كتيبة قادمة من الحلة. وفي الوقت نفسه انتفضت القبائل على قنوات ديالى وقطعت الاتصال بين بغداد وإيران. وحوصرت الكوفة من 20 يوليو/تموز حتى 17 أكتوبر/تشرين الأول. وفي أول أغسطس/آب تمكنت حامية الديوانية من شق طريقها، وفي أكتوبر/تشرين الأول تمّ تحرير السماوة انطلاقاً من الناصرية. وبما أن دجلة بقي مفتوحاً، ولم تشارك في الاضطرابات قبائل العراق الأسفل ولا البصرة، فقد تمكن الإنجليز من إرسال الإمدادات. وفي سبتمبر/أيلول انتقلوا على الطريق المؤدية إلى إيران إلى حالة الهجوم. وفي أواخر الخريف كانت الثورة قد اندحرت وإن كان تسليم القبائل أسلحتها قد امتد حتى الربيع. وفي غضون ذلك كان القرار

(1) حاكم الأردن الذي اغتيل قبل زمن قصير.

(2) انظر الجزء الأول، ص 329.

السياسي قد اتخذ: في آخر عام 1920م تمّ تشكيل حكومة مؤقتة وفي مارس/آذار عيّن فيصل، ملك سورية سابقاً، حاكماً على العراق ثم نُصِّب ملكاً في أغسطس/آب.

كانت محاولة الحصول على الاستقلال بقوة السلاح قد باءت بالفشل، ولم يبق سوى طريق العمل الدؤوب والصبور لكي يثبت العراق للعالم أنه ليس في حاجة إلى الوصاية وأنه قادر على حكم نفسه بنفسه. وأن يكون هذا الطريق قد قطع خلال أحد عشر عاماً فإن الفضل في ذلك يعود إلى فيصل الذي كان أكثر براعة ودهاء من السياسيين العراقيين غير الصبورين. توفي فيصل ـ مبكراً ـ في 8 سبتمبر/أيلول 1933م؛ وبعد أسابيع قليلة قُبل العراق عضواً في عصبة الأمم(*) وسقطت قيود الاتفاقية الأولى مع بريطانيا. أمّا الحقوق التي احتفظت بها بريطانيا في الاتفاقية الثانية فكانت بمعظمها ذات طابع عسكري. ومنذ ذلك الحين أصبحت السياسة العراقية تسيطر عليها بالتبادل تارة حكومة مؤيدة لبريطانيا وتارة أخرى حكومة "وطنية"، هذه اللعبة المزعجة التي تسببت في ثورة عام 1941م التي كانت باهظة الثمن. وبين هذين التاريخين كان انقلاب بكر صدقي عام 1936م الذي فشل بسبب عجز مدبريه. ولكن الحكومة التي فرضها صدقي، حكومة حكمت سليمان، كانت الحكومة الأولى التي سعت إلى إقامة علاقات جيدة مع تركيا وإيران بدلاً من الجري وراء شبح الوحدة العربية.

وسواء تولت الحكم هذه الجماعة السياسية أو تلك فإن السلطة الفعلية كانت على الدوام في يد الطبقة الأرستقراطية السنية المقيمة في بغداد. صحيح أنها كانت قد تخلت عن بعض المناصب للشيعة، لكنها كانت قد عززت نفوذها الاقتصادي؛ كانت مساحات واسعة من الأراضي قد انتقلت ملكيتها إليها منذ الحرب العالمية الأولى. أمّا لدى القبائل، التي تكاثرت جداً بسبب فترة السلام الطويلة وغياب الأوبئة، بحيث لم تعد تجد الغذاء الكافي في الريف، فقد تفجرت مشاعر الحقد والكراهية ضد الطبقة

(*) أصبح العراق عضواً في عصبة الأمم في الثالث من تشرين الأول من عام 1932، واعترف به دولة مستقلة. وقبل وفاة الملك فيصل، وقد ألقى الملك خطاب في مجلس الأمة يوم 1 من تشرين الثاني 1932م. تاريخ الوزارة الحسني (م. شبّر).

الحاكمة. وعبّرت هذه الكراهية عن نفسها في اضطرابات عام 1935م و1937م(*) التي برز فيها كل من سيد علوان الياسري وزعيم آل فتلة عبد الواحد الحاج سكر.

امتدت هجرة القبائل الحالية في العراق فترة زمنية تزيد على ألف عام. ويبدو أن أقدم القبائل هي قبيلة بني أسد التي جاءت في القرن التاسع الميلادي وتستوطن منذ العصر الحديث في منطقة الجزائر. ومن الممكن أن يكون بنو تميم المنتشرون في جميع أرجاء العراق ينتمون، جزئياً على الأقل، إلى نفس الموجة من الهجرة. أمّا وجود علاقة بين ربيعة والجماعة السياسية التي تحمل الاسم نفسه في مطلع العهد الإسلامي فهو أمر لا يمكن إثباته بصورة أكيدة. ومجرد تطابق الاسم لا يعني أي شيء. فالخزرج وكنانة وقريش وهذيل هي قبائل نشأت في العراق وليس لها علاقة بالقبائل التي تحمل الأسماء نفسها في الحجاز؛ فهذه الأسماء التي خرجت فيما عدا ذلك من دائرة الاستعمال ظلت حية لدى البدو وأصبحت بالتالي تطلق على القبائل. منذ العهد القرمطي أصبحت موجات الهجرة واضحة إلى حد ما: خفاجة في القرن العاشر الميلادي، عبادة والمنتفق في القرن الحادي عشر الميلادي، غازية في أواخر العصور الوسطى، بنو لام وشمّر وعنزة في العصر الحديث. ولكن هذه الأسماء لا تغطي سوى جزء من قبائل العراق الحالية. الحكايات وحدها تتحدث عن أصل الخزاعل وقبائل أخرى، وهناك قبائل مجهولة الأصل كلياً. وجميع هذه القبائل خضعت على مرّ القرون لتغيرات جذرية، فقد تفككت حيناً ثم عادت وتوحدت حيناً آخر، وانضمت إليها مجموعات غريبة، كما فقدت هي بعض أجنحتها.

جاء معظم المهاجرين، ومنهم أسد وطي، والغازية وبنو لام، من الجبال الواقعة في شمال شبه الجزيرة العربية والسهول المجاورة لها، وجاءت قبائل أخرى، ومنها خفاجة والمنتفق من شرقي شبه الجزيرة العربية. وتعيش جماعات بني خالد (أو أسلافهم، بنو عامر) بين قبائل الفرات بين الحلة والسماوة. وفي

(*) في سنة 1935، 1936م قامت انتفاضة فلاحية للمطالبة بالمساواة في منطقة عفج والرميثة (الشيعية) حيث عمل بعض الساسة في بغداد على التحريض ومن ثم استخدام هذه الانتفاضة لتحقيق أغراض سياسية وقد قمعت هذه الانتفاضة من قبل الجيش العراقي بقسوة شديدة (م. شبّر).

العراق نفسه هناك حركة تنطلق من الجزيرة فيما بين النهرين. فقد جاءت من هناك عبادة وزبيد وبعض القبائل الصغيرة، ووصلت عبادة حتى الجزائر. ولم يحدث نزوح إلا من موقع واحد هو منطقة العمارة. فقد هاجر من هناك إلى خوزستان فقط خلال الفترة الممتدة من عام 1789م حتى عام 1848م أكثر من 11000 عائلة بدوية. أمّا التحركات السكانية التي حدثت بسبب تغير مجاري المياه وبسبب نشوء وضياع أراضي صالحة للزراعة، فلا يمكن حصرها إلا في القرن التاسع عشر. ولقد أدت هذه التغيرات إلى تشتيت بعض القبائل تشتيتاً كبيراً بحيث صارت جماعات منها تعيش في طرف من العراق وأخرى في طرفه الآخر.

تنقسم قبائل العراق إلى أربع فئات. البدو والشاوية، مربو الجمال والغنم، البدو الرحل ونصف الرحل، والفلح أي البدو الذين استوطنوا. يضاف إلى هذه الفئات المعدان الذين يشكلون أدنى طبقة لأنهم يعيشون من تربية الجواميس وصيد السمك ونسج الحصر، وهي أعمال يحتقرها البدو. في القرن التاسع عشر كان المعدان ما زالوا منتشرين في جميع أرجاء العراق. ومنذ تراجع الأهوار انحصر وجودهم في منطقة دجلة الأسفل وتحولوا هنا غالباً إلى العمل في زراعة الرز التي كانت في السابق عملاً ثانوياً فقط. وتجدر الإشارة إلى أن الفلح والمعدان لا يثبتون في مكان واحد؛ فبعض الفلاحين يبدلون أماكن عملهم، والمعدان يجرون خلف المياه، بحيث أنه من الممكن تسمية الأوائل عمالاً زراعيين متنقلين وتسمية الآخرين بدو أهوار.

منذ احتلال العراق من قبل العرب اجتاحت البلاد موجات لا حصر لها من الغرباء جاؤوا بصفة مرتزقة أو عبيد أو بصفة محتلين أو حجاج أو مسافرين: فرس وأتراك، أفريقيون وقوقازيون، دلامنة(*)، مغول، تركمان، وشعوب الإمبراطورية العثمانية. ونزل الأكراد واللوريون من جبالهم، كما أن الشركس والتتر وجدوا موطناً جديداً هناك. وإذا ما كان العراق قد ظل رغم ذلك بلداً عربياً، وإذا ما كان

(*) عشائر فارسية. (م. شبَّر).

الغرباء اليوم لا يشكلون سوى جزر في بحر السكان المحليين، فإن الفضل في ذلك يعود إلى الهجرات المستمرة القادمة من شبه الجزيرة العربية. أنهار من الدم العربي جرت نحو العراق واستنزفتها هناك الحروب والأوبئة والمناخ القاسي. وهناك بعض الحقيقة في المثل العربي القائل: "اليمن مهد البدو والعراق قبرهم".

لقد واجهنا في تصنيف القبائل مصاعب عديدة. وسنبدأ بزوبع على حدود ما بين النهرين وبجيرانهم حتى سدة الهندية، ثم سنتبع الهندية وفرعيه، شط الشامية وشط الكوفة. ويلي ذلك بعدئذ قبائل شط الحلة وقبائل الجزيرة، الخزاعل وقبائل أخرى حتى السماوة والغرّاف. وبعد ذلك سنتبع نهر دجلة نحو الأعلى حتى سامراء وفي المناطق البعيدة نحو ديالى. وبعد ذلك سنتحدث عن قبائل العراق الأسفل مبتدئين بقبائل الفرات. لكننا سنبدأ قبل كل شيء بمقالة عقيل لأنها ضرورية لفهم تاريخ البدو القديم.

عقيـــل

تمّ في الفصل السابق عرض تاريخ عقيل في الجزيرة العربية. إلا أننا هنا سنتحدث عن كل من عبادة وخفاجة اللتين كانتا مهمتين في العصور الوسطى. أمّا الفرع الثالث من عقيل في العراق وهم المنتفق، الذين لم يصلوا إلى أوج قوتهم إلا في العصر الحديث، فسنخصص له مقالاً مستقلاً. في البداية سنتحدث باختصار عن أسرة العقيليين الحاكمة المنحدرة من عبادة، وفي الختام سنقدم عرضاً لتلك الجماعة الغريبة التي ورثت اسم القبيلة عقيل/ عجيل.

بما أن عبادة قدمت إلى العراق عن طريق سورية، يجب في بادئ الأمر أن نتحدث عن تلك العقيل التي اضطرتها حروب الفتح في أوائل العصر الإسلامي إلى التوجه نحو الشمال. وكان مصير هؤلاء المهاجرين كمصير بقية القبائل القيسية في سورية وبلاد الرافدين فقد شاركوا في الحروب الحزبية التي دارت في العهد الأموي وتحولوا إلى مستوطنين ـ كانت لعقيل مستوطنة كبيرة على نهر الخابور[1] ـ أو صعدوا إلى مرتبة ملاّكِ الأراضي والأمراء الصغار. وفي أواخر عهد الدولة الأموية كان أحد أبناء هذه القبيلة المدعو أبو صفوان إسحاق ابن مسلم العقيلي يملك مدينة سميساط، وظل موالياً للأسرة الأموية ولم يسلم المدينة للعباسيين إلا بعد حصار طويل. لكنه هو نفسه وأخوته وأبناء أخوته عرفوا أيضاً في عهد الأسرة الحاكمة

(1) الهمداني، 192.

الجديدة كيف يحققون مصالحهم[1]. فقد كان نصر بن شبث، الذي ينتمي إلى فرع آخر من هذه القبيلة، في أوائل القرن التاسع ميلادي زعيم العرب في الفرات الأعلى. وكان يحكم من قلعته قيصوم (اليوم: بهسنا الواقعة في منتصف الطريق بين مرعش وسميساط المناطق الممتدة حتى قرقيسيا، ساحة الحرب القديمة لقبيلة قيس عند مصب الخابور. وفي القتال الذي دار بين الأخوين الأمين والمأمون بعد وفاة هارون الرشيد (809م) وقف إلى جانب الأمين. وعندما تولى المأمون مقاليد الخلافة بعد وفاة أخيه الأمين (813م) ظل نصر متمرداً حتى أرغمته قوات الخليفة على الاستسلام في قلعته القيصوم عام 209هـ/ 824م[2]. وإذا ما كان نصر يمثل نموذجاً للشخصية الإقطاعية العربية كما كرسها العهد الأموي، فإن صفوان العقيلي وابنه ابن صفوان، اللذين حكما بعد نصف قرن في ديار مضر، يعدان نموذجاً أولياً للإمارات الصغيرة التي تشكلت في العهد العباسي. إلا أن الوقت لم يكن قد نضج بعد لتلبية تطلعاتهما، فكان مآل صفوان الزج به في سجن سامراء الذي ظل فيه حتى وفاته عام 253هـ/ 867م. أمّا ابنه فلم يتمكن من البقاء في قرقيسيا بشكل دائم[3]. هذه هي آخر الأخبار عن أقدم جماعة من عقيل في بلاد ما بين النهرين.

وكما أشرنا في مقال قيس كانت في هذه الأثناء قد حدثت في شمال سورية لدى

---

(1) ابن الأثير، الجزء الخامس 333 وما يليها. الطبري تحت عبد العزيز بن م. بكار بن م. مسلم بن ب .بن م. سلسلة نسبهم ابن حزم، 275، وقبله سبب هجرة القبيلة من الجزيرة العربية، قارن الجزء العاشر، 68، 70. وقد يكون تأثير سمعة هؤلاء العقيليين الشماليين، مرتبطاً بصدى الحكاية التي تتحدث عن انهيار سد مأرب (الجزء الأول، 263 وما بعدها) هو الذي جعل قبائل صنارية الحربيين في جيورجيا ينتسبون إلى «عقيل مأرب»؛ المسعودي، الجزء الثاني، 67 وما بعدها. وهل كانت عقيل موجودة في مأرب فعلاً كما يقول المسعودي؟ الهمداني لا يعرفها.

(2) الطبري، الجزء الثالث، 843 وما يليها، 975، 1045، 1071 وما يليها. ابن الأثير، الجزء السادس، 216، 274 وما بعدها. سلسلة نسبه في ابن حزم، 274.

(3) المسعودي، الجزء السابع، 396؛ الطبري، الجزء الثالث، 1940، 2049. وهناك قطعة نقدية معدنية تعود إلى ابن صفوان من عام 275 هـ لم تزل موجودة حتى اليوم (زامباور).

المهاجرين القيسيين عودة إلى البداوة. وهكذا أعادت هناك عقيل أيضاً تشكيل نفسها كقبيلة شكَّلَ نواتها المهنَّا الذين ينتسبون إلى عبادة. في منتصف القرن العاشر اجتاز جزء من هؤلاء القيسيين السوريين، من بينهم عقيل، الفرات لكي يبحثوا في الجزيرة عن أماكن سكن جديدة[1]. ووجدت عقيل مكاناً لها في الشرق قرب نصببين. وكانت في فصل الشتاء، شأنها شأن شمر في وقت لاحق، تصل في ترحالها إلى العراق. وكانت الظروف المواتية من جهة وهجوم شيوخها دون رحمة من جهة أخرى تمنحها هنا وهناك حق الإقامة. وفي عام 377هـ/ 987م تعرض حاكم الموصل البويهي لضغط شديد على يد الزعيم الكردي باذ مما اضطره إلى طلب النجدة من عقيل. ونجحت عقيل في منع الأكراد من النزول من طور عابدين إلى السهل وكوفئت على ذلك بإعطائها كمية من الأراضي. وبعد ثلاثة أعوام تكرر الوضع ذاته مرة أخرى. ولكن شيخ عقيل محمد ابن المسيّب طلب هذه المرة نصببين وبلد (إسكي موصل) وجزيرة ابن عمر من الحمدانيين (راجع الجزء الأول، 107) اللذين كانا في غضون ذلك قد استقرا في الموصل. وعندما انتصر الأكراد عليهما قتل ابنُ المسيب أحدَهما ودخل إلى الموصل كحاكم تابع للبويهيين[2] ومع أن آل المسيب خسروا الموصل مرة أخرى، فبعد وقت قصير من وفاة محمد (996م) نجح أخوه المقلد في عقد اتفاقية مع البويهيين حصلت العائلة بموجبها ليس فقط على الموصل وإنما أيضاً على جامعين (الحلة) فيما بعد والكوفة، أي على الأراضي الزراعية الواقعة على فرعي الفرات. وكان هذا بداية مملكة العقيليين، أهم دولة بدوية في العصور الوسطى.

عُرض التاريخ الخارجي لهذه المملكة من قبل تيزنهاوزن، تاريخ الأسرة الحاكمة العقيلية (Néw. Acad. St. Petersbourg, VIII, 1859)، وكاي، ملاحظات عن تاريخ بني عقيل (JRAS, N.S. XVIII, 1886, 491ff)، ومؤخراً في EI[3]،

---

(1) انظر الجزء الأول، 338، 339.

(2) ابن الأثير، الجزء التاسع، 38، 49 وما بعدها، 52.

(3) انظر فون قرواش، المقلد، مسلم ب. قريش، العقيليين. في المقال الأخير يجب شطب الجملة الأخيرة، قارن كاسكل، اورينس الجزء الثاني، 71 الملاحظة 24.

بتفصيل كبير بحيث يمكننا هنا الاكتفاء بأهم المعلومات: كانت لدى مقلد بن المسيب خطط واسعة النطاق شملت حتى التفكير بالاستيلاء على السلطة في بغداد، لكنه اغتيل في الأنبار[1] عام 391هـ/ 1001م قبل تحقيقها.

حاول قرواش ابن المقلد توسيع سلطة أسرته في العراق لكنه اصطدم في سعيه هذا ليس فقط بسادته البويهيين وإنما أيضاً بقوتين جديدتين صاعدتين هما: بنو مزيد، شيوخ أسد، الذين كانوا آنذاك قد أسسوا إمارة على النيل شرقي جامعين[2]، وبنو خفاجة القادمون من شرقي شبه الجزيرة العربية والذين أخذوا يهددون المناطق الحضرية انطلاقاً من الصحراء[3]. تمكن قرواش من التفاهم مع بني مزيد في بعض الأوقات، ولربما بسبب ترك جامعين في أيديهم[4]، لكنه ظل يخوض مع خفاجة حرباً متواصلة. ولم تنجح محاولته التأثير على الحكومة المركزية بإعلان تأييده للخليفة الفاطمي في القاهرة (401هـ/ 1010م ـ 1011م) وفي العقد الثالث من القرن الحادي عشر عاد التوتر من جديد. ونجحت الحكومة في الحصول على دعم دبيس المزيدي، وخفاجة، وجزء من عقيل نفسها، مما جعل قرواش ينهزم عدة مرات في هذه الأعوام وأخيراً اضطر إلى التخلي عن الكوفة كلياً (417هـ/ 1026م) بحيث لم يبق له من أملاكه في العراق سوى الأنبار.

وعلى صعيد الأسرة أيضاً لم تكن سياسة قرواش موفقة. فقد تخلى عن مقاطعة نصيبين لأخيه بدران. وكانت كل من تكريت وعكبرا، ولفترة قصيرة أيضاً كل من حربئ وآوانا، وهما مكانان هامان على نهر دجلة، في أيدي بني مقان[5]

---

(1) لم يرد ذكرها في الاتفاقية مع البويهيين، وهذا يعني أنها من المكاسب الجديدة.

(2) انظر مقال: بني أسد.

(3) صحيح أن خفاجة كانت من عقيل ولكن لم تكن لها مصالح مشتركة مع العقيليين الذين جاؤوا من سورية ولا مع أسرتهم الحاكمة.

(4) في عام 401 هـ كانت هذه المدينة لم تعد من أملاك قرواش.

(5) هذه الصيغة الواردة عند بن هلال الصابي وابن الأثير تؤكدها التسمية المتناقلة لدى البدو، خلافاً لما يرد ذكره عند لان ـ بول وزامباور وهو (معن).

الذين تربطهم به صلة قربى بعيدة. أدى هذا الوضع إلى نشوب خلافات عديدة وأحياناً إلى صراعات دموية.

لم يحقق قرواش سوى انتصار كبير وحيد انتصار تل أعفر «تلعفر»: في عام 433هـ/ 1041م ـ 1042م ظهر الأتراك الغز، الذين ضاقت بهم ظروف العيش في المملكة السلجوقية، في شمال بلاد الرافدين، قادمين من اذربيجان، ومارسوا أعمال السلب والنهب والقتل. نهبوا منطقة ديار بكر وسنجار والخابور وهزموا قرواش نفسه أمام أبواب الموصل. وعندما دخلوا المدينة أساؤوا السلوك ومعاملة الناس مما جعل السكان يثورون ضدهم ويطردونهم. وفي غضون ذلك كان قرواش الهارب قد جمع الحلفاء وهجم على الموصل مع دبيس المزيدي وكل من عقيل وقوات كردية مساعدة. فانسحب الغز إلى تل أعفر «تلعفر» حيث حصلوا على مساندة من ديار بكر. وكان قرواش يعلم ذلك لكنه أخفى هذه المعلومات كي لا تتأثر معنويات قواته وتهتز عزيمتها. وهكذا وقعت المعركة عام 435هـ/ 1044م. فتقدم الغز حتى مخيم العرب، لكن العرب المتراجعين توقفوا هناك. وعند حلول المساء كان الغز قد هزموا شر هزيمة وتوجهت فلولهم نحو أرمينيا. فأرسل قرواش رؤوس القتلى إلى بغداد حيث قام الأتراك الموجودين هناك بدفنهم بكل مراسم التكريم.

في عام 441هـ/ 1049م قام أخو قرواش، أبو كامل بركة، باغتصاب الحكم منه. قضى قرواش السنوات الأربع الأخيرة من حياته، باستثناء بعض الفترات القصيرة المتقطعة، في السجن، في بادئ الأمر في سجن أخيه، وبعد وفاته (443هـ/ 1051م) في سجن ابن أخيه قريش بن بدران. وكانا كلاهما يطلبان منه النصيحة بين حين وآخر لكنهما لم يتجرآ على منحه الحرية بصورة دائمة.

خلال فترة حكم قريش (443هـ/ 1051م ـ 453هـ/ 1061م) استولى السلاجقة على السلطة في العراق. في بادئ الأمر رحب قريش بمجيء القوة الجديدة لأنه اعتقد أنها تشكل دعماً له في مواجهة البويهيين، إلا أنه ما لبث أن انضم، إثر دخول السلطان طغرل بك إلى بغداد (1055م)، إلى القوى المعادية للسلاجقة التي كانت

ملتفة حول دبيس والأمير البويهي البساسيري. ومنذ ذلك الحين ظل مشتركاً مع حلفائه في سياسةٍ بلْهاءَ مزدوجةِ الاتجاه تقف مرة إلى جانب الفاطميين ومرة أخرى إلى جانب السلاجقة. ويعود الفضل الأول والأخير في بقاء سلطته غير منقوصة إلى الطريقة الحذرة والحكيمة التي عالج بها طغرل بك الظروف المعقدة في العراق.

لم تتحسن العلاقة مع السلاجقة إلا في عهد ابنه مسلم بن قريش (453هـ/ 1061م ـ 478هـ/ 1085م) الذي تصالح معهم تماماً لا بل إنه تزوج إحدى أخوات السلطان آلب أرسلان. وفي عهد مسلم توسعت دولة العقيليين نحو الغرب حيث استولى عام 472هـ/ 1079م على حلب، وبعد عامين على حران، وأصبح في الوقت نفسه متصرفاً في أورفة. عمل مسلم جاهداً على إقامة إدارة منظمة في البلاد الخاضعة له وحرص على سلامة الطرق، وكان جاداً في تطبيق أحكام الإسلام وليناً في التعامل مع الرعايا المسيحيين.

إلا أن مسلم لم يتمكن من إيقاف العملية التي تهدد بحلول الحكم التركي محل الحكم العربي. وقد شهد بنفسه بداية هذه العملية. ففي عام 476هـ/ 1033م قرر وزير السلطان ملكشاه، نظام الملك، عزل أسرة آل مروان، الأسرة الحاكمة في ديار بكر، وهي أسرة كردية الأصل لكنها مستعربة. فطلب الحاكم المرواني المساعدة من مسلم. ويشرفه أنه لبى النداء على الرغم من أنه كان يدرك أن المشروع لا فرصة له في النجاح. إذ إن مصير ديار بكر كان قد تحدد وهو نفسه، أي مسلم، لم يُترك في الحكم إلا لأن أيدي السلطان كانت مكبلة بسبب خلافات عائلية. وأخيراً سقط في نزاع مع حاكم أنطاكية التركي (478هـ/ 1085م).

قام ملكشاه بتقسيم مملكة مسلم إلى نصفين أعطى النصف الأول لأمراء أتراك وأعطى النصف الآخر لأبناء مسلم وأقربائه. لكن هؤلاء لم يحافظوا طويلاً على حصتهم. ففي عام 485هـ/ 1092م فقدوا الجزء من منطقة ما بين النهرين الواقع غربي الخابور، وبعد أربعة أعوام فقدوا نصيبين والموصل. وسقط آخر العقيليين في ساحة الحرب أو أصبحوا لاجئين لا وطن لهم. في مكانين فقط بقيت فروع جانبية من الأسرة الحاكمة فترة أطول بعض الشيء، في عانة ـ حديثة وفي قلعة

جعبر على نهر الفرات. وفي عام 564هـ/ 1169م سلم مالك بن علي بن سالم بن مالك بن بدران القلعة للزنكيين واكتفى مقابل ذلك بسروج ومملحة جبّول (قرب حلب).

حمل العقيليون زمناً طويلاً سمات منشأهم الأصلي، ولم يفقدوا صفاتهم البدوية إلا في عهد مسلم. وكانت هيبتهم كحكام مستمدة من السلطة التي يمارسونها بصفتهم زعماء عقيل، وملكيتهم للأرض التي منحت لهم لقاء ولائهم. لذلك كانت "ولاية العهد" تتوقف على موافقة القبيلة؛ وحتى مسلم نفسه فقد انتخب من عقيل[1]. وإذا ما كانت شخصيات كبيرة، من مثل مقلد وقرواش، قد تمكنت من فرض نفسها ضد إرادة القبيلة، فهذا لا يتعارض مع الأصل البدوي؛ وينطبق الشيء نفسه على أن انتخاب مسلم قد تمّ بتأثير السلاجقة. أمّا تجاه الخليفة فإن مكانة العقيليين كان لها بالطبع وجه آخر: فهم إقطاعيو بغداد ويحملون مثل جميع حكام الإمبراطورية لقب أمير[2] معطوفة عليه كلمة "دولة" الممنوحة من الخليفة والتي تجعل اللقب أكثر فخامة.

وكما أن سلطة العقيليين متجذرة في القبيلة فإن قوتهم العسكرية أيضاً تتشكل من القبيلة. كان لديهم بالطبع جنود مرتزقة أيضاً (ديالمة وأتراك) وقوات مساندة كردية؛ وذلك لأن العقيليين بصفتهم بدو أصلاء لم يكونوا مناسبين للخدمة العسكرية. فيما يتعلق بممارسة الحكم كان العقيليون يتقيدون بالقواعد المعتمدة آنذاك: كان لديهم قصر للحكومة، دار الإمارة في الموصل[3]، وكان لديهم وزراء، وكان لدى قرواش على سبيل المثال الوزير المشهور أبو القاسم ابن المغربي[4]. أمّا في أسلوب حياتهم فقد ظلوا زمناً طويلاً بدواً. كان مقلد يعيش

---

(1) ابن الأثير، المجلد التاسع، 397؛ العاشر، 11.

(2) مؤرخون متأخرون أمثال ابن الأثير يستعملون هذا اللقب بسخاء كبير ويطلقونه على شيوخ بدو عاديين.

(3) ابن الأثير، المجلد التاسع، 386.

(4) ورد ذكره في الجزء الأول، ص 467.

بعض الوقت في مخيم، أمّا أخوه علي، الزعيم الحقيقي للقبيلة، فقد فضّل العيش كلياً في الصحراء بدلاً من الانصراف إلى شؤون الحكم. وأمّا أبو كامل بركة فكان يقوم بالغزو المألوف عند البدو. وعند نشوب صراعات داخل الأسرة كانوا يتبعون في تسويتها الأعراف البدوية: فلم تكن تنهب خيام الفريق المهزوم[1]. وكان الشعور العائلي، أو شعور الانتماء إلى القبيلة، قوياً جداً وقادراً على تجاوز أشد الخلافات. وهناك حكايات تعبّر عن هذه الحقيقة في العديد من المشاهد الرومانسية سنورد هنا واحداً منها على الأقل:

في عام 1026م كان قرواش وأخوه بدران يقفان في صفين متقابلين استعداداً للقتال، وكان يقف إلى جانب قرواش غريب بن مقان وإلى جانب بدران ابن عمه رافه. وعندما بدأت المعركة قفز أحد شيوخ عقيل، وهو نجدة الدولة ابن قراد، إلى ساحة القتال وعانق غريب في وسط الصفوف المتحاربة. وما أن رأى بدران ذلك حتى اقتدى به وتصالح مع أخيه. وقد احتفظت ذاكرتهم زمناً طويلاً بهذه الخصلة النبيلة التي تمتعت بها الأسرة. ولم تزل طي الرافدين، التي حلت محل عقيل في السيطرة على مراعي الجزيرة، تتذكر حتى اليوم العقيليين وأميريهم قريش ومقان.

مع سقوط الأسرة الأميرية انحلت قبيلة عقيل إلى أجزاء عديدة. انسحب أتباع الأسرة الحاكمة إلى السهول الواقفة وراء الموصل حيث شكلوا قبيلة خاصة باسم "عرب شرف الدولة" (شرف الدولة هو آخر عقيلي كبير من مسلم ابن قريش)[2]. ولعل هذه القبيلة لم تزل موجودة حتى اليوم. إذ من المرجح أن تكون القبيلة الموجودة في المنطقة نفسها والتي سماها ريج[3] وهاورت[4] "عرب أبو دولة" هي

(1) ابن الأثير، المجلد التاسع 286 «الترقيم الأول» 378.

(2) القلقشندي، 274.

(3) رواية مقيم في كردستان، ج2، ص 137.

(4) هاورت في الجزء الأول، 178 القائمة المذكورة أعلاه، ص 23.

نفسها قبيلة «عرب شرف الدولة». أمّا فرع عبادة، الذي جاءت منه الأسرة الحاكمة والذي كان يشكل الكتلة الرئيسية من العقيليين الشماليين، فقد انقسم إلى قسمين: قسم صغير انضم إلى القيسيين في حران (راجع الجزء الأول، 341، 344، والقسم الكبير منهم بقي مستقلاً.

خفاجة

في نفس الوقت الذي جاء فيه العقيليون الشماليون (عبادة) إلى منطقة ما بين النهرين، وصلت خفاجة[1] إلى ضفة الفرات قادمة من شرقي الجزيرة العربية. وقد ورد ذكرهم هنا لأول مرة في عام 374هـ/ 984م. كانت المنطقة الرئيسية لتحركهم تقع بين هيت والكوفة، وكانوا في الصيف يصعدون على النهر حتى الرصافة حيث كان يتوجب عليهم دفع خوة[2]، ويصلون في الجنوب حتى العقبة على طريق الحج إلى الكوفة. أي أنهم كانوا يتنقلون في نفس المنطقة تقريباً التي تتنقل فيها اليوم عمارات ـ عنزة. إلا أن خفاجة لم تكن تتوغل في الصحراء كما تفعل هذه الأخيرة. وكانت منطقتها تتقاطع عند خط كبيسة ـ شفاثة مع منطقة الغازية[3]. لكن الخفاجيين كانوا بالمقابل يقتربون من المناطق الحضرية الزراعية أكثر مما تفعل العمارات. وقد أعطت هذه الجيرة خفاجة الفرصة لأن تثبت أقدامها في العراق

(1) يتضمن المقال المنشور في الأنسكلوبيديا الإسلامية بهذا الخصوص خطأين هما: أن عبادة من قبائل طي، وأن أولاد ثمال هم الشيخ ثمال وأبناؤه.

(2) ياقوت، الجزء الثاني، 784 وما يليها. ومصدر ياقوت هو ليس بأي حال الأصمعي المتوفى عام 831، كما يزعم موزيل، بالميرينا 370، ما يرد عند الأصمعي هو فقط الملاحظة «الزوراء رصافة الشام» ويلي ذلك ثغرة في مخطوطة النص، راجع الجزء الخامس 212. الرصافة يجدها المرء هنا على الخريطة في الجزء الأول إلى الجنوب الغربي من الرقة.

(3) راجع مقال قشعم (الغازية). كان الغازيون يقيمون هنا في الصيف، والخفاجيون في الشتاء.

وتتدخل في الشؤون السياسية. لكن الخفاجيين لم يتخلوا عن أعمال السلب والنهب. فالغارتان اللتان شنوهما على قوافل الحج[1] تشيران إلى أنهم قد تعلموا في هذا المجال من أساتذتهم السابقين القرامطة.

حدثت الغارة الأولى في عام 402هـ/ 1011م. قام الخفاجيون بمرافقة القافلة العائدة من الحج حتى العقبة ثم منعوهم هناك من الاقتراب من الماء. وبما أنهم كانوا قد سحبوا مياه آبار المحطة القادمة (محطة واقصة) أو خربوها بإلقاء الأوساخ فيها فقد وقع في أيديهم عدد كبير من الحجاج. قامت قوة مرسلة من بغداد بمطاردة اللصوص واللحاق بهم خارج منطقتهم المألوفة في مكان قريب من البصرة. لم يكن قد بقي الكثير من الأشياء المسروقة، إلاّ أنه تم التمكن من تحرير عدد من الحجاج المخطوفين، ثم تم تحرير عدد آخر في حملة تأديبية أخرى بعد عامين. وحدث الغارة الثانية في عام 485هـ/ 1092م. في هذه المرة تجرأ الخفاجيون على مهاجمة قافلة الحجاج بعد خروجها من الكوفة مباشرة. إلاّ أنهم نالوا عقاباً شديداً لقاء هذه الجريمة ولم يتجرؤا منذئذ أبداً على تكرار ذلك.

كانت خفاجة تشكّل خطراً دائماً على ذلك الجزء من المناطق الحضرية الذي يمتد من الأنبار والحلة والكوفة عبر الفرات حتى الصحراء. ولم يتمكن البويهيون من حماية هذه المنطقة من هجماتهم إلاّ بأن كلفوهم هم (أي خفاجة) بحمايتها (374هـ ـ 984م). ويكننا أن نرى في ذلك تأكيداً لعلاقة الخوة التي كانت قائمة. إذ كان الخفاجيون يحصلون لقاء هذه الحماية على رسوم بصيغة تمور وحبوب[2]. وظل هذا الحق قائماً طيلة العهد البويهي والعهد السلجوقي، وشكل السند الشرعي لعزم عائلة الشيوخ أولاد ثمال[3] على تأسيس إمارة في الكوفة.

(1) ابن الأثير، المجلد التاسع، 167، 172، المجلد العاشر، 147، قارن سعدي گلستان «روضة الورد»، المجلد الخامس، 17.

(2) ابن الأثير، المجلد التاسع، 28، 165؛ الحادي عشر، 182، 260: خفارة.

(3) بما أنه من غير الممكن وضع شجرة نسب لأولاد ثُمال ـ فشلت محاولة زامباور ـ سأذكر هنا على الأقل أفراد الأسرة، الذين ذكرهم هلال الصابي وابن الأثير، مع التواريخ الواردة معهم:

كانت الكوفة (راجع الصفحة 303) قد سقطت عام 386هـ/ 996م في أيدي العقيليين. وكانت سلطتهم تتمثل بالدرجة الأولى في ابتزاز الضرائب بينما كان الحكم في يد نبلاء المدن من العلويين والعباسيين. وكان الفريقان (العلويون والعباسيون) متعاديين وكانا يخوضان معاركهما الحزبية بمساعدة الخفاجيين[1]. وسرعان ما تبيّن أن مطالب حماة المدينة النبلاء والبدو لا يمكن التوفيق فيما بينها. ولذلك اندلعت الحرب بين العقيليين والخفاجيين في الأعوام الأولى من حكم قرواش (391هـ). فانهزم الخفاجيون وانسحبوا إلى سورية، أي إلى الجزء الشمالي من المنطقة التي يتنقلون فيها. وفي العام التالي تغير الوضع لصالحهم لأن قرواش دخل في نزاع مع البويهيين. وعندما زار الكوفة عام 397هـ نشب القتال مرة أخرى. في هذه المرة انتصر الخفاجيون وأصبح شيخهم أبو علي الحسن بن ثُمال يشعر بأنه حاكم الكوفة. وعندما عرض عليه الفاطميون حصن الرُحبة الحدودي (راجع الجزء الأول، 57)، بدا له أن حلم المملكة الخفاجية يمكن أن يتحقق. غير أن أبا علي سقط أمام الرحُبة[2]، وبذلك توقفت الخطط السياسية لـ "أمراء"[3] خفاجة.

374 هـ ـ أبو طريف عليّان بن ثمال
392 ـ 399 هـ ـ أبو علي الحسن بن ثُمال، 399 هـ
392 هـ ـ أخوه حسن
402 ـ 411 هـ ـ سلطان بن الحسين بن ثُمال
402 هـ ـ (سلطان)، علوان، رجب، أولاد ثُمال
404 هـ ـ محمد بن ثمال
417 ـ 420 هـ ـ أبو الفتيان مانع بن حسن بن ثُمال
426 هـ ـ علي بن ثمال، قتله ابن أخيه
426 هـ ـ الحسن بن أبي البركات بن ثُمال
420 هـ ـ سرايا بن مانع
452 هـ ـ رجب بن مانع.

(1) ابن الأثير، المجلد التاسع، 131، 236.
(2) أبو هلال الصابئ، 419، 446 وما يليها؛ ابن الأثير، المجلد التاسع، 117، 139، 148.
(3) هكذا يسميهم ابن الأثير، ولكن بدون حق؛ فعند هلال الصابئ لا وجود للّقب.

بعد وفاة أبو علي تابع خليفته سلطان أعمال السلب والنهب في المناطق الحضرية. لا بل إنه تجرأ على الدخول في صراع مع البويهيين لكنه وقع في الأسر نتيجة لذلك (402هـ). وبعد أن أطلق سراحه بعد عامين من الأسر، نتيجة وساطة قام بها علي بن مزيد، عاد إلى عادته السابقة وتابع أعمال النهب إلى أن تعرضت خفاجة لحملة تأديب قاسية جديدة.

كان مانع ابن أخ أبي علي أول من عاد إلى سياسة عمه. فقد تمكن عام 417هـ/ 1026م بالتعاون مع البويهيين والمزيدي دبيس من إلحاق هزيمة كبيرة بقرواش قرب الكوفة. وعلى الرغم من أن هذا التحالف انفك بعد الانتصار وتعيّن على خفاجة أن تعود إلى الاعتماد على نفسها وحدها، فقد تمكنت من نهب الأنبار مرتين. وحتى عندما تحالف قرواش ودبيس لم يستطيعا كسر مقاومة خفاجة. استغل مانع هذه النجاحات لكي يحصل على صك بملكية الكوفة وذلك لقاء إشادته بالبويهيين وإعلان الولاء لهم[1]. ولكن أولاد ثمال لم يستطيعوا البقاء هناك زمناً طويلاً؛ إذ على الرغم من أن قرواش لم يجدد مطالبته بالكوفة، فإن البويهيين لم يكونوا مستعدين للتخلي عن المدينة على المدى الدائم. وفي العقود التالية أدى صعود المزيديين إلى تضييق حرية تصرف "الأمراء" الخفاجيين. وفي عام 446هـ/ 1054م ألحق بهم البساسيري (انظر الصفحة 306 أعلاه) هزيمة نكراء واحتل قلعتهم خفان[2].

بعد دخول طغرل بك إلى بغداد (1055م) انضمت خفاجة إلى الحلف المناوئ للسلاجقة: شأنه شأن الزعماء الآخرين أيد شيخهم محمود بن الأشرم في بادئ الأمر الخليفة الفاطمي (من أجل شفاثه والعين[3]) ثم خضع في نهاية عام 449هـ

---

(1) ابن الأثير، المجلد التاسع، 166، 171، 248 وما يليها.

(2) ابن الأثير، المجلد التاسع، 411 وما يليها. خفان جنوب شرق الكوفة تسمى اليوم القيّم «القايم»، وهو في الأصل اسم برج لم يدمر آنذاك. راجع: موزيل، الفرات الأوسط، 358، الذي ينسب النصر خطأً لرجل مزيدي.

(3) عين التمر. هاتان الواحتان كانتا من أملاك عائلة أولاد ثُمال.

بداية عام 1058م للسلطان السلجوقي لكنه انفصل عنه مرة أخرى في العام التالي فكافأه البساسيري، قائد التحالف، على ذلك بأن عيّنه أميراً على الكوفة. وبعد وفاة البساسيري (أول عام 1060م) تم الاعتراف عموماً بالسلاجقة. فترك طغرل بك الكوفة في يد الخفاجيين: كُلِف محمود الأشرم بإدارة المدينة والمناطق المجاورة لها وأجّره السلطان أملاكه في المنطقة بمبلغ 4000 دينار (452هـ/ 1060م)[1].

لم يتمكن أمراء خفاجة هذه المرة أيضاً من حكم الكوفة زمناً طويلاً، بل استبدلوا بموظفين أتراك في عهد ملكشاه على أبعد تقدير (1072م ـ 1092م)؛ إذ إن هجوم خفاجة على قافلة الحج في عام 1092م لا بدّ من أن يكون قد سبقها هذا التبديل. ولم يكن قد بقي آنذاك من الأسر الأميرية العربية في العراق إلا المزيديون. وكان صدقة (1086م ـ 1108م)، أكبر أمراء هذه الأسرة، قد تغلب على خفاجة بعد صراع مرير[2]. وسوف نتحدث لاحقاً (الصفحة 317) عن سياسته تجاه البدو.

بعد سقوط المزيديين (1150م/ 1151م) عادت القبيلة إلى الاحتكاك المباشر مع موظفي الخليفة. وفي عام 555هـ/ 1160م رفض صاحب الكوفة وصاحب الحلة إعطاءها المؤن المستحقة لها لقاء قيامها بمهمة الحماية. ولذلك لجأ الخفاجيون، المتجمعون في الكوفة والحلة لاستلام المؤن والمواد الغذائية، إلى استعمال السلاح، لكنهم وقعوا بين نارين وهزموا. فحاولوا عبثاً الاستسلام والرضوخ لكن القوات الحكومية ظلت تلاحقهم حتى الصحراء. وهنا في الصحراء كانت الغلبة لخفاجة بعد أن انضمت إليها قبائل أخرى؛ إذ سقط حاكم الحلّة وفرَّ صاحب الكوفة، ومات كثير من الجنود عطشاً في الصحراء. أما الجرحى فقد قتلهم البدو دون رحمة. ولم تتمكن حملة تأديبية جهزت في بغداد من الوصول إلى القبيلة مما جعل الحكومة تضطر أخيراً إلى منحهم السلام[3].

---

(1) ابن الأثير، المجلد التاسع، 423، 438، 443؛ المجلد العاشر، 8.

(2) ابن الأثير، العاشر، 177 وما يليها.

(3) ابن الأثير، الحادي عشر، 182 وما بعدها.

تحت عام 568هـ/ 1172م ـ 1173م يذكر ابن الأثير (المجلد الحادي عشر، 259 وما بعدها) حدثاً يلقي الضوء على الظروف الداخلية لقبيلة خفاجة. قامت الحكومة بحرمان فرع (القبيلة) بني حزن[1] من بعض تعويضات الحماية التي كانت مخصصة له، حيث أعطت واردات الحلة لفرع آخر من فروع خفاجة هو فرع بني كعب. فثار بني حزن على هذا القرار وشنوا حملة من التخريب في مختلف أرجاء البلاد. فقاد موظف من بغداد حملة ضدهم، يرافقه الغضبان زعيم بني كعب، لكنه اضطر إلى إيقاف الحملة لأن الغضبان قتل في الطريق على يد أحد الجنود. ولذلك بقي بنو حزن المالكين الوحيدين لحقوق الحماية.

في أواخر العصور الوسطى حصلت خفاجة مرة أخرى ولفترة قصيرة على دور سياسي: ذلك أن احتلال بغداد على يد هولاكو (1258م) حطم الخلافة التي كانت استعادت بعض القوة. وكما كان الأمر في القرون السابقة أصبح الفاطميون والعباسيون يقفون في مواجهة المماليك والمغول وأصبحت بالتالي البادية السورية تشكّل الحدود بين دولتين كبيرتين تحاول كل منهما كسب سكانها إلى جانبها. وطالما ظل السلطان بيبرس يأمل في حدوث انقلاب في العراق، كان يستعمل خفاجة كأداة لسياسته. في عام 1261م قامت سرية من القبيلة بمرافقة المستنصر، المطالب بالعرش العباسي، إلى سورية. ومنذ ذلك الحين صار بيبرس يدفع مرتبات لشيوخ خفاجة وعبادة كي يقدموا له خدمات تجسسية وكي يضايقوا المغول بشن غزوات متلاحقة عليهم[2]. وعندما استقر الوضع السياسي انتهت هذه العلاقات. ففي عام 1268م حارب الخفاجيون مع الجيش المغولي[3].

(1) راجع فوستنفلد، الجدول د 18. ويذكر ابن الأثير فرعاً آخر من فروع القبيلة هو بنو كليب، وهذا الفرع هو دون شك الفرع الذي يذكره فوستنفلد في الجدول د 16، أي أنه لا ينتمي في الأصل إلى خفاجة. ولذلك لا نجد له ذكر بين القبائل الإحدى عشرة المتفرعة عن خفاجة والتي يذكرها النويري في "النهاية"، ج2، 340 وهي: معاوية، كعب، الأقرع، كعب، عامر، مالك، الهيثم، الوازع، عمر، حزن، خالد.

(2) المقريزي، كاترمير ج1 والقسم 1، 182، 223، 235، 238.

(3) فون هامر، تاريخ الألخانيين، ج2، 294؛ قارن المقريزي، كاترمير ج1، قسم 2، ص 140.

بعد وقت قصير اختفت القبيلة من البادية السورية في مطلع القرن الرابع عشر نجدها في المنطقة الواقعة بين النجف وواسط. ولم تكن القوافل تستطيع التحرك بين هاتين المدينتين إلا بحماية خفاجة.

وفي وقت لاحق انتقل الجزء الأكبر من القبيلة إلى الغراف الأدنى وانضم هناك إلى أقربائه بني المنتفق (ب6). واستوطنت مجموعة من خفاجة في منطقة القبيلة القديمة الواقعة جنوبي الحلة، وبقيت مجموعة أخرى إلى الجنوب الشرقي من النجف. وتشكّل هذه المجموعة جزءاً من قبيلة كبشه (4) «چبثة» التي انضمت إلى (الخزاعل)[1].

حصل تل خفاجي الأثري المشهور الواقع على ديالى إلى الشرق من بغداد على اسمها من فرع صغير لقبيلتنا التي استوطن على مقربة من الهضبة المسماة الخفاجية (الآن سوسنجرد) شمال الحويزة وهي مجموعة جاءت إلى بني لام بمحض الصدفة. وبالقرب من كربلاء يذكرنا اسم قصر الخفاجي، الذي يحمله حصن الأخيضر عند الرولة، بالماضي المجيد لهذه القبيلة[2].

---

(1) ابن بطوطة، الثاني، 1، 94، الذي قام بهذه الرحلة عام 1327م مع شيخهم شامر (تامر؟) بن درّاج. يحمل ابن بطوطة أعمال السلب التي كانت تمارسها قبيلتنا المسؤولية عن سقوط الكوفة.

(2) خورشيد، 209، 20 خيمة على الروز ، فون كرامر، SBAW، 1850، موزيل، الجزيرة العربية، ص 367. فون كرامر JBAW، 1850، ص 253، موزيل، الجزيرة العربية ص367.

عبادة

لم نسمع بعبادة كقبيلة مستقلة إلا في عام 1105م، أي بعد وقت قصير من سقوط العقيليين (1096م). كانوا يعيشون آنذاك بصورة دائمة في جنوبي الرافدين، تقريباً في المنطقة التي يشغلها الآن الدليم، بينما كانوا في السابق لا يذهبون إلى هناك إلا في الشتاء. بسبب هذا التبدل ازداد حجم الاحتكاك مع خفاجة التي كانت تقيم على الضفة الأخرى للفرات. كان تقارب ملّاك الأراضي قد أدّى إلى الاحتكاكات التي حدثت بين القبيلتين، الزعيم المزيدي صدقة (1086م ـ 1108م) الذي لم يكن يستطيع أو لم يكن يريد منع قيام النزاعات بين القبيلتين، لكنه كان يحرص على بقاء التوازن بينهما قائماً. وهناك قصة ذكرها ابن الأثير (المجلد العاشر، 275، 291) توضح بكل جلاء السياسة التي اتبعها صدقة: قامت خفاجة بسرقة جملين لرجل من عبادة. فحاول الرجل استعادة جمليه بطريقة ودية لكنه لم ينجح. ولذلك شن غارة على خفاجة واختطف أحد عشر جملاً. إلا أن الخفاجيين لحقوا باللصوص وقتلوا أحدهم وقطعوا يد آخر. فهبّ العباديون لأخذ الثائر وتوجه 700 رجل منهم، مع نسائهم وأطفالهم ومواشيهم، إلى العراق. حاول صدقة التوسط، وكان الخفاجيون أيضاً مستعدين لدفع التعويض المناسب، لكن العباديين رفضوا جميع عروض السلام. فحدث صدام بين الطرفين على مشارف الكوفة كان في اليومين الأولين خفيفاً لكنه تطوّر في اليوم الثالث إلى قتال بالسيوف وجهاً لوجه. وأخيراً قام 300 رجل كانوا مختبئين في الخلف بحسم المعركة لصالح

خفاجة. فقدم صدقة الحماية لعبادة التي فقدت إثني عشر رجلاً لكنه لم يتلق منها أي شكر لأنها اتهمته بأنه ساعد الخفاجيين. وفي العام التالي (1106م) قام هو نفسه بحشد عبادة ضد خفاجة لأن الأخيرة اعتدت على أراضيه. وصل العباديون، الذين كانوا يشكلون طليعة جيش صدقة، في الليل إلى مقربة من العدو الذي لم يكن لديه أي علم بما يجري. فصرخ أحد الخفاجيين سائلاً: من أنتم؟ فأجابه أحد المهاجمين: طلاب ثأر!

تصدى الخفاجيون للمهاجمين وظلوا يقاومون إلى أن سمعوا طبول جيش صدقة، وبعد ذلك انهارت مقاومتهم. قتل عشرة من زعمائهم ووقع مخيمهم في أيدي أعدائهم. وجد نساؤهم وأطفالهم الحماية لدى صدقة الذي أمر قواته بأن لا يتركوا لعبادة من الغنيمة إلا ما يكفي لتعويضهم عما خسروه في العام السابق. قضى العباديون فصل الشتاء في منطقة الخفاجيين الذين انسحبوا على الفرات نحو الأسفل. ولعنت امرأة من القبيلة المهزومة صدقة واتهمته بأنه مدبر المصيبة التي حلّت بقبيلتها. ويرى ابن الأثير أن هذه اللعنة هي السبب في سقوط صدقة في العام التالي. ثم يختم ابن الأثير القصة بالقول المأثور: دعوة المظلومين مسموعة عند اللّه.

خلال القرن الثاني عشر نقلت عبادة منطقتها نحو الشرق. في حوالى عام 1250م كانوا يسكنون بين المنتفق في البطايح[1] أو كانوا يتنقلون مثلهم بين البادية ومنطقة الأهوار. وبعد قرنين من الزمن نجدهم قرب واسط. وكان أبناء عائلة شيخهم يحملون آنئذ لقب أمير ولهم نفوذ كبير[2]. وفي وقت لاحق انتقلت عبادة إلى جزائر. ويقول خورشيد، سياحت نامه إي حدود، 48، إن عددهم هناك كان 600 رجل، وإنه ليس سوى صدفة أنه منذئذ لم يرد لهم ذكر في أي مكان.

---

(1) ابن ساعد عند القلقشندي، 66. ابن خلدون، عبر، السادس، 11؛ البربر، الأول، 26. الشيخ قيان بن صالح.

(2) نورالله الشوشتري، مجالس المؤمنين، طهران 1268، مجلس 8، جند 16: الأمير منصور بن قيان بن إدريس العبادي حوالى 1435، 1457 الأمير ناصر بن فرج اللّه، (النص فرح اللّه).

عجيل(*)

اسم القبيلة الذي اختفى من اللغة اليومية المتداولة بعد سقوط المملكة العقيلية ظهر بطريقة غريبة في العصر الحديث كإسم لجماعة حرفية من قواد القوافل والتجار، وظل حياً حتى اليوم كإسم حرفة مهنية.

كانت المقرات الرئيسية لتجمع عجيل[1] موجودة في بغداد ودمشق، لكن أتباعه كانوا يعيشون بلا استثناء تقريباً في شبه الجزيرة العربية. كانوا يتألفون بصورة رئيسية من قصمان وسكان منطقة القصيم الأذكياء والنشطاء، وكان الباب مفتوحاً أمام انضمام عرب آخرين باستثناء فلاحي السدير. كما أن البدو كان يحق لهم الانضمام ولكن لم يكن يوجد بينهم أحد من الدواسر. وباستثناء هذين الاستثناءين كان جميع العرب القادمين إلى بغداد من نجد ينضمون إلى عجيل.

انقسم هؤلاء هنا إلى طبقتين: الزغرت «زگرت» والجماميل. كانت الطبقة الأولى تضم الفقراء والباعة المتجولين، وكانت الطبقة الثانية تضم، كما يظهر من اسمها، قواد القوافل[2]. ولم يزل تعبير زغرت (زيغيرت) مستعملاً في نجد حتى

(*) يطلق عليهم في بغداد اسم العگيل والجماعة العگيلات. (م. شبّر).

(1) الجماعة: عجيلات، المفرد عجيلي.

(2) بوركهاردت، 328؛ شوسين. شتومّه، ديوان وسط الجزيرة العربية رقم 102: زغيرت "أعزب" (معنى صائب جزئياً فقط).

اليوم. وهو يعبّر هنا عن عناصر الخدمة والحرس الشخصي للأمراء. وهذا يعني أن الكلمة فيها شيء من الاحتقار لأن الخدم ينتمون غالباً إلى الطبقة الدنيا من بني خضير[1].

في بغداد ودمشق كان شيوخ، من قصمان غالباً، يترأسون الجماعات الحرفية التي اعترفت بها الحكومة. لا بل إن عجيلين، أو لنقل عجيليو بغداد على الأقل، انتسبوا إلى جد مختلق هو الشيخ علي وسموا أنفسهم تكنياً به: أولاد علي. وقِيل بأن الشيخ علي هو أول رئيس للعجيليين وكان السلطان مراد الرابع قد عيّنه في منصبه عند احتلال بغداد[2]. وليس من الضروري أن نأخذ هذا الكلام على حرفيته، لكن الصحيح على أي حال هو أن الجالية العجيلية في بغداد هي أقدم الجاليات وأكبرها. إلاَّ أن وجودها غير مثبت في المراجع الأدبية إلا في القرن الثامن عشر.

لم يكن العجيليون آنذاك الجماعة الوحيدة من هذا النوع في بغداد. بل كان يوجد إلى جانبهم النجادة. واسم النجادة بحد ذاته يعني "المولودون في نجد" لكنه هنا تعبير فني مستقل. وكان النجاديون كالعجيليين يقودون القوافل على الطرق البرية من البصرة وبغداد إلى دمشق وحلب. إضافة إلى ذلك كانوا يمدون باشاوات بغداد بالجنود المرتزقة[3]. ولعل السبب في وجود الجماعتين جنباً إلى جنب هو أصلهما المختلف، كما هو الحال بالنسبة للنجادة وقصمان في سوق الشيوخ؛ خورشيد، 48. تمكن العجيليون في عهد سليمان باشا الكبير (1780م ـ 1802م) من

(1) فيلبي، الثالث، 225، 253؛ راجع الصفحة 230 أعلاه. الكلمة من أصل تركي «زوغورد» أي "فقير، بائس" وليس كما يقول فيلبي من أصل إيطالي «سكورتا (أي الحرس)».

(2) بوركهاردت، 328، ديوان وسط الجزيرة العربية، رقم 3، 8؛ 102، 10 (أولاد علي).

(3) كابر، الذي سافر عام 1778م من حلب إلى البصرة، يسمي عجيل، نجادة، ويصف بني خالد بأنهم قواد قوافل. Capper, Oboervation sur le Passage dans l'Inde par L'Egypte et le grand desert, Paris V, 261.

ويذكر رسول حاوي القوات النجادية في: دوحة الوزراء، 179 وما يليها (1777/ 1778).

التفوق على منافسيهم وذلك بأن حصلوا على حق حصري في النقل على الطرق البرية[1]. وفي الوقت نفسه استبدلت القوات العسكرية المؤلفة من النجاديين بقوات مؤلفة من العجيليين (من الزغرت؟). ولم يكن تواجد هذه القوات يقتصر على بغداد وحدها بل كانت موجودة أيضاً في أماكن أخرى من المقاطعة التي كانت واسعة جداً آنذاك، في ماردين مثلاً[2]. ولقد قدمت للحكومة خدمات جليلة في مقاومة الوهابيين[3]. ثم برزت مرة أخرى عام 1831م عند سقوط داوود باشا. فقد قام أحد زعمائها، سليمان الغنّام ـ وهو حسب فريزر من أب شمّري وأم عبدة ـ بمرافقة علي رضا باشا من اسطنبول إلى الموصل ثم انضم إلى طليعة القوات التركية في هجومها على بغداد. ولقد تحدثنا أعلاه (ص 287) عن المقلب الذي قام به هناك. وشارك بعد ذلك مع جماعته العجيليين في محاصرة المدينة[4].

في غضون ذلك كان التجمع المؤلف من قوّاد القوافل، الذي يمد الحكومة بالجنود المرتزقة، قد حقق نهضة قوية. فبينما كان العجيليون في السابق يعيشون خارج المدينة سمح لهم في وقت لاحق بالسكن في حي يقع إلى الغرب من دجلة. وسرعان ما أصبحوا هنا أقوياء جداً وأخذوا يعتدون على السكان إلى درجة أن علي رضا باشا اضطر في نهاية عام 1834م إلى استعمال القوة ضدهم. فطردوا من المدينة وعُيّن سليمان الغنام، الذي كان هذه المرة أيضاً يعمل يداً بيد مع الحكومة، شيخاً لعجيل[5]. ومنذئذ أصبح العجيليون مقتصرين على ضاحية الكاظمية. وفيما عدا بغداد كان هناك مستوطنات للعجيليين في هيت والزبير[6].

---

(1) راجع جـ.ب. فريزر: رحلات في كردستان وميزوبوتاميا، 1834م الأول، 318 ـ 348.

(2) عبد السلام أفندي، تاريخ ماردين لعام 1240م.

(3) دوحة الوزراء، 230 وما يليها؛ لونكريك: أربعة قرون في العراق الحديث، 214. راجع ص 137 أعلاه.

(4) لطفي، تاريخ، المجلد الثالث، 127 ـ 134.

(5) قد تكون القوات العجيلية قد حُلّت أيضاً بهذه المناسبة.

(6) موزيل، الفرات الأوسط، 27؛ روسّو، فوايياج، 4.

في دمشق لم يبرز التجمع إلا قليلاً على الرغم من أنه كان يوجد هناك أيضاً وحدة عسكرية عقيلية. كانت هذه الوحدة تستخدم بصورة رئيسية لحماية قافلة الحج، وكان يوجد أيضاً في بعض محطات طريق الحج، وفي معان والمدينة مثلاً، وحدات عجيلية[1]. ومنذ تحويل البريد الهندي إلى الطريق البرية (1868م) تولى العجيليون أيضاً الخدمة البريدية على طريق ضمير ـ بغداد[2]. استمرت الوحدة العجيلية الدمشقية أكثر من الوحدة البغدادية. ففي عام 1877م، عندما توجّه دوتي مع الحجيج إلى الحجاز، كانت قوة من عجيل تحمي قافلة الحج، وكانت محميات عجيل في الحجاز لم تزل تحمل الاسم القديم لكنها لم تكن تتألف من العجيليين. وظل التعبير حياً في سورية حتى عام 1939م. كان الناس يطلقون اسم عجيل على شرطة البداية الخيالة التي كان يخدم بها بعض النجديين، على الرغم من أن اسمها كان قد تغيّر رسمياً.

منذ أن بدأت حركة القوافل تتراجع بسبب تنامي الملاحة البحرية، أخذ العجيليون يتحولون إلى التجارة. وبهذه الصفة بقوا بعد انحلال التجمع شيئاً فشيئاً. والعجيليون تجار كبار وهم يتميزون تماماً عن بقية تجار الصحراء، الرحباويين والكبسيين[3]. فهؤلاء يزودون البدو بحاجات الحياة اليومية، الملابس والقهوة والتبغ، بينما يمارس العجيليون بصورة رئيسية تجارة الجمال والأسلحة. وهم محترمون لدى البدو لكنه يجب أن يكون لهم في كل قبيلة "أخ" يضمن لهم أملاكهم ويتقاضى لقاء ذلك بعض المال كل عام (خوة). وجميع العجيليين وسطاء لبعض البيوت التجارية الكبيرة التي يعدّ بسّام أهمها. تنحدر عائلة بسام من

(1) ستيزن، ج1، 275، فون كريمر، سوريا الوسطى، 113 (غوسمان) دوتي، ج1، 11، 33، ج2، 80، قارن أيضاً الجزء الثاني، ص 427.

(2) كانت الخدمة في يد الإنجليز، لكن مدحت باشا حوّلها إلى شركة تركية.

(3) موزيل، رولة، 125، 269 وما يليها. جاء الاسم من قرية الرحيبة (الواقعة قرب دمشق وليس من الرحبة الواقعة على الفرات، كما يقول موزيل ومن كبيسة، لكنه أصبح اسم مهنة.

عنزة[1]. ويعيش أفراد منها في بغداد والبصرة وبومباي والطائف والقاهرة ودمشق. وكان محمد البسام، والذي يعود إلى معارفه الواسعة كثير من الفضل في تأليف كتاب البدو، كان رئيس البيت الدمشقي. وكان محمود البسام عام 1818م شيخ عجيل في بغداد[2]، وهو بالتأكيد من أقرباء محمد بن حمد البسام مؤلف "جدول شبرنغر" والذي كان يعيش في نفس الوقت في بغداد[3].

عمل العديد من العجيليين بصفة عملاء دبلوماسيين في خدمة عبد العزيز آل سعود، ومن بينهم فوزان السابق من بريدة الذي كان سابقاً عميلاً لمحمد البسام والذي أصبح عام 1936م قائماً بالأعمال في مصر، وابن بلده الرواف الذي كان يشغل حتى عام 1938م المنصب نفسه في بغداد. كما أن عبد اللّه الفضل، نائب رئيس مجلس الدولة في الحجاز، ينتمي إلى أسرة عجيلية تعيش في جدة وبومباي.

هناك جماعات خاصة تحمل اسم عجيل (عجيلات) تندرج في الصورة التي اكتسبناها عن هذا التجمع. ومن بينهما العجيلات، الذين هم فرع من بني عطية في شمالي الحجاز والذين تحدثنا عن أصلهم في الجزء الثاني 490، الملاحظة 5. كما أن "التقليد" العجيلي الرقيمات (الجزء الثاني 129) لا يثير الاستغراب لأنهم كانوا واقعين على طريق القوافل الكبيرة دمشق ـ القاهرة، وكذلك ميل العليجات في سيناء إلى تغيير اسمهم غير المحترم إلى عجيلات (الجزء الثاني، 242، الملاحظة 14)؛ لأنهم هم أيضاً كان لهم في أحد الأوقات حق حصري في النقل.

هناك صعوبة أكبر في تصنيف بعض القبائل التي تعيش في العراق وتحمل اسم عجيل. وعلى أي حال فإن العجيليين، الذين كانوا في أحد الأوقات يعيشون على الضفة اليمنى للفرات تحت المسيّب، كانوا نجديين وذلك لأن فرعاً منهم كان اسمه

(1) قارن ص 247 أعلاه.

(2) خورشيد، 201 وما يليلها، 218.

(3) بورتر، ر.ك، (1818م) رحلة إلى جورجيا، فارس، أرمينيا، وبابل القديمة، ج2، 302، 376.

شمامرة (شمّر)[1]. أما البقية، ومنهم مثلاً الذين كانوا عند المنتفق (مصنفون في ب2)، فلا تتوفر لدينا معلومات عنهم.

لم يزل هناك سؤال لم نجب عليه بعد وهو: كيف حصل تجمع عجيل على اسمه؟ بما أن قرابة الدم مع عقيل القديمة غير واردة فلا يمكن أن يكون الاسم قد أطلق عليه إلا استناداً إلى جماعة مهنية. وإذا ما فتشنا قبائل عقيل بناء على وجهة النظر هذه فإننا لا نجد تجارة قوافل بالحجم الكبير إلا لدى عامر في شرقي الجزيرة العربية. وهي تعود إلى زمن قديم، إلى القرن الرابع عشر، إلا أن هذه الأشياء تبقى ملتصقة زمناً طويلاً، كما هو معروف، ولذلك لا يمكن اعتبار القدم حجة ضد تفسير الاسم بهذه الطريقة. هناك اعتراض آخر أقوى وهو أن: عامر كانت تسمى عامر، وأما عقيل فلم تكن تسمى كذلك إلا على لسان الشعراء وعلماء الأنساب. ولكن من المؤكد أنه كان في صفوفهم فرع اسمه عجيلات. وإذا ما تبيّن أن هذا الفرع كان يشارك بصورة فعّالة في تجارة القوافل لبني عامر، فإنه يكون قد ثبت أن اسم التجمع (الجماعة المهنية) قد جاء من هؤلاء العجيل. وللأسف لا تذكر المراجع التاريخية شيئاً عن ذلك.

(1) توفي 1246هـ/ 1831م في مكة؛ غزاوي، الأول، 24 وما بعدها، حيث يوجد أيضاً بعض المعلومات عن خلفه ـ في النص الأصلي للقائمة (الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر) التي تكيل المديح لجميع القبائل بالتساوي، يظهر موقف عقيل بمنتهى الوضوح.

زوبع

إذا ما أردنا العودة إلى الوراء ومسك الخيط من النقطة التي تركناه عندها في الجزء الأول، 251، علينا أن نبدأ بقبيلة زوبع التي تمتد منطقتها على الضفة اليسرى لنهر الفرات تحت الفلوجة.

تعيد زوبع نسبها إلى طي. وهي لا تربطها قرابة قوية بشمر وحسب بل تشكل، كما ذكرنا في الجزء الأول ، ص 250 وما يليها، جزءاً أساسياً من هذا التجمع. ولذلك تعود الأسماء المذكورة في شجرات نسب شمر وجداولها، نمور، فداغة ونابت، قتادة[1]، رموث، إلى الظهور لدى زوبع[2]. ويتألف هؤلاء من ثلاث وحدات كبيرة هي: حيوات، وقتادة، وفداغة، وللوحدتين الأخيرتين روابط وثيقة مع شمر الرافدي، الجربا، الذين تشكل قتادة عندهم فرع الخرصة وتشكل فداغة أحد الأفخاذ. أما حيوات فليس لها علاقات قريبة مع الجربا. فهم ينتمون إلى الموجة الأولى من شمر التي ظهرت في أول القرن الثامن عشر على حدود العراق[3]. بالمقابل فإن قتادة جاءت بالتأكيد إلى البلاد مع الجربا في حوالى عام 1802م. وبعد ذلك استوطن العدد الأكبر منهم في العراق واتحد مع حيوات، بينما

---

(1) في العراق تلفظ قتادة چدادة.

(2) راجع الجزء الأول، 249 وما يليها، جدول شمر المتضمن لجدول زوبع.

(3) راجع الجزء الأول، 219.

انضم البقية إلى خرصة ورحلوا معهم إلى منطقة ما بين النهرين. ويبدو أن الجزء الأحدث من زوبع هم فداغة[1] الذين تابع معظمهم رحيله ولم يبقَ منهم عند قبيلتنا سوى أقلية صغيرة. ومما يتفق وهذا الرأي أن قتادة وفداغة لم تكن تربطهم مع حيوات منذ القديم سوى علاقة ضعيفة[2].

بكر الحمام، جدّ عائلة من حيوات تحمل الأسم نفسه (آ ا)[3]، هو الشخصية الرئيسية في الحكايات والنوادر الملتصقة بقاهر البدو سليمان أبو ليلى، باشا بغداد من عام 1749م حتى عام 1762م. في يوم من الأيام تجرأ بكر الحمام، المشهور بأنه من لصوص الصحراء، على الاستيلاء على قطيع من الجمال كان يرعى عند قبر الست زبيدة قرب بغداد. وما أن سمع الباشا بالحادث حتى امتطى ظهر جواده وانطلق بأقصى سرعة خلف البدو الهاربين الذين اتجهوا نحو الفرات؛ لم يتمكن مرافقوه من اللحاق به إلا بصعوبة. لحق المطاردون بالبدو بينما كانوا يستعدون لعبور النهر. فكانت المفاجأة كبيرة مما جعلهم يتركون حريمهم وأطفالهم وخيامهم وقطعانهم مع الغنيمة ويلقون بأنفسهم في النهر. فغرق كثير منهم ونجا بعضهم ومن بينهم بكر الحمام. وبينما اندفع الجنود نحو الخيام لسلبها تقدمت زوجة بكر أمام الباشا وقالت له: يا أبا خرما! هي يهون عليك أن تنهب خيمة بكر الحمام القريبة جداً من حافر حصانك وكأنها في رعايتك؟ لبى سليمان أبو ليلى هذا الرجاء بأن وضع الخيمة تحت حمايته بقوله: "هذه حصتي من الغنيمة". وبعد أيام قليلة رأى الناس من الديوان، من غرفة جلوس الباشا، على الضفة الأخرى من دجلة خيمة سوداء منصوبة. وسرعان ما علم الناس أن هذه الخيمة هي خيمة بكر الحمام الذي أرسل زوجته إلى الباشا كي تطلب منه الحماية. استقبلها سليمان بلطف وتركها

---

(1) غير موجودة في قائمة روسّو: رحلة من بغداد إلى حلب (1808م)، 66 وما يليها.

(2) جونز، مذكرات، 1857م، 381، وسالنامه بغداد 1324، 249 يضعان قتادة (يمثلها عند الأول البرغوث ب2 وعند الثاني الزبار ب1) وفداغة إلى جانب زوبع أي إلى جانب الحيوات. انتبه أيضاً إلى ملاحظة جونز المتعلقة بالأخيرة: دم بدوي ولكنه انحدر!.

(3) سلسلة النسب في الملاحظة 4 التابعة للجدول ناقصة، الأمر الذي يتكرر في كثير من الأحيان.

تذهب بعد أن قدّم لها هدية. وبعد وقت قصير جاء بكر نفسه إلى الباشا وطلب منه العفو فعفا عنه[1].

لم يكن ينقص خلفه من بعده الجرأة على القيام بأعمال السلب والنهب. فقد كان سجل القبيلة في هذا المجال بين عام 1819م، الذي شنت فيه أول حملة تأديبية ضد زوبع، وعام 1913م طويلاً إلى حد ما[2]. بالمقابل كان الزوابعة يشاركون البدو في كرههم للخدمة العسكرية. فعندما دعت الحكومة التركية عام 1915م القبائل إلى الجهاد وعد الشيخ ضاري بتقديم 170 رجلاً لقاء مكافأة قدرها 2000 ليرة ذهبية، لكنه لم يتمكن بعد جهد جهيد من أن يجمع سوى عشرة رجال[3]. بعد احتلال بغداد اضطر الإنجليز عدة مرّات إلى محاربة زوبع، ولم يرضخ شيوخها إلا في سبتمبر/ أيلول[4]. وسوف نتحدث في وقت لاحق عن موقفها في ثورة عام 1920م.

يشكّل الفلاحون نحو سبعة أعشار القبيلة، والبقية رعاة غنم نصف رحل. وهؤلاء هم غالباً من فداغة، بينما لم يعش حياة البداوة من بقية زوبع إلا فرع الحمام من حيوات.

تشمل منطقة زوبع المقاطعات التي تحمل اسم القنوات الموجودة فيها وهي: أبو غريب، والرضوانية، والمحمودية. وتمتد في الشمال الشرقي حتى الصقلاوية، (نهر كرمة) وفي الجنوب الشرقي حتى قرب المحمودية. كما أن قناة اليوسفية التي شقت قبل وقت قصير من الحرب العالمية، والتي تبدأ تحت الرضوانية مباشرة، تقع في منطقتها. وهذه كانت (نظرياً أملاك دولة) في منتصف القرن الماضي ملكاً للقبيلة، لكنها في عام 1908م أصبح جزء منها ملكاً للدولة وجزء آخر ملكية خاصة، الأمر الذي أدى بالطبع إلى زيادة الرسوم التي تدفعها زوبع والتي كانت في الماضي

---

(1) دوحة، 148 وما يليها (عام 1169هـ/ 1755م ـ 1756م).

(2) لونكرك، 241؛ عالم الإسلام (باللغة الألمانية) الجزء الثاني، 49 رقم 117.

(3) موزيل، الفرات الأوسط، 127.

(4) تقرير عن الإدارة المدنية في بلاد الرافدين، 22.

تتألف من العشر فقط[1].

يعيش في منطقة زوبع عدد كبير من المستوطنين الغرباء. وهم ينتمون جزئياً إلى القبائل التي أخضعها الدليميون في نهاية القرن الثامن عشر أو طردوها باتجاه أسفل النهر، من أمثال الموالي والجنابيين والقرطان والبوسودا[2]. وينحدر آخرون من المجمع وبني تميم جيران زوبع في الشمال والشرق، وأيضاً من قبائل أبعد مثل عزة، وزبيد، وجبور. وهم مصنفون في الجدول تحت (آ)، على الرغم من أن صلتهم بزوبع أضعف من فروع شمر المتفرقة والمذكورة أيضاً تحت العنوان نفسه، ومن أن بعضهم يمكن اعتباره مستقلاً مثل: شعار (13) والبوسودا (15)، على سبيل المثال.

تنحدر أسرة شيوخ زوبع، آل محمود (آ 1، أ 1) من الحمام. وكان ظاهر المحمود[3] الذي حكم من السبعينيات وحتى بداية القرن الحالي رجلاً محترماً جداً. وورث عنه ابنه ضاري المنصب لكنه لم يرث النفوذ. فخضع للإنجليز بعد حادثة الرمادي (سبتمبر/ أيلول 1917م) لكنه لم يستطع، أو لم يرد، عام 1920م منع قبيلته من الانضمام إلى الثوار. وعندما شعر بالإهانة بسبب تصرف لجمن «لجمان» الفظ أمر بقتله بعد زيارة له في معسكره. وفي وقت لاحق اعتقل ضاري وقضى حياته في السجن. فانتقل منصبه إلى ابنه خميس وأخيه درع الذي توفي قبل بضع سنوات.

---

(1) قارن خورشيد (حوالى 1850م) مع سالنامه بغداد، 1324هـ/ 1906م، 249. يقول خورشيد، 198، أن زوبع لم تكن تدفع أبداً أي ضرائب أو رسوم سوى «العشر».

(2) قارن الجزء الأول، 286، وهنا الملاحظات: 14، 15، 24، 29، 38.

(3) ليدي آن بلونت، القبائل البدوية على الفرات، ج2، 189، خطأ: ظاهر الحمود. وقد وقع بنفس الخطأ موزيل، الفرات الأوسط، 48.

زوبع(1)

شيخ المشايخ: خميس الضاري
مكان الإقامة: ضفة الفرات اليسرى ـ الفلوجة ـ المحمودية
عدد الخيم 3000

آ ـ الحيوات

الشيخ الأكبر: خميس الضاري
مكان الإقامة: أبو غريب
عدد الخيام: 1800 (بدون الخيام الملحقة)

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ الحمام			400
أ ـ الظاهر(2)			
1 ـ آل محمود			
2 ـ الحمد(3)			
3 ـ الفارس			
ب ـ العودة	مطلق المحيميد		
ج ـ البكر	صالح العودة(4)		
2 ـ السعدان	يوسف العرسان(5)		
	شكر المحمود		
أ ـ الخضر			
ب ـ الخضير			
ج ـ الفرهود			

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
د ـ اليونس	يوسف العرسان		
هـ ـ العبيد			
3 ـ الشيتي(6)	محمد العيد		
أ ـ الشيتي			
ب ـ الخلفيات(7)			
4 ـ الكروشيين	فزع الشنيتر(8)		
أ ـ الزامل	فزع الشنيتر		
ب ـ الفليح	ناصر العلي		
1 ـ الدندن	ناصر العلي		
2 ـ الطهماز	حسن بن شحاذة(9)		
3 ـ اللوابدة	فليج المحمود(10)		
4 ـ المنيصير	حسن المحسن		
	شلال الحسين		
ج ـ آل شندوخ(11)	عبطان بن حمود		
	اغوان بن حمود		
د ـ آل حنظل(12)	«گاطع» قاطع الموسى		
هـ ـ الهداب	فصل الفهد		
قبائل ملحق بهم			
1 ـ الغريباويين(13)			
2 ـ الشورتان(14)			
3 ـ الصبيحات(15)			

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
4 ـ الحرصة(16)			
5 ـ النمور(17)			
6 ـ الهليل(18)			
7 ـ القراغول(19)			
8 ـ اللهيب(20)			
9 ـ الخوالد			
10 ـ الفياض(21)			
11 ـ الهيتاويين(22)	شبل بن كاظم المسلط (23)		
12 ـ الجناعرة(24)			
13 ـ الشعار(25)			
أ ـ الشعار			
ب ـ السويلم	خليف السلطان(26)		
14 ـ الفلوجيين(27)	يعقوب اليوسف(28)		
أ ـ الاسماعيل	يعقوب اليوسف(28)		
ب ـ الخضير			
15 ـ البوسودا(29)			
16 ـ بني زيد(30)			

ب ـ القتادة

شيخ المشايخ: صلال المزعل(31)
منطقة الإقامة: اليوسفية
عدد الخيام 800 (بدون الملحقة)

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ الزبار	نجم المغامس(32)		
2 ـ البرغوث	صلال المزعل(31)		
3 ـ الخماس	عباس العايد		
4 ـ الحميد	عايد بن عداي(33)		
5 ـ السهيل(34)	حسين المدلول		
6 ـ القمزان «الگمزان»	راشد بن حنفوش		
7 ـ الراضي(35)			
8 ـ الرموث			
ملحقة بهم			
1 ـ العزة	مهاوش القاسم(36)		
2 ـ الغصنة(37)			
3 ـ الكراد			
4 ـ القرطان(38)			

ج ـ الفداغة(39)

شيخ المشايخ : عراك السعود
رعد المهاوش
مكان الإقامة : اليوسفية
عدد الخيام 200 (بدون الخيام الملحقة)

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ النابت	محمد السرحان		50
2 ـ الدغيم	عراك السعود		50
3 ـ النصار	مطر المهاوش		
ملحق بها			
4 ـ البو مفرج(40)			50

ملاحظات حول الجدول

1 ـ الوضع عام 1916م، أسماء الشيوخ حسب العزاوي ، عشائر العراق، جزء 1، 191 ـ 203، معدلة. قائمة شمر لدى روسو، رحلة من بغداد إلى حلب (1808م، 66 وما بعدها. تتضمن آ 1 ، 2، ب3، 8. تظهر قبيلتنا باسم زوبع لأول مرة في قائمة شبرنغر (1818م)، مجلة جمعية المستشرقين الألمان ZDMG، السنة 17، العدد 117، ص 224. جونز، 245، يحدد عدد خيام زوبع (آ) بـ 300، وبرغوت (ب) بـ 130 و(جـ) بـ 150 خيمة. خورشيد، 197، يحدد عدد خيام زوبع بـ 1000 خيمة إلى جانب كثير من أتباع قبائل أخرى. ماكس فرايهر فون أوبنهايم: من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي» (1900م)، الجزء الثاني، ص 72: 3000 خيمة؛ موزيل، الفرات الأوسط، 127: آ 2، 3، 4، ملحق بها 3، 6، 10، 11، 13، 16، ب، ب ملحقة1.

صيحة الحرب: خيال الخيل، زوبعي! في الأزمنة السابقة: معن! راجع بهذا الخصوص، الجزء الأول، 244.

2 ـ العائلات الثلاث منسوبة إلى أبناء ظاهر.

3 ـ العزاوي يقدم بدلاً منها: الحامد والمحمد.

4 ـ العزاوي: صالح بن عواد بن سالم بن بكر الحمام.

5 ـ 1916: أبوه عرسان العلي.

6 ـ ذكرت في سالنامة، 249.

7 ـ العزاوي ـ الحليفات.

8 ـ 1916م والده شنيتر الجاسم.

9 ـ 1916م حميد بن شحادة الذي يأتي الآن في المرتبة الثانية.

10 ـ 1916م عايد الزوبع، قارن العزاوي، عبد العايد، شيخ الزوابعة عائلة أخرى من الفرع.

11 ـ العزاوي ـ الشناجة (الشناخة).

12 ـ العزاوي، الحناظلة.

13 ـ الچلبيين، انظر الجدول، زبيدة جـ.

14 ـ الموالي، انظر الجزء الأول، 305، ضمن التسلسل 3.

15 ـ الموالي.

16 ـ الغفيلة قارن الجدول، شمر أ 2 و «الجزء الأول ص254».

17 ـ زوبع، قارن ص 325 أعلاه.

18 ـ المجمع، انظر القسم الخاص بذلك.

19 ـ انظر القسم الخاص بذلك.

20 ـ الجبور، قارن الجزء الأول، 303، 4.

21 ـ بنو تميم، انظر القسم الخاص بذلك.

22 ـ زبيد، خورشيد، 217: 10 بيوت في إمام موسى صيحة الحرب: أخوة عوفه!

23 ـ 1916م علي المسلط.

24 ـ الجنابيين.

25 ـ الجبور، ينضوي تحت الزوبع منذ أمد بعيد، سالنامة 249، مستقلة، صيحة الحرب: عيال العود.

26 ـ 1916م والده سلطان بن حسن.

27 ـ التكارتة أيضاً، يسمون «التكريتيين».

28 ـ 1917م: والده يوسف الظاهر.

29 ـ الأفضل: سعودي قارن الجزء الأول، 305، 6، 1، خورشيد، 197: 200 خيمة، موزيل ص 126.

30 ـ انظر القسم الخاص بذلك.

31 ـ 1916م ـ والده خزعل السليمان.

32 ـ العزاوي: نجم العبدالله.

33 ـ سلفه: أخوه صايل، 1916م، والده عدي البصال.

34 ـ قارن مع الجدول، شمر (3 ب 1). «من هذا الجزء ص84 أعلاه».

35 ـ صايح (شمر).

36 ـ 1916م والده جاسم.

37 ـ خورشيد، 220: 20 كوخ في منطقة الرضوانية، العزاوي، العفنة، الجنابيين.

38 ـ خورشيد 197: 100 خيمة، قسم منهم بقي في الدليم، الجزء الأول، 305، 4، آ، 2.

39 ـ صيحة الحرب: العزيب!

40 ـ طي، سابقاً ضمن العبيد، العزاوي في المنشئ البغدادي، ص 43.

غرير

مرت معنا قبيلة الغرير الصغيرة، المقيمة في الجنوب والشرق قرب الفداغة، في الجزء الأول، الصفحة 293؛ وذلك لأنها كانت في أحد الأوقات تنتمي إلى تجمع العبيد الذي كان يسيطر على الجزيرة في القرن الثامن عشر قبل شمر. ويبدو أن الغرير ليس لديهم ذكرى واضحة عن ماضيهم العظيم[1]، لكنهم ما زالوا محاربين أشداء. بعد سقوط بغداد (11/ 3/ 1917م) بدأوا بالسطو على طريق بغداد ـ الحلة، ولم يخضعوا للإنجليز إلا في صيف 1918م على الرغم من أن الطائرات البريطانية قصفت عدة مخيمات من مخياماتهم.

يوجد تفريعات صغيرة للغرير لدى فتله الهندية وآل علي في المشخاب .

(1) العزاوي، الجزء الأول، يحاول البرهان على أن الغرير هم شمر. وأنا لا أوافقه على ذلك. السببان اللذان يذكرهما وهما: وجود فرع شمري يحمل الاسم نفسه (4) في جدولنا، وصيحة الحرب لدى الغرير: سناعيس! ينفي كل منهما الآخر، لأن غرير شمر هم أسلم، بينما سناعيس! هي صيحة الحرب عند العبدة. ويجب أن تكون الغرير قد تبنت هذه الصيحة في القرن التاسع عشر، إما لأنها كانت تخيم في منطقة العبدة أو لأنها كانت تعيش في حماية قبيلة العبدة القوية، وفي مثل هذه الحالات كان تبني صيحة الحرب لقبيلة أخرى أمر غير نادر. ومما ينقض رأي العزاوي بشكل خاص هو أن الغرير أنفسهم ينتسبون إلى الحمدانيين، أي أنهم ينحدرون من الشمال. وفي الآونة الأخيرة صار شمر ما بين النهرين يعتبرون الغرير من أقربائهم.

الغرير(1)

شيخ المشايخ: محمد الديلمي(2)

عبود العبهول

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الخليفة	عبود الخليل		50
2 ـ العمران	حرج الراشد		25
	معافى بن بديوي(3)		
3 ـ العبابدة	عبود العبهول		60
4 ـ البوجناد	حسين العبدالله(4)		50
5 ـ السعيدات(5)	أحمد السعيد(6)		30
6 ـ البو حسين(7)			20

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م وثم إعادة النظر، بأسماء الشيوخ حسب العزاوي، ص 254، وما بعدها.

2 ـ يتبع العبادة (3).

3 ـ 1916م: والده بديوي بن حسن.

4 ـ 1916م: والده عبداللّه بن حماد.

5 ـ الأصول إلى سعيد (زبيد).

6 ـ 1916م محمد السعيد.

7 ـ قبيلة وردت لدى موزيل، قريبة من قبيلة تحمل الاسم نفسه، الجزء الأول، 402، عائلات من البوحسين الشماليين وكذلك البوحمدان - ebed - 404 (2) تأتي أحياناً إلى العراق وتنصب خيامها لدى أقربائهم.

قراغول

القبائل التي تحمل اسم قراغول لها طبيعة خاصة مختلفة عن المألوف. فهي منتشرة في كامل ولاية بغداد آنذاك من الرمادي حتى الرميثة ومن الزاب الصغير حتى الغراف. وهي لا تشعر بأنها عضو في رابطة جماعية، على الرغم من أن بعضها له صلات قربى مع بعضها الآخر، والشيء المشترك فيما بينها هو الاسم فقط. أما الاسم قراغول فهو اسم تركي[1] ويعني "الحارس المسلح". وهو يعود إلى العهد المنغولي حيث كان أفراد هذه القبائل يستخدمون لحماية الطرق[2]. وفي عهد باشوات المماليك (1749م ـ 1831م) كان القراغول تابعين لآغا مقيم في بغداد. وفي عام 1831م ألغي هذا المنصب الذي كان يشغله رجل مملوكي وأعطيت مهامه لسلطتين متشابهتين هما: مكتب آغا الأحشامات[3] وهيئة الإشراف على قبيلة قره

(1) يلفظها الأتراك ويكتبونها «كرافول»، وفي اللغة العثمانية الجديدة «كراكول»(*).

(2) العزاوي في المنشىء البغدادي، 43.

(3) أحشام تعني أيضاً نوعاً من الميليشيا، في إيران على الأقل. في عام 1817م كُلّف آغا الأحشامات بتأديب الباوي، والنجادة، والبوموسى؛ دوحة 301. بخصوص الباوي والنجادة انظر مقال شمر ـ طوقة والدفافعة، البوموسى مفقودون: من الممكن أن يكون الثلاثة كلهم منتمين إلى مجال عمل واحد.

(*) لا يوجد فرق بين التركية القديمة والتركية الحديثة من لفظ كراكول. المصدر: نجدة فتحي صفوة. (م. شبّر).

أولوس[1]. كانت الهيئة الجديدة تسمى ببساطة "أقلامي سلسة" "المكاتب الثلاثة". كانت تتبع لها القبائل التي تفككت إلى مجموعات صغيرة، وكانت تعيش على الزراعة على الفرات من الرمادي حتى الحلة، وعلى دجلة من سامراء حتى الرحمانية، وعلى ديالى، ومن كركوك حتى بدره وجصان، والتي لم يكن من الممكن التعامل معها كوحدة واحدة بسبب تشتتها. ويبدو أن مهمة "المكاتب الثلاثة" كانت تقتصر على جباية الضرائب من هذه الفئات المتفرقة التي كانت تتألف في منتصف القرن الماضي من حوالى 12000 خيمة أو كوخ، وكانت تمارس أسوأ الأفعال. وتجدر الإشارة إلى أن الضرائب المجباة لم تكن ميري، أي ريع عقاري، وإنما ضرائب على العائلة ورسوم مشابهة.

بعد هذا الخروج القصير عن الموضوع نعود إلى موضوعنا بأن نقدم أولاً فكرة عن قبائل القراغول المختلفة، التي ينسب إليها خورشيد، 191، الإشجرية والجنابيين. كان الإشجريون مقيمين في الأصل في منطقة الدليم. ولكن في حوالى عام 1850م لم يكن يعيش هناك سوى أقل من نصف القبيلة، بينما كان البقية متناثرين عند أبو غريب، وفي هور عقرقوف، وعند المسيّب، وقرب الحلة[2]. ويبدو أن الإشجريين الذين كانوا آنذاك موجودين عند الدليم قد اختفوا، أما في الحقيقة فيمكن أن يكونوا مندمجين في القراغول الملتحقين بالدليم[3]. إضافة إلى أولئك هناك مجموعتان أخريان من الإشجريين: إحداهما موجودة في منطقة اذار (فوق الحلة، على الضفة اليمنى للفرات)[4]، والثانية على نهر دجلة فوق البغيلة

(1) تركمان تحولوا إلى أكراد على أرض تركية سابقاً في منطقة الحدود العراقية الإيرانية قرب مندلي.
انظر أيضاً العزاوي، الجزء الثاني، 182 وما بعدها.

(2) خورشيد، 207 ـ 231. لا يمكن تحديد العام الذي تعود إليه قائمة قبائل المكاتب الثلاثة، لأن خورشيد رآها جاهزة عندما التقى عام 1849م مع اللجنة التركية الإيرانية في بغداد. في النصوص التالية ستسمى هذه القبائل "الفلاحون المسجلون".

(3) قارن خورشيد، 190 مع 217، (حتى)، 220، 223.

(4) الجزء الأول، 305، ب، 6 د.

«النعمانية حالياً» وهي ملتحقة بقبيلة زبيد (الجدول و 1). أحياناً يطلق على هذه المجموعة اسم قراغول.

وهناك أيضاً قراغول ملتحقون بشمر ـ طوقة[1]، وآخرون على الغرّاف عند المنتفق، لا بل هناك بعضهم منضمون إلى القبيلة الرحُل ساعدة. ولقد صادفنا مجموعة منهم مع زوبع (آ ملحق 7)، ومجموعة ثانية تسكن إلى جوارهم، وثالثة في الشمال عند العبيد[2].

وبينما تتبع جميع قبائل القراغول الأخرى لتجمعات غريبة فإن المجموعة المجاورة لزوبع مستقلة. كانت منطقتها تبدأ في السابق تحت قناة المحمودية وتمتد على دجلة إلى ما بعد اللطيفية[3]. ويعيش القراغول الآن فوق اليوسفية أيضاً. وهم سنيون. حوالى 500 خيمة.

(1) لا تتطبق مع القراغول التي يذكرها جونز (1854م)، 372، عند الشوملي تحت الحلة.

(2) الجزء الأول، 308، 1حـ.

(3) يذكرها هناك أيضاً موزيل، الفرات الأوسط، 50.

الجنابيين[1]

على الجهة المقابلة لزوبع والغرير ومسعود (انظر المقال التالي) يحتل الجنابيون، الذين كانوا في السابق يعيشون في منطقة الدليم، الضفة اليمنى للفرات[2]. وكانت هجرتهم قد حدثت بمعظمها بعد منتصف القرن التاسع عشر. إذ أن خورشيد لم يتعرف عليهم هنا بعد. وهو يتحدث فقط عن 10 خيام لهم على قناة أبو لوجة (الضفة اليسرى). ومن سكان ذلك الوقت انضمت شكري عقيل[3] إلى الجنابيين وأصبحت أسرة شيوخهم[4].

بعض الكتّاب يعتبرون الجنابيين زبيديين، ونحن نشك في صحة ذلك لأن كثيراً من القبائل المجهولة الأصل تدعي أنها تنحدر من زبيد.

جميع الجنابيين تقريباً فلاحون؛ في جرف الصخر، الذي فقدوه في الثمانينيات بسب تلاعب الحكومة وخداعها[5]، فلاحون للنبلاء البغداديين الباچچي والزيبق. ولذلك فإن نفوذ عائلة الشيوخ ضعيف هنا، وهو أقوى على الضفة

(1) في كثير من المراجع: الجنّابيون.

(2) قارن الجزء الأول، 286.

(3) خورشيد، 201 وما بعدها، 218. الذين يسمّون هنا عويسات مذكورون أيضاً في سالنامه، 285.

(4) شيها، مقاطعة بغداد، 1908م، 227.

(5) شيها، 75.

اليسرى حيث يعيش فوق المسيّب سدس القبيلة تقريباً.

الجنابيون قوم غير محاربين ولكنهم شاركوا بنشاط في التهريب الذي ازدهر على خط الفرات بعد الاحتلال الإنجليزي لبغداد (11/ 3/ 1917م).

وهناك جماعات صغيرة من الجنابيين موجودة أيضاً في أماكن أخرى، راجع مقال الزقاريط، والجبور، والصفحتين 328، 335، الملاحظة 24 أعلاه.

الجنابيين(1)

شيخ المشايخ: . . . .(2)

منطقة الترحال: ضفة الفرات اليمنى تحت الحصوة ـ المسيب

ضفة الفرات اليسرى فوق المسيب

عدد الأكواخ: 2000 ـ 3000

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ البو معلى			300
2 ـ البو صقر			300
3 ـ النوافلة(3)			300
4 ـ البو غربة(4)			200

ملاحظات حول الجدول

1 ـ بسبب عدم وجود معلومات خاصة بنا وفشل جميع المصادر الموثوقة أخذنا الجدول من شيها، 247. ذُكر لنا عدد الأكواخ عام 1916م. توصلنا إلى الأرقام الإفرادية بعد الاختصار المناسب للأرقام الخيالية، دوماً، عند شيها.

2 ـ 1916م: رشيد العلي الخلف، من المفروض أن يكون قد توفي في تلك الأثناء.

3 ـ يذكر خورشيد، 222 وما بعدها، جماعات صغيرة بهذا الاسم عند الحلة.

4 ـ يذكر خورشيد، 219، جماعة صغيرة منهم في هور عقرقوف.

مسعود

على النهر نحو الأسفل تقيم إلى جوار الجنابيين قبيلة مسعود التي تجمع الآراء على أنها تنحدر من شمر. وبما أن نيبور (1765م) يذكر أسلم بين مجموعة شمر التي كانت آنذاك تتنقل على الحدود العراقية، فإنه من المحتمل أن تكون قبيلة مسعود التي نتحدث عنها هنا مرتبطة بفرع أسلم النجدي (4 د من الجدول) الذي يحمل الاسم نفسه. أمّا القبيلة الفرعية فرير فمن الصعب فصلها، بسبب ندرة الاسم، عن قبيلة طي القديمة فرير[1]؛ من المؤكد أن مسعود وجدها في العراق عند مجيئها.

المسعوديون فلاحون. وهم يقيمون على قناة الحسينية[2]، التي أنشئت عام 1254هـ/ 1838م وتمتد من المسيّب حتى قرب كربلاء، في غالب الأحيان على الضفة اليمنى المجاورة للصحراء. وقام جزء من القبيلة قبل وقت غير بعيد بعبور الفرات والإقامة على قناة الاسكندرية[3]. والمجموعتان، مسعود كربلاء ومسعود

---

(1) قارن الجزء الأول، 271، 272. هذا يعني أن معلومة طي ما بين النهرين الأعلى عن فرير في العراق قد تأكدت. غير أن العزاوي، الجزء الأول، 252، يتحدث عن غرير (خطأ مطبعي؟).

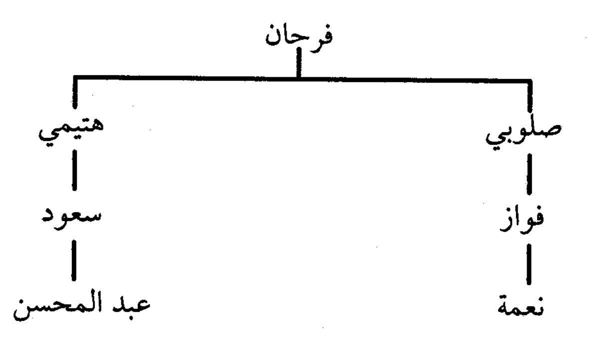
(2) بشأن سابقاتها قارن خورشيد، 202 (استبدل الت بـ اوست، السطران 12 و17 !)؛ موزيل، الفرات الأوسط، 121، لونغريغ، 252.

(3) خورشيد، 220، قارن 197 وما بعدها، يسجل لمسعود على الضفة اليسرى للفرات 15 خيمة؛ ولكن في مكان أبعد نحو الأسفل. كانت آنذاك الضفة اليسرى للاسكندرية قاحلة.

الاسكندرية، مستقلتان عن بعضهما، والمجموعة الأولى أقوى جداً من الثانية. وهناك فئة صغيرة من القبيلة استوطنت بعيداً في الشرق حيث تتسرب في تراب البادية مياه ترساق ودحاله النازلة من جبال لورستان. ولم تزل لها علاقات مع القبيلة الأم[1].

يوجد لدى مسعود كربلاء ولدى مسعود الاسكندرية العديد من المجموعات التي تنحدر من أصول غريبة. وتشكل قوّام «گوام» أهم هذه المجموعات. وهناك فئات صغيرة من هذه القبيلة متناثرة في أماكن بعيدة في العراق الأعلى. يذكر خورشيد، 219 وما بعدها، بعض هذه الفئات في ناحية الدليم (20 خيمة) وعند الرضوانية (30 خيمة) وتحت المسيّب (45 خيمة)؛ أمّا نحن فسنلتقي بهم عند ربيعة. لم يمر سوى عدة عقود على وجود القوام «الگوام» عند مسعود. كما أن البو غانم (معدان) ـ وحسب العزاوي، 252، القوام «الگوام» أيضاً ـ لم يمر زمن طويل على وجودهم في منطقتهم الحالية؛ كانوا يقيمون سابقاً في الأعلى في جرف الصخر[2]. أمّا الشوافع فكانوا يقيمون على نهر الاسكندرية منذ منتصف القرن الماضي[3].

تنحدر أسرة شيوخ مسعود كربلاء من فرير. والمخطط التالي يبيّن علاقة القرابة بين الشيخ الأكبر عبد المحسن وشيخ الفرير نعمة الفواز.



(1) العزاوي، الأول، 241، ينسبها إلى شمر ـ طوقة.

(2) يذكرها خورشيد، 218، هناك مع 100 خيمة، سالنامه، 285، على نهر الحسينية.

(3) خورشيد، 220: 20 خيمة (داخلة ضمن الـ 50 خيمة التابعة لأبو غريب).

المسعود(1)

مسعود كربلاء(2)

شيخ المشايخ : عبد المحسن بن الحاج سعود(3)

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ آل هنداس(4)	مركب بن عمد		150
2 ـ الفرير	نعمة الفواز	الامام عون	150
3 ـ العقابات «العگابات»	عمران الهدهود		
	عبد العافص		
4 ـ الهرير	دهش السلمان	قصر السيد كاظم	300
الملحق بهم			
أ ـ البو مصري(5)			
ب ـ الامارة(6)			
ملحقة			
1 ـ القوام«الگوام»	علو بن مزعل العلاوي(7)		150
أ ـ آل لايح	شعلان العيفان(8)	هور ابو لايح	
2 ـ البو غانم(9)		سدة الهندية	40

مسعود الاسكندرية

شيخ المشايخ: . . . (10)

عدد الخيام: 250

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ الهوابر	مغير بن فرحان القسام «الجسام»(*)	نهر الاسكندرية	
2 ـ المناقعة	عسل بن ساحل	الاسكندرية	
ملحقة بها:			
1 ـ القوام		نهر المسيب	
2 ـ الشوافع		نهر الاسكندرية	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م. استكملت أسماء الشيوخ استناداً إلى العزاوي 251 وما بعدها.

2 ـ تمّ ترتيب فروع القبائل 1 ـ 4 من الغرب نحو الشرق.

3 ـ ذكر والده سعود بن هتيمي لدى موزيل؛ الفرات الأوسط 107.

4 ـ فلاحون عند إقطاعي من كربلاء، حسب العزاوي: فرير (2) أو غرير.

5 ـ سالنامة 285 تسمى معدان.

6 ـ حسب العزاوي فرير أو غرير.

(*) الجسام/حسب العزاوي/عشائر العراق. (م. شبّر).

7 ـ 1912 والده مزعل، عالم الإسلام 2، ص 43، رقم 80.

8 ـ فلاحو الكيلاني في بغداد.

9 ـ أحد الشيوخ المذكورين عام 1916م، جعد، موجود على الخارطة.

10 ـ 1916 إبراهيم الواجد.

الزقاريط

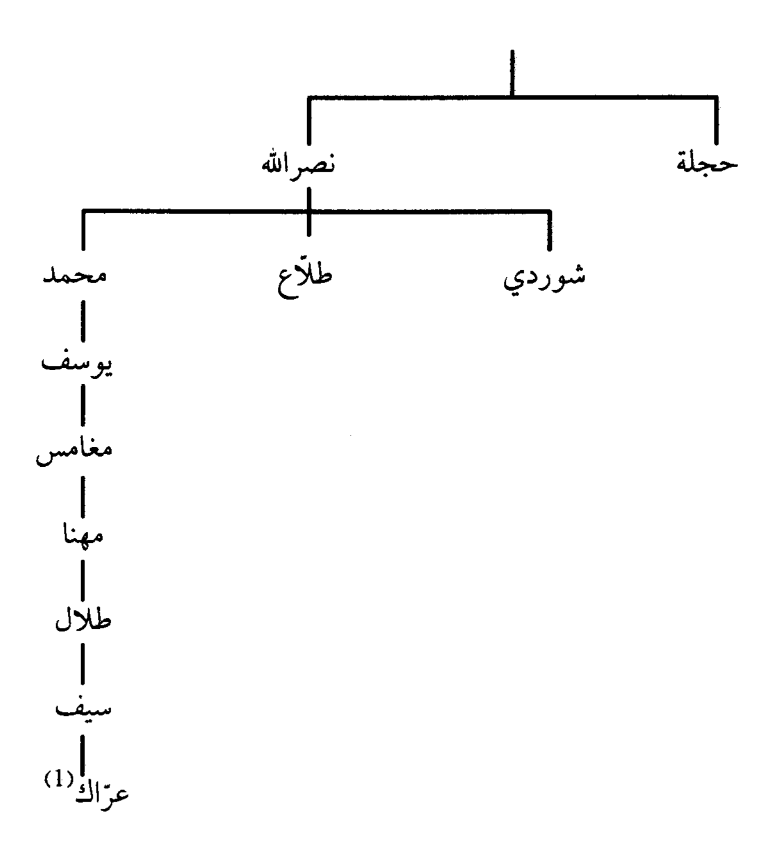
ينتمي الزقاريط مثل مسعود إلى شمر. فهم ينحدرون من عبدة ويتبنون صحبتهم الحربية: سنا عيس[1]! إلا أنهم خلافاً لمسعود لا ينتمون إلى فئة جربا الرُحّل وإنما إلى فئة أقدم؛ يذكرهم نيبور (1765م) في منطقتهم الحالية قرب كربلاء[2].

تشكل القبيلة جماعة متجانسة اختلط معها فقط بعض الجنابيين (40)[*] والتميميين (7). ومن الممكن أن يكون التميميون جاؤوا مع الزقاريط من نجد. وينتمي الفروع 1 ـ 4 إلى عائلة واحدة حسبما يتبين من مخطط النسب التالي.

(1) قارن الجزء الأول، 261، الملاحظة 27.

(2) قارن الجزء الأول، 221.

(*) لم أستطع التعرف على ما يقصده المؤلف بالرقم 40 هنا (م. شبَّر).



الزقاريط هم غالباً بدو رحل ـ يربون الجمال والأغنام ـ وينتقلون في الصحراء بين شثاثه والنجف وكربلاء. وبعض الزقاريط أصبحوا فلاحين. وكانت الأرض التي يعملون فيها، قرب كربلاء، ملكاً لهم في السابق، لكن ملكيتها انتقلت في عهد مدحت باشا إلى عائلة الشيوخ العمارات. أصبح هؤلاء الفلاحون فيما بعد شيعة بينما ظلت بقية القبيلة سنية.

(1) شيخ المشايخ.

الزقاريط(1)

شيخ المشايخ: عراك بن سيف
منطقة الترحال: كربلا

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ آل طلاع	صخيل بن طلاع(2)		160
2 ـ آل فاضل	بندر الفرحان		80
3 ـ الشاوردي(3)			80
4 ـ الحجلة(4)	حمود المعافى		
أ ـ آل زريف	محمد آل زريف(5)		
5 ـ المغرا(6) (المغرة)(*)	علي الهوير مصارع البدعي(7) سليمان الظاهر(8)		
6 ـ الشريفات(6)			80
7 ـ التمايم	محمد الشماس(9)		

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م، عُدّلت أسماء الشيوخ استناداً إلى العزاوي، ج1 ص222 ـ 228. سالنامه، 284، تذكر فروع القبائل 4، 5، 6، 7 (5، 6 غير ظاهرة).

2 ـ 1916 شيخ المشايخ.

(*) المغرة عند العزاوي، (م. شبّر).

3 ـ العزاوي: "شوردي". منهم يأتي قاضي القبيلة، العارفة.

4 ـ العزاوي: أهل الحجلة، مجلة سالنامه.

5 ـ يعيش في كربلاء.

6 ـ موزيل، الفرات الأوسط، 107 (المقصود).

7 ـ 1916: أبوه بدعي الزيارة.

8 ـ 1916: أبوه ظاهر الحبيب.

9 ـ العزاوي: م. الشماص.

بني سعد

استوطن بني سعد قرب كربلاء قبل وقت قصير، وربما بعد الحرب العالمية الأولى[1]. وهم ينتمون إلى القبيلة التي تحمل هذا الاسم والموجودة على قنوات ديالى منذ عشرينيات القرن الماضي[2]. ولا يمكن التأكيد مما إذا كان هؤلاء ينحدرون من بني سعد الذين كانوا يقيمون حوالى عام 1443م قرب واسط[3]، وذلك لأن القبيلة غير مسجلة ولا يوجد في المراجع أي شيء عن تاريخها.

(1) غير موجودة في سالنامه. العزاوي، الأول، 251، 253، يذكرهم عرضاً كجيران لمسعود. ويذكرهم عبد الرزاق الحسني، العراق قديماً وحديثاً، صيدا 1367 هـ/ 1948م، 99، بين قبائل كربلاء، بالإضافة إلى بعض الجماعات ذات الأصل غير البدوي مثل الوزون والنصاروة. يرد ذكر النصاروة عند العزاوي أيضاً، 253.

(2) رحلات المنشئ البغدادي، محمد بن أحمد الحسيني، 1237هـ/ 1822م، ترجمة عن الفارسية عباس العزاوي، بغداد، 1367هـ/ 1948م، 51: منتصف الطريق بين خان مصبّح (عند الوندية) ودلي عباس؛ خورشيد، 211 (فلاحون مسجلون): عند شهربان، 20 خيمة؛ سالنامه، 256: عند بلدروز، 15.

(3) نور الله الشوشتري مجالس المؤمنين، مجلس 8، جند 16.

بني طرف

بني طرف ـ جيران مسعود في الجنوب ـ، تبدأ قبائل الهندية التي تنتشر على امتداد فرع الفرات هذا وتصل حتى الكفل. وهم مهاجرون حديثون، لأن نهر الهندية، التي أصبحت منطقتهم صالحة للسكن بسببه، لم يبدأ جريان الماء فيه إلاّ منذ حوالي عام 1800م. فقد كان في الأصل قناة تبرع بشقها آصف الدولة[*] من لكناو[1] لكي يوفر الماء للمدينة المقدسة النجف، وسميت باسم مؤسسها الهندي، الهندية. وسرعان ما بدأ المشروع الخيري يتجاوز تأثيره غرضه الأصلي، خيراً وشراً. كان مع كل فيضان ربيعي يزداد قوة ويمد مجراه نحو الجنوب، مشكّلاً فروعاً هنا، ويغمر المناطق المنخفضة هناك مؤقتاً أو دائماً، إلى أن وصل إلى النهر الأم قبل السماوة. وفي الوقت الذي أضاف هذا النهر الجديد للأراضي الزراعية مساحات واسعة جديدة، عرّض أراضٍ أخرى للجفاف لأنه سحب المياه شيئاً فشيئاً من المجرى القديم، من شط الحلة. ولكي يتفادى باشاوات بغداد هذا الخطر بدأ ومنذ الأربعينيات بسد الهندية. لكن جميع الجهود المبذولة ظلت عشرات السنين دون جدوى: في عام 1880م كان الهندية قد أصبح الفرع الرئيسي للفرات، وفي عام 1885م أدى إلى تجفيف شط الحلة كلياً تقريباً. قام مهندسون فرنسيون ببناء سد

(*) جد النواب اقبال الدولة (م. شبّر).

(1) يوجد هناك ضريح فخم بني 1780م ـ 1784م.

لم يصمد إلا من عام 1891م حتى عام 1903م، وأخيراً بني السدة وليم ويلكوكس الذي انتهى عام 1913م وجعل من الممكن توزيع الماء بالتساوي بين فرع الحلة وفرع الهندية.

تقدم قبائل الهندية بشكل ملموس لأول مرة في قائمة لدى خورشيد، 115 وما بعدها: طفيل (700 رجل)، الكنانة (300 رجل)، بني حسن (1500 رجل)، الفتلة (1600 رجل)، الإبراهيم (200 رجل). إذا ما أجرينا مقارنة مع القبائل الموجودة اليوم وهي: طفيل، وبني حسن، وبني طرف، وفتلة، وجليحة، وقريط، نجد أن تركيبها لم يطرأ عليه تغير كبير: انضافت إليها قبيلتان (جليحة، وقريط) ورحلت واحدة (إبراهيم) إلى شط الكوفة. وهناك تغير آخر ظاهري فقط: لأن كنانة «چنانة» وبني طرف يتبعان بعضها البعض كما سنرى أدناه.

جميع هذه القبائل كانت في الأصل تحمل طابع المعدان، ومعظمها ينحدر أيضاً من موطن المعدان، العراق الأدنى. لكن بعضها لم يأتوا من هناك مباشرة وإنما كانوا يسكنون قبل هجرتهم قرب الديوانية في الجزيرة حيث كانوا ينتمون إلى تجمع الخزاعل. ولقد حافظوا في منطقتهم الجديدة أيضاً فترة من الزمن على رابطتهم مع هذه القبيلة القوية[1].

بسبب تأرجح الظروف المائية، وعدم وضوح قضايا الملكية، وأيضاً بسبب التصرفات التركية الحمقاء، ومنها مثلاً تسليم جباية الضرائب لوادي بن شفلّح، شيخ مشايخ زبيد، أصبحت منطقة الهندية منطقة اضطرابات مستمرة[2] لم تتوقف إلا بعد الاحتلال الإنجليزي، ولكن لتندلع بعد ذلك بغاية العنف خلال الثورة العراقية (1920م).

يعيش بنو طرف على الضفة اليمنى للهندية في شمال غرب الناحية التي تحمل اسم

---

(1) لوفتوس يسميهم ببساطة خزاعل؛ أمّا خورشيد، 115، فيقول إنهم متحالفون مع الخزاعل.

(2) لونكريك، 291: ثورات في عهد نجيب (1842 ـ 1849م)، وعبدي (1849 ـ 1851م)، وعمر باشا (1858 ـ 1859م). خورشيد، 116، يشكو قائلاً: الهندية، مركز المعارضة ومنبت الاستياء والتمرد. . .!

الهندية أيضاً. وهم مرتبطون بالقبيلة التي تحمل الاسم نفسه وتسكن على الجانب الآخر من الحدود العراقية جنوب شرق العمارة. كما أن كنانة «چنانه» (3) يعيشون هناك أيضاً، ويعيش بنو سد (أسد) (4) في الجبايش فوق القرنة على الفرات[1].

كان بني طرف، شأنهم شأن جميع قبائل الهندية الأخرى، يعيشون في بادئ الأمر من زراعة الأرز لكنهم تحولوا منذ 50 عاماً تقريباً شيئاً فشيئاً إلى زراعة أصناف أخرى، لأن الأراضي التي كانت في السابق تتعرض للغمر ارتفع منسوبها شيئاً فشيئاً بسبب مواد الطمي التي يجلبها معه الفرات. وهم يسكنون مثل قبائل الهندية الأخرى في أكواخ.

يتبع بنو طرف في الحرب والسلم جيرانهم بني حسن.

بني طرف(1)

شيخ المشايخ: . . .(2)

المنطقة: نهر المشورب

عدد الأكواخ: 250

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الأكواخ
1 ـ الدعوم(3) 2 ـ بني صالح 3 ـ الكنانة(جنانة) 4 ـ بني سد (أسد) **ملحقة بهم:** الكراكشة(4)		نهر المشورب: نهر الدويهية	125

(1) انظر مقال "قبائل حويزة" في القسم التالي، وبني لام، الجدول، ملحق 1، أسد.

ملاحظات حول الجدول

1 ـ لعدم توفر سوى ملاحظات إجمالية من عام 1916م، فإن من غير المؤكد فيما إذا كانت الفروع 1 ـ 4 فروع لبني طرف أم أنها ملحقة بهم فقط. سالنامه 291، 293، تورد 1 و4 والكراكشة إلى جانب بني طرف.

مناطق إقامة بني طرف والوحدات المنصوبة تحتهم 2 و4 والكراكشة محملة على الخارطة ب 1 كربلاء.

2 ـ 1916 : سلطان الطوعيب.

3 ـ دعوم يوجد أيضاً لدى أبو صخير.

4 ـ يبدو أنهم يرتبطون بالطفيل. قارن خورشيد 195 حيث يذكر أن لهم ومع قبيلة ثالثة صغيرة، في هور عقرقوف (300 كوخ). اليوم يوجد كراكشة أيضاً عند أبو صخير.

بني حِسن

بني حِسن أكبر قبيلة على نهر الهندية. وهم يجاورون في الشمال بني طرف ولكن ليس لهم هنا سوى منطقة محدودة غربي طويريج (الهندية). غير أنهم يبدأون فوق الكفل من جديد ويمتدون من هنا نحو الجنوب حتى إلى ما بعد ناحية الهندية. ويشغلون شط الكوفة وشط الشامية[1]، اللذين يتفرع فيهما النهر تحت الكفل، حتى إلى ما بعد مستوى الكوفة، وهور الدخن[2] الذي يمتد بينهما. ولذلك يمكن اعتبار بني حسن من قبائل الشامية مثلما يمكن اعتبارهم من قبائل الهندية.

بناء على ما ذكرناه في المقال السابق عن منظومة نهر الهندية فإنه يمكننا الافتراض بأن بني حسن قد هاجروا إلى هناك في الربع الأول من القرن الماضي. وقبل ذلك كانوا يسكنون في الجزيرة قرب الديوانية؛ إذ أن نيبور[3] يذكر بني حسن مع قبائل بدير، وأقرع، وجليحة، الذين كانوا يقيمون في هذه المنطقة. كما أنه لم يزل يوجد هناك حتى الآن فرع لبني حسن هو المكاتيم (ب 2).

---

(1) في الاستعمال المحلي يسمى شط الشامية في بادئ الأمر شط أبو شورة، لكنه اعتباراً من تفرع أم الحياية حيث يدخل في ناحية الشامية وحتى مركز الناحية مدينة الشامية، يسمى نهر أبو كفوف.

(2) يمتد هور الدخم جنوبي الكفل حتى عرض الكوفة تقريباً ويصل في الشرق إلى ما بعد شط الشامية.

(3) الجزيرة العربية، 390.

أمّا فيما يتعلق بأصل بني حسن فيقال بأنهم ينحدرون من قبيلة بني مالك المفقودة اليوم والتي تنسب إلى ربيعة. وبنو مالك هؤلاء كانوا في عام 1765م وما زالوا موجودين في منطقة السماوة. يرد ذكرهم هناك لدى نيبور[1] مع آل علي الذين يشكلون اليوم فرعاً من بني حسن (ب 15). وبذلك يكون قد ثبت وجود صلة لبني حسن مع بني مالك وإن كانت ليست بالضرورة صلة نسب.

استوطن بنو حسن في بادئ الأمر عند مجيئهم في الشمال ثم تقدموا[2] شيئاً فشيئاً على النهر نحو الأسفل، وذلك بأن قوّوا أنفسهم بجلب قبائل من أقربائهم مثل آل علي، أو بضم قبائل غريبة مقيمة في الشامية. ومن هذه القبائل الغريبة قبيلة دهيّم[3] التي لا تضم القبيلة الفرعية التي تحمل هذا الاسم (ب 5) وحسب، وإنما أيضاً البوحداري (ب 4) وأجزاء من ألبو دحيدح (ب 14) وبعض الوحدات الصغيرة (ب ـ 7، 11، 13). التحقت الأجزاء الغريبة بالقبيلة الفرعية آل جراح (آ 2) التي كان لها الدور الرئيسي في تقدم بني حسن نحو هور الدخن. وبسبب هذا النمو الكبير تضخم جرّاح الهور إلى درجة أنهم تفككوا في نهاية المطاف. ثم تطورت فروعهم (ب ـ 3، 6، 8، 12، 14) والوحدات الغريبة التي انضمت إليهم إلى قبائل فرعية لم تعد تابعة لشيخ الجراح[4] وإنما لشيخ مشايخ بني حسن.

تمكن آل عباس، أسرة مشايخ بني حسن، ليس فقط من المحافظة على تماسك تجمع القبيلة الكثير الفروع، وإنما أيضاً من جعله رئيساً لاتحاد يضم العديد من قبائل الهندية وقبائل الشامية المجاورة. وكان بنو طرف على الهندية، والعوابد

(1) الجزيرة العربية، 389، عام 1102هـ/ 1691م عند الرماحية، گلشن، ص 128.

(2) خورشيد، 116، يحصر منطقة إقامة قبائل الهندية، وبالتالي بني حسن أيضاً، في منطقة كربلاء ـ طويريج.

(3) أثبت خورشيد وجودها في الشامية 1850م، ص 115، ولكن يجب أن نقرأها "دهيم" بدلاً من "دهيمة".

(4) عام 1916م كان لفته الشمخي، شيخ جراح هور الدخن، لم يزل يمارس بعض النفوذ على مجموعته.

والحميدات على الشامية، أعضاء دائمين في هذا الاتحاد، وكانت جليحة وقريط تنضمان إليه بين حين وآخر. غير أن آل عباس اصطدموا بقبيلة فتلة، ثاني أكبر قبيلة بين قبائل الهندية/ الشامية، التي كانت تسعى مثل بني حسن إلى تجميع القبائل المجاورة تحت سلطتها. وفي 1893م نشبت حرب بين القبيلتين لهذا السبب[1].

وكان هناك توتر آخر بين بني حسن وأعيان كربلاء. وكاد هذا التوتر أن ينفجر عندما انتقلت إلى كربلاء الاضطرابات التي أدت في أبريل/ نيسان 1915م إلى طرد الأتراك من النجف. إذ دخل بنو حسن إلى المدينة لكنهم اكتفوا بحرق دار الحكومة ونهبها[2].

بينما كان الأتراك يعملون على خلق العداوات بين القبائل، اتبع الإنجليز في بادئ الأمر سياسة معاكسة[3] لأنهم كانوا بحاجة إلى هدوء في البلاد من أجل توفير الغذاء وجباية الضرائب. ولذلك سعوا إلى ردم الهوة بين بني حسن والفتلة ـ مما ألحق الضرر بهم كما تبين بعد ذلك بوقت قصير. إذ أن القبيلتين تمكنتا، بسبب ضمان عدم مهاجمة أي منهما للأخرى، من المشاركة في ثورة عام 1920م.

اتخذ بنو حسن في بادئ الأمر موقفاً سلبياً من القلاقل التي انطلقت من بغداد والمدينتين المقدستين النجف وكربلاء. ولكن عندما ثارت قبائل المشخاب (على شط الكوفة الأسفل) اندفع معها (14 تموز/ يوليو 1920م) بنو حسن الجنوبيون الذين كان يقودهم شيخ المشايخ علوان السعدون. أمّا أخو علوان عمران، رئيس بني حسن الشماليين، فقد تردد بضعة أيام لكنه ما لبث أن رضخ لضغط الثوار. في 20 يوليو/ تموز احتل بنو حسن الكفل، وفي 24 تموز صدوا بالتعاون مع قبائل أخرى كتيبة بريطانية كانت تتقدم باتجاه الكفل ـ الكوفة، بينما شاركت مجموعات أخرى في حصار الكوفة[4] الذي استمر من 20 يوليو/ تموز حتى 17 أكتوبر/ تشرين الأول.

---

(1) لونكريك، 310.

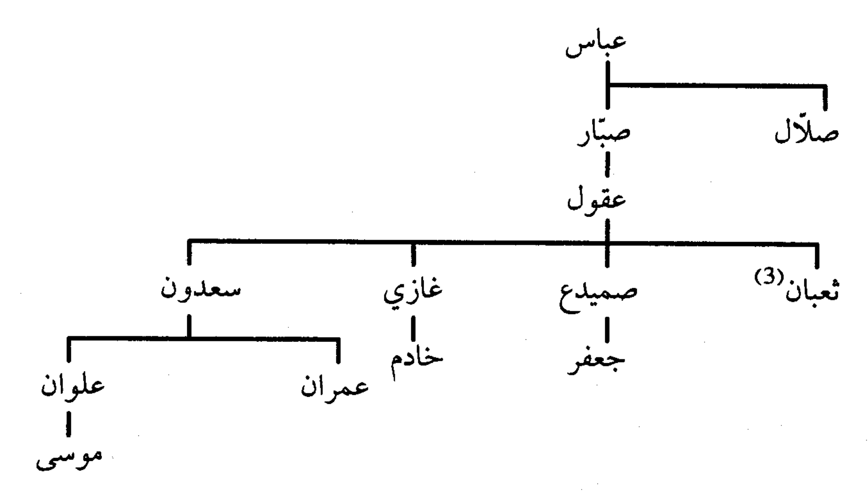
(2) قارن ريفيو، 143.

(3) ريفيو، 29.

(4) ريفيو، 145 وما بعدها. هولدين ـ العصيان في بلاد ما بين النهرين 1920م
. Passim, A.T. Wilaon, Mesopotawia 1917-1920. A clash of loyalties, passim.

خلافاً لمعظم قبائل الهندية الأخرى لا يمارس بنو حسن الزراعة وحسب بل وأيضاً تربية الماشية. ويقوم الرعاة في فصل الربيع بالتوغل في الصحراء حتى جال البطن ـ «Djal el Baten» مسيرة أربعة أيام جنوبي النجف.

لأسرة مشايخ بني حسن، آل عباس، أملاك كثيرة قرب الكفل مركز منطقة القبيلة[1]. ولكن لهم أملاك أيضاً في أعلى الهندية وفي هور الدخن[2].



يملك شيخ المشايخ الحالي عمران الحاج سعدون بيتاً في طويريج الهندية، لكنه يسكن غالباً في أملاكه الزراعية خارج المدينة.

---

(1) يظهر في الخريطة ب 1 حلة حصنٌ لعلوان السعدون على الضفة اليسرى للهندية فوق الكفل، وحصن ثانٍ في الشمال الغربي من الكفل، وبيت في الجنوب الشرقي منها، وفي نفس المنطقة حصن وبيت لأخيه عمران، وبيتان لابن عمهما جعفر الصميدع.

(2) خادم الغازي، انظر أدناه.

(3) ذو نفوذ واسع قبل الحرب العالمية الأولى.

بني حسن

حواتم

الحواتم هم أقوى فرع بين فروع بني حسن ويعتبرهم البعض قبيلة مستقلة. يعيشون في منتصف الطريق بين الكفل والكوفة وكانوا في السابق يقومون عند اندلاع ثورات بشل حركة السفن والقيام بأعمال إرهابية في الكوفة. وخلال الحرب العالمية أيضاً كانوا من المشاغبين وخاصة في الأشهر الفاصلة بين انسحاب القوات التركية واحتلال الإنجليز الفعلي للكوفة (ديسمبر/ كانون الأول 1917م). كانت هناك ثارات دم بين البوضرس: والبوشتيّو، كما كانت توجد عداوات بين شيوخهم المنحدرين من البوضرس: كان سلمان الفاضل قتل منافسه ثامر المهنا. فاعتقله الأتراك لكنه هرب وعاد في النهاية دون ملاحقة لكي يتولى منصب الشيخ الذي كان قد احتله في تلك الأثناء دهام الثامر[1] ابن ضحيته ثامر المهنا.

(1) يوجد على الخريطة ب 1، حلةَ «Hillah» حصن له وحصن لسلمان.

بني حسن(1)

شيخ المشايخ: عمران الحاج سعدون
منطقة التنقل: كربلا ـ الكفل ـ النجف ـ الصليكية «الصليچية»
عدد الأكواخ: 6000

آ ـ بني حسن الهندية(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ آل جميل(3)		أبو نقاش: كعبوري	320
2 ـ آل جراح(4)		كعبوري	320
3 ـ آل كباس(5)			160
4 ـ الثراوين(6)			80
ملحقة:			
العامرية (7)		نهر عبد عونيات	80

ب ـ بني حسن في هور الدخن(8)

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ آل عباس(9)	عمران الحاج سعدون؛ موسى العلوان؛ جعفر الصميدع	أبو نقاش؛ الكفل؛ هور الدخن	
2 ـ المكاتيم(10) «المچاتيم»		شط أبو شورة	

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
3 ـ الحواتم		شط الكوفة ـ شط الشامية	
4 ـ البو حداري(11)		ضفتا شط الكوفة فوق الكوفة	360
5 ـ الدهيم(12)		مقابل الكوفة	200
6 ـ البو نعمان		الضفة اليسرى تحت الكوفة	55
7 ـ البو شيخ مشهد(13)		الضفة اليسرى من شط الكوفة	40
8 ـ العيسى(14)		الضفة اليسرى من شط الكوفة	125
9 ـ البو سلامة(15)		الضفة اليسرى من شط الكوفة	160
		الضفة اليسرى من شط أبو شورة	
10 ـ البو عارضي		شط الأعمى	320
11 ـ البو عذيب		الضفة اليمنى من شط أبو شورة	120
12 ـ المواش(16)			320
13 ـ الزرقات(17)		أم الحياية	
«الزرگات»			
14 ـ البو دحيدح(18)			320
15 ـ آل علي(19)		الضفة اليمنى من نهر أبو كفوف	
ملحقة :			
آل بدير(20)		الضفة اليمنى من نهر أبو كفوف	150
أ ـ البو حسين			
ب ـ النبهان			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م، بعض أسماء الشيوخ عدّلت عام 1942م استناداً إلى أقوال عراقيين يقيمون هنا ـ القبائل مصنفة من الشمال نحو الجنوب أي من أعلى النهر إلى أسفله.

2 ـ كلا المنطقتين كعبوري وأبو نفاش تقعان غرب شمال غرب وغرب جنوب غرب طويريج، قارن سالنامه، 291 وما بعدها، والخريطة ب 1 كربلاء. يوجد على هذه الخريطة قرية لكل من آل جميل (1) وآل جراح (2) والشراوين (4)، وبيوت شيوخهم آنذاك وبيت شيخ آل كباس (3).

3 ـ الشيخ 1916م: سلمان الحسين.

4 ـ الشيخ 1916م: محمد العبادي. شيخ آل جراح هور الدخن هو الآن ابن الحسن الشمخي الذي يقيم مثل سلفه لفتة الشمخي عند الصليچية.

5 ـ الشيخ 1916م: ياسين المحسن.

6 ـ الشيخ 1916م: مهدي الشعلان.

7 ـ سالنامه، 291، 293.

8 ـ سالنامه، 296، تذكر القبائل الفرعية 1 ـ 4 في ناحية هور الدخم مع أكثر من 200 كوخ، 6 ـ 8، 12، 14 في ناحية الكوفة؛ 15 مذكورة في سالنامه، 319 وما بعدها بين قبائل ناحية الصلاحية. على الخريطة ب 1. عند الحلة توجد مستوطنات القبائل الفرعية 2، 3، 4، 7، 9، 11 وحصون الشيوخ المذكورين في الملاحظة التالية.

9 ـ أسرة الشيوخ، انظر النص أعلاه.

10 ـ انظر أعلاه، ص 360.

11 ـ شيخ المشايخ 1916م: عوده الزبالة، وشيخ آخر: أبو حَلة.

12 ـ شيخ المشايخ 1916م: سلمان الحميد. الشوافع المسجلون على الخريطة هم فرع من الدهيّم.

13 ـ حسب سالنامه عبوده؛ قارن مقال: قبائل أبو صخير الصغيرة.

14 ـ أحد الشيوخ 1916م: جاسم الرخيّص.

15 ـ يتبعون البوعارضي (10)، كلاهما على الأرجح من منشأ غريب ـ يعمل البوسلامة جزئياً في أراض تملكها العائلة اليهودية البغدادية المعروفة دانيال.

16 ـ شيخ المشايخ 1916م: أبو صالح بن ردّام بن غيدان بن ماضي. أحد أعمامه، مريهج الغيدان وشيخ آخر من شيوخ المواش، نعمة السقبان، موجودان على الخريطة.

17 ـ سالنامه: زرفان: الشيخ 1916م: عبد الله الصقر.

18 ـ حسب سالنامه: شبل. شيخ المشايخ 1916: ناصر العبد الإيمة، شيخان آخران، علي الجبور وجاسم الحمّادي موجودان على الخريطة.

19 ـ شيخ المشايخ 1916م: ودّاي العطية.

20 ـ يتبعون بني حسن في حالة الحرب، وإلاّ فهم مستقلون. يزرعون الأرز ويملكون بعض بساتين النخيل. يوجد على الخريطة مستوطنة من مستوطناتهم، ب 1. الدغارة، وكذلك مقر شيخهم آنذاك حسين الدواد: انظر المقال المتعلق بذلك.

فتلة

صحيح أن الفتلة لا تستطيع مجاراة بني حسن من الناحية العددية ولكنها تستطيع مجاراتهم من ناحية الأهمية السياسية. وتنقسم القبيلة إلى ثلاث مجموعات موزعة على شواطئ الهندية وشط الشامية وشط الكوفة. وعلى الرغم من أن لكل مجموعة أسرة شيوخ خاصة بها فإن المجموعات الثلاث تشعر وتتصرف بروح تضامنية وتخضع جميعها للشيخ عبد الواحد الحاج سكر الذي يقود الفتلة من المشخاب[1].

يذكر بأن القبيلة كانت تسكن في الأصل في منطقة الناصرية. ثم انتقلت إلى ناحية الفوار في جنوبي عفك، لكنها غادرتها في النصف الأول من القرن التاسع عشر وانتقلت نحو الغرب لتعيش في الأراضي المستثمرة بعد شق قناة الهندية.

في عام 1850م بلغ عدد الفتلة على الهندية 1600 شخص وعلى الشامية 250 شخصاً. أمّا المئات القليلة الذين بقوا في الفوار فقد لحقوا المهاجرين في العقود التالية[2].

شجع الأتراك الفتلة على الاستيطان في المناطق الزراعية لأنهم كانوا فلاحين

(1) هكذا تسمى الدلتا التي يشكلها شط الكوفة تحت أبو صخير مع القنوات المتفرعة عن ضفته الغربية وبعد ذلك يسمى النهر ذاته هنا شط المشخاب.

(2) خورشيد، 115 وما بعدها.

نشيطين. وحيثما كان الفتلة يعملون في أراضٍ جديدة، كما على الهندية، لم تحدث أية مشاكل. إلا أن الأمر كان مختلفاً على المشخاب حيث وجدوا عند وصولهم إلى هناك ـ في آخر الستينيات ـ فلاحين ينتمون إلى البوشبل المعروفين بحبهم للقتال. فقد شن البوشبل، مدعومين من سادتهم الأقوياء الخزاعل، الحرب على الفتلة. واستمر النزاع بين فتلة والخزاعل حتى الحرب العالمية الأولى وما زال حتى اليوم له تأثير على السياسة الداخلية العراقية.

وقف الأتراك في هذا النزاع إلى جانب الفتلة. وقام السلطان بشراء أراض، كانت حتى ذاك الحين تزرعها الخزاعل، وأجّرها لشيخ الفتلة فرعون. وخلال الحرب العالمية الأولى وعد الأتراك ولديَّ فرعون مبدر ومزهر بإعطائهما أوراق طابو (شهادات ملكية) لمزيد من أراضي الخزاعل. وكتعبير عن الامتنان لم تعترض الفتلة القوات التركية التي كانت في طريقها إلى عجمي السعدون شيخ المنتفق الأكبر وحليف قوات المركز. وعندئذ هاجمت الخزاعل الفتلة وألحقت بهم خسائر فادحة استمرت حتى تحقيق السلام على يد المرجع الشيعي الأعلى سيّد محمد كاظم اليزدي (صيف 1916م)[1].

في الشمال حدثت نزاعات بين الفتلة وبني حسن لأن كليهما كان يسعى إلى ضم القبائل الصغيرة الموجودة في منطقة الهندية والشامية. وكما ذكرنا أعلاه (ص362) ظلت النزاعات قائمة بين القبيلتين إلى أن صالحهما الإنجليز بعد الحرب العالمية الأولى ثم اشتركتا بعد ذلك معاً في الثورة العراقية عام 1920م. ولم يزل هناك حتى اليوم شيء من الغيرة بين القبيلتين. وتظهر هذه الغيرة في العديد من النكات[2] الساخرة وحسب وإنما أيضاً في الصراعات السياسية الداخلية. وبينما ظل بنو حسن هادئين خلال ثورات البدو في القرن الماضي، فقد لعبت فيها الفتلة دوراً قيادياً.

---

(1) ريفيو، 31، تُعرض الفتلة على أنها هي المهاجم.

(2) يتباهى الفتليون بذكائهم ويردّون على تباهي بني حسن بكثرة عددهم: أيّه الأكثر البقر أم البشر؟

تسكن المجموعة الشمالية من الفتلة على جانبي شط الهندية قرب طويريج. وتبدأ منطقة إقامتها على الضفة اليمنى تحت البلدة عند شط ملاّ وتمتد مسافة 12 ـ 13 كيلو متراً نحو الأسفل، وتبدأ على الضفة اليسرى فوق طويريج وتنتهي على نهر عوفي. وأهم قناتين في منطقتهم قناة القزوينية في الشرق وقناة أبو رويّة في الغرب ـ وكانت أراضيهم، شأنها شأن أراضي بقية قبائل الهندية، قد تضررت من بناء السد لكنها استفادت بعدئذ من فتح نظام قنوات جديدة وأصبحت مروية[1].

فتلة الشامية أضعف من فتلة الهندية. ومركزهم موجود في ناحية المهنّاوية على الضفة اليسرى لشط الشامية فوق أم البعرور/ الشامية، وجزء منهم موجود على الضفة اليمنى.

أمّا المجموعة الثالثة والأقوى فتعيش على قنوات وأهوار المشخاب، غالباً على الضفة اليمنى للنهر. ويزرع الفتليون هنا الأرز، عندما تكون الظروف المائية مناسبة، وفي الشتاء يزرعون الحبوب. كما أنهم يملكون أيضاً بساتين نخيل.

لقي مشروع الحكومة العراقية، ري ناحية الفوار ثانية، اهتماماً كبيراً لدى الفتلة. ولكن إذا ما نفذ المشروع وعاد الفتليون إلى المنطقة، ستنشب نزاعات مع الخزاعل السادة السابقين لمنطقة الفوار، ومع جبور.

---

(1) قناتان تتفرعان فوق السد وتسيران بمحاذاة النهر. كان الأتراك قد بدأوا بشقهما ولكنهما لم يستكملا إلا في عام 1917م على يد القبائل ذاتها، ريفيو، 78.

عائلات شيوخ الفتلة

أهم أسرة من أسر شيوخ الفتلة اسمها ألبو دليهم. يتزعم خطها الرئيسي فتلة المشخاب بينما يتزعم خطها الفرعي ألبوراضي لفتلة الهندية. وتتوضح علاقة القرابة من شجرة النسب التالية.

في الأعوام 1911م ـ 1913م كان العديد من شيوخ الفتلة في السجن، من بينهم مبدر ومزهر ابنا فرعون وابن أخيهما عبد الواحد الحاج سكر[1]. وهذا الأخير هو الآن رئيس البودليهم، بينما توفي الآخران. وكان أتباع عبد الواحد خلال الحرب العالمية أكثر من أتباع عمّيه، وخلال الثورة العراقية تفوق كلياً على أقربائه بمن فيهم مجبل الفرعون شيخ المشايخ آنذاك. وكان المسؤول الرئيسي في الشامية عن حملة التحريض التي انطلقت من المدينتين المقدستين النجف وكربلاء. ولذلك كان مستعداً عند اندلاع الثورة في الرميثة في 2 يوليو/ تموز 1920م[2]. وتولى في 13 يوليو/ تموز قيادة قبائل المشخاب ضد حامية أبو صخير وأجبر قوات الاحتلال الإنجليزية على العودة إلى الكوفة.

في العقود الأخيرة كان عبد الواحد قائد تلك الحركة التي تناضل من أجل حق

(1) عالم الإسلام، ج2، 29، العدد رقم 11، 45 ورقم 89.

(2) انفضّ المؤتمر الذي عقده الضابط السياسي في الكوفة في أول يوليو/ تموز عند مجبل الفرعون دون نتيجة، ويلسون 295.

القبائل في الأراضي الزراعية وحق الشيعة في المشاركة في السلطة بالحجم الذي يستحقونه. ولقد برز بهذه الصفة خلال الاضطرابات التي حدثت عام 1935م وعام 1937م[1](*). وفي أحدث ثورة للعراق ضد إنكلترا (1941م) وقف إلى جانب الكيلاني وحكم عليه لهذا السبب بالإقامة الجبرية. يمتد نطاق أتباع عبد الواحد وأنصاره إلى أبعد بكثير من قبيلة فتلة والقبيلتين التابعتين لها الطفيل والكرد، وذلك لأنه متحالف مع شيخ الأقرع (سعدون الرسن) وشيخ الغزالات (علي المزعل) وشيخ البوجياش (عدي الدلي) وشيخ بني الازيرج (شنشول الحسن) وحتى مع شيخ الخزاعل نفسها (سلمان العبطان). وله في عائلته حسّاد، من بينهم على سبيل المثال: ابن عمه تكليف المبدر وابن أخيه عبد الرضا، ولكن له أيضاً أصدقاء، مثل فريق المزهر[2] وعمه مجبل شيخ المشايخ السابق.

تنقسم عائلة البوراضي، زعيمة فتلة الهندية، إلى خطين: بيت كلّوب «چلوب»، وبيت سلطان. في عام 1916م كان اثنان من أبناء كلّوب «چلوب»، هما شمران وسماوي، يحكمان على الضفة اليسرى، وكان ابن أخيه مطلب السلطان[3] يحكم على الضفة اليمنى. والثلاثة هم الآن في عداد الأموات.

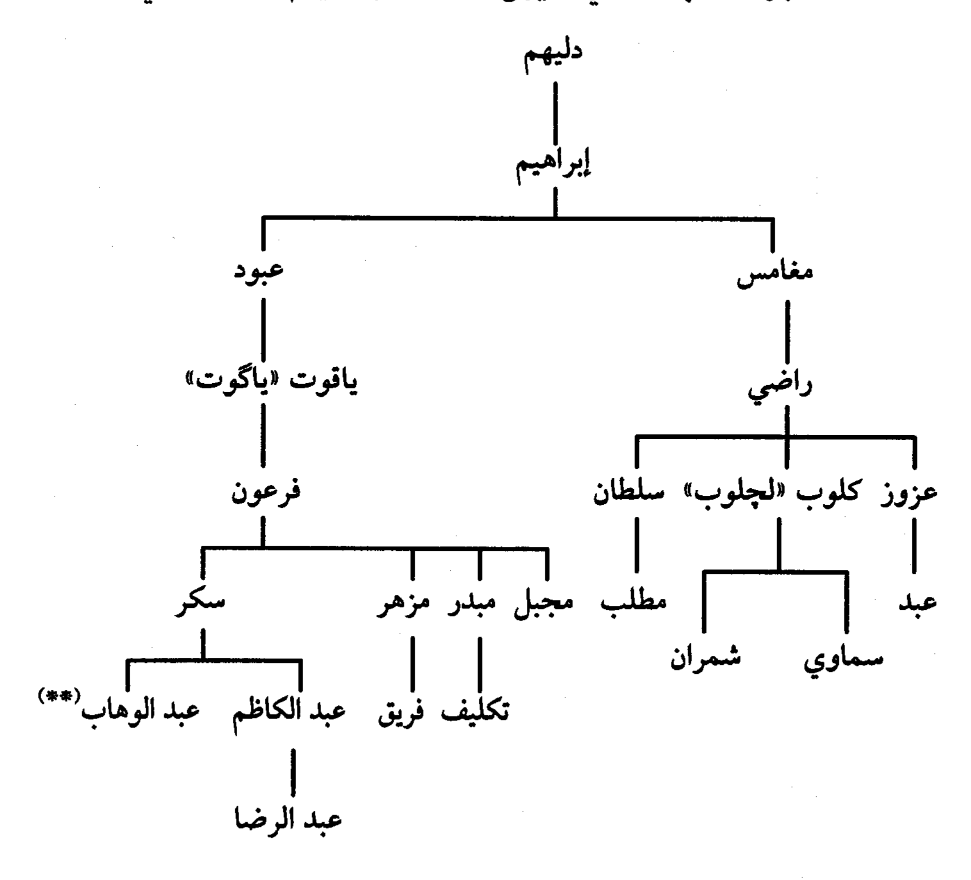
(1) الشرق الحديث، 1935م، 163، 166 وما بعدها، باسم، 1937م.

(*) راجع هامشنا ص298.

(2) فريق مشهورٌ بأنه هو الذي ارتجل تلك الأبيات الشعرية المقتضبة والقوية «هوسة» التي ينشدها البدو في رقصات الحرب وغيرها من المناسبات.

(3) يوجد على الخريطة مستوطنات لهم، ب 1 « Hillahحلّة»؟

مشجرة نسب عائلتي شيوخ الفتلة، البودليهم والبوراضي

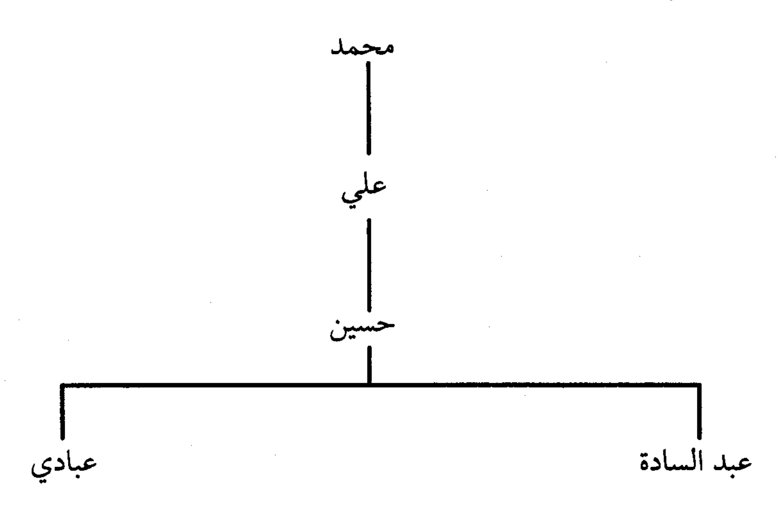


(*) فريق بن مزهر بن فرعون بن ياگوت بن عبود بن شبيب بن إبراهيم ابن دليهم بن حسن بن حسون. ويلاحظ أن هنالك اسم شبيب لم يذكر في شجرة النسب التي دونها اوبنهايم. ولم يذكر ولده الآخر الشيخ عبد العباس بن فريق مزهر [العزاوي، ج3 ص 145] (م. شبّر).

(**) الصحيح هو عبد الواحد الحاج سكر وهو من أهم الشخصيات من آل فتله التي لعب دوراً كبيراً في ثورة 1920م. (م. شبّر).

فتلة

تسمى عائلة شيوخ فتلة الشامية البوهدله وهي تنحدر من القيم (آ 5). وشجرة نسبها كما يلي:



كان عبادي الحسين يترأس خلال الحرب العالمية، والآن يترأس ابن له اسمه غير معروف(*). ولكن عليه أن يتقاسم السلطة مع عمه عبد السادة ومع ابن أخيه.

(*) هو الشيخ صگبان (العزاوي عشائر العراق، ج3 ص146). (م. شبّر).

الفتلة(1)

شيخ المشايخ : عبد الواحد الحاج سكر
عدد الأكواخ : 5000

أ ـ فتلة الهندية(2)

شيخ المشايخ : آل كلوب آل «چلوب»
آل سلطان
عدد الأكواخ : 2000

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ البو راضي(3)		شط الهندية	150
2 ـ العزيز (آل عزيز)		شط الهندية	80
3 ـ البو موسى		شط الهندية	160
4 ـ الفيادة		شط الهندية	120
5 ـ القيم (آل گيّم)		الضفة اليسرى	

ب ـ فتلة الشامية

شيخ المشايخ : العبادي(4)
المنطقة : المهناوية
عدد الأكواخ : 775

قبائل ملحقة

الكرد(5)

الشيخ: الحاج مشعان المغير
المنطقة: شط الشامية، الضفة اليسرى، قناة العقر
عدد الأكواخ: 350

ج ـ فتلة المشخاب

شيخ المشايخ: عبد الواحد الحاج سكر
المنطقة: المشخاب
عدد الأكواخ: 2000

ملاحظات حول الجدول

1 ـ بيانات عام 1916م للأسف غير كاملة. من المفروض أن تكون فروع القبيلة آ 2 ـ 4 موجودة أيضاً مع الجماعات الأخرى راجع بهذا الخصوص الحمادي. سالنامه 291 وما بعدها، 319 وما بعدها. تذكر المحتويات الثلاثة للفتلة. خورشيد، 115 القيم (250).

2 ـ مكان إقامة الفروع 3 ـ 5 موجودة على الخارطة ـ الحلة.

3 ـ الشيخ 1916م: عبد العزوز، انظر الخارطة.

4 ـ عبادي وعبد السادة: انظر ص 261 أعلاه موجودان على الخارطة: الدغارة.

5 ـ الكرد تضم أكراد من أصول مختلفة (هماوند، الشيخ بزيني، دزئي) ولكنهم لا يتكلمون سوى العربية. أقسام منهم يتواجدون في الزروفية عند الجبور الذين أُخذت عنهم صيحة الحرب: عجم العزاوي ج2 ـ 187 وما بعدها. يقدر العزاوي عددهم بـ 1000 عائلة، تقريباً. سالنامه 320 تذكرهم في منطقتهم الحالية.

جليحة

جاءت الجليحة التي تقيم إلى الغرب من الفتلة من نفس المنطقة التي جاءت منها الفتلة وهي الديوانية. ولم يزل جزء من القبيلة يعيش حتى اليوم على امتدادات نهر جوعان جنوبي هور عفك «عفج».

ورد ذكر الجليحة في موطنهم الحالي لأول مرة لدى نيبور (1765م)، وذكروا أيضاً في الحوادث التاريخية البغدادية في تقارير عن حملات تأديبية ضد القبائل الموجودة هناك في بداية القرن التاسع عشر[1]. وكانوا آنذاك يسكنون على الجانب الآخر من نهر اليوسفية الذي كانت ضفته هذه يملكها العفك الذين كان الجليحة يتضامنون معهم عادة.

من المرجح أن تكون الجليحة قد هاجرت اقتداء بالفتلة الذين كانوا في يوم من الأيام جيرانها في الجنوب. وعلى أي حال فقد جاؤوا (أي الجليحة) إلى الهندية بعد الفتلة، لأن خورشيد لم يجدهم هناك[2]. ولم تزل لهم علاقات مع أبناء قبيلتهم من العفك.

تتآخى مع الجليحة قبيلة البراقع التي تعيش معهم على الهندية وفي هور عفك. والجليحة أقوى على الهندية لكن البراقع أقوى في الهور، ولذلك نجد

---

(1) راجع مقال العفك أدناه.

(2) ولكن في موطنهم (850 رجلاً)؛ خورشيد، 115. هناك تذكرهم أيضاً قائمة شبرنغر، رقم 108.

البراقع تابعة للجليحة في الشمال، بينما تتبع الجليحة البراقع في الجنوب. إلا أن عائلة شيوخ براقع الجنوب[1] تنحدر من الجليحة.

ويتبع جزء من جليحة وبراقع الهندية للفتلة، بينما يتبع الجزء الآخر لبني حسن.

الجليحة(1)

شيخ المشايخ: . . . (2)
منطقة التجوال: شط ملا
عدد الأكواخ: 375

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ البو صريصر			
2 ـ العصامات(3)			
3 ـ الرحاحلة			

البراقع[1]

شيخ المشايخ: . . . (4)
منطقة التجول: شط ملا
عدد الأكواخ: 250

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ آل عبدالله(5)			
2 ـ آل فضل الله(5)			

(1) في الحرب العالمية الأولى كان اسم زعيمهم مرهون ابن الحاج خلخال.

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م. سالنامه 292 تورد القبيلتين في مكان إقامتهما الحالية تقريباً. إحدى مستوطنات (البراقع) توجد على الخارطة، ب 1 الحلة. الجليحة وبراقع العفك تتألف من 200 و450 كوخ.

2 ـ 1916م: علي بن نعمة.

3 ـ ترد في الجنوب كفرع من البراقع.

4 ـ 1916م: جياد المحمد.

5 ـ موجودة أيضاً في الجنوب.

طفيل

تنتمي طفيل إلى المجموعة القديمة من قبائل، كما تبين أعلاه ص 357 من قائمة خورشيد المعروضة هناك. وهي تقيم في جنوب شرق ناحية الهندية وتصل جزئياً إلى ناحية الحلة (نهر شاه). ويعيش فرع القبيلة حيادر على الضفة اليمنى للنهر. وهو يجاور من جهة الشمال قبيلة قريط «گريط» ومن جهة الجنوب بني حسن، بينما تجاور بقية الطفيل الفتلة في الشمال وبني حسن في الجنوب.

عانت منطقة طفيل منذ بناء سد الهندية (1913م) من نقص في المياه، ولذلك هاجر جزء من أبناء القبيلة في الأعوام اللاحقة؛ لكنهم عادوا الآن إلى أراضيهم مرة أخرى. يتبع طفيل عدد من الفروع منها أيضاً البوسمن الذين يسكن جزء منهم على نهر الحسينية ـ حيث يعيش غالباً فلاحون من مسعود ـ وجزء عند الجعارة.

تتبع الطفيل الفتلة.

الطفيل(1)

شيخ المشايخ: نور آل متعب(2)

منطقة التنقل: الضفة اليسرى للهندية، نهر عوفي ـ علقمي

عدد الأكواخ: 2000

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ السهلان 2 ـ الحيادر(3) 3 ـ بني مسلم(4) 4 ـ البو حتروش		شط الهندية علقمي	300

ملاحظات حول الجدول

1 ـ مأخوذة 1916م. مناطق إقامة فروع القبيلة. موجودة على الخارطة، الحلة، سالنامه 311 تشير إلى بني مسلم (3) في منطقة نهر شاه أمّا بقية الطفيل ففي قناة المنيهير (ص: 292).

2 ـ 1916م نايف الغيدان. عم نور المتعب، سالنامه 342: مطلق الغيدان. يوجد على الخارطة قلعة لمتعب الغيدان.

3 ـ الشيخ 1916م، سلمان الجبور الذي وردت قلعته على الخارطة.

(*) لم يضع المؤلف شرح للرقم (4) (م. شبّر).

قريط

يبدو أن القريط هم مثل الجليحة من المهاجرين الحديثين. يعيش الجزء الأكبر من القبيلة في جنوب غرب ناحية الهندية، والبقية في شمال شرقها. وهم مثل بني حسن من مربّي الأغنام. وتتبع القريط بني حسن أحياناً والفتلة أحياناً أخرى.

ترتبط بالقريط قبيلة كرّافة(*) الصغيرة التي جاءت من الدغارة (الديوانية).

القريط(1)

شيخ المشايخ: ... (2)

مكان التجوال: الشط الأيمن للهندية بين الفتلة والحيادر (طفيل)

الضفة اليسرى منفهان

عدد الأكواخ: 1000

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ البو خلف(2)			
2 ـ الخبازة			
3 ـ الحوافظ			
4 ـ الحويفظات			

(*) زرافة: حسب قول الشيخ حسين الشعلان (م. شبّر).

قريط(1)

الكرافة

شيخ المشايخ(*): . . . (3)

منطقة التنقل: شط ملا: ابو روية

عدد الأكواخ: 400(؟)

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب الوضع 1916م: تذكرهم سالنامه، 292، في منطقتهم الحالية تقريباً.

2 ـ 1916م: شعلان الراضي (على الخريطة، ب 1. حلة: شعلان أبو خلف). قريط منفهان وكانوا تحت حكم مانع بن لوتي؛ سالنامه، 342: منذور اللوتي.

3 ـ 1916م: علي الحسين.

(*) شيخ الكريط هو مرهون بن منذور آل لوتي (مصدر العزاوي ص 206، ج4). لمزيد من التفاصيل يراجع كتاب عشائر العراق للعزاوي، ج4، ص 226 ـ 228. (م. شبّر).

عوابد

تنتمي العوابد إلى قبائل الشامية. وهي تسكن على الضفة اليمنى لشط (نهر) أبو كفوف مقابل الفتلة، لكنها تبدأ وتنتهي في مكان أبعد باتجاه أسفل النهر. وهم أحفاد أولئك العوابد الذين رآهم نيبور[1] عام 1765م على الضفة اليسرى للفرات فوق سماوة، والذين ينحدرون حسب الروايات المتناقلة من بني مالك الذين يرد ذكرهم عند نيبور معهم (أي مع العوابد). ويقيم العوابد علاقات طيبة مع جيرانهم في الشمال بني حسن، لكن عدداً قليلاً منهم يقف إلى جانب الفتلة. ولقد شارك العوابد في الثورة العراقية شأنهم شأن القبيلتين المذكورتين بني حسن والفتلة. يعمل العوابد في زراعة الأرز ويملكون أيضاً بساتين نخيل.

اشتهر الشيخ مرزوق العواد كشاعر هجاء سليط اللسان (انظر الصفحة 372 أعلاه).

(1) الجزيرة العربية، 389.

العوابد(1)

شيخ المشايخ: مرزوق «مرزوك» العواد
المنطقة: شط الشامية بين الفتلة والحميدات
عدد الأكواخ: 2000

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ الروبات			500
2 ـ الصبغان	قاسم بن صعب(2)		1100
3 ـ الحكام «الحچام»			400

ملاحظات حول الجدول

1 ـ سالنامه 320 وردت في أم الورد وأم البط أي أمكنتها الحالية شيخ المشايخ وكذلك الشيوخ المذكورون عام 1916م جبار الصالح، وجبور المجهول ومحمد الفالح موجودون على الخارطة ـ الدغارة، الديوانية وكذلك الناحيتين.

2 ـ يعد مرزوق العواد أهم شيوخ العوابد.

الحميدات

الحميدات مثل العوابد قبيلة من قبائل الشامية الصرفة. وهم يسكنون على ضفتي الشط بين العوابد والفتلة في الشمال البوشبل (الخزاعل) في الجنوب. تقع منطقتهم في الشمال من مناطق زراعة الأرز، على الضفة اليسرى حيث تتصل بهور ابن نجم كما على الضفة اليمنى في ناحيتي عنكوشي ومنفهان. وعند التوجه نحو الأسفل باتجاه جريان النهر تسوء إمكانات الري[1]. وخلال الحرب العالمية الأولى ساءت شروط الري إلى درجة أن جزءاً كبيراً من القبيلة انتشر في مناطق مختلفة. وفي عنكوشي يعمل الحميدات فلاحين عند عائلة سادة "أشراف" تحمل الاسم نفسه وتقيم هناك منذ أجيال عديدة.

كانت الحميدات في السابق تنتمي إلى تحالف الخزاعل، وخلال الحرب العالمية وقفت إلى جانب بني حسن.

إن شيخ المشايخ الحالي، حاجي «الحاج» رايح العطية كان له بعض النفوذ عام 1916م، وكان عمّاه حاجي «الحاج» حمود البدن والحاج جاسم چياد أقوى منه. وينتمي رايح العطية إلى تكتل «حزب» شيخ الخزاعل شعلان السلمان الظاهر.

---

(1) قارن سالنامه، 320.

الحميدات(1)

شيخ المشايخ: الحاج رايح العطية
المنطقة: كلا ضفتي شط الشامية عند أم البعرور/ الشامية
عدد الأكواخ: 2000(2)

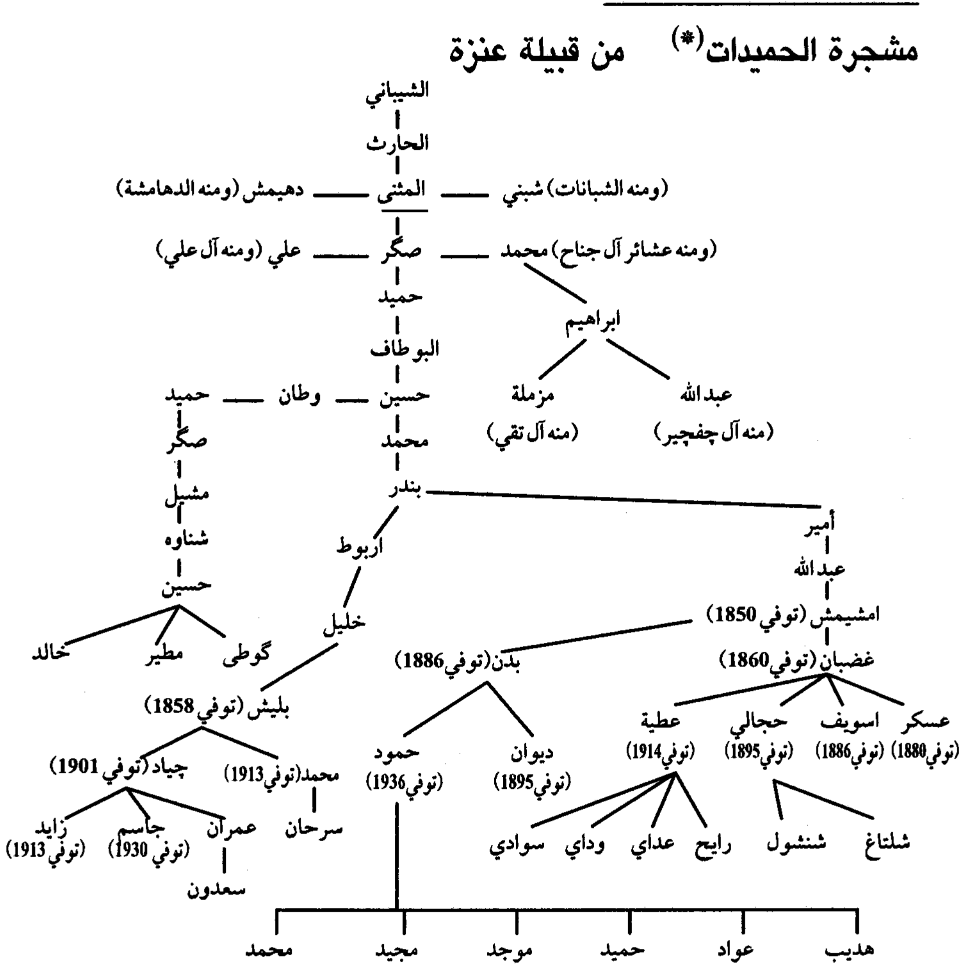
القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ الوطان	رايح العطية		
2 ـ البو غزيل			
3 ـ البو خضر			
4 ـ البو عزيب(*)			
5 ـ العمار			
6 ـ البو درويش			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ الوضع عام 1916م. سالنامه، 320، تسميهم فلاحي عنكوش، منفهان، أبو غربان، رغيلة. وهؤلاء مذكورون على الخريطة ب1 الديوانية، وكذلك مقرات أقرباء شيخ المشايخ حاجي حمود، وحاجي جاسم، وشيوخ آخرين آنذاك.

(*) هناك فرق بين تقسيمات العزاوي لـ حميدات والمؤلف، يقسم العزاوي الحميدات إلى:
1 ـ الوطان وهم الرؤساء وينقسم إلى ثلاثة:
أ ـ البوبليبش [رئيسهم سرحان المحمد].
ب ـ البومشيمش [رؤسائهم رايح العطية وكان من الرؤساء حمود البدن].
ج ـ البوشيبة وهم من الرؤساء.
2 ـ أهل النصيفة رئيسهم الحاج جاسم آل چياد ويتفرعون أربعة فروع:
أ ـ البريهات ب ـ آل عمّار ج ـ البو درويش د ـ البو غزيّل

مشجرة الحميدات(*) من قبيلة عنزة



3 ـ البوعزيّب: رئيسهم الحاج رايح آل عطية وفروعهم سبعة:

أ ـ البولاقي. ب ـ البو داغر. ج ـ البو عبد الخضر. د ـ البو غادي. هـ ـ العرادات. و ـ البوعانية. ز ـ الصوالح.

4 ـ البو خويطر: رئيسهم شلاش آل حسن آل فنيخ ومنهم البو وحيد.

5 ـ المكاطيف: من ناحية العباسية (هور الدخن) رئيسهم صحن آل كندوح

6 ـ البو صريو: رئيسهم جياد آل عباس ويعودون للضواحي.

المصدر: عباس العزاوي عشائر العراق ج4 ص143 ـ 145.(م. شبَّر).

(*) نخوة الحميدات «صگر» وهو جدهم الأكبر وحسب ما أفادنا به الأستاذ مجيد حمود وقد زودنا مشكوراً بشجرة نسب الحميدات وهي من إعداد الأستاذ هديب الحاج حمود. وعلى ضوء استنتاجاتنا أنهم يعودون إلى الصقور من الجبل من عمارات وليس من الدهامشة (م. شبَّر).

إبراهيم

تعيش قبيلة الإبراهيم على الفرات الأسفل؛ إذ أنها من نفس الأصل كتلك الإبراهيم التي تنتمي إلى مجموعة بني مالك التابعة للمنتفق. وحسب قائمة خورشيد المذكورة أعلاه (ص356) نزل الإبراهيم في بادئ الأمر على الهندية. لكنهم هاجروا بعد وقت قصير نحو الأسفل؛ ذلك أن الفتلة عندما جاءت إلى المشخاب في ستينيات القرن الماضي وجدت الإبراهيم مقيمين هناك. وكالفتلة دخل الإبراهيم في صراع مع سكان المنطقة الذين كانوا قبلهم هناك، وهم البوشبل والغزالات المنتمين إلى اتحاد الخزاعل، ولذلك أقاموا علاقات صداقة مع الفتلة. إلا أنهم تحالفوا أيضاً مع قبيلة آل زيّاد على الرغم من أنها تنتمي أيضاً إلى الخزاعل. ولولا هذه التحالفات ما كان في وسع الإبراهيم المحافظة على استقلاليتهم كما يتضح من إلقاء نظرة على موقع منطقتهم. تقع هذه المنطقة بمعظمها على الضفة اليسرى لشط المشخاب وتمتد حتى امتدادات شط الشامية، أي حتى أبو بلامة، والنغيشية، والغزالي[1]، بحيث أن الإبراهيم يقيمون في الشمال بين الفتلة وصادق (قبائل ملحقة بالخزاعل آ 2 أ)، وفي الجنوب بين السداين (ملحقة بالخزاعل ب 6) وآل زيّاد (أيضاً، جـ). وهناك فرع بالإبراهيم (5) تصل

(1) شط الغزالي هو الفرع الرئيسي لشط الشامية الأسفل، أبو بلامة يتفرع في الأعلى نحو الغرب، مجرى شط النغيشية غير واضح على الخريطة ب 1. الديوانية والنجف.

منقطته إلى الضفة اليمنى لشط المشخاب ولشيخه أملاك هناك أيضاً.

يزرع الإبراهيم الأرز، لكنهم يملكون أيضاً بساتين نخيل.

تعيش في منطقة الإبراهيم عائلة آل ياسر، وهي عائلة سادة «أشراف» جاءت قبل ستة أجيال من المدينة المنورة واستوطنت في بادئ الأمر جنوب الديوانية لكنها انتقلت في وقت لاحق إلى منطقة السماوة. وبعد ذلك انقسمت العائلة: فاستوطن سيد عباس وسيد نور العزيز على المشخاب، بينما بقي أعضاء آخرون في السماوة أو هاجروا إلى الغراف. وخلال الثورة العراقية 1920م برز اسم علوان الياسري ابن سيد عباس واشتهر منذ ذلك الحين كمدافع عن الشيعة والقبائل والحركة الوطنية.

هناك علاقة مصاهرة بين آل ياسر وعائلة شيوخ الإبراهيم.

الإبراهيم(1)

شيخ المشايخ: داخل الشعلان(2)

المنطقة: شط المشخاب حتى شط الغزالي

عدد الأكواخ: 500 ـ 800

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ البو حمودي	مهدي آل عسل(3)	طبر الإبراهيم(4)	
2 ـ الخبيطات			
3 ـ البو معن			
4 ـ البو هزيم			
5 ـ البو عبيد		شط المشخاب، أم البط	
6 ـ عبد الامام		أبو بلامة	
7 ـ الخشاب		النغيشية	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ نعود إلى عام 1916م، تمّ التأكد مجدداً من اسماء الشيوخ. سالنامه 321 ورد ذكرها بين قبائل الجعارة.

2 ـ 1916م: والده شعلان الجبور. موجود على الخارطة بلاد الديوانية.

3 ـ قناة تحت أن الشواريف باتجاه الغرب والجنوب الغربي، متفرعة من شط الشامية.

4 ـ موجود على الخارطة، كذلك شقيقه عبد الرضا.

قبائل صغيرة في أبو صخير والنجف

تفيد الروايات المتناقلة محلياً بأن ناحية أبو صخير الحالية قد استصلحتها وزرعتها عائلة السادة آل زوين. وفي الوقت الذي كان فيه واديّ ابن شفلّح شيخ الزبيد يحكم حتى النجف، كان سيد حسن الزوين، في أربعينيات القرن الماضي قد استملك منطقة صنين الأثرية[1] وزرع هناك أشجار النخيل. وقام أيضاً بوضع الأساس اللازم لبساتين نخيل الجعارة التي قام بتوسيعها توسيعاً كبيراً ابنه سيد محمد. وفي عام 1882م قام السلطان عبد الحميد بشراء الجعارة[2]، التي كانت تعتبر أراضي أميرية على الرغم من استيلاء الزوين عليها، وأمر بعد ذلك بجعل أبو صخير مقراً لإدارة الأملاك الأميرية الجديدة[3].

(1) معروفة قبل التاريخ الإسلامي كنصر للخميين.

(2) حسب رأي السكان المحليين كان تعويض الزوين غير كافٍ إطلاقاً قياساً إلى الفلاحين: كان الفلاحون يحصلون على ثلثي المحصول والزوين على ثلث، وكان كل منهم يعطي للإدارة السلطانية الربع. وخلال الحرب العالمية الأولى امتنع الفلاحون عن إعطاء الزوين حصتهم. لكن رئيس العائلة آنذاك سيد هادي، ابن أخ سيد محمد، نجح بمساعدة أقربائه من جهة أمه، شيوخ الخزاعل، بتأجير حصته للعديد من آلشبل والغزالات. ولأن هؤلاء كانوا محاربين أقوياء فلم يجدوا صعوبة في تحصيل أموالهم، لا بل إنهم استغلوا الوضع للاستيلاء على حصص أفراد آخرين من عائلة زوين وبعض الفلاحين وتأجيرها بدورهم لأشخاص آخرين مما أدى خلال الحرب إلى نشوء عدد لا حصر له من الخلافات الحقوقية والقانونية. من زعماء الزوين يعيش سيد محمد وسيد علي في الجعارة.

(3) سالنامه، 321، 323.

كان المستوطنون اللاحقون بعد الزوين قبيلتا الشبل والغزالات[1]. وبعد ذلك جاءت الإبراهيم من الهندية ثم جاء الفتلة الذين استدعاهم الأتراك ـ وهم قبائل تزرع الأرز وليسوا نصف رُحل كالقبائل التي جاءت قبلهم. كما أن عائلات السادة (الأشراف)، ومن بينهم العذاريين[2] وياسر (انظر الصفحة 390 أعلاه)، اشترت ملكيات عقارية في المنطقة الجديدة.

بالإضافة إلى هذه العائلات والقبائل هناك العديد من المجموعات والفئات الصغيرة التي استوطنت شيئاً فشيئاً على المشخاب وقنواته[3]. ولقد سبق وذكرنا بعضهم باختصار ومنهم الداعوم القراقشة «الگراكشة» وألبوسمن (ص358، 381).

يعمل الداعوم «الدعوم» واللهيبات (1) وجزء من العبودة (2 آ) فلاحين عند الزوين وهم تابعون للغزالات. أمّا آل زكري (3) والجنابات (4) فهم من أتباع الشبل. ومن المرجح أن الجنابات، الذين جاؤوا من ما بين النهرين الأعلى، ينحدرون من جبور، بينما ينحدر آل زكري من بني حكيم «حجيم». أمّا أصل اللهيبات فغير معروف؛ وليس لهم علاقة بفرع شبل الذي يحمل اسمهم (1 آ). وأمّا العبودة فينحدرون من قبيلة تحمل الاسم نفسه وتشكل جزءاً من المنتفق. ويتبع أكثرية العبودة في منطقتنا (2 ب) للفتلة. كما أن بني أسد (5) يعيشون تحت حكم هذه القبيلة. ولقد جاؤوا إلى هنا، شأنهم شأن بني أسد الهندية (انظر ص358 أعلاه)، من الجبايش.

وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد بين فلاحي الزوين بعض الجماعات المنتمية إلى

---

(1) انظر المقاطع ذات الصلة في مقال الخزاعل.

(2) كان العذاري يقيمون سابقاً في منطقة الحلة، وتربطهم علاقة مصاهرة مع شيوخ الفتلة.

(3) يتفرع شط الكوفة عند أبو صخير إلى فرعين يسمى الفرع الغربي البكيرية، وفي بعض الأماكن الكحات «جحات»، ويسمى الفرع الشرقي المشخاب. يغذي البكيرية القنوات التي تروي منطقة الجعارة وأبو صخير، نهر الهاشمي، والبديرية، وأبو جدّوع. ولقد تغير في هذه الأثناء اسم القناتين الأخيرتين أو تمّ تعويضهما بقنوات جديدة (الأمير غازي، الفيصلي، الحسين)؛ عبد الرزاق الحسني، 64.

شعوب غريبة، وهم البلوش[1] والبختياريون (خاشتيين ـ بخاتره).

تتصل ناحية أبو صخير من جهة الغرب بما يسمى بحر النجف[2]، وهو منخفض كان سابقاً ينغمر بالمياه كلما فاض الفرات، أمّا الآن فلا ينغمر إلا بضعة أيام عندما تفيض مياه وادي الخر.

في القرى الصغيرة التي تشبه الحصون والمنتشرة في هذه المنطقة، قصور بحر النجف: الرهيمة، والعزية، والحيادية، الشقيق «الشجيج»[3]، وجدت قبيلة العكارات، التي يفترض أنها جاءت إلى العراق قبل 15 جيلاً قادمة من جبل شمر، مأوى لجأت إليه يزرع العكارات في هذه الواحات المروية بالينابيع القمح والشعير والخضار؛ وهم يشكلون في الرهيمة نصف السكان.

(1) سالنامه، 296 تذكرهم (والشوشتري) في ناحية الكوفة.

(2) راجع موزيل، الفرات الأوسط، 108. كلمة «بحرة» التي يستعملها موزيل بدلاً من بحر هي التعبير الذي يستعمله البدو.

(3) الأماكن مذكورة في موزيل، آرابيا ديزرتا (الصحراء العربية)، 370، 372ج مذكورة في الفرات الأوسط، 108، 118، وفي الخريطة المتعلقة بهذا الموضوع، وأيضاً في سالنامه، 297، كمزارع في ناحية الرحبة.

قبائل صغيرة في أبو صخير والنجف(1)

القبيلة	الشيخ	مكان السكن	عدد البيوت
1 ـ اللهابات «اللهيبات»(*)		نهر الهاشمي ـ نهر البديرية	250
2 ـ العبودة(2)			
أ ـ		نهر البديرية	60
ب ـ		شط المشخاب	150
ج ـ		أم تلك	40
3 ـ آل زكرى(آل زچرى)		نهر الهاشمي	60
4 ـ الجنابات		نهر الهاشمي	100
5 ـ بني سد (أسد)		شط المشخاب	170
6 ـ العكارات(3)		نهر الهاشمي	50
		قصور بحر النجف	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ مأخوذة 1916م وتمّ تعديلها 1939م. مكان إقامة القبائل 1، 2، 3، وشيوخ حاجي جبار (1) حاجي خشّان (2) موجودة على خارطة بلاد النجف، الديوانية. أقسام صغيرة أخرى على الخارطة: بركات جلابات.

2 ـ العبودة من التلك تتبع النبهان وهم فرع من الشبل (الجدول: خزاعل، شبل آ 3 ب) وغيرهم إلى السداين من الغزالات (الجدول خزاعل، غزالات ب 6).

3 ـ عگارات الهاشمي تتبع فرع البوخلوي من شبل (الجدول ـ خزاعل شبل آ 3 آ) وهناك فروع صغيرة أخرى موجودة في الهندية فوق الكفل (60 كوخاً).

(*) يطلق اللهيبات وليس اللهابات كما أكد ذلك الشيخ حسين الشعلان والسيد كريم الياسري وكذلك الأستاذ مجيد حمود (م. شبّر).

اليسار

إذا ما عدنا من الشامية إلى النقطة التي انطلقنا منها وهي سد الهندية، لكي نتحدث عن قبائل شط الحلة، نصادف في بادئ الأمر اليسار الذين يعيش الجزء الرئيسي منهم على الضفة اليمنى حتى الحلة، بينما تعيش مجموعة صغيرة بين الفرات وكربلاء.

حسب روايات طي ما بين النهرين الأعلى فإن قبيلة اليسار في الحلة تربطها علاقة قربى مع القبيلة الفرعية التي تحمل الاسم نفسه (اليسار) في الشمامك (الجزء الأول، 271، 275، وبالتالي مع طي. ويعتقد بأنهم جاؤوا مع زبيد الذين ظلوا ينتمون إليهم فترة طويلة من الزمن.

في التواريخ البغدادية[1] (بغداد كرونيك) تظهر اليسار لأول مرة عام 1233هـ/ 1818م وذلك في منطقتهم الحالية على شط الحلة؛ وقامت القوات التركية بالاستيلاء على قطعانهم آنذاك.

يعمل جميع اليسار الحلة دون استثناء تقريباً في الزراعة وكانوا كذلك منذ ما قبل منتصف القرن التاسع عشر. وهم يعملون في النواحي: مهناوية، وخواصّ، وطهمازية. ويعيش بينهم بعض الغرباء: القريتان عنّانه وسنجار يسكنهما فلاحون

(1) دوحة، 307.

أصليون؛ على قناة المهناوية يعيش البوعامر، والبومحي، ومسعود، ويعيش هناك وعلى نهر الخواص الإشجيرية[1] الذين تعرفنا عليهم في مقال القراغول. وعلى قناة الطهمازية يعيش المراشدة، وهم فرع من خفاجة، كما أن قرية الطهمازية نفسها تسكنها خفاجة. وفوق بابل تصل اليسار إلى الضفة اليسرى لشط الحلة[2].

يعمل اليسار كربلاء، جزئياً، في تربية الأغنام ويرسلون قطعانهم في الربيع إلى الصحراء. وتقوم عداوة بينهم وبين الزقاريط، أو كانت على الأقل عداوة بينهم قديماً.

تشعر مجموعتا اليسار وتتصرف بصورة تضامنية.

(1) انظر خورشيد، 204 وما بعدها، سالنامه، 311 وما بعدها.

(2) موزيل، الفرات الأوسط، 15. من بين الذين يسمون هنا، وفي سالنامه 309، 314، الجدي وجراونه فإن الأول فقط من شمّر. أمّا الجراونه فموجودون عند خورشيد، 221. والبو علوان (سالنامه، 309) هم مجموعة صغيرة من القبيلة الفرعية التي تحمل الاسم نفسه والتابعة للدليم، الجزء الأول، (304)، الجزء الثالث. وهم المقصودون في MDOG، رقم 42، 351.

اليسار(1)

أ ـ يسار الحلة(2)

شيخ المشايخ: . . .(3)

المنطقة: الضفة اليمنى لشط الحلة

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ آل هديب		المهناوية	
2 ـ آل مسافر		نهر خواص	
3 ـ آل حميد		نهر خواص	
4 ـ آل ظاهر		نهر خواص	
أ ـ سبطة			
ب ـ الدولة			

ب ـ يسار كربلاء

شيخ المشايخ: . . .

منطقة التنقل: شمال شرق كربلاء

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ الجمعان(4)			
2 ـ آل ظاهر			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م.

2 ـ سالنامه 312 وما بعدها تذكر فرعي القبيلة 2 و4 وتقدر عدد اليسار بـ 6000 نسمة وبقية السكان (في ناحية خواص) بـ 3000 نسمة.

3 ـ 1916م: رشيد العنيزات.

4 ـ أيضاً: البوجمعان.

البو عامر(*) والبومحي

من بين القبائل الغريبة التي تسكن في منطقة اليسار اكتسبت البوعامر والبومحي مؤخراً أهمية معينة. كان البومحي يعيشون في حوالى عام 1850م في جرف الصخر (انظر الصفحة 343 أعلاه) ويبدو أنهم كانوا في بداية هذا القرن ما زالوا موجودين هناك[1]. وبعد ذلك هاجروا نحو أسفل النهر إلى قناة المهناوية. منذ فترة طويلة من الزمن تقوم علاقات طيبة بين شيخ القبيلة علوان الشلال والكيلاني في بغداد، لأن البومحي يعملون في أراضي العائلة أو في المؤسسات التي يديرها هؤلاء.

كان البوعامر يقيمون في بداية القرن التاسع عشر في أبو غريب لكنهم هاجروا في عهد علي رضا باشا (1831م ـ 1842م) نحو الشمال إلى هور عقرقوف[2]. وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر هاجروا مرة أخرى، جزء منهم إلى أسفل الخالص، وجزء إلى الفرات بين المسيّب والحلة[3]. وبما أن البوعامر كانوا

(*) نخوة البوعامر (كوشة) وفي اليوم الكبير (معن) مما يدلل على وجود صلة بين البوعامر ومعن ولكن أي معن فهل هي معن من طي كما يقول العزاوي أم ما يقوله المؤلف في الجزء الأول ص502. (م. شبّر).

(1) خورشيد، 220: 80 خيمة، فلاحون ومعدان؛ سالنامه 285.

(2) خورشيد، 196: 600 خيمة، 218 (فلاحون مسجلون): 80؛ جونز، 381.

(3) مجموعة صغيرة كانت موجودة هناك منذ حوالى 1850م؛ خورشيد، 221.

مرغوبين من أصحاب الأراضي في المنطقة، لأنهم كانوا عمالاً زراعيين ماهرين، فقد تنامت مجموعتهم في الأعوام التي سبقت الحرب العالمية وأصبحوا يشكلون ثلثي أعضاء القبيلة، بينما كانوا في الخالص يشكلون الثلث. وكان بعضهم يسكنون في امتدادات أبو غريب تحت بغداد.

من المجموعة في ناحية الحلة كان يعيش آنذاك النصف تقريباً عند اليسار على الضفة اليمنى للشط، والبقية على الضفة المقابلة على قناة حصن البيكات.

خفاجة

عرضنا في مقال عقيل أعلاه التاريخ القديم لخفاجة. ونود هنا أن نذكّر فقط بأن القبيلة كانت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر تقيم بين الحلة والكوفة بالإضافة إلى أماكن أخرى. ولذلك من الطبيعي أن نعتبر الخفاجة الذين يقيمون اليوم على الطريق بين الحلة والكوفة الخلف المباشر لأولئك الخفاجة القدماء، لا سيما أن أولئك مثل هؤلاء يوجد بين صفوفهم فرع باسم كعب. غير أن كون المراجع لم تعد منذ العصور الوسطى تذكر الخفاجة عند الحلة، فهذا أمر مزعج، وأن الافتراض بأن خفاجة كانوا في أحد الأوقات ينتمون إلى المجموعة المنضمة إلى المنتفق (د 4) غير مستبعد. لا سيما أن منطقة المنتفق خرج منها مراراً وتكراراً مهاجرون توجهوا نحو الشمال.

تسكن قبيلتنا في شريط ضيق يمتد من الحلة نحو الجنوب ويصل إلى مقربة من الكفل، ويبدأ في الغرب على الجانب الآخر من قناة التاجية ويشمل في الشرق قناة الهمينية. ويشكل نهر شاه الشريان الرئيسي لهذا الشريط.

في 24 يوليو/ تموز 1920م هوجمت في منطقة خفاجة كتيبة بريطانية، المسماة كتيبة مانشستر، وكانت متوجهة من الحلة إلى الكفل، وذلك في النقطة التي تتقاطع فيها قناة الرستمية مع الطريق، وألحقت بالقوة المنهكة بسبب الحر خسائر فادحة أجبرتها على التراجع وكادت العملية أن تؤدي إلى انهيار شامل. ويبدو أن الخفاجة

لم تشارك في هذا الهجوم إلاّ بقدر ضئيل. وعلى إثر ذلك قُدِّم شيخ القبيلة إبراهيم السماوي، الذي لم يزل يتزعمها حتى اليوم والذي كان يعمل دليلاً للكتيبة البريطانية، إلى المحكمة العسكرية ولكنه حكم بالبراءة[1].

خفاجة(1)

شيخ المشايخ: إبراهيم السماوي
منطقة التنقل: جنوبي الحلة
عدد الأكواخ: 1500

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ الطرفة	إبراهيم السماوي		
2 ـ الزور			
3 ـ الرفيعات			
4 ـ السلامات			
5 ـ هوا الشام			
6 ـ الغفيلة			
7 ـ الكعب (چعب)			
8 ـ الهيال			
9 ـ آل لوبة			
10 ـ آل جدوع			
11 ـ العتيق			
12 ـ البو سريع			
13 ـ 13 العجيمي	صغير آل طراد		

(1) هالدين، 91 وما بعدها.

ملاحظات حول الجدول

1 ـ مأخوذة 1916م. الفروع 5، 9، 10 موجودة على الخارطة، الحلة، وكذلك بعض المشايخ والشيخ الأكبر. تمّ ترتيب الفروع من الشمال إلى الجنوب.

جبور

ينقسم جبور شط الحلة إلى مجموعتين: جبور الغربي وجبور الشرقي. تسكن المجموعة الأولى في انعطافة الفرات عند الجربوعية/ الهاشمية. وهي تبدأ على نهر علاج وتصل في الجنوب إلى موازاة محطة القطار ابن علي. وفوق النقطة التي يتفرع عندها الدغارة عن الشط تصل إلى الضفة اليسرى للنهر.

لا تتوفر أي معلومات عن أصل هؤلاء الجبور. ولا توجد قرابة بينهم وبين جبور ما بين النهرين[1]. ويشير اسم القبيلة الفرعية الجوازرية (4)[2] إلى العراق الأسفل. في كتب الرحالة يرد اسم جبور لأول مرة عند نيبور[3] (1765م) وعند سستيني[4] (1782م)، الذي يذكر أيضاً أحد فروعهم، بني منصور (5). وهناك فرع آخر، الواوي (3)، يرد ذكره في بداية القرن التاسع عشر[5].

(1) قارن لايارد: نينوى وبابل، 548.

(2) من الجوازر، انظر الصفحة 280 أعلاه.

(3) الجزيرة العربية، 390.

(4) سستيني: رحلة من القسطنطينية إلى البصرة عام 1781م بواسطة دجلة والفرات والعودة إلى القسطنطينية عام 1782م، باريس، الجزء السادس، 234 وما بعدها يذكر سستيني بني منصور إلى جانب الجبور.

(5) وصف باشويه بغداد باريس [1809م ص 113]. J. B. Rousseau, Deseription du Pachalik de Bagldad, Paris 1809, 113. دوحة، 276؛ قائمة شبرنغر رقم 110.

كان الجبور في أحد الأوقات خاضعين لسلطة الخزاعل، لكنهم استقلوا منذ زمن طويل. وخلال ثورة 1920م سببوا للإنجليز بعض المصاعب. ففي يوليو/ تموز عطلوا حركة القطار بين الحلة والديوانية. وفي بداية أغسطس/ آب لم يعيقوا انسحاب حامية الديوانية القوية عن طريق شن الغارات وتدمير الجسور والخطوط الحديدية وحسب، بل دخلوا معهم في معركة قبل الجربوعية بعد أن كانوا قد حاولوا قبل ذلك تدمير جسر الفرات الموجود هناك.

يعمل الجبور في الزراعة؛ وكانوا سابقاً يعيشون كمعدان. ويعملون اليوم في بساتين النخيل على الشط كفلاحين غير مرتبطين على أساس قبلي.

جبور الشرقي

يعيش الجبور الشرقي في ناحية الفوار التي كانت في الماضي تروى من قناة اليوسفية التي تتفرع من الفرات فوق الديوانية مباشرة. وعندما قطعت الهندية الماء عن شط الحلة اختصرت اليوسفية مجراها بحيث أنها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لم تعد تصل إلى الفوار[1]. ولذلك بدأ الجبور بمغادرة المنطقة؛ وخلال الحرب العالمية لم يكن يوجد في منطقة القبيلة سوى 50 عائلة تقريباً من مربي الأغنام. أمّا البقية ـ حوالى 1500 عائلة ـ فكانوا يعيشون موزعين بين القبائل المجاورة: الأقرع، والجليحة، وعفك «عفج». وكانت قبيلتان فرعيتان تتبعان الخزاعل؛ كانت الأولى تسكن على الضفة اليسرى للفرات قرب الرميثة، والثانية في هور ابن نجم. وكان بعض الجبور يعيشون من زراعة النخيل قرب أبو صخير.

وجميع هذه المجموعات المتفرقة الصغيرة تنتظر العودة إلى الفوار حيث من المقرر أن يروى مرة أخرى، قارن الصفحة 369 وما بعدها أعلاه.

وهناك أخيراً مجموعة صغيرة من الجبور مشهورة تحت اسم أهل الهور. وهي تتبع الخزاعل.

---

(1) في عام 1850م كان اليوسفية الأسفل، والفوار، والطرنجية المتفرع عنه، لما يزل يجري فيها كميات كبيرة نسبياً من الماء؛ لوفتوس 106، 111. ولكن بعد ذلك تراجعت المياه. أجريت محاولات لاحقة لإعادة ري الناحية ولكنها لم تكلل بنجاح دائم؛ سالنامه، 303.

جبور الغربي(1)

شيخ المشايخ: مخيف بن كتاب الخليل(2)

المنطقة: الهاشمية (الجربوعية)

عدد الأكواخ: 6000

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ الجميعات	دوحان (*) الحسن(3)	نهر علاج	200
2 ـ عمر لنك			350
3 ـ الواوي	فرحان الدبي	نهر أبو كمكة: نهر العمادية	600
4 ـ الجوازرية	مخيف بن كتاب	نهر الجربوعية	2600
أ ـ المطر		تل الشجر	
ب ـ المحامدة		نهر الزرفية: نهر الجربوعية	
5 ـ بني منصور		نهر الهاشمية، نهر الفياضية	1000
6 ـ الوسامة		نهر ابيخر	400
7 ـ العويديين		صدر الدغارة	1350
8 ـ آل جوذر		الزرفية	400
مجموعات غريبة			
1 ـ العقة(4)			75
2 ـ الجنابيين			150

(*) دوهان وليس دوحان الحسن / (م. شبّر).

ملاحظات حول الجدول

1 ـ مأخوذة عام 1916م، ومعدلة 1942 بناء على أقوال عراقيين موجودين في برلين. القبائل الفرعية مذكورة في سالنامه 310 أدناه و311 وما بعدها. بعض أسماء الشيوخ والقبائل موجودة على الخريطة الدغارة مرتبة من الغرب نحو الشرق.

2 ـ سلفه: عمه مراد الخليل المتوفى قبل وقت قصير. عام 1942م ذكر لنا شيوخ آخرون من ذوي النفوذ: حميو العزيز وأخوه إلحيس.

3 ـ برز في ثورة عام 1920م.

4 ـ عند أهل الهور أيضاً.

زبيد

إلى الجنوب من غرير تحتل الجزيرةَ قبائلُ زبيد التي كانت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تشكل أقوى تجمع في مقاطعة بغداد. وهم جزء من شعب زبيد المنتشر في أماكن بعيدة جاء إلى الجنوب من منطقة ما بين النهرين. وقد سبق أن تحدثنا بالتفصيل في الأجزاء الأولى من هذا المؤلف عن شعب زبيد[1]. ولكن بينما تعيش قبائل زبيد ما بين النهرين، الجبور والدليم وعبيد، منذ زمن طويل إلى جانب بعضها دون روابط، فإن الزبيد العراقيين، المعامرة، والجحيش والكلابيين «الجلابيين»، وألبو سلطان وسعيد، ما زالوا متحدين في جماعة سائبة يقف على رأسها عائلة الشيوخ آل عبد الله.

إن هجرة الزبيد لا يمكن أن تكون قديمة جداً لأن القبيلة تشيعت[*] قبل

---

(1) الجزء الأول، ص 279 وما بعدها، ص 492 وما بعدها؛ الجزء الثاني، 527، 535، 540 وما بعدها.

(*) ذكر د. جودت القزويني في كتابه (المؤسسة الدينية الشيعية: دراسة في التطوّر السياسي والعلمي): انَّ تحويل قبائل زبيد إلى المذهب الشيعي كان قد تمَّ على يد الإمام السيد مهدي القزويني الحلّي المتوفى سنة 1300هـ/ 1883م، وذلك بعد هجرته من النجف إلى الحلّة سنة 1253هـ/ 1837م. وحدَّد الميرزا حسين النوري في (مستدرك وسائل الشيعة ج3، ص400) عدد المعتنقين للشيعيّة يقارب المائة ألف شخص. وذكرت المس بيل Miss Gertrude Bell المتوفاة سنة 1346هـ/ 1927م انّ تشييع قبائل زبيد تمَّ على يد مجتهد كبير ما زال أحفادُه يلعبون دوراً هاماً في الحياة السياسية لمدينة الحلّة. =

100 عام فقط[1]. ويجب أن تكون قد حدثت قبل انقسام الزبيد في ما بين النهرين إلى قبائل مستقلة، وقبل عام 1107هـ/ 1696م؛ وذلك لأن الزبيد يذكرون تحت هذا التاريخ لأول مرة في العراق. كانوا آنذاك على قناة مهروت[2] قرب بعقوبة، أي أنهم لم يكونوا قد جاؤوا بعد إلى منطقتهم الحالية. ولم يرد لهم ذكر في الجزيرة إلاّ في التاريخ التالي 1119هـ/ 1707م: كانوا يخربون مناطق النخيل وزراعة الحبوب تحت انعطاف الفرات عند الجربوعية، إلى أن طردهم حسن باشا[3].

تتعزز الملاحظات الواردة في المدونات التاريخية بواسطة تقارير الرحالة اللاحقة[4] بحيث أنه يمكننا تصور طريقة حياة الزبيد من منتصف القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر بكل وضوح: كانوا يقضون الجزء الأكبر من السنة على الضفة اليمنى لدجلة بين حوريّة والبغيلة حيث كانوا يرعون قطعانهم، غالباً

= (Review of the civil administration of Mesopotamia, p. 27.)

وفي مصادرنا أنّ جدالاً حدث بين القزويني، وزعيم قبائل زبيد وادي الشفلّح تطوّر إلى التحدّي الذي أدّى إلى اعتراف الشيخ وادي بسلطة القزويني الدينيّة (كان القزويني يومذاك في الحادية والثلاثين من عُمره). أمّا الشيخ وادي فكان نفوذه في هذه المرحلة قد اتّسع اتساعاً كبيراً حينما عُيّن حاكماً يُمثّل السلطة المركزية ببغداد في منطقة الفرات الأوسط سنة 1252هـ/ 1836م.

وقد بقيت القبائل الزبيدية التي كانت بعيدة عن أطراف الحلّة، والمدن المقدّسة على ما كانت عليه، ولم تتأثر بهذا التحوّل الذي طرأ عليها يُنظر:

Al-Qazwini, J. The Religious Establishment in Ithna Ashari shiism, p. 130.

(م. شبّر)

(1) ريفيو، 27، تقول إن التشيع حدث عام 1830م. ولكن هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً لأن جونز (1854)، 373، يذكر أنهم كانوا سنيين.

(2) گلشّن، ف. 116 يقدم لنا النص الشكل القديم مهرود (مهروذ)، كذلك خورشيد، 209.

(3) گلشّن، ف. 125. اسم القنوات في النص: باشيّة، سيب، قدس، إصلومبا (خطأ مطبعي).

(4) نيبور (1765)، الجزيرة العربية، 392؛ روسو (1808)، 98. خورشيد، 113 وما بعدها؛ جونز، 372 وما بعدها.

أغنام، ويزرعون الأراضي أو يكلفون فلاحين خاضعين لهم بزراعتها. وكانوا قبل موسم التمور ينتقلون إلى الشريط الخصب على ضفة الفرات بين المحاويل والقنوات المذكورة قبل قليل لكي يحموا الثمار الناضجة من الغرباء ويجلبونها في وقت لاحق. وكان أسلوب الحياة هذا نابعاً من ميل إلى الاستقرار: يذكر روسو عام 1808م أن عدداً كبيراً من عائلات زبيد استوطنوا على ضفاف الفرات ودجلة. ويذكر خورشيد، 203 وما بعدها، أنه كان يوجد في حوالى عام 1850م فقط في النواحي الواقعة بين المسيّب والحلة حوالى 1000 أسرة من الفلاحين الزبيديين. ومن الواضح أن تزايد المستقرين (عكس الرحل) يعود جزئياً إلى أن المزارعين السابقين في المنطقة أخذوا ينضمون شيئاً فشيئاً إلى زبيد ـ وحسب قول جونز (1854م) لم يؤد هذا التطور إلى تحسين طباع القبيلة.

كان الزبيديون يسيطرون على طريقي الملاحة النهرية للبلاد وعلى أهم طريق بري فيها، طريق بغداد ـ الحلة، وكانوا بالتالي في كثير من الأحيان غير مريحين بالنسبة للحكومة. وشاركوا في ثورات البدو خلال الحرب الفارسية (1722م ـ 1747م). ولذلك شن عليهم محمد باشا في شتاء 1733م/ 1734م، ثم سليمان أبو ليلى 1742م حملة تأديب. كما شنت عليهم حملات تأديبية أخرى في عام 1797م وفي أواخر عهد سليمان باشا الكبير (1780م ـ 1802م)[1].

في الربع الثاني من القرن التاسع عشر مدّ الشيخ وادي بن شفلّح، وهو شخصية غير محبوبة ولكن دون شك هامة، سلطته نحو الغرب والجنوب إلى ما وراء الفرات وذلك بأن ربط بمهارة مصلحة الحكومة مع مصلحته. فمنحته الحكومة حق جباية الضرائب حتى الهندية والسماوة. ومنذئذ صار الزبيديون أصدقاء جيدين للأتراك.

إلا أن خلفاء وادي فقدوا شيئاً فشيئاً السيطرة على القبيلة. وفي بداية القرن

(1) لونكريك، 232، 155. دوحة، 41 أعلاه؛ أوتّر: رحلات إلى تركيا وفارس، هالّه 1789م، الجزء الثاني، 46. لونكريك، 202، 219؛ قارن دوحة، 219 أدناه.

الجاري نشأت خلافات بين الزبيد انتهت إلى حرب بين الأخوة عام 1909م[1].

خلال الحرب العالمية حافظ الزبيديون على سياستهم الودية تجاه الأتراك. وعندما تقدم الإنجليز في أواخر عام 1917م نحو أعالي نهر دجلة غادر الزبيديون الموجودون هناك مواطنهم وانسحبوا إلى الفرات لكنهم عادوا في الخريف لكي يزرعوا أراضيهم. وفي بداية عام 1918م لجأ شيخهم عجيل بن علي السمرمد إلى الأتراك ولم يخضع إلا بعد وقف إطلاق النار.

أمّا شيخ البو سلطان، عداي الجريان، فقد تقرب من الإنجليز. وكان السبب في أن زبيد لم تشارك إلاّ بعد تردّد في ثورة 1920م.

تنقسم زبيد إلى خمس قبائل هي: المعامرة، الجحيش، الكلابيين[*] «الجلابيين»، البو سلطان، السعيد. ويبدو أن الكلابيين هم من أصل غريب[2]. وهناك قبيلة سادسة، الدليم، تنتمي من ناحية نسب الدم إلى الزبيد، لكنها لم تنتقل إلا في القرن التاسع عشر شيئاً فشيئاً من موطنها فوق الفلوجة إلى دجلة.

في أحد الأوقات وصلت منطقة تنقل الزبيد في الشمال الغربي إلى قناة الصقلاوية لكنها تقلصت هنا بعض الشيء. أمّا بقية حدودها ـ على الفرات نهر الظلمية، وعلى دجلة بغيلة/ النعمانية ـ فقد بقيت دون تغيير. والمعامرة على الفرات أقوى منهم على دجلة. والأمر بالعكس لدى الجحيش. أمّا الكلابيون فتقتصر منطقتهم على دجلة، والبو سلطان، باستثناء عدد قليل، على الفرات. وفي مكان بعيد، على الطرف الشمالي لهور العفك «عفج» تقيم قبيلة السعيد. وتتم

(1) قارن MDOG، رقم 42، 531؛ عالم الإسلام، الجزء الثاني، 38، رقم 51. دار الخلاف حول ملكية ناحية غبيشي على نهر دجلة التي كان يسكنها البو سلطان (د) ولكن أسرة الشيوخ آل عبد الله تدعي حقها فيها.

(*) ويطلق عليهم أيضاً الجلابات. «المصدر القبائل العراقية ص 130/يونس السامرائي بغداد» (م. شبّر).

(2) لا يرد ذكرهم عند روسو، 71، ليس في قائمة الزبيد وإنما في قائمة فلح دجلة.

المحافظة على الروابط بين القبائل المختلفة وأجزائها عن طريق العناصر البدوية ونصف البدوية، أي عن طريق الاحتكاك الذي يحدث نتيجة الترحال والتنقل من مكان إلى آخر. في عام 1916م كان نحو ربع الزبيد بدواً رحلاً يعيشون غالباً من تربية الأغنام.

عائلة شيوخ الزبيد

أقدم عضو من آل عبد الله مذكور في المراجع هو الشيخ خطاب الشلّال. وقد عزله الأتراك في بداية عام 1806م ووضعوا مكانه ابن أخ له اسمه حسين البندري[1]. وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت زبيد تحت قيادة أخي خطاب شفلّح الذي عزله الأتراك عدة مرات لكنه كان في كل مرة يعرف كيف يثبت أنه لا يمكن الاستغناء عنه وبالتالي يستعيد منصبه من جديد. وبرز بشكل خاص في ثورة البدو الكبرى عام 1818م: في هذا العام، العام الثاني لحكومة داود باشا، هرب صادق بك، أحد أبناء سليمان الكبير، من بغداد والتجأ إلى شفلّح، لربما بهدف إعادة اللعبة التي لعبها أخوه سعيد (1813م ـ 1817م باشا بغداد) وطرد داود بمساعدة القبائل. فأخذ شفلّح صديقه المحتمي به إلى الخزاعل الذين كان عندهم لاجئ سياسي آخر هو جاسم بك الشاوي[2]. فبدأ الإثنان معاً بإثارة القلاقل في البلاد وإعاقة حركة الملاحة في نهر الفرات. ولم يكن في وسع الحكومة أن تفعل أي شيء بسبب حدوث اضطرابات في كردستان، وفي الوقت نفسه ظهور بوادر هجوم فارسي من كرمنشاه. إلا أنها ضربت التمرد بأن جذبت إلى جانبها الشيخ علي خان البندر[3] والشيخ شبيب الدرويش، ونصبت الأول

(1) دوحة، 247.

(2) انظر الجزء الأول، 300.

(3) هو أخو حسين البندري.

رئيساً لزبيد. وما لبثت أن نشبت معركة قرب الخشيخشية على الفرات فوق الدغارة بين الزبيد الموالية للحكومة وبين المتمردين أسفرت عن هزيمة الثوار وهربهم إلى منطقة عفك «عفج» الوعرة. وهناك اكتسبوا أنصاراً جداً وأخذوا يعرقلون الملاحة في نهر الفرات من جديد. في هذه الأثناء كانت بغداد قد أصبحت قادرة على إرسال قوات لمحاربة الثوار. إلا أن الوحدة العسكرية المرسلة لم تستطع تحقيق أي شيء بسبب وعورة المنطقة. وهنا تمكن "باب العرب" عبد الله بك الشاوي[1] من فصل الشيخ شفلّح عن الثوار بأن عرض عليه منصب الشيخ. وما لبث الثوار أن تفرقوا خلال وقت قصير بعد أن انتزع منهم رئيسهم[2]. ويبدو أن شفلّح كان عام 1824م لم يزل في الحكم[3]. وتشهد قناة الشوملي التي شقها بأنه كان يعرف كيف يربط مصالحه الخاصة بمصالح قبيلته وهمومها.

كان ابنه وخليفته وادي أكثر استقلالاً. وجاء الزمن مؤاتياً لطموحه إلى السلطة والثروة. فقد استخدمه علي رضا (1831م ـ 1842م) شرطياً ومحصل ضرائب. ثم منحه نجيب باشا (1842م ـ 1849م) حق جباية الضرائب من قبائل الهندية: الخزاعل والأقرع والعفك «وعفج»[4]. ونظراً لما كان يمارسه ضدهم من استغلال وابتزاز أصبح أغنى ملاّك الأراضي في العراق دون أن تستفيد الحكومة من ذلك أي شيء. وعندما أصبح الضغط قوياً جداً ثارت قبائل الهندية عليه. وعلى إثر ذلك عزل من منصبه (1849م) واعتقل ـ ولكن ليس طويلاً. ففي عام 1850م كان مرافقاً للباشا (عبدي)، وفي عام 1852م أشعل ثورة كبيرة لقبائل الفرات. وفي عام 1854م عاد

---

(1) انظر الجزء الأول، 300.

(2) دوحة، 311، 314.

(3) Keppel (1824), Perponal Narrative of Travels in Babylonia etc., London 1826, I, 117: «Shufileh, a Sqare brick fort, the residence of Sheikh Tyobeid» هذا الحصن موجود على الخريطة المرفقة مع نص خورشيد على منعطف الفرات فوق زلجة، وإلى جانبه حصن لابنه وادي.

(4) خورشيد، 115؛ لونكريك، 290.

وأصبح من أصحاب الحظوة لدى الحكومة ويبدو أنه ظل كذلك حتى وفاته[1]. ومنذ أيامه حملت شيوخ مشايخ الزبيد لقب باي (بك).

ويبدو أن منصب الشيخ انتقل من بعده إلى ابن أخيه سمرمد ثم أخذ بعد ذلك يتنقل بين هذين الخطين: خط وادي وخط سمرمد.

في حوالى عام 1900م حكم رشيد البربوتي الزبيد. وتروى عن موته في حروب الأخوة المذكورة في الصفحة 411 أعلاه الحكاية التالية: لم يشترك رشيد في بادئ الأمر في القتال بل وقف جانباً حسبما يقتضيه مركزه. ولكن عندما بدأ وضع اليسار يتضعضع تقدم مع ابنه الهادي إلى ساحة المعركة لكي يشجع رجال اليسار ويرفع معنوياتهم. لكن اليسار هربوا وتركوا رشيد وابنه وحدهما. ولم يجرؤ الأعداء على قتله بل نادوه قائلين: الله يحميك، ارجع! غير أن الشيخ لم يتحرك وبدأ الهادي، الذي كان رامياً ماهراً، بإطلاق النار على الشيوخ. وعندئذ أطلق عليه أخوة البيضا[2] النار وقتلوه. وعندما رأى رشيد ابنه قتيلاً جثا وأخذ يطلق النار إلى أن سقط. وقام خصومه بقبره وهم يهزجون: يا بك، مباركة هالنومة، يا بك[*]!

بعد مقتل رشيد خلفه عجيل بن علي السمرمد. ولقد تعرضنا أعلاه إلى موقفه في الحرب العالمية الأولى.

وكان ابنه حامد العجيل متعلماً لكن نفوذه كان ضعيفاً بحيث أنه يمكن اعتبار محمد الرشيد رئيساً لآل عبد الله وشيخ مشايخ الزبيد.

---

(1) فرازر (1834م)، الجزء الأول، 351، الثاني، 45، 53، لوفتوس، 39 وما بعدها، بترمان (1854)، الثاني، 76؛ لايارد، نينوى وبابل، 479، 483؛ لونكريك، 291.

(2) انظر مقال البو سلطان أدناه.

(*) لقد حدثني عمي السيد صاحب عن أبيه السيد ناجي بأن هوسه قد قيلت ضد اليسار في هذه الواقعة وتقول:

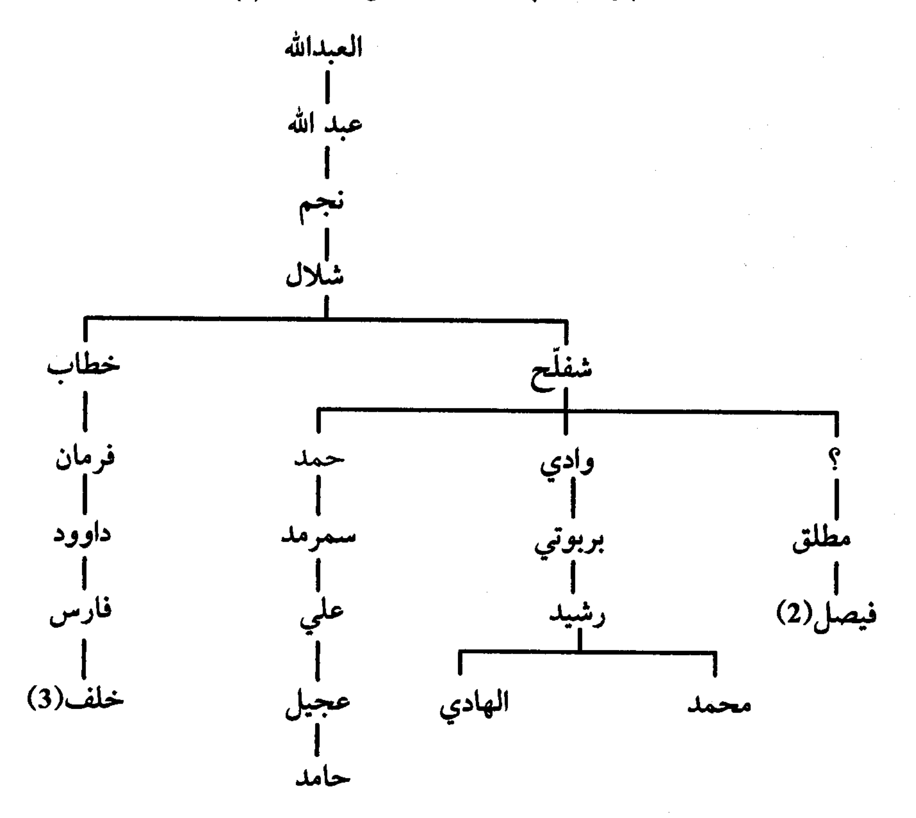
امداگم يا اليسار صرتوا للعربان عار   صرتوا عار لكل عشيرة.

(م. شبّر).

بقي للعائلة من أملاك وادي الواسعة بعض الأراضي ومنها ناحية أبو عقارب عند نهاية قناة المحاويل حيث يسكن محمد الرشيد، وناحيتان على نهر دجلة هما: بدعة حمد والعبد الله[1].

في منتصف القرن الماضي شكل آل عبد الله مع أتباعهم قبيلة حقيقية تضم 500 خيمة وتعيش حياة بدوية خالصة. أمّا حجم قوتها الآن فلا نعرف عنه شيئاً. وسلطتها على قبائل الزبيد ضعيفة، لكن سمعتها عالية ولها أهميتها.

مشجرة نسب عائلة شيوخ الزبيد (1)



(1) انظر، سالنامه، 275.

ملاحظات حول المشجرة

1 ـ الروايات المتناقلة عن نسب عائلة الشيوخ لا تعود بعيداً إلى الوراء. والقول بأن عبد الله حفيد مباشر لحمْيَر (جونز، 73) لا تعني شيئاً لأن المسافة الزمنية الفاصلة بين عبد الله وحمير تبلغ حسب التاريخ العربي نفسه نحو ألفي عام. والأسماء مثل يوسف، وخضر، وحسن التي تذكر أحياناً بأنها أسماء أجداد عبد الله تبدو غير بدوية على الإطلاق.

2 ـ أحد أملاكه مسجل على الخريطة (الصويرة) قرب بدعة حمد.

3 ـ توفي قبل بضعة أعوام؛ وهو أيضاً كانت له، حسب الخريطة، أملاك قرب بدعة حمد.

المعامرة(*)

يعيش القسم الأكبر من المعامرة على الفرات ـ شط الحلة ـ، فوق آثار بابل، وقسم آخر في القطبة (حرية) على دجلة، ويعيش فرع آخر من فروع القبيلة وهم البومحمد في السهول، ويعتمدون في معيشتهم على تربية الجمال. ويتبع جزء من الأراضي التي يزرعها المعامرة للرابطة الإسرائيلية العالمية. وقد قدّم المعامرة العمال لعلماء الآثار الألمان عندما نقبوا عن الآبار في بابل.

(*) لهم أكثر من نخوة فهم يستعملون نخوة العامة أي حمير و(زبيد) أو نخوة أخوة سلمة. هذا ما ذكره العزاوي في عشائر العراق ولكن لم أستطع معرفة مصدر النخوة أخوة سلمة (م. شبّر).

الجحيش[1]

الجحيش كالمعامرة موجودون على كلا النهرين، لكن القسم الأكبر منهم يعيش على دجلة فيما بين الديوانية والطويل. وعلى الفرات تبدأ منطقتهم فوق المعامرة وتمتد حتى شط النيل قرب الحلة. ولذلك كانت تحدث باستمرار خلافات حدودية بين القبيلتين[2].

تعتبر الجحيش من أقوى قبائل الزبيد وأكثرها عدداً. فقد امتصت العديد من الوحدات الغريبة التي كان جزء منها من سكان المنطقة القدامى أمثال: البو عقيل (8) الذين يعتقد بأنهم من خفاجة، والعمّار (7)[3]، والقضيمات (10)[4]، والبو خضر (14)[5]؛ وكذلك الدويكات «الدويجات» الذين قد يكونوا من زبيد ولكنهم ليسوا من الجحيش. وهناك مستوطنون غرباء يقيمون في منطقة الجحيش ويقدمون لهم بالتالي المساندة في الحرب وهم: البو عامر (15)، والعزة (4)، والجزء من شمر طوقة الذي يعيش على هذا الجانب من دجلة.

---

(1) تلفظ جحيش (كحيش) مع مد الياء.

(2) ريفيو، 80.

(3) خورشيد، 222، يعتبرها قبيلة مستقلة.

(4) خورشيد، 214، يذكرها مع قبيلتين صغيرتين أخريين هنا ألبوعيد، والقصيرات (د 5) عند الرحمانية.

(5) يذكرها جونز، 373، في الباشية، أي على الفرات، «تحت حماية زبيد».

يعتقد أن شيوخ قبيلة الجحيش تربطهم صلات قربى مع بيت عبد الله. وكان الشيخ مغير المسيّر، جد الشيخ الحالي نصر الفيصل، قد استقل عن آل عبد الله.

الكلابيين «الچلابيين»

يعيش الكلابيون «الجلابيون» على نهر دجلة حوله البغيلة/ النعمانية، وهم مستقلون أيام السلم، لكنهم في الحرب ينخرطون في جيش البو سلطان. يعملون في الزراعة، وقد انتقلت ملكية أراضيهم، التي كان يملكها السلطان عبد الحميد، إلى ملك الحجاز السابق علي، وهي اليوم بحوزة ابنه عبد الإله الوصي على العرش.

البو سلطان

يبدأ البو سلطان تحت الحلة ويصلون حتى قناة الظلمية حيث يجاورون العويديين (جبور الغربي 7). ويسكن قسم آخر منهم في منطقة الغبيشي الواقعة على الفرات والتي ورد ذكرها في الصفحة 411 أعلاه[1].

تنقسم القبيلة من حيث النسب إلى بطنين رئيسيين هما: البو محمد والبو حمد (أخوة البيضا). يتزعم الأول عائلة شيوخ الجريان، والثاني عائلة شيوخ اللهيمص ـ ويعتقد بأن يكون فرع البوطيف (1) وفرع القصيرات (5) من أصول غريبة عن القبيلة.

يعتبر البو سلطان أقوى قبائل زبيد، واكتسبوا أهمية كبيرة في ظل الزعامة الطويلة لعداي الجريان[*] (توفي 1936م)، وبعد وفاته، اقتسم الزعامة عدد من أقاربه، منهم: أخوه نايف، وابنه محمد الذي يعمل كطيار رياضي، وابن أخيه غضبان وابن أخيه فارس.

---

(1) أحد حصونه موجود على الخريطة، الدغارة.

(*) توفي عداي الجريان في 17 آب 1935م وقد خلفه في الرئاسة الشيخ نايف الجريان وابنه الشيخ عبد المحسن الجريان هو من الرؤساء البارزين وصار نائباً في البرلمان العراقي وأخوه الشيخ مسعد ابن الشيخ نايف الجريان ومن رؤسائهم الشيخ فارس الجريان وابنه الشيخ غضبان. عشائر العراق العزاوي. ج3 ص 30 ـ 40. (م. شبّر).

السعيد

في أحد الأوقات كان السعيد أيضاً يسكنون على الفرات[1]، لكنهم انتقلوا منذ زمن طويل إلى الطرف الشمالي لهور عفك «عفج». في الأعوام 1212هـ/ 1798م و1216هـ/ 1801م تعرضوا لحملات تأديبية وحملات لتحصيل الضرائب[2]. وعلى الرغم من وضعهم الذي يفتقر إلى مركز فإن مشاعر الانتماء الواحد مع القبائل الشقيقة قوية لديهم. وتربطهم علاقات جيدة مع جيرانهم العفك «العفج» والأقرع. يزرع السعيد الأرز والحبوب الشتوية ويربون في المراعي الأغنام والإبل. ولقد استفادوا إلى جانب البو سلطان من تشغيل قناة الحرية (آخر عام 1942).

كان شيخ السعيد مظهر الحاج سقب «صگب»[3](*) في منصبه خلال الحرب العالمية الأولى. وهو رجل محترم جداً وهو نائب في البرلمان وصديق لرئيس الوزراء السابق حكمت سليمان. وبما أنه يقضي معظم وقته في بغداد فإن أخاه شمران ينوب عنه في القبيلة عند غيابه.

---

(1) يذكرهم خورشيد هناك، 113. ولكن يبدو أنه مخطىء في ذلك حسبما يتضح من مقارنة مع جونز، 372.

(2) دوحة، 219، 230.

(3) كان سقب «صگب» حاكماً عندما كان بيترز يحفر في نيبور (1888 ـ 1891م). وهو يذكر القبيلة مراراً وتكراراً، ويذكرها بانكز، وبيسميا، بين حين وآخر.

(*) توفي الشيخ مظهر صگب عام 1945م (10 أيار) ثم تولى أخيه الشيخ شمران المشيخة وتوفي عام 1946م وقد خلفه في المشيخة زيدان بن مظهر الصگب (العزاوي) ج3 ص 49 عشائر العراق. (م. شبّر).

الدليم

الدليم ملتحقون بزبيد ويسكنون على دجلة بين الجحيش والكلابيين. كان جونز (372) أول من شهد على وجودهم. وهم لا يشكلون وحدة سياسية.

زبيد(1)

شيخ المشايخ: محمد الرشيد
حامد العجيل
منطقة التنقل: الجزيرة من المحمودية حتى العفك «عفج»
عدد الخيام: 8000

أ ـ المعامرة

شيخ المشايخ: عبد الله الهزاع(2)
منطقة التنقل: الخاتونية على الفرات؛ القطبة على دجلة
عدد الأكواخ: 1200

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ البو حسين 2 ـ البو محمد 3 ـ الخوابرة(3)		الجزيرة	

ب ـ جحيش(4)

شيخ المشايخ: نصر الفيصل(5)

منطقة التنقل: على الفرات: نهر المسيب ـ شط النيل.

على دجلة: الديوانية ـ طويل

عدد الخيام: 2700

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ البو موسى	نصر الفيصل		160
2 ـ الشمامطة		المسيب	120
3 ـ الغران(6)			160
4 ـ العزة(7)		المحاويل	320
5 ـ القدس			120
6 ـ الدواغنة(8)		نهر المحاويل ـ شط النيل	80
7 ـ العمار(9)		شط النيل العتيق	160
8 ـ بني عقيل(10)		الديوانية: الرحمانية: جويميسة	800
9 ـ الجحيشات		جويميسة	80
10 ـ القضيمات		البغدادية	50
11 ـ الدويكات«الدويجات»		البغدادية	50
أ ـ البو علي		البغدادية	320
ب ـ البو جميل		الجوز	
ج ـ البو ويس		قصيبة	
12 ـ البو صالح		برينج	100
13 ـ البو نعيم		الشحيمية	120

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
14 ـ البو خضر		شرهان	50
15 ـ البو عامر(11)		سيسبانة	120

ج ـ الكلابيين

شيخ المشايخ: . . .(12)

منطقة التنقل: البغيلة/ النعمانية

عدد الخيام: 400

د ـ البو سلطان(13)

شيخ المشايخ: نايف الجريان ـ عبود اللهيمص

منطقة التنقل: تحت الحلة ـ نهر الظلمية

عدد الخيام: 2050

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ البو طيف(14)		نهر بيرمانة(15)	
2 ـ العيسى	عبود اللحيمس «اللهيمص»(16)		
3 ـ البو سمندر(17)		نهر مشيمش ـ نهر روبيانة	
4 ـ البو حمد			
5 ـ القصيرات			
6 ـ البو قاسم	نايف الجريان	نهر روبيانة ـ نهر عوادل	
7 ـ الجربوع(18)		نهر عوادل ـ نهر زعلاوي	
8 ـ البو مساعد		نهر زعلاوي ـ نهر شوملي	
9 ـ الجريات(18)		نهر شوملي ـ نهر الظلمية	

هـ ـ السعيد

شيخ المشايخ: مظهر الحاج سقب «صگب» ـ شمران الحاج سقب «صگب»

منطقة التنقل: شمال شط الدغارة والعفك

عدد الخيام: 800

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ النشاشلة			
2 ـ النوافلة			
3 ـ الشجاجرة			
4 ـ البو قضيب «گضيب»			
5 ـ العزام			
6 ـ الحميدات			
7 ـ البوبدر			

و ـ الدليم(19)

المنطقة : بين الجحيش والكلابيين

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ الشقيرية(20) «الشجيرية»(*)			400
2 ـ العاصم(21)			65
3 ـ غبيشات		أم السنيم	80
4 ـ الصباح		غيبشي(22)	80

قبائل ملحقة
بني زيد(23)

المنطقة : الحلة

عدد الخيام : 100

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م. تمّ إعادة النظر باسماء الشيوخ عام 1942م بناءً على معلومات عراقيين مقيمين في برلين. أقدم قوائم زبيد، روسو، رحلة 1808م، 68 وما بعدها تتضمن آ، د، هـ، الدليم والجبور وكذلك اليسار، الجميلة، بنو تميم، بنو زيد، البو فرّاج وبعض الأسماء غير المعروفة. قائمة شبرنجر (1818م)، رقم 113، ب، د، هـ، خورشيد 113: آ، ب، 8، 11، جـ، د، هـ، وعائلة الشيوخ آل عبد الله. جونز 37 وما بعدها: آ، ب، 2، 8، 11، 14، جـ، د، هـ، و،

(*) الشجيرية. المصدر / الشيخ حسين الشعلان/ م.شبّر.

يضاف إليهم بني زيد، البو عجة وقراغول واثنتان غير معروفتين. (شيحا) (1908م) 248: آ، 1، 2، ب، 2، جـ، والبو عبد الله. يمكن رؤية بيانات السالنامه في الملاحظات: المعلومات بشأن قوة القبيلة: 3450 خيمة، (خورشيد) 2470 (جونز).

2 ـ 1916م: والده هزاع المحيمد.

3 ـ يعني سكان الخابور. خورشيد. 219 يسمي هؤلاء المعدان في هور عقرقوف، العزاوي. ج1، 194 ونفسهم لدى زوبع.

4 ـ أفخاذ القبائل على الفرات (1 ـ 7) مثل الذين على دجلة (8 ـ 15) مرتبون مع مجرى النهر نحو الأسفل. 8 ـ 15 السالنامه، 274 وما بعدها جاء ذكرها بنفس أمكنة الإقامة.

5 ـ 1916م: والده فيصل المغير. يشار إلى مكان إقامة فيصل على الخارطة في كربلاء في نهاية نهر المسيب:

6 ـ على الخارطة مستوطنتان في الصويرة. سالنامه 310 نذكرهم تحت البو سلطان (2).

7 ـ من أهل السنة سالنامه 214.

8 ـ يتعلق الاسم بنهر القدس الذي يقع ليس بعيداً عن زاوية الفرات عند الجربوعية/ الهاشمية.

9 ـ على الخارطة مستوطنتان في الصويرة.

10 ـ يضاف لهم الشيخ عمران الزمبور على الخارطة.

11 ـ عزاوي ج1 ـ 238. مذكورة عرَضاً. قارن المقال المتعلق بالموضوع.

12 ـ 1916م: جودة العجم.

13 ـ سالنامه 310 تورد / 1/ (في النص: البو طيبة) و3 ـ 9 بالإضافة إلى غيرها. الأفخاذ مرتبة مع مجرى النهر نحو الأسفل.

14 ـ يضاف لهم الشيخ مطلق الظاهر على الخارطة، الدغارة.

15 ـ هكذا لدى خورشيد 222، سالنامه: بارمانة.

16 ـ 1916م: والده شيخير "اللحيمص". انظر الخارطة.

17 ـ يضاف لهم الشيخ عباس الكاظم على الخارطة.

18 ـ الشيخ 1916م: ناجي السد (= أسد) خان خصم الجريّان.

19 ـ مرتبة باتجاه النهر، العزاوي ج1، 238 يذكر معها 2 ـ 4 بالإضافة إلى الغوافلة غير الموجودة في البيانات.

20 ـ قراغول السالنامه، 275. الخارطة، العزيزية. يذكر شط الشجيرية.

21 ـ من هنا اسم منطقة زاوية العاصم على الخارطة.

22 ـ على الخارطة مشوهة.

23 ـ انظر. ملاحظة رقم 1.

أقـــرع (الأقرع)

إلى الشمال والشرق من الديوانية تمتد سهول خصبة تحصل على مياهها اليوم من شط الدغارة[1]. وكانت في يوم من الأيام أوسع بكثير مما هي اليوم: كانت تشمل في الجنوب ناحية الفوار التي كانت تروى من نهر اليوسفية، وكانت تمتد في الجنوب الشرقي إلى فرعي الدغارة المسميين شط الكار وحتى قرب الغراف[2]، بينما كانت تشكل في الوسط هور عفك «عفج». وعندما انخفض مستوى المياه في نهر الحلة المتفرع من الفرات، جف الجزء الأسفل من نهر اليوسفية لأن الدغارة كان يأخذ القسم الأكبر من مياه فرع الحلة، وفي الصيف كان يأخذها كلها. وعلى الرغم من ذلك كان الكار أيضاً يبقى غالباً بدون ماء[3]. وفي بداية القرن الحالي كان المرء يسير بين (سوق) الدغارة و(سوق) العفك مسافة يوم كامل عبر الهور حيث كانت تمتد حقول الأرز خلف شجيرات الحلفا التي يبلغ ارتفاعها طول قامة الإنسان. وكانت الحصون الدفاعية تنتشر على مجرى النهر المتعرج وتؤمّن لأصحابها حق إغلاق السدود التي تضيقه. ولكن الهور كان يتقلص تحت عفك

---

(1) حسب سالنامه، 301، أنشئ شط الدغارة في عام 1210هـ/ 1795 ـ 1796م.

(2) قارن مخطط المنطقة المحيطة بفرا وأبو حطب، MDOG رقم 16، الذي تظهر فيه مجاري المياه جنوبي العبرة.

(3) في منتصف القرن التاسع عشر لم يكن الكار يجري إلا نادر؛ لوفتوس، 150.

«عفج» وكان النقل إلى عبرة لا يتأمن إلا بواسطة زوارق ضيقة تسمى مشحوف (طرّادة). ولكن في أغلب الأحيان كان الشط هنا جافاً[1]. وبعد عام 1903م ساءت الظروف المائية هنا بسرعة: أخذ الهور يتقلص أكثر وأكثر وبقيت العبرة بلا ماء كلياً. ولم يتغير الوضع إلا في العقدين الأخيرين حيث اتخذت الحركة منحى معاكساً بفضل انتهاء سد الهندية وتنظيم توزيع المياه.

أثرت هذه التغيرات الطبيعية تأثيراً جوهرياً على طريقة حياة وتاريخ قبائل المنطقة التي ندرسها. فقد هاجر سكان الفوار، المؤلفون من الجبور والفتلة، في القرن التاسع عشر. وفي الوقت نفسه ترك أكثرية الجليحة والبراقع ناحية عفك «عفج» التي استولت عليها منذ ذلك الحين القبائل الثلاث: الأقرع، وعفك «عفج»، وآل بدير[2]. وهؤلاء تصفهم المراجع القديمة بأنهم معدان، ولكن يبدو أنه كان يوجد بينهم دوماً بعض المجموعات التي تعمل في تربية الأغنام، كما أنهم اضطروا بسبب تراجع المياه إلى التخلي شيئاً فشيئاً عن زراعة الأرز والتحول إلى زراعة حبوب أخرى وخاصة الذرة البيضاء.

يرد ذكر قبائل الدغارة لأول مرة عند نيبور (1765م)[3]. وكانوا في بداية القرن التاسع عشر تحت سيادة الخزاعل، إلا أنهم أصبحوا في الأربعينيات تحت سيادة زبيد[4].

في الماضي كان الأتراك يخافونهم، لكنهم في حوالى عام 1900م كانوا قد أصبحوا مسالمين إلى حد بعيد. وكان بينهم العديد من العداوات القبلية التي ظلت قائمة خلال الفترة الأولى من الاحتلال البريطاني إلى أن قررت القبائل عام 1918م هدم حصونها الدفاعية[5]. وإذا كانوا لم يشاركوا في الثورة العراقية عام 1920م إلا

(1) قارن تقرير العودة من رحلة الفرا 1903م MDOG .رقم 17، 38 وما بعدها.
(2) القبيلة الرابعة، السعيد، تحدثنا عنها أعلاه.
(3) الجزيرة العربية، 390، وأن يكون العفك غير موجودين فهو لا شك مجرد صدفة.
(4) قائمة شبرنجر (1818م)، رقم 108 ـ خورشيد، 115.
(5) ريفيو، 78.

بعد تردد، فإن موقفهم هذا كان له سبب خاص: كانوا يخشون أن يقوى نفوذ شيخ عفك «عفج»، الحاجي مخيف "الكتّاب"، الذي كان يقود الوطنيين في المنطقة، إلى درجة مزعجة، في حال انتصار الثوار.

أدى السلام العام السائد في البلاد وتراجع البدو في العقدين الأخيرين إلى تزايد عدد سكان سهول الدغارة. وبما أن الأراضي الصالحة للزراعة لم تكن تكفي لهذا التزايد السكاني فقد سادت بين القبائل حالة من عدم الرضى أسفرت عن اشتراك الأقرع التابعين للشيخ شعلان العطية في اضطرابات عام 1935م[1].

يشكل الأقرع اتحاداً غير متماسك من القبائل التي تسكن شاطئ الدغارة من مخرجه (صدر) وحتى مسافة 10 كيلو مترات خلف قرية (سوق) الدغارة، والزاوية التي تشكلها القناة مع شط الحلة. وفي الغرب تتجاوز منطقتهم شط الحلة، غير أنها تبدأ هنا تحت قناة البازول. أمّا الحدود الجنوبية فتقع في منتصف الطريق بين الديوانية وإمام حمزة.

تزايد عدد أفراد الأقرع خلال قرن واحد إلى أكثر من الضعف؛ فبينما يقدر خورشيد، 114، عدد مساكنهم بأكثر من 1000، يصل عدد هذه المساكن في جدولنا إلى 2408.

يذكر أن منصب شيخ المشايخ كان في الأصل بيد قبيلتين ليس لهما أي أهمية الآن هما: القروش «الگروش» والشواحن. وفي الوقت الحاضر يتولى قيادة القبيلة عائلتا مشايخ الشبانة (8) والحمد (2)، آل عطية والرسن. وكان الشيخان الأكبران، شعلان العطية وسعدون الرسن، يتولان الرئاسة خلال الحرب العالمية الأولى. وقد نشبت بينهما نزاعات طويلة حول ملكية الأراضي. وكان سعدون يسيطر بالإضافة إلى الحمد على آل عمر (1) والهلالات (3) وآل زياد (5). وهو ينتمي إلى حزب عبد الواحد شيخ مشايخ الفتلة. وبما أن شعلان العطية مشلول منذ

---

(1) الشرق الحديث، عام 1935م، 163.

بعض الوقت فإن نفوذ سعدون أصبح أكبر من نفوذه. ومن أخوة شعلان ـ جبل، ومحمد، وعبد الكاظم ـ فإن جبل الأهم. أمّا ابنه موجد فهو نائب.

الأقرع(1)

المنطقة: شط الدغارة ـ شط الحلة

عدد الخيام: 2408

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ آل عمر(2)	الحاج حمزة السلمان	شط الحلة ـ شط الدغارة	120
أ ـ الغنانيم			
ب ـ زبيد			
2 ـ آل حمد	الحاج سعدون الرسن	شويشة 3 كلم جنوب الدغارة	535
		نهر الكويكة	
3 ـ الهلالات	حسين الصالح	الضفة اليمنى من شط الدغارة	180
		7 كلم أسفل الدغارة	
4 ـ آل مرمض	دحان بن كلاب(3)	الضفة اليمنى من شط الدغارة	70
		القلعة	
		الدغارة ـ قلعة	
5 ـ آل زياد	جسور العلوان(4)	الضفة اليمنى من شط الدغارة	40
		جنوب القلعة	
		قلعة	
6 ـ القروش«الگروش»	كاظم المزعل(5)	8 كلم شمال غربي الدغارة	

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
7 ـ الشواحن	كاظم المزعل	الدغارة	40
8 ـ آل شبانة(6)	شعلان العطية	الضفة اليسرى من شط الدغارة ـ القلعة	675
أ ـ آل(البو) خزعل			
9 ـ الطواريف			
10 ـ البو نايل	علوان المحمد	الضفة اليسرى لشط الحلة صدر الدغارة إلى ما قبل الديوانية بـ 10 كم.	456
		ذكر أعلاه	
11 ـ أهل المجاوير(7)	سلمان الحسن(8)	الديوانية	350
أ ـ العفالجة			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م استكملت 1930م (ميجر ادموند). فروع القبائل (الأفخاذ) باستثناء 6 و7 واردة في السالنامه، 302. بعض اسماء الشيوخ والقبائل موجودة على خارطة الدغارة.

2 ـ عملياً أحد فروع الحمد (2).

3 ـ 1916م: دوحان.

4 ـ 1916م: والده علوان.

5 ـ 1916م: والده مزعل الردام.

6 ـ سبق أن وردت لدى لايارد، نينوى وبابل ص 549 وكان قسم منهم موجود في عام 1916 عند العوابد في منطقة الشامية.

7 ـ فرعان منهم كانوا موجودين عام 1916م في الدغارة.

8 ـ 1916م: مرسول الحسن.

عفك (عفج)

حافظ العفك «العفج» على طابع المعدان أكثر من جيرانهم في الغرب والشرق، الأقرع والبدير. ويعود السبب في ذلك إلى طبيعة أرضهم التي يشكل نواتها هور العفك الذي يمتد من الغرب إلى الشرق ومن الشمال إلى الجنوب مسيرة يوم واحد في كل من الاتجاهين. ومنذ شق قناة الدغارة (1210هـ/ 1795م ـ 1796م) أصبح الهور بسبب زراعة الأرز ذا أهمية بالغة بالنسبة للحياة الاقتصادية من جهة ولجيوب الباشاوات في بغداد من جهة أخرى. ولذلك بدأت بعد اكتمال بناء القناة مباشرة حملات تأديبية وحملات لجمع الضرائب ضد القبائل المقيمة في هذا الشريط، وهم، إلى جانب العفك، الجليحة في جنوبي الهور والسعيد في شماله. ولم تسفر هذه الحملات عن نتائج إيجابية بالنسبة للأتراك لأن العفك كانوا محميين بفضل الطبيعة المتميزة لمنطقتهم. أمّا القبيلتان الأخريان فكان الوصول إليهما أسهل.

بدأت الحملة الأولى ضد العفك، حسب التواريخ البغدادية[1]، في عام 1211هـ/ 1796م. وكانت موجهة ضد مربي الأغنام الذين كانوا يغيرون على المستوطنين على شط الكار وأسفرت عن مصادرة الأتراك 12,000 شاة و2000 بقرة. لكن حملة أخرى (1216هـ/ 1801م) كانت ترمي إلى جباية الضرائب باءت بالفشل: صحيح أن شيوخ عفك «عفج» ومعهم شيوخ الجليحة حضروا اللقاء عندما وصلت القوات إلى نهر اليوسفية، واستلموا العباءات الفخرية المرسلة لهم، لكنهم رفضوا

(1) انظر أيضاً بشأن الأحداث اللاحقة: دوحة، 218، 230، 279، 319.

دفع الضرائب المفروضة عليهم وقدرها 15,000 قرش عن كل قبيلة. وتخلى الأتراك عن محاولة للدخول إلى منطقة عفك «عفج» واكتفوا بالذهاب إلى الجليحة الذين طلبوا الصلح بعد توسط أشرافهم من السادة. فوافق الأتراك على الطلب بعد أن دفع الجليحة نصف المبلغ نقداً وقدموا رهائن عن الباقي. كما أن الحملة الأكبر التي شنت عام 1234هـ/ 1819م لم تحقق أي نجاح. فقد عبرت القوات التركية، القادمة من النجف، نهر الفرات عند الديوانية وبدأت بقطع المياه في قناة اليوسفية لكي تمارس الضغط على «عفك» والجليحة. وبعد فشل اجتماع للقبيلتين استسلم جزء من الجليحة بينما انسحب جزء آخر إلى هور آل بدير الواقع في مكان أبعد إلى الشرق. كما أن عدداً من العفك هربوا أيضاً، لكن الباقين التجأوا إلى حصن الشيخ شخيّر الغانم المحصن جيداً والمخبأ خلف القنوات. كان الأتراك مضطرين إلى فرض حصار صعب وطويل. وفي الوقت الذي كان من المفترض أن يبدأ فيه اقتحام الحصن اخترقت عفج في ليلة ماطرة صفوف الأتراك المنهكين وهربوا مع نسائهم وأطفالهم، لكنهم تركوا وراءهم ما لديهم من حبوب (أكثر من 1000 «طغار»[1]، إلى المستنقعات. وعلى طريق العودة تمّ تمتين سد اليوسفية ووضع تحت حماية شيخ الخزاعل الذي كانت قد ضُمت له 40 سرية من عجيل[2]. وبدلاً من العفك كان على الجليحة والفتلة دفع الثمن، وذلك بأن فرض على كل منهم مبلغ 50000 قرش وكُلف شيخ الخزاعل بجبايتها. وهُددوا بقطع المياه عنهم في حال الامتناع عن الدفع.

ظلت عفك «عفج» تقاوم الأتراك حتى العقد الأخير من القرن التاسع عشر. ويقال بأن نجيب باشا (1842م ـ 1849م) شن عليهم ثلاث حملات[3]. وفي عهد مدحت باشا (1869م ـ 1872م)، الذي أقلقت توجهاته الإصطلاحية البدو، قامت قبائل الدغارة بالقضاء على قوة يقودها موظف أرسل إلى عفك لجمع المجندين

(1) «طغار» = حوالى 1625 كيلوغرام.

(2) تم وضع 30 سرية أخرى في الديوانية.

(3) لوفتوس، 91.

وجباية الضرائب[1]. وقام مدحت نفسه بعد ذلك بفرض النظام في الدغارة بمساعدة المنتفق[2]. ومنذئذ لا يوجد شيء جوهري يذكر عن عفك وجيرانهم. هناك بين حين وآخر مناوشات بين فروع العفك، ومنها مثلاً المناوشات بين البحاحثة (2) وآل حمزة (3) التي وقعت عندما كان بيترز ينقب في نيبور عام 1889م؛ وقد أعربت كلا القبيلتين عن رغبتها في المشاركة في أعمال الحفر[3].

وكما هو الحال لدى الأقرع فقد تكاثرت عفك أيضاً منذ عام 1850م تكاثراً كبيراً: فهم يبلغون اليوم 4000 ـ 5000 مسكن، بينما يقدر عددهم لوفتوس، 92، بـ 3000 أسرة، وخورشيد، 114، بـ 1000 مسكن.

تزعم عائلة شيوخ العفك، آل غانم، بأنهم ينتسبون إلى شمر. وآل غانم في الحقيقة شيوخ فرع البحاحثة. وأقدم عضو من العائلة موثق في المراجع هو شخيّر الغانم الذي ورد ذكره أعلاه تحت عام 1819م. وكان عام 1850م لا يزال حياً، لكنه كان آنذاك الرئيس الثاني للقبيلة؛ وكان شيخ المشايخ أخوه عقاب[4]. وتلي ذلك ثغرة في المراجع الأدبية لم تستطع شجرة النسب الواردة أدناه سدها. ولذلك لسنا متأكدين مما إذا كان الشيخ حاجي طرفة الذي حكم في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ينتمي إلى عائلة آل غانم أم لا. ففي سياق الأحداث المذكورة أعلاه والتي وقعت في عهد مدحت باشا عزل حاجي طرفة وعُيّن محمد بن شخيّر شيخاً للقبيلة. وبعد بضعة أعوام عاد طرفة، الذي كان قد فرّ إلى الصحراء، وأعفي عنه بعد أن أبدى استعداده لدفع مبلغ كبير. وعرف هذه المرة كيف يحظى برضى الأتراك بحيث أنهم وكّلوه على الأملاك السلطانية الواقعة قرب أم البعرور/ الشامية[5]. عام 1903م كان ابن محمد الشيخ حاجي مخيف أغنى وأهم شيوخ القبيلة، لكن جماعات

---

(1) حسب بيترز (1889م ـ 1890م)، نيبور، الجزء الأول، 232، الثاني، 327 وما بعدها.

(2) لونكريك، 310.

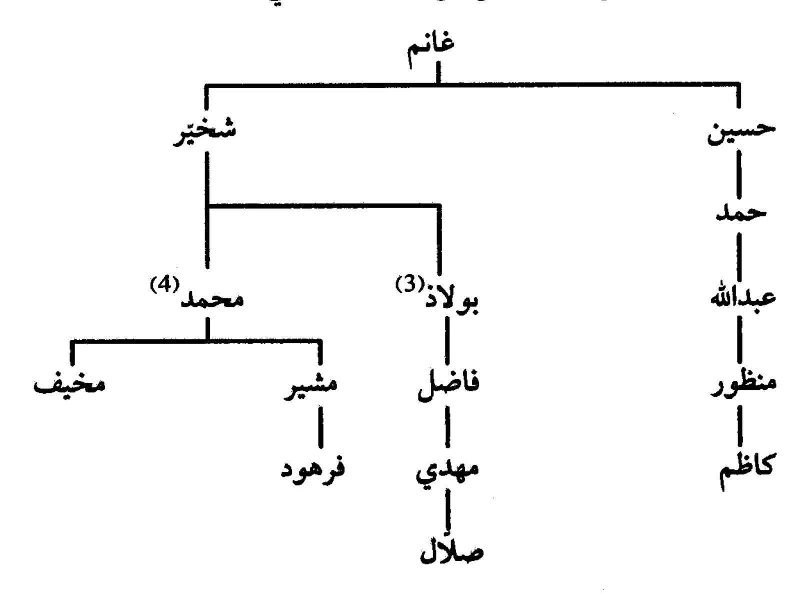
(3) بيترز، نيبور، الجزء الأول، 233، 238 وما يليها، 249، 251.

(4) لوفتوس 89، 92؛ لايارد (1851م)، نينوى وبابل، 545، 551 وما يليها، 564.

(5) بيترز، نيبور، جـ1، 232 وما بعدها؛ جـ 2، 60 وما يليها، 372 وما بعدها.

منطقة (سوق) العفك كانوا تابعين لمقوطر «مگوطر»[1] ابن طرفة.

لم يكن نفوذ الحاجي مخيف آل شخيّر، الذي توفي قبل وقت قصير، يقتصر على عفك «عفج» بل كان يشمل أيضاً القبائل المجاورة: الجليحة، والسعيد، والبدير. وكانت ملكياته الزراعية واسعة. وبعد الاحتلال الإنجليزي تقلص نفوذه إلى حد كبير. ولهذا السبب، وأيضاً بسبب قناعاته الدينية، شارك بحماس في التحضير لثورة عام 1920م. لكنه اعتقل قبل اندلاع الثورة ونقل إلى البصرة حيث كان يستطيع التحرك بحرية لقاء تقديم كفالة. وفي وقت لاحق سمح له بالعودة ولكن توجب عليه اقتسام منصبه مع العديد من أقربائه وهم: الحاجي مهدي الفضل[2] وابنه صلاّل، وكاظم المنظور، وفرهود الحاج مشير. وتتضح علاقة القرابة بين الأشخاص المذكورين من المخطط التالي:



(1) MDOG رقم 17، 41، 42.

(2) MDOG رقم 17، 42 مذكورة (1903م)؛ عالم الإسلام، جـ 2، 31، العدد 21 (1911م).

(3) قارن لوفتوس (1850م)، 93: محمد الابن الأكبر للشيخ.

(4) قارن لوفتوس، 92: الشيخ الشاب «بولاذ».

منذ وفاة مخيف ومهدي أصبح الحاجي صلّال الملقب بـ"الموح" أي (الكريم)، والذي برز في ثورة 1920م، أكثر شيوخ عفك نفوذاً. يعدّ مناحي بن مخيف من الوطنيين مثل أبيه، أمّا فرهود المشير فيعتبر محدود النفوذ.

بسبب نفوذ هذه الشخصيات تطورت عائلة الشيوخ آل غانم في العقد الأخير إلى قبيلة فرعية (فخذ) انشق عنها فرع آل فاضل. ومن الطبيعي أن تشكل قبيلة بهذه السرعة غير ممكن إلاّ ضمن الظروف الخاصة لهذه المنطقة حيث يضطر المعدان والفلح في أحيان كثيرة إلى الهجرة وإلى الالتحاق بجماعة جديدة[1].

عفـــك(1)

المنطقة: على شط الدغارة فوق أبو منيهل حتى تحت العفك

عدد الخيام أو الأكواخ: 4000 ـ 5000

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ آل غانم			
أ ـ آل غانم	فرهود الحاج مشير	أبو خايس	326
	مناحي الحاج مخيف		
	كاظم المنظور	شط حسين	610
ب ـ آل فاضل	الحاج صلال الموح	قلعة	283
2 ـ البحاحثة	الحاج وطبان الونان(2)	الدغارة	630
أ ـ آل دهيم			
ب ـ آل هلال			
ج ـ آل شبيب			

(1) في عام 1916م يقدر عدد الغرباء في قبيلة البحاحثة بالربع، وفي قبيلة حمزة بالنصف تقريباً.

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
3 ـ آل حمزة	الحاج محمد العبود(3)	عفك	1090
	غاوي الحمد		
4 ـ المخاضرة	ظاهر الفرحان		330
5 ـ البو ناشي	محمد البدر(4)	عفك	400
6 ـ آل شيبة(5)		عفك	1000
أ ـ العقاريق«العچاريج»		عفك	
ب ـ البو راشد			
ج ـ آل خدام			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م و1930م (الميجر ادموند) تمّ استكمالها في ضوء معلومات عراقيين مقيمين في برلين عام 1942م. سالنامه 302 (مثل بيانات 1916م) تهمل آل غانم (1) لأن هؤلاء لم يكونوا آنذاك فخذاً وذكرت 6 أ، ب كأفخاذ، لكنها فيما عدا ذلك تذكر نفس التصنيف مثل جدول. أسماء معظم الأفخاذ والشيوخ أو أسلافهم واردة في الخارطة في منطقة الدغارة وعفك كأسماء الأماكن، وقد تمّ اعتماد آلبو حسن ومكانه المذكورة عليها (انظر ص 250 أعلاه) في عام 1916 كأفخاذ ولكنها لم تظهر في الجدول ربما لأنها فقط فروع بخمسين خيمة.

2 ـ 1916م الحاج فرحان الونان.

3 ـ 1916م والده عبود أحمد الذي كان يحكم حسب MDOG رقم 17، 40، في عام 1903م.

4 ـ 1916م والده بدر.

5 ـ الشيخ 1916م: رسن بن شبيب.

آل بدير (البدير)

القبيلة الأخيرة من قبائل الدغارة الثلاث هي آل بدير التي يقع مركزها الرئيسي في العبرة على شط الفراحنة، وهو الاسم الذي يطلق على الدغارة اعتباراً من سوق عفك. تقع العبرة قرب الطرف الغربي لمنطقة القبيلة التي تمتد في الشرق حتى مدينة بسماية الأثرية، وفي الجنوب حتى خرخرة على شط الكار وكانت في السابق تتألف من عدد من الأهوار القليلة العمق التي كانت تفصل مع بعضها بواسطة مجار عميقة، لكنها فقدت هذا الطابع في نهاية القرن الماضي[1]. في عام 1902م كانت المياه تصل في فرع للشط إلى قرب المدينة الأثرية فارة، وفي عام 1903م كان الشط حتى في العبرة نفسها جافاً في أغلب الأوقات[2]. ولم تعد المياه إليه إلا خلال الحرب العالمية.

يعتبر آل بدير أنفسهم من حِمْيَرَ أي من عرب الجنوب. وعلى أي حال فإن اسم فخذين منهم، البولان (3) والنبهان (الجدول بني حسن ب ملحق ب)، يبدو قديماً فعلاً.

لا يرد ذكر القبيلة في التواريخ البغدادية إلا عرضاً. ولم تكن حملات جباية الضرائب ضد آل بدير تحقق أرباحاً كبيرة. ويبدو أن منطقة القبيلة لم توضع تحت

(1) كان السهور الواقع قرب بسمايه مغموراً بالمياه آخر مرة عام 1879م، بيترز، 328 وما بعدها.

(2) MDOG رقم 16، 19، 24؛ رقم 17، 20، 23 وما يليها، 33.

الإدارة المباشرة إلا بعد حصول شركة الشرق الألمانية على حق التنقيب في فارة وأبو حطب (1902م).

عانىٰ آل بدير أكثر من جميع قبائل الدغارة الأخرى من جفاف شط الحلة. ففي عام 1902م حدثت مجاعة عندهم وبدأت منطقتهم تفقد سكانها. وأخيراً اضطر القسم الأكبر من القبيلة إلى ترك موطنه. وتوجه المهاجرون غالباً إلى الغراف حيث استأجروا أراضي من عبد الرزاق السعدون (من عائلة شيوخ المنتفق المعروفة). وذهب بعضهم إلى الشامية حيث انضم جزء منهم إلى بني حسن وجزء إلى الخزاعل. وبينما بقي هؤلاء في موطنهم الجديد بدأ بدير الغراف بالعودة إلى موطنهم شيئاً فشيئاً خلال الحرب العالمية الأولى.

علاقة آل بدير مع العفك جيدة، بالمقابل هناك (أو كانت هناك) عداوات بينهم وبين بني حكيم «حجيم» في الجنوب الشرقي والمنتفق في الشرق.

يمارس آل بدير الزراعة وتربية المواشي ويسكنون، لهذا السبب، في أكواخ من الحلفا أو في خيام. وقد قدموا العمال للتنقيبات التي قامت بها جمعية الشرق الألمانية وللتنقيبات التي قام بها بانكز في بسمايه.

يحكم القبيلة منذ زمن طويل شيخان ينتميان إلى نفس العائلة. في بداية القرن الحالي كانا ابنا العم سقبان «صگبان» البو جاسم والشهد[1]، والآن ابناهما سلمان السقبان «الصگبان» وشعلان الشهد. وهما يسكنان كأبويهما في عبرة، سلمان شمال الشط وشعلان جنوبه.

---

(1) MDOG رقم 17، 19؛ بانكز (1903 ـ 1904م) بسمايه، 97.

آل بدير(1)

شيخ المشايخ: سلمان الحاج سقبان (صگبان)(*)

شعلان الشهد

منطقة التنقل: عبرة

عدد الخيام والأكواخ: 3165

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الفراحنة(2)	سلمان السقبان «الصگبان»	عبرة: شط الفراحنة	630
	شعلان الشهد		
2 ـ البو حسين(2)	فيصل المزعل(3)	مرادية	630
3 ـ البولان	.... الفرحان	9 كم شمال شرق العبر	110
	نور العباس	عبرة	
	حمزة السجن		
4 ـ البو سعد	محمد الفضل	3 كم شمال العبرة	85
		عبرة	
5 ـ بني حكام«حچام»	سلمان الثايل	8 كم شرق العبرة	50
	خلاف الشلاش	عبرة	
6 ـ البو خلف		جنوب شرق العبرة	
		عبرة	

(*) صگبان وليس سقبان. المصدر (العزاوي)وصگبان كلمة فارسية متكونة من كلمتين (سگ بان أي حارس الكلب)، وهناك شخصية مخترعة لواحد من أولاد الإمام موسى الكاظم بن جعفراسمه صگبان، ومن هنا فإن الناس يسمون أسماء أبنائهم بإسم صگبان تيمناً بأسماء آل البيت. (م. شبّر).

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م و1931م. بالنسبة لبيانات 1916م فإنها لا تتضمن أفخاذ القبيلة 4 ـ 6 بالمقابل تتضمن العليوي والبو زياد. كلاهما مذكوران في السالنامه 302 ومكان إقامتها خرخرة والبو زياد أيضاً MDOG رقم 17 و19 جزء منها في خرخرة والجزء الثاني في الدچة، على الخارطة، الرميثة، إنما في جنوب شرق العبرة.

2 ـ سالنامه، 302.

3 ـ 1902 والده مزعل بن عوفي MDOG رقم 17، 19.

الخزاعل

كانت الخزاعل على مدى قرنين، أو ربما على مدى ثلاثة قرون أو أكثر، أقوى قبيلة على الفرات الأوسط. وكانوا يحكمون، من السماوة حتى الحلة ومن المدينتين المقدستين حتى شط الكار، المعدان والفلح والبدو الرحل وشبه الرحل. وما من قبيلة قاومت العثمانيين مثلهم ولم يكن أحد أغنى منهم إلى أن أدى امتلاء الهندية إلى انقطاع المياه عن الفرات، شريان الحياة في منطقتهم، وأدى تنامي سلطة الدولة إلى وضع حد لسلطتهم. ومنذئذ استقل كثير من أبناء القبيلة لكن سحر اسم الخزاعل لم يختفِ ولم تزل حتى اليوم قبائل كبيرة كالشبل والغزالات وزياد وبعض القبائل الصغيرة تطيع أوامر شيوخهم.

منشأ وأصل الخزاعل يلفه الظلام. صحيح أن هناك روايات تقول بأنهم كانوا يسكنون قبل الإسلام في مكة وكانوا يتولون حراسة الكعبة إلى أن قام رئيسهم ببيع مفتاح المكان المقدس بجرة من النبيذ[1]، لكن هذه الرواية لا تتعلق، كما اكتشف لايارد، بالخزاعل وإنما بخزاعة، وهي قبيلة عربية قديمة ذكرناها في الجزء الثاني (ص 553). ومن الطبيعي أن نسب الرواية إلى الخزاعل يعود إلى تشابه الإسمين. وقد أدى هذا التشابه إلى الخلط الكامل بين الخزاعل وخزاعة. ويذكر الرحالة الفارسي حجي زين العابدين الشرواني، وهو درويش شيعي، في عام 1247هـ/ 1831م أن الحسكة/ الديوانية تقع في المنطقة التي تسيطر عليها خزاعة، وينسب

(1) لايارد، نينوى وبابل، 542؛ بشأن الحكاية راجع الأنسكلوبيديا الإسلامية جـ 2، 1058.

مواطنه رضا قولي خان "هدايت"، الذي كتب بعده بعشرين سنة، مهنا الذي سنتحدث عنه بعد قليل، وهو شيخ الخزاعل في القرن السابع عشر، إلى خزاعة[1]. ولم يزل العلماء العراقيون حتى اليوم متمسكين بهوية القبيلتين.

يرد ذكر الخزاعل لأول مرة في عام 1049هـ/ 1639م بعد وقت قصير من احتلال السلطان مراد الرابع بغداد وانتزاع العراق من الفرس. وكانت ضخامة الحملة التي قادها السلطان والسمعة المخيفة التي سبقتها قد ولدت حالة من الذعر بحيث لم يتحرك ساكن ضد العثمانيين بعد استيلائهم على بغداد ـ باستثناء واحد وحيد: فقد ثار قرب السماوة شيخ الخزاعل مهنا تأييداً للشاه. صحيح أنه هزم وعبر بعد ذلك مع عدد من أنصاره الحدود الفارسية حيث استوطن عند زيدان بين خوزستان وكوغلو[2]، لكن وقوفه إلى جانب الصفويين، حماة الشيعة، كان له تأثير يحتذى به وولد عداوة بين العثمانيين، حماة السنة، والخزاعل.

ساهمت ظروف مختلفة في إبقاء هذه العداوة حية في النفوس. وكانت أراضي الخزاعل المروية بشكل جيد من الفرات وقنواته الكثيرة، التي لم تزل آثارها حتى اليوم تغطي الشامية والجزيرة على يمين ويسار النهر، تزود بلاد الرافدين بكاملها تقريباً بالأرز[3] وتحقق للشيوخ، الذين كانوا يملكون الأراضي أو لديهم حقوق التصرف بالمياه أو مكلفين بجباية الضرائب، أرباحاً كبيرة. وكانت الملاحة في النهر تشكل مصدراً هاماً آخر للدخل. وذلك أن الفرات، وليس دجلة، كان في القرنين السابع عشر والثامن عشر الطريق الرئيسية للسفن النهرية في البلاد. ففي السماوة والرماحية كانت توجد مراكز جمركية يعمل فيها موظفون تابعون لشيخ الخزاعل[4]. أمّا الشيخ نفسه فكان يسكن في لملوم الواقعة مقابل

(1) بستان السياحة، طهران 1310هـ، 215، قارن 272 ـ روضة الصفا، 8، الفصل: احتلال بغداد بقيادة السلطان مراد.

(2) گلشن، 80؛ قارن لونكريك، 82 ـ روضة الصفا، نفس المكان السابق.

(3) وصف باشون بغداد، 59.

(4) نيبور، وصف رحلة، جـ 2، 249، 253.

إمام حمزة(*) والتي كانت في أيامها الذهبية تحتوي على 4000 ـ 5000 كوخ. ووجود هذه المدينة[1] دليل على أن الخزاعل كانوا في صدد تجاوز نمط الحياة القبلية. وهناك حقيقة أخرى تشير في نفس الاتجاه وهي تعيين شيخ لكل من الشامية والجزيرة، وهو إجراء اتخذته الجماعات المحلية وليس قيادة القبيلة.

من الطبيعي أن ثراء شيوخ الخزاعل كان يثير جشع البشاوات العثمانيين من ناحية أخرى كان شيوخ الخزاعل يشعرون، نظراً لبعدهم عن بغداد وبسبب المخابئ الكثيرة الموجودة في منطقتهم الكثيرة المياه والمستنقعات، بأنهم في مأمن من الهجمات المفاجئة ولذلك كانوا يرفضون مطالبة الحكومة لهم بدفع الضرائب. ولذلك كانت قائمة الحملات التأديبية والضريبية التي شنتها الحكومة ضد الخزاعل في القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر طويلة جداً. بدأت هذه الحملات عام 1701م وانتهت عام 1818م.

كانت حملة عام 1701م جديرة بالملاحظة لأن أسبابها تعود إلى معطيات سياسية ارتبطت بأحداث طبيعية كان لها تأثير على تاريخ العراق: منذ عام 1100هـ/ 1688م تحوّل الفرات إلى نهر دياب، وهو مجرى مائي يتفرع على بعد 4 ساعات غربي الرماحية ويصب في قناة الحسكة. أدى هذا التحول إلى جفاف منطقة واسعة من الأراضي مما جعل سكانها غير قادرين على دفع الضرائب. ولكي تعوض الحكومة هذا النقص في العائدات الضريبية، ولو جزئياً، زادت الضرائب المفروضة على الفلاحين المجاورين. لكن هؤلاء رفضوا الضرائب الجديدة وهربوا إلى المستنقعات. فاستغل شيخ الخزاعل سلمان بن عباس هذه الاضطرابات وأعلن

(*) إمام حمزة: وهي الآن قضاء الحمزة الشرقي. يعود تسمية المنطقة إلى شخص يدعى سيد محمد الغريفي البحراني تحكى القصة أنه قُتل وابنة منصور في أثناء عودته إلى دياره من زيارة مرقد الإمام الحسين وقد قُتلا من قبل أفراد من عشيرة الجبور التي تسكن المنطقة. ولشجاعته في التصدي للمهاجمين شُبه ببطولة الحمزة عم الرسول (ص). هذه برواية الشيخ حسين الشعلان. (م. شبَّر).

(1) من المؤكد أنها لم تؤسس من قبل الخزاعل وإنما من قبل أجداد عائلة السادة آل مگوطر.

الثورة. إذ قام بفرض ضريبة جمركية[1] على القوافل وأخضع قبائل خالد، وكبشه «جبشه»، وبني مالك، التي كانت مؤيدة للعثمانيين واحتل الحسكة والرماحية وتقدم حتى النجف ونهر شاه قرب الحلة. جميع محاولات إيقاف الثورة أو لجمها باءت بالفشل. بل بالعكس فقد زحف سلمان بن عباس على الحلة. غير أن الهجوم فشل لأن الأهالي كانوا قد بنوا قبل الهجوم بوقت قصير سوراً حول المدينة كما أن جنوداً انكشاريين من بغداد دافعوا عنها.

في هذه الأثناء كانت الحكومة المركزية في القسطنطينية قررت التدخل بقوة كبيرة. فأرسلت قوات المقاطعات الشرقية وعينت باشا بغداد قائداً لها وكلفته بإعادة نهر الفرات إلى مجراه القديم الأمر الذي تطلب تحضير الأخشاب اللازمة في بغداد والحلة. تحرك الجيش في نوفمبر/ تشرين الثاني 1113هـ/ 1701م، بعد فشل مفاوضات أجريت مع سلمان بوساطة أبيه عباس، ووصل دون أن يعترضه أحد إلى ضريح عون بن علي. وبعد مسير ثلاث ساعات أخرى، وبينما كانت القوات تهمّ بإقامة معسكرها على مسافة قريبة من نهر دياب «ذياب»، هاجمها فجأة الخزاعل الذين كانوا مختبئين في حقول الحلفاء الكثيفة. إلا أن العثمانيين تغلبوا على عدوهم الذي خلف وراءه عدداً كبيراً من الناس الذين ماتوا قتلاً أو غرقاً. أمّا سلمان وأبوه فقد تمكنا من الفرار.

بعد ذلك بدأت أعمال سد المياه. في بادئ الأمر حفرت قناة تصل بين مجرى الفرات الجديد ومجراه القديم واكتمل حفرها خلال 48 يوماً. ولكن عندما بدأ العمل بالمهمة الأصعب وهي سد المجرى الجديد وتحويل الماء إلى المجرى القديم أضرب الجنود وأجبروا القيادة في النهاية على التراجع. وهكذا لم يكتمل المشروع[2].

وفي عام 1117هـ/ 1704م شنّ باشا بغداد حملة جديدة ضد سلمان. فعرض سلمان بواسطة ابنه الاستسلام عدة مرات لكنه رفض الحضور شخصياً إلى المعسكر

---

(1) النص (گلشن): شيار: تقرأ: السيار!

(2) گلشن، 120، يختلف الأمر قليلاً عند راشد، جـ1، 260؛ فون هامر ولونكريك يخلطون بين هذه الحملة وحملة الشتاء السابق ضد المنتفق.

التركي ثم فرّ إلى السماوة. فتبعه الباشا ولكنه لم يتمكن من القبض عليه(1).

في عهد سليمان أبو ليلى، عندما كان كهية وباشا، حافظ الخزاعل على الهدوء. ولكن بعد عامين من وفاته (1762م) وجد نفسه الباشا الجديد، علي، مضطراً إلى شن حملة ضدهم. لكنها باءت بالفشل(2). وفي نهاية العام نفسه 1764م شنّ خليفته عمر باشا حملة جديدة ضد الخزاعل. وتقدم حتى وصل إلى الجهة المقابلة إلى لملوم حيث العدو متحصناً. واضطر تحت ضغط نقص المواد الغذائية، الذي كاد أن يتسبب في حدوث تمرد بين الجنود، إلى العبور مهما كان الثمن. فقام بنصب سد على النهر ثم بدأ في اليوم التالي هجوماً على تحصينات العدو أسفر عن انتصار الأتراك انتصاراً كاملاً ـ بعد سبعة عشر عاماً شاهد سستيني الدمار الذي سببته المعركة وقبور الشيوخ الذين سقطوا في المعركة(3).

كانت الحملات التي شنها سليمان باشا الكبير ضد الخزاعل في الأعوام 1793م/ 1794م، و1794م/ 1795م، و1797م و1801م ترمي في المقام الأول إلى جباية الضرائب. فقط الحملتان الأخيرتان كانتا من العمليات الكبيرة: في خريف 1212هـ/ 1797م قاد الكهية علي باشا حملة عبر الديوانية ضد الشيخ حمد الحمود الذي كان متمركزاً في "سيبايه" المحاطة بمستنقعات يصعب عبورها. وعندما اقترب الجيش التركي فقد الشيخ كل ما لديه من شجاعة وأرسل نساءه إلى معسكر الباشا كي يطلبن منه العفو عنه. لكن الباشا لم يستجب لطلبهن. وبعد أن كان أنصاره قد تركوه في بداية الهجوم، تمكن هو أيضاً من الفرار ونجا بحياته بعد أن أصيب بجروح. وعلى إثر ذلك عُيِّن الشيخ محسن الغانم مسؤولاً عن الشامية، وسبتي المحسني مسؤولاً عن الجزيرة. وفرض على كل منهما، بالإضافة إلى المبالغ النقدية التي ترتبت على التعيين، تقديم ألف طغار أرز كل عام(4).

---

(1) گلشن، 124؛ راجع أيضاً لونكريك، 124.

(2) لونكريك، 173؛ نيبور، وصف رحلة، جـ 2، 246، 320.

(3) دوحة، 158 وما بعدها؛ سستيني، رحلة، 231.

(4) دوحة، 219.

في نوفمبر/تشرين الثاني عام 1800م شنّ الكهية حملة ضد آل سلمان وهم قبيلة فرعية من الخزاعل. وكانت هذه القبيلة محتمية خلف إحدى القنوات. وعندما نصب الأتراك جسراً لعبور القناة انسحب آل سلمان إلى موقع مجهز مسبقاً واقع على مقربة من لملوم ومغطى بثلاثة فروع من النهر. إلا أن الأتراك تبعوهم على سدود مبنية جديداً. فهرب آل سلمان إلى هور مجاور بعد أن قاموا بحرق لملوم بدافع اليأس. في اليوم التالي احتل الأتراك المدينة وغنموا 10000 كيس من الأرز أرسلوا 2500 منها إلى بغداد بينما قام تحالف من القبائل العربية بنهب الباقي. بعد ذلك استمرت العمليات. بدأ الأتراك بقطع الماء عن القناة التي تغذي الهور والمتفرعة من الفرات. وعلى الرغم من أن الأتراك اضطروا بعد شهر من العمل إلى التخلي عن هذا المشروع، فقد كانت معنويات آل سلمان منهارة إلى درجة أنهم عرضوا الاستسلام وقدموا ضمانات لدفع الضرائب[1].

في عامي 1814م و1815م كان الخزاعل على رأس الداعين إلى ثورة البدو الكبرى التي هددت العراق في عهد سعيد باشا (1813م ـ 1817م) الضعيف. ففي نفس العام الذي تولى فيه سعيد منصبه زار الحلة، لكنه بدلاً من تنفيذ الحملة المرسومة ضد الخزاعل اكتفى بوعد قدمه شيوخهم تعهدوا فيه بدفع الضرائب. كان لهذا التراخي عواقب وخيمة. ففي ربيع 1814م لم يتمرد الخزاعل وحدهم وإنما أيضاً الزبيد، ومن البادية السورية هددت شمر وظفير ورولة النجف وكربلاء. وتجرأ البدو على التقدم حتى الكاظمية دون أن يحرك الباشا ساكناً. وبعد ذلك حاصروا كربلاء حيث كانت تنتظرهم غنيمة كبيرة: كان يوجد في المدينة نحو 40000 حاج إيراني بينهم العديد من أفراد عائلة الشاه. عندئذ تمكن رجال البلاط من إخراجه من سباته. وتمّ تكليف داود، الذي أصبح باشا فيما بعد، بمهمة القضاء على المتمردين. وكان مجرد ظهوره في الحلة كافياً لإعادة الهدوء إلى المنطقة. وقامت كتيبة عسكرية بفك الحصار عن كربلاء ثم رافقت الحجاج عبر الحلة إلى النجف وإعادتهم إلى كربلاء. وبعد ذلك توجه داود نحو الجنوب إلى الديوانية. وفي

---

(1) دوحة، 227 وما بعدها.

طريقه نظم شؤون الزبيد وقاد ضربة ناجحة ضد الواوي[1]. وبينما كان يستعد لمهاجمة لملوم وصله أمر بالعودة إلى بغداد. وعلى أي حال فقد جاء إليه شيخ المشايخ محسن الغانم شخصياً لكي يعرب له عن خضوعه.

وفي خريف العام نفسه 1230هـ/ 1815م أدت دسيسة قام بها السيّىء السمعة جاسم الشاوي[2] إلى الإيقاع مرة أخرى بين الخزاعل والأتراك. وكانت الحملة التي قادها سعيد باشا شخصياً موجهة ضد شيخ المشايخ السابق سلمان المحسن. وعندما وصلت الحملة إلى الديوانية هرب شيخ الشامية إلى الصحراء؛ وقام شيخ آخر بإعلان الطاعة. تخلى سلمان المحسن عن لملوم ولجأ إلى "سيبايه" المحاطة بالمستنقعات. فتبعه الباشا ولكن الهجوم عليه فشل. ومع ذلك تخلى الخزاعل عن مواقعهم؛ وتبين أن مطاردتهم غير ممكنة. وأخيراً انتهت الحملة برحلة قصيرة إلى قناة اليوسفية وبزيارة النجف وكربلاء، دون التوصل إلى نتيجة حاسمة. بل بالعكس، فخلال رحيل الأتراك تمرد خصم قوي آخر هو فارس الجربا شيخ شمر. وكان الشيخ فارس قد تحرك لنجدة سلمان وتبع الجيش التركي قادماً من الشمال لكنه تحاشى الدخول في معركة معه عندما رأى الباشا عائداً إلى بغداد. ولكن ما أن انسحب الأتراك حتى اتحد مع الخزاعل. وهكذا عادت المنطقة الواقعة بين الحلة والديوانية بكاملها إلى أيدي الثوار الذين هددوا الحلة نفسها. وهنا عاد الوضع لصالح الأتراك بسبب تدخل المنتفق. ففي معركة اللملوم ألحق حمود الثامر، شيخ المنتفق، بمساعدة الضفير وقوة صغيرة من بغداد دعمتها العبيد، هزيمة نكراء بالخزاعل وشمر[3].

في عهد داود باشا (1817م ـ 1831م) ظل الخزاعل هادئين على وجه العموم. صحيح أنهم قدموا عام 1818م الحماية لخصمه جاسم الشاوي وساعدوا بذلك على

(1) انظر جدول جبور الغربي 3.

(2) انظر الجزء الأول، 300.

(3) دوحة، 274 وما بعدها، 278 وما بعدها؛ راجع الصفحة 93 أعلاه، والجزء الأول، 237 و238.

حدوث ثورة الزبيد لصالح صادق بك، وهو لاجئ سياسي آخر؛ لكنهم استُخدموا في خريف العام نفسه ضد عنزة[1]. وبعد ذلك بوقت قصير أوكلت إلى شيخ الخزاعل مهام هامة عند الجليحة والفتلة (راجع الصفحة 443 أعلاه).

قد يبدو ملفتاً للانتباه أن نجد الخزاعل في خدمة الحكومة. ولكن يجب أن نعلم أنه كان قد حدث في هذه الأثناء تقارب بين القبائل الشيعية والعثمانيين بسبب عدائهم المشترك للوهابيين. لا بل إن الخزاعل كانوا في صدهم لهذا العدو أكثر تطرفاً حيث قتلوا وهم يحجون إلى النجف، وفي وقت يسود فيه سلام كامل، 3000(؟)[*] وهابي جاؤوا إلى المدينة لشراء بعض الأشياء (1214هـ/ 1800م)[2]. ولعل هجوم الوهابيين على السماوة، الذي ورد ذكره في رسالة القنصل الفرنسي في بغددا (روسو) تاريخ 12 يوليو/ تموز 1806م، كان انتقاماً لتلك العملية التي مثلت خرقاً للسلام. لكن ذلك الهجوم باء بالفشل وقام في اليوم التالي 300 رجل من الخزاعل بمطاردة المهاجمين[3].

أدى سقوط داود، آخر باشا مملوكي في بغداد (1831م)، إلى حدوث تبدل في السياسة المتبعة تجاه البدو في العراق. ففي عهد علي رضا باشا (1831م - 1842م) بدأ تفضيل زبيد على بقية القبائل بصورة اعتباطية ودون سبب وجيه، الأمر الذي كان السبب في نشوب العديد من الحروب بين البدو. وبلغ هذا التفضيل ذروته في عهد نجيب باشا، خليفة علي رضا، (1842م - 1849م) الذي عيّن شيخ الزبيد وادي بن شفلّح رئيساً للخزاعل وقبائل الجزيرة والشامية الملحقة بهم[4].

---

(1) دوحة، 318.

(*) في عام 1799م وردت (حدرة) مجموعة من الوهابية (سابله) فصادفتها الخزاعل فقتلوا منها نحو 300 رجل، جاء الخزاعل إلى النجف للزيارة فحدثت هذه الوقعة على خلاف الشروط المعطاة إلى سعود بن عبد العزيز السعود «المصدر - العزاوي العراق بين الاحتلالين ج6 ص 138» (م. شبرّ).

(2) دوحة، 227. فيما يتعلق بالعدد يجب بالتأكيد حذف صفر أو صفرين.

(3) باكنغهام، (1816م) رحلات في بلاد الرافدين، جـ1، 239 وما يليها.

(4) خورشيد، 115.

ولقد حكم وادي فعلاً بضع سنوات بين الحلة والنجف والسماوة إلى أن أثبتت ثورة قبائل الهندية حماقة ذلك الإجراء وسقط نتيجة لذلك وادي والباشا معاً. وكان نجيب نفسه قد شنّ هجومين، 1843م و1844م، على الخزاعل، وقام خليفتاه عبدي باشا(*) (1849م ـ 1851م) وعمر باشا (1858م ـ 1859م) بمحاربة قبائل الهندية والشامية، وقام نامق باشا في ولايته الثانية (1861م ـ 1868م) بتنفيذ عمليات حربية طويلة وصعبة ضد الخزاعل.

لكن قوة القبيلة لم تتحطم بسبب هذه الضربات وإنما بسبب حدث طبيعي، وهو تحويل مياه الفرات إلى قناة الهندية، وحركة الهجرة التي تبعت هذا التحويل. وكان سكان الجزيرة قد بدأوا قبل عام 1850م، بسبب ظروف العمل والشروط الضريبية المناسبة، بالانتقال إلى المنطقة التي أصبحت صالحة للزراعة والسكن بسبب قناة الهندية. وبعد عام 1850م قويت هذه الحركة بسبب تراجع منسوب المياه بحيث شملت جميع القبائل، تقريباً، المقيمة بين الدغارة والسماوة (بني حسن، فتلة، جليحة، علي، عوابد). في بادئ الأمر ظل المهاجرون متكاتفين مع الخزاعل. ولكن بعد ذلك كان لبعد المسافة والظروف المعيشية الجديدة تأثيرها: فقد انفصلت جميع قبائل الهندية وبعض قبائل الشامية عن الخزاعل.

وعندما تابع منسوب المياه في شط الحلة انخفاضه، إلى أن جف تماماً، باستثناء فصل الربيع، في العقد الأول من القرن الحالي، عانى الخزاعل أنفسهم من هذا الوضع لأن جزءاً كبيراً من أراضيهم الزراعية يقع على الشط. ولذلك تشتت فلاحوهم، فتحوّل بعضهم إلى تربية الأغنام ودخل آخرون في خدمة إقطاعيين غرباء من مثل عائلة السادة أبو طبيخ[1]، وهاجر كثيرون إلى المناطق المستصلحة

(*) اسمه عبد الكريم نادر باشا (العزاوي العراق بين الاحتلالين ج7 ص 63 و84). (م. شبّر).

(1) فرع من آل سيّد مهدي جاء قبل أكثر من 200 سنة من شرق شبه الجزيرة العربية. يعيش أبو طبيخ في غماس على شط الشامية، وهناك أبو طبيخ على شط الحلة والرميثة وكمكة تحت الشنافية. وزعيمهم، السيد محسن أبو طبيخ، هو أحد قادة المعارضة التي تتبنى مصالح الشيعة والقبائل.

حديثاً في الغرب. استغلت قبائل غريبة هذا الوضع لصالحها. فعندما عادت المياه إلى شط الحلة وجد الخزاعل أراضيهم تحتلها المجاوير (الأقرع)، بنو زريق «زريج»، وبنو عارض (الجدول: قبائل ملحقة د ـ 1). ومنذئذ لم يعد للخزاعل هنا سوى عدد من المجموعات الصغيرة ـ جزر في بحر من القبائل الغريبة التي ستنضم إليها حتماً، عاجلاً أو آجلاً. أمّا في الشامية فقد حافظ الخزاعل على وضعهم بشكل أفضل. فهم يشكلون هنا مجموعتين تعيش الأولى من هور ابن نجم وهور الوريقي «الوريجي» على قناة المهناوية وقناة بازول، بينما تعيش الثانية جنوب غمّاس على قناة أبو تبن. أمّا في الجزيرة، المقر الرئيسي للقبيلة سابقاً[1]، فلم يعد للخزاعل وجود إلاّ كبدو رحل.

استغل الأتراك انحدار الخزاعل لشن حرب لا رحمة فيها ضد زعمائهم. فقد انقرض تقريباً الذكور من عائلة الشيوخ البوكريدي. ولعلهم كانوا يستحقون هذا المصير؛ فقد عانى أصحاب الأراضي والفلاحون الأمرّين من جشعهم ونهبهم.

ضمن هذه الظروف يصبح مفهوماً أن الخزاعل تحالفوا في الحرب العالمية منذ عام 1915م مع الإنجليز. وفي عام 1916م قدموا لهم خدمة هامة بأن أجبروا قبيلة فتلة المشخاب على منع قوات تركية من عبور منطقتهم إلى الفرات الأدنى[2]. وظلوا أصدقاء للإنجليز بعد الحرب أيضاً لكنهم اختلفوا لهذا السبب مع الشيعة الذين كانوا يدافعون عن قضاياهم ويقودون حروبهم منذ قرون. صحيح أن زعماء المدينتين المقدستين النجف وكربلاء كان لهم منذ أواخر صيف 1915م اتصال مع الإنجليز، لكنهم غيّروا موقفهم بعد الاحتلال الإنجليزي للعراق (ديسمبر/كانون الأول 1917م) وأخذوا يستعدون، بالتعاون مع الوطنيين في بغداد، للثورة العراقية التي اندلعت في يونيو/حزيران 1920م ـ ظل الخزاعل مترددين حتى آخر لحظة بخصوص الالتحاق بحركة الثوار[3]. وبذلك نجوا من العقوبات التي فرضها

(1) في حوالى عام 1850م كان ثلاثة أرباع القبيلة تقريباً يعيشون هناك؛ خورشيد، 145.

(2) قارن الصفحة 369 أعلاه.

(3) ريفيو، 29 وما بعدها، 35 وما يليها؛ 146.

الإنجليز في وقت لاحق على الثوار، لكنهم اضطروا إلى التخلي عن مركزهم القيادي لصالح خصومهم الفتلة.

ننتقل الآن إلى التاريخ الداخلي للخزاعل. إذا ما قارنا تفرعات القبيلة حسبما جاءت في الجدول مع التفرعات المرافقة لشجرة النسب المذكورة في المقطع القادم نلاحظ ما يلي: جميع أفخاذ الخزاعل يحملون اسماً مأخوذاً من أسماء أجداد شيوخهم[1]، وجميع هذه الأسماء تعود إلى عائلة واحدة، إلى أحفاد الشيخ عباس الذي اشتهر في حملة عام 1701م. وبكلمات أخرى فإن عائلة الشيوخ والقبيلة متداخلون تداخلاً كاملاً. وهذا لا يعني بأي حال أن جميع أفراد القبيلة تربطهم قرابة الدم مع عائلة الشيوخ؛ بل من الممكن أن يكونوا منحدرين من خطوط أقدم (من خط عباس) أو إنهم من منشأ غريب تماماً. هذه الخطوط الأقدم نتعرف عليها في قائمة الخزاعل لعام 1765م الموجودة لدى نيبور: آل جلال، البو؟، البو غانم، آل نصر الدين، آل مهنا[2]. ومما يثير الاستغراب أنه لم يبق أي منها حتى اليوم، أو حسب قائمة شبرنغر[3] (رقم 108) ولا حتى عام 1818م. آنذاك كان الخزاعل ينقسمون إلى أربع "قبائل" هم: شبيب، صقر، حاج عبد الله، آل غانم[4]، وهم ينحدرون جميعاً من أب واحد (سلمان)، حسب قول الكاتب. وهؤلاء ما زالوا موجودين الآن (2 آ ـ د) ولكن دون أي أهمية تجاه قبيلة الشلال[5] المتفرعة من صقر والتي يحكم شيوخها جميع الخزاعل. ويُفسر هذا التبدل المستمر للقبائل الفرعية بأن الخزاعل هم في الأصل ليسوا قبيلة وإنما عائلة شيوخ.

يلتف حول الخزاعل الحقيقيين تلك القبائل الصديقة أو الخاضعة التي تشكل

(1) باستثناء واحد وحيد، الرواشد (3 وما بعدها).

(2) نيبور الجزيرة العربية (آرابيين)، 390.

(3) هذه القائمة غير كاملة، ينقصها مثلاً آل عباس.

(4) ليسوا هم نفس آل غانم المذكورين عند نيبور، لأن الجيل الأول من آل غانم لم يظهر إلا في نهاية القرن الثامن عشر.

(5) أثبتت قائمة خورشيد، 115، وجودهم في منتصف القرن الماضي.

معهم اتحاد الخزاعل الكبير. وهؤلاء هم: شبل، وغزالات، وزياد، ثم كبشه الأقل أهمية، وعدد من المجموعات الصغيرة من بينهم بني خالد، وكعب، وغيرهم. لم نعثر على معلومات تشير إلى أصل القبيلتين الأوليتين. أمّا زياد فيفترض أنهم كواكبة (عنزة). ينتسب بني خالد إلى قبيلة بني خالد المشهورة في شرقي شبه الجزيرة العربية، وحسب الروايات التي يتناقلونها جاؤوا إلى هنا قبل 13 جيلاً. وأمّا كعب فينتسبون إلى القبيلة الفرعية التابعة لخفاجة والتي تحمل الاسم نفسه.

وكما هو حال قبيلة الخزاعل، فقد طرأ على اتحاد الخزاعل أيضاً بعض التحولات. يعدّ بني خالد وكبشة من أقدم الجماعات التي تشكل منها الاتحاد وكان سلمان العباس قد أخضعهما لسلطته في نهاية القرن السابع عشر[1]. وكلاهما يرد ذكره عند نيبور (1765م)[2] كتابعين للخزاعل، ويضاف إليهما الجبور. لكن الجبور انفصلوا في وقت لاحق عن الاتحاد، وكذلك الأقرع، عفك، والجليحة، والفتلة، الذين كانوا في عام 1818م تابعين له[3]. وهناك شهادات على وجود شبل عام 1822م، وعلى وجود الغزالات وزياد حوالى عام 1850م[4]. أمّا أحدث عضو في الاتحاد فهم البدير الذين غادروا موطنهم في شرق هور عفك قبل أقل من 40 عاماً.

علاقة القبائل المنفردة مع شيوخ الخزاعل متباينة. بني خالد وكعب، الذين يعملون في أراضي الخزاعل، يطيعونهم في الحرب والسلم، أمّا الشبل والغزالات والكبشة فيقعون تحت نفودهم، وأمّا زياد فهم شبه مستقلين ولذلك كانوا في بعض الأحيان يتقاتلون مع بقية القبائل[5].

يسكن الخزاعل وأتباعهم، خلافاً لبقية قبائل الشامية، في الخيام[6].

---

(1) قارن الصفحة 454، 455 أعلاه. يبدو أن أسماء القبائل وردت في نص گلشن خطأ كأسماء أماكن.
(2) الجزيرة العربية، 390.
(3) قائمة شبرنغر رقم 108.
(4) المنشي البغدادي، 35 ـ خورشيد، 115. بدلاً من الغزالات يذكر هو الغزلان.
(5) انظر، مثلاً، موزيل، الفرات الأوسط، 106 وما بعدها.
(6) سالنامه، 319.

شيوخ الخزاعل[1]

تعود شجرة نسب الخزاعل حسب الروايات المتناقلة إلى الشيخين عباس وسلمان اللذان اشتهرا في حملة عام 1701م ومقدماتها. أعطي لقب الشيخ في البداية لأخي سلمان وأبنائه. وحمل اللقب حمود بن حمد، ابن أخ سلمان، عام 1764م خلال معركة لملوم حيث نجا آنذاك من يد الأتراك ثم منح العفو في وقت لاحق[2]. وفي شتاء 1793/ 1794م حدث صراع بين حمد بن حمود وابن عمه محسن المحمد من أجل منصب الشيخ. وتمكن حمد من عزل منافسه عن طريق تقديم التماس في بغداد[3]. وكما ذكرنا في الصفحة 456 أعلاه شنت عليه عام 1797م حملة تأديبية لكنه نجا من الوقوع في الأسر. بهذه المناسبة ظهر لأول مرة حفيد لسلمان هو محسن الغانم[4] الذي اعترف به الأتراك شيخاً للشامية؛ بالمقابل ينتمي سبتي المحسن[5]، الذي كان آنذاك شيخاً للجزيرة، إلى الخط الأقدم، آل عباس وخلال الثورة الكبرى عام 1814م/ 1815م أصبح محسن الغانم شيخ

(1) انظر مشجرة النسب.

(2) دوحة، 158 وما بعدها؛ نيبور، وصف رحلة، جـ 2، 24. قارن ص 315 أعلاه.

(3) دوحة، 215 وما بعدها.

(4) غير موجود في مشجرة النسب.

(5) هو ابن محسن المحمد. شجرة النسب هنا غير صحيحة تماماً.

المشايخ[1]. وكان سلفه، سلمان المحسن[2]، الذي برز في معارك خريف 1815م، آخر شيخ حاكم من سلالة آل عباس. أمّا بقية الزعماء الذين لعبوا دوراً في الثورة، ومنهم على سبيل المثال شيخ الشامية مغامس الشلاّل، فهم ينحدرون من الخط الأحدث، آل سلمان.

كان ذرب بن مغامس شيخ المشايخ الثاني من عائلة سلمان، والأول من خط الشلال الذي لم يزل محتفظاً بالسلطة حتى اليوم. ويبدو أن ذرب حكم فترة طويلة من الزمن، إذ أنه تولى منصبه[3] في عهد داود باشا (1817م ـ 1831م) وكان، حسب الروايات المحلية، لم يزل موجوداً عند سقوط وادي بن شفلّح (1849). وفي عهد ذرب بدأت حرب الإبادة التي شنها الأتراك ضد الخزاعل. ويقال بأن ذرب نفسه مات مسموماً في النجف. وأخذ حفيده مطلق إلى القسطنطينية ثم قتل في الحرب الروسية التركية عام 1877م. وأرغم حفيد آخر له، وهو صفوق، على قضاء أعوام طويلة في القسطنطينية. ومات ابن مطلق مسموماً في الموصل.

بين عام 1900م و1910م كان صحن الشعلان، حفيد ذرب، وابن عمه (من الدرجة الثانية) كسّاب «چسّاب» الحمّادي زعيما آل شلال والخزاعل. كان صحن يحكم الجزء المتنقل من القبيلة وآل ساعدة، وكان كسّاب «چسّاب» يحكم المستوطنين بين الفرات وشط الشامية. وفي وقت لاحق بدأ قريبان لهما بفرض نفسهما شيئاً فشيئاً وهما سلمان الظاهر ومحمد العبطان. وفي الوقت الحاضر أصبح سلمان بن شعلان الظاهر وأحد أبناء محمد العبطان أهم الشيخين في القبيلة.

يعيش شعلان (مع أخيه ثعبان) على قناة أبو تبن (وهي قناة تتفرع عن شط الشامية ثم تصب فيه مرة أخرى). وهو يدير أملاكه مشاركةً مع رجل يهودي صنع نفسه بنفسه هو الياهو خلاصي الذي يسمى في اللغة الشعبية ملك الشامية. لشعلان

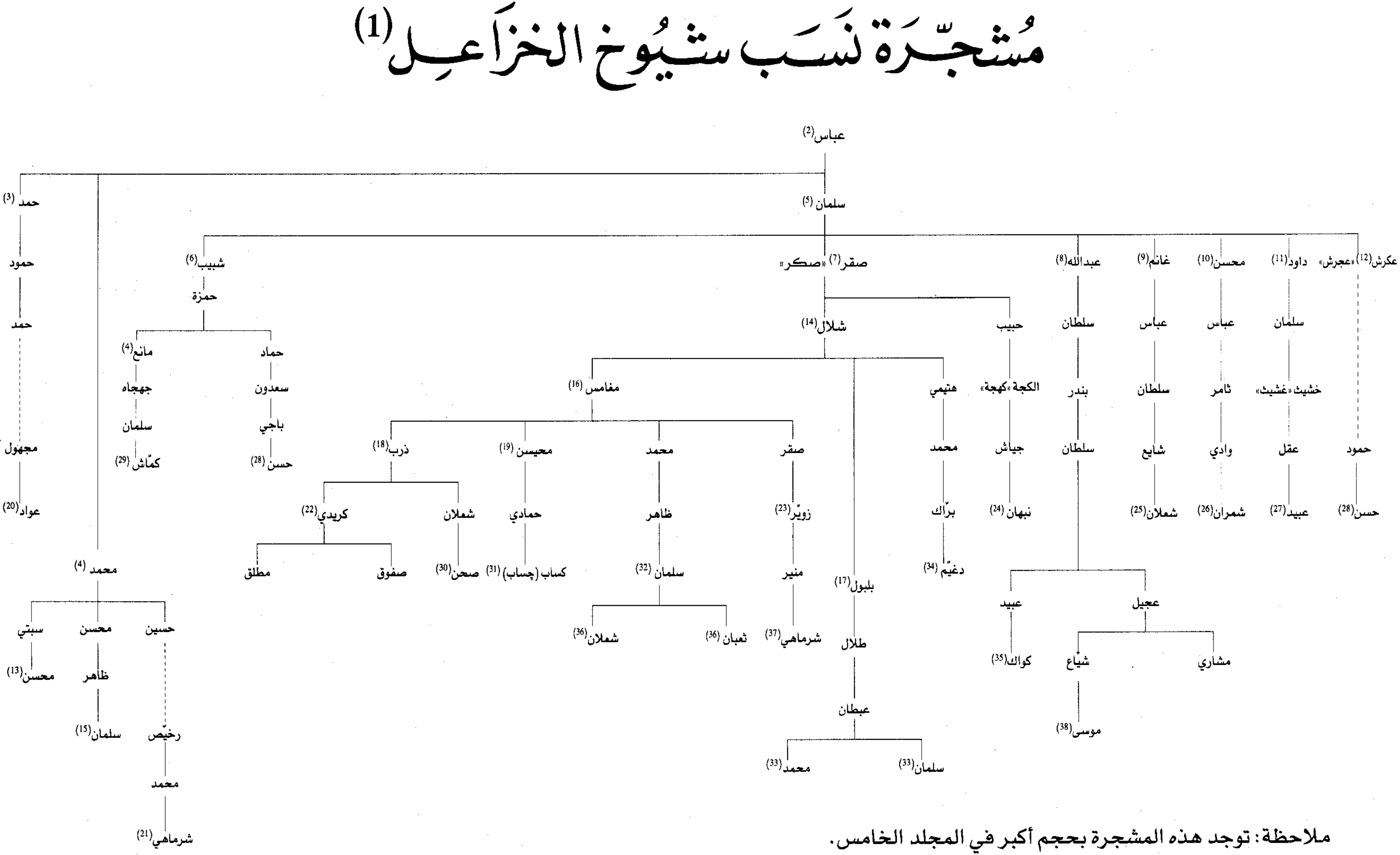
(1) دوحة، 277.

(2) سلمان الظاهر المحسن في شجرة النسب.

(3) لونكريك، 249.

تأثير على شبل آل خزيّم، وهو تحالف مع الشيخ رايح العطية من الحميدات والشيخ داخل الشعلان من الإبراهيم ويسعى معهما إلى تشكيل قوة مقابلة تقف في وجه المجموعة التي يقودها شيخ مشايخ الفتلة عبد الواحد الحاج سكر. أمّا ابن محمد العبطان وعمه سلمان العبطان فلهما علاقات طيبة مع هذه المجموعة. وكان محمد يملك أراضٍ أيضاً على قناة أبو تبن، ويملك، إضافة إلى ذلك، مع أخيه القريتين جمده وطويلة الواقعتين على الطرف الجنوبي لهور ابن نجم. ويخضع شبل آل لجام والغزالات لنفوذ هذه العائلة.

مُشجّرة نَسَب شيُوخ الخزَاعِل[1]



ملاحظة: توجد هذه المشجرة بحجم أكبر في المجلد الخامس.

ملاحظات حول مشجرة نسب شيوخ الخزاعل

1 ـ وضعت شجرة النسب عام 1916م حسب سلسلة نسب الشيوخ. ومن الطبيعي أن الشجرة فيها ثغرات وأخطاء (راجع الصفحة 463 أعلاه). لم نغيّر سوى الصلة بين عباس وسلمان اللذين تعتبرهما الروايات المتناقلة أخوة. ويقدم الجدول القبائل الفرعية بتسلسل مماثل تقريباً للتسلسل الوارد هنا في الملاحظات 1 ـ 19.

2 ـ الشخص الذي ينسب إليه آل عباس.

3 ـ الشخص الذي ينسب إليه البو حمد.

4 ـ الشخص الذي ينسب إليه البو محمد.

5 ـ الشخص الذي ينسب إليه آل سلمان.

6 ـ الشخص الذي ينسب إليه آل شبيب.

7 ـ الشخص الذي ينسب إليه البو صقر. «صگر».

8 ـ الشخص الذي ينسب إليه آل الحاج عبد الله.

9 ـ الشخص الذي ينسب إليه آل غانم.

10 ـ الشخص الذي ينسب إليه آل الحاج محسن.

11 ـ الشخص الذي ينسب إليه آل داود.

12 ـ الشخص الذي ينسب إليه آل عجرش، من إخوانه الأربعة مهنا، قرنوص، درين ودنبوس كان يوجد عام 1916م أحفاد.

13 ـ 1916م كان يعيش أحد أحفاده من الظهر الرابع.

14 ـ آل شلال.

15 ـ 1916م كان يعيش أحدهم من الجيل الرابع.

16 ـ آل بومغامس.

17 ـ آل بلبول.

18 ـ البو ذرب.

19 ـ آل محيسن.

20 ـ 1916م شيخ البو حمد.

21 ـ 1916م شيخ البو محمد.

22 ـ عائلة البو كريدي تصاهرت عدة مرات مع الزوين (انظر ص 394 أعلاه).

23 ـ الزوير (3 د).

24 ـ 1916م شيخ البو صقر.

25 ـ 1916م شيخ آل غانم.

26 ـ 1916م شيخ آل الحاج محسن.

27 ـ 1916م شيخ آل داود.

28 ـ 1916م شيخ عجرش.

29 ـ 1916م شيخ آل شبيب.

30 ـ 1916م شيخ البو ذرب.

31 ـ 1916م شيخ آل محيسن.

32 ـ 1916م شيخ البو مغامس.

33 ـ 1916م و1931م شيخ بلبول.

34 ـ 1916م شيخ الرواشد.

35 ـ 1916م شيخ آل الحاج عبد الله.

36 ـ 1916م شيخ البومغامس.

37 ـ 1916م شيخ الزوير.

38 ـ 1916م شيخ آل الحاج عبد الله.

آل شبل

يحتل آل شبل المرتبة الأولى بين القبائل المرتبطة كثيراً أو قليلاً مع الخزاعل. وكانوا يسببون للأتراك كثيراً من المتاعب في المنطقة الممتدة من أطراف البادية السورية عبر المجرى الأسفل لشط الكوفة وشط الشامية وحتى السهول الشرقية، وما زالوا حتى اليوم من أكثر قبائل العراق اضطراباً. ولكي يكسر الأتراك شوكتهم حاولوا إسكان قبائل غريبة، مثل الفتلة وإبراهيم وبني زريق «بني زريج»، في أراضيهم. وقد تمكنت الفتلة والإبراهيم من تثبيت أقدامهم. أمّا بني زريق "بني زريج" فقد طردهم آل شبل.

ظل آل شبل حتى الحرب العالمية الأولى وخلالها مرتبطين بشيوخ الخزاعل، لكن العلاقة بدأت تتراخى في الأعوام التالية. وبينما ظل الخزاعل عام 1920م واقفين إلى جانب الإنجليز أطول فترة ممكنة، تجاوب آل شبل بسرعة مع الدعوة إلى الجهاد. وحاول الإنجليز إبقاء القبيلة على الحياد بأن دفعوا لها 2000 جنيه كدفعة أولى، لكن المحاولة باءت بالفشل بعد أن كان سيّد نور الواسع النفوذ قد أعطى وعداً للثوار بمساندتهم[1].

منذ ذلك الحين يخضع آل شبل للمؤثرات التي تنطلق من أبو صخير

(1) ولسون، 296. الطرف الآخر أيضاً عرض على آل شبل مبالغ كبيرة. سيد نور هو رئيس عائلة ياسر الذي يحمل نفس الاسم، راجع صفحة 391 أعلاه.

والجعارة، مراكز المعارضة الشيعية والقومية.

ينقسم آل شبل إلى ثلاث قبائل فرعية هي: آل خزيّم، آل لجام، وأهل الدواب[1] (ويسمون أيضاً كلته «چلته»؛ ولكن الفرعين الأخيرين أصبحا مؤخراً ينسبان غالباً إلى آل لجام. ومن بين آل لجام الأصليين يبرز بشكل خاص فرعا الصادق والمنصور.

يسكن آل خزيم وآل لجام على قنوات شط الشامية الأسفل، آل خزيم على الضفة اليسرى تحت غماس وحتى ما قبل الشنافية، والصادق على الضفة اليمنى تحت أم الشواريف، والمنصور على الضفتين فوق هذه القرية. وخلفهم يعيش آل دهيم (أ 2 ب) الذين يجاورون في الشمال الحميدات وفي الغرب الفتلة من أبو صخير. أمّا الفرع الثالث، أهل الدواب كلته «چلتة»، فيعيشون على هذه الجهة من شط المشخاب الذي يفصلهم عن الفرعين الآخرين الفتلة والإبراهيم.

كثير من آل شبل بدو نصف رُحّل ينتقلون في الشتاء والربيع مع قطعانهم إلى البادية السورية (أهل الدواب، دهيّم) أو إلى السهول الممتدة بين شط الشامية وشط الحلة (خزيّم). يعمل آل دهيم والصادق، الذين يعيشون في المناطق المغمورة بالمياه، في زراعة الأرز[2].

علاقات الملكية متباينة. يعتبر آل خزيّم أنفسهم ملاّكاً، إلاّ أن بعض فروعهم، من مثل اللهيبات والبو بديوي، يتقاسمون المحصول مع عائلة السادة آل مقوطر «مگوطر»[3] لأنها تملك القنوات المستعملة للري. بالإضافة إلى عائلة مقوطر «مگوطر» لعائلة السادة آل زوين أملاك ونفوذ في منطقة آل شبل، وبالتحديد لدى أهل الدواب على نهر الهاشمي.

---

(1) الجمع (أدواب) من المفرد دوب «قناة».

(2) سالنامه، 320 وما بعدها.

(3) يقال أن جدهم شوكه «شوچة» أسس مدينة لملوم. وكانت العائلة في العهد التركي ذات نفوذ واسع جداً.

الغزالات[*]

يسكن الغزالات في وسط آل شبل[1] أهل الدواب كلته «الچلتة» بين طرف الصحراء وشط المشخاب. منطقتهم الرئيسية هي أم بزونة الواقعة على قناة تحمل الاسم نفسه. ويصلون في الجنوب إلى هور أم السباع وهور صليب. وفي الشمال تمتد سلطتهم حتى أبو صخير[2]. وتسكن القبيلة الفرعية أهل السداين (ب 6) على الجانب الآخر من المشخاب بين آل شبل وآل إبراهيم.

(*) ذكر العزاوي في ج4 العشائر ص154 أن أصلهم من بني صخر ولكنه لم يدلل ذلك. (م. شبّر).

(1) انظر الصفحة 394 أعلاه. في نفس المقال ذكرت القبائل الصغيرة التي تتبع الشبل هناك.

(2) انظر الصفحة 394 أعلاه. في نفس المقال ذكرت القبائل الصغيرة التي تتبع الغزالات في الحرب.

الزياد

ينتمي الزياد إلى قبيلة تحمل الاسم نفسه تعيش في منطقة السماوة ومنضمة إلى تجمع بني حكيم «حجيم». تتجاوز منطقة الزياد من جهة الجنوب مع آل شبل آل لجام وتشتمل على قناة حاوي وشط الغزالي أحد تفرعات شط الشامية. يعمل آل زياد في زراعة الأرز.

الكبشة «الچبشة»

تتألف مجموعة الكبشة من أربع عشائر لا توجد قرابة فيما بينها وهي: بني عارض، وعياش، وبني سلامه، وخفاجة. ولقد سبق وتعرفنا على هؤلاء الأخيرين.

يسكن بني عارض على الضفة اليمنى لشط الحلة قرب الرميثة. وكانوا على الدوام أصحاب مشاكل، وحتى وقت قريب كانت تقوم عداوة بينهم وبين بني زريق «بني زريج» المقيمين على الضفة المقابلة. وتمتد منطقة تنقل القبائل الثلاث الأخرى من تحت الشنافية على تفرعات النهر. وكانوا يعملون في السابق في أملاك المقوطر «المگوطر» (شط الدغفلية)، وأبو طبيخ (شط الدغفلية، هور الله)، والعجام[1] (هور الله)[2] لكن هذه المنطقة أصبحت فقيرة بالمياه منذ انشاء سد الهندية مما جعل العياش وبني سلامه وخفاجة يضطرون إلى الانتقال إلى تربية الأغنام.

---

(1) عائلة سادة من أصل إيراني.

(2) شط العطشان، الذي يستقبل مياه شط الكوفة وشط الشامية، ينقسم عند الغرب إلى فرعين يحافظ الفرع الجنوبي منهما على الاسم بينما يسمى الفرع الشمالي في البداية شط السبل. شط الدغفلية غير موجود على الخريطة. يقع هور الله إلى الشمال من غرب، وهو بدون ماء.

الخزاعل(1)

منطقة التنقل : الشامية ــ الديوانية

عدد الخيام والأكواخ : 2500

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ــ آل عباس			
أ ــ البو حمد(2)			150
ب ــ البو محمد(3)		الديوانية نهر الشافعية	110
2 ــ آل السلمان			
أ ــ آل شبيب(4)		إمام حمزة ــ الرميثة	
ب ــ البو صقر(5) «صكَر»		كمكة	75
ج ــ آل الحاج عبد الله(6)		أبو طبيخ ــ الرميثة	110
د ــ آل غانم(7)		شط الحلة	
هـ ــ آل الحاج محسن(8)		المشخاب	75
و ــ آل داود		الديوانية: هور الوريقي «الوريچي»	
ل ــ آل عكرش(9)«عجرش»		الرميثة	
3 ــ آل شلال(10)			
أ ــ البو مغامس	شعلان آل ظاهر	ابو تبن	500
	ثعبان آل طاهر(11)		
	كساب الحمادي(12)	تل النخلة ــ هور ابن نجم	200
ب ــ آل محيسن	كساب الحمادي(12)		500
ج ــ البو ذرب(13)			

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
د ـ الزوير(14)		ابو طبيخ	
هـ ـ آل بلبول	محمد العيطان (15)	جمدة: طويلة: ابو تبن	400
	سلمان العبطان		200
و ـ الرواشد	محمد العبطان(15)		50
	(16). . .	الكوفة	
ملحقة			
أ ـ بني خالد(17)	حسن الجزاع(18)	جمدة: طويلة	250
ب ـ الجواسم (19)		الهور ـ نهر الشافعية	100
ج ـ الجبور أهل الهور(20)		الهور	
د ـ كعب(21)		نهر الشافعية	110

قبائل ملحقة

آ ـ آل شبل

عدد الخيام: 460

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ آل خزيم (22)		شط الشامية	
أ ـ البو بديوى		حاوي	
ب ـ اللهابات «اللهيبات»		طبر(*) النامقية	
ج ـ الشاوش		الفطورة	
د ـ الفرطوس(23)		الشنافية	
2 ـ آل لجام(24)	علي العميش		
أ ـ الصادق	علي العميش		
1 ـ الصادق		أم الشواريف ـ شط الحاوي	
2 ـ المنصور		ام الشواريف	
ب ـ آل دهيم(25)		ام الشواريف	
3 ـ أهل الدواب(26)	جبار ابو حليل		
أ ـ البو خليوى(27)		نهر الهاشمي: القرنة: هور ام السباع	
ب ـ النبهان(28)	جبار ابو حليل	نهر الهاشمى: تلك: شط المشخاب	

(*) طبر تستعمل في منطقة الفرات الأوسط بمعنى نهر (م. شبّر).

ب ـ الغزالات(29)

شيخ المشايخ: علي المزعل
عدد الخيام والأكواخ: 400

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ البو حميس		أم بزونة	60
2 ـ الزور			60
3 ـ البواحيد	علي المزعل	هور أم السباع	60
4 ـ اللايذ		شاطي . .	60
5 ـ البو شوكة		شاطي: هور صليب	70
6 ـ أهل السداين (30)		شط المشخاب	90

ج ـ الزياد(31)

شيخ المشايخ: مجلي بن حنين «هنين»

المنطقة: في نهايات شط الشامية

عدد الخيام: 1550

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العصيدة	مجلي بن حنين «هنين»(*)(32)	شط الغزالي	550
2 ـ الحرادي «الهرادي»(*)	صدام الفنيخ(33)	شط الحاوي	400
3 ـ المناظير	جري المريع «المريج»(*)	شط الحاوي	550
ملحق			
كعب(34)			100

د ـ الكبشة(35) (الچبشة)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ بني عارض	سوادى الحسون	الرميثة	110
2 ـ العياش	سلطان الصغير(36)	شط الدغفلية	100
	علوان بن نوني		
3 ـ بني سلامة	مربع الحمور	شط العطشان	250
4 ـ خفاجة	نومان العبد	شط السبل ـ الشنافية	40

(*) تمّ تصحيح لفظ بعض الأسماء بما يخص الخزاعل بالاعتماد على الشيخ حسين الشعلان وقد وضعناها بين قوسين مكررين « » لغرض الإيضاح والتفريق بين الأقواس التي وضعها المؤلف. (م. شبّر).

هـ ـ آل بدير

الشيخ: عبد الكريم[*]

المنطقة: طحاينية ـ هور ابن نجم

عدد الخيام: 160

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عامي 1916م و1931م تمت إعادة النظر لاحقاً بأسماء الشيوخ. بيانات 1931 تتضمن فقط الشلال (3) عدد الخزاعل حسب خورشيد، 115: 1900م رجل (خزاعل أصليون) و500 (شلال).

2 ـ مربو جمال في الجزيرة. كانوا يملكون سابقاً أراضٍ على الضفة اليسرى لشط الحلة فوق الرميثة إلا أنه تمّ احتلالها من بني زريق.

3 ـ يعيش البو محمد في شط الحلة تحت حماية المجاوير (أقرع 10).

4 ـ على أرض بني زريق.

5 ـ جزء منهم يعمل في تربية الأغنام.

6 ـ خسروا جزءاً من أرضهم لبني عارض.

7 ـ لا أهمية لهم. يعملون في أراضي أبو طبيخ.

8 ـ كانت تقيم سابقاً على الضفة اليسرى لشط الحلة فوق الرميثة ولكنهم طردوا من هناك من قبل بني زريق «زريج». يعشون الآن في حماية الفتلة.

9 ـ لا أهمية لهم. يعيشون في ظل البو حسن (بني حكيم «حجيم».

10 ـ سالنامه، 320، 303 يذكر أنهم يزرعون منطقة الطويلة والجمدة وكذلك أراضي الشافعية التي تملكها الدولة.

(*) ذكر العزاوي ـ العشائر ج3 ص188 أن شيخهم هو شعلان الشهد وبعده أصبح ابنه الشيخ عبد الأمير وسلمان الصگبان. (م. شبّر).

11 ـ 1916م: والده سلمان الظاهر. مبين على الخارطة، بلاد الديوانية.

12 ـ إحدى قلاعه مبينة على الخارطة بلاد الدغارة بالقرب من تل النخلة وثانية على ضفة الهور المقابلة، جزء منهم كان يعيش عام 1916م كبدو رُحّل مع البو ذرب.

13 ـ 1916م: بدو رُحّل ومربّو جمال.

14 ـ لا أهمية لهم. يعملون في أراضي أبو طبيخ.

15 ـ توفي في هذه الأثناء. ورد على الخارطة مرتين.

16 ـ الشيخ 1916م: دغيّم البرّاك. موزيل، الفرات الأوسط 36، 99 وما بعدها، براق، سالنامه 296 سجلوا في الكوفة 30 خيمة خزاعل.

17 ـ سالنامه 321: في الجعارة.

18 ـ موجودة على الخارطة، بلاد الدغارة.

19 ـ قسم من أحد فروع الضفير الذي يحمل نفس الاسم (2 ب). شيعة يقيمون في العراق منذ زمن طويل. حوالى 30 خيمة من خيم القبيلة كانت موجودة في عام 1916 عند سعيد (زبيد).

20 ـ قارن ص: 406 أعلاه.

21 ـ وردت في سالنامه ص 303.

22 ـ سالنامه ص 320. مذكورين في مكان إقامتهم الحالي. وقد تمّ ترتيب الفروع في الجدول من الشمال إلى الجنوب.

23 ـ إحدى مستوطناتهم موجودة على الخارطة.

24 ـ سالنامه 320. مذكورين في منطقة أعلى من مكان إقامتهم الحالي، بالإضافة إلى الجعارة.

25 ـ مذكورة: عالم الإسلام ج2، 31 رقم 22.

26 ـ سالنامه 321. تمّ ذكرهم كفلاحين في أراضي الجعارة التي تملكها الدولة.

27 ـ الشيخ 1916م: عليوي الرخيّص. موجود على الخارطة في منطقة النجف.

28 ـ مذكورة في: عالم الإسلام ج2، 33 رقم 25.

29 ـ سالنامه 321. تمّ ذكرهم كفلاحين في أراضي الجعارة التي تملكها الدولة.

30 ـ مذكورون على الخارطة.

31 ـ سالنامه 321. تمّ ذكر جزء منهم في منطقة الشبل الحالية.

32 ـ 1916م: والده حنين «هنين» بن حنّون.

33 ـ 1916م: والده فنيش «فنيّج». ضيعتان لصدام موجودتان على الخارطة في منطقة الديوانية.

34 ـ سالنامه 321 ورد ذكرهم كفلاحين في نفس المنطقة مثل زياد. الكثير من أبناء هذه القبيلة استقروا في الشنافية.

35 ـ سالنامه 321، 324، من 1 ـ 4 مشار إليهم في مكانهم الحالي.

36 ـ 1916م: والده صغيّر الثامر.

بني زريق «زريج»

بعد الحرب العالمية ازداد عدد السكان في الرميثة والسماوة كما في منطقة الدغارة. وبما أن الأراضي الصالحة للري لا تكفي هنا أيضاً للتزايد السكاني فقد أصبحت قبائل هذه المنطقة مؤخراً في حالة مضطربة. وهم يتألفون من بني زريق وأعضاء المجمع السابق بني حكيم.

يسكن بنو زريق على الضفة اليسرى لشط الحلة فوق الرميثة. وهم ينحدرون من بني مالك وكانوا في القرن الثامن عشر مرتبطين ببني[1] حكيم «حجيم».

يعمل بنو زريق في الزراعة. ويقال بأن أراضيهم كانت في السابق ملكاً للخزاعل، لكن ملكيتها انتقلت بعد ذلك إلى نبلاء من بغداد والحلة. وبما أنهم كانوا يرفضون دفع حصة المالك من المحصول، أو كانوا يدفعون أقل من المطلوب، فقد دخلوا في نزاعات قضائية مع ملّاك الأراضي.

من المؤكد أن قضية الأراضي كانت أحد الأسباب التي جعلت القبيلة تشارك في ثورة عام 1935م. فكما ذكرنا أعلاه بدأ فتلة المشخاب والأقرع في مارس/آذار من ذلك العام ببعض الشغب. وبعد شهرين ثار بنو زريق وجيرانهم البو حسن والظوالم بنو حكيم «حجيم». قام الثوار بقطع سكة الحديد واحتلوا الرميثة، لكنهم

(1) نيبور، البلاد العربية، 389.

هزموا خلال أسبوع واحد باستخدام الطائرات ضدهم[1].

يحكم بني زريق ابنا عم (من الدرجة الثانية) هما: شنشول الحاج حسن آغا الفرهود وخوام الحاج عبد العباس الفرهود. قبل بضعة أعوام كانت تدور حرب بين الرجلين وكان شنشول يتلقى دعماً من بني عارض (راجع الصفحة 470 أعلاه). وينتمي شنشول إلى حزب عبد الواحد الحاج سكر (الفتلة)، أمّا خوام فكان قائد القبيلة في ثورة 1935م.

كان حسن آغا[2]، أبو شنشول، حصل من الأتراك على أراضٍ في منطقة الشبل قرب الشنافية لكنه اضطر إلى التخلي عن حقوقه فيها لأن الشبل رفضوا قبول بني زريق في منطقتهم (1911/ 1912م).

بني زريق «بني زريج»(1)

شيخ المشايخ: شنشول الحاج حسن آغا(2)

خوام الحاج عبد العباس(3)

المنطقة: الضفة اليسرى لشط الحلة من الامام حمزة ـ الرميثة

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الشبانات(4)			
2 ـ العمارين			
3 ـ الدخان			
4 ـ البو صالح			
5 ـ المرشدة			

(1) الشرق الحديث 1935م، 275 وما بعدها، الأسماء محوّرة طبعاً.

(2) لم يكن بأي حال أخطر «لصوص الأراضي» كما قال عنه الكاتب المتحمس مارتين هارتمان نقلاً عن تقارير الصحافة البغدادية المبالغ فيها إلى حد كبير. عالم الإسلام، جـ 2، 31 رقم 22، 33، رقم 25.

ملاحظات حول الجدول

1 ـ الوضع عام 1916م، تمّ تعديل أسماء الشيوخ مؤخراً. مستوطنات القبائل الفرعية 1 ـ 3 موجودة على الخريطة.

2 ـ 1916م: أخوه هدهود.

3 ـ 1916م: أبوه عبد العباس.

4 ـ بني خالد.

بني حكيم «حجيم»

تراخت روابط تحالف بني حكيم «حجيم» خلال التسعين سنة الأخيرة إلى درجة أن عشائر أصبحت منذ زمن طويل تعتبر مستقلة. ويتمتع أفراد عائلة شيوخها سابقاً، آل محسن، ببعض الاحترام لأنهم سادة، إلا أنهم ما عادوا يحكمون سوى أتباعهم المباشرين. تنتشر قبائل بني حكيم «حجيم» على شط الحلة والفرات من الرميثة حتى الدراجي مبتدئة في الغرب عند كمكة وتصل في الشرق إلى مسافة قريبة من شط الكار. ويُعتقد بأنهم يعيشون في العراق منذ أجيال. يعتقد غالبيتهم أنهم ينحدرون من شمر، وأن زياد (ز) ينحدرون من عنزة. في تقارير الرحلات والسفر يرد اسم تحالف لأول مرة عند نيبور (1765م). وكان آنذاك صغيراً ولكن ليس قليل الأهمية، لأنه كان يتبع له، إضافة إلى بني زريق، العوابد وآل علي[1]؛ وكلاهما هاجرا في وقت لاحق، كما هو معروف، إلى الشامية.

في النصف الأول من القرن التاسع عشر كان بنو حكيم «حجيم»، أو على الأقل الجزء المقيم منهم شرقي السماوة، خاضعين للمنتفق. في حوالى عام 1850م كان جدّا عائلة شيوخهم (ل)، سعدون المحسن وأخوه دبّي، يتبادلان في الدراجي رئاسة بني حكيم «حجيم» ومعدان آخرين بتكليف من شيخ مشايخ المنتفق فهد

(1) نيبور، البلاد العربية، 389.

السعدون[1]. وتصف الحكايات التي تتناقلها القبيلة بأن سعدون رجل ظالم سريع الغضب، أمّا لوفتوس، الذي كان في المنطقة من عام 1850م حتى 1854م، فينسب هذه الصفات إلى دبّي.

عندما أخضع الأتراك عام 1852م السماوة للإدارة المباشرة[2]، قاموا بنفي سعدون المحسن. وتركوا المنصب شاغراً فترة طويلة من الزمن[3]، لكنهم واجهوا صعوبات جمة مع القبائل مما جعلهم يضطرون في السبعينيات إلى تعيين عاجل، ابن دبّي، شيخاً للتحالف. وفي هذه الأثناء تفككت روابط التحالف كثيراً بحيث لم يعد من الممكن اعتباره وحدة واحدة؛ بعد حكم دام تسع سنوات طرد عاجل من منصبه. وفي عام 1900م كرر الأتراك المحاولة وعيّنوا الشيخ محمد الحزام شيخاً جديداً لكنه لم يتمكن من البقاء في الحكم سوى ثلاث سنوات. وبذلك انحل التحالف نهائياً. ثم ازداد تفككاً وتشتتاً في الأوقات اللاحقة: قبل عام 1914م وبعده حدثت مراراً وتكراراً صراعات دموية بين قبائل التحالف وضمن القبيلة الواحدة أيضاً. ولذلك نجد منصب الشيخ موزعاً اليوم ضمن القبيلة الواحدة، ولدى بعضها بحيث يقود شيخ الجزء المستقر من القبيلة ويقود شيخ آخر مربي الأغنام (الرحّل).

شاركت غالبية قبائل بني حكيم «حجيم» في ثورة عام 1920م. وكانت منذ عام 1919م قد حدثت قلاقل في منطقة السماوة: بسبب تغير مجاري النهر كانت أراضي الصفران (أ) وأراضي القبيلة المجاورة بركات (ب) قد أصبحت غير صالحة للزراعة وكانت القبيلتان تعيشان منذئذ إلى حد بعيد من الغزو والنهب: في خريف عام

---

(1) لوفتوس، 144، 147.

(2) قبل ذلك كانت السماوة، التي كان عدد سكانها آنذاك لا يزيد على 600 نسمة، تابعة لمنطقة المنتفق وبالتالي للبصرة؛ أما في القرن الثامن عشر فكانت تابعة للحسكة/الديوانية؛ كانت الرسوم الجمركية، على الأقل، في السماوة تجبى من قبل أتباع الآغا السائد هناك، وفي وقت لاحق من قبل أتباع شيوخ الخزاعل. خورشيد، 50 نيبور، وصف رحلة، الجزء الثاني، 249.

(3) في البداية وضع بنو حكيم «حجيم» تحت سلطة وادي (بن شفلح، زبيد)، لوفتوس، 155.

1919م حاول الإنجليز إلقاء المسؤولية على عاتق شيخ مشايخ الصفران معجون الحمادي. ولأنه رفض تسليم نفسه للسلطات دُمّرت قراه ووضع أخوه ناهي مكانه. لكن ناهي لم يستطع الاحتفاظ بالمنصب على الرغم من مساندته بقوات حكومية (عربية). ولذلك كرر الإنجليز المحاولة مرة أخرى مع أخيه بعد أن تعهد بتسليم الخمسمائة بندقية التي كان تسليمها قد فرض على الصفران كعقوبة لهم (فبراير/ شباط 1920م). إلا أنه لم يفِ بتعهده، وبما أن الحكومة لم تتحرك ضده فقد بدأت بركات أيضاً بمقاومتها. ومن بركات انتقلت الاضطرابات إلى البو جياش (و)، بينما استغل الأعاجيب (جـ) الفرصة للهجوم على البو حسان (د) الذي كانوا قد سلموا بنادقهم عندما صدرت أوامر بجمع السلاح عام 1919م. وفي نهاية مايو/ أيار 1920م قامت الطائرات بإلقاء قنابل على البو جياش والبو حسان؛ لكن هذا القصف أغضب القبائل دون أن يؤدي إلى تحقيق السلام. وهكذا كانت التربة مهيأة للبذور التي زرعها الوطنيون في بغداد والزعماء الدينيون في النجف وكربلاء. وفي الثاني من يوليو/ تموز بدأ الانفجار. فقد استدعى الضابط السياسي في الرميثة الشيخ شعلان أبو الجون، وهو شيخ محترم من شيوخ الظوالم (هـ)، لكي يسأله عن مطالبة مالية تأخر سدادها ثم أمر على الفور باعتقاله. فهجم رجال القبيلة على المبنى الحكومي وحرروا الشيخ المعتقل. وكانت هذه العملية بداية الثورة العراقية؛ إذ أن القبائل دمرت الخط الحديدي وبدأت بمحاصرة الحامية الإنجليزية في الرميثة. ولم تستطع الحامية الإفلات من الحصار إلا في 20 يوليو/ تموز بعد معارك عنيفة ومجيء وحدة عسكرية قوية من الحلة لتحرير الحامية بعد فشل محاولة سابقة بسبب المقاومة العاتية للمعدان المقادين جيداً. وعلى إثر ذلك انسحب الإنجليز من الرميثة لكنهم أصيبوا بخسائر فادحة عند انسحابهم إلى الديوانية بسبب الهجمات التي شنتها عليهم القبائل.

في البداية لم تحدث حول السماوة سوى اصطدامات غير هامة وظلت المواصلات النهرية وخطوط السكك الحديدية مستمرة حتى 12 أغسطس/ آب على الرغم من كل محاولات التخريب والمضايقة. في ذلك اليوم 12 أغسطس/ آب هوجمت محطة القطار الخضر التي كان يحميها حتى ذاك الحين البو ريشة ـ

الجوابر (ح ـ 2)؛ فأمرت القيادة الإنجليزية العليا بالانسحاب من تلك النقطة التي كان يحرسها عدد قليل من الجنود مما أدى إلى وقوع مزيد من الخسائر ـ وبذلك أصبحت السماوة أيضاً معزولة عن بقية المناطق. وعندما حاولت قافلة من السفن إيصال الذخائر والمؤن للمحاصرين تمكنت فعلاً من خرق الحصار لكنها فقدت شمال الدراجي عدة زوارق. وعندما تمّ تحرير الحامية في 14 أكتوبر/ تشرين الأول انطلاقاً من الناصرية كانت في خطر كبير بعد المعارك العنيفة مع بني حكيم «حجيم»[1]. لا تذكر المراجع الإنجليزية صراحة إلا الجوابر كمشاركين في هذه المعارك، ولكن من المؤكد أن قبائل أخرى اشتركت فيها أيضاً.

بعد ذلك ساد الهدوء لدى بني حكيم «حجيم» إلى أن دفعهم الصراع السياسي الداخلي في العراق الجديد عام 1935م إلى العودة إلى الميدان. وكان بين المشاركين في ثورة مايو/ أيار من ذلك العام البو حسن والظوالم حسبما ذكرنا أعلاه (ص 461). ويبدو أن بني حكيم «حجيم» لم يتحركوا عام 1937 «1935 ـ1936».

يعمل غالبية بني حكيم «حجيم»، الصفران، والبركات، والأعاجيب، والزياد، والجوابر، وآل محسن، إمّا في الزراعة (فلح ومعدان) أو في تربية الأغنام (عرب)[2]. ويصل مربو الأغنام، الذين يعيشون على الضفة اليسرى للنهر، مع قطعانهم حتى شط الكار. أمّا الذين يعيشون على الضفة اليمنى فيصلون بعيداً نحو الجنوب حتى سهول الشامية.

قبل الحرب العالمية الأولى كانت هناك عداوة بين البركات والسماوة[*]. وكان الأعاجيب يجبون في منطقتهم، على النهر أيضاً، رسوماً جمركية (تسيار). وكان العُصيدة (زياد ز3) يفعلون الشيء نفسه على الطريق بين السماوة والخضر وعلى شط السبيل، والعبس (ل)[3] على الفرات فوق الخضر.

---

(1) هالدن، 73 وما يليها؛ ريفيو، 145 وما بعدها، ويلسون، 227 وما بعدها، 293 وما بعدها.

(2) ورد أيضاً عند سستيني (1782م)، 227.

(*) خطأ السماوة مدينة وليست قبيلة، الصحيح الأعاجيب. (م. شبّر).

(3) في السابق أيضاً التوبة، لوفتوس، 266 وما يليها.

قامت الجوابر والتوبة بتقديم العمال للحفريات الأثرية الألمانية في الوركاء حيث كان لوفتوس قد نقب عن الآثار مع التوبة.

تنتشر في منطقة بني حكيم «حجيم» فوق الخضر شبكة من تفريعات وقنوات الفرات القديمة والجديدة معقدة إلى درجة يصعب حصرها. ويتفرع شط العطشان (انظر الصفحة 471 أعلاه) عند غراب إلى فرعين يحتفظ الفرع الجنوبي منهما باسم شط العطشان، بينما يأخذ الفرع الشمالي عند كمكه اسم نهر أبو رفوش. وقبل مسافة قصيرة من اتحاد نهر أبو رفوش مع شط الحلة يصب فيه شط السبيل القادم من هور في الشمال الغربي ويسحب منه جزءاً من مياهه ثم ينفصل عنه مرة أخرى متابعاً السير في نفس الاتجاه لكي يصب أخيراً في شط الحلة. وبعد كيلو متر واحد يصب شط العطشان أيضاً في شط الحلة، واعتباراً من هنا يصبح اسم النهر مرة أخرى نهر الفرات. تسمى الأراضي المحيطة بشط العطشان ونهر أبو رفوش وشط السبيل "الجزيرة" ويقوم الأعاجيب في شمالها الشرقي، والزياد في جنوبها الشرقي، بزراعتها أحياناً إذا ما حدث الفيضان الربيعي ـ أمّا الأراضي الواقعة على جانبي شط الحلة، موطن البو حسان والظوالم والبو جياش، فهي تزرع دائماً. تنطلق القناة الرئيسية، المسماة نهر الفزعية، من الضفة اليمنى قرب الرميثة. وفي الشرق يوجد فرع قديم للنهر يتيه في الأهوار شمال شرق السماوة. ويصل شط الزريقية وشط القريّم[1] بين الأهوار والفرات. يفصل الأول (شط الزريقية) بين البركات والصفران؛ وعلى الجانب الآخر من الثاني (شط القريّم) تقيم القبائل الصغيرة: الجوابر والتوبة والخ... وهنا أيضاً يتوقف كل شيء على الفيضان الربيعي؛ فإذا لم يحدث الفيضان كما في عام 1930م لا تزرع الأراضي في الشتاء التالي.

(1) لاحظ قلعة قريّم. جهان نما، 455 !.

بني حكيم(*) «بني حجيم»(1)

أ ـ الصفران(2)

شيخ المشايخ: عزارة المعجون(3)

المنطقة: الضفة اليسرى لشط الزريقية ـ شط القريم

عدد الخيام والأكواخ: 510

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العطاوة(4)			

ب ـ البركات

شيخ المشايخ: خشن الجازع(5)

منطقة التنقل: فوق شط الزريقية

عدد الخيام والأكواخ: 840

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العقاب(6) «العگاب»			
2 ـ الجزيرة(7)			

ان طريقة لفظ حكيم تختلف عن طريقة كتابتها فتلفظ إحكيم، كما هو الحال مع اسم حسين حيث يلفظ بالطريقة العراقية إحسين ولكن يكتب حسين. وقد فعل المؤلف نفس الشيء عندما كتب الاسم بالحرف اللاتيني حيث وضع حرف E في بداية الإسم تأكيداً على طريقة اللفظ ولكن استعمل الشائع في الكتابة العربية المذكور أعلاه. (م. شبَّر).

ج ـ الاعاجيب(8)

المنطقة : شط السبيل : نهر أبو رفوش

عدد الخيام والأكواخ : 795

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الدبيس(9)	حمزة الجبل		60
	الحاج إبراهيم الجنابي		
2 ـ البو عيد(10)	عبد العباس ابو خشة		180
أ ـ البو درهم(11)	الحاج سهر أبو خشة		25
	سعدون أبو كيك(12) «أبو چيچ»		20
ب ـ المثاقلة			
3 ـ الخميس(13)	سلطان الولع(14)		60
أ ـ آل سعد الله	مايوس العبد	الرميثة	25
4 ـ البو موسى	طشاش الشايش		120
أ ـ البو ناصر	عليوى الموسى		75
ب ـ الافلاك	موسى اللوى		60
5 ـ الطواورة	حسن اغا (15)		70

د ـ البو حسان

عدد الخيام والأكواخ : 550

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ آل خماس	ناصر الحسين(16)	نهر الفزعية	
أ ـ العبس	ناصر الحسين		
ب ـ أبو العينين			
د ـ السحور			
2 ـ آل عبد الحسين(17)	علي العبد الله		
3 ـ الجليل(18)			

هـ ـ الظوالم

المنطقة : ضفتا شط الحلة ما بين 10 إلى 17 كم تحت الرميثة

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ البو حسين		الضفة اليمنى	353
	دلي الراضي		
ب ـ العزير	ساكت الثويني		
ج ـ	مطلق الكياد «الچياد»		
2 ـ آل جمعة		الضفة اليسرى	405
أ ـ الحميد	كياد أبو الكون «چياد أبو الجون(19)		
	سلطان الشنابرة		
ب ـ البو خضير	مجهول المحمد راضي . . .		

و ـ البو جياش

الشيخ : عجة الدلي(20)

المنطقة : شمال شرق السماوة

عدد الخيام والأكواخ : 900

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الرابيع			150
2 ـ العنتر(21)	حركان «حرچان» الحاج هدار	الرميثة	
3 ـ البو جراد(22)		الضفة اليسرى لشط الحلة، 3 كم تحت الرميثة	
4 ـ الشنابرة(23)			
5 ـ الحويش(24)			
6 ـ النجيرس(25)			
7 ـ الحمامرة			

ز ـ الزياد(26)

الشيخ: فهد آل حجيل(27)

المنطقة: الجزيرة ـ الخضر

عدد الخيام والأكواخ: 1000

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الدراوشة		الجزيرة الشامية	
2 ـ البو حمد		الضفتان فوق السماوة	
3 ـ العصيدة		الجزيرة الشامية	
4 ـ اليديم(28) «آل اديّم»(*)			
5 ـ آل حسان(29)		الضفتان	
6 ـ البولحة «لحي»(**)		الضفتان	
الملحقة:			
1 ـ الجبور		فوق السماوة	15
2 ـ بني تميم			35

(*) آل اديّم. المصدر الشيخ حسين الشعلان (م. شبّر).

(**) البو لحي. المصدر الشيخ حسين الشعلان (م. شبّر).

ح ـ الجوابر

الشيخ : . . .(30)

المنطقة : ضفتا شط القريم حتى 9 كم تحت الخضر

شط القريم ـ الخضر

عدد الخيام والأكواخ : 350

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ النويصرات 2 ـ البو ريشة			

ط ـ التوبة(31)

الشيخ : . . .(32)

المنطقة : خلف الجوابر من شط القريم حتى ما قبل دراجي

شط القريم ـ دراجي

عدد الخيام والأكواخ : 150

ك ـ آل فرطوس(33)

الشيخ : . . .

المنطقة : خلف آل محسن عند دراجي

عدد الخيام والأكواخ : 150

ل ـ العبس(34)

الشيخ : عبد المونس

المنطقة : ضفتا شط الزريجية ـ شط القريم

عدد الخيام والأكواخ : 150

م ـ آل محسن(35)

الشيخ : . . .(36)

المنطقة : الضفتين عند دراجي

عدد الخيام والأكواخ : 175

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ آل عاجل 2 ـ آل حزام **قبائل الملحقة :** 1 ـ المشاعلة(37) 2 ـ الغليظ(37)			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب الوضع عام 1916م، 1930م (ميجر ادموندز). لوفتوس، 148، يسجل القبائل: د، هـ، ز، ح، ط، ل؛ سالنامه، 324: آ، 1، ب، 1، 2، د، 1: آ، ب، جـ، هـ، 1، 2: آ، و12 ـ 7، ز، 1 ـ 6، ملحقة 1، ح، 1، ك، ل، م.

قدر خورشيد ص 49 وما بعدها، عدد أبناء القبائل عام 1850م بـ 2300 رجل،

أمّا الجدول فيرد فيه أكثر من 4600 وحدة سكنية (خيمة، كوخ).

«الضفة اليسرى» في الجدول منسوبة إلى الفرات.

2 ـ في عام 1916م انضمت بضع جماعات إلى التوبة.

3 ـ يسكن في السماوة. أبوه معجون (توفي عام 1920م) موجود على الخريطة: السماوة. وكذلك "دغيّم" وهو من شيوخ الصفران.

4 ـ مستقلة تماماً تقريباً. موجودون على الخريطة.

5 ـ 1916م: أبوه جازع الحسين.

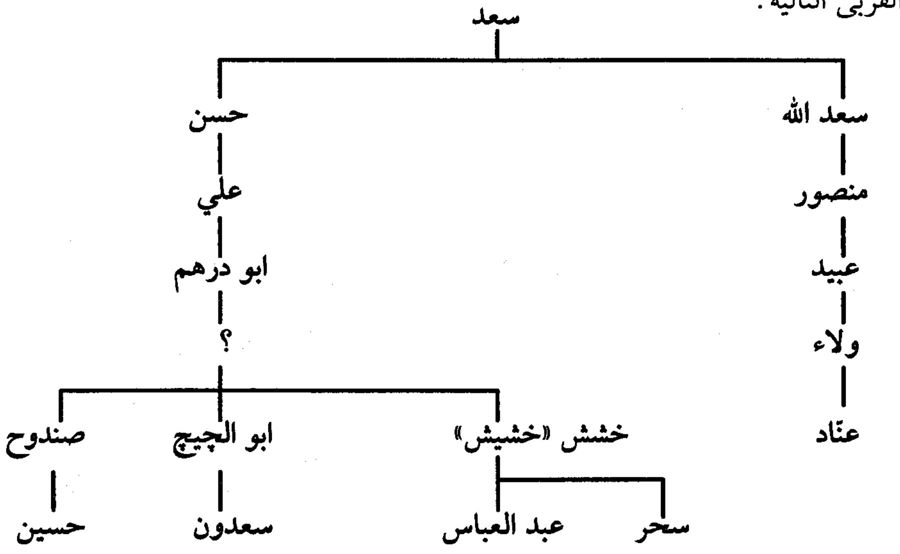
6 ـ عرب.

7 ـ معدان.

8 ـ أسماء عائلات شيوخ، 3، و4، و5، موجودة على الخريطة.

9 ـ 1930م: دبيّس.

10 ـ عائلات شيوخ البو عيد، والخميس (3) والطواورة (5) تربطهم علاقات القربى التالية:



11 ـ أو درهل.

12 ـ أو أبو كيك «الچيچ».

13 ـ 1930م: الخمسي.

14 ـ 1916م: عناد الولع؛ الخريطة: كيّاد الولع.

15 ـ 1916م: حسين الصندوح.

16 ـ موجودة على خريطة الرميثة.

17 ـ بعضهم لدى خميس والظوالم (هـ).

18 ـ الخارطة، السماوة ـ الجليل.

19 ـ 1916م: والده شعلان أبو الجون.

20 ـ تابع إلى حزب، عبد الواحد الحاج سكر، انظر صفحة 372 أعلاه. موجودة على الخارطة.

21 ـ أصبحوا مستقلين.

22 ـ صيدان أبو دچة على الخارطة يتبع لهم.

23 ـ مظيهر الـ جروض «جروضي» على الخارطة يتبع لهم.

24 ـ موجودة على الخارطة.

25 ـ سالنامه: نجرس.

26 ـ مربو الأغنام في الشامية والفلاحون في الجزيرة.

27 ـ 1916م بريد آل جحيل.

28 ـ سالنامه، الايديم.

29 ـ سالنامه، البو حسينة.

30 ـ 1916م حاجي صفر العجيرب. تمّ بعد وفاته عزل أبنائه وتسمية شخص غير مهم كشيخ. واحد أقربائه محمد العجيرب يملك مضيف كبير في الخضر (1931 فالكنشتاين).

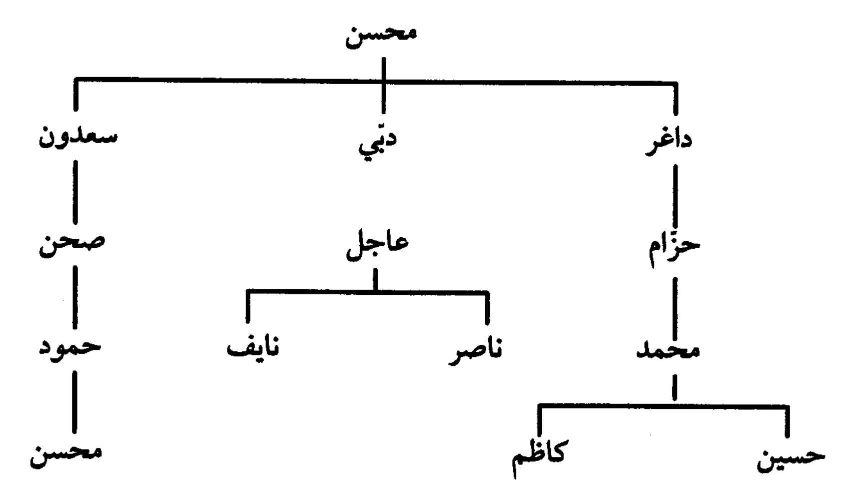
31 ـ لوفتوس طوايبه (100 خيمة).

32 ـ 1916م بواق الحنين «هنين». كان يعيش سنة 1850م وكان صهر الشيخ آنذاك (لوفتوس 48).

33 ـ ينتمون إلى الجوابر. معظمهم فلاحون عند آل محسن (م).

34 ـ بعض فروعهم: مثلاً الحجيل والمؤمنين ـ كلاهما في السالنامه ألحقت 1916م بالصفران.

35 ـ انظر أعلاه صفحة 487. مشجرة نسبهم تبدو كما يلي: ـ



36 ـ 1916م نايف العاجل، منذ عام 1902م. مجلة جمعية المستشرقين الألمانية رقم 16، 17، ضفة بسمايه 413 (1904).

37 ـ ينتسبون إلى عبس. مربو أغنام. زوييد في السالنامه. مذكورون عند لوفتوس ويبدو أنهم ينتمون إلى البو جياش.

ساعدة

القبيلتان الوحيدتان في العراق الأعلى اللتان ما زالتا من البدو الرُحّل تماماً هما: الساعدة والبعيج. تنحدر الأولى من الغازية وسيعرض تاريخها في مقال القشعم. وشأنهم شأن أبناء قبيلتهم المقيمين في شمال شبه الجزيرة العربية كان بنو ساعدة في العصور الوسطى يسكنون على السفح الشرقي للجبل الذي يسمى اليوم جبل شمر. ويفترض أنهم كانوا آنذاك أقوياء جداً؛ إذ إن ذكرى حكمهم كانت في القرن الماضي ما زالت حية في أذهان الناس[1]. وعندما هاجرت الغازية في أواخر العصور الوسطى إلى العراق كان بين صفوفهم أناس من ساعدة، ولكن ليس القبيلة كلها. وبعد ذلك صاروا يتنقلون مع بقية الغازية على حدود الفرات إلى أن عبروا الفرات (شط الحلة) في نهاية القرن الثامن عشر واختاروا الجزيرة منطقة لتنقلهم[2]. وعندما أخذ اتحاد الغازية يتفكك في القرن الثامن عشر انضم الساعدة إلى البعيج وظلوا في مكان إقامتهم الجديد أيضاً مرتبطين بهم، لا سيما أن البعيج انتقلوا أيضاً إلى الجزيرة في عشرينيات القرن التاسع عشر. في وقت لاحق وقع

---

(1) فالين، في JRGS، 24، 189. Wallin in JRGS XXIV, 189.

(2) روسو، وصف باشا بغداد، 114.

[Rousseau], Description du Pachalik de Baghdad 114. Arab el Shadas au Millieu de la Mesopotanie in Gegrens B Zu den Be'aidj (und Hmeid).. habitants au delá de Euphrate; ebd 113.

الساعدة تحت نفوذ المجموعة البدوية المتنقلة من الخزاعل وقاسموهم منذئذ منطقتهم. في الشتاء يتنقلون بين شط غماس (الجزء الأسفل من شط الشامية) وشط الكار، بينما يذهبون في الصيف إلى الأنهار ويخيمون على الدغارة، عند الرميثة، أو في غماس أو على قناة الشافعية.

الساعدة(1)

شيخ القبيلة: . . . (2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الشداد			
2 ـ العنيزان			
3 ـ المفلح			
4 ـ الطواش		شط غماس ـ شط الكار	400
5 ـ الغيث		شط غماس	
6 ـ الطنبة			
7 ـ القراغول			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1925م. المُخبِّر عصيمي باشا. يبدو أن عدد الخيم مرتفعاً. جونز (374) قدرها في زمان بـ 200.

2 ـ المصدر: نهار بن ساعدة.

آل بعيـج

لم نستطع الحصول على معلومات مؤكدة عن أصل آل بعيج. ويقال بأنهم عنزة. وبما أن الاسم لا يرد حسب علمي في مكان آخر أود تصنيفهم مع بعيج السرحان وخاصة لأن هؤلاء يعتبرون من عنزة[1]. ولقد ظهر السرحان في سنة الجوع 1152هـ/ 1739م على حدود العراق (الجزء الثاني، 331). ومن الممكن أن يكون البعيج قد بقوا هناك بهذه المناسبة.

نلتقي بالقبيلة لأول مرة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. وكانت آنذاك تتنقل على أطراف الصحراء بين النجف والسماوة، إلى جوار شمر. ويتمتع البعيج، مثل شمر، بحق مرافقة القوافل على الطريق من البصرة إلى حلب[2]. ونجدهم عام 1231هـ/ 1816م يقاتلون إلى جانب فارس الجرباء ضد الحكومة وضد المنتفق الموالين لها (انظر الجزء الأول، 234)، وفي عام 1234هـ/ 1818م ـ 1819م قاتلوا إلى جانب الحكومة ضد عنزة[3].

في العشرينيات غادر البعيج (ابتعاداً عن عنزة؟) الشامية وذهبوا إلى الجزيرة[4].

---

(1) انظر الجزء الثاني، 276 (بعيج).

(2) كابر (1778م) عند هاول، رحلة العودة إلى الهند. . .، 260. وفي عام 1212هـ/ 1798م هاجمهم الوهابيون مع شمر، وضفير، والزقاريط، عند السماوه؛ عنوان عند العزاوي، الجزء الأول، 139.

(3) دوحة، 318 وما بعدها.

(4) ذكرهم هناك لأول مرة فريزر (1838م)، الجزء الثاني، 56، بينما في قائمة شبرنجر (1818م)، رقم 100، كانوا ما زالوا في منطقتهم القديمة بين المشهد (النجف) والخزاعل.

وأصبحت نفرّ، نيبور القديمة، الواقعة على الطرف الشمالي لهور العفك، مركز المنطقة التي يتنقلون فيها والتي تمتد جنوباً إلى الديوانية وشمالاً إلى البغيلة. في منتصف القرن الماضي كان في وسع القبيلة إنزال 500 فارس إلى ساحة المعركة وكان لديها نحو 5000 جمل (جونز، 374).

لم يزل البعيج حتى اليوم بدواً رُحّل، ولكن يبدو أن منطقة تنقلهم قد انزاحت نحو الشرق باتجاه الغراف. وكانوا في السابق متخاصمين مع العفك والرفيع[1].

آل بعيج(1)

الشيخ : . . .(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحقارصة		الجزيرة	500
2 ـ العزيز		الجزيرة	200
3ـ السويد		الجزيرة	200

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1925م، المخبِّر: عصيمي باشا، رسو، رحلة 1808م، 68، يذكر الأفخاذ الثلاثة إلى جانب الأربعة التي اختفت في هذه الأثناء، ويذكر جونز، 374 الفخذ 1 (الحقارصة) والفخذ 3 (السويد) ولكل منهما 200 خيمة وكلاهما ساعدة.

2 ـ عصيمي باشا: نمش بن سلطان، جونز، عزيز القيم ابن شيحان، روسو: سلطان الشيحان.

(1) بيترس، نيبور، الجزء الثاني، 325؛ ماكس فرايهرفون أوبنهايم، من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، 73.

ربيعة

ربيعة في الأصل نسب عائلي اكتسب خلال الصراعات القبلية والحزبية في العصر الأموي مضموناً حيوياً بأن أصبح اسماً لجماعة سياسية في شرق "المملكة"، كما هو الأمر لدى قيس وكلب (اليمن) في سورية. ولكن بينما استمرت هذه الجماعات إمّا في هيئة أحزاب أو قبائل، فيبدو أن ربيعة اختفت في مطلع العهد العباسي. ولذلك فإن وجود قبيلة في العراق الحالي اسمها ربيعة يدفعنا إلى السؤال عما إذا كانت هذه القبيلة هي استمرار لقبيلة ربيعة القديمة أم إنها تشكيل جديد يحمل بالصدفة نفس الاسم. ومما يسهل عملية البحث أن هناك أدلة تثبت وجود أسلاف لربيعة الحالية في العراق منذ بداية القرن الثاني عشر الميلادي، وبذلك يتقلص الفاصل الزمني بين اختفاء ربيعة القديمة وظهور ربيعة الجديدة إلى قرون قليلة. وقد اعتبر ابن خلدون ربيعة القرن الثاني عشر الميلادي أحفاداً لربيعة العربية القديمة. وسوف نرى ما إذا كان رأيه معللاً.

في نظام الأنساب العربية فإن ربيعة بن نزار بن معد هو "أخو" مضر وإياد ويمثل معهما عرب الشمال. وأحفاد ربيعة هم عنزة وعبد القيس و"الأخان" المتعاديان بكر وتغلب والقبيلة الأقل أهمية نِمر «نمير»[1]. وكانت منطقة إقامة هذه القبائل في صدر الإسلام تمتد من اليمامة، حيث كانت عنزة وبكر ونِمر «نمير»

(1) قارن: فوستنفلد، الجداول، آ، ب، جـ.

يشكلون السكان المستقرين، عبر البحرين (عبد القيس) على امتداد خط الفرات حتى جبل بشري. وكان بكر وعنزة ـ وهم هنا بدو رُحّل ـ يحتلون الشريط الصحراوي بين خليج الكويت والحيرة، بينما كانت تغلب ونمِر «نمير» تسرحان في الوديان. وعندما جاء الإسلام حرّك القبائل من جديد: فاندفعت تغلب ونمِر «نمير» كما ذكرنا في الجزء الأول 107، إلى بلاد الرافدين واختارتا في النهاية الجزيرة الشرقية منطقة لتنقلهما. لكن الأمر كان مختلفاً لدى القبائل المقيمة على حدود العراق: فقد احتلت هذه القبائل العراق لكنها لم تجد فيه مراعٍ جديدة. إذ إن العراق كان آنذاك لا يزال بلداً زراعياً (سواد). وبصفتهم جنود الإسلام استوطنوا في المدينتين العسكريتين الكوفة والبصرة وتقدموا حتى خراسان ـ بعض أفراد القبائل بقوا في سهول الكوفة، بينما هاجر آخرون إلى منطقة الموصل[1] وانتشروا في وقت لاحق نحو الشمال حتى ديار بكر وآذربيجان[2]. وهم جميعاً تلاشوا شيئاً فشيئاً ـ عنزة كانت القبيلة الوحيدة التي كان لها مستقبل كجماعة مستقلة.

---

(1) على سبيل المثال، مجموعة من بني شيبان (بكر) ومجموعة من عنزة؛ الطبري، جـ 2، 977 وما بعدها. قارن جـ1، 2807 وما بعدها؛ جـ 2، 893 وما يليها، 915 وما بعدها. ويمكن تتبع هؤلاء العنزة حتى النصف الثاني من القرن الثالث/ التاسع؛ ابن الأثير، الجزء السابع، 122.

تطور بنو شيبان بعد ذلك من جديد وأصبحوا قبيلة بدوية كبيرة كانت تخيم في الربيع والصيف بين الزاب الأعلى والزاب الأسفل، وفي الشتاء في البادية السورية حتى جنوب الكوفة. في القرن الثالث/ التاسع كانوا يمارسون في أحيان كثيرة أعمال السلب والنهب في السهول المقابلة للموصل بحيث أن الخليفة المعتضد نفسه قام في عام 280 هـ/ 383م بقيادة حملة ضدهم. ولكن منذ نهاية القرن أدى بنو شيبان خدمات جليلة للحكومة في حروبها ضد القرامطة في سورية وشبه الجزيرة العربية. وفي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي دخلوا إلى مناطق السهول الزراعية في العراق، وفي بداية القرن التالي اختفوا. انظر ابن الأثير، جـ 6، 272، جـ7. 122؛ الطبري، جـ3، 1921 وما يليها؛ ابن الأثير، جـ7، 294، 315، 320، 342، 367، 377 والأماكن الموازية الطبري، جـ 3، 2136، 2189 وما بعدها، 2240، 2566؛ أريب، 130؛ ابن الأثير، جـ 8، 67، 114، 477، 516؛ جـ 9، 445؛ جـ 10، 313؛ ابن حوقل (BGA II)، 153، 156.

(2) انظر، مثلاً، الهمداني، 133؛ الطبري، جـ 3، 1382. اسم المنطقة ديار بكر أطلق في وقت لاحق، فهو غير مذكور لدى البلاذري والطبري والجغرافيين الأقدم.

في أثناء ذلك كانت حاميات العراق وفارس قد خضعت لنفس التطور كما في مركز الدولة الأموية وهو: تشكل مجموعات أكبر تتجاوز إطار القبيلة. والقبائل، التي كانت أجزاؤها قد تباعدت في شبه الجزيرة العربية بسبب الانتشار، عادت في الغربة، في المدن الضيقة، وأصبحت مرة أخرى جماعات حقيقية. فلكي يتمكن الناس من فرض أنفسهم في البلبلة السياسية لذلك العصر، اتحدوا مع أقربائهم وأعطوا المجموعة الجديدة اسم جدهم المشترك. وهكذا تشكلت ربيعة في البصرة من بكر وعبد القيس، وفي مقاطعة الموصل، التي أصبحت تسمى ديار ربيعة، من تغلب ونمِر «نمير»، ومن بكر وعنزة. وكانت مضر (تميم، وغيرهم) في البصرة وخراسان خصماً لهم، "أزد" اليمن صديقاً لهم. ومع إبعاد العرب في العهد العباسي، وإقامة تنظيم جديد للجيش اكتمل في عهد الخليفة المعتصم (833م ـ 842م)، اختفت هذه المجموعات[1]. فقط في الشمال، في ديار ربيعة وآذربيجان، بقي التعبير السياسي "ربيعة" حياً زمناً أطول[2].

يجب علينا أن نضع هذا التطور أمام أعيننا إذا ما أردنا الحكم بشكل صحيح على ملاحظة ابن خلدون التي ذكرناها في بداية المقال. فهي مأخوذة من ابن سعيد (حوالى 1250م)[3] وجاء فيها: "عبرت ربيعة فارس وكرمان وتركت قطعانها تسرح بين كرمان وخراسان. وبقيت مجموعة منها في العراق واستوطنت في البطايح". أمّا ربيعة في فارس فلا يهمّنا أمرهم هنا. لكن الفرضية المطروحة عن أصل ربيعة العراق غير معللة؛ لأنه لم يوجد هنا أبداً "قبيلة" ربيعة تابعت بقاياها العيش في المنطقة، ولم يوجد منذ القرن الثامن أو التاسع الميلادي حزب بهذا الاسم كان من

---

(1) ذكرت آخر مرة تحت حكم الخليفة المنصور؛ الطبري، جـ3، 366 (العام 151هـ/ 768م)، 395 وما بعدها (158/ 775).

(2) انظر، مثلاً: الطبري، جـ3، 1380وما يليها (عام 234 هـ/ 848م ـ 849م)، 1882 (عام 260 هـ/ 873م ـ 874م) = ابن الأثير، جـ7، 187. الجغرافيان الهمداني، 133، وابن حوقل، 155، يستعملونه بالمعنى العرقي في القرن العاشر.

(3) عبر، جـ 6، 12، البربر، جـ1، 27.

الممكن أن يتحول إلى قبيلة كما تحولت قيس الرافدين إلى جيس اللاحقة[1]. لذلك يجب علينا أن نحاول حلّ المشكلة بطريقة أخرى. تستعمل ربيعة اليوم صيحة الحرب: تغلب[2]. ولذلك يمكن الاستنتاج أنه كان يوجد مع أجدادهم في العصور الوسطى مهاجرون جاؤوا من ديار بكر ولديهم عادات وتقاليد تغلبية. ولكن هذا الاستنتاج لا يحل المسألة، وذلك لأن ربيعة (وتغلب) يختفيان في الشمال في القرن العاشر الميلادي، بينما لا نصادفهم في الجنوب إلا في بداية القرن الثاني عشر الميلادي[3].

إذا ما صرفنا النظر عن التاريخ المنعزل لنهب البصرة، فإننا لا نجد معلومات عن ربيعة إلاّ في بداية القرن الثالث عشر الميلادي[4]. فقد كانوا بدواً رُحّلاً يحكمون المعدان على السيب والغراف، أي أنهم أسلاف الخزاعل والمنتفق. ويبدو أنهم كانوا كالمنتفق يقضون الربيع في الصحراء؛ إذ فقط في هذه الحالة يصبح مفهوماً أنه كان لهم علاقات مع قبيلة عامر في شرقي شبه الجزيرة العربية. على رأس ربيعة كانت تتربع عائلة بني معروف. في عام 1212م جاؤوا إلى القطيف بدعوة من عامر وهاجموا المدينة معاً لكنهم ردوا على أعقابهم. وفي عام 616هـ/1219م كسر شوكتهم الخليفة الناصر. وقام حاكم واسط، مدعوماً بقوات من مدن الفرات، من هيت حتى الكوفة، ومن البصرة وتكريت، بإلحاق الهزيمة بمانع بن المعلا بن معروف وعمه سعيد بن معروف (ابن الأثير: معلا بن معروف) اللذان هربا إلى شرقي شبه الجزيرة العربية ولجآ إلى عامر. وبعد ذلك توسطا لدى حاكم البصرة لكي يجلب لهما سماحاً بالعودة. فكتب الحاكم إلى بغداد وأرسل بني معروف تحت الحماية إلى العاصمة. ولكن عندما وصل الركب إلى واسط هجمت

---

(1) انظر الجزء الأول، 335 وما بعدها.

(2) عزاوي، الجزء الأول، 92.

(3) في عام 499 هـ/1106م هجموا مع المنتفق على البصرة ومارسوا فيها أعمال السلب والنهب طيلة شهر كامل؛ ابن الأثير، جـ 10، 284.

(4) ابن الأثير، جـ 12، 232، 261، وابن مقرب، ديوان، رقم 12، 64 ـ 74؛ 88، 28 ـ 36 والتعليق.

القوة المرافقة لبني معروف عليهم، بناء على أمر من الحكومة، وذبحتهم[1]. وخلال الصراع بين الجلائريين وقره قوينلو قامت ربيعة مع خفاجة، بقيادة أمير عذرة، بنهب الحلة التي كانت بلا حماية ولم يخرجوا منها إلا بعد أن دفع لهم الجلائريون تعويضات مالية على شكل تمور (824هـ/ 1421م)[2]. بهذه المعلومة تنتهي الأخبار المتعلقة بربيعة العصور الوسطى.

على الرغم من أن المراجع تسكت عن ذكر قبيلتنا حتى القرن السادس عشر فإنه لمن المؤكد أن ربيعة العصر الحديث هم أحفاد ربيعة العصور الوسطى. ذلك أن استمرار القبيلة الفرعية الميّاح، التي يذكرها ابن سعيد/ابن خلدون[3]، لا يترك أي مجال للشك في هذا الأمر. فهناك تقريران عن الطريق يعودان إلى عام 1534م و1543م يشيران إلى أن ربيعة وميّاح كانتا في ذلك الحين موجودتين في منطقتهما الحالية عند تفرع دجلة والغراف[4]. وفي القرن الثامن عشر تحددت المنطقة بدقة باسم الجوازر (راجع ص 280 أعلاه) وكوت العمارة[5].

لم تسبب ربيعة للعثمانيين المتاعب إلا نادراً. كانت بين وقت وآخر تذكّر بالتزاماتها الضريبية إلا أنه لم يحدث اصطدام مسلح معها إلاّ مرة واحدة[6] (بسبب

---

(1) حسب ابن الأثير؛ ابن مقرب ينسب الفضل في كامل القضية لصاحبه حاكم البصرة (باتكين).

(2) تاريخ الغياثي (حوالى 1500) عند يعقوب سركيس، 280 وما بعدها.

(3) بربيرس، جـ1، 27؛ عبر، جـ 6، 12.

(4) لودفيغ فورر، التأريخ العثماني لرستم باشا، 81، 120، تم تحوير اسم القبيلتين إلى «جناح» و«أبيض»، كما أن أسماء الأماكن اختلطت بشكل رهيب.

(5) هذا الاسم، وأيضاً الكوت وحده، مثبت منذ عام 1871م. بين عام 1870م وعام 1881م، أي بعد تأسيس مدينة العمارة (1861م) تم تغييره إلى "كوت الأمارة" (تبعاً لعائلة شيوخ ربيعة) وحديثاً إلى "الكوت". ويبدو أن البلدة كان اسمها في الأصل صدر (شط/نهر) العمارة، قارن تقرير طريق البصرة ـ بغداد، جهان نما، 456، وفي وقت لاحق العمارة، قارن يعقوب سركيس، 246 وما يليها ـ كان نهر دجلة تحت الكوت يسمى شط (نهر) العمارة.

(6) حسب التسلسل التاريخي الوارد في «دوحة. . .»، 47 وما بعدها (1151 ـ 1738م/ 1739م)، 219 وما بعدها، (1212هـ/ 1708م)، 245 وما بعدها (1220/ 1805) والذي ينتهي عام 1818.

قتل موظف تركي). ومن الممكن أن تكون الحكومة قد عاملت ربيعة بتسامح لأن عائلة شيوخها من السُنّة؛ ذلك أن تفضيل السُنّة كان ركناً من أركان السياسة التركية في العراق. من ناحية أخرى لم تكن ربيعة قادرة على القيام بأي ثورة كبيرة لأنها كانت تتعرض لضغط متزايد من جيرانها، بني لام في الشرق، والمنتفق في الجنوب، وشمر طوقة في الغرب.

بدأ بنو لام بعد مجيئهم (عام 1575م) بوقت قصير بتضييق منطقة تحرك ربيعة على الجانب الآخر من دجلة. وعلى دجلة أخضعوا قبائل ربيعة حتى فوق الشيخ سعد.

على الغراف كان في وسع ربيعة التحرك بحرية تامة إلى أن حصلت هناك عائلة شيوخ المنتفق، آل سعدون، من الحكومة في عشرينيات أو ثلاثينيات القرن الماضي والقرن التاسع عشر على حق جباية الضرائب. وبذلك أصبح أجزاء من قريش «الكريش» (آ) والميّاح (ب)، الذين كانوا يصلون على الغراف إلى ما بعد (كوت) الحي، مستأجرين عند آل سعدون. وبما أن آل السعدون حصلوا في الأربعينيات على حق جباية الضرائب من قبائل الضفة اليمنى لنهر دجلة أيضاً فقد أصبح السراج «السراي» والمقاصيص (جـ 2) ملزمين بدفع الضرائب لهم[1]. ولكن هذا الأمر تغير بعد وقت قريب. فقد فَقَدَ آل السعدون سلطتهم على دجلة قبل عام 1850م، وفقدوا حقوقهم على الغراف في عام 1872م[2]. عندما دخل الإنجليز في خريف عام 1915م إلى كوت الأمارة تصرفت ربيعة حسب الطريقة البدوية التقليدية: رحب بعض الشيوخ بالمحتلين الجدد بينما توارى آخرون عن الأنظار. وخلال

أما جونز، 375، فيقول عن ربيعة ما يلي: كانت هذه القبيلة قبل 30 عاماً من أقوى قبائل العراق وكانت لها سلطة مطلقة في شمال وجنوب شط الحي وكانت تقاوم الحكومة وتتقاضى أتاوات في مناطقها.

(1) انظر جونز، 375 وما بعدها؛ خورشيد، 51 وما يليها، ومقال بني لام.

(2) حدث خلاف طويل حول الملكية الخاصة لآل سعدون هناك. تعطي «عالم الإسلام»، جـ 2، 41 رقم 74، فكرة عن هذا الخلاف الذي استمر عدة عقود.

حصار الكوت ألحقت ربيعة بالإنجليز بعض الأضرار. وبعد أن استأنف الإنجليز زحفهم، في بداية عام 1917م، هرب الشيوخ المسؤولون ولم يعودوا إلاّ بعد أن بدا أن الحكم البريطاني في العراق قد أصبح راسخاً[1]. لم تشترك ربيعة في ثورة عام 1920م، شأنها في ذلك شأن بقية قبائل دجلة.

من بين الأفخاذ التي تتألف منها ربيعة تعرفنا حتى الآن على قريش «گريش»، والميّاح، والسرّاج «السراي»، والمقاصيص «المگاصيص». ولكن هناك فخذ رابع هو بنو عمير الذي يجب أن يكون مهماً إلى حد ما في السابق[2].

في عام 1854م كانت ربيعة ـ باستثناء الميّاح ـ تعيش حياة البدو الرُحّل أو نصف الرُحّل. أمّا الآن فقد استقر معظم أبناء القبيلة في مواطن ثابتة. وتقوم قريش «گريش» وبنو عمير بزراعة الأراضي العائدة لعائلة شيوخ الأمارة. إلا أن قريش الضفة اليسرى يرحلون في الخريف، عندما يجف هور الشويچية، نحو الشمال إلى مناطق السهول الجرداء.

تبدأ منطقة ربيعة على الضفة اليمنى لدجلة تحت البغيلة/ النعمانية مباشرة، وعلى الضفة اليسرى شرقي شادي وتنتهي قبل شيخ سعد. وعلى الغراف تتقاطع مناطق ربيعة والمنتفق.

يحمل شيوخ ربيعة لقب أمير كإسم للعائلة (كنية) ـ في صيغة الجمع: الأمارة. ويتحدث شيحا، 348، دون أدلة عن الأصل القرشي للعائلة. لكن قريش التي تقف في مقدمة الأمارة ليس لها أي شيء مشترك مع قريش المكية سوى الاسم. وشيخ القبيلة الحالي محمد الأمير شيخ محترم جداً.

---

(1) ريفيو، 31، 34.

(2) قارن لونكريك، 121 (نهاية القرن السابع عشر)؛ دوحة، 300 (1817م). في المرجع الأول جاء ذكر "الجوازر" بدلاً من "الجزائر"، وفي المرجع الثاني فإن المقصود هو فرع القبيلة الذي يعيش قرب بغداد؛ قارن بهذا الخصوص المنشي البغدادي (1822م)، 49؛ خورشيد، 214؛ 209 (على الروز)، 219 (عقر ـ قوف).

لقد تركت ربيعة آثاراً أكثر أهمية من البيانات التاريخية التي نذكرها باختصار هنا. فمن الهندية حتى إيران تعيش قبائل تعود أصولها إلى ربيعة، أي أنها كانت في هذه الحقبة الزمنية أو تلك تحت سلطتها. نذكر من هذه القبائل بني مالك، أجداد بني حسن، وجيرانهم أو أقرباءهم العوابد وعلي الذين كانوا يعيشون عام 1765م فوق السماوة أي في منطقة حكم ربيعة في العصور الوسطى، بينما يسكنون الآن على شط الهندية وشط الشامية[1]. يضاف إلى ذلك تلك القبائل التي انضمت إلى بني لام أو خضعت لهم. وينتمي إلى هؤلاء مجموعات كثيرة من السراج وخاصة البادية الذين انفصلوا في نهاية القرن الثامن عشر عن بني لام وانضموا إلى كعب على نهر قارون. أمّا مكان الدلفية فمشكوك فيه. فهم ممثلون لدى ربيعة ولدى بني لام (هاجروا غالباً إلى فارس)[2]. وهناك مجموعة ثالثة انضمت إلى شمر طوقة الذين جاؤوا في القرن الثامن عشر. ينتمي إلى هذه المجموعة العتبة الذين ظل جزء عند ربيعة، وأجزاء من البادية والدلفية.

والغرباء الذين استوطنوا في منطقة ربيعة هم القوام «الگوام» (انظر الصفحة 347 أعلاه)، الذين تظهر على الخرائط قرية لهم تحت الكوت.

(1) انظر المقال المتعلق بذلك، علي بين بني حسن، ب 15. «ص365، 366 في هذا الجزء».

(2) انظر مقال بني لام، البو درّاج وكعب (في الجزء التالي).

ربيعة(1)

شيخ المشايخ: محمد الحبيب الأمير(2)

آ ـ قريش «گريش»(3)

شيخ المشايخ: محمد الحبيب الأمير
مكان الإقامة: النعمانية ـ الكوت

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ البريصات			
2 ـ العطاطفة		صفة دجلة اليمنى	
3 ـ أولاد بركة			
4 ـ البو عطية		كلا الضفتين	
5 ـ البو غربى			
6 ـ العابد		ضفة دجلة اليمنى	
7 ـ الرويعيين			
8 ـ الخماس(4)			
9 ـ الروضان		الضفة اليسرى	
10 ـ أولاد فرج			
11 ـ البو لحة			
12 ـ الهليكية(5) «الهليجيه»			
ملحقة:			
1 ـ بني زيد(6)		البغيلة/ النعمانية	

ب ـ المياح(7)

شيخ المشايخ : عبد الله المحمد الياسين(8)

مكان الإقامة : الضفة اليسرى للغراف

ج ـ السراج «السراي»(9)

شيخ المشايخ : فالح القصاب(10)

مكان الإقامة : على الضفة اليمنى لدجلة تحت الكوت

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ السراج «السراي»(11)		نهر ابن قاسم	
2 ـ المقاصيص(12) ـ «المكَاصيص»		نهر ام الحلانة	
أ ـ البو دبخي			
ب ـ البو حبيب			
ج ـ بيت رشيد(13)			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ غير مسجلة. استناداً إلى جدول جونز، 375 وما بعدها والسالنامه، 277 وما بعدها في حدود توافقهما، ولذلك لا تشكل سوى محاولة. تم استقصاء أسماء الشيوخ الكبار عام 1925م ثم أُعيد النظر بها عام 1939م. عدد الخيم حسب خورشيد، 51، 54:

آ: 300 مقيمون على الغراف (الفروع المعنية غير موجودة في السالنامه ولا في الجدول).

ب: 650؛ جـ: 1000 مقيمون على الغراف. حسب جونز: آ: 1280 خيمة على دجلة؛ آ على الغراف + ب: 1240 خيمة؛ جـ: 1480 ـ جماعات صغيرة عند قزلرباط، انظر مقال: قبائل صغيرة في أسفل سلسلة الجبال الإيرانية. الجدول آ 1 عند القرنة أيضاً. عبد الرزاق الحسني، 146؛ قارن الملاحظة 3.

2 ـ إلى جانبه كان أخوه علي محمد في عام 1912 في مركزه، عالم الإسلام جـ 2، ص 41، رقم 74، 43، رقم 81. والدهما حبيب الأمير، ورد اسمه في السالنامه (1906) إلى جانبه أخوه ناموس، أبناء الشيخ الأكبر السابق نصيف (شيحا). لدى جونز يرد اسم درويش الأمير. صيحة الحرب للأمارة: سعدى و«سعده».

3 ـ تذكر السالنامه فيما تذكر على الضفة اليسرى دلفية وبني عقبة. نفس المصدر، 292، ورد ذكر أقسام من القريشات وربيعة في الكوفة.

4 ـ جونز: الحماس.

5 ـ هكذا يسمى أيضاً فخذ من السراج. محمد باقر، موجز تاريخ عشائر العمارة بغداد 1947 ص 78.

6 ـ انظر المقال الخاص بذلك.

7 ـ أقسام في مندلي. انظر مقال، قبائل صغيرة أسفل الجبال الحدودية الإيرانية. الجدول ب، 5. كذلك في البصرة. عبد الرزاق الحسني 146. ينتمي سبع إلى الميّاح، شيخ كوت العمارة ومرافق جونز 1848م جونز 56 وما بعدها، يعقوب سركيس، 278.

8 ـ إلى جانبه شقيقه بلاسم ذُكر والده محمد عام 1912م. عالم الإسلام جـ 2 41 رقم 74.

9 ـ يضم لهم جونز بني عقبة (على نهر الحميدية) والدلفية (جنوب الحي، انظر الخارطة، بلادهي، الذين صادفنا أقساماً منهم ضمن القريش على الضفة

اليسرى لدجلة. انظر ملاحظة رقم 3.

10 ـ 1925م والده قصاب.

11 ـ السالنامه تضم لهم عتبة وآخرين.

12 ـ يضعهم جونز في نفس ترتيب التالية.

13 ـ جونز، البو رشاده «رشادي».

شمّر طوقة

يشكل شمر طوقة، الذين يقيمون على الضفة اليسرى لنهر دجلة فوق ربيعة، تلك المجموعة من شعب شمر التي تعيش في أبعد منطقة نحو الشرق. وليس معروفاً بصورة أكيدة مصدر ومعنى اللقب "طوقة" المضاف إلى اسمهم. هناك تفسير يقول بأنهم كانوا في السابق فرعاً من شمر جربا، لكنهم انتقلوا إلى حياة الزراعة والرعي ففقدوا بذلك شرفهم ولذلك أطلق عليهم اسم "طوقة" (طوق الرقبة) رمز العبودية[1]. لكن هذا التفسير لا يجوز اعتباره حقيقة مؤكدة. إذ إن مثل هذه الألقاب كثيراً ما يكون مصدرها عند البدو خصومات بين الجيران أو الأقرباء. إلاّ أن هذا اللقب الشتيمة قديم[2].

الروايات المتناقلة عن نسب طوقة، وهي، كما هي الحال غالباً عند البدو نصف الرُحّل، يتداخل فيها تشكل الجماعة القائم على قرابة الدم مع التشكل القائم على العيش المشترك في مكان واحد، في غاية التشابك والتعقيد[3]. وهناك

---

(1) جونز، 371، وبشكل أوضح: شيحا، 250: يعود أصل هذه القبيلة إلى شمر جربا التي تزعم أن عرب شمر طوقة كانوا في يوم من الأيام عبيدها. وكان هناك حكاية عن شمر طوقة سمعها البارون أوبنهايم 1944م من أحد العراقيين تقول بأن طوقة كان اسم كلب ساعد القبيلة على عبور نهر دجلة.

(2) يتبين من ذلك أن محمد البسام، قائمة شبرنغر رقم 118، ترك اللقب عمداً. وكان معروفاً آنذاك لأن روسو، 66، كان قد ذكره.

(3) عزاوي، 234 ـ 250، حاول جاهداً فكّ الخيوط المتشابكة لكنه لم يتوصل إلى نتيجة مرضية.

تعبيراً "صلته" و "غرير" اللذان يستعملان أيضاً كصرخة حرب لدى بعض القبائل الفرعية: صليتي! غرير غريري![1]. وبما أن كلاً منهما اسمٌ لقبيلة فرعية من قبائل أسلم النجدية[2]، فلعله يمكننا أيضاً الربط بين صرخة الحرب "وهب!"[*] وقبيلة فرعية من الأسلم تحمل الاسم نفسه[3]. ومما يؤيد بصورة خاصة وجود قرابة بين طوقة والأسلم، الواقعتان التاليتان توضح ذلك: أولاً، كان يوجد في طوقة فعلاً فخذ يحمل اسم "صلته". وقد ورد ذكره في قائمة روسو لعام 1808م التي تحتوي على جميع أفخاذ شمر المرتبطة بفارس الجربا (انظر الجزء الأول، القسم الأول، 221، 232). ولكن، وبما أن هذا الفخذ لا وجود له عند الجربا ولا عند الزقاريط ولا عند الزوبع، فيجب أن يكون تابعاً لطوقة. أمّا الواقعة الثانية فهي أن أسلم وطوقة يوجد في كل منهما فرع اسمه الهيرار[**]، وهو اسم لا وجود له أبداً في أي مكان آخر.

ولذلك من المرجح أن شمر طوقة تنتمي إلى موجة شمر الأولى التي يذكر نيبور الأسلم ضمنها. وكما ذكرنا في الجزء الأول، القسم الأول، (220 ـ 219)، وصلت هذه الموجة إلى حدود العراق في نهاية القرن السابع عشر.

ليس معروفاً متى تابعت طوقة هجرتها. إلاّ أنهم، في كل الأحوال، وصلوا

---

(1) بخصوص التالي انظر أيضاً الملاحظات 118، 21، 26، 4، 1 المتعلقة بالجدول.

(2) بخصوص التالي انظر أيضاً جدول شمر، الملاحظات 43، 4 ط، هـ، ح.

(*) ان القبيلة الفرعية للأسلم النجدية لها فرع اسمه وهب. أنظر جدول شمّر ص 85 الجزء الثالث. (م. شبّر).

(3) عزاوي يذهب إلى أبعد من ذلك: فهو يرى أن آل جعفر، عائلة شيوخ طوقة السابقة، ينتسبون إلى فرع عبده الذي يحمل نفسه الاسم الجزء الأول، 256 ـ 255، 3 جـ ـ جدول شمر ا، ن)، لأنهما كليهما يستعملان نفس صيحة الحرب «سناعيس». لكن سلسلة نسب عائلة الشيوخ هذه تصل فقط إلى مشكور الزوين الذي ينتمي إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر. إلاّ أن صيحة الحرب يمكن أن تكون مستعارة لأن الطوقة كانوا، كما تبيّن قائمة روسو، خاضعين في العقد الأول للنفوذ الجربا الذين كانت قبيلة عبدة أكبر قبائلهم آنذاك كما اليوم.

(**) يوجد الهيرار لدى أسلم شمّر نجد أنظر جدول شمّر ص 85 الجزء الثالث. (م. شبّر).

إلى موطنهم الجديد قبل عام 1800م، كما يتضح من تقرير كتبه عميل لشركة الهند الشرقية[1]. ويعتقد بأنهم قضوا قبل ذلك بعض الوقت في الجزيرة، لأن البو سلطان (زبيد) يفتخرون بأنهم طردوا طوقة إلى ما وراء دجلة.

لم يجد طوقة المهاجرون، الذين يجب أن نتصورهم كبدو رُحّل، في موطنهم الجديد الظروف المناسبة لحياة البداوة. إذ إن السهول الواقعة بين قنوات ديالى ودجلة وسلسلة الجبال الحدودية ذات تربة سيئة، كما أنها علاوة على ذلك تنحسر في الشرق بسبب الأهوار التي تنغمر بالمياه في فصلي الربيع والصيف. ولذلك تحولوا جزئياً إلى الحياة نصف البدوية. في عام 1850م كان ثلث القبيلة، وبالتحديد الدلابحة (6) والنفافشة (16) وجزء من الصدعان (1)، يعيش من تربية الجمال، وكان الباقي يربون الأغنام والبقر ويمارسون إلى جانب ذلك العمل الزراعي. وهناك فرع من القفيفان (14) كان ولم يزل يعيش على طريقة المعدان من تربية الجواميس. وكان الطوقة البدو يقومون آنذاك بأعمال السلب والنهب في الجزيرة وبين وقت وآخر في الشامية ذاتها[2].

في هذه الأثناء أصبح جميع شمر طوقة نصف بدو. فهم يزرعون ضفة دجلة من أمام مهدي حتى طيسفون (المدائن). فقط جزء من داور (10) وأخوة سالمه الذين ليس لهم أي أهمية يسكنون على الضفة اليمنى تحت حماية الجحيش (زبيد). في أشهر الربيع مارس/ آذار وأبريل/ نيسان وبداية مايو/ أيار يهاجر طوقة نحو الداخل حتى قناة النهروان السابقة حيث يجدون الماء في منخفضات تجمعت فيها مياه الأمطار. وعندما تكون المراعي في بلدروز ومندلي جيدة بشكل خاص يتابعون تقدمهم إلى هناك. وخلال هذه الرحلات بقي بعض فروع طوقة في الشمال

(1) لونكريك، 202. لم يذكر اسم طوقة، ولكن قبل ذلك مباشرة دار الحديث حول جيرانهم بني لام. وعندما يذكر العميل أن شمر عوملوا معاملة سيئة من الحكومة فإن المقصود لا يمكن أن يكون إلا طوقة، لأن الحكومة لم يكن لها أي مصلحة، بسبب الخطر الوهابي، في استفزاز شمر في الغرب.

(2) خورشيد، 107 وما بعدها.

واستوطنوا هناك، وهم: السكوك (17) وأجزاء، من عتبة (3) والنفافشة.

يسكن الطوقة، باستثناء الكراده (أصحاب محطات الگرد «الچرد» لرفع المياه الذين يقيمون في أكواخ طينية)، في الخيام.

في الأصل كانت الأراضي التي يعملون فيها متروكة لهم كلياً. وفي وقت لاحق اشترى السلطان عبد الحميد ناحية شادي، وقام كاظم باشا[1] وداود بك (ابن محمد باشا الداغستاني)[2] وامرأة أرمنية غنية بشراء مناطق أخرى. وبعد الحرب العالمية انتقلت مساحات أخرى من أراضي القبيلة إلى ملكية نبلاء بغداديين.

تضم الطوقة عدداً من القبائل ذات الأصل الغريب، وهي غالباً بقايا السكان السابقين لمنطقتها. نذكر من هؤلاء، أولاً، الداور (10) وهم من أصل غير معروف[3]، والعتبة (3)، والشهيلات (18)، والباوية (19) ـ وربيعة الذين انفصلوا، بسبب مجيء طوقة، عن قبيلتهم الأم وانضموا إلى القادمين الجدد. ومن المهاجرين الحديثين: القراغول (5)، والزقيطات (13)، والخوالد (4). ولقد سبق وتعرفنا على القراغول، أمّا الزقيطات فهم من الجبور.

تحت تأثير الوسط الذي يعيشون فيه أصبح الطوقة، خلافاً لجميع مجموعات شمر الأخرى، شيعة. ولم تحدث في القبيلة أحداث كثيرة تستحق الذكر. في عام

---

(1) بخصوص هاتين الشخصيتين انظر ماكس فرايهرفون أوبنهايم، من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي»، جـ 2، 265.

(2) قارن، جونز، 371: "مختلفون عن القبيلة المذكورة أعلاه (شمر ـ طوقة). كانوا في السابق يعملون أدلاء ومراسلين للحكومة، ولذلك كانوا معفيين من دفع الضرائب، لا بل إنهم كانوا مخوّلين بأخذ رسوم من السفن العابرة، قدرها: 5 شاميات (كل شامي 8 قروش)، وحلانة (؟) تمر و3 أوقيات قهوة، عن كل سفينة. وكانوا عند حدوث نزاعات مع شمر يعبرون نهر دجلة. . . ". كما أن الآلوسي أيضاً اعتبرهم قبيلة مستقلة. ولا يستطيع العزاوي، الذي يعتبرهم من شمر، أن يفعل شيئاً ضد ذلك.

(3) لونكريك، 240، 268.

1818م، في السنة الثانية من حكم داود باشا، شن الأتراك على شمر طوقة حملة تأديبية ناجحة. وجاء انتقام الطوقة بعد 20 عاماً، قبل وقت قصير من سقوط آخر حاكم مملوكي: بينما كانت القوات العثمانية تقترب من بغداد التي انتشر فيها الطاعون وأبادها، وكان داود، الذي أصيب هو نفسه أيضاً بالمرض، طريح الفراش وحيداً في قصره فقد أرسل موظفاً من عنده والأمير الكردي محمد باشا بابان التابع له لكي يجندا قوات خارج بغداد. وفي الخالص وصلهما خبر بأن قوات داود الموجودة في كركوك قد أبادها الطاعون وأن صفوق «صفوك» شيخ شمر موجود في مكان قريب. بناء على ذلك توجها نحو الجنوب الشرقي لكي يعودا إلى بغداد بطريق التفافية غير مباشرة لكنهما وقعا مع حاشيتهما ومع خزينة الحرب في أيدي شمر طوقة الذين نكلوا بهم أبشع تنكيل[1].

ومنذ ذلك الحين حتى الحرب العالمية لم تذكر أي أخبار عن القبيلة. في الزحف الإنجليزي الثاني على بغداد (آخر فبراير/ شباط 1917م) نزح جزء كبير من طوقة من دجلة إلى بلدروز لكنهم بدأوا، بعد احتلال بلدروز (أكتوبر/ تشرين الأول 1917م)، بالعودة شيئاً فشيئاً لكي يزرعوا أراضيهم. وكان المناصير (15) يقومون بأعمال النهب قرب سلمان باك، لكنهم سرعان ما تخلوا عن ذلك بعد اتخاذ إجراءات تأديبية ضدهم.

يطلق على عائلة شيوخ شمر طوقة اسم بيت بردي وهي تنتسب إلى قبيلة النفافشة. وكانت قد تسلمت دفة القيادة بعد انتصارها على عائلة الشيوخ القديمة آل جعفر. وكان الصراع على السلطة قد حدث قبل ثلاثة أجيال[2]. لكن بيت بردي كانوا قبل الحرب العالمية قد فقدوا بعضاً من سلطتهم بسبب صعود عائلة الشيوخ المجابلة. كما أن شيخ الصدعان (1) والدعجة (2)، مسرهد بن مناحي، كان يطالب بالاستقلال. كان شمر المقيمون بصورة دائمة في الشمال يتبعون لجزء

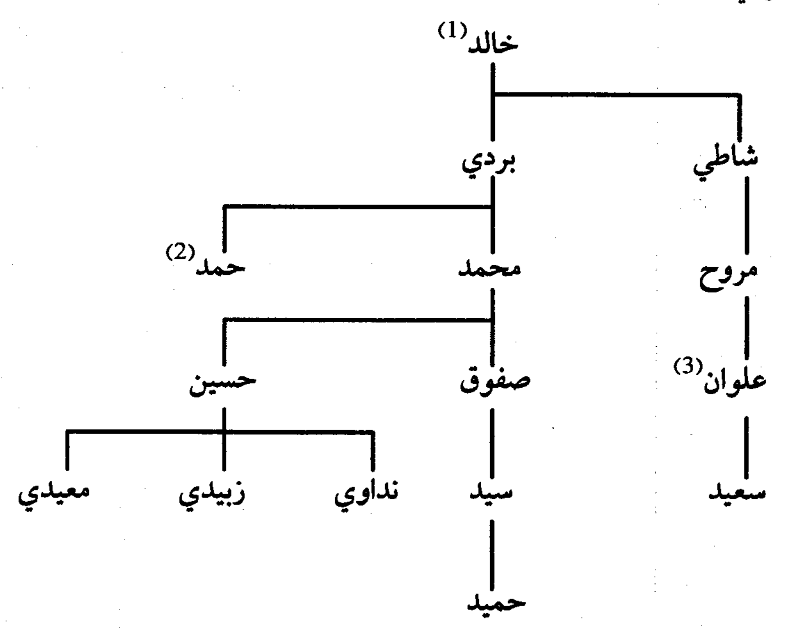
(1) ريفيو، 34.

(2) العزاوي، لا شك في أن "الصراعات الداخلية" التي ذكرها جونز، 371، تتعلق بهذه النقطة.

منهم للشيخ سعيد العلوان من بيت بردي، وكان جزء آخر تابعاً لشيوخ القبائل المستوطنة هناك كرخية، بني تميم، ولم يزل الوضع كذلك حتى اليوم.

كان حميّد السيد، شيخ المشايخ الحالي، يحكم خلال الحرب العالمية الأولى. وفي عام 1917م فقدَ في بادئ الأمر بعض النفوذ لأنه وقف إلى جانب الأتراك، لكنه استعاد في وقت لاحق مكانته القديمة.

المخطط التالي (حسب العزاوي، 244 وما بعدها) يبين الخطوط الرئيسية لبيت بردي:



خلال الحرب العالمية الأولى لم يتدخل شيخ المجابلة طرفة[4]، وهو رجل مسنّ ذو خبرة واسعة. وكان ابنه كلوّب «چلوب» يعرف كيف يتعامل مع الإنجليز.

(1) بن مح بن حمد بن خالد بن ناصر بن عبيد بن جرّاح بن دواس.
(2) قائمة شبرنغر، رقم 118.
(3) العزاوي: "عدوان".
(4) بن صابر بن مالح بن كليب.

شمر طوقة(1)

شيخ المشايخ : حميّد السيد

كلوب«چلوب» الطرفة

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الصدعان(2)	محمود بن مسرهد(3)	شادي	200
أ ـ الهويمل			
ب ـ الشهاب	شاطى بن بريج		
ج ـ الطليحة(4)	محل بن ذياب		
2 ـ دعجة(5)	كليب المحمد		250
أ ـ الشديد	غلام الهايس(6)		
ب ـ الصلاحة(7)	كاظم العامود		
ج ـ السالم	كليب المحمد		
د ـ العميرة	هندال بن جوير		
هـ ـ الزور	هندال بن جوير		
و ـ آل شيخ راشد	شاهين الصقر		
3 ـ عتبة(8)	علي المشعل	الدبونى	140
	صحن العاصي		
		روز	80
		مندلي	50
4 ـ الخوالد(9)	عليوي العبد الله(10)	الدبوني ، القطنية	140
5 ـ القراغول(11)	عيال بن حزام(12)	الدبوني	280

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
6 ـ الدلابحة(13)	رغيف الداود	شطيف	160
أ ـ الرويح	رغيف الداود		
ب ـ آل عركل(14)		قصيبة	
ج ـ القويطع «الگويطع»	عباس البرسيم		
7 ـ المقابلة «المجابلة»(15)	كلوب الطرفة		200
أ ـ الحميان	علي البطيخ(16)	زلجة	
ب ـ الكتافة	كلوب الطرفة	دير	
8 ـ البنوّة(17)	مزعل الحسين	دير	90
9 ـ الهذيل(18)	عبد الحسن بن خلف المتيني	دير	90
10 ـ داور(19)	مطلق المحمد(20)		300
أ ـ بيت زريف	سعيد الخميس	همينية	
ب ـ بيت دبش	عويد اللهواك	الرجبية	
ج ـ بيت خالد	حمد الحواس	زوية الزرع	
11 ـ الشويفى(21)	سلمان الضيدان مخيلف السيد	القطنية	270
12 ـ المردان(22)	مغير البديوي	داور الشرقي	40
13 ـ الزقيطات		داور الشرقي	40
14 ـ القفيفان(23) «الگفيفان»	عبود النذير(24)		120
أ ـ الفراس	عبود النذير(24)	داور الغربي	

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
ب ـ العرب	حبيتر الخسباك		
15 ـ المناصير(25)	كشمور العلي	صافي	80
	شوكان بن حمود		
16 ـ النفافشة(26)	حميد السيد	دير	110
	سعيد العلوان	روز	80
17 ـ السكوك (الزكوك)(27)	عبد الله الحسوني(28)	مهروت	200
أ ـ المكحول	سعد الحسين		
18 ـ الشهيلات(29)	محمد العطروز	بلدروز	60
أ ـ عساكرة			
19 ـ الباوية(30)	محمود المسلم	مهروت	70
20 ـ الدلفية(31)		القطنية: مندلي	200

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى 1916م. أُعيد النظر بأسماء الشيوخ حسب العزاوي. جI، 235 ـ 51 خورشيد 107 وما بعدها يذكر الأفخاذ 1، 6، 7، 10، 11، 14 ـ 17 في أمكنة إقامتهم الحالية. كذلك جونز 370 وما بعدها (1، 6، 7، 10 ب ـ ج، 12، 14 ـ 17، 19، 20) سالنامه 271 ـ 272 نذكر 1 ـ 15 ص: 275 داور الضفة اليمنى. ويضيف العزاوي الهيرار اليهم. الحجم حسب خورشيد 2020 خيمة. جونز 1250، تحت رقم: 3280، صيحة الحرب: سنا عيسى! الوسم ┿ القبائل على دجلة مرتبة باتجاه الكوت طيسفون (المدائن) أضيف إلى هؤلاء فقط البنوة (8) وهذيل (9) لأسباب سلالية ـ سياسية فهي على أي حال من فروع المجابلة (7) ويتبعون

شيخها ـ هذا صحيح، بل هي قسم من الأخيرة وتقيم في منطقة الفرعين.

2 ـ صيحة الحرب: أولاد حسن!

3 ـ السلف: والده مسرهد بن مناحي بن حمد بن رحمة بن شاهين.

4 ـ صيحة الحرب: أولاد وهب!

5 ـ كانوا سابقاً يتبعون الصدعان. لهذا لا يظهرون في القوائم القديمة.

6 ـ والده هايس بن حسن.

7 ـ العزاوي: (صلته).

8 ـ صيحة الحرب: شيابين.

9 ـ صيحة الحرب: هبوس أولاد هباس.

10 ـ السلف: مطلق الراشد.

11 ـ صيحة الحرب: باشه (أولاد باش).

12 ـ 1916م والده حزام بن يونس.

13 ـ صيحة الحرب: أجمرات. حسب العزاوي معاضيد.

14 ـ عزاوي العراجلة. بنو تميم.

15 ـ صيحة الحرب: يمغ!

16 ـ تسلسل أجداده: علي بن بطيخ بن ناهض بن رابط بن دهلة بن إدريس بن غانم بن رديني بن تهام. جده رابط شارك كحليف شاطي الخالد (مع انظر أعلاه ص 522) في النزاع على لقب المشيخة بين النفافشة وجعفر وكسب بالتالي النفوذ لعائلته.

17 ـ صيحة الحرب: حمدة!

18 ـ صيحة الحرب: ناهيّة (صليطي).

19 ـ صيحة الحرب: أولاد حسن (صليطي)، (سناعيس!).

20 ـ العبد العلي الصبيح من عائلة بيت حمور التي ينتمي إلى فخذ بيت صيناخ العزاوي).

21 ـ صيحة الحرب: غرير.

22 ـ صيحة الحرب: مرادين!

23 ـ الفخذان حسب العزاوي. يربي الفراس والجواميس. أي أنهم معدان أمّا العرب وكما يشير اسمهم فهم بدو رُحّل يربون الأغنام.

24 ـ تسلسل الأجداد: عبود بن النضيّر بن عباس بن سيّد بن فراس بن محمد بن يوسف بن زعيري بن قفيفان الذي ما زال جده يعيش في نجد.

25 ـ صيحة الحرب أولاد منصور. كان المناصير يسكنون في الأصل عند الداور، لكنهم تركوا هذه المنطقة عندما تمّ شراؤها من كاظم باشا.

26 ـ وضعنا النفافشة هنا لأنهم بالأصل كانوا يسكنون تحت سلمان باك. صيحة الحرب: حردة غريري.

27 ـ صيحة الحرب: هموش.

28 ـ 1916م: والده حسوني بن محمد.

29 ـ صيحة الحرب: أخوة حاجي.

30 ـ صيحة الحرب: عمور اسم يحمله قسم موجود في فارس. مرتبط بالكرخية.

31 ـ بحسب العزاوي، عبدة لكن هذا غير صحيح. إنها تنتمي أكثر إلى دائرة ربيعة وبني لام.

دفافعة ونجادات

أصبحت القبيلة الصغيرة الدفافعة[1] مشهورة بسبب حادثة مشينة وقعت في عام 1810م. في ذلك العام وقف سليمان الصغير، باشا بغداد، ضد قوات حالت أفندي الذي كان مكلفاً بعزله، لكنه خسر المعركة وانهزم. فتوجه بدون مرافقة أحد نحو الجنوب وعبر نهر ديالى ثم التجأ إلى الدفافعة الذين اعتقد أنهم سيحمونه بسبب بعض الخدمات الطيبة التي قدمها لهم. لكن الشيخ الذي احتمى عنده سليمان الصغير طمع في المكافأة الموضوعة على رأسه مما دفعه إلى انتهاك حق الضيافة. فبينما كان الصغير يجلس في خيمته مطمئناً فتح الشيخ حديثاً عن السيوف وتساءل عن أي السيفين أفضل، سيفه أم سيف ضيفه، ثم طلب من ضيفه أن يناوله سيفه. وما أن أصبح في يده حتى ضربه به وقطع رأسه[2]. ومنذئذ صار جيرانه يتحاشونه وأخذت حال القبيلة الثرية سابقاً تتردى. ولقد التقى به جونز عام 1849م وكان في حالة مادية مزرية.

ترتبط قبيلة النجادات ارتباطاً وثيقاً بالدفافعة. ففي تقرير عن حملة تأديبية ضد

---

(1) ويسمون "دفّاعي" أو "دفّاعية" أيضاً. ذكرهم لأول مرة نيبور، الجزيرة العربية . 390، في منطقتهم الحالية.

(2) تفاصيل القصة منقولة عن جونز، 79، الذي التقى مع ابن القاتل عام 1849م. يعتبر رسول حاوي أفندي (دوحة)، 263، تصرف الدفافعة خيانة، أما خورشيد 111 فيعتبره عملاً مشروعاً. بخصوص العملية كاملة انظر لونكريك، 226.

النجادات في عام 1232هـ/ 1817م وردت ملاحظة تشير إلى اعتبار النجادات جزءاً من الدفافعة[1]. وعلى عكس الدفافعة كانت حال النجادات جيدة عندما التقى بهم جونز في أبريل/ نيسان 1849م قرب آثار عبرتا على النهروان. وكانت كلتا القبيلتين شاوية، أي بدو نصف رُحّل يربون الأغنام، وكانت النجادات تربي الجمال أيضاً. كما أن كلتا القبيلتين كانتا تعملان في الزراعة بطريقة بدائية. وكان الدفافعة يجمعون نباتات شوكية ويبيعونها حطباً في بغداد. وفي هذه الأثناء أصبحا كلاهما فلاحين[2].

الدفافعة(1)

الشيخ: . . .(2)

منطقة التنقل: ضفتا ديالى السفلى، أم العبيد ـ سفوة: نهر العثمانية

عدد الخيام: 150

النجادات(3)

منطقة التنقل: ضفتا ديالى السفلى

عدد الخيام: 150

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ البريكات(4) 2 ـ سعيدات(5)			

(1) دوحة، 300 وما بعدها: دفاعي، نجاده لرّي؛ ولكن قارن جونز، 90، الذي يقول إن لهم قرابة بعيدة مع الدفافعة.

(2) خورشيد، 111، 207؛ جونز، 79، 90. بخصوص الزراعة البدائية يقول جونز: "على ضفاف الأنهار وفي كل حفرة فيها شيء من الرطوبة تزرع القبائل الحبوب بطريقة كيفية وتتركها للطبيعة كي تنمو وتنضج أو تموت".

بني ركاب(6) «بني رچاب»

ملاحظات حول الجدول

1 ـ مأخوذة عام 1916م ـ خورشيد، 207: 360 خيمة، 111 (فلاحون مسجلون، وهكذا أيضاً في الملاحظات التالية): جمعاً مع البطة: 300.

2 ـ 1916م: محمد البلبول الجبارة. على خريطة بلاد الرافدين (نسخة مؤقتة)، ديسمبر/ كانون الأول 1917م، سجلت بين منطقة أم العبيد والسفوة "عبّارة جبارة البلبل".

3 ـ مأخوذة عام 1916م.

4 ـ خورشيد، 207: 30 خيمة، رعاة غنم و. . .؟ مستقلون، وأيضاً سالنامه، 272.

5 ـ جزء صغير من سعيد (الجدول: زبيد هـ).

6 ـ خورشيد، 214: 40 خيمة بين بغداد والراشدية.

قبائل صغيرة على دجلة

بينما يشغل ضفاف دجلة حتى المدائن نحو الأعلى قبيلتان كبيرتان هما زبيد وشمر طوقة[1] فإن الضفاف الواقعة فوق آثار المدائن تسكنها مجموعات صغيرة تصل حتى بغداد وتتألف بصورة رئيسية من دليم وجبور. يعيش الجبور على الضفة الغربية بين الزعفرانية وبغداد. وعلى الضفة الشرقية تزرع ناحية التويثة الواقعة تحت مصب ديالى من قبل الجبور الذين ينتشرون على هذا النهر حتى قناة النهروان سابقاً. أمّا الدليم فيسكن جزء منهم في هور الجيكي «الجيجي»، حيث يلتقون مع الجبور، وجزء على الضفة اليسرى قرب باوي.

وكما يتبين من أسماء مجموعاتهم فإن جبور بغداد تربطهم علاقات قربى مع جبور ما بين النهرين الأعلى، والدليم تربطهم علاقات قربى مع قبيلة تحمل الاسم نفسه وتعيش فوق الفلوجة[2]. ويبدو أنهم جاؤوا إلى المنطقة قبل وقت غير بعيد. صحيح أن الجبور والدليم كانوا موجودين في منطقة بغداد كوحدات متفرقة منذ

---

(1) هذا ما يبدو ظاهرياً لأن جزءاً من السكان يتألف في الواقع هنا أيضاً من وحدات صغيرة منضمة إلى هاتين القبيلتين.

(2) قارن أ 2 أ، د من الجدول مع جدول زبيد، ألف I 1، ألف II 7، اثنان 7 في الجزء الأول، 301، 302، 303؛ أ 1 أ مع (ب أربعة 3)، في ص 307.

بداية القرن التاسع عشر[1] ولكن المراجع العائدة إلى منتصف القرن لا تذكرهم إلا في مناطق أبعد على النهر نحو الأعلى ـ بصرف النظر عن مجموعة دليم المقيمة فوق البغيلة والمنضمة إلى زبيد (هـ).

يعتنق الجبور المذهب السني. أمّا الدليم المقيمون على الضفة اليسرى فينتمي جزء منهم إلى الشيعة.

قبل أن ننتقل من بغداد على النهر نحو الأعلى نتوجه نحو الغرب لكي نستعرض القبائل المقيمة في هور عقر قوف. يمتد هذا المنخفض، المسمى باسم أنقاض برج قديم، من التراجف حتى مسافة قريبة من الكاظمين وبغداد[2]. وهو يتغذى من نهر الصقلاوية/ الكرمة المتفرع من الفرات، ومن عدة قنوات[3] متفرعة من الفرات في أمكنة أعلى وتصب في الصقلاوية، وتذهب مياهه الفائضة في قناة تصب في دجلة تحت بغداد. وبما أن الهور يقع على عمق 35 قدماً تحت الفرات، ولكن على عمق 10 أقدام فقط تحت دجلة، فقد كان معرضاً دوماً للغمر وخاصة لأن مجرى الصقلاوية يمر في منخفض طبيعي ولذلك يصعب سده. ولذلك أصبح نهر الصقلاوية بالنسبة لحكام بغداد مشكلة متعبة مثل الهندية. في عهد المماليك كانت سدود الصقلاوية وروافده تفتح في نهاية شهر أبريل/ نيسان، بعد وصول فيضانات الفرات إلى ذروتها، ثم تغلق بعد شهرين بعد انتهاء موسم الحصاد. وكان هناك حراس مهمتهم تقوية المواقع المهددة بالانهيار وسد الثغرات والانهيارات في حال حدوثها. وكان هؤلاء الحراس معفين من الضرائب لقاء هذه الجهود. ويقال بأن داود آخر المماليك (1817م ـ 1831م)، وبالتأكيد علي رضا (1831م ـ 1842م)، أهمل الاهتمام بالسدود. لا بل إن علي رضا ألغى الامتياز الذي يتمتع به حراس

---

(1) روسو، رحلة (1808م)، 15، 19، دوحة 323: في شتاء 1819/ 1820م الفضل شيخ الدليم ضامن الصاروت عن أبناء قبيلته الثائرين وقام الأتراك بعد ذلك بتوطينه في الزعفرانية.

(2) المنطقة الإدارية التي تحمل الاسم نفسه كانت أكبر؛ كانت تمتد في الجنوب الشرقي حتى ما قبل خان آزاد.

(3) أو فروع النهر، انظر موزيل، الفرات الأوسط، 153. أهم هذه الفروع: الوشاش.

السدود وزاد، فوق ذلك، الضرائب مما جعل السكان يفقدون الاهتمام بالزراعة وبالشبكات المائية المنظمة. على إثر ذلك انهارت السدود ودمّر نهر الصقلاوية ليس فقط الأراضي المزروعة بل غمر بغداد أيضاً. وبقي الأمر كذلك إلى أن أمر مدحت (1869م ـ 1872م) بإغلاق الصقلاوية عند مخرجه. ومنذئذ أصبح نهر الصقلاوية يتغذى من القنوات المذكورة أعلاه. في البداية ظلت كميات كبيرة من المياه تصل إلى الهور. في عام 1900م كانت تتشكل في المنخفض عند هبوط منسوب المياه منطقة مغمورة تبلغ مساحتها 40 ميلاً مربعاً، أمّا في فترة الفيضان فكانت تتشكل بحيرة مساحتها 300 ميل مربع[1]. ومنذ ذلك الحين بدأت المساحات المغمورة باستثناء ربيع عام 1917م حيث قام الأتراك بفتح الصقلاوية لكي يغلقوا في وجه البريطانيين الطريق إلى الفلوجة ـ تتقلص شيئاً فشيئاً إلى أن اختفت تماماً في النهاية.

كما أن سكان الهور أيضاً تغيروا خلال الـ 120 عاماً الأخيرة. فقد توجه طفيل والقراقشة «الكراكشة»، الذين جاؤوا في عهد علي رضا باشا، إلى الهندية، وتوجه البو عامر، الذين جاؤوا في عهده أيضاً، إلى الخالص والفرات[2]. أمّا بنو تميم، الذين ينسبهم خورشيد إلى سكان عقر قوف القدامى، فما زالوا باقين حتى اليوم مع الكثير من المجموعات الصغيرة المختلفة الذين يعددهم خورشيد مع الفلاحين المسجلين (218 وما بعدها)، البطة[3].

الجُدد هم العقيدات الذين لا يحظون باهتمام كبير والذين كانوا عام 1850م

(1) روسو، 38 وما بعدها، خورشيد، 193 وما يليها؛ ويلكوكس في G j. XXXV, 11.
ر. تولنس، عن اقتصاد المياه في ما بين النهرين، برلين 1912م، 20 وما بعدها. موزيل، المرجع السابق، باسيم: ريفيو، 77 وما بعدها.

(2) انظر جدول بني طريف، الملاحظة 4، ومقال البو عامر والبو محي.

(3) من هذه المجموعات الصغيرة المتناثرة لا يوجد مكان يستحق الذكر إلاً المعين، وهم فرع من الدليم يضاف إلى جدول هذه القبيلة (الجزء الأول، ص 305، باء أولاً 4). وتعود المعين من ناحية النسب إلى طي.

يسكنون على الضفة اليسرى لدجلة فوق بغداد وتحتها. وليس معروفاً ما إذا كانت لهم علاقة بالعقيدات ما بين النهرين الأعلى الذين عالجناهم في (الجزء الأول، ص327).

فوق بغداد تتبع الضفة اليسرى لدجلة، من هور الراشدية حتى مصب العظيم، لمحافظة ديالى، كما أن الحقول وبساتين النخيل في هذه المنطقة تروى من قناة الخالص النابعة من ديالى ومن تفرعات هذه القناة. ولذلك ستعالج القبائل الموجودة هناك في مقال "قبائل صغيرة في منطقة نهر ديالى".

على الضفة اليمنى لم يتغير السكان عما كانوا عليه في منتصف القرن الماضي. القبيلة الرئيسية هنا هي المشاهدة يضاف إليها جماعات صغيرة متفرقة من الدليم والجبور والبو فرّاج. ولقد ورد ذكر الفراج لدى نيبور (1765م) ويبدو أنهم كانوا آنذاك يشكلون سكان هذه المنطقة[1]، بينما يسكنون الآن بمعظمهم وراء دجلة إلى الغرب من العظيم (انظر الجدول، هـ 4).

يقال بأن المشاهدة سادة، أي من نسل النبي محمد، وأنهم جاؤوا من اليمن. ولقد حصلوا على اسمهم من اسم المدينة الأثرية مشيهد قرب الرمادي[2] حيث كانوا يسكنون في السابق. وقد طردتهم عنزة من هناك فجاؤوا إلى دجلة[3] الذي كانت ضفافه آنذاك غير مأهولة إلا قليلاً. منذ خمسينيات القرن التاسع عشر تكاثر المشاهدة تكاثراً كبيراً وتوسعت منطقتهم بحيث أصبحت تمتد من امتدادات الدجيل حتى أبو سريويل القريبة من الكاظمين وتضم مقرات البو فرّاج والدليم والجبور. وتتألف أراضي المنطقة من ملكيات مختلفة: بعضها ملكيات وقفية، وبعضها الآخر أملاك أميرية، وبعضها أراضي طابو تملكها عائلة الپاچه چي البغدادية. ويعيش جزء

(1) نيبور، الجزيرة العربية، 390؛ قارن نيبور، وصف رحلة، الجزء الثاني.

(2) روسو، 79؛ خورشيد، 189؛ موزيل، الفرات الأوسط، 33 وما بعدها.

(3) ذكرهم هناك لأول مرة روسو (1808م)، 71.

من المشاهدة وأتباعهم وراء نهر دجلة أيضاً[1].

تمتاز ناحية الدجيل المسماة باسم القناة التي تحمل هذا الاسم بخصوبة أراضيها العالية إذا ما أديرت بشكل جيد. ولكن الإدارة الجيدة كانت غير موجودة تحت الحكم العثماني مما جعل الأراضي الزراعية هنا أيضاً تتحول إلى سهول جرداء بين حين وآخر[2].

في عام 1850م كانت قبائل الدجيل، وهي ليست قبائل غير محاربة بأي حال، لا تزال تعيش في قلق دائم خوفاً من هجمات عنزة وشمر، وكانت الطريق المؤدية إلى الموصل على الضفة الغربية لدجلة قد تمّ التخلي عنها بعد سقوط داود باشا (1831م) بسبب أخطار البدو.

في عهد المماليك وبعده بعدة عقود كانت ناحية الدجيل خاضعة لضابط كان يمثل في الوقت نفسه متعهد الأرض وصاحبها وجابي الضرائب ومدير الناحية[3]. وفي وقت لاحق قام السلطان عبد الحميد بشراء الناحية.

معظم قبائل الدجيل بدو شبه رُحّل يمارسون الزراعة في الأراضي المغمورة على دجلة (حاوي) أو في المنطقة المروية ويتنقلون مع قطعانهم في المراعي. أهمهم بنو تميم، والخزرج، والمجمع الذين سنخصص لهم البحوث القادمة. بنو تميم والخزرج كانوا منذ عام 1850م في منطقتهم الحالية، أمّا المجمع فمنذ القرن الثامن عشر. قبل ذلك كان بنو جميل القبيلة الرئيسية في منطقة الدجيل. وهناك تقرير عن حملة تأديبية ضدهم أرسلت في عام 1107هـ/ 1696م موجود في تاريخ نظمي زاده (گلْشن إي خلفا، ف، 116 ر). وقد ورد ذكرهم آخر مرة لدى

(1) ماكس فرايهرفون أوبنهايم، من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، 234 وما بعدها.

(2) جهان نما، 460؛ روسو، رحلة، 15 وما بعدها.

(3) جونز، 242 وما بعدها.

روسو (1808م)[1]. ومما يثير الاستغراب أن مجموعة صغيرة من بني جميل انتقلت إلى شمال سورية[2]. فهل هجّروا رغماً عنهم؟ الأمر الأقل استغراباً هو أن بني جميل موجودون أيضاً على دجلة الأسفل (أو بالأحرى كانوا موجودين؛ إذ إنهم هاجروا خلال عامي 1244هـ ـ 1245هـ/ 1838م ـ 1839م إلى المنطقة الفارسية)[3]. ولقد تعرفنا على عدة قبائل تعيش مجموعاتها في مناطق متباعدة ومنتشرة في مختلف أرجاء العراق.

وكما هو حال القبائل الثلاث الكبيرة هناك أيضاً بعض القبائل الصغيرة التي ثبت وجودها في منطقة الدجيل منذ منتصف القرن الماضي، ألا وهي: الجميلة، والمزاريع، والسعود (جـ 3، 4، 5). تقوم الجميلة بخدمة قبر أحد الأولياء هو ضريح الشيخ جميّل، ويزعمون أنهم هم أنفسهم من الأولياء الصالحين لأنهم ينحدرون من نسل النبي محمد[4].

إضافة إلى القبائل المذكورة في الجدول تحت (د) يوجد أيضاً على الدجيل بعض السوامرة، وهم ينتمون إلى مجموعة عالجناها في الجزء الأول، ص401.

مع قبائل الدجيل وقبائل الضفة المقابلة (هـ) تكون قد وصلنا إلى النقطة التي عالجناها في الجزء الأول، في مقال: قبائل صغيرة على دجلة، والآن نتحول إلى الأراضي الواقعة شرقي نهر دجلة.

---

(1) رحلة (1808م)، 71، قبل ذلك من نيبور (1765)، الجزيرة العربية، 390؛ خورشيد، 216، يذ بني جميل في بغداد فقط.

(2) الجزء الأول، 427 وما يليها.

(3) خورشيد، 90.

(4) الوزون، والبابلين، الذين يذكرهم جونز، 242، قرب السميكة هم ليسوا قبائل وإنما أحفاد سكان قريتين تحملان نفس الاسم وكانتا عام 1808م لا تزالا موجودتين، لكنهما تهدمتا في وقت لاحق؛ قارن روسو، 16. أنقاض وزون مذكورة على الخريطة.

قبائل صغيرة على دجلة(1)

أ ـ بين المدائن وبغداد

القبيلة	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ الدليم(2)		
أ ـ الشيحة	الضفة اليسرى، باوى	100
ب ـ البو صيفي (آل مالك)(3)	الضفة اليمنى، الجبجي	50
2 ـ الجبور(4)		
أ ـ البو طعمة	الضفة اليمنى، زعفرانية	150
ب ـ	الضفة اليمنى، الجبجي ـ أبو جحاش	150
ج ـ	الضفة اليسرى، تويثة	225
د ـ البو خطاب	الضفة اليمنى الدبى ـ الخر(5)	200

ب ـ في هور عقرقوف

القبيلة	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ بني تميم(6)		1600
2 ـ العقيدات «العگيدات»(7)		73
3 ـ البطة(8)		

ج ـ بين بغداد والدجيل

القبيلة	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الجبور(9)	التاجي	40
2 ـ الدليم(9)	مزرفة	30
3 ـ المشاهدة(10)	أبو سريويل ـ الطارمية	2000
4 ـ البو فرّاج(11)	الطارمية على دجلة	80

د ـ في ناحية الدجيل

القبيلة	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ بني تميم(12)	الحصى ـ المدورة	475
2 ـ الخزرج(13)	السميكة ـ بلد	350
3 ـ الجميلة(14)	الشيخ جميل	75
4 ـ المزاريع(15)	المدورة	48
5 ـ السعود(16)	بلد	35
6 ـ الحباب(17)	بلد ـ دجلة	50
7 ـ الرفيعات(18)	بلد	70
8 ـ المجمع(19)	بني سعود ـ صدر الدجيل	430

هـ ـ بين مصب العظيم وسامراء

القبيلة	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ البو هيازع(20)	دلتاوة ـ العيث	1500
2 ـ الجبور(21)	ضلوعية	180
3 ـ البو جواري(23)	ضلوعية	50
4 ـ البو فراج(24)	فوق ضلوعية	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م.

2 ـ سالنامه 272: في باوي (النص: بادي) وغصيبة.

3 ـ خورشيد، 218، يذكرها بصورة منفصلة بـ 10 و50 خيمة في هور عقر قوف الفلاحين المسجلين، في الاقتباسات التالية أيضاً. حسب الأصل بالكاد دليم، كذلك خورشيد لا ينسبهم إلى الدليم.

4 ـ سالنامه، 272 في التويثة.

5 ـ محاذية لبغداد.

6 ـ = الجدول. ب تميم آ.

7 ـ خورشيد، 207، 213: 70 خيمة للدفافعة وفي بغداد، 80 بين بغداد وهور الراشدية.

8 ـ خورشيد 219 يذكر الفرعين قعود وحبيب بـ 33 و35 خيمة. وكذلك على الضفة اليسرى لدجلة عند طاق كسرىٰ، سالنامه 263، 272.

9 ـ جونز 229 قارن مع خارطة القبائل التالية: خريطة.. نهر دجلة... 1850م.

10 ـ جونز، 229، خورشيد، 215: 80 خيمة في منطقة الدجيل التي كانت تتضمن منطقتهم آنذاك.

11 ـ خورشيد، 213: 25 خيمة بين بغداد وهور الراشدية.

12 ـ جدول ب. تميم ب.

13 ـ جدول الخزرج آ.

14 ـ خورشيد 215 (جميلة) 40 خيمة، جونز 384: 130. السادة (جمَع سيِّد) المذكورين لدى ماكس فون اوبنهايم، من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، ج2 ص 233 هم نفس هؤلاء.

15 ـ خورشيد، 214: 33 خيمة.

16 ـ خورشيد، 215: 35 خيمة، قارن مع ماكس فون اوبنهايم، المصدر السابق، ص 231.

17 ـ ماكس فون اوبنهايم المصدر السابق، ص 231.

18 ـ موزيل: الفرات الأوسط ص 140، يحسبهم مع المجمع.

19 ـ الجدول: المجمع آ.

20 ـ فخذ من عبيد، انظر الجدول زبيد، جيم 4. الجزء الأول، 308. في عام 1893م كان البو هيازع والجبور يخيمون في الدقمة فوق السندية، ماكس فون اوبنهايم ج2، المصدر السابق ص 240. خورشيد 215، أورد البو هيازع في التاجي.

21 ـ جونز، 386: 300 خيمة. خورشيد 215: 100 (النص: جبود) في منطقة الدجيل من المحتمل أن يكون هذا يضم في ذلك الوقت الضفة المقابلة وقبائلها. قارن مع الملاحظة التالية.

22 ـ خورشيد، 214، 30 خيمة في منطقة الدجيل، قارن مع الملاحظة السابقة.

23 ـ قارن جـ4 في عام 1893م، كانوا موجودين في جزيرة على دجلة. ماكس فون اوبنهايم، المصدر السابق، 230.

بني تميم

ينتشر بني تميم في جميع أنحاء العراق. ويسكن منهم ثلاث مجموعات في الشمال الغربي، والشمال والشمال الشرقي من بغداد، وتسكن مجموعة في كربلاء وأخرى في السماوه[1]. وكان بنو تميم في القرن الثامن عشر يشكلون جزءاً من منتفق البصرة، لكنهم في هذه الأثناء ذابوا في أجزاء أخرى من هذا المجمع. يضاف إلى ذلك قبيلة "السعد أو بنو تميم" التي تظهر في خريطة ما بين النهرين الأسفل قرب الكوت[2] ـ المجموعات الشمالية الثلاث تربطها علاقات قربى وثيقة كما يتضح من أسماء فروعها. وهم يستعملون صيحة الحرب "دارم" "دُرُوم"[3] ويرتبطون بالتالي مع الدارِم (راجع الصفحة 244 أعلاه)، ولعل سعد ترتبط مع ذلك الفرع من تميم القديمة الذي يحمل الاسم نفسه (نفس المصدر). ولكننا نتساءل: "كيف؟". إذ إن هؤلاء ورد ذكرهم أمام البصرة آخر مرة في نهاية القرن التاسع وفي خوزستان «عربستان» المجاورة في نهاية القرن العاشر، بينما تعود أول أخبار القبيلة

(1) الجدول ب(*). ملحقون بالحكيم «بالحچيم» ملحقون 2، فربما هم بقية من أولئك البني تميم الذين ذكرهم بيترز، نيبّور، جـ1، 267، كبدو رحل يربون الأغنام ويتنقلون بين الغراف والدغارة؟.

(*) جدول ب في حكيم لا يوجد بينهم تميم وكذلك جدول ب في تميم ليست ملحقة بحكيم لذا أعتقد أنه خطأ مطبعي (م. شبّر).

(2) النص، على الأقل في الطبعة الألمانية اللاحقة عام 1917م: فيمين.

(3) عزاوي في حديث عام 1939م.

الجديرة إلى القرن الثامن عشر. ولو كان بنو تميم قد عملوا في هذه الأثناء في مكان ما في الزراعة وأصبحوا فلاحين، أو لو عاشوا عند قبيلة غريبة، فكيف كانوا سيستطيعون العودة فجأة إلى البداوة وإلى تقاليدهم القديمة؟ وقد طرح لونكريك، في ص277، هذا السؤال أيضاً: "قد تكون مجموعة غامضة من الرعاة قد حملت الاسم العظيم قحطان أو تميم. . . "، ولكنه تركه دون حل. ولذلك فإنني أميل إلى اعتبار بني تميم من المهاجرين الحديثين الذي ينتسبون إلى تميم نجد المستقرين الذين يوجد بينهم "سعد" (الجدول 3) و «دارم». وفي حالة واحدة يبدو لي هذا الأصل أكيداً: لدى تمايم كربلاء (الجدول: زقاريط 7).

بينما نجد بني تميم في كل مكان ملتحقين بمجمعات غريبة، فإنهم يشكلون في الشمال ثلاث قبائل مستقلة: في هور عقر قوف، وعلى الدجيل، وعند بلدروز. ومن الممكن أن يكونوا في القرن الثامن عشر ما زالوا متحدين. إذ إن نيبور (1765م) لا يعرف تميم إلاّ على نهر ديالى[1]. ولكن يجب أن يكونوا قد انفصلوا بعد ذلك بوقت قصير. ذلك أن بني تميم كانوا مقيمين في هور عقر قوف منذ زمن طويل عندما نفّذ علي رضا باشا (1832م ـ 1842م) عملية الاستيطان الجديد للهور التي ذكرناها في الصفحة 533 أعلاه.

بنو تميم عقر قوف أكبر بكثير من ناحية العدد من المجموعتين الأخريين. ولكن الأمر لم يكن دوماً على هذا الشكل؛ عام 1850م كانت كل قبيلة تتألف من 200 ـ 300 خيمة. ومنذ ذلك الوقت إلى الآن ارتفع عدد بني تميم في الهور إلى أكثر من 1500 خيمة. ويفسر هذا التزايد غير العادي بأنهم قد ضموا إليهم بعض المجموعات القبلية الصغيرة التي كانت تعيش في الهور[2]. كما أن قبيلتي الهور الأخريين البطة والعقيدات «العگيدات» خاضعون لنفوذ بني تميم إلى درجة أنهما كانتا تحسبان منهم.

---

(1) نيبور، البلاد العربية، 390. وهكذا أيضاً قائمة شبرنغر رقم 121. ليس معروفاً أين كان بنو تميم يسكنون عندما شنت ضدهم الحملة التأديبية التي تتحدث عنها «دوحة. .»، 300 وما بعدها. ولكنهم على أي حال لم يكونوا بعيدين عن بغداد.

(2) يعدّون معاً 738 خيمة، خورشيد 219.

بنو تميم فلاحون لكنهم يربون أيضاً الأغنام وبعض الجمال التي يرحلون معها في الربيع نحو الشمال إلى الجزيرة. الميل إلى السطو والسلب ليس غريباً عنهم، لكنهم لا يمارسونه بسبب قربهم إلى العاصمة إلا ضمن حدود وفي أوقات الفوضى العامة وغياب الأمن، على سبيل المثال بعد انسحاب الأتراك من بغداد (11/ 3/ 1917م) وخلال الثورة العراقية عام 1920م. في الماضي لم تكن علاقتهم مع جيرانهم الزوبع والدليم على أحسن ما يرام. إلاّ أن خلافاتهم الحدودية مع زوبع سويت خلال الحرب العالمية الأولى بوساطة سلطات الاحتلال البريطانية[1]. يعتنق بنو تميم المذهب الشيعي.

وقف شيخ بني تميم حسن السهيل منذ البداية إلى جانب الإنجليز وظل متمسكاً بهذا الموقف على الدوام. وهو نائب في البرلمان وتربطه صداقة شخصية مع ولي العهد عبد الإله.

يعيش بني تميم الدجيل حياة مشابهة لحياة أخوانهم في عقر قوف. وتمتد منطقتهم على دجلة من الحي (مقابل السندية) إلى المداورة وتصل في الداخل إلى الدجيل. ولقد عبر جزء من القبيلة دجلة منذ زمن طويل وخيّم بين الدلتاوة والعظيم[2]. بنو تميم الدجيل منقسمون من الناحية الدينية: البو حشمة سنّة والفروع الأخرى شيعية. وكان الأتراك يحابون البو حشمة كونهم أخوتهم في العقيدة ولذلك ظلوا مؤيدين للأتراك، حتى بعد احتلال الإنجليز لبغداد، إلى أن اعتقل شيخهم حسين.

من ناحية القوة القتالية يتفوق بني تميم بلدروز على المجموعتين الأخريين تفوقاً كبيراً. فقد أرسلوا عام 1915م نحو 100 رجل إلى الجهاد، وقاتلوا في يوليو/ تموز 1917م بقيادة حمود الحسن ضد الإنجليز عندما زحفوا إلى بلدروز. صحيح

---

(1) ريفيو، 144.

(2) جونز، 109، 113 وما بعده،؛ ماكس فرايهرفون أوبنهايم، من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، جـ 2، 231 وما بعدها.

أن عدة شيوخ من تميم استسلموا في الأسابيع التالية، لكن حمود نفسه ظل صامداً إلى أن جعل تقدم الإنجليز في أكتوبر/ تشرين الأول إلى جبل حمرين كل مقاومة بلا جدوى[1].

وجدت حملة التعبئة والتحريض التي سبقت الثورة العراقية أذناً صاغية، طبعاً لدى بني تميم. في يوليو/ تموز 1920م اقتحموا ثكنة شهربان وقتلوا الجهاز الإداري الإنجليزي[*]. ولم يكن الشيخ حميد موجوداً عند الهجوم، لكن جاء بأقصى سرعة إلى شهربان وحرص على معاملة الأسرى معاملة حسنة الذين كانت بينهم امرأة هي أرملة الضابط المقتول زتون بوكانان[2]. وعندما جاء الإنجليز في سبتمبر/ أيلول لإعادة احتلال منطقة ديالى تصدى لهم الشيخ حميد على رأس بني تميم لكنه اضطر في النهاية إلى التراجع أمام التفوق الإنجليزي.

يقيم بني تميم رئيسية على قناة روز لكنهم يمتدون في الشمال في ناحية الهارونية المجاورة وفي الغرب إلى شهربان وفي الجنوب الغربي إلى مهروت، ويبدو أنهم يغيّرون كثيراً أماكن عملهم ضمن هذه المنطقة.

---

(1) قارن ريفيو، 46.

(*) كان من بين البريطانيين الخمسة الذين قُتلوا في القشلة مهندس يعمل في الري اسمه الكابتن بوكانان، وكانت معه زوجته واسمها زتون وقد تمكنت هذه المرأة أن تتسلل من القشلة على أثر مقتل زوجها، وذهبت إلى بستان مجاور واختفت تحت الظلام إلى أن عثر عليها ابن عبدكة الشقي المشهور وكان من المشاركين في ثورة شهربان فأخذها إلى بيت الشيخ مجيد وهو ابن عم الشيخ حميد الحسن..

المصدر: (لمحات اجتماعية، جـ5، القسم 2، ص40، علي الوردي).. (م. شبَّر).

(2) زتّون بوكانان: في أيدي العرب (Z.Buchanan, In the Hands of the Arabs) 113، 116 وما يليها، 183 وما يليها، 211، 229.

بنو تميم(1)

أ ـ بني تميم في هور عقرقوف(2)

شيخ المشايخ: حسن السهيل

عدد الخيام: 1600

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المصالحة(*)	حسن السهيل		
2 ـ الطحّاج(* *)	ابن سلطان(3)		
3 ـ الشمامطة(4)			
4 ـ السميلات(5)			

ب ـ بني تميم الدجيل(6)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العتاتبة(7)		عتاب	175
2 ـ البو حشمة		الخضيرة	250
3 ـ البو حسان(8)			50

(*) فروع المصالحة هي:

1 ـ بو صبره.

2 ـ بو طعمة ويتفرعون إلى البو ريشه، البو حرامي، البو إسماعيل (زيني)، البو نجم، البو تايه. 3 ـ البو حمد 4 ـ الشهابات 5 ـ البو حسان. (م. شبّر)

(**) فروع الطحّاج ويرأسهم محمد السلطان وأخوه حاتم.

1 ـ البو نهار ويتفرعون إلى: البو وهب، البو مطرود، البو خان، البو حاچم، الرؤساء.

2 ـ البو محمد. 3 ـ گصاعمه. العزاوي عشائر العراق ج4 ص217 ـ 221. (م. شبّر)

ج ـ بني تميم البلدروز(9)

شيخ المشايخ: حميد الحسن

عدد الخيام: 800

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المصالحة(10)			70
2 ـ العتاتبة			
3 ـ البو فرج			240
4 ـ البو حيّاص(11)			80
5 ـ العقيدات(*)			30

ملاحظات حول الجداول

1 ـ تعود إلى 1916م. تمت إعادة النظر مجدداً بأسماء المشايخ.

2 ـ خورشيد 195، 200 (300؟) خيمة، 219 (فلاحين مسجلين): 120 خيمة، جونز ص 381: 300.

3 ـ عائلة شيوخ واسعة النفوذ.

4 ـ سالنامه، 249.

5 ـ خورشيد، 196، يعتبرهم قبيلة مستقلة بـ 30 خيمة، 218 (فلاحين مسجلين): 15 خيمة.

6 ـ خورشيد 215 (فلاحين مسجلين): 70 خيمة: جونز 384: 250 خيمة.

(*) لدى العزاوي العبيدات. (م. شبّر).

موزيل، الفرات الأوسط 139، يذكر فخذين إضافيين: الشريفات والثامر.

7 ـ موزيل: "عطاطية".

8 ـ موزيل: "البو حسن".

9 ـ خورشيد، ص 209، 211 (فلاحين مسجلين): 150 خيمة يضاف إليها 40 في منطقة شهربان، و20 في مهروت، جونز ص 385: 300 خيمة، سالنامه ص 265 وما بعدها 100 خيمة، يضاف إليها 250 في منطقة الهارونية، و250 في منطقة مهروت.

10 ـ سالنامه 265: 30 خيمة في شهربان.

11 ـ سالنامه 265: 50 خيمة في الهارونية، 50 خيمة في شهربان. يبدو أنهم صاروا يعتبرون مؤخراً قبيلة مستقلة.

الخزرج[1]

في نفس المكان الذي يتحدث فيه ابن خلدون عن ربيعة البطايح (انظر الصفحة 507 أعلاه) ترد الجملة التالية: «يوجد لديهم خليط من عائلات الأوس والخزرج». تعود هذه المعلومة، على الأرجح، إلى عام 1250م حيث كان ابن سعيد، رجل ابن خلدون الموثوق، يقيم في بغداد. وللأسف وردت هذه الجملة في النص بصورة معزولة تماماً. ولم نسمع بالخزرج مرة أخرى إلا في القرن التاسع عشر[2]. تسكن مجموعة منهم على الدجيل ومجموعة أخرى على دجلة الأدنى[3]. وعلى الرغم من ذلك فمن الممكن جداً أن يكون هؤلاء الخزرج الجدد أحفاد خزرج العصور الوسطى. إذ إن سكوت المصادر عن ذكرهم لا يصلح، وحده، دليلاً ضد استمرار القبيلة. أمّا أن تكون المجموعتان من أصل واحد فهذا أمر لا شك فيه إطلاقاً. إذ إن تمزق القبائل بهذا الشكل في العراق أمر منتشر على نطاق واسع ـ المأخذ الأكبر يتبدى ضد اعتبار الأوس والخزرج العراقيين هم نفس قبائل الأوس والخزرج الذين كانوا في المدينة قبل الإسلام. إذ إن هؤلاء أخذوا، أولاً، كما هو معروف اسم الأنصار، بعد الإسلام، وثانياً أن الأنصار الذين هاجروا

(1) أيضاً خزرج؛ جونز، 379، 384؛ خورشيد، 88.

(2) لم يعد من الممكن العثور على أي أثر للأوس.

(3) سنصادفهم مرة أخرى في مقال "بني لام".

إلى العراق لم يشكلوا مجموعات مغلقة. بل إن الأمر يتعلق، على الأرجح، بتشكيلات جديدة كما هو الحال مع قريش«گريش» (ربيعة) وكنانه (بني لام). ولقد بقيت عند البدو أسماء القبائل القديمة كأسماء للأشخاص كما هو الحال، على سبيل المثال، مع قريش لدى عقيل (انظر الصفحة 305 أعلاه).

كان خزرج الدجيل في منتصف القرن الماضي يعمل جزء منهم في الزراعة في المنطقة المروية. ويعمل جزء آخر في الرعي في المراعي المجاورة[1]. وما زالوا محافظين على طريقة الحياة هذه حتى اليوم. تسكن الجماعات المستقرة من القبيلة في سميكة وقرب بلد. وتقيم القبيلة الفرعية البو حيدر في جزيرة في نهر دجلة وعلى الضفة اليسرى للنهر.

كان الخزرج في السابق يعتنقون المذهب الشيعي على الرغم من أن جيرانهم آنذاك كانوا سنيين[2] ـ وهذا دليل آخر على أنهم جاؤوا من العراق الأسفل الذي كان منذ القدم موطن الشيعة. أمّا اليوم فلم يعد سوى الجزء البدوي من الخزرج شيعياً، بينما تحوّل الجزء المستوطن تحت تأثير الوسط المحيط به إلى السنّة.

خلال الحرب العالمية الأولى ظل شيخ البدو الرُحّل قيس بن حسين وفياً للأتراك. وبعد احتلال بغداد (11/ 3/ 1917م) شنّ حملات تشليح ضد قوافل النقل الإنجليزية وقتل شيخ الخزرج المستوطنين إبراهيم الفدعان الذي كان قد خضع للإنجليز.

تعيش مجموعة من القبيلة منذ زمن طويل في خراسان، في محافظة ديالى الحالية.

(1) انظر أيضاً بخصوص التالي، جونز، 232، 242.

(2) المشاهدة ما زالوا كذلك حتى اليوم، وبنو تميم جزئياً ـ سميكة مقسومة أيضاً، بلد: شيعة؛ موزيل، الفرات الأوسط، 139.

الخزرج

أ ـ خزرج الدجيل(1)

منطقة التجول: سميكه ـ بلد

عدد الخيام: 200 يضاف إليها 150 خيمة ثابتة أو بيتاً

ب ـ خزرج خراسان(2) «خريسان»

المنطقة: نهر مهروت

عدد البيوت: 60

ملاحظات

1 ـ تعود إلى عام 1916. تلفت أسماء الأفخاذ ضاعت بسبب القصف الجوي. جونز، 384: 130 خيمة، خورشيد 214 (فلاحين مسجلين) 100.

2 ـ سالنامه، 263 على نهر خراسان: خورشيد 209، على المهروت، أيضاً 60 بيتاً.

المجمع(*)

يعيش المجمع إلى جوار الخزرج وبني تميم الدجيل من جهة الشمال والغرب. ولا يوجد أي معلومات أكيدة عن أصل هذه القبيلة. ويرى جونز، 267، أن المجمع نشأوا، كما يشير اسمهم، من اتحاد مجموعات مختلفة، بعضها عبارة عن قبائل صغيرة لم تكن تستطيع حماية نفسها لوحدها، وبعضها الآخر لاجئون فروا هرباً من ثارات الدم أو من ضغط الحكومة. ومما يؤيد هذا الرأي أن المجمع يسكنون على الحدود بين مناطق الرعي والمناطق الزراعية؛ مثل هذه الأماكن يأوي إليها عادة الناس الخائفون من الملاحقة.

من ماضي القبيلة يروي الدكتور روسّ[1]، الذي مرَ عام 1836م في منطقة الدجيل خلال رحلته إلى الحضر، الحادثة التالية: «لقد أُبيد المجمع إبادة كاملة تقريباً على يد عمر باشا بغداد (1764م ـ 1774م) بالتعاون مع العبيد وعزة في معركة جرت قرب مهيار (إلى الجنوب من تكريت، مقابل تفرع النهروان). كانت تلك

(*) لا يستعمل اسم مجمع على عشائر تحالفت إلا في هذا الاستثناء، يذكر العزاوي في عشائر العراق حول أصل اسم مجمع أنها سبع عشائر تجمعت وتحالفت في محل يقال له تل جبارة عن أن يكونوا يداً واحدة. ويؤكد الشيخ حسين الشعلان ذلك وإنه لا يطلق في العراق إسم مجمع إلا في هذا الموضع. (م. شبّر).

(1) مجلة الجمعية الجغرافية الملكية ـ لندن، 1839، 447.

المعركة من أكثر المعارك دموية التي خاضها العرب ضد الأتراك. وقد حدثنا رجل كبير في السن أن المرء كان لم يزل يرى هناك حتى قبل عامين قطعاً من الجثث والملابس المتناثرة.

ومما يثير الاستغراب أن المؤرخين البغداديين الذين يسجلون بمنتهى العناية جميع الحملات والرحلات البدوية لا يعرفون شيئاً عن هذه الواقعة. ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن الرواية مختلقة، من الممكن أن يكون روسّ قد فهم القصة خطأً أو بادل أدوار المشتركين فيها. ومهما يكن من أمر فإن هذه القصة لا تتيح بأي حال استخلاص فكرة عن قوة القبيلة آنذاك؛ إذ إنه من الممكن جداً أنها كانت في أزمنة سابقة تعيش في الظروف المتواضعة التي عاشت فيها في القرن التاسع عشر[1].

كان الأتراك يعاملون المجمع معاملة سيئة. فقد كان الشيخ أحمد الطاهر، الذي قابله روسّ عام 1836م، فقد بصره بسبب طلقة من باشي بزق[2] لأنه لم يتحمل قيام الجنود بمضايقة نسائه. وبعد عشرين عاماً ونيف ـ وكان قد أصبح عجوزاً ـ زج في سجن بلد بسبب مخالفة طفيفة وظل فيه إلى أن حرره جونز. ولذلك كان المجمع يتحاشون قدر الإمكان الاحتكاك بأجهزة الحكومة. فإذا ما رأوا أن ما يطلبه منهم ضابط سميكة، الذي كان يؤجر الأراضي في المنطقة المروية، مرتفعاً جداً، كانوا ينسحبون إلى البادية ويكتفون بما يحصلون عليه من قطعانهم. ولم يكونوا يقومون بعمليات السلب والنهب بالقوة، بل كانوا يتبعون القوافل عدة أيام أو ينسلّون خلسة في مخيمات القبائل المجاورة لكي يسرقوا[3].

في هذه الأثناء أصبح مجمع الدجيل فلاحين مسالمين. أمّا أخوانهم المقيمين

(1) نيبور، بلاد العرب آرابيين، 390، يذكرها بين القبائل التي كانت تسكن بين بغداد والموصل؛ روسو (1808) 71، يذكرهم بين فلح دجلة قرب بغداد.

(2) جنود غير نظاميين كانوا مكروهين بسبب سوء أخلاقهم، ويعترف بذلك أيضاً كتاب أتراك معاصرون، قارن على سبيل المثال: خورشيد، 101.

(3) روس، نفس المصدر السابق؛ جونز، 257، 267 وما يليها.

على الجانب الآخر من دجلة ـ كما هو الحال لدى الخزرج وبني تميم ـ فإن المجمع أيضاً ممثلون في خراسان/ ديالى ـ فقد حافظوا على عادات السلب والنهب التي كان يمارسها أسلافهم.

المقادمة، الذين يحسبون اليوم مع المجمع، هم بقية من بني جميل[1]، إلا أن المجموعة العراقية الشرقية من هذه القبيلة والتي هاجرت 1838م/ 1839م إلى فارس «إيران» تضم جماعة تحمل الاسم نفسه[2].

المجمع

أ ـ مجمع الدجيل(1)

الشيخ: .... (2)

منطقة التجول: الضفة اليمنى لدجلة من بني سعود حتى صدر الدجيل

عدد الخيام والأكواخ: 450

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العذية			100
2 ـ الطعيمة			60
3 ـ القسات(3) «الجسات»			30
4 ـ الغضيب(4)			20
5 ـ الرواشد(5)			
ملحقون بهم:			
6 ـ المقادمة(6) «المگادمة»		السميكة	100

(1) قارن ص 536 أعلاه.

(2) خورشيد، 90.

ب ـ مجمع خراسان/ديالى(7)

الشيخ: علي صالح الهندي(8)
المنطقة: نهر خراسان «خريسان»: دلتاوة ـ محمد سكران
عدد الخيام: 200
ملحق بهم: المقادمة «المگادمة»

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م. قائمة موزيل. الفرات الأوسط، 140، تتضمن الفروع 1 ـ 4. الحجم: حسب جونز، 389: 200 خيمة. حسب خورشيد 215 (فلاحين مسجلين، أيضاً كما هو موجود في الملاحظة التالية): 80 خيمة قارن أيضاً من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، ج2، ص 229 ـ 231.

2 ـ 1916م: محمد المهدي، شيخ العذية (1).

3 ـ بيانات موزيل: الدسات.

4 ـ موزيل: الغضب.

5 ـ روسو؛ 71، يعتبرها قبيلة مستقلة. وأيضاً المنشي البغدادي (1822م)، 35، 82.

6 ـ جونز 384: 150 خيمة، خورشيد 214: (100). الاثنان يعتبرانها مستقلة. موزيل، 127، 137 يحسبها خطأً مع الزوبع.

7 ـ يذكر خورشيد صفحة 208، 200 خيمة في نهاية نهر خراسان «خريسان» وصفحة 213: 70 خيمة في الخالص أيضاً في السالنامه 263 وما بعدها.

8 ـ 1916م: والده صالح الهندي.

بني زيد

ينتشر بني زيد في أماكن متباعدة في العراق شأنهم شأن بني تميم، وهم مثل هؤلاء ملتحقون بتجمعات غريبة. ولقد مرَ معنا في هذا الفصل ثلاث مجموعات منهم: الأولى مع زوبع. على نهر أبو غريب، والأخرتان في الجزيرة تابعتان لزبيد وربيعة[1]. وهناك مجموعة رابعة موجودة على العظيم عند عبيد[2]، وخامسة عند المنتفق (ب 4)؛ وقد جاءت هذه الأخيرة إلى هناك بعد 1850م. وهناك مجموعة واحدة فقط مستقلة تماماً هي: بني زيد ديالىٰ.

خلافاً لبني تميم يقيم بني زيد العراق الأعلى علاقات وثيقة فيما بينهم. وهم يعتنقون المذهب السني، وأيضاً أولئك الموجودون في الجزيرة أي الذين يعيشون في وسط شيعي، وينتسبون إلى قحطان. ولذلك من المرجح أن تكون لهم روابط مع بني زيد العرب الذين هم أيضاً من عرب الجنوب[3].

---

(1) انظر الجدول زوبع، ب، ملحقة، 16؛ الجدول زبيد، ملحقة؛ الجدول ربيعة، آ، ملحقة.

(2) يفترض أنها تضم 500 خيمة. وهذه المجموعة يمكن أن تكون نفس مجموعة بني زيد المذكورين في المصادر القديمة في ناحية كفري؛ خورشيد، 227: القبيلة الفرعية عبابسة، 60 خيمة (فلاحون مسجلون)؛ جونز، 385: 100 خيمة؛ لوكلاما آنيجهولت (Lycklama a Nijeholt)، رحلة، جـ3، 220 وما بعدها: 510 خيام، صيحة الحرب: العُمر!.

(3) انظر مقال: قبائل مستقرة في الفصل السابق، قارن موريتس، جنسية قبائل آرومو في جنوب شرق بابل، باول ـ كتاب تذكاري عام، Paul - Haupt - Festshrift 184 - 211 .

بعد أن نحيل القارئ بخصوص بقية المجموعات إلى المراجع التي ذكرناها أعلاه، نلتفت الآن إلى بني زيد ديالى. وقد ورد ذكرهم لأول مرة عند خورشيد، 209، وذلك على روز (الفرعان قحطان وحمالة مع 50 مسكناً) وعلى المهروت (فرع الرواشد، 40 مسكناً)[1]. ومنذئذ تزايد عددهم كثيراً إذ يقدر عدد مساكنهم الآن بـ 400 مسكن. وهم، شأنهم شأن كثير من قبائل ديالى الصغيرة، عمال زراعيون متنقلون. كانوا قبل الحرب العالمية الأولى يقيمون بصورة رئيسية في ناحية بعقوبة. وخلال الحرب انتقلوا إلى الروز حيث ما زالوا مقيمين حتى الآن.

(1) فلاحون مسجلون. في القوائم نفسها تظهر أيضاً جماعات صغيرة من بني زيد على مصب ديالى (رواشد)، وفي هور عقرقوف (المعاضيد وحمران)، وفي قره تبه (عبابسة) وبالقرب من هذه البلدة؛ خورشيد 207، 222، 219، 225ـ وهناك جماعة صغيرة من بني زيد توجهت إلى شمال سورية، قارن الجزء الأول ص (427 ـ 428) وما يليها؛ وجماعة أخرى إلى أورفه.

العزة

العزة قبيلة بلا تاريخ، فليس هناك أي ذكر لاسمها في كتب التاريخ، ولا يوجد حكايات متناقلة تتحدث عن ماضيها[1]. وهذا الأمر ملفت للانتباه بشكل خاص لأن العزة حتى الحرب العالمية الأولى كانوا ما زالوا بمعظمهم بدواً رحلاً، ومن المعروف أن البدو الرُحّل يهتمون عادة بالتقاليد وتناقل الحكايات.

تمتد منطقة تنقل العزة بين شط العظيم والخالص على خط يمتد من عيط (جبل صغير قبل جبل حمرين، على الجانب المقابل لشط العظيم) حتى دلي عباس «المنصورية» مروراً بالغرفا. على نهر الخالص يعمل العزة في الزراعة (فلاحون) وهم في الغرفا وعلى شط العظيم الأسفل نصف بدو رُحّل، وعند عيط مربو جمال. وهم منتشرون خارج هذه المنطقة أيضاً وفي مناطق بعيدة، منها مثلاً: قرب سامراء (البو محمد) وعلى قناة اليوسفية وفي المحاويل[2].

كان العزة في الماضي متخاصمين مع العنبكية[3]، جيرانهم على نهر

(1) حسب العزاوي في المنشي البغدادي، 35، فإن العزة هم من زبيد وأقرباء للجبور والدليم وعبيد.

(2) انظر الجزء الأول، 402، الملاحظة 7، 10؛ والجزء الثالث، الجدول زوبع، ب ملحق 1، الجدول زبيد ب4.

(3) انظر الجدول: قبائل صغيرة في منطقة ديالى، أ 2.

الخالص، ومع الكروية[1] والبيات[2].

في عام 1915م كان غضبان الخلف شيخاً لقبيلة العزة. وقد ظل مع الجزء الرُحّل في القبيلة وفياً للأتراك حتى بعد الاحتلال الإنجليزي بعقوبة، بينما وقف ابن أخيه علي عبد اللطيف إلى جانب الإنجليز. في صيف 1917م توفي غضبان فعيّن الأتراك الشاب حبيب الخيزران خلفاً له. وفي نهاية العام خضع حبيب أيضاً للإنجليز بعد أن كانوا قد احتلوا في الخريف خط ديالى. وهو الآن أقوى شيخ لدى العزة وأكبرهم نفوذاً، يليه عطية العبد الله. أمّا علي عبد اللطيف فقد توفي قبل بضعة أعوام. وكان ثلاثة من أبنائه في الجيش العراقي، وقد سقط أكبرهم سناً عام 1941م.

العزة(1)

شيخ المشايخ: حبيب الخزيران

منطقة التنقل: بين شط العظيم ـ الخالص

عدد الخيام: 1000

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ البواجود			
2 ـ البو طراز(2)			
3 ـ البو عواد(2)			
4 ـ البو بكر(2)			
5 ـ البو نجدي			

(1) انظر الجزء الأول، 404 وما بعدها.

(2) لم يسجلوا. البيات من أصل تركي، لكنهم مخلوطون بعناصر عربية وكردية. وهم يتكلمون اللغة العربية واللغة التركية. المنطقة: طوز خورماتو ـ كفري ـ قره تبه.

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916. عزاوي في المنشي البغدادي، 50، يذكر 1 ـ 4. خورشيد، 208، 210 وما يليها، 216، 218، 225 يذكر 200 فلاح مسجل على الخالص، و60 عند سامراء، وكذلك بعض الفئات الصغيرة عند طاووق وعلى خراسان ومهروت ومندلي. ومن الملفت للنظر أن العزة كان لها آنذاك 80 بيتاً في بغداد. سالنامه، 264 وما يليها، تسمي عزة فلاحي ناحية الخالص وتذكر على المهروت 50 خيمة وعند شهربان 15 خيمة.

2 ـ سالنامه، 264، تذكرهم في ناحية الخالص. والبو محمد المذكورون هنا أيضاً هو قسم من الفخذ الذي ورد في النص ويحمل الاسم نفسه.

الجبور

لم يذكر خورشيد ولا جونز الجبور في المنطقة الواقعة شرقي نهر دجلة. وهذا يعني أنهم هاجروا إلى هناك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر قادمين من أعالي ما بين النهرين. يتألف الجبور من ثلاث مجموعات يسكنون إلى جانب بعضهم البعض في جبل حمرين وعند شهربان وعند قزلرباط (السعدية).

تمتد المجموعة الأولى من منطقة قرة تپه عبر جبل حمرين وحتى ديالى عند منصورية الجبل. أمّا المجموعة الثانية فتجاور الأولى من جهة الجنوب وتعيش في شهربان وحنبس وأسبود ـ وهما قريتان تقعان على قناتين فرعيتين لنهر خراسان تحملان الاسمين المذكورين ـ وعلى سنسل، وهي قناة متفرعة من نهر مهروت، وعلى صدر الهارونية. وأمّا المجموعة الثالثة، وهي الأضعف، فتسكن في ناحية الزاوية الواقعة جنوب قزلرباط.

جميع هؤلاء الجبور مزارعون لهم أماكن سكن ثابتة. وكانت مجموعة جبل حمرين خلال الحرب العالمية الأولى لم تزل مجموعة محاربة قوية وقادرة على إرسال بضعة مئات من المحاربين الخيالة إلى ساحة المعركة. وكانت آنذاك تقوم عداوة بينها وبين الكروية[1] المجاورين لها. وجبور الشهربان لا يقلون عدداً عن أخوانهم في الشمال لكنهم ليسوا في مستواهم من ناحية القوة القتالية. والقبيلة

(1) انظر الجزء الأول، 525 وما بعدها.

الصغيرة المهدية خاضعة لنفوذهم.

الجبور(1)

أ ـ جبور جبل حمرين

شيخ المشايخ: عواد السلطان

منطقة التنقل: قره تپه ـ منصورية الجبل

عدد الخيام والبيوت: 300

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الجبور		شمال غرب منصورية الجبل	
2 ـ لهيب(2)		الضفة اليمنى نارين چاى	
ملحق بهم			
3 ـ بني عز(3)		شمال غربي قره تپه	

ب ـ جبور شهربان(4)

شيخ المشايخ(*): . . .

منطقة التنقل: شهربان: حنبس، أسيود؛ سنسل؛ صدر الهارونية

عدد الخيام والبيوت: 300 ـ 400

ج ـ جبور قزلرباط

الشيخ: حمد العنبر

منطقة التنقل: زاوية

عدد الخيام:

(*) المرعب هو الإسم الذي يطلق عليهم ورئيسهم عطية العبدالله ومنهم في صدور شهربان وفي الهارونية وفي قزلرباط (السعدية) رئيسهم على الوگاع. العزاوي ـ عشائر. ج3 ص81. (م. شبّر).

ملاحظات حول الجداول

1 ـ تعود إلى عام 1916م، أُعيد النظر بأسماء الشيوخ عام 1939م.

2 ـ قارن جدول زبيد آ، جـ 2، 4، الجزء الأول، 303.

3 ـ انظر الجزء الأول، 404 وما بعدها.

4 ـ سالنامه، 265 وما بعدها: 30 خيمة في ناحية شهربان، 30 خيمة في ناحية الهارونية، 100 خيمة على المهروت، 100 على ديالى وحنبس وأسيود، وأخرى على سنسل.

5 ـ سالنامه، 259(*).

(*) لا يوجد رقم لهذا الهامش في جداول الجبور. (شبَّر).

قبائل صغيرة في منطقة ديالى

تستغل مياه ديالى السريعة الجريان بواسطة شبكة من القنوات تبدأ مباشرة بعد اختراق النهر لجبل حمرين. على الضفة اليمنى نجد قناة الخالص التي تسير في مجراها الأعلى في نفس اتجاه ديالى وتروي الأراضي الواقعة على يمين النهر بواسطة كثير من القنوات الفرعية. وفوق الدلتاوه يتفرع الخالص إلى كثير من الفروع التي تصل تقريباً إلى دجلة وإلى مسافة قريبة من بغداد[1]. ومن الضفة اليسرى لديالى تتفرع قنوات بلدروز وشهربان والمهروت ونهر خراسان/ خريسان. تنقل القنوات الثلاث الأولى المياه من الشمال إلى الجنوب إلى مسافات بعيدة في عمق البادية، بينما يجري نهر خراسان «خريسان» موازياً لديالى ويكاد أن يلتقي معه تحت بعقوبة.

كانت المنطقة التي يرويها نهر ديالى تشكل في العهد العثماني ناحية خراسان التي أخذت اسمها من "طريق خراسان"، الطريق التي تؤدي عبر بعقوبة وشهربان إلى فارس، وهي تشكل اليوم لواء ديالى الذي يضم في الشمال منه ناحية خانقين مع قزلرباط/ السعدية، وفي الشرق ناحية مندلي.

---

(1) يسمى المجرى الأعلى من القناة "خالص غربي" (غربي تعني هنا "شمالي") ويسمى الفرعان الرئيسيان للمجرى الأسفل "خالص شرقي" و"التحويلة" التي تسمى أيضاً "المشيرية" و"الوزيرية"..

قارن سالنامة، 263.

يسكن على ضفاف قنوات ديالى أناس في غاية التنوع لا يقدم الجدول سوى صورة ضعيفة وناقصة عنه لأن جزءاً من تسجيلاتنا ضاع بسبب أضرار القصف الجوي، وإلى جانب الفلاحين الذين يسكنون بصورة رئيسية في القسم الأسفل من الخالص[1] يوجد هنا عدد لا حصر له من القبائل الصغيرة والجماعات القبلية المتفرقة.

لقد اختفى الزبيد الذين كانوا يسكنون في نهاية القرن السابع عشر على قناة مهروت (انظر الصفحة 411 أعلاه)، دون أن يتركوا بين سكان المنطقة أي آثار ظاهرة[2]. على عكس ذلك فإن بني تميم، الذين يذكرهم نيبور (1765م) على مصب ديالى، ما زالوا موجودين في هذه المنطقة. ولقد أثبتت قائمة شبرنغر رقم 125 وجود قبيلة أخرى عام 1818م هي العنبكية (أ 2). ولدى خورشيد، 1850م، يصبح جزء كبير من السكان الحاليين معروفاً. ومنذئذ انضم لهم مجموعتان جديدتان هما: الجبور، الذين تعرفنا عليهم سابقاً، والبو عامر (آ 4).

جاء البو عامر من أبو غريب جنوب غرب بغداد (راجع الصفحة 401 أعلاه). إضافة إلى هذا فقد حدث عموماً تبادل سكاني بين المناطق الواقعة على هذا الجانب أو ذاك الجانب لنهر دجلة، ومن الأمثلة على ذلك، علاوة على بني تميم، قبيلتا الدجيل الرئيسيتان الأخريان وهما الخزرج والمجمع، اللتان تعيشان على قنوات ديالى. وفيما عدا ذلك جاءت الهجرات بصورة رئيسية من المناطق الواقعة شرقي دجلة. وهكذا استوطنت مجموعات من شمر طوقة: الباوية والسكوك وعتبة (جـ 2، 3، هـ 6)، على المهروت والروز، وبعضهم منذ زمن بعيد.

---

(1) خورشيد، 179.

(2) الزبيدات والمعامرة (الجدول: زبيد آ) الذين تنسبهم سالنامه، 263، 265 (قارن عبد الرزاق الحسني، 179) إلى الهارونية وخُراسان، هم مهاجرون حديثون.

بسبب موقع المنطقة فمن المتوقع أن تكون جاءت إليها جماعات غريبة. وهذا ما حدث بالفعل. فالخيلانية (د 4) أكراد من منطقة إربل. والدهلكية (هـ 3) يعتقدون أنهم ينحدرون من عبادة (عقيل) لكنهم يحملون اسماً كردياً. وهناك مجموعة تبدو مشبوهة أيضاً. فهي تحمل الاسم العريق "قيس" وتضم قبائل الكروية[1]، والكرخية، والداينية، والجورانية (جـ 1، هـ 2، 4). ذلك أن الاسمين دايني وجوراني غير عربيين، والاسمين كروية وكرخية ليسا من أسماء القبائل. أمّا كيف حصلت هذه المجموعة على الاسم العربي العريق "قيس"، فليس معروفاً. ويبدو أن العنبكية هم من أصل تركي. إذ إن كلمة عنبكية هي تحسين قديم لكلمة عَنَه ـ بكلي أو بالأحرى عنبكي، وهذا اسم قبلي تركماني. وعنه هي الطريقة التركية في الكتابة أو بالأحرى للفظ اسم البلدة الفراتية عانه التي كان يوجد في محيطها حتى مطلع القرن السابع عشر قبائل تركمانية (انظر الجزء الأول، 108، 109). وكان عنبكية في بداية القرن الماضي مكلفين بحماية طريق دلي ـ عباس ـ كفري في جبل حمرين ولذلك كانوا معفين من دفع الضرائب العقارية[2]. وممن هم من أصل غريب بشكل واضح تماماً الشيشن (الشيشان) على قناة شهربان[3] وهم قوقازيون مسلمون صادفناهم في الجزء الأول (ص 113) كسكان لراس العين. وكذلك شيشان «چيچان».

باستثناء بعض جماعات شمر طوقة نصف الرُحّل، والدهلكية، والداينية، فإن جميع قبائل ديالى فلاحون. وبما أن كثيراً منهم يبدلون أمكنتهم كل عام أو خلال

---

(1) لقد عولجت الكروية، الذين يسكنون في جبل حمرين من قرة تپه حتى قزلرباط، في الجزء الأول، 404 وما بعدها.

ويقدر عدد مساكنهم بحوالى 400 ـ 500 مسكن. وممن يرد ذكره أيضاً في منطقتنا القبيلة الفرعية جمعيات التي تسكن، حسب خورشيد، 210، وسالنامه، 256، قرب شهربان ـ هاروتية.

(2) المنشي البغدادي، 52 وما بعدها.

(3) قارن سالنامه، 265.

فترات زمنية أطول ويعملون مرة على هذه القنال ومرة على تلك[1]، فمن الممكن اعتبارهم عمالاً زراعيين متنقلين. ولقد أدت هذه الطريقة في الحياة إلى تشتت القبائل بصورة لا تظهر بوضوح كامل في جدولنا. ويبدو أن بعض الوحدات التي ذكرت في القوائم القديمة قد فقدت في هذه الأثناء الطابع القبلي، ومن بينها على سبيل المثال: البو منعه[2] والقصيريين[3] على نهر الخالص الأدنى.

ملكية الأرض هي غالباً ملكية عامة، وعلى المهروت الأدنى منذ السلطان عبد الحميد ملكية للتاج السلطاني، وعلى الضفة اليسرى خراسان «خريسان» وقف تابع لجامع عبد القادر الكيلاني في بغداد. في العهد العثماني كانت حصص الفلاحين منخفضة جداً بشكل مؤلم. في خراسان لا يبقى للفلاحين بعد حسم البذار ودفع حصة الحرفيين المكلّفين بصيانة القنوات سوى خمسي المحصول. وإذا ما زادت المساحة على فدان[4] واحد يتدخل السركال يكون شريك وضامن في آنٍ معاً مما يؤدي إلى تخفيض حصة الفلاح إلى أقل من الخمسين. وعلى الخالص كانت السلطات المالية تملك حقوق المياه وكانت تأخذ من المالكين مقابل ذلك نصف المحصول بالإضافة إلى رسم الواسطة. وكانت هناك بعض القرى التي هجرها سكانها نتيجة لابتزازات الضمّانة ـ كانت جميع عائدات الدولة تعطى لأشخاص ـ وغارات البدو، بحيث أن السلطات المالية الحكومية كانت تلاقي صعوبة في إيجاد الفلاحين المستعدين للعمل بشروط مماثلة للشروط المطبقة في خراسان«خريسان».

---

(1) سالنامه، 262، ولذلك هناك تباين في المعلومات المتعلقة بأماكن السكن بين خورشيد وسالنامه وجدولنا.

(2) ماكس فرايهرفون أوبنهايم، من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي»، جـ 2، 233؛ في «رقا Ragga»؛ سالنامه، 264، خورشيد، 224: عند قره تپه.

(3) خورشيد، 213: في القرية التي تحمل الاسم نفسه؛ ماكس فرايهرفون أوبنهايم، نفس المصدر السابق، كسكان لقرية السواكن القريبة من بغداد. والسواكن هي أيضاً اسم قبيلة، خورشيد، 214؛ المنشي البغدادي (1822)، 35، 49.

(4) مساحة يزرع فيها طغار واحد (حوالى 32,5 سنتمتر = 1625,5 كغ) قمح أو 2 طغار شعير؛ خورشيد، 145؛ سالنامه، 262.

هكذا كان الوضع في هذه المنطقة عام 1850م (خورشيد، 145 وما بعدها، 179 وما يليها، 182). في بداية القرن الحالي كانت حالات الاستغلال السيئة جداً، قد زالت، لكن النظام الزراعي القروسطي يبدو أنه، استناداً إلى ملاحظة في سالنامه (162 وما بعدها)، ظل قائماً.

على الرغم من التنقلات الدورية المذكورة أعلاه فإن الوحدات الكبيرة لها مناطق نفوذ معيّنة. فعلى الخالص الأعلى تسيطر العزة، وعلى المهروت الكرخية والسكوك (شمر طوقة)، وعلى الشهربان الجبور، وعلى الروز بنو تميم الذين هم أقوى قبيلة في هذه المنطقة. تحت قيادتهم تصدت قبائل ديالى في ربيع 1917م للإنجليز الذين لم يصلوا بعد احتلال بغداد في البداية وحتى قبل احتلال بعقوبه لكنهم سعوا إلى كسب التأييد السياسي في المنطقة التي أخلاها الأتراك شرقي ديالى. ولم تتوقف المقاومة إلا بعد أن تجمع الإنجليز في منتصف يوليو/ تموز في كسب جزء من بين تميم والسكوك بحيث تمكنوا في الشهر نفسه من احتلال بلدروز ثم في سبتمبر/ أيلول رؤوس القنوات التي ظلت في يد الأتراك حتى ذلك الحين.

خلال الثورة العراقية انتعشت المقاومة من جديد. ففي ربيع 1920م بدأت تتكرر عمليات السطو على الطريق الكبيرة المؤدية إلى فارس. وبعد اندلاع الثورة (في تموز) هاجم الكرخية بعقوبة التي أخلاها الإنجليز بعد ذلك بوقت قصير، وسيطر العزة على دلتاوة. وبذلك أصبحت منطقة ديالى بكاملها تحت سيطرة الثوار. وفي الخريف بدأ الإنجليز باستعادة المنطقة التي فقدوها. احتلوا في البداية بعقوبة. وفي 6 سبتمبر/ أيلول بدأ التقدم على الطريق الكبير، وفي 8 سبتمبر/ أيلول هزمت القبائل شمالي أبو جزرة وتراجعت إلى مهروت. وبعد محاصرتهم من قبل الإنجليز فرَّ الجزء الأكبر من الثوار، حوالى 600 رجل. وبعد ذلك هزم أيضاً الشيخ حميد الحسن الذي ظل صامداً مع قومه بني تميم، ثم اضطر إلى التخلي عن القتال لأن قوات إنجليزية كانت في طريقها إليه قادمة من إيران عبر قزلرباط[1].

---

(1) ريفيو، 144، 147؛ زتّون بوكانان، في أيد العرب.

قبائل صغيرة في منطقة ديالى(1)

أ ـ على الخالص(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العزة(3)		دلي عباس	
2 ـ العنبكية(4)	حسن العبدال	الماجدية ـ الوندية	
3 ـ المجمع(3)		دلتاوة ـ محمد سكران	
4 ـ البو عامر		حميرة ـ الجديدة	
أ ـ البو غزلان(6)			75
ب ـ البو مسرة(7)			30
ج -		هور الراشدية	60
د ـ		خان بني سعد	95

ب ـ على قناة خراسان «خريسان»(8)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المجمع(5)	علي صالح الهندي	نهر خريسان	
2 ـ الخشالات			
3 ـ الجبور(9)		حنبس: اسيود	

ج ـ على المهروت(10)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الكرخية(11)	متعب الابراهيم(12)		350
	قسام الدقة	بهرز ـ بلدروز	
	قاسم الحسين السهيل(13)		
2 ـ الباوية(14)	محمود المسلم	بهرز ـ بلدروز	70
3 ـ السكوك (الزكوك)(15)	عبد الله الحسوني	على منحدر القناة	200
4 ـ الخزرج(16)			60
5 ـ بني تميم(17)			
6 ـ الزهيرية(18)			
7 ـ النعيرات(19)			10
8 ـ الجبور		قناة سنسل	

د ـ على قناة شهربان(20)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الجبور		شهربان: صدر الهارونية	60
2 ـ المهدية(21)			
3 ـ بني تميم(22)			
4 ـ الخيلانية(23)			

هـ ـ على قناة بلدروز (الروز)(24)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ بني تميم(25)	حميد الحسن	شمال بلدروز	800
2 ـ داينية(26)		الجنوب الشرقي بلدروز	130
3 ـ دهلگي(27)	شطب العباس		70
4 ـ جوراني(28)			30
5 ـ العوادل(29)			60
6 ـ العتبة(30)			100
7 ـ بني زيد			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م. الجدول، كما ذكرنا أعلاه، غير كامل. فهو لا يتضمن، مثلاً بني عز الذين ورد ذكرهم في الجزء الأول، ص 404 وما بعدها. وكذلك بني سعد وبعض المجموعات الصغيرة الأخرى.

2 ـ خورشيد 213 (فلاحين مسجلين ـ كذلك أيضاً فيما يلي) يذكر هنا القبائل 1 ـ 3، 4 آ. سالنامه، 264: 1 ـ 4، 4 ب للناحيّة، اليوم في منطقة الخالص. ولأن هؤلاء يصلون إلى العظيم فقد ذكرت السالنامه القبائل الموجودة هناك أيضاً، أي بعض أجزاء العزة والعبيد والصميدع. الصميدع ـ حوالى 200 خيمة ـ يعيشون في ظل النعيم في جبل حمرين. (انظر الجزء الأول، 388، 389 وما بعدها). يربون الأغنام والجمال ويقومون بعمليات النقل. ويظهر بعض المهاجرين الجدد لدى عبد الرزاق الحسني 179 وما بعدها: قرطان وشدادة، انظر الجدول، زوبع ب، الملحقين رقم 4، ملاك «ملاچ»، ربما ملاك وغيرهم، الملاك «الملاچ» هم بقارة

أو طي، انظر الجزء الأول ص370، ملاحظة 25.

3 ـ انظر صفحة 558 أعلاه.

4 ـ المنشي البغدادي، 52: عانة بيجي، خورشيد وللسالنامه: «عانه» عنه بيجلي بـ 150 خيمة (خورشيد). على خارطة ما بين النهرين (طبعة أولية)، بغداد. في 1917. ورد ذكر مخيم للقبيلة (في بيجي) شمال شرق دلتاوة.

5 ـ جدول المجمع ب.

6 ـ خورشيد 35 خيمة، يضاف إليها 15 في أبو غريب (ص: 217).

7 ـ حسب السالنامه موجودة إلى جانب البو عامر.

8 ـ خورشيد، 208، سالنامه جـ1، 263: 1، 2.

9 ـ الجدول، جبور ب.

10 ـ خورشيد، 209، يذكرها القبائل 1، 4، 5، 6، 8 (صفحة 266) سالنامه. 266 1 ـ 2 ـ 3 (شمر)، 6.

11 ـ خورشيد، 200 خيمة، سالنامه: نفس العدد، جونز 385: 300 خيمة بالقرب من قرّة تپه حيث يذكر خورشيد فقط 7 خيم للقبيلة.

12 ـ 1916م: والده إبراهيم البرغش.

13 ـ 1916م: والده حسين الشبل.

14 ـ الجدول، شمر طوقة 19.

15 ـ الجدول، شمر طوقة 17.

16 ـ الجدول، الخزرج ب.

17 ـ انظر الملاحظة 25.

18 ـ خورشيد: 70 خيمة، سالنامه: 100 ـ قيس، شيعة.

19 ـ سالنامه 265: 30 خيمة على الهارونية؛ خورشيد 207 وما بعدها، 222، 225 يذكر تحت اسم بني نعير في خراسان «خريسان» (45 خيمة) وفي ديالى السفلى (22؟) بالإضافة إلى أقسام في الحلة وقرة تپه.

20 ـ يذكر خورشيد في منطقة شهربان القبائل 2، 3، 4. سالنامه 265: 1، 2، 4، وضمنياً 3 (قارن أعلاه الملاحظتين 10 و11 مع جدول بني تميم).

21 ـ خورشيد، 60 خيمة. سالنامه: 30 وأخرى في سنسل.

22 ـ انظر صفحة 542 وما بعدها أعلاه.

23 ـ خورشيد (خيلاني): 30 خيمة. سالنامه: 25 السالنامه تذكرهم أيضاً في خراسان.

24 ـ خورشيد 209 يذكر القبائل 1 ـ 4. سالنامه 265: 1 و5.

25 ـ الجدول بني تميم. يتضمن عدد الخيم جـ5 و د3.

26 ـ خورشيد: 100 خيمة يضاف إليها 30 في جصّان (ص: 211) سالنامه 300.

27 ـ خورشيد: 50 خيمة. سالنامه: 100 و50 خيمة لمجموعة أخرى من القبيلة تقطن في قرة تپه. وقد سبق أن ذكرت من قبل خورشيد، 227.

28 ـ خورشيد: غوراني (في النص جوراني) بلفظ (ج) بدلاً من (غ) 20 خيمة. سالنامه: 50. ويرد ذكرهم في السالنامه أيضاً في المهروت 90 خيمة ويبدو أن الجورانية قد سكنوا سابقاً بعيداً في الجنوب الشرقي. لأن لايارد JRGS (1846)، 45، يذكرهم (جورانية حسب اللهجة المحلية) ضمن قبائل بني لام.

29 ـ سالنامه: 30 خيمة ومثلها في مندلي (ص: 254). ـ في الأصل نسبة إلى شمر طوقة.

30 ـ الجدول شمر طوقة 3 «ص523 أعلاه».

قبائل صغيرة عند أسفل الجبال الإيرانية

كما هو الحال في منطقة ديالى تقدم أيضاً أطراف الجبال الإيرانية المأوى لعدد من القبائل الصغيرة وأجزاء القبائل المتفرقة. ويتجمع هؤلاء حول المستوطنات الثلاث القديمة قزلرباط، ومندلي، وبدره[1]. تحصل قزلرباط على المياه من ديالى، ومندلي من آب گنگير[2] الذي يتفرع في نطاق البلدة إلى كثير من الفروع والقنوات التي تتحد مرة أخرى عند واحة قزانية/ جيزاني، التي تقع على مسافة ساعتين نحو الجنوب، وتروي ناحية دحلة الواقعة على النهر نحو الأسفل. تروى بدرة والزرباطية المجاورة لها من نهرين جبليين صغيرين يتحدان في مجرى واحد عند الحدود الفارسية. وهنا أيضاً يوجد فوق المجرى المتحد وتحته عدد كبير من القنوات والتفريعات التي تمتد إلى الجنوب متجاوزة قرية جصّان[3] الواقعة في عمق البادية. بين فبراير/ شباط ويوليو/ تموز تملأ مياه آب گنگير ونهر بدرة ونهر ترساق[4] الواقع بينهما، الأهوار الكبيرة الواقعة شمال الكوت، بينما تغور في البادية الوديان الصغيرة ـ التي تسمى هنا خر ـ بعد أن تجري مسافة قصيرة فقط. وجميع هذه الأنهار تحتوي مياهها على الأملاح بنسب متفاوتة.

(1) لم تذكر قبائل خانقين. من القبائل العربية يوجد هنا (وعند قزلرباط) الكروي (الكروية). أما بنو تميم الذين يذكرهم خورشيد، 130، قارن 212 أيضاً، فلم يعد لهم وجود هناك.

(2) اللفظ المحلي، اللفظ الأدبي: جينجير.

(3) الأتراك يكتبون جسّان. لم تسجل قبائل جصّان.

(4) حسب خورشيد، 105؛ أدبياً ترساق.

يشكل سكان الأماكن المذكورة خليطاً تغلب عليه الأصول الإيرانية (الفرس، الأكراد، اللوريون). في الأصل كانت توجد هنا مستوطنات تركية (قبل العثمانية) كما هو الحال الآن في مدن الطرف الشمالي من إربل حتى كفري؛ إذ كان الناس يتكلمون في قزلرباط حتى بداية القرن الحالي، وفي مندلي ما زالوا يتكلمون حتى الآن، اللغة التركية (إلى جانب الكردية واللورية والفارسية والعربية، بينما في بدرة طردت اللغة اللورية اللغة التركية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر[1].

أمّا في أوساط السكان القبليين فيطغى العنصر العربي إلى حد كبير وإن كانت العوامل الإيرانية موجودة أيضاً. فالزرقوش، الذين كانوا قبل الحرب العالمية الأولى يسكنون قرب قزلرباط[2]، هم من ناحية الأصل فيلي ـ لورين، والقره أولس، الذين يمتدون من إيران حتى مندلي، هم تركمان تحولوا إلى أكراد[3]. أمّا المعلى (ب 11) والحمد (جـ 1) فيشتملون على عناصر كردية ولورية.

من المعروف أن الجزء الغربي من هذه المنطقة ـ تقريباً حتى خط بلدروز ـ مندلي ـ يقع في نطاق المنطقة التي تتنقل فيها شمر طوقة. وكما على الروز فقد استوطنت في الأوقات الأخيرة عند دحلة أجزاء من هذه القبيلة.

في القرن الماضي كان بنو لام، الذين يتمركزون بصورة رئيسية على دجلة الأسفل، يتنقلون حتى مسافة قريبة من مندلي. وكانت أجزاء من هذه القبيلة القوية قد استوطنت في حوالى عام 1850م على نهر ترساق، مما أزعج شيخهم الذي خشي أن يؤدي ذلك إلى إضعاف سلطته[4]، وكان محقاً في ذلك كما سيتبين في وقت لاحق. إذ إن القبائل الثلاث التي انبثقت عن بني لام، والتي تسكن بين آب تلخ[5] وبدره،

---

(1) قارن خورشيد، 103، مع سالنامة، 282.

(2) هربوا من الأتراك في نهاية الحرب إلى مندلي.

(3) راجع الصفحة 340، 341 أعلاه.

(4) خورشيد، 106.

(5) جدول مائي جبلي يصب في آب گنگير، فوق ترساق.

وهي المعلى، والحمد، والطعان (ب 11، جـ 1، 2)، قد أصبحت الآن مستقلة تماماً. وقد انضم إليهما بعد عام 1918م قبيلتان أخريان هما: الرحمة والخميس.

أمّا بقية القبائل فكانت، فيما عدا بعض الاستثناءات القليلة، تعيش عام 1850م في هذه المنطقة. وفيما يتعلق بأصلها فإن بعضها جاء من الغراف نحو الأعلى ومنها ربيعة (أ 1) والمياح (ب 5). لكن أكثرية القبائل جاءت من مناطق بعيدة. يبدو أن النده (النداوات) (ب 1)، أهم القبائل القديمة في مندلي، جاؤوا من منطقة سامراء وكذلك بني ويس (أ 2)[1]. وجاء البو جواري (ب 2) من نفس المنطقة؛ ولم يزل عدد منهم موجوداً حتى اليوم تحت سامراء (انظر ص 539 أعلاه). وفيما يتعلق بالحريث (ب 9) أعتقد أنهم جزء من فخذ يحمل الاسم من طي الشمامك (الجزء الأول، 275، ب 2)؛ من المعلوم أن الطريق من الزاب الأكبر إلى العميريات[2] أبعد من الطريق من سامراء إلى مندلي. وكان بنو عقبة (ب 10) وساعدة (ب 2) كانوا ينتمون في يوم من الأيام إلى دائرة بني لام[3]. وليس مستبعداً أن يكون بنو عقبة هؤلاء ينحدرون من بني عقبة المقيمين على ساحل البحر الأحمر (الجزء الثاني، 478) وأنهم رافقوا بني لام في رحلتهم من الحجاز إلى الحدود الفارسية. أمّا ساعدة فيفترض أنهم ينتمون إلى القبيلة التي عالجناها أعلاه ولكنهم يضمون كثيراً من الأجزاء الغريبة من بينهم خفاجة. وأمّا المعدان (ب 12) فهم من ناحية المنشأ كعب. وفيما يتعلق بالخزرج[4] فيمكن الشك في أن يكونوا قد جاؤوا من دجيل عبر مهروت أم من دجلة الأسفل؛ إذ إن مندلي تقع، كما تبين من الأمثلة السابقة، على تقاطع طرق الهجرة القادمة من الشمال الغربي والجنوب الشرقي.

---

(1) روسو (1808م) يذكر القبيلتين فوق دجيل على دجلة. ولكن كلمة "على دجلة" لا يجوز فهمها حرفياً لأن روسو ينقل أيضاً البيان إلى هناك (انظر الصفحة 558 أعلاه). ويذكر خورشيد، 224، 226، مجموعة من بني ويس عند قره تپه.

(2) منطقة جنوب شرق مندلي مسماة كما يبدو باسم مزار الشيخ عمير.

(3) مجلة الجمعية الجغرافية الملكية لندن، 1846م، 45 (لايارد) يحسبهم من بني لام.

(4) سالنامه، 254: 50 خيمة قرب مندلي. وعدم وجودهم في الصورة المأخوذة هو مجرد مصادفة.

كثير من قبائل هذه المنطقة فلاحون، وبعضهم نصف رُحّل يتنقلون ضمن منطقة محدودة جداً. ندى «الندہ» يغادرون في بداية الربيع ضفة "آب نفط" (شمال الطريق بلدروز ـ مندلي) لكي ترعى قطعانهم في السهول. ويتنقل البو جواري وساعدة بالتبادل بين آب نفت «نفط» (غربي مندلي) وهين النقيب التي يرويها نبع والتي لهم فيها بساتين نخيل. المعدان وحدهم يقطعون مسافات طويلة في تنقلهم لأنهم يربون الجواميس ومضطرون إلى الذهاب إلى أماكن وجود الماء؛ يستقرون في الشتاء بين مندلي وجيزاني لكنهم يذهبون في الصيف إلى المناطق المجاورة لتفرعات آب گنگير وترساق المستنقعية.

في العهد العثماني كان الفلاحون في هذه المناطق النائية يخضعون لضغط ضريبي أقل من الضغط الذي يتعرض له أمثالهم على الديالى. في قزلرباط كان يتبقى للمالك ثلثا المحصول الصيفي وثلث المحصول الشتوي، وفي بدره كان يتبقى له خمسة أسداس[1].

لا نعرف مدى تأثير استخراج النفط[2]، الذي بدأ بين خانقين ومندلي، على حياة القبائل.

يبدو أن قبائل مندلي وبدره هم جميعاً شيعة[3]. وكان أبناء الندى «الندہ» والمعلى يمارسون خلال الحرب العالمية الأولى أعمال السلب والنهب ويذهبون لهذا الغرض إلى البادية أو عبر الحدود إلى الجبال. وفي هذا الصدد يتمتع بنو ويس[4] بسمعة سيئة بشكل خاص، لكنهم قدموا عام 1915م عدداً من رجالهم للمشاركة في الجهاد.

---

(1) خورشيد، 103، 145. حجم الضرائب كان هنا أيضاً يختلف من ناحية إلى أخرى.

(2) كان النفط يستخرج ويستهلك هنا دوماً بطرق بدائية.

(3) لا يوجد معلومات عن ب 1 ـ 3.

(4) قارن أيضاً خورشيد، 219.

قبائل صغيرة عند أسفل الجبال الإيرانية(1)

أ ـ عند قزلرباط/ السعدية(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ ربيعة(3)		قزلرباط	150
2 ـ بني ويس(4)		قزلرباط	100
3 ـ الجبور(5)	حمد العنبر	زاوية	100

ب ـ عند مندلي(6)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الندى(7)			250
2 ـ البو جواري(8)		آب نفت	250
3 ـ الساعدة(9)			200
4 ـ الزهيرية(10)		مندلى ـ آب گنگير	20
5 ـ المياح(11)			10
6 ـ الدلفية(12)		دحلة	
7 ـ الرديني(13)			250
8 ـ البو فرج(14)			40
9 ـ الحريث(15)		عميريات	20
10 ـ بني عقبة(16)			40
11 ـ المعلى(17)		آب تلخ	250

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
12 ـ المعدان		مندلي	20
13 ـ السادة(18)		بزائز ترساق	20

ج ـ بدرة

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحمد(19)	عبد الحسن اليوسف	ترساق: مرزابات	250
2 ـ الطعان(20)	نصيف الشاطي	زرباطية	
3 ـ الرحمة(21)	شياع الصفوق		
4 ـ الخميس			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م6.

2 ـ خورشيد: 211 قارن 130، يورد القبيلتين 1 و2، سالنامه 259: 1 ـ 3.

3 ـ خورشيد: 100 خيمة.

4 ـ خورشيد: 50 خيمة.

5 ـ جدول الجبور جـ.

6 ـ خورشيد: 210 وما بعدها يذكر 1 ـ 3، 7 ـ 10، سالنامه 254 وما يليها 1 ـ 4، 8 ـ 11.

7 ـ خورشيد: 100 خيمة، بالإضافة إلى عدد آخر فوق بغداد (ص: 214) جونز 385: 300 خيمة، سالنامه: 150 خيمة.

8 ـ خورشيد: 10 خيم، سالنامه: 300 خيمة.

9 ـ خورشيد: 10 خيم، سالنامه: 150 خيمة.

10 ـ سالنامه، (زهيري): 50 خيمة، قارن جدول قبائل صغيرة في منطقة ديالى، جـ 6.

11 ـ خورشيد: 212، يشير إلى وجودها في قزلرباط. سالنامه، 265 في شهربان، عالم الإسلام الجزء الثاني رقم 178 (1914م) عند قزلرباط.

12 ـ جدول شمر طوقة، 20.

13 ـ قبيلة مختلطة الدماء.

14 ـ خورشيد: 40 خيمة في القزانية، سالنامه 100 (بما فيها حريث وبني عقبة) في العميريات ـ عزة؟.

15 ـ خورشيد: 40 خيمة في القزانية، سالنامه نفس العدد، وخيم أخرى في العميريات انظر الملاحظة السابقة.

16 ـ خورشيد: 35 خيمة، سالنامه: انظر الملاحظة 14 قارن جدول ربيعة. الملاحظتان 3، 9.

17 ـ لايارد مجلة الجمعية الجغرافية الملكية لندن، 1945م، 45 (قائمة بني لام، خورشيد 86 (نفس الشيء): 150 خيمة، سالنامه: نفس الشيء، أخرى في منطقة بدرة (ص 281).

18 ـ نعيم. لها صلة قربى مع النعيم في جبل حمرين (الجزء الأول، 388 وما بعدها).

19 ـ خورشيد: 86 (قائمة بني لام): 150 خيمة، سالنامه، 282. ما زالت ترسخ (ترساق) تابعة لمنطقة مندلي.

20 ـ خورشيد 86: 200 خيمة، سالنامه 281.

21 ـ جزء منها تابع لعبد الحسن اليوسف بن الحمد في منطقة مندلي.

آل قشعم (غازية)

ينتمي آل قشعم[1] إلى أحدى موجات المهاجرين الجدد التي وصلت في القرن التاسع عشر إلى منطقة المنتفق. وقبل ذلك كانوا يسكنون على الحدود الغربية للبادية، بين هيت والسماوة حيث كانوا يشكلون نواة تحالف قوي يضم الرفيع والحميد والساعدة. كان هذا التحالف يسمي نفسه في القرن الثامن عشر "قشعم"، بينما كان معروفاً في أزمنة سابقة تحت اسم "غازية".

وكما هو الحال لدى كثير من قبائل ما بعد الإسلام يعيد الغازية أيضاً نسبهم إلى طي. وجدّهم هو معن[2]. فهم إذن أقرباء قريبون لابن الجراح ولزبيد طي[3].

ورد أقدم ذكر للغازية عام 517هـ/ 1123م[4]. وكانوا منذ ذلك الحين مهمين إلى حدّ ما، مما يعني أن تشكل القبيلة يعود إلى زمن قديم. ففي القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي كانت تتنقل شمال جبل شمر بين سورية والعراق. وكانت

---

(1) تلفظ: جشعم.

(2) ابن خلدون استناداً إلى ابن سعيد "العبر"، الجزء السادس، ص 7؛ البربر جـ1، 14. اسم القبيلة يجب أن يصحح استناداً إلى "العبر"، الجزء الثاني، 254، كما يجب تصحيح الأخطاء واستكمال النواقص استناداً إلى نسب ابن الجراح (هنا، الجزء الأول، ص 502 و511).

(3) انظر الجزء الأول، 271 و272، 525.

(4) ابن الأثير، المجلد العاشر، 430.

القبيلة الفرعية آل عامر تحكم في الجوف، وكما يبدو فإن الدعيج كانوا يسكنون في الغرب. أمّا آل تميم فكانوا يخيمون في الحجيرة وعلى طريق الحج إلى الكوفة، والساعدة في البقعة والزرود، بينما كانت آبار لينة ملكاً للأجود[1]. وكان الغازية يهاجرون في الصيف إلى عمق البادية السورية، حتى كبيسة ـ عين التمر، بينما كانوا في الشتاء يبحثون عن المراعي عند جيرانهم الجنوبيين بني لام[2].

في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي هاجم أحد زعمائهم، دهمش بن سند ابن أجود[3]، قافلة الحج ثم اتفق بعد ذلك مع ربيعة على القيام بغزوة في العراق. وبناء على طلب الخليفة الناصر وقبائل الحدود تصدى لهم أمير الأحساء محمد (انظر الصفحة 194 أعلاه). وهزمهم أمام الكوفة بمساعدة خفاجة وعبادة والمنتفق. وبينما خرجت ربيعة[4] ـ ومن بينهم مانع بن حديثة ـ باعتبارهم سادة كبار، دون خسائر كبيرة، اضطر دهمش إلى البحث عن الحماية عند قبر الإمام علي. وبناء على أمر الخليفة حفظت حياته واقتيد إلى بغداد حيث أعفي عنه ـ وهذا دليل على سياسة الناصر التي تعتمد على المظاهر الاستعراضية.

في القرن الخامس عشر تقدمت الغازية على نهر الفرات باتجاه الشمال الشرقي حيث توفرت أراضي خالية بسبب رحيل عبادة وخفاجة. لم يذهب جميع الغازية إلى العراق. فنحن نجد هنا من الفروع القديمة الدعيج، والرفيع، وساعدة، بالإضافة إلى

---

(1) قلقشندي 85 (آل تميم، جزء منهم من الرخيمية عبر الفردوس حتى لينه، وجزء عند يحموم ومغيطة، وآل عمرو في الجوف؛ ابن فضل الله العمري من مصدر فيما عدا ذلك غير معروف)، 86 (آل دعيج، شيخهم 630هـ/ 1232م ـ 1233م في القاهرة؛ الحمداني)، 89 (آل رفيع)، 233 (ساعدة؛ الحمداني). صبح، الجزء الأول، 324، يضيف إلى ذلك مواقع ساعدة وأجود ـ أسماء الأماكن محوّرة طبعاً تحويراً كبيراً. فقد أطلق على دعيج ورفيع معاً اسم: البطنين، وأطلق على قبيلة فرعية أخرى اسم: أبو مالك.

(2) ابن سعيد عند ابن خلدون، المصدر السابق نفسه.

(3) أي حفيد للرجل الذي يأخذ منه آل أجود اسمهم.

(4) ابن مقرب، ديوان، رقم 71، 111 ـ 112 إضافة إلى التعليق. ومما يلفت الانتباه أن الشاعر يسمي أمراء ربيعة بني الجراح (قارن، الجزء الأول، 526 و527، 511 و512).

مجموعتين تشكلتا حديثاً وهما: القشعم والحميد. أمّا آل «عمرُ» عمرو فقد بقوا في مكانهم وانصهروا مع سكان الجوف المستقرين؛ إذ إن هذه الواحة كانت في بداية القرن التاسع عشر لم تزل تحمل اسم «جوف آل «عمرُ» عمرو[1]. وهناك مجموعات أخرى توجهت نحو الغرب، مما يعطي تفسيراً لكون القشعم يرد ذكرهم في حكايات بدو شرقي الأردن[2]. لكن الغازية الغربيين لم يتركوا آثارهم في الحكايات فقط: بين «عمرُ» عمرو الكرك يوجد مجموعتان تعيدان نسبهما إلى القشعم (جدول آل عمرو «عمرُ» 5، 6، الجزء الثاني، 371). وإذا لم يخنّي ظني (الجزء الثاني، 284) فإن سادة عجلون آنذاك، أمراء الغزاوي، ينحدرون أيضاً من الغازية[*].

يبدو أن الغازية أساؤوا التصرف بعد وصولهم بوقت قريب مما جعلهم غير محبوبين؛ ولو لم يكن الأمر كذلك لما استغل الشاه إسماعيل إقامته القصيرة في العراق للقيام بحملة تأديبية ضدهم (نهاية عام 1508م)[3]. وبعد ذلك أشاد شيخهم محمد، من الفرع دعيج، بالسلطان سليمان (1534م) فمنح راية (سنجق) وتعززت سلطته. وفي عام 953هـ/ 1546م دعاه رئيس البيگات ببغداد أياس باشا، الذي مرَ في منطقة دعيج عند قيامه بحملته ضد حاكم البصرة الانفصالي، إلى الاحتفال بعيد الفطر وأمر بقطع رأسه على الفور عندما ظهر أمامه، لأنه كان يعتقد أنه متعاون مع المتمردين. فحل مكانه واحد من أخوته[4].

---

(1) قائمة شبرنغر (1818م)، صفحة 220. في الرواية التي يقدمها موزيل، البتراء العربية، الجزء الثالث، ص 75، قارن هنا الجزء الثاني، ص 368، يحل «عمرُ» الكرك محل «عمرُ» الذين نعالجهم نحن هنا.

(2) ليتمان، حكايات بدوية عربية، رقم 1، 12، رقم 3، 33.

(3) خواندمير، حبيب السيار، طهران 1271، الجزء الثالث، ص 350.

(4) رستم باشا، 142. فورّر منقح هذا التاريخ المنسوب إلى كبير وزراء سليمان الكبير يقرأ اسم القبيلة "بني دعيجة". في المكان الموازي لذلك عند گلّشن لا يرد ذكر اسم الشيخ. وهذا الشيخ يوصف هنا بأنه رئيس القشعم. استناداً إلى ذلك يكون القشعم فرعاً من دعيج، أو إن نظمي زادة (كتب 1688م، لكنه تابع تاريخه في وقت لاحق حتى 1717م/ 1718م) استبق هنا ظروف زمانه التي كان القشعم يتولون فيها قيادة التحالف.

(*) من ساعدة (م. شبّر).

في القرن السابع عشر حل آل قشعم محل الدعيج. وأسست أسرة شيوخهم، ابن مهنا، في الشامية دولة شبيهة بدولة الموالي في الشمال[1]. وكانتا كلاهما تعتمدان على نفس القاعدة الاقتصادية إلا وهي حق جباية الجمارك على الطرق البرية التي كانت عائداتها عالية طالما ظل التجار مرغمين على تحاشي الطرق البحرية بسبب السياسة التجارية للبرتغال. واستفادت كلا الدولتين من الحرب التي خاضها الأتراك والفرس حول العراق من عام 1623م حتى عام 1638م، لأن السلطان استعان بالموالي والشاه استعان بالغازية.

للأسف لا توجد لدينا معلومات كافية عن حكم ابن مهنا كالمعلومات الكثيرة المتوفرة عن خصومهم في الشمال[2]. كانت منطقة سلطتهم تمتد على الفرات من فلوجة حتى السماوة، لكن جباتهم الجمركيين كانوا يجلسون على مقربة من بغداد وفي البصرة في المدينة نفسها. وكانت كربلاء والنجف خاضعتين لهم. ونحن نعرف اثنين من حكامهم: ناصر بن مهنا[3] (إمانا عند تكسيرا)، ومنذ عام 1625م ابنه وخليفته أبو طالب. وكان ناصر قد رحب بالفرس عندما دخلوا بغداد عام 1623م واعتبرهم محررين من الاستعباد التركي. وبعد ذلك قام في خدمتهم بحملة ضد الموالي الذين كانوا آنذاك بقيادة مدلج أبو ريشة. لكن الحملة فشلت. وقد ظلت الأشعار، التي تمجد انتصار مدلج "سيد حرّان" على القشعم وحلفائهم بني خالد، حية في أذهان الناس إلى ما قبل عدة

(1) لونكريك، 382، يعتقد أن أصحاب هذه الدولة البدوية موالي أو عنزة، لكن في الحقيقة فإن الغازية هم الوحيدون الذين يمكن أن يكونوا قد أسسوا هذه الدولة. وتقدم شجرة نسب شيوخ القشعم، أدناه، دليلاً قاطعاً على ذلك.

(2) المصادر: تكسيرا (1604م)، جمعية هاكلويت، الحلقة2، العدد 9، 49، 72؛ ديلا فيلا (1616م و1625)، جنيف 1674، جـ1، 202؛ جـ4، 177، 179، 186؛ اسكندر منشي، تاريخي عالم أراجي عباسي؛ لونكريك، 38، 58.

(3) يقع قبره بعيداً في الشمال عند الإرصي على الفرات وكان في الماضي مزاراً يؤمه الناس؛ روسو، رحلة، 136.

عقود[1]. وعلى أرجح الظن كانت هناك عداوة قديمة بين القشعم والموالي؛ إذ إن الكراهية بين القبيلتين ظلت قائمة زمناً طويلاً بعد هذه المعركة. فقد تولى أمير الموالي حسين عباس، عندما كان في عام 1107هـ/ 1695م ـ 1696م موجوداً في بغداد، قيادة حملة تأديبية ضد القشعم وعاد منها بغنائم تزيد على 1000 جمل[2].

مع احتلال السلطان مراد للعراق (1638م) يبدو أن سلطة ابن مهنا على الشامية قد وصلت إلى نهايتها، ولكنهم ظلوا محتفظين بزعامتهم للغازية. واعترف بهم الأتراك في هذا المنصب. وعندما ثارت القبائل الفرعية ساعدة والرفيع والحميد في عام 1706م ضد الشيخ الأكبر تدخلت الحكومة وقمعت الثورة[3]. وقد أعطت سلطة أسرة الشيوخ القبيلة الفرعية قشعم، التي جاءت منها الأسرة، وزناً يفوق وزن أجزاء تحالف الأخرى. وقد وجد هذا الوزن الكبير تعبيراً له في تغيّر اسم القبيلة: فمنذ بداية القرن الثامن عشر لم يعد الاتحاد تحالف يسمى "الغازية" وإنما القشعم[4]. وهذه ظاهرة غير مألوفة، ومما يجعلها ملفتة أكثر أن الغازية في أمور أخرى يُظهرون بنيّة متينة جداً. ولا شك في أن لهذا الأمر دلالته وهو أنه من بين القبائل الفرعية الأربع ـ قشعم، وساعدة، ورفيع، وحميد ـ اثنتان، وهما ساعدة

(1) ديوان من وسط الجزيرة العربية، رقم 108. الرواة الذين يعتمد عليهم سوسين في تفسيره لم يكن لديهم تصور صحيح عن السياق التاريخي التي تندرج فيها القصيدة. وهم ينسبونها إلى معركة انتصر فيها القشعم على بني خالد. ولكن الموالي (وهذه الكلمة غير موجودة في ترجمة سوسين) مذكورين صراحة في الشطر التاسع، ومدلج مذكور في الشطرين السادس والحادي عشر بصفته المنتصر على الجشعم. وأما لقب "سيد حران" فهو، بناءً على ما جاء في الجزء الأول، 447، غير ملفت للانتباه وخاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار أن القصيدة يعود أصلها حسب سوسين، الجزء الثالث، 8، إلى ما بين النهرين الأعلى.

(2) گلشن، 116.

(3) لونكريك، 125؛ قارن غولشن، 125.

(4) الاسم غازية يظهر لآخر مرة في كتاب نيبور، الجزيرة العربية، 383. رسول حاوي أفندي، الذي يغطي تاريخه "دوحة الوزراء" الفترة الزمنية الممتدة من 1718م حتى 1821م، لا يستعمل اسم غازية أبداً. أما سلفه نظمي زاده فلا يستعمله إلا عندما يصف القشعم بأنهم أسرة شيوخ الغازية.

ورفيع، كانتا في القرن الثالث عشر تنتميان إلى الاتحاد.

منطقة تنقل الغازية أو بالأحرى القشعم لم يطرأ عليها في القرن الثامن عشر تغير يستحق الذكر. فقد ظلت أطراف الصحراء من هيت حتى السماوة تشكل قاعدتهم، إلا أنهم كانوا يزورون بانتظام المنطقة الحضرية على الفرات حيث كانت الطهمازية (غربي الحلة) والرماحية القريتين المفضلتين لديهما لقضاء فترة الإقامة هناك[1]. من الناحية الإدارية كانوا خاضعين لضابط (المتعهد الزراعي العام) في الحلة. وعلى الرغم من أن أجزاء منهم عملت في وقت مبكر في الزراعة (گلّشن، 116) فقد كانوا يملكون قطعان كبيرة. ففي عام 1799م حصّلت الحكومة منهم 500 جمل و2000 شاة و10 أحصنة كضرائب مستحقة وغير مدفوعة[2]. في رحلاتهم السنوية كانوا يلحقون بعض الأضرار بالأراضي الزراعية مما كان يسبب لهم حملات تأديبية ضدهم. وهناك حملة واحدة من هذه الحملات تستحق الذكر بالتفصيل: في منطقة شفاثة.

في عام 1152هـ/ 1739م اتحد القشعم في منطقة شفاثة مع شمر (أسلم) وسرحان وبني صخر الذين طردهم الجوع من موطنهم البعيد وتوجهوا نحو الشرق. قرر باشا بغداد أحمد مهاجمة العدو من جهتين. فتحرك حليفه سليمان أبو ليلى من هيت بينما تقدم هو نفسه من جهة كربلاء. وبعد مسيرة 24 ساعة أنهكت الحيوانات والرجال من شدة التعب فتوقفت القوات. ونتيجة لذلك وجد الباشا نفسه، الذي كان متقدماً مع مجموعة صغيرة من حاشيته، مضطراً إلى التوقف أيضاً. وفي صباح اليوم التالي ظهر فجأة العدو؛ فقام أحمد بترتيب الأمتعة بطريقة ذكية توحي بوجود قوة عسكرية كبيرة ثم انتقل إلى الهجوم دون خوف مع العدد القليل من رجاله. فانطلت الحيلة على البدو وولوا هاربين؛ وسقط أحد الشيوخ، صقر السعد. وعندما وصلت القوة التركية الرئيسية كان القتال قد انتهى، وبذلك لم يصل الكهية

(1) قارن گلّشن، 125، 127؛ دوحة، 41، 226 وما بعدها.

(2) دوحة، 226 وما بعدها.

سليمان أبو ليلى إلى المكان الذي كان يقصده[1].

ظل القشعم في القرن الثامن عشر، كما يبدو، في ظروفهم القديمة. ولكن حدثت في محيطهم تغيرات يفترض أنها ستؤدي خلال وقت قصير إلى تفكيك الاتحاد ـ تحالف منذ 100 عام، أي منذ مجيء شمر إلى العراق، لم يعد القشعم سادة الصحراء الوحيدين. والآن، في أواخر القرن التاسع عشر، أصبحوا معرضين للاصطدام مع الوهابيين ومع قبائل شمال شبه الجزيرة العربية الذين بدأوا التحرك حديثاً. صحيح أن موجة الجربا اجتازتهم بسلام، لكن موجة هجرة عنزة بقيت وأخذت تتراكم عاماً بعد عام. وفيما وراء الصحراء تحولت الأراضي بسبب شق قناة الهندية شيئاً فشيئاً إلى أراضٍ زراعية وامتلأت بقبائل المعدان والفلاحين القادمين من الشرق. وهكذا أصبحت الشامية ضيقة على القشعم، فرحلوا عبر الفرات إلى الجزيرة. بدأت ساعدة الهجرة في أواخر القرن الماضي ثم تبعتها بقية القبائل في القرن العشرين[2]. اختارت ساعدة المنطقة الواقعة بين الديوانية والبغيلة كمنطقة تنقل، وخيّم الرفيع والحميد بين الشوملي والغراف[3] ـ جميع هذه القبائل أصبحت الآن مستقلة، ولم يعد هناك وجود تحالف ـ القشعم. يسمي روسو في كتابه "وصف رحلة" من عام 1808م (ص 68) الرفيع والحميد فروعاً من القشعم، لكن محمد البسام يصفهم في عام 1818م بأنهم مستقلون (قائمة شبرنغر، رقم 114، 115).

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر انضم الرفيع والحميد إلى المنتفق،

(1) دوحة، 49 وما يليها. القصة تذكرنا بالنادرة المذكورة في الجزء الأول، (295، 296) عن أبي أحمد حسن باشا لكنها تدعم بمقطع شعري لا يمكن للأسف ترجمته إلى اللغة الألمانية بسبب ما فيه من تلاعب لفظي (لغة العرب، السنة الخامسة، 141): عقاب الورى لمّا بدا طار صقرهم لدى حيث ألقت رحلها أم قشعمي(*).

(*) نظم عبد الله الفخري قصيدة في مدح الوزير قال فيها:

عقاب الوغى لما بدا طار صقرهم   لدى حيث ألقت رحلها أم قشعمِ

العزاوي، العراق بين الاحتلالين ج5 ص261. (م. شبّر).

(2) انظر ص 501 أعلاه.

(3) انظر جونز، 374.

انظر الجدول ب 2، ب ملحقون 1. صحيح أن القشعم يتنقلون أيضاً في منطقة المنتفق لكنهم حافظوا على درجة أكبر من الاستقلال. وهم ما زالوا بدواً رُحّلاً[1] وتتزعمهم نفس عائلة الشيوخ التي كانت في يوم من الأيام تتزعم التحالف ـ كله.

في عام 1928م كان عقاب الثويني شيخ القشعم. وسلسلة نسبه هي[2]: عقاب بن صقر بن ثويني بن عبد العزيز بن حبيب بن صقر بن حمود بن كنعان بن ناصر بن مهنا[*] بن سعد بن غازي ـ عدة أعضاء في هذه السلسلة معروفون من تاريخ القبيلة: عبد العزيز الحبيب وأخوه شبيب كانا في نهاية القرن الثامن عشر يشغلان منصب الشيخ. والأخ الثالث ناصر شارك عام 1798م/ 1799م في الحملة التركية ضد الهفوف وحكم في الأعوام الأولى من القرن التاسع عشر[3]. والشيخ كنعان قاتل عام 1075هـ/ 1664م ـ 1665م بتكليف من الحكومة في شرقي شبه الجزيرة العربية[4]. وناصر هو أمير الشامية المشهور الذي حكم في بداية القرن السابع عشر. وبعده تصبح شجرة النسب غير كاملة؛ إذ إن مهنا، كما يذكر تكسيرا ودّلافيلا صراحة، ليس اسم أبي ناصر وإنما كنيته.

يحمل رئيس القشعم منذ زمن قديم لقب (شيخ العراقين) والمقصود بذلك، كما في قديم الزمان، الكوفة والبصرة.

---

(1) بصرف النظر عن مجموعة مستقرة تفيد معلومة من عام 1939م بأنها كانت تقيم عند أبو صخير. خورشيد، 206 (فلاحون مسجلون) يذكر مجموعة كهذه عند الطهمازية.

(2) المقال في "لغة العرب" السنة الخامسة، 139. جـ. ن. سركيس، «قشعم في التاريخ» يتجاهل التاريخ القديم للغازية.

(*) عقاب بن صقر بن ثويني بن عبد العزيز بن حبيب بن صقر بن حمود بن كنعان بن مهنا بن ناصر بن مهنا بن سعد بن المنذر بن قسّام بن قشعم بن غزي (العزاوي تاريخ العراق بين الاحتلالين جـ4، ص51). (م. شبّر).

(3) دوحة، 226 وما بعدها؛ روسو، رحلة، 67.

(4) لغة العرب، نفس المصدر السابق، 140، حسب تاريخ بغداد غير المطبوع: غاية المرام، قارن مقالة بني خالد.

آل قشعم(1)

الشيخ: عقاب «عگاب» الثويني
المنطقة: لواء المنتفق
عدد الخيام: 200

ملاحظات

1 ـ قائمة القشعم، عزاوي، تاريخ العراق، جـ 4، 52[*].

(*) عند مراجعة الجزء الرابع ص 52 لم نجده هناك بل ما ذكر عن القشعم هو في الجزء الثالث ص 234 وص 235 و236. عشائر العراق 1 ـ 4 العزاوي.
يذكر العزاوي: إن هذه العشيرة ليست أكثر من إمارة أو رئاسة بدوية على عشائر عديدة متغير ناظمه لها ومشتقه منها.. (م. شبّر).

المنتفق

ما من قبيلة عراقية تضاهي المنتفق[1] في الأهمية ولا عائلة شيوخ تضاهي عائلة سعدون ـ شبيب التي أسست في أواخر القرن السابع عشر "مملكة" المنتفق على الفرات الأدنى والتي جلبت في الحرب العالمية الأولى، عندما كانت تلك "المملكة" قد سقطت، لاسم المنتفق الفخر والاعتزاز مرة أخرى ـ حكايات المنتفق لا تتجاوز هذه المرحلة، ولكن تاريخها يعود إلى العصر القديم.

كان المنتفق قبل الإسلام أسرة قيادية في عقيل[2]. وبعد الإسلام غابوا عن النظر[3] إلى أن ظهروا ثانية في نهاية القرن العاشر في شرقي شبه الجزيرة العربية.

---

(1) الاسم يعني "الداخل في النفق"؛ ابن دريد، 122. يلفظ في نجد منتفذ، وفي العراق، حيث تلفظ الكاف والقاف في اللغة الشعبية (چ)، منتفج، ويكتب منتفك. ويسمى المنتفق أيضاً الخلط؛ الجرجاني 366 هـ/ 967م عند ابن خلدون، البربر، جـ1، 26. دوحة، 203 يستعمل هذا الاسم حتى الآن.

(2) النقائض، 671 وما بعدها: قيس بن المنتفق قاد عقيل عند شعب جبلا «جبلة»؛ فلها وزن، قصص قصيرة، جـ 4، 144: ابنة أنس وابن عمه لقيط بن عامر مندوبا العقيل عند البني.

(3) الطبري، جـ1، 3284: عمر بن معاوية بن المنتفق في معركة صفين ـ أعضاء آخرون من العائلة وصلوا إلى مصر، إذ إن أحفادهم رافقوا بني هلال (انظر الجزء الثاني، 526) حتى مراكش. هم أيضاً كانوا يسمون أنفسهم «خُلْط» وما زالوا يسمون «خلوط» حتى اليوم. انظر الملاحظة رقم 1 المكان المذكور هناك من ابن خلدون.

ولقد تحدثنا (في الصفحة 191) أعلاه عن نشاطات زعيمهم الأصفر (الأصيفر). ولم يكن أتباعه من المنتفق فقط لكن هؤلاء أعطوا القبيلة الجديدة اسمها.

خلال القرن الحادي عشر جاء المنتفق إلى العراق واختاروا المنطقة الواقعة بين السماوة والبصرة منطقة لتنقلهم[1]. من جهة الصحراء إلى الكوفة كانت خفاجة جيرانهم، وفي الداخل على الغراف كانت تجاورهم ربيعة. وكانت علاقة المنتفق مع كلا القبيلتين جيدة. في عام 499هـ/ 1106م هاجم المنتفق وربيعة البصرة ونهبوا المدينة، التي كان صدقة قد حصل عليها قبل ذلك بوقت قصير لقاء ولائه للحكومة لكنه لم يضع فيها سوى 120 فارساً وبقوا فيها، مدة شهر كامل. وفي عام 517هـ/ 1123م هاجم المنتفق بتحريض من ابن صدقة، دبيس، البصرة مجدداً لكنهم أرغموا هذه المرة على الانسحاب بسرعة. وفي عام 558هـ/ 1163م طلب منهم الخليفة طرد بني أسد من الحلة[2].

كما يتبين من هذه التحركات كان المنتفق في العصور الوسطى بدواً رُحّلاً لمسافات بعيدة. في نهاية القرن الثاني عشر كانوا ما يزالون في منطقة تنقلهم القديمة[3]، وفي عام 1250م في البطايح[4]. وهذا لا يشكل تناقضاً. فهم كأحفادهم من بعدهم كانوا يتنقلون في الشتاء والربيع في الصحراء، بينما كانوا يقضون بقية الفصول في البطايح التي كانت أراضيها المغمورة تتحول في الصيف،

---

(1) في عام 450 هـ/ 1058م قام أحد زعمائهم، الشاعر كامل، بزيارة وزير السلطان السلجوقي طغرل بك الذي كان موجوداً في البصرة. الباخرزي، دمية القصر، حلب 1349، 27 وما يليها.

(2) مزيد من التفاصيل في مقالة بني أسد.

(3) انظر الصفحة 582 أعلاه.

(4) ابن سعيد عند القلقشندي، 66 = ابن خلدون، العبر، الجزء السادس، 11؛ البربر، الجزء الأول، 27. المعلومة القائلة بأن عائلة شيوخهم اسمها بنو معروف خطأ وتستند إلى الخلط بينهم وبين ربيعة، انظر الصفحة 508 ـ 509 أعلاه. في الواقع كان هناك شيخ للمنتفق اسمه ابن معروف؛ ابن الأثير، المجلد 11، 195، عام 1163.

آنذاك كما اليوم، إلى أراضٍ قاحلة. وبعد ذلك لم نسمع عنهم شيئاً إلا بعد 200 سنة: فقد احتلوا البصرة مرة أخرى، وهذه المرة بهدف الاحتفاظ بها، لكن سلطان الحويزة محسن (1465م/ 1466م ـ 1508م) انتصر عليهم ـ سقط شيخهم يحيى بن محمد في المعركة وأجبروا على دفع ضريبة (أتاوة)[1]. ثم مرت بعد ذلك 150 عاماً أخرى إلى أن ظهر المنتفق مرة أخرى في كتب التاريخ[2] ولم يغيبوا عنها بعد ذلك أبداً.

والأحداث التي أخذت تجري اعتباراً من الآن لا صلة لها بطريقة حياة القبيلة حتى ذاك الحين. فبينما كانوا في السابق يعيشون حياة الرعاة المتكاسلة التي يقطعونها بين وقت وآخر فجأة بعملية ناشطة، أصبحوا الآن يسعون بصورة متواصلة إلى السلطة مما جعلهم يصبحون في النهاية سادة العراق الأسفل. لقد كانت الظروف مؤاتية لهم لكنهم ما كانوا ليستطيعون استغلالها لو ظلوا محتفظين بالعقلية التقليدية لقبيلة بدوية عادية. وبالفعل يبدو أنه قد تمّ في نهاية القرن السادس عشر إعادة تشكيل المنتفق من الرأس إلى القاعدة بأن قامت عائلة شبيب بتوحيد المنتفق وقبائل أخرى في اتحاد واحد موالٍ لها وحدها.

هناك روايات حديثة تقول بأن الشبيب جاؤوا من الحجاز، وهناك روايات تقول بأنهم من أصل شريف، ولكن في كل الأحوال من أصل غريب. وعلى النقيض من ذلك يقول نيبور[3] 1765م: يزعم المنتفق أن جدهم جاء من الحجاز وأن عائلته كانت مشهورة في عهد النبي محمد. وبصفتي رحالة لم أتعرف بشكل دقيق على الأسرة الحاكمة بحيث أستطيع الحصول على كامل سجل القبيلة. ولكن لا أحد يشك في أنهم حصلوا على اسمهم من شيخ اسمه منتفق وأن أحفاد هذا

---

(1) كسروي، تأريخ إي بانصد ساله إي خوزستان، Kasrawi, Ta'rich.. pansad Sale-i.40 .

(2) إلا إذا اعتبرنا الشيخ محمد بن راشد، الذي رافق قافلة تكسيرا عام 1604م من البصرة إلى مشهد، منتفقياً، تكسيرا، 31، 35، 40.

(3) الجزيرة العربية، 387.

الشيخ ظلوا على الدوام محتفظين بالزعامة من بعده ـ وهذا الرأي ليس فقط أقدم من ذاك وإنما أيضاً أقرب إلى الحقيقة. وعلى الرغم من ذلك لا نستطيع تجاهل الرواية الأحدث ببساطة. فهي تعبر عن نفسها في الحكاية التالية: هاجر جد آل شبيب، وهو من أشراف مكة، ونزل عند بني مالك وهم قبيلة من المنتفق. فأحبه شيخهم وعينه مديراً لأعماله. وفي وقت لاحق زوّجه ابنته. فأنجبت منه عدة أبناء قُتل أحدهم على يد المنتفق (بني مالك) وهو لما يزل صبياً. فعرضوا عليه ديته. لكن الرجل الغريب رفض العرض ووضع لهم شرطين: على كل قبيلة تخيم بجواره أن تجلب له جزءاً من قطعانها، وكل من يظهر أمامه عليه أن يقبّل يده. فقبل المنتفق (بنو مالك) بذلك. وشيئاً فشيئاً كسب ثقة جميع المنتفق واعترفوا به شيخاً بسبب زواجه من ابنة رئيسهم[1].

الحكاية مكشوفة. فهي تريد تفسير نشوء حق غريب عن عادات البدو. ومن يكتسب هذا الحق يجب أن يكون غريباً؛ ولا يمكن فهم هذا الامتياز إلا كعقاب على انتهاك حق الضيافة الذي يعد مقدساً.

في الحقيقة لم يعد من الممكن معرفة كيف حصل بيت شبيب على مكانتهم المتميزة، كما أنه لا يمكن معرفة القبائل التي كانوا يحكمونها في الأصل؛ إذ إن تركيبة المنتفق التي نعرفها حديثة وتعود إلى القرن الثامن عشر. ويبدو أن منطقة تنقلهم كانت في بداية القرن السابع عشر تمتد في الصحراء من البصرة حتى

---

(1) عجمي السعدون، 1929م. نفس الشيء عصيمي باشا 1925م. بطل الحكاية يتغيّر: عند عصيمي هو شبيب نفسه، عند جونز، 378، مانع (عام 1700م) ـ عند عصيمي تنتهي القصة بحكاية عن معركة بين الأخوة بني مالك وأجود. لكن هذه الحكاية المذكورة في الملاحظة 4 التابعة للجدول هي في الأصل حكاية مستقلة. ويُضاف إليها بعد ذلك عنصر ثالث وهو تفسير ـ خاطئ ـ لاسم المنتفق بمعنى "المتفق"، أي المتفاهم، على الاعتراف بوسيط السلام شيخاً (حسب عصيمي) أو ـ وهو تفسير أقدم ـ على السلام (حسب فريزر، جـ 2، 95؛ عجمي السعدون). وتستند رواية لونكريك على نفس العناصر، وكذلك رواية خورشيد، 55 المختصرة.

الشامية[1]. بينما كانت على الفرات تقتصر على المسافة القصيرة بين الجزاير وكوت المعمر.

تتطابق المرحلة الأولى لصعود المنتفق مع حكم الأفراسياب في البصرة. ويقال بأن أحد الأفراسياب تزوج فتاة من بيت شبيب ولذلك وقف المنتفق إلى جانبه[2] عندما هجم الفرس على البصرة (1625م، 1629م). وفي كل الأحوال فإن حملة علي باشا أفراسياب ضد الجزاير وتوسيع منطقته حتى كوت المعمر وعرقة[3] غير ممكنة دون التفاهم مع المنتفق. ونتيجة لهذه الرابطة ساعدت القبيلة حسيناً، ابن علي باشا، ضد العثمانيين: فعندما تعثر الزحف التركي في شتاء 1665م/ 1666م أمام القرنة، أرسل 900 رجل من بدو الموالي من بغداد لنجدة الجيش ولكنهم هزموا عند كوت المعمر على يد المنتفق. وقبل القيام بالحملة التالية ضمن العثمانيون وقوف المنتفق إلى جانبهم. وهكذا التحق المنتفق بقيادة الشيخ عثمان بالعثمانيين عند كوت المعمر واشتركوا معهم في احتلال القرنة والبصرة[4]. وكانت مكافأة المنتفق على ذلك بسط سلطتهم على جزء من الجزاير[5].

بدأت المرحلة الثانية من صعود المنتفق في نهاية القرن السابع عشر بقيادة الشيخ مانع. ركز مانع اهتمامه في بادئ الأمر على البصرة التي كان يرى أن له حقاً فيها بسبب علاقة أسلافه مع الأفراسياب. وكانت المدينة منذ سقوط تلك الأسرة الحاكمة قد تراجعت إلى حد ما. وعندما ضربها الطاعون عام 1690م اعتقد أن اللحظة المناسبة للتصرف قد جاءت. لكن محاولته احتلالها بالقوة باءت بالفشل. صحيح أن باشا البصرة سقط عند الدير (على شط العرب) مع الجزء الأكبر من رجاله، لكن المدينة أنقذها معاونه الذي انتخبه السكان خلفاً له. وبعد أعوام قليلة

---

(1) عجمي السعدون، 1929.

(2) لونكريك، 105، 109.

(3) لونكريك، 105، 109.

(4) گُلشن. 95، 97.

(5) قارن گُلشن، 114 (1690).

سقطت البصرة في يد مانع دون قتال. وبعد فشل محاولة لاستعادة المدينة بالقوة لجأ العثمانيون إلى التفاوض. وبالفعل وافق مانع على تسليم المدينة للباشا المعيّن حديثاً، لكنه اشترط الحصول لقاء ذلك على حقوق أميرية جديدة. وبعد وقت قصير تفاهم مع سكان المدينة ودخلها مجدداً بمساعدتهم. ولم تفلح الجهود التي بذلها العثمانيون لاستعادة السيطرة على المدينة. وفي هذه الأثناء كان مانع قد بدأ توسيع سلطته نحو الغرب والشمال. فاحتل عرقة والسماوة والرماحية ومنع جباة الضرائب من الدخول إلى هذه المناطق[1]. وفي عام 1695م خاض، بتحريض من أمير الحويزة (سيد علي)، حرباً ضد عمه (عم الأمير) فرج الله خان لكن فرج الله انتصر عليه (1109هـ/ 1697م ـ 1698م). وفي العام نفسه احتل فرج الله بموافقة الحكومة الفارسية والحكومة العثمانية البصرة والقرنة. وتولى إدارة البصرة موظف فارسي، إلا أن الشاه أرسل مفتاح المدينة إلى السلطان. فعاد فرج الله خان إلى الحويزة غاضباً، وعندما عزل عام 1111هـ طلب المساعدة من خصمه السابق مانع. فشن الإثنان معاً حرباً على خليفة فرج الله وانتصرا عليه لكنهما لم يستطيعا إعادة فرج الله إلى منصبه[2]. وفي أثناء ذلك كانت تتشكل عاصفة في ظهرهما. نتيجة للخوف الذي أصاب الباب العالي بسبب ضياع البصرة وثورة الخزاعل (انظر الصفحة 455 أعلاه) قام العثمانيون بحشد قوات المقاطعات الشرقية وبتجهيز أسطول عند بيره جك على الفرات الأعلى. وبينما تولت السفن حماية الحلة المهددة من الخزاعل انطلق الجيش في بداية عام 1701م من بغداد وسار على دجلة نحو الأسفل. وكان هناك تجمع لبني لام ما لبث أن تفرق عندما اقتربت القوات. فاستسلم مانع ومعه فرج الله خان؛ وانسحب الفرس من القرنة والبصرة[3].

(1) گُلشن، 114 وما بعدها؛ غور GOR، السابع، 32.

(2) راشد، الجزء الأول، 234، 237؛ GOR. سجل الوثائق رقم 1974، 2200؛ عبد اللّه بن نور الدين، تذكرا إي شوشتر، 65 وما بعدها. كسروي، 95 وما بعدها.

(3) بهذا الشكل يعرض نظمي زادة، گلشن، 118، الذي تتطابق روايته مع رواية كاتب تاريخ الامبراطورية راشد، جـ1، 256، الحملة. خلافاً لذلك يربط فون هامّر، غور جـ7، 32 وما

لم يتمكن مانع، الذي يجب أن يكون توفي بعد ذلك بوقت قصير، من تحقيق هدفه، وهو خلافة الأفراسياب في البصرة، لكنه وسّع منطقة المنتفق لتصل على الفرات حتى عرقة وعلى دجلة حتى حدود الحويزة. أمّا العلاقة مع الجزاير فقد ظلت غير واضحة إذ إن باشا البصرة كان يتمتع بحق جباية الضرائب على الرغم من أن القبائل الموجودة هناك موالية للمنتفق.

وحول هذه المسألة نشبت في عهد ابن مانع وخليفته مغامس حرب جديدة مع العثمانيين. في عام 1705م استولى مغامس لفترة قصيرة على السلطة في البصرة[1]. ولم يسفر عزله وتعيين شيخ آخر محله ـ ناصر ـ عن نتائج مثمرة. بل ظلت البصرة مهددة. فاستنجد حاكم البصرة بزميله حسن باشا حاكم بغداد الذي توجه إلى البصرة في خريف عام 1708م، على رأس قوة معززة بقوة من السلطة المركزية. ثم عاد إلى الوراء قاصداً المنتفق الذين كانوا محتمين بالمستنقعات الواقعة غرب نهر عنتر. وقد تمكن الأتراك من التقدم في المستنقعات وذلك عن طريق حجز الماء بواسطة كتل ضخمة من الطين والقصب محزومة بحبال من الألياف. ولكن عندما وصلوا إلى العدو انسحب المنتفق من طريقهم بحيث ظلت المعركة دون حسم.

وفي الخريف التالي ـ وكان مغامس قد احتل في هذه الأثناء الرماحية بمساعدة قبيلة الغازية ـ شن حسن باشا عليه حملة جديدة. فطارده من السماوة إلى الجوازر ولكنه لم يتمكن هذه المرة أيضاً من اللحاق به[2].

خلال الحروب الفارسية (1722م ـ 1742م) توفرت للمنتفق الفرصة لأن يقدموا للإمبراطورية خدمة عن طريق علاقاتهم مع الحويزة. كان سيد محمد خان، الذي

بعدها، ولونكريك، 122، هذه الحملة بحملة نهر دياب (ص 314 وما بعدها أعلاه) التي يسلك فيها الجيش طريق الفرات ويحتل فيها البصرة قبل الانتصار على الخزاعل.

(1) هـ. غولانش، H. Gollancz, Chrouicle of evenls between... 1633 and 1733..., Oxford 1927. ثم ملاحظات يعقوب سركيس بهذا الخصوص، 203 وما بعدها.

(2) گلشن، 125 وما يليها.

والى العثمانيين على مضض عام 1725م، قد أجبر على التنحي لصالح مرشح اسمه نادر. لكن المنتفق وبني لام أعادوه عام 1731م إلى الحويزة مرة أخرى[1]. وتجدر الإشارة إلى أن ضعف سلطة الحكومة في أعوام الحرب تلك شجعت المنتفق أيضاً على العصيان. ولذلك اعتقل الشيخ سعدون عام 1151هـ/ 1738م من قبل سليمان أبو ليلى خلال اجتماع لرؤساء القبائل في حسكة/ الديوانية. وبما أن خليفته منيخر لم يتمكن من تقديم المبلغ المطلوب منه لقاء تنصيبه، فقد أطلق سراح سعدون وأُعيد إلى منصبه. لكن سعدون وقع في نفس المأزق. ولكي يتخلص من مأزقه أعلن العصيان وزحف نحو الشامية. فتولى أحمد باشا بنفسه قيادة الحملة التأديبية ضده لكنه اضطر إلى إيقاف الحملة قبل الوصول إلى هدفه لأن أعمالاً ملحة استدعت عودته إلى بغداد[2]. ويفسر المؤرخ البغدادي رسول حاوي أفندي هذه الحادثة بإحدى الفكاهات التي درج على استعمالها بين حين وآخر لتزيين جُمله المتعثرة. لقد تمكن ابن سعدون الصغير المتضور جوعاً من الوصول إلى الباشا وإقناعه بإنهاء حصاره للمنتفق.

يرى أوتر، وهو عميل فرنسي كان في البصرة عام 1739م و1741م و1743م، أن أحمد باشا ابتغى من وراء إنهاء الحصار الإثبات للباب العالي، الذي كان قد سحب منه آنذاك هذه المنطقة، أنه مهم ولا غنى للباب العالي عنه. وبالفعل فإن أحمد باشا لم يرفع الحصار عن الشيخ سعدون المتمرد وحسب، بل أعطاه أيضاً مساحات واسعة من الأراضي عند البصرة. وإذا ما كان يبتغي من وراء ذلك خلق المصاعب لخلفه، حسبما يرى أوتر، فإن هدفه قد تحقق؛ إذ إن سعدون استغل ملكيته الجديدة لفرض رسوم عالية جداً على الطريق إلى المدينة مما جعل الوصول إليها صعباً. أرسل أحمد باشا سليمان أبو ليلى لإخضاع المنتفق. فهرب سعدون

---

(1) صبحي، تأريخ، 37.

(2) دوحة، 48 وما بعدها؛ جـ. أوتر، رحلة في تركيا وإلى فارس، نورنبرغ 1781م ـ 1789م، الجزء الثاني، 116 وما يليها. التاريخ المذكور في «دوحة الوزرا»: 1154هـ/ 1738م لا يمكن أن يكون صحيحاً. أوتر أفضل: 1741.

إلى البادية لكن سليمان تبعه ومعه منيخر كدليل. وبعد مقاومة شجاعة أسر سعدون وقطع رأسه (1742م أو 1743م)[1].

أحدث قتل العربي النبيل على يد "عبد" أثراً عميقاً في نفوس الناس ولكنه لم يوقف صعود المنتفق. فقد ظلوا محتفظين بمكاسب الأعوام الأخيرة، وبمنح منيخر حق جباية الضرائب في السماوة[2]، وبأراضيهم في شط العرب.

الأعوام التالية لم يكن لها أي شأن بالنسبة لتاريخ المنتفق[3]. لكن الربع الأخير من القرن الثامن عشر أوصلهم إلى قمة من القوة والنفوذ لم تبلغها أي قبيلة بدوية أخرى في العصر الحديث. بسبب قيام كريم خان الزند بنقل مركز ثقل السلطة السياسية لفارس نحو الجنوب أصبح الاستيلاء على البصرة هدفاً رئيسياً للسياسة الفارسية وأصبح الدفاع عنها مهمة رئيسية للإمبراطورية العثمانية. لكن الإمبراطورية العثمانية التي أدمتها حروبها الأوروبية لم تكن قادرة على تقديم أي مساعدة، والحكومة في بغداد كانت مشلولة بسبب التغيير المستمر للباشاوات. وهكذا كانت البصرة مضطرة إلى الاعتماد على نفسها ولم يكن الاحتفاظ بها ممكناً إلا بمساعدة المنتفق. وكان هناك خطر أكبر بدأ يهدد العراق منذ عام 1790م من جهة حدوده الصحراوية وهو الخطر الوهابي. وهنا أيضاً كان كل شيء يتوقف على موقف المنتفق؛ إذ إن بيت سعدون، الفرع الحاكم من آل شبيب، كانوا متصاهرين مع عريعر وهم الأمراء الوحيدون الذين كانوا أو ما زالوا يقاومون الوهابيين في داخل شبه الجزيرة العربية. ومن البديهي أن السعدون غير مستعدين لأداء هذه الخدمات دون مقابل. كانوا يحلمون، إن لم يكن بإمبراطورية واسعة فبدولة

---

(1) أوتر، الجزء الثاني، 123 وما يليها، 135 وما بعدها؛ دوحة، 49، يذكر هذه الحادثة أيضاً تحت تاريخ 1738!

(2) أوتر، الجزء الثاني، 171.

(3) 1747م تمرد عند وفاة أحمد باشا وقمعه سليمان أبو ليلى خلال زحفه إلى البصرة؛ عام 1751م تغيير الشيخ بسبب الاشتراك في محاولة انقلاب فاشلة للأدميرال في البصرة؛ عام 1768م/ 1769م عملية فاشلة لعمر باشا لأسباب مشابهة؛ عزي، تأريخ، 197، 243؛ دوحة، 160.

للمنتفق مستقلة عن بغداد وتكون عاصمتها البصرة. لم يتحقق هذا الحلم ولكن موقفهم اللاحق إلى جانب العثمانيين مكنهم من التدخل في بغداد نفسها والتأثير على الأحداث من هناك.

عندما بدأ كريم خان في عام 1775م بمحاصرة البصرة كانت المدينة تحت إمرة سليمان آغا، الباشا اللاحق لبغداد. فوضع شيخا المنتفق عبد الله، أخو سعدون، وابنه ثامر، قبيلتهما تحت تصرفه. صحيح أن المنتفق كانوا قد فوتوا فرصة منع الفرس من عبور شط العرب، لكنهم شاركوا بشجاعة في الدفاع عن المدينة التي قاومت الحصار سنة ونصف السنة[1] والتي كان المنتفق وبني خالد يزودونها بالمؤن. بعد سقوط البصرة تابع المنتفق الحرب. ونصبوا كميناً للفرس المتقدمين على الفرات عند الفضيلة، قرب عرقة، وهزموا عند أبو حلاّنة[2] جيشاً ثانياً يقوده أخو كريم خان. ولذلك حصل المنتفق، بعد انسحاب الفرس عام 1779م، على السلطة في البصرة. وسيطر الشيخ ثامر سيطرة كاملة على الحاكم التركي الأول ومنع سليمان آغا من الدخول عندما حاول، بعد أن أطلق الفرس سراحه، والعودة إلى منصبه السابق. لكن وفاة الشيخ ثامر بصورة مفاجئة (خلال حملة ضد الخزاعل) والصداقة التي ربطت سليمان بخليفته ثويني، حلت العقدة: ودخل سليمان إلى البصرة.

وعندما عُيّن سليمان عام 1870م في منصب باشا بغداد رافقه ثويني حتى كربلاء وفي عام 1874م دعمه في حملة ضد بني كعب[3]. وفي العام التالي وضعه موقفه

(1) برسونز (1775م)، رحلات في آسيا وإفريقيا، لندن 1808م، 164، 170، 176؛ لونكريك، 187 وما بعدها.

(2) قناة على مسافة قريبة تحت الناصرية واقعة على الضفة اليسرى، الخريطة: الناصرية ـ كابر (1778م) في هاول، رحلة على طريق العودة من الهند. . .، 291 وما بعدها. سستيني (1781م)، 225؛ دوحة، 183. حكايات القبيلة ـ عجمي السعدون ـ تتحدث عن انتصار آخر عند "كويبيره" سبق هذا الانتصار.

(3) لونكريك، 196، 204.

في خلاف عائلي داخل عريعر في صف معادٍ للوهابيين (انظر الصفحة 201 أعلاه). ونتيجة استفزاز الوهابيين له قام في خريف 1786م بحملة إلى القصيم لكنه أوقفها فجأة عندما سمع بتمرد "الحاج" سليمان الشاوي (الجزء الأول، 298، 299)[1]. استقبل ثويني "الحاج" سليمان الهارب واقتنع منه بالتخلي عن وفائه لصديقه القديم سليمان باشا. وبعد أن عقد حلفاً مع الخزاعل وضمن عدم مهاجمتهم له، استولى على البصرة بحيلة. وبعد ذلك حاول إضفاء الصفة الشرعية على موقعه بأن جعل وجهاء المدينة يوقعون على عريضة بهذا المضمون أرسلها مع مفتي المدينة إلى القسطنطينية. ولكن سليمان باشا كان في الطريق إلى البصرة. وانتهت معركة عند أم الحنطة (تحت سوق الشيوخ) في أكتوبر/ تشرين الأول 1787م بعد صراع مرير لصالح الأتراك. وعلى إثر ذلك حصل منافس ثويني، حمود الثامر، الذي اصطف إلى جانب الأتراك قبل المعركة، على منصب الشيخ، بينما هرب ثويني[2]. ولكن في العام التالي أتيحت له فرص جديدة. فقد رغب صاحب البصرة التابع لسليمان باشا في فصل المنطقة عن بغداد وطلب من سليمان باشا، لكي يكسب المنتفق إلى جانبه، إعادة تنصيب ثويني. فوافق الباشا على طلب الرجل (الموالي له) لأنه كان يأمل في تفشيل نواياه بوسائل أخرى. وقد خاب ظنه في ذلك، لكن القوات التي أرسلها عام 1789م إلى البصرة استولت عليها دون قتال[3]. فهرب ثويني إلى بني خالد. وفي أقبا فوجئ بغزوة وهابية فحاول العودة إلى دياره. وكان قد تجمع حوله عدد من الأنصار عندما هاجمه حمود الثامر في معسكره عند سفوان «صفوان» (قرب زبير) وهزمه. فلجأ إلى بني كعب في دورق ثم مرة ثانية إلى بني خالد. وبما أنه لم يجد هناك دعماً لخططه قام بزيارة عبد العزيز آل سعود في الدرعية. وبعد أن تعب من رحلات التيه الخائبة قرر التوجه إلى صديقه القديم سليمان باشا. في عام

(1) هكذا أريد تفسير "الانقسام والتمرد في بلده"، عنوان، 46. أم ينبغي التفكير بتمرد حمود التامر؟، انظر النص اللاحق أدناه.

(2) هاول، 23 وما بعدها، 28؛ دوحة، 203 وما يليها؛ عنوان، 46.

(3) دوحة، 206 وما بعدها، لونكريك، 205 وما بعدها.

1205هـ/ 1791م وصل إلى بغداد[1]. فأعفي عنه ولكنه أبقي أسيراً يتمتع بكل مظاهر الجفاوة والتكريم. وبعد خمس سنوات سمح له سليمان بالعودة إلى قومه وعينه مرة ثانية في منصب شيخ القبيلة[2]. وقد سبق وتحدثنا (في الصفحة 203 أعلاه) عن ذهاب ثويني إلى شبه الجزيرة العربية ووفاته. تحت حكم حمود الثامر، خليفة ثويني، ظل المنتفق معادين للوهابيين. فقد شاركوا في شتاء عام 1798م/ 1799م في الحملة التركية على الهفوف (انظر الصفحة 203 وما بعدها أعلاه) وصدوا هجمات وهابية حالفهم على صدها كثير من الحظ[3].

جلب شتاء عام 1812م/ 1813م للمنتفق انتصاراً لا مثيل له. كان سعيد، ابن سليمان الكبير، قد لجأ إلى حمود لأنه لم يكن يشعر بالأمان في بغداد. فقام على الفور عبد الله باشا، الذي كان يرى في سعيد منافساً له، بتجهيز حملة للقبض على الرجل الهارب وتحرك على الرغم من نقص المؤن مخالفاً نصيحة ضباطه. كما أنه رفض المفاوضات التي عرضها عليه حمود الذي كان متوقفاً على بعد بضع ساعات على هذا الجانب من سوق الشيوخ. وهكذا وقعت المعركة: عندما نشب القتال انسحب المنتفق وظل سعيد مع عدد قليل من الفرسان في ساحة المعركة، فانقض عليه الحرس المملوكي. لكن المنتفق عادوا إلى الساحة وأسروا عبد الله باشا وأركانه. ثم أمر حمود بقتله عندما توفي ابنه متأثراً بجروح أصيب بها في القتال. فانتقل منصب الباشا إلى سعيد وقام حمود بمرافقته شخصياً إلى بغداد[4].

لقد سبق ووصفنا (في الصفحة 457 أعلاه) كيف ساعد حمود سعيد باشا في

(1) عنوان، 47 وما بعدها، 72؛ ص 137 أعلاه؛ دوحة، 211. عنوان يربط هذه المقاطع خطأ بفرار ثويني في عام 1202هـ/ 1787م. لونكريك، 206، يضع وصول ثويني إلى بغداد في عام 1792م.

(2) دوحة، 218.

(3) دوحة، 220، 224؛ منغين، الجزء الثاني، 530. قارن لونكريك، 229 وما بعدها. ومقال آخر على موقفهم الموالي للحكومة، لونكريك، 225 وما بعدها.

(4) دوحة، 270، 272؛ قارن لونكريك، 228، 234.

حربه مع الخزاعل. لكنه لم يستطع منع سقوطه (نهاية عام 1816م) على الرغم من أنه توجه إلى بغداد مع 1500 رجل حيث كان سعيد يعدّ العدة لمحاربة خليفته داود. لكن سعيد اضطر إلى تسريح القوات المساعدة لأنه كانت تنقصه الأموال والمؤن[1].

مر وقت طويل حتى وجد داود باشا الفرصة المناسبة للالتفات إلى حمود الذي كان متخلفاً عدة أعوام عن دفع الضرائب المستحقة. لجأ داود إلى الوسيلة القديمة وهي زرع الغيرة والحسد في عائلة السعدون. فدعا المتنافسين على منصب الشيخ إلى القصر حيث اختير من بينهم عقيل، ابن عم حمود، مرشحاً للمنصب ورافقته قوات حكومية إلى بلاده. لكن حمود عارض هذا الترشيح. ولكي يستطيع المواجهة طلب المساعدة من كعب وعقد حلفاً مع إمام مسقط. وبعد ذلك حوصرت البصرة براً من قِبل البدو وبحراً من قبل أسطول الإمام (1825م). لكن عقيل ومرافقيه لم يسرعوا. وبالفعل كان الزمن يعمل ضد حمود. فعندما فشل الهجوم على البصرة تخلى عنه حلفاؤه، وفي النهاية تخلى عنه الجميع حتى أبناؤه. وتحوّل المنتفق مجموعة بعد أخرى إلى عقيل الكريم. فهرب حمود لكنه أُخذ أسيراً. وكان داود باشا يريد الحكم عليه بالإعدام لكن القنصل الإنجليزي تدخل ونجح في إطلاق سراحه. ومنذ ذلك الحين نشأت علاقات وثيقة بين المنتفق والإنجليز[2].

ظل عقيل ذا حظوة خاصة لدى داود باشا. وبينما كان علي رضا باشا يجهز في حلب حملة ضد داود، عيّن عقيل قائداً للقوة التي ستقطع عليه الطريق في ما بين النهرين الأعلى. لكن الحملة لم تنفّذ بسبب انتشار وباء الطاعون. وعندما نصب علي رضا معسكره أمام بغداد أثبت عقيل وفاءه عن طريق محاولته ـ عبثاً ـ فك الحصار[3].

---

(1) دوحة، 291، 295؛ لونكريك، 237؛ هويده (1817م)، رحلة إلى شاطئ مالابار في القسطنطينية، باريس، 1820، 127 وما بعدها.

(2) لونكريك، 248؛ فريزر، الجزء الثاني، 96؛ شيحا، 47.

(3) لطفي، تأريخ، الجزء الثالث، 127؛ لونكريك، 272.

أمّا أخوه وخليفته عيسى، الذي كان قد ارتبط في الوقت المناسب مع سيد العراق الجديد، فقد ظل يتمتع بثقة علي رضا باشا حتى اعتزاله (1842م).

في هذه العقود بلغت "إمبراطورية" المنتفق أقصى اتساع لها. فقد وضع داود باشا البو محمد الجنوبيين الموجودين على دجلة الأدنى، من أم الجمل حتى العزير، تحت سلطة الشيخ عقيل[1]، ووضع علي رضا[2] ربيعة المقيمين على الغراف تحت سلطة الشيخ عيسى. ثم حصل بندر، خليفه عيسى، على القطعة الناقصة التي تصل بين المنطقتين على الضفة اليمنى لدجلة[3] بحيث أن السعدون أصبحوا يحكمون على الفرات من السماوة حتى شط العرب وعلى دجلة من الكوت حتى العزير ومن هناك حتى الحدود الفارسية. ولكن كما هو الحال في كثير من الأحيان حيث تبدو الممالك تسير على طريق التوسع والنمو، بينما يكون بناؤها في الحقيقة يتعرض للتهديد على أيدي قوى جديدة، هكذا كان حكم المنتفق آنذاك يتجه نحو السقوط. كان عليه أن يتنحى عاجلاً أم آجلاً لنظام الإدارة المباشرة الجديد.

في عام 1852م احتل الأتراك السماوة، وبعد عامين أجبروا الشيخ منصور عند تعيينه على التخلي عن هذه المنطقة. وبذلك أصبح بنو حكيم «حجيم» مستقلين، وبقي آل زياد فقط مرتبطين بالمنتفق لأنهم كانوا ينزحون معهم في الربيع إلى الصحراء. وفي عام 1861م اضطر خليفة منصور إلى التخلي عن الشطرة/ قلعة صالح. ومما كان له تأثير أكبر السعي إلى تحويل شيخ المنتفق إلى موظف تركي. كانت المحاولات الأولى بسيطة وغير ضارة. ولكن بعد الخروج من سوق الشيوخ، التي كانت القوات التركية قد احتلتها عام 1856م، عُيِّن منصور، بشكل ما

(1) خورشيد، 54 وما بعدها. أم الجمل كانت قناة تمر تحت المجر الكبير من دجلة باتجاه سوق الشيوخ. وهذه المنطقة تتطابق تقريباً مع ناحية الشطرة/ قلعة صالح اللاحقة.

(2) أو ربما داود (؟) قارن جونز، 375.

(3) ولكن بعد وقت قصير أعاد احتلالها أصحابها السابقون بنو لام.

بمثابة خلف للموظف الإداري التركي، قائم مقاماً للمنتفق ومنح لقب بك، وحصل الشيء نفسه مع الشيخ الذي جاء بعده. وقام نامق باشا بتأزيم الوضع أكثر بأن فرض عام 1863م على شيخ المنتفق (منصور مرة أخرى) موظف محاسبة تركياً؛ وبسبب خوفه على أراضي العائلة في البصرة قَبِلَ منصور بذلك. لكن هذا الإجراء لقي معارضة شديدة واضطر الباشا بعد عام من الاضطرابات والملاحقات إلى التراجع عن قراره[1]. وبقي الأمر كذلك إلى أن جاء مدحت باشا (1869 ـ 1872م) الذي نجح في إقناع السعدون بإصلاح مشابه ولكنه مدروس بشكل أعمق ويحفظ مصالح العائلة بشكل أفضل. ففي عام 1869م استدعى شيخ المشايخ آنذاك ناصر باشا إلى بغداد وكشف له خططه وهي: تحويل منطقة القبيلة إلى سنجق (لواء) وتقسيم الأراضي بين السعدون والحكومة. وافق ناصر على الاقتراحات وأصبح أول متصرف لسنجق المنتفق (1872م) الذي أصبحت مدينة الناصرية مدينته الرئيسية الواقعة على الفرات والتي بناها مهندس بلجيكي.

لم يشمل السنجق كامل المنطقة التي يسكنها المنتفق. فالأراضي التي يسكنها بنو مالك على ضفتي دجلة فوق القرنة وعلى الضفة اليسرى لشط العرب بقيت خارج السنجق. ولذلك ما لبثت هذه الأجزاء من القبيلة أن أصبحت من ذلك الوقت غريبة عن بقية المنتفق. وكان ضياع ناحية (كوت) الحي خفيف الوطأة لأن الناحية لم يكن يسكنها المنتفق (راجع الصفحة 510 أعلاه).

لم يؤد الإصلاح إلى تمزيق وحدة المنتفق وحسب بل مزق أيضاً الروابط بين القبائل وعائلة الشيوخ: فقد تنافس السعدون فيما بينهم، سيراً على طريق ناصر باشا، على تطويب «تسجيل» أراضي القبيلة باسمهم[2] (أي تملكها شخصياً). أي أنهم حوّلوا أنفسهم إلى ملاّك أراضي بينما أصبحت القبائل مع شيوخها فلاحين لا يملكون

(1) هذا التطور عرضه يعقوب سركيس، 74 ـ 77، الملاحظتان، 63، 155، استناداً إلى وثائق معاصرة، بصورة ممتازة باستثناء بعض الأخطاء الصغيرة في تواريخ السنين.

(2) مرغمون على ذلك، حسبما يؤكد يعقوب سركيس، 81، ضد لونكريك 308؛ إذ إنهم في اللحظة التي يفقدون فيها منصبهم الوظيفي، سيفقدون كل علاقة مع منطقة سلطتهم السابقة.

الأرض ويتوجب عليهم ليس فقط دفع حصة الحكومة من المحصول وإنما أيضاً حصة المالك. كما أن السعدون أنفسهم انقسموا. فقد وقف منصور باشا، الأخ الأكبر لناصر، ضد الإصلاحات، وانتقل الخلاف بينهما إلى ولديهما فالح وسعدون.

في عام 1878م هبت العاصفة. فقد ثار الأجود (ب) ضد فالح باشا والأتراك. وقاموا بمحاصرة الحامية التركية في الناصرية عدة أشهر. وواجه الجيش الاحتياطي الصغير بقيادة عزت باشا مقاومة قوية عند كوت الحي. بدأ البدو المتفوقون عددياً بالهجوم وساقوا أمامهم آلاف الجمال المحملة بالرمل مشكّلة جداراً حياً. وبينما كان الرجال الراكبون على الجمال يذرون الرمل في الهواء لكي يحجبوا الرؤية عن الأتراك، كان المشاة السائرون وراءهم يتقدمون إلى الأمام. وإذا ما كانت القوة التركية قد وصلت رغم ذلك إلى الناصرية فإن الفضل في ذلك يعود إلى شجاعة الباشا الشخصية ـ وفي النهاية سيطر الأتراك على الثورة بسبب الخيانة والرشوة. واضطر قادة الفريق المهزوم إلى الهجرة إلى الصحراء السورية. وفي وقت لاحق (1881م) تبعهم فالح باشا الذي اختلف مع الأتراك[1].

وبذلك كان نظام الجمع بين منصب الشيخ والسلطة الحكومية قد فشل؛ ومنذ الآن أصبح سنجق المنتفق يُدار من قبل موظف تركي. لكن الأتراك لم ينعموا بهذه الملكية. فقد بقيت قبائل الغراف عاصية. ولم يكن السعدون، الذين عادوا شيئاً فشيئاً إلى الغراف، ولا الحكومة قادرين على تحصيل ريع الأراضي[2].

لكن منصب الشيخ استعاد هيبته على يد سعدون، ابن منصور باشا. وكان سعدون قد عاش أعواماً طويلة كرئيس للبدو في البادية إلى أن سمح له عام 1903م بالعودة إلى المناطق الحضرية. في الشطرة، وفي سوق الشيوخ أيضاً، واجه نفس

---

(1) حسين حسني، نجد والخ. .، اسطنبول، 1328، 119 وما بعدها. ب. موريتس، جغرافيا وأعراق جنوب ما بين النهرين، 1888، 200.

(2) قارن، ريفيو، 22؛ لونكريك، 308 وما بعدها. الآن تحصّل الحكومة للسعدون حصتهم (7,5٪). كما أن جزءاً من أملاكهم انتقل إلى شيوخ الغراف عن طريق الشراء.

الصعوبات التي واجهها أسلافه واصطدم مجدداً مع الحكومة لكنه عومل بالحسنى مرة أخرى. وبعد ذلك بنى لنفسه حصناً على تل المايعة فوق الناصرية[1]. لكن قلبه كان يعشق الصحراء والسياسة العربية التي كان منخرطاً فيها منذ نهاية القرن الماضي. في عام 1899م أصبح حليفاً للشيخ مبارك ابن صباح شيخ الكويت وكان قد قاتل بحظوظ متبدلة ضد عبد العزيز ابن رشيد وفقد في ذلك اليوم المشؤوم، يوم طرفية وصاريف، خمسة من أقربائه[2]. وقام بغزوات كثيرة في الصحراء: وكان يتبعه الضفير، وهم أتباع قدامى لآل سعدون، وبين حين وآخر الدهامشة. في عام 1909م تخاصم بسبب أمر تافه مع صديقه القديم مبارك[3]. وحدثت عدة غزوات هنا وهناك إلى أن بلغ الغضب عند شيخ الكويت، الحريص على سمعته، درجة جعلته يعدّ العدة للحرب. لكن سعدون ألحق هزيمة نكراء (ربيع 1910م، انظر الصفحة 59 أعلاه) بجيشه الذي كان قد التحق به عبد العزيز آل سعود مكرهاً. وبعد ذلك هاجم سعدون الكويت لكنه اضطر إلى العودة لأن الأتراك طلبوا منه التراجع.

ولكن في العام التالي (1911م) تغيرت الصورة كلياً. فقد تقرب حمود السويط، شيخ الضفير الطموح، من الشيخ مبارك. وفي الوقت نفسه بدأت قبائل سعدون تتمرد. وأخيراً حاصرته قبائله في المايعة. فأرسلت له الحكومة مساعدة، ولكن عندما هددت القبائل بإغراق الناصرية[4] طلبت الحكومة منه الانسحاب.

---

(1) التقارير الواردة في "عالم الإسلام"، الجزء الثاني، 55 وما يليها، مشوشة جداً كالعادة.

(2) محمد البسام، 1913.

(3) سرق أحد الكويتيين صقراً لرجل من السعدون. ورفض مبارك العمل على إعادته إلى صاحبه (محمد البسام). وبقدر ما يبدو هذا الدافع سخيفاً فإنه ليس غريباً عن سعدون أن يرد على هذه الإهانة بالغزو. ويقول ريحاني، تاريخ نجد، 165، أنه كانت هناك مؤامرة يحيكها الشيخ مبارك وخزعل خان صاحب المحمرة وسيد طالب صاحب البصرة وصل خبرها إلى أسماع الحكومة فقررت تحريض سعدون ضد أخطر واحد من الثلاثة وهو مبارك. لكن هذا الحلف الثلاثي تشكّل في وقت لاحق. كما أن ريحاني نفسه يقول، في الصفحة 166 أعلاه، أن الأمر لم يكن يتعلق بأمور سياسية هامة وإنما بأشياء تافهة لا قيمة لها.

(4) بواسطة بحيرة أو قداحة التي جفت الآن؛ قارن عبد الرزاق الحسني، 139.

ولكي تتخلص من مسببي الاضطرابات قررت إبعاده إلى خارج البلاد. فأعرب سيد طالب صاحب البصرة[1]، الذي لم يكن يقبل بتقاسم النفوذ في منطقته مع أي أحد وكان حريصاً على إقناع الأتراك "تركية الفتاة" بولائه لهم، عن استعداده لاستدراج سعدون ـ الذي كان قد أصبح باشا منذ زمن طويل كأسلافه ـ إلى البصرة. وهكذا اعتقل سعدون في منزله ونقل إلى حلب.

تولى حمود السويط قيادة المنتفق نصف البدو (بدور، وغزي، وحسينات، وشريفات، وجوارين، وحسن) (ب 8 ـ 12، جـ 3) وأتباعهم (القشعم، الزياد، الغزالات)، بحيث أن ابن سعدون، عجمي[2]، بقي عاجزاً تماماً. ولقد تحدثنا في الصفحة 156 أعلاه كيف تخلص من وضعه الصعب نتيجة انتصار ابن رشيد على حمود السويط. على إثر ذلك حضر عمه الثري مزيد إلى مخيمه. فطلب عجمي، الذي لم يكن يعرف كيف سيدفع رواتب رجاله، من عمه مزيد أن يقرضه المال. وعندما رفض مزيد العجوز، الذي كان يحمي خزانته بمنتهى الحذر والخوف، الطلب، قام عجمي بسرقة الخزنة. فلجأ مزيد غاضباً إلى حمود السويط وتبعه اثنان من أولاد أخيه، أحدهما عبد الله الفالح. وبانتقال الشريفات إلى قريبه خسر عجمي معركة الخنيقة التي كان قد ربحها. ولكن رغم ذلك كان الحظ إلى جانبه: فقد

---

(1) ينتمي سيد طالب إلى عائلة سنية من أكثر عائلات البصرة وجاهة وجاهاً. كان أبوه رئيس الطريقة الصوفية الرفاعية ونقيب البصرة، ولكن هذا المنصب كان قد انتقل حديثاً، قبل أجيال قليلة، إلى العائلة نتيجة المصاهرة. من عام 1902 حتى عام 1906م (؟) كان سيد طالب متصرف "نجد" ثم انضم بعد ثورة عام 1908م، في البداية، إلى حزب "الوحدة والتقدم" ثم إلى «التحالف الليبرالي» أو بالأحرى إلى صيغته العربية "اللامركزية". في أكتوبر/تشرين الأول 1914م استدعي إلى القسطنطينية، لكنه ذهب، بعد أن أجرى مفاوضات مع الإنجليز، إلى آل سعود (انظر الصفحة 118 أعلاه) ومن هناك إلى الهند ثم إلى مصر. وفي بداية عام 1920م عاد إلى البصرة، لكنه أصبح مزعجاً للإنجليز إلى درجة أنهم نفوه إلى الهند.. وأخيراً عاد إلى البصرة وقد سئم السياسة. ثم توفي عام 1929م في ميونيخ إثر عملية جراحية، وكان عمره حوالى 58 عاماً.

(2) الصيغة الإنجليزية "عجيمي" وعند الريحاني وفي الصحافة العراقية أيضاً. ويعود السبب في ذلك إلى خطأ ناجم عن اللفظ البدوي للاسم: «عجْمِي».

سقط مزيد من على ظهر بغله، عندما أراد مساعدة ناقل خبر النصر على الصعود إليه، ومات نتيجة لذلك. كان لوفاة أكبر آل سعدون سناً تأثير كبير أدى إلى تفرق المنتصرين عن بعضهم البعض. وأدى المال ما تبقى من المهمة: بعد عدة أشهر أصبح عجمي قانونياً وفعلياً الشيخ الأكبر لمنتفق الفرات.

كان هدفه الأول الانتقام من سيد طالب لوفاة أبيه الذي كان قد مات في الأسر التركي. لكن الحكومة حمت سيد طالب على الرغم من أنه كان أخطر خصومها. وفي صيف 1913م اغتيل في البصرة كل من متصرف سنجق المنتفق والقائد العسكري للمنطقة(*)، اللذين كان عليهما التحرك ضد سيد طالب لأن الوالي لم يجرؤ على ذلك. ولم يحدث أي شيء سوى أن المشتبه به وضع الذنب على عاتق عجمي الذي كان يعسكر أمام البصرة منذ عدة أشهر بالاتفاق مع أنصار حزب "الوحدة والتقدم"[1].

في ربيع عام 1914م خيّم عجمي مع صديقه القديم ابن رشيد قرب البصرة. كلاهما كان يتخيل حرباً مع آل سعود ويأمل في أن يتلقى فيها دعماً من الأتراك. لكن الحكومة وممثلها في البصرة لم يكن لهما مصلحة في خوض حرب في شبه الجزيرة العربية، وإنما كانا يأملان في استعادة السيادة الظاهرية على شرقي شبه الجزيرة عن طريق المفاوضات مع ابن سعود وأرسلت له لهذا الغرض وفداً برئاسة سيد طالب[2].

في 6 نوفمبر/تشرين الثاني 1914م نزلت البعثة الاستكشافية البريطانية الهندية

(*) اسم آمر موقع البصرة فريد بك، أما نوري بك الجابري فهو متصرف الناصرية وهو شقيق ساطع بك المعروف بالحصري. «وقد كانت الشكوك تدور حول طالب النقيب في قتل نوري بك كما يقول الدكتور الوردي في لمحاته الاجتماعية» (م. شبّر).

(1) الأخبار الصحفية في «عالم الإسلام»، الجزء الثاني، 47 وما يليها، 308 وما يليها، عادت غامضة إلى حد ما.

(2) راجع الصفحة 61 أعلاه. التاريخ الذي يذكره فيلبي، الجزيرة العربية، 231 وهو خريف 1913م غير صحيح حسب الريحاني، تأريخ نجد، 191 وما بعدها. الصحيح كتاب الجزيرة العربية، الجزء الأول، 355.

عند مصب شط العرب. واشترك عجمي في معركتين أمام البصرة دون أن يتعرض مع فرسانه للنيران المعادية. وبعد الانسحاب من البصرة (في 22/ 11) تعثرت العمليات الحربية. وبما أن عجمي كان مشحوناً بعدم ثقة عائلته منذ زمن طويل بالأتراك فقد حاول الاتصال بالإنجليز، لكنه لم يتلق جواباً مرضياً[1]. بالمقابل وعده الأتراك بالأملاك الأميرية التي كانت من نصيب السلطان بعد تقسيم منطقة المنتفق. ومنذ ذلك الحين حافظ على موقفه إلى جانب السلطات المركزية حتى النهاية المرة. وأتاحت له الدعوة إلى الجهاد الفرصة مرة أخرى لأن يوحد جميع المنتفق تحت راية واحدة. وقادهم في معركة الشعيبة (12 ـ 14 أبريل/ نيسان 1915م) لكنه لم يستطع منع رجاله من الفرار أمام نيران المدفعية. إلا أنه أدى خدمات أكبر في الحروب الصغيرة التي دارت على خط الفرات واستمرت عدة سنوات[2].

نتيجة انهيار السلطات المركزية[*] فقد آل سعدون نهائياً سلطتهم على المنتفق. فقد استقلت قبائل الغراف التي لم تبدِ أي مقاومة ضد الإنجليز. أمّا قبائل الفرات فقد ظلت متضامنة كما تبين من مشاركتها جميعها في ثورة عام 1935م.

ينقسم المنتفق إلى ثلاث مجموعات: الأجود، وبني مالك، وبني سعيد. وكانوا في القرن الثامن عشر خمس مجموعات هم، بالإضافة إلى الثلاث المذكورين، بنو تميم، والعتيبة. وقد اندمج بني تميم مع بني مالك، أمّا العتيبة فقد اختفوا[3]. وكانت هذه القبائل من البدو الرُحّل وتربي الجمال. وكان يقابلها قبائل

---

(1) ريفيو، 3 وما بعدها.

(2) كانت هناك مجموعة صغيرة من الفرسان شكلها الإنجليز من آل سعدون، الذين كانوا يأملون في استعادة مرتباتهم بواسطتهم، لم تشترك في المعركة.

(*) لقد كان دخول القوات البريطانية البصرة واحتلال العراق قد أدى فقدان آل السعدون بقايا سلطتهم على المنتفق. (م. شبرّ).

(3) يفترض أنهم "ينتسبون إلى العتيبة في الحجاز وأنهم جاؤوا إلى هذه المنطقة بعدد قليل من الناس"، نيبور، رحلة إلى الجزيرة العربية، 388.

نصف بدوية (شاوية) وفلاحون ومعدان. وكانت القبائل الأولى تعد من المنتفق الأصليين بصفتهم محتلين للأراضي ويتمتعون ببعض الامتيازات الضريبية، أمّا الأخيرة فكانت تعد من الخاضعين، من الرعية[1]. وخلال مائة عام تغيرت هذه العلاقة تغيراً جوهرياً. فمن الناحية الأولى تحوّل مربّو الجمال إلى نصف بدو رُحّل، ومن الناحية الأخرى صعد كثير من الخاضعين إلى مرتبة المنتفق الأصليين وانضموا إليهم. وبدأ هبوط مرتبة أولئك مع حصول شيوخ البدو على أراضي، أمّا صعود هؤلاء فقد بدأ بإثبات جدارتهم في الحروب. ولقد ظل هذا التوازن، كما سنرى في الفصول القادمة، قائماً حتى القرن الحالي. لكن قبائل الجزائر وبعض القبائل الأخرى ظلت خارج الاتحاد.

يربي شاوية المنتفق، خلافاً لاسمهم، ليس فقط الأغنام وإنما أيضاً الأبقار. ويحمل المعدان اسم الدبّات.

يوجد في منطقة المنتفق منذ زمن طويل عدة تجمعات سكنية كان سوق الشيوخ، حتى تأسيس الناصرية (عام 1870م)، أهمها. وكانت سوق الشيوخ تسمى في الأصل سوق النواشي، وحصلت على اسمها الجديد في عهد الشيخ عبد الله (1742م ـ 1775م) الذي كان يقضي هنا مع أقربائه كثيراً من الوقت. وفي عام 1850م كان معظم سكانها يتألفون من مهاجرين جاؤوا من شبه الجزيرة العربية (قصمان، ونجادة)[2]. أمّا الخميسية الواقعة جنوب سوق الشيوخ فقد نشأت في حوالى عام 1886م ويتألف معظم سكانها من النجديين أيضاً[3]. وأمّا الشطرة، البلدة الرئيسية في الغراف الأدنى، فقد أسسها عام 1202هـ/ 1787م سكان قرية الشاهينية المتهدمة[4]. وكانت في الأصل واقعة على الضفة اليمنى لقناة متفرعة من الغراف

(1) نيبور، المرجع السابق نفسه، يوسع هذا التعبير ليشمل البدو الرحل أيضاً (في العلاقة مع آل شبيب)، وهذا خطأ كما تبين عند خورشيد، 62.

(2) انظر فريزر، الجزء الثاني، 98؛ خورشيد، 59.

(3) خورشيد، 48، 65 وما بعدها؛ عبد الرزاق الحسني، 141.

(4) عالم الإسلام، الجزء الثاني، 33.

لكنها نقلت عام 1290هـ/ 1873م إلى ضفة الغراف نفسه. وأمّا قلعة سكر باتجاه الأعلى فقد نشأت عن حصن بناه عام 1290هـ/ 1873م الشيخ سكر بن شلب، شيخ الطوقية (ب 2، الملحقون ب)، وأسس الكرادي[*] عام 1311هـ/ 1893م الحاج عباس الكرادي (من الكرادة الواقعة في ضواحي بغداد)[1].

(*) أودّ أن أُلفت نظر القارىء الكريم بالتغيرات التي حدثت بأسماء مدن وقصبات العراق في الربع الأول من القرن الماضي والوقت الحاضر. وهل سوف يتم تغير أسماء المدن والقصبات مستقبلاً؟ لذا أدرج أدناه بعض الأسماء التي يوردها المؤلف والتي تمَّ تغيرها.

الجعارة (الحيرة)، السوارية (الفيصلية ثم المشخاب)، أم البعرو (الشامية)، طويريج (الهندية)، الجربوعية (الهاشمية)، الجبايش (الجزائر)، البو صالح (الاصلاح)، الكرادي (الرفاعي)، سويج شجر (الغجر)، سويج شكبان (النصر)، سويج الطبرية (الغراف)، محيرجة (الموفقية)، البغلية (النعمانية)، دلتاوه (الخالص)، شهربان (المقدادية) فزلرباط (السعدية) قره غان (جلولاء)، مهروت (كنعان)، دلي عباس (المنصورية)، سميكة (الإبراهمية ثم الدجيل). (م. شبَّر).

(1) عبد الرزاق الحسني، 143 وما بعدها (تقرأ هناك منثر بدلاً من منتر، مخزن)، 144.

الأجود

يبدأ الأجود على الحدود الغربية القديمة للمنتفق عند عرجه ويمتدون على الغراف حتى ما بعد قلعة سكر وعلى الضفة اليمنى للفرات حتى سوق الشيوخ. القبائل الموجودة جنوب الفرات (ب 9 ـ 13) والبدور (ب 8) نصف رُحّل، شاوية، يرحلون في الربيع إلى البادية السورية ويصلون حتى الرواق والباطن، أمّا السكان المقيمون على الغراف فهم مزارعون. وهذا ما كانت عليه قبائل الغراف منذ منتصف القرن الماضي. كما أن تركيبة هذه المجموعة وتوزع أماكن سكنها لم يطرأ عليهما تغير يذكر[1]. وقد انضمت إليها قبيلتان هما: البو سعد (5) وبني زيد (4)؛ البو سعد هم في الأصل فخذ من الأزريق «الأزيرج» (7)؛ أمّا بنو زيد فهم جزء صغير من القبيلة التي عالجناها في الصفحة 556 أعلاه. وفيما عدا ذلك لا يوجد ما تجدر الإشارة إليه سوى التزايد المدهش للحميد (2) الناجم عن انضمام عناصر غريبة. بالمقابل هناك اختلاف جوهري في تصنيف هذه القبائل. نيبور (1765م) لا يعرف من قبائل الغراف الحالية سوى بني ركاب(ب1) كفرع من الأجود[2]، أما خورشيد، 47، فينسب إليهم أيضاً العبودة (ب 3) وخفاجة (ب6) والشويلات والصريفيين وعقيل (ب ملحقون جـ، د، هـ). لكن خفاجة لا ينتسبون في الأصل إلى الأجود وكذلك عقيل[3]. أمّا

---

(1) خورشيد، 52 وما يليها.

(2) الجزيرة العربية، 388. نيبور يسميهم: آركاب!

(3) جونز، 76، ينسبهم إلى سرّاج «سراي» ـ ربيعة.

الشويلات[1] والصريفيين فيبدو أنهم معدان. كما أن العبودة أيضاً من أصل غريب[2].

من بين القبائل نصف البدوية الموجودة جنوب الفرات لا ينتمي، حسب نيبور وخورشيد، إلى الأجود القدامى سوى الجوارين (12) والزهيرية (13). أمّا الغزي (9) فهم من ناحية المنشأ فضول (بني لام)، وكانوا على الأرجح ينتمون إلى تلك المجموعة من هذه القبيلة التي بقيت في شمال شرق شبه الجزيرة العربية (انظر الصفحة 237 أعلاه). والحسينات (10) ورد ذكرهم عند خورشيد، 50، ولكن ليس كجزء من الأجود.

لم يكن للأجود، على الأقل في منتصف القرن الماضي، زعيم مشترك. لدى القبائل الشمالية (بني ركاب، عقيل، شويلات، الصريفيين وحميد) كان يوجد رؤساء للجمايع[*] «جماعات» يرتبطون مباشرة بشيخ مشايخ المنتفق[3]. أمّا أهم أسرة بين أجود الغراف فهي آل منّاع. وفي أغلب الأحيان يوصف رئيسها زامل بأنه شيخ الأجود[4].

---

(1) انظر جدول البو محمد، الملحقون 3.

(2) عبد الرزاق الحسني، 137. وهناك أيضاً عبودة وصريفيون وآخرون ينتمون إلى بني مالك، خورشيد، 46.

(3) تعبير «الجماعة» (جماميع)[*] يعني حسب خورشيد، 58، مجموعة من الناس يعيشون معاً في خيام من القصب. ومثل هذه الجماعات مذكور على الخارطة، قلعة سكر، الناصرية، عدد كبير منها.

(4) معروف منذ عام 1913م. عالم الإسلام، الجزء الثاني، 45، رقم 91.

(*) يستعمل البدو صيغة جمعية لبعض الأسماء أو الكلمات جميع = جماميع أي مجموعات أو جماعات وكذلك رجال = رجاجيل. (م. شبّر).

بني مالك

تعيش قبائل بني مالك (جـ 1 ـ 4) على الفرات إلى جوار قبائل الأجود مباشرة وتنتشر حتى شمال وجنوب هور الحمَّار. وعلى عكس الأجود فقد كان لهم منذ القدم شيخ أعلى هو في الوقت الحاضر بدر الرميّض الذي يتمتع بسمعة أكبر مما له من نفوذ.

هناك فرع آخر لبني مالك يعيش على الجانب الآخر من شط العرب، لكنه فقد الصلة مع الآخرين بسبب تقسيم منطقة المنتفق[1]. هذان الفرعان يتطابقان تقريباً مع المجموعتين اللتين انشق إليهما بني مالك عام 1850م. إلاّ أن الفرع الأول كان يعيش آنذاك على ضفتي دجلة الأدنى بين العزير والقرنة، وكانت قبيلة واحدة منه فقط، وهي الحكام «الحجام»[2]، تعيش على الفرات. وفيما يتعلق بتركيبة هذه

(1) لذلك لم يذكر في الجدول. شيخ المشايخ: مهلهل بن عرفج. القبائل: العرفج، بنو إسكين (سكين)، بنو نهد، الشريفات، وغيرها (عجمي السعدون 1929م). بني نهد والشريفات يذكرهم نيبور الجزيرة العربية، 388، والعرفج والسكين يذكرهم خورشيد، 46. في الخرائط الأحدث يرد ذكر المجموعة تحت اسم المنتفق القديم «خلط» (انظر الصفحة 590 أعلاه). بخصوص أصل عائلة شيوخها انظر المعلومات التي لا توحي بقدر كبير من الثقة في عالم الإسلام، الجزء الثاني، ص 28، رقم 6، 7.

(2) وهي أيضاً غير موجودة بين قبائل القرنة التي يذكرها عبد الرزاق الحسني، 146، على الرغم من أن الناس قد أكدوا لي عام 1939م في بغداد أن مجموعة كبيرة من بني مالك قد بقيت بين العزير والقرنة.

المجموعة فإن خورشيد (48 وما بعدها، 53 وما بعدها) يذكر الإبراهيم والبو صالح والحسن (جـ 1 ـ 3) في أماكن سكنهم الحالية ولكنه لا ينسبهم إلى المنتفق؛ وهذا يعني أنهم انضموا إلى بني مالك في وقت لاحق. من ناحية أخرى يبدو أن العشرين قبيلة التي ينسبها خورشيد، 46، إلى هذه المجموعة، قد اختفت جميعها باستثناء الرمّيض والحكام «الحچام».

هناك ثلاث قبائل من المجموعة الثانية معروفة منذ زمن قديم؛ ويبدو أننا لا نعرف تكوينهم الحالي بشكل كامل (انظر الصفحة 614، الحاشية 1). وأن تكون هذه المجموعة قد انضمت إليها أيضاً عناصر غريبة فهذا ما يثبته الزوابعة والشمامرة، أي زوبع وشمر، وكذلك تميم خورشيد المذكورون في الصفحة 542 أعلاه.

كانت هذه المجموعة الثانية من بني مالك تسكن في منتصف القرن الماضي على الضفة اليسرى لشط العرب من السويب حتى ناحية دعيجي (منتصف الطريق: البصرة ـ المحمرة). وفيما وراء الشط كانت تنتشر بعيداً نحو فارس «إيران» في السهول الواقعة بين الحويزة والكارون. كانت كلتا المجموعتين تخضع آنذاك لنفس الشيخ وكانتا تخيمان في الربيع مع شيخ المنتفق في البادية السورية. ولم يزل البو صالح يفعلون ذلك حتى اليوم، لكنهم لم يعودوا يتبعون السعدون.

بني سعيد

بالمقارنة مع المجموعتين الأخريين من المنتفق "الأصليين" يعيش بني سعيد إلى حد ما في الظل. ويعود السبب في ذلك إلى بعد المنطقة التي يتنقلون فيها والتي تضم السهول المحيطة بمزار السيد أحمد الرفاعي[1] المليئة بالأهوار. وهي تمتد من الداوية (دواية) وهور الغموقة في الغرب حتى الشطانية ومن شط الدجيلة في الشمال حتى مسافة قريبة من الفرات. في الطرف الغربي من منطقتهم كان بني سعيد في منتصف القرن الماضي يمارسون الأعمال الزراعية[2]، وفي وقت لاحق في الطرف الشرقي أيضاً. ولقد أصبحت القبائل التي استوطنت هنا، وهي المريان، والعيسى، والبزون[3]، مستقلة.

وهناك حكاية تقول بأن شيخ بني سعيد، المحيسني، قد أعمي على يد ثويني

---

(1) مؤسس فرقة الرفاعية «الدراويش النواحون». ويسمى السهل باسمه: جزيرة السيد أحمد الرفاعي.

(2) خورشيد، 52. وفيما عدا ذلك مربو أغنام وأبقار. إضافة إلى ذلك يذكر خورشيد، 48 وما بعدها، جماعات من بني سعد (مستقرين) يعيشون على الفرات تحت سوق الشيوخ (1000 رجل).

(3) البزون؟ في الخريطة يسمون «بُزّون»، ولكن انظر ص 478 أعلاه، أم بَزّونة، موزيل، الفرات الأوسط، 113، 117، وإنما أ. بَزّونة؛ وفي: مسح الحيوانات في العراق. يرد الاسم "بِزون" بمعنى "المستنقع".

لأنه طلب الحماية من أولاد سرداح ضد إرادته (انظر الفصل ما بعد القادم). لكن ثويني ندم على فعله الشنيع وتنازل عن أراضي الغموقة للمحيسني[1].

(1) محمد باقر، 82 وما بعدها.

المريان

انبثق المريان عن العيسىٰ. ويقال بأن جدهم كان رجلاً غريباً اكتسب سمعة عن طريق قتل أصدقائه الذين يحمونه. وهو يعود حسب شجرة النسب إلى بداية القرن الثامن عشر(1). لا يملك المريان أراضي وإنما يعمل بعضهم في خدمة شيوخ العيسى وبعضهم في أراضٍ يستأجرها شيوخهم من شيوخ آخرين. وهم يخضعون لنفوذ البزون.

(1) محمد باقر، 85 وما بعدها. أن يكون آلبو ندى «البونده»، والأوقر آل ندى «آل نده»، وهم جماعة فتية تماماً في علي الغربي، قبيلة شقيقة للمريان، كما يزعم محمد باقر، فهذا أمر يبدو مستبعداً كلياً. أما أن يكونوا منحدرين من قبيلة تحمل الاسم نفسه وتعيش قرب مندلي (انظر صفحة 578 ب1 أعلاه) فهو أمر أكثر احتمالاً.

العيسى والبزّون (البزون)

يرجع العيسى والبزون أصلهم إلى رجل اسمه سرداح كان، حسب مشجرة النسب، موجوداً في نهاية القرن السابع عشر، ولذلك يسمّون إيضاً السرادحة. وفي الحقيقة فإن سرداح هو فعلاً جد البزون ولكنه ليس جد العيسى؛ إذ يوجد بين أحفاده رجل اسمه بزون ولكن لا يوجد أي رجل اسمه عيسى. والأرجح هو أنه مؤسس عائلة شيوخ العيسى الحالية. وأن يحصل رجل غريب على منزلة الشيخ فهذه حالة ليست نادرة. فقد كان غريباً ولكن ليس من مكان بعيد[1] وإنما من المولودين في بلاد المنتفق؛ إذ إنه حصل لا شك على اسم سرداح النادر تيمناً بشيخ مشهور من مشايخ المنتفق في القرن السابع عشر (انظر مشجرة النسب)[2].

في عهد ناصر باشا السعدون ـ شيخ مشايخ المنتفق منذ عام 1866م ـ حصل العيسى والبزون على أراضٍ في الشطانية وعودة حيث تخلوا شيئاً فشيئاً عن حياة البداوة. وبما أنه توجب عليهم في وقت لاحق دفع ريع الأراضي في العمارة فقد اغتربوا عن بقية بني سعيد الذين كانوا يعتمدون على سنجق المنتفق. وكانوا قبل عام 1877م قد طردهم جيرانهم الأزريق «الأزيرج» (انظر مقالة المعدان) وأقرباؤهم المريان[3] من موطنهم الجديد، لكنهم عادوا بعد عامين وطردوا المريان. وفي

(1) أورينس، 2، 352، برهنتُ على أن حكاية الرحيل التي رواها محمد باقر، 82، غير صحيحة.

(2) كما أن أحفاده يسمون أيضاً بأسماء شيوخ المنتفق: صقر، عثمان.

(3) كان هؤلاء يخيمون عام 1850م، أي قبل العيس والبزون، قرب عوده، جونز، 377.

وقت لاحق تصالحت القبائل الثلاث لأن العيسى والبزون[*] تلقوا الدعم من المريان في العداء الذي نشب بينهم وبني البودراج.

في عام 1932م قتل البزون رجلاً كان يستأجر الأراضي منهم. ولذلك انتزعت الحكومة عودة من القبيلة وأعطتها للأزيرج. وبما أن البزون لم يكونوا راضين عن التعويض الذي قدمته لهم الحكومة فقد شنوا هجوماً على الأزريق «الأزيرج» في مايو/ أيار 1938م أثناء فترة الحصاد. فرد الأزريق «الأزيرج» على الهجوم وحرقوا خيام (أكواخ) البزون، لكنهم فقدوا في أثناء ذلك 160 قتيلاً. وبعد جهد جهيد تمكنت المحكمة المختصة بقضايا القبائل من تسوية النزاع. وفي خريف 1946م اشتد التوتر بين القبيلتين مرة أخرى، ولكن السلطات الحكومية حالت دون وقوع صدام جديد.

(*) ذكر عباس العزاوي في الجزء 4 ص74 أن البزون يتفرعون إلى فرعين فرع ذكره المؤلف وهم آل خليفة ويتألف آل خليفة من آل مگصود والمنتاتشة والخليفة وبيت محمد.

أما الفرع الثاني فهو آل بري ويتفرعون إلى السعيد والزعيطر والسويد والتومان.

من رؤسائهم نايف أبو عوجة وثجيل. (م. شبّر).

عائلة شيوخ المنتفق[1]

تعود الرواية التاريخية لبيت شبيب ـ سعدون في تسلسل نسب الأسرة إلى مانع (انظر الصفحة 592 أعلاه). وما إذا كان شبيب أبو مانع أو أحد أجداده فهو أمر مشكوك فيه؛ على الأرجح أحد أجداده[2]. وتجدر الإشارة إلى أن آل شبيب لم يكونوا الخط الوحيد للعائلة، بل كان إلى جانبهم آل صقر المسمّون باسم أحد أخوة شبيب. وقد تفرع آل صقر إلى: آل ناصر، وآل سرداح، وآل صالح، بينما تفرع آل شبيب إلى: آل مانع، وآل مغامس، وآل محمد[3]. وفي عام 1850م كان هناك ثمانية خطوط لآل شبيب هم: السعدون، والراشد، والصقر، والعزيز، والصالح، والعيسى، والعلي، والعثمان، وجميعهم أحفاد شيوخ مشايخ سابقين[4]. أي أنه لم يبق من القدامى سوى الصقر والصالح وفرع من المغامس،

---

(1) انظر شجرة النسب والملاحظة المتعلقة بها.

(2) لونكريك، 349، يعلق على السلسلة مانع بن شبيب بن مانع بن شبيب بن مهنا بالقول: الحلقات الأربع الأولى تخمينية. وبالفعل فإن مثل هذه التكرارات هي من الخدع المعروفة لعلماء الأنساب.

(3) نيبور، الجزيرة العربية، 387 وما بعدها. تحت آل مانع نعني أحفادهم غير المنحدرين من محمد أو مغامس.

(4) خورشيد، 55. اسم جد القبيلة عثمان أو بالأحرى اسم ابنه مهنا يرد ذكره عند عزي، 197 وما يليها (1748).

العزيز، وأصبحوا ينسبون إلى شبيب. ومن السعدون تميز العيسى، بصفتهم الأسرة الحاكمة آنذاك، والعلي[1]. واليوم ينقسم آل سعدون إلى 13 عشيرة (الجدول أ). والخطوط القديمة متحدة مع شبيب (أ 13) باستثناء العزيز (12). ومن قائمة خورشيد يعود العلي (أ 3) مرة أخرى. أمّا البقية فهم أحفاد شيوخ حديثين أو ينحدرون من خطوط فرعية لم تستلم الحكم.

كان الشبيب ـ سعدون يشكلون، حتى إصلاحات السبعينيات، طبقة متضامنة مفصولة فصلاً حاداً عن القبائل. وكان أبناؤهم يحملون لقب شيخ[2]، وكانت العشائر مع تابعيها يحملون اسم «حموله» (جمع: حمايل)، وهو تعبير مستعمل في شبه الجزيرة العربية ولكنه غير مستعمل في العراق[*]. وكان للشيوخ ملكيات عقارية وحصص من عائدات أخرى، سواء بصفتهم ورثة شيوخ مشايخ سابقين، أو عن طريق منح يقدمها لهم الرئيس الحاكم. وكانت هذه الملكيات العقارية معفية من الضرائب. وكان أبناء العائلة يزوجون بناتهم دوماً فيما بينهم وكانوا يختارون زوجاتهم فيما عدا ذلك فقط من ربيعة، باويه (شيوخ بني خيقان «خيگان»)، أو عريعر، أو شمر[3]. وكان الشيوخ يتمتعون بحرمة قدسية. ففي النزاعات داخل الأسرة لم يكن أي منتفقي يتجرأ على رفع يده ضدهم أو حتى ضد عبيدهم. وتعتنق العائلة المذهب المالكي السني بينما تعتنق القبائل المذهب الشيعي.

---

(1) ليس معروفاً متى حكم علي.

(2) راجع أيضاً فيما يتعلق بالتالي نيبور، 387 وما بعدها؛ خورشيد، 55 وما بعدها. يقدر نيبور عددهم عام 1765م بمائة وخمسين شخصاً، ويقدر فريزر (الجزء الثاني، 101) عددهم عام 1835م برقم مماثل تقريباً.

(*) يستعمل تعبير الحمولة في العراق وشاهدان على ذلك:

1 ـ المثل العراقي ـ البغدادي ابن حموله ـ عندما يصف رجل بأنه ابن حمولة فيعني ابن عشائر وأصيل.

2 ـ هناك أغنية عراقية مشهورة وهي من التراث الشعبي العراقي تقول كلماتها:

يابن الحمولة عليّ شبدّلك حسنك مرقيك لو عاد إلك

(م. شبر).

(3) هكذا عجمي السعدون. حسب خورشيد، 56، كان الاختيار يقتصر على ربيعة وبويه.

يظهر الشيخ الأعلى، شيخ المشايخ، في ثلاث هيئات: فهو رئيس الشبيب - سعدون، والشيخ الأعلى للمنتفق، وسيد المنطقة الكبيرة المقدمة له من الحكومة والتي تتجاوز كثيراً حدود القبيلة. وكان، خلافاً لرؤساء القبائل الآخرين، يحكم حكماً مطلقاً. فكان ينتزع الملكيات من أعضاء أسرته غير المنضبطين. كان سيد المحكمة. وكان يطلب في حالات القتل، بالإضافة إلى الدية المستحقة لعائلة المقتول، غرامة (نكال)[1] تتحمل قبيلة القاتل المسؤولية عن أدائها. وكان من حقه إصدار حكم الإعدام؛ وكان ينفذ بيده أحكام الإعدام الصادرة بحق أعضاء الأسرة والشيوخ الآخرين.

إن هذه الصلاحيات غير العادية لا بد أن جذورها تعود إلى العلاقة البدائية بين الشيخ والقبيلة. وعلى هذا الأساس فإن الحكاية التي تشتق مكانة الشبيب - سعدون من الامتيازات التي منحها بنو مالك لمؤسس العائلة تتضمن شيئاً من الحقيقة. لكن اتساع وتطور هذه الصلاحيات يعود إلى السلطة الاقتصادية الهائلة التي يتمتع بها "شيخ المشايخ" بصفته المسؤول العام عن جباية الضرائب في بلاد المنتفق وفي مناطق كثيرة خارجها. وكان "شيخ المشايخ" يحدد مقدار الضريبة ويكلف آخرين بتحصيلها لقاء نسبة معينة. كانت ضريبة أشجار التمور (النخيل) ثلاثة أرباع المحصول، وضريبة بقية المنتوجات الزراعية ثلثي المحصول، وضريبة الأغنام ثلثي الزيادات، وضريبة الجواميس ثلثي محصول الزبدة. إضافة إلى ذلك كان جميع البالغين من الرعية (الشاوية، والفلح، والمعدان) خاضعين لضريبة شخصية على الراس الداؤودية، «الداؤدية»، بينما كان المنتفق الأصليون لا يدفعون سوى ضريبة الماشية[2]. أمّا في القبائل الغريبة فكان الشيوخ يؤدون دور المتعهد المسؤول أمام

---

(1) قدرها 1200 شامي (1 شامي = 8 قروش).

(2) خورشيد، 62 وما بعدها. لكن هذا يجب أن يكون عائداً إلى زمن أقدم لأن التعبيرين «منتفق أصلي» و «بدو رحل» لم يعودا متطابقين عام 1850م. ولقد ذكر له أحد الأطراف أن مقدار «الداودية» يتراوح بين 8 و30 شامي وذكر طرف آخر أنه 15 شامي وأن المبلغ الإجمالي كان يصل إلى 100000 شامي. وهذا يعني، حتى في حال اعتبار الداودية «الداؤدية» 10 شامي

شيخ المشايخ عن الجباية لقاء نسبة معينة[1].

يضاف إلى ذلك عائدات ضخمة من الجمارك. كان يوجد على الفرات في القرن الثامن عشر نقطة جمركية مقابل نهر عنتر وأخرى في عرجة. وكانت هذه تابعة لفرع الصالح من عائلة الشيوخ[2]. في القرن التاسع عشر أصبحت جمارك الفرات تجبى في سوق الشيوخ؛ وكانت تؤجر إلى جانب ضرائب أخرى في الناحية بمبلغ 50000 شامي. وكان جمرك دجلة، الذي كان مركزه موجوداً في زكية فوق القرنة، يؤجر بمبلغ 12000 شامي؛ وكانت الضريبة العقارية في ناحية زكية تجلب مبلغاً مماثلاً.

وأخيراً نذكر الملكية العقارية التي كانت تمنح للشبيب من حكام المدن، ومنها جزء كبير من بساتين النخيل في البصرة في عام 1741م[3]. ولقد بقي جزء كبير من هذه الأملاك في يد العائلة.

مقابل هذه الموارد الضخمة لشيخ المشايخ لم يكن يتوجب عليه، حسب خورشيد، 64، أن يدفع للأتراك سوى رسوم ضئيلة نسبياً[4]. إلا أننا يجب أن

فقط، أن عدد "الرعايا" كان يصل إلى 10000 شخص. أما في الواقع فكان عددهم أكبر من ذلك بكثير. وهذا يعني أن الملزمين بدفع الداودية «الداؤدية» (ضريبة الرأس) لا يتطابقون مع الخاضعين ـ ويفترض أن العائدات الضريبية للبدو الرحل كانت بسبب قطعانهم الكبيرة تعادل من ناحية الحجم العائدات الضريبية للرعايا.

(1) كان بنو حكيم «حجيم» تحت السماوة يدفعون 100000 شامي، والمياح ـ ربيعة على الغراف الأعلى 300 شامي، ؛ خورشيد، 64؛ جونز، 376.

(2) نيبور، وصف رحلة، الجزء الثاني، 248 وما بعدها؛ أوتر، الجزء الثاني، 163، 168.

(3) خورشيد، 63.

(4) انظر صفحة 597 وما بعدها أعلاه. عام 1850م كانت هناك 15 ناحية مؤجرة في يد المنتفق؛ خورشيد، 18 وما بعدها. وقد تمّ فصل 6 و8 نواح من هذه النواحي من منطقة المنتفق في العامين الناقصين عند خورشيد 1861م و1867م. وكانوا قد منحوا عام 1744م منطقة عند سوق الشيوخ؛ فريزر، الجزء الثاني، 96.

جونز، 379، يقدر ضريبة المنتفق بحوالى 750000 شامي؛ ولكن القبيلة كانت تستطيع دفع مبلغ أكبر بكثير.

نضيف إلى ذلك المبالغ الضخمة التي كان يدفعها الشيوخ عند تعيينهم وعند منحهم جميع الألقاب الممكنة (انظر الصفحة 599 وما بعدها أعلاه). ومنذ تثبيت البيروقراطية التركية في أواسط القرن الماضي كان منصب الشيخ الأعلى، أو بالأحرى تأجير النواحي التي تتألف منها منطقة المنتفق حسب التعبير الرسمي، يطرح بالمزاد لمدة ثلاث سنوات عادة بين الشيوخ الداخلين في الاعتبار، علماً بأن الحكومة، ولأسباب سياسية، لم تكن تعطي المنصب دوماً للشيخ الذي يقدم أعلى العروض[1]. وكان الشيخ ملزماً بصيانة السدود الموجودة بين السماوة والبصرة، وهي مهمة كان أداؤها في صميم مصلحته الشخصية[2].

على الرغم من هذا الارتباط الوثيق بالأرض كان شيوخ الشبيب ـ سعدون يشعرون بأنهم أمراء بدو. فكان شيخ المشايخ يتجول في مارس/آذار أو قبل ذلك مع البدو لمدة ثلاثة أشهر في الصحراء، وعندما كان في الفصول الأخرى يقيم في مكان ثابت، في السابق عند نهر عنتر وكوت المعمر وفي وقت لاحق عند سوق الشيوخ، كان يسكن دوماً في خيمة[3]. وأيضاً بعد انهيار سلطة الأسرة على المنتفق ظل آل سعدون متمسكين بهذا المنشأ البدوي. ومعظمهم لم يزل حتى اليوم بدواً ومربي جمال، بينما أصبح بعضهم من كبار الملاكين[4] وآخرون من كبار الموظفين. وهناك حادث مأساوي وقع عام 1930 يلقي الضوء على النزاعات التي

(1) يعقوب سركيس، 72، 75، 77. عام 1860م بلغ مبلغ الإيجارات السنوي 2450000 قرشاً وفي عام 1867م، 4338875 قرشاً.

(2) فريزر، الجزء الثاني، 103. بخصوص بناء السدود انظر موريتس: عن جغرافيا وسكان جنوب ما بين النهرين، 197 وما بعدها.

(3) هويده، 91، 97. تايلور، رحلات من بريطانيا إلى الهند في عام 1789م، الجزء الأول، 256؛ فريزر، الجزء الثاني، الجزء الثالث؛ ولستة، رحلات إلى مدينة الخلفاء، الجزء الأول، 198 وما بعدها: نصب عجيل خيمته عام 1830م على سطح البيت الذي خصص له في بغداد؛ لوفتوس، 135، خورشيد، 66: شيخ المشايخ لا يجوز أن يسكن في بيت.

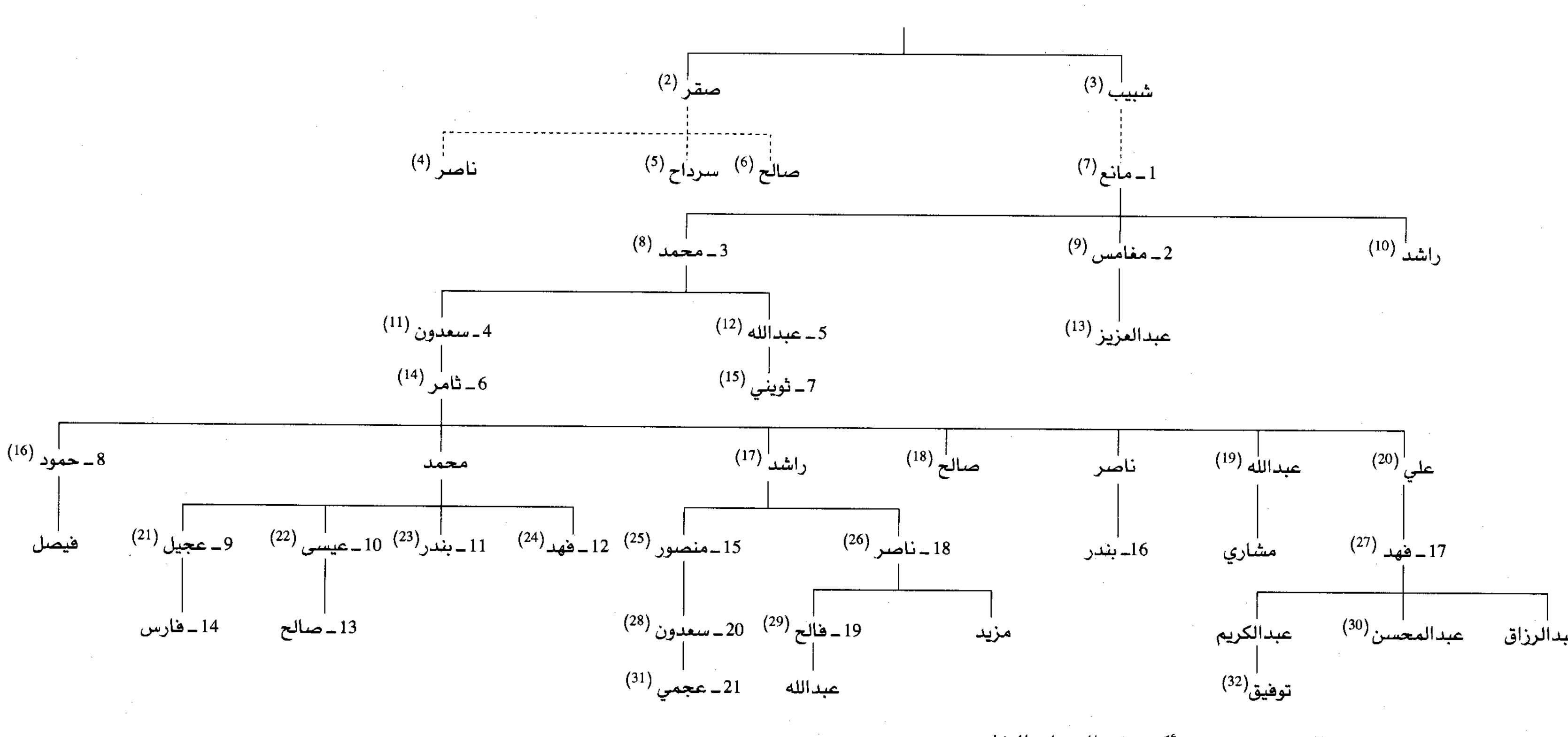
(4) عبد الرزاق بن فالح باشا، وابنه محمد وابن أخيه فالح بن عبد العزيز (الأخير في البصرة).

نشبت داخل العائلة بين الجزء المتمسك بالحياة البدوية والجزء الذي انتقل إلى الحياة المدنية. في نهاية عام 1929م انتحر عبد المحسن السعدون الذي تولى أربع مرات منصب رئيس الوزراء العراقي. تقدم شاب، ابن باشا، يعمل مديراً في إحدى الوزارات لخطبة ابنته. فوافقت الأم على ذلك، لكن شيوخ السعدون البدو رفضوا طلب الشاب لأن فتاة من السعدون لا يجوز أن تتزوج إلا ضمن العائلة(*). وعلى الرغم من ذلك أقيم حفل الزواج. وبعد وقت قصير جاء عبد الرزاق، أخو عبد المحسن، إلى بغداد وقتل الزوج الشاب رمياً بالرصاص في غرفة عمله. حكم على عبد الرزاق(**) بالسجن المؤبد ولكن أعفي عنه بعد ثلاث سنوات.

(*) كان مدير الداخلية العام عبد اللّه الصانع يزاول أعماله الحكومية بديوانه الرسمي دخل عليه الشيخ عبد اللّه الفالح السعدون وأرداه قتيلاً. حيث كان القتيل قد اقترن بكريمة عبد المحسن السعدون على رغم معارضة آل سعدون له. حيث كان ينظر إلى عبد اللّه الصانع بدرجة دونية لكون أمه زنجية مملوكة للوالدة. وقعت جريمة القتل في 7/ 11/ 1931م وقد حكم على عبد اللّه فالح السعدون بالإعدام ولكن الملك فيصل الأول عفا عنه وأطلق سراحه لاعتبارات قبيلية. (م. شبرّ).

(**) عبد اللّه الفالح وليس عبد الرازق. المصدر: [تاريخ الوزارة العراقية الحسني/ عبد اللطيف الشواف شخصيات نافذة]. / وسيرة وذكريات ناجي شوكت. (م. شبرّ).

مشجرة نسب عائلة شيوخ المنتفق (1)



ملاحظة: توجد هذه المشجرة بحجم أكبر في المجلد الخامس.

ملاحظات حول المشجرة

1 ـ بالاستناد إلى سلسلة نسب لونكريك 349. لم يذكر سوى الأشخاص المهمين تاريخياً أو نسباً فقط. وبما أن علاقة الجيلين الأولين غير مؤكدة فقد رسمت خطوط الصلة منقطة. أمّا سلسلة المشايخ المحددة بالإمام فهي بطبيعة الحال تقريبية.

2 ـ الجد الذي أخذ منه آل صقر اسمهم.

3 ـ الجد الذي أخذ منه آل شبيب اسمهم.

4 ـ جد آل ناصر.

5 ـ جد آل سرداح.

6 ـ جد آل صالح.

7 ـ جد آل مانع ـ حوالى عام 1700م.

8 ـ جد آل محمد ـ نهاية عام 1731م شيخ المشايخ، صبحي 37 يمين.

9 ـ جد آل مغامس ـ الربع الأول للقرن الثامن عشر.

10 ـ جد الراشد.

11 ـ جد آل سعدون ـ توفي عام 1742 أو 1743م.

12 ـ 1742 ـ 1775 مع بعض الانقطاعات، قارن صفحة 599، 600 أعلاه. أُوتر الجزء الثاني، 163.

13 ـ جد العزيز (الجدول أ 12).

14 ـ توفي 1780م.

15 ـ 1780م ـ 1787م. 1788م ـ 1789م. 1796م ـ 1797م. لقد رسم هويل، 23، صورة لشخصية ثويني: "الشيخ رحل في متوسط العمر، شجاع جداً وكثير

التصرف. ذكاؤه وحكمته، العدل والاعتدال الذي أدار به الحكم في البصرة جعلته محبوباً من قبل قومه وأدت إلى احترام الجميع له".

16 ـ الشيخ الخصم لثويني 1787 ـ 1788م، 1789 ـ 1796م. خليفته منذ 1797م تمّ عزله في منتصف عشرينيات القرن التاسع عشر. شخصيته الغريبة جعلته بطلاً لحكايات القبيلة. لونكريك 206. عام 1817م التقى هويدي (ص 97) أخاه محمد كنائب له.

17 ـ جد الراشد (أ 1).

18 ـ جد الصالح (أ 10).

19 ـ جد العبد الله (أ 2).

20 ـ جد العلي (أ 3).

21 ـ جد العجيل (أ 6). خليفة حمود. اشتهر عجيل بكرمه وحكمه، الجيد وشجاعته. ترك انطباعاً عميقاً لدى ولستدت الذي زارة عام 1830م في سوق الشيوخ. توفي عجيل مبكراً. وكان أخوه الأكبر عيسى قد أطلق سراحه من قبل داود باشا أثناء الطاعون الكبير عام 1831م وهرب إلى والي حلب، (علي رضا باشا الذي كان موجوداً آنذاك، في الموصل بهدف اعتقال داود المكروه وتنصيب نفسه خلفاً له في بغداد). بهذه المساعدة جمع قوة كافية لكي ينازع أخاه السلطة. حصلت المعركة في واسط وسارت في البداية لصالح عجيل. لكن حصانه وقع وسقط هو تحته فاخترقه أحد الرماح، (ولستدت، الجزء الأول، 180، 188، 199 وما بعدها). وحسب روس، 455، قتل عجيل بيد شمر/ جربا. فهل كان هؤلاء يشاركون بحملة عيسى؟.

22 ـ منذ 1831م. يعتقد أن عيسى هو قاتل بنيه، انظر الجزء الأول 240 ـ 241. فريزر الجزء الثاني، 116 وما يليها، زاره عام 1835م في سوق الشيوخ ورسم صورة كاريكاتيرية له. ويصفه آينسورث (1836م)، حكاية شخصية في رحلة الفرات، الجزء الثاني، 74، بأنه رجل متقلب المزاج. ولما امتنع عيسى عن المشاركة في

حملة علي رضا باشا ضد المحمرة (1837م) فقد تمّ عزله وتسليم المنصب لابن عمه / فيصل/ ابن حمود، الإجراء الذي تمّ التراجع عنه لدى عودة الباشا. شيها 490، قارن: 1 .فونتاية، 366، 404.

23 - جد البندر (أ 4). خليفة عيسى (لوفتوس، 142) الذي التقى به فريزر في عام 1853م كنائب له. توفي في نهاية الأربعينيات.

24 - جد الفهد (أ 7) خليفة بندر. عندما قابله لوفتوس في عام 1850م كان فهد بين الأربعين والخمسين من عمره. كان شخصية جذابة وكان صياداً ماهراً وكان يؤكد في كل مناسبة استقلاله عن الأتراك. تمّ عزله مباشرة بعد زيارة لوفتوس له. لوفتوس، 136، 141، 145.

25 - جد المنصور (أ 1) منذ عام 1854م. كان حكمه محل نزاع في البداية من قبل صالح العيسى وفارس العجيل اللذين حكما قبله بقليل. جونز، 378؛ خورشيد 56، بيترمان، الجزء الثاني، 92 وما بعدها. وفي عام 1861م زاود عليه بندر الناصر أثناء تأجير منصب المشيخة. وفي عام 1863م كان منصور للمرة الثانية حتى نهاية العام في منصبه (انظر ص 603، 604 أعلاه).

26 - جد الناصر (أ ب). في بداية عام 1867م شيخ المشايخ «الشيخ الأعلى» مع لقب باشا، 1872م متصرف سنجق المنتفق. وفي عام 1873م كلف بإعادة الهدوء في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية التي احتلت عام 1870م وبتخفيض نفقات الإدارة. فعين هناك الشيخ بزيع العريعر كمتصرف وسحب جزءاً من الحامية التركية. إلا أن هذه الإجراءات لم تثبت نجاحها. فقد طرد الوهابيون الشيخ وهددوا القوات التركية الضعيفة. لهذا عاد ناصر باشا في عام 1874م إلى الحسا وأعاد فرض النظام حيث مارس المنتفق كثيراً من أعمال السلب والنهب. ثم نصب ابنه مزيد حاكماً.

تحمل ناصر تكاليف الحملة. وفي نفس السنة تعهد ببناء سد الجزاير على الفرات الذي كانت الحكومة تخطط لبنائه، بين سوق الشيوخ والبصرة، دون مقابل فيما إذا تركت له الأرض التي ستصلح نتيجة لبناء السد لمدة خمس سنوات دون ضرائب. فوافق الوالي على ذلك. وقد تمّ بناء السد خلال ثمانية أشهر. ولما كان

الباب العالي يرغب تعويضه عن مطالبه بدفع مبالغ نقدية له ذهب ناصر إلى القسطنطينية. وهناك تمكن من رفع مستوى البصرة إلى ولاية أصبح أول والٍ عليها (1875م). إلا أنه لم يفلح في هذا المنصب فتم استدعاءه إلى القسطنطينية حيث بقي إلى أن توفي، كونت، 7، 317، شيها 72 وما بعدها، لونكريك 303، موزيل، شمال نجد، 276 وما بعدها.

27 ـ بداية عام 1864م ـ نهاية عام 1866م. خليفة منصور لونكريك 292 يعقوب سركس 76.

28 ـ توفي سعدون باشا في نهاية 1911م في حلب. الحكايات والأشعار التي ذكرها موزيل، العادات والتقاليد عند بدو الرولة، 618 وما بعدها، تعطي صورة صحيحة عن هذا الرجل العاطفي العنيد.

29 ـ متصرف الناصرية، كانت له أملاك واسعة في البصرة وشط الكار حيث بنى لنفسه بيتاً في سنكره عام 1902م مجلة جمعية المستشرقين الألمان، رقم 16، 17 وما بعدها.

30 ـ رئيس وزراء العراق أربع مرات: 1922م و1925م ـ 1926م و1928م ـ 1929م و1929م. مع خيبة أمله من سلوك شعبه ومن سلطات الانتداب، أنهى حياته منتحراً في تشرين الثاني/ نوفمبر 1929م. علي الشرقي: ذكرى السعدون أو تاريخ بطل التضحية والإخلاص ـ بغداد 1929م، للأسف احترق قبل أن يتم قراءته.

31 ـ تبرز كفاءات عجمي العالية من خلال شهادة فيلبي (الجزء الأول 257) به: كان عجمي أعظم ان لم يكن في الواقع العبقرية العسكرية الوحيدة التي أنجبها العرب خلال الحرب وكانت صفاته تستحق اعترافاً أفضل ونجاحاً أكبر حظاً. وعلى الرغم من أنه كان عدونا لا يمكننا إنكار تقديرنا للطريقة والشكل اللذين استمر فيهما في خدمة قضية خاسرة ولا مستقبل لها على مدى سنوات الحرب في الصحراء، على الجانب الآخر من الفرات، كان دوماً سهماً في لحمنا وعاملاً توجب علينا أن نحسب له حساباً.

رافق عجمي الأتراك أثناء انسحابهم من العراق. وهو يعيش منذ ذلك الوقت

في غرموش عند اورفة، قرية كبيرة خصصت له من قبل الحكومة(*).

32 ـ يعمل في وزارة الخارجية العراقية.

المنتفق(1)

أ ـ السعدون(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الراشد			
أ ـ المنصور	سعدون السعدون(3)		
ب ـ الناصر	عبد الله بك بن فالح باشا		
2 ـ العبد الله (المشارى)	حامد بن بدر المشاري		
	سليمان بن غالب العمر		
3 ـ العلى	عبد الرزاق بك بن فهد باشا		
4 ـ البندر	عبد الله بن حميد البندر		
5 ـ النصار	صالح النصار		
6 ـ العقيل	علي بن ناصر		
7 ـ الفهد	ضاري الفهد		
8 ـ الداود	صالح الفارس		
9 ـ الدوشان	صبير بن دويش		

(*) توفى عجمي السعدون عام 1960م في تركية (المصدر: الأوضاع القبيلة في البصرة، د. خالد السعدون، الكويت 1988م). (م. شبّر).

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
10 ـ الصالح	غالب بن عبد العزيز		
11 ـ الفضل	عبد الهادي الفضل		
12 ـ العزيز			
13 ـ الشبيب	فهد البرغش		

ب ـ الاجود(4)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ بني ركاب(5)	حمادي الشاطي(6)	الحي ـ الشطرة	1000
	عطشان الفياض	الضفة اليمنى للغراف	
	مرزوق الرويح		
2 ـ الحميد(7)	موحان الخير الله	الضفة اليسرى للغراف مقابل بني ركاب	1500
ملحقون :			
أ ـ الحكام	كاظم الطراد		
	مطلق الطراد		
ب ـ الطوقية(8)		قلعة سكر	
ج ـ الشويلات(9)			
د ـ الصريفيين(10)			
هـ ـ العقيل(11)		تيلو	
و ـ القراغول(12)			
د ـ العتاب(13)			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
3 ـ العبودة(14)	خيون العبيد(15)	الشطرة	1500
	سويلم الحواس		
4 ـ بني زيد	مشرف العلي	شرق الشطرة	500
	شمخي الحويكم	شمال الدكة	
5 ـ البو سعد	حسين القعين	جنوب شرق الشطرة	500
6 ـ خفاجة(16)	سقبان العلي	جنوب الشطرة	2000
	ابن طربوش		
	خضر السالم		
ملحقون:			
أ ـ الطوينات(17)			
7 ـ الازيرق(18)	قاطع البطي(19)	شمال الناصرية	1000
8 ـ البدور		شمال الدكة	1500
أ ـ الزويد	شرشاب بن زويد(20)		
ب ـ الفواز(21)	مانع المقبل		
ج ـ الرسن	مانع بن نون		
د ـ النجم	فلقوس بن عباس		
9 ـ الغزي	منشد الحبيب	غرب الناصرية	500
10 ـ الحسينات	فرحان الصويني	جنوب الناصرية	1500
	عقيل التويه		
	عواد الوهابي		
	حفاظ الجوهر		

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
	حزام الزعيل		
11 ـ الشريفات(22)	عطب بن صلال	جنوب الحسينات	500
	هايف شديد		
12 ـ الجوارين(22)	ناصر بن قبيح(23)	سوق الشيوخ	1000
13 ـ الزهيرية		الناصرية	
ملحقون:			
1 ـ الرفيع(24)	موسى بن زعير	الغراف	300

ج ـ بني مالك(25)

شيخ المشايخ: بدر الرميض(26)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الابراهيم(27)	مهلهل بن روضان	شمال شرق الناصرية	
2 ـ البو صالح(28)	بدر الرميض(26)	شمال الحمار	1000
3 ـ الحسن(29)	حمودة بن مزيعل البشارة	جنوب سوق الشيوخ	500
4 ـ الحكام(30) «الحجام»	ريسان بن قاصد الناهي	جنوب الفرات على سوق الشيوخ	500

د ـ بني سعيد(31)

شيخ المشايخ: نايف المشاي
المنطقة: جزيرة السيد أحمد الرفاعي

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المعيوف(32)			
2 ـ البراغيث			
3 ـ الفهد			
4 ـ الغشيم			
5 ـ الابهج			
6 ـ الجميلة			
7 ـ الوبران			
8 ـ الشمسي			
9 ـ الدريع			

هـ ـ المريان(33)

شيخ المشايخ : طلاع الطوقان
المنطقة : السيد أحمد الرفاعي
عدد العائلات : 1500

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ آل نخش	طلاع الطوقان		
2 ـ آل عواد			
3 ـ آل صافي			
4 ـ بيت شويخ			
5 ـ الصليح			
6 ـ البو طويل			
ملحقون : (34)			
1 ـ النويصرات(34)			
2 ـ البو خنيفس			

و ـ العيسى(35)

شيخ المشايخ : مزيد الحمدان السكر
المنطقة : الشطانية
عدد العائلات : 2000

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ آل دجين(37)	بيت فدعم(36)		
2 ـ آل حمدان			
3 ـ الجبارات	اسماعيل الجبارة		

ز ـ البزّون(35)

شيخ المشايخ(36): فالح أبو عوجه
المنطقة: السيد أحمد الرفاعي
عدد العائلات: 2025

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ آل خليفة	بيت محمد(37)		
2 ـ . . . (38)			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1929م. المصدر: عجمي السعدون. ثم أضاف لاحقاً بعض التعديلات. من القوائم القديمة، فقط خورشيد، 64 وما بعدها. بما فيها قوائم التابعين للمنتفق من المقيمين على الفرات (48 وما بعدها) والغراف (52 وما بعدها). جميع قبائل الغراف أصبحت في هذه الأثناء، منضمة للأجود أو ملحقة بهم، بينما جزء فقط من قبائل الفرات. أمّا بالنسبة للبقية فنستشهد ببعض المعلومات الصحفية المتفرقة: الهماهمة (200)، المطيرات (مطيرات، 400)، الشواليش (الشالوشة 400)، الفريحي (600 على الخارطة الناصرية) فوق سوق الشيوخ بالإضافة إلى القبائل المذكورة في الملاحظة العائدة لجدول بني خيقان وبني أسد. أُضيف إليهم العساكرة (ورد ذكرهم أول مرة في عالم الإسلام جـ 2، ص 28، رقم 10). أمّا المجرة، أو بالأحرى أهل المجرة، المذكورين عند شيحا 241 و245 فهم ليسوا قبيلة وإنما فلاحون في المنطقة التي تحمل نفس الاسم.

يقدر خورشيد قبائل المنتفق الحقيقية الثلاث بـ 2500 و1500 (الأجُود) و1800 رجل. ويقدر عدد جميع السكان الذين يحكمهم السعدون بـ 75000 رجل.

2 ـ انظر فصل: عائلة شيوخ المنتفق، مشجرة نسبهم والملاحظات المتعلقة

بها. صرخة الحرب: بني منشا!

3 ـ ابن أخ عجمي.

4 ـ يضيف خورشيد لهم، علاوة على القبائل المذكورة في الصفحة 612 أعلاه وقبيلتي الطوقية والطوينات المذكورتين في الجدول، ستة قبائل أخرى ومنها العصوم التي يذكرها عبد الرزاق الحسني، 137. والبو سعيد التي يذكرها ضمن القبائل المنضوية تحت الأجود فليس هناك ما يثبتها غيره. مستوطنات شيوخ القبائل 1 ـ 7 موجودة على الخارطة السويج السيار، قلعة سكر، الناصرية. نداء حرب أجود: أولاد اليتيم! هناك حكاية تشرح هذا النداء كما يلي: أثناء حرب بين الأشقاء بني مالك والأجود أبيد الأجود حتى آخر رجل وقتل نساؤهم وأطفالهم كي لا يبقى فيهم أحد يثأر لدم القتلى. لم تنج إلا امرأة واحدة أنقذها، أحد مشايخ بني مالك. كانت المرأة حاملاً فولدت صبياً. هذه اليتيمة هي التي أعادت تكاثر القبيلة. فريزر 363.

5 ـ خورشيد، 52 ـ 54: 500 خيمة.

6 ـ بيترز المقصود نيبور، جـ 2، 289، الآن ابنه مزعل وأخوه.

7 ـ خورشيد، 52 54: 150 خيمة، جونز 374: 300 بدو رُحّل. في الأصل قشعم/ الغزية، انظر أعلاه ص: 412.

8 ـ مثل الحكام «الحجام». جاؤوا بعد عام 1850م.

9 ـ خورشيد: 52، 54: 200 خيمة (مستقلة، وأيضاً د، هـ، ز).

10 ـ خورشيد: 52، 54: 100 خيمة.

11 ـ خورشيد: 52، 54: 400 خيمة.

12 ـ هاجروا بعد 1850م أشار إليهم لأول مرة de Sarzec عام 1877م.
Découvertes en chaldée I, 11.

13 ـ خورشيد: 52، 54: 500 خيمة.

14 ـ خورشيد: 52، 54: 400 خيمة.

15 ـ تمت ملاحقته من قبل الحكومة في مارس/آذار 1914م بسبب خلافات مع عبد الله الفالح السعدون (عالم الإسلام، جـ 2، 906، رقم 187). ولذلك أقام خيون بعد الاحتلال البريطاني مباشرة علاقة وثيقة مع سلطات الاحتلال.

16 ـ خورشيد: 53 وما بعدها: 700 خيمة، ثلثاها شاوية والثلث الآخر معدان. الفروع منها: السعيد، العصيدة، الشمخي (؟) وغيرها يبدو أن عائلة مشايخهم قد تبدلت خلال الحرب العالمية الأولى.

17 ـ خورشيد: 53 وما بعدها: 300 خيمة (مستقلة).

18 ـ خورشيد: 53 وما بعدها: 400 خيمة.

19 ـ عالم الإسلام، جـ 2، 52، رقم 138 (1913).

20 ـ موزيل: شمال نجد، 168.

21 ـ عالم الإسلام، جـ 2، 44 رقم 87 (1913).

22 ـ فيلبي: جـ1، 245، 247.

23 ـ عالم الإسلام، جـ 2، 52 وما بعدها رقم 138 (1913م) تذكر شيخاً اسمه: الشيخ حسن بن قبيح.

24 ـ بدو رُحّل، جونز 374: 400 خيمة. في الأصل قشعم/غازية. انظر أعلاه ص: 587.

25 ـ على الخارطة ـ الناصرية ورد شمال الإبراهيم (1) ذكر قبيلة (حسونة) أو حسون التي لا يعرف عنها باستثناء ذلك أي شيء.

26 ـ طاعن في السن، ينوب عنه ابنه حسن.

27 ـ خورشيد 54: 300 خيمة.

28 ـ خورشيد 49: 1000 خيمة. فيلبي، جـ1، 245.

29 ـ خورشيد 48.

30 ـ خورشيد 48 وما بعدها: 1000 خيمة على ضفتي النهر، قارن أعلاه ب 2، ملحقة آ.

31 ـ حسب خورشيد 48 الذي يذكر أن عجمي السعدون أعلن في عام 1929م أن قائمته صحيحة. بطبيعة الحال تتضمن القائمة أيضاً هـ، و، ز وكذلك هـ 6، اسم شيخ المشايخ استناداً إلى محمد الباقر 83. خورشيد: 1800 رجل.

32 ـ جونز 377: 150 خيمة.

33 ـ حسب محمد الباقر، 85 وما بعدها: جونز 377: 200 خيمة.

34 ـ علاوة على ذلك فرع من الجميلة (د 6).

35 ـ حسب محمد الباقر 84، 159. لم تذكر الفروع في الجدول.

36 ـ عائلة المشايخ.

37 ـ محمد الباقر: دبين.

38 ـ الاسم غير موجود(*).

(*) راجع هامشنا في صفحة 620 من هذا الجزء. (م. شبّر)

بني خيقان «خيگان»

مع بني خيقان ندخل في منطقة الجزاير التي عرفت بهذا الاسم منذ القرن الخامس عشر[1]. ولم تزل هذه المنطقة حتى اليوم تخضع لتغيرات مستمرة بسبب تبدل مجاري الأنهار وانهيار السدود وحدوث الفيضانات[2]. منذ النصف الأول للقرن الخامس عشر حتى الحملات العثمانية الأولى على البصرة (1546م، 1549م، 1567م/ 1568م) كان يحكم، هذه المنطقة المكتظة بسكان يحبون الشجار والمنازعات، عائلة أمراء العليان المقيمون في المدينة[3]. ثم جاء بعد ذلك بني

(1) انظر كاسكل، في: إسلاميكا، الجزء 6، ص 57، الملاحظة 3.

(2) في عام 1843 اخترق الفرات السدود عند الحمّار وشكل هوراً هائلاً؛ جونز، 363 وما بعدها. ونتيجة لبناء سعد الجزاير (انظر ص 630 أعلاه) نشأ مجدداً مجرى نظامي للفرات؛ إلا أن السد دمره المنتفق أنفسهم بعد وقت قصير لأغراض الري؛ دي سارزك، اكتشافات في خلدي De Sarzec, Decouvertes en Chaldée 87.، 8 وما بعدها. وبعد ذلك اتحد الهور الجديد مع هور الجزاير الواقع غرب شط العرب. ولذلك يظهر في الخرائط الموضوعة قبل الحرب العالمية الأولى وأثناءها منطقة ضخمة من البحيرات والمستنقعات تمتد من سوق الشيوخ حتى ما قبل البصرة، هور الحمّار، مع مجرى ثان للفرات. وهذا المجرى الثاني اختفى من الخرائط بعد الحرب العالمية الأولى، أما منطقة البحيرات والمستنقعات فقد ظلت ترسم بنفس الحجم. ولكن في الخرائط الحديث انحسرت هذه المنطقة في الشمال بحيث أصبح مجرى الفرات متصلاً من سوق الشيوخ حتى قرنة.

(3) كاسكل، نفس المصدر السابق: الأمير فضل بن عليان (1441م)؛ التاريخ العثماني لرستم

منصور الذين كان مقرهم الرئيسي في المدينة أيضاً التي أصبحت عندئذ تسمى مدينة بني منصور. ولم يزل جزء منهم موجوداً هناك حتى اليوم[1]. وكانت عائلة أمرائهم، الأمارة[2]، لم تزل حتى ما قبل بضعة عقود ذات نفوذ واسع. في القرن السابع عشر كان بنو خيقان القبيلة الحاكمة في غربي الجزاير إلى أن أخضعهم مانع الشبيب بعد دخوله البصرة (انظر الصفحة 594 أعلاه)[3]. وكانت عائلة شيوخهم، البويه، تتمتع بسمعة العائلة التي يتزوج الشبيب ـ السعدون بناتها. وفي نهاية القرن الماضي استعاد بني خيقان استقلالهم لكنهم كانوا في الحرب العالمية الأولى وما زالوا خاضعين لنفوذ بني مالك.

لا يعتبر بني خيقان وبقية أهل الجزاير من المعدان على الرغم من أنهم يشبهون المعدان في طريقة حياتهم[4].

بني خيقان «خيگان»(1)

شيخ المشايخ: فرهود المغشغش

المنطقة: الحمار

عدد العائلات: 1500

باشا، المكتبة التركية، المجلد 21، 142 وما بعدها: "عبد الحسين، ابن عليان، من أسرة معاوية أمير المدينة الواقعة في الجزاير".

(1) قائمة شبرنغر رقم 102؛ جونز، 379؛ خورشيد، 48: 600 رجل؛ عبد الرزاق الحسني، 146. وهناك بلدة أخرى مسماة باسم هذه القبيلة هي كوت بني منصور (جهان نوما، 455) = المنصورية، گلشن، 37.

(2) عبد الرزاق الحسني، 146. ربما هم نفسهم الذين يسميهم خورشيد (48) السادة، 60 رجلاً، لأنه يفسر الاسم بكلمة «أمير».

(3) عجمي السعدون، 1929م.

(4) انظر جونز، 358.

ملاحظات

1 ـ عجمي السعدون، 1929م، قائمة شبرنجر، رقم 102 خورشيد، 48 وما بعدها: 1000 رجل مع الحسن (جدول المنتفق جـ3) على الضفة اليمنى و300 رجل على الضفة اليسرى.

من الاثنتي عشرة قبيلة التي ذكر خورشيد، 48، بينها بني خيقان وبني أسد، يوجد ـ وفق البيانات في عالم الإسلام، جـ 2، 42، رقم 78، ومعلومات الصحف الحديثة: العمايرة، السماعين، (= إسماعيل) المشرّف، الحول، الجَويبر، البو شامة، النواش، الأخيرة تنتمي لأسد، عبد الرزاق الحسني 141. تشكل هذه القبائل، مع بني خيقان وأسد، (أهل الجزاير). جونز، 379، شيحا، 241، 245.

بني أسد (سد)

تقع منطقة بني أسد في شمال شبه الجزيرة العربية عند أسفل تلك الجبال التي كانت تسكنها طي في يوم من الأيام[1]. كانت الحدود بين القبيلتين تسير على شكل قطع ناقص تقع ذروته عند نقطة المياه بعوضة شمال غرب الكهفة/ كافه[2] بينما يمتد قوسه الأعلى عبر قراقر/ بقعة إلى سهل ملا/ برثة وقوسه الأسفل عبر قرنين/ قرانين إلى سميرا. وفي الجنوب كانت منطقة أسد تصل إلى وادي الرمة. وكان الوادي نفسه محتلاً من غطفان، وفي الغرب من ذبيان ثم من عبس الذين كانوا يمتدون نحو الأسفل حتى أثال في القصيم. فقط في منطقة ابان كان أسد يتجاوزون الوادي إلى رس، ورسيس، وإمرّة/ أمرة، وفي الشرق إلى سرّ. وهنا كانت منطقتهم تتقاطع مع منطقة عبس وفي الشمال مع منطقة يربوع من تميم. إذ إن اليربوع كانوا يقضون الصيف في الشريط أثال ـ الجفور/ الجفر ـ الملا، بينما كان أسد يملكون بئر لينه

(1) انظر الجغرافيين تحت أسماء البلدات المذكورة في النص، وكذلك تحت: خزاز، خوا، إمّره/ أمرة، قطن/ قيطان، سرّ، تينان، توز/ توزي؛ عبيد بن الأبرص، رقم 20، 6؛ بشر بن أبي خازم، مفضليات، رقم 96، 10؛ فوستنفلد: منطقة المدينة، 49 وما يليها؛ انظر موزيل، شمال نجد، 218 وما بعدها؛ إقرأ هنا أيضاً، 149، 152، برطه بدلاً من "بغطة" حسب الأصمعي في ياقوت، الجزء الرابع، 627، الذي ينقل الملا إلى الجنوب أكثر من اللازم لأنه لم يفهم بيت الشعر، ياقوت، الجزء الأول، 144، 11، بشكل صحيح.

(2) قبل الخط: الاسم العربي القديم أو الصيغة الكلاسيكية للاسم.

وراء الدهناء وشريط حزن/ حجيرة البارز شمالاً. وعلى عكس طي كان أسد يعيشون غالباً حياة بدوية[1]؛ لا شك في أن قرية النبهانية الكبيرة الواقعة على الأبان الأسود نشأت بعد ظهور الإسلام وأن حقول أخطال/ خطّال الزراعية تابعة للوادي الواقع شرق الثعلبية.

قبيلة أسد قبيلة شقيقة لكنانة (انظر الجزء الثاني، 555) وكان الشعور بالقرابة والانتماء المشترك حياً تماماً وإن كان تطبيقه عملياً غير ممكن بسبب بعد المسافة بين القبيلتين[2].

يفتقر تاريخ بني أسد قبل الإسلام إلى الأحداث الهامة، شأنهم في ذلك شأن غالبية القبائل العربية. ومما يستحق الذكر أنهم وجهوا الضربة القاضية لمملكة كنده عن طريق قيامهم بثورة قتل فيها حجر، ابن آخر ملوك كنده وأبو الشاعر الكبير امرئ القيس. كانت علاقات بني أسد مع جيرانهم القريبين والبعيدين، بني تميم والقبائل الموجودة على الجانب الآخر من الوادي، متقلبة. على عكس ذلك قامت علاقة دائمة بينهم من جهة وبين طي وغطفان من جهة أخرى في أواخر ستينيات وبداية سبعينيات القرن السادس الميلادي. في بادئ الأمر تآخى الأسد مع طي، وبعد ذلك انضم الذبيان ثم عبس إلى الاتحاد. ولكن بعد عدة عقود انهار التحالف حيث نشبت خلافات بين أسد وطي على وجه الخصوص[3]، إلى أن جاء الإسلام ونشر السلام بين القبائل.

---

(1) لا تذكر التقاليد سوى منطقة واحدة. فيلهاوزن مخطوطات، 4، رقم 38، بالنسبة لطي نفس المصدر رقم 23.

(2) مفضليات، رقم 97، 37؛ 98، 36.

(3) يمكننا هنا ذكر التحذير الذي نقله الأسدي بشر بن أبي خازم، بعد مقتل زعيم كلاب (عروة الرحال) على يد الكناني (البراض) الذي كانت تحميه قريش، إلى سوق عكاظ بناء على طلب البراض، وذلك لكي يمكّن كنانة وقريش من تفادي غضب أبناء قبيلة المقتول الذين كانوا موجودين هناك.

سيف عند الطبري، الجزء الأول، 1893؛ فيلهاوزن، ملاحظات 4، 3 وما بعدها، رقم 24. يبالغ سيف جداً عندما يزعم أن أسد وغطفان طردوا طي من جبالهم.

كانت الأسرة الأسدية غنم، التي كانت تقيم في مكة منذ زمن طويل وكان زعماؤها، بنو جحش، تحت حماية بني أمية، تنتمي إلى أتباع النبي محمد الأوائل[1]. ولكن العلاقة بين القبيلة والجماعة الإسلامية الفتية في المدينة لم تتأثر إطلاقاً بهذا الظرف. في بداية العام الرابع هجري/ 625م أرسل النبي محمد غزوة إلى نبع قطن حيث كانت القبيلة الفرعية فقعس تخيم مع رئيسها طليحة/ طلحة هرباً من حر الصيف اللاهب، ويبدو أن الغاية من الغزوة كانت إعادة الاعتبار للمسلمين بعد هزيمة أُحد[2]. ومن المفهوم أن طلحة شارك في حصار المدينة في ما يسمى غزوة الخندق (627م). وفي بداية عام 9هـ/ 630م جاء طلحة إلى المدينة، مع زعماء قبائل آخرين من بينهم ضرار بن الأزور، لكي يعتنق الإسلام[3]. ولكنه لم يكن جاداً في إسلامه، ويقال إنه ادعى النبوة قبل وفاة محمد[4]. وعلى أي حال فقد تبنى هذا الدور علناً في عهد الخليفة الأول أبي بكر والتحق به عدد كبير من أبناء قبيلته بحيث تمكن من إعادة التحالف مع غطفان وطي. ولذلك اضطر ضرار بن الأزور، وهو مسلم متحمس وينتمي إلى فخذ آخر، إلى الهرب إلى المدينة. أمّا طليحة فقد انتظر جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد في بزاخة جنوب اجا ومعه القوة الرئيسية لبني أسد و700 رجل من عبس وفزارة (ذبيان) وكانت طي تغطيه من جميع الجهات بينما بقية فزارة وبنو نصر (أسد) يخيمون جنوباً عند ماء الغمر[5].

(1) ابن هشام، 316 وما بعدها.

(2) التقليد ـ فيلهاوزن/ فكيدي، 151 ـ يقول إن السبب في ذلك هو أن طليحة كان يخطط لغزو المدينة ـ مشروع لا جدوى منه أما أن يكون رجل من طي قد دعا إلى الغزوة وقادها فهذا أمر محتمل.

(3) الشكوك الواردة في مقال طليحة في الأنسكلوبيديا الإسلامية غير محقة. بطبيعة الحال لم يكن المندوبون يمثلون سوى جزء من القبيلة، ولكن هذا كان ينطبق على جميع الوفود البدوية. وأن يكون طليحة الوحيد الذي دخل في الإسلام فهذا ينقضه دخول ضرار المؤكد.

(4) الطبري، الجزء الأول، 1797، 1892.

(5) حطيئة، ديوان(*)، رقم 34، 3. لمزيد من التفاصيل انظر البلاذري، الطبري، فيلهاوزن، مخطوطة 6، 7 وما بعدها.

(*) فباستِ بَني عبسٍ وأفناءِ طيءٍ وباست بَني دُودان حاشا بني نصرِ
ديوان الحطيئة شرح السكري(. (م. شبّر).

إلا أن خالد التف حول المواقع المعادية ودخل من جهة الجنوب الشرقي في منطقة طي. وتمكن بمساعدة عدي بن حاتم (انظر الجزء الأول، 266) من جعل طي تعلن الطاعة دون قتال لأنها شعرت بالشلل عندما انتشرت إشاعة تقول بأن أبا بكر قادم إليهم عن طريق خيبر. ثم توجه بعد ذلك إلى بزاخة. ولم يشترك طليحة في القتال، على الرغم من أنه لم تكن تنقصه الشجاعة، وإنما بقي جالساً أمام خيمته كي يتنبأ. أمام هذا الوضع تخلى قائد فزارة عن القتال غاضباً وخائب الأمل. أمّا بنو أسد فقد تابعوا القتال حتى فرَ طليحة نفسه. كما أن الجيش الموجود عند الغمر تمّ تفريقه أيضاً. أدى انتصار المسلمين عند بزاخة إلى تحطيم معنويات المرتدين في شمال شبه الجزيرة العربية. وبما أن مالك بن نويرة، زعيم يربوع (تميم)، لم يخضع في الوقت المناسب فقد قام ضرار ابن الأزور بأسره مع أتباعه قرب بطاح ثم أعدم بأمر من خالد. وقام ضرار بنفسه بقطع رأسه. وقد اعتقد بأنه بهذا الانتصار على تميم قد غسل العار الذي سببه ارتداد أسد[1].

في حروب الفتح الإسلامي التي تلت حرب الردة مباشرة كان الأسد يقاتلون على الجبهة العراقية. وأيضاً طليحة، الذي كان في هذه الأثناء قد عاد إلى الإسلام، قاتل هناك وفي فارس. وبعد ذلك استقر معظم بني أسد في الكوفة[2]. وهنا تحولوا مع مرور الزمن من محاربين إلى رجال علم ودين. وكثير من علماء الشيعة كانوا من أسد من الكوفة[3].

في موطن أسد لم يتغير شيء إلى أن فتح لهم انسحاب بكر وتميم الطريق نحو الشمال. وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي توسعت

---

(1) قتل ضرار في الحرب ضد مسيلمة في اليمامة؛ حسب ابن سعد، الجزء الرابع، 25؛ وكان قبره هناك مزاراً يؤمه الناس حتى مجيء الوهابيين؛ فيلبي، الجزيرة العربية، 5.

(2) بعض المجموعات الصغيرة كانت في الجيش السوري ثم استوطنت بعد ذلك في زبد قرب حلب وخلف الفرات؛ انظر الجزء الأول، 337، 342. وتجدر الإشارة إلى أن فرعاً من أسد هاجر إلى سورية قبل الإسلام؛ "مفضض"، رقم 97، 34 وما بعدها.

(3) نور اللّه الشوشتري، مجالس المؤمنين، مجالس 5.

منطقة تنقلهم على امتداد طريق الحج إلى الكوفة ووصلت من البطان/ بطانة في الدهناء حتى واقصة. أمّا الثعلبية فكانت تابعة لطي. وفي وقت لاحق امتدت أكثر نحو الشمال بحيث أصبحت تصل من شقوق، حيث كانت تبدأ طي، حتى القادسية على حدود السواد. وفي الشرق وصل بني أسد حتى ما قبل البصرة، وفي الغرب حتى عين التمر. وكانوا آنئذ قد شفوا من النزيف الذي سببته لهم الهجرة: 3000 رجل من بني أسد كانوا يدعمون علوياً ثائراً عام 251هـ/ 865م قرب الكوفة، وقام 5000 رجل منهم بناء على اقتراح الوزير علي بن عيسى في عام 315هـ/ 927م بحماية طريق الحج ضد القرامطة[1].

في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي دخل بنو أسد إلى المناطق الحضرية. فاستوطن الشيخ مزيد من الفرع ناشره[2] على النيل بينما قام شيخ آخر، دبيس، بعبور دجلة وضرب خيامه في المنطقة التي نشأت فيها لاحقاً الحويزة.

ساعدت حروب الأخوة بين البويهيين المتأخرين على صعود بني مزيد. ففي عام 403هـ/ 1012م ـ 1013م ثبت علي بن مزيد كتابع للبويهيين في حكمه. ولقد تحدثنا في مقال عقيل عن النزاعات التي نشبت بين ابنه دبيس بن علي (1018م ـ 1082م) وجيرانه من العقيليين وخفاجة، وعن وقوف دبيس ضد السلاجقة. وأدى صلحه مع السلطان طغرل بك في نهاية عام 451هـ/ بداية عام 1060م إلى إنهاء الحرب ضد سادة العراق الجدد[3]. وكان دبيس وابنه منصور (1082م ـ 1086م)

---

(1) اليعقوبي، المكتبة الجغرافية العربية، ج7، 311، الأصطخري، نفس المصدر، جـ1، 22، قارن أيضاً ياقوت، شقوق، تنانير؛ الطبري، الجزء الثالث، 1617؛ أريب، 130.

انظر أيضاً الطبري، جـ 3، 1848 وما بعدها (صاحب الزنج يجند فرساناً من أسد للهجوم على البصرة)، 1931 (بنو أسد يقتلون محافظ طريق الحج قبل المغيطة، 265هـ/ 878 ـ 879م)، 2259 (أ. عند عين التمر)، 2278 (أ. بعيداً في الشمال).

(2) ابن الأثير، الجزء العاشر، 312.

(3) ابن الأثير، الجزء العاشر، 5.

يعدان نموذجاً للعروبة النبيلة. لكن صدقة بن منصور (1086م ـ 1108م) فاق كليهما في نبله الشخصي وأهميته السياسية. وفي النزاع الذي نشب عام 1099م بين السلطان بركيارق وأخيه محمد وقف صدقة بعد تردد إلى جانب محمد واحتل الكوفة (474هـ/ 1101م) وهيت وواسط، ولفترة قصيرة، البصرة أيضاً. وأدى احتلال الكوفة وهيت إلى جعل القبيلتين البدويتين الكبيرتين في العراق، خفاجة وعباده، تخضعان لنفوذه. كما أن بني شيبان أعلنوا ولاءهم له. وهكذا استحق فعلاً لقب ملك العرب وأمير البدو[1]. إلا أن رفض صدقة تسليم أحد اللاجئين السياسيين أدى إلى حدوث قطيعة مع السلطان محمد الذي كانت حاشيته قد عبأته ضده منذ بعض الوقت بسبب استقامته. وعلى الرغم من أن الخليفة حرص حتى اللحظة الأخيرة على المحافظة على السلام فقد نشبت المعركة في ربيع عام 501هـ/ 1108م قرب المدائن. وكانت نتيجتها لصالح الأتراك بسبب تفوق رماة السهام. ولم تحرك خفاجة وعبادة ساكناً بل انتظرتا على الطريقة البدوية النتيجة التي سيسفر عنها القتال. أمّا بنو شيبان والمرتزقة الأكراد الذين كانوا يشكلون نواة الجيش[2] فقد قاتلوا بشجاعة. لكن صدقة سقط في المعركة.

يقف صدقة على العتبة التي تؤدي من حرية البادية الفسيحة إلى ضيق المكان في المدن. وهو يجمع في شخصيته شمائل البطل العربي القديم وخصال الأمير الإسلامي. ظل يعيش في الخيام إلى أن بنى عام 495هـ/ 1101م ـ 1102م مقابل الجامعين[*] داراً سميت فيما بعد الحلة. كان يستطيع القراءة ولكنه لا يستطيع الكتابة. وكان يفكر بطريقة سامية، وكان متواضعاً يراعي الآخرين، محباً الخير لأتباعه، عادلاً ورحيماً تجاه رعيته. وكانت العلاقات الإنسانية عنده أهم من السياسة. وكانت حياته العائلية سعيدة ولم يتزوج سوى مرة واحدة ولم يكن لديه جواري.

عاش ابنه دبيس الثاني حياة مغامرة. في عام 1118م أعيدت له إمارة الحلة مع

(1) يذكر بأن اللقب أخذه عن أجداده السابقين.
(2) كان علي بن مزيد يستخدم الأكراد، ابن الأثير، الجزء التاسع، 174.
(*) لا تزال إحدى محلات الحلة تسمى بالجامعين/ م. شبرّ.

الكوفة وواسط، لكنه كان يطمح إلى المزيد. وما لبث أن أخذ يتدخل في النزاعات القائمة بين سلاطين السلاجقة ثم قاتل ضد الخلافة التي أخذت تستعيد قوتها. وفي عام 1123م هجم مع المنتفق، كما رأينا في الصفحة 591 أعلاه، على البصرة، وفي العام التالي هجم مع الصليبيين على حلب. وبعد مغامرات طائشة أخرى قادته مرة ثانية إلى موطنه حيث قتل عام 1135م في قصر السلطان السلجوقي مسعود. وظل أبناؤه يحكمون في الحلة حتى عام 545هـ/ 1150م.

تبع بني أسد[1] بني مزيد إلى الحلة وبقوا هناك عندما سقطت أسرة الأمراء. وكانت المدينة في هذه الأعوام تتبع مرة للخليفة ومرة للسلطان. وبما أن بني أسد ساندوا السلطان محمد الثاني في آخر عملية عسكرية للسلاجقة في العراق، وهي محاصرة بغداد دون جدوى (551هـ/ 1157م)، قرر الخليفة (المستنجد) طردهم من الحلة (558هـ/ 1163م). وعندما وصلهم خبر قدوم الجيش إليهم غادروا الحلة واختبؤوا في منطقة مستنقعات مجاورة، وظلوا هناك إلى أن أجبروا، بمساعدة المنتفق، بعد معارك طويلة ومضنية على الاستسلام. **فقتل منهم 4000 رجل وهدر دم البقية إذا ما شوهدوا في الحلة**[2]. **ويبدو أن اعتناقهم مذهب الشيعة، الذي كان بني أسد وأمراؤهم يعتنقونه**[3]، **هو الذي جعل المنتصرين يتخذون ضدهم هذه الإجراءات القاسية.**

بعد هذه الكارثة تشتت بني أسد وتفرقوا. لكنهم تمكنوا في وقت لاحق من التجمع مرة أخرى. ففي القرنين الرابع عشر والخامس عشر كانوا يقيمون جنوب شرق واسط[4]. ومع مرور الزمن تعرضوا، شأنهم شأن كثير من القبائل الأخرى،

---

(1) مما يثير الاستغراب أن القبيلة لا يرد ذكرها في التقارير التي تتحدث عن أسرة الأمراء.

(2) المصادر يجدها المرء في المقالات ذات العلاقة في الأنسكلوبيديا الإسلامية: دبيس، المزيديون، صدقة.

(3) ابن الأثير، الجزء العاشر، 306؛ الجزء الحادي عشر، 195.

(4) رافق بنو أسد ابن بطوطة عام 1327م من واسط إلى ضريح الولي أحمد الرفاعي. وفي عام 1443م التحق بني أسد بالمهدي محمد بن فلاح؛ نورالله الشوشتري، مجالس المؤمنين، مجالس، 8، جند، 16.

للضغوط والملاحقات إلى أن وجدوا أخيراً موطناً جديداً في الجزاير. فهناك أدلة على أن بني أسد، أو بني سد كما يسمون باللهجة العامية، كانوا موجودين هنا في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي[1]. وعند إحدى مستوطناتهم، دار بني سد، انتصر العثمانيون في أول عام 1078هـ/ 1668م على قوات حسين باشا أفراسياب البصرة[2]. وظلوا، شأنهم شأن بني منصور وبني خيقان خاضعين للمنتفق حتى سقوط السعدون.

في القرن التاسع عشر أصبحت منطقة بني سد قرب الجبايش ضيقة عليهم. فقاموا في الأربعينيات بالتقدم تحت قيادة الشيخ جناح حتى جنوبي العمارة، وفي وقت لاحق تحت قيادة ابنه خيون حتى المجر الصغير[3]. وفي عام 1894/ 1895م أدبتهم القوات التركية لأنهم قاموا تحت قيادة حسن الخيون بحرق المدينة. لكن حسن لم ينتصح ومات، بعد طرده من الجبايش، في حالة بائسة في (هور) الجزاير[4] (حوالى 1903م). وعاش ابنه سالم حياة فقيرة في البصرة إلى أن حصل عام 1906م بمساعدة عائلة سيد طالب المتنفذة على منصب الشيخ على بني أسد. وبعد الحرب العالمية الأولى وقف إلى جانب سيد طالب وأعلن معارضته لانتخاب فيصل ملكاً على العراق. وفي عام 1924/ 1925م أعلن الثورة على الحكومة وأسر. وبعد قضاء فترة من الزمن في السجن طُرِد من موطنه. وهو يعيش الآن في بلدروز حيث يملك أراضي. وقد درس ابنه الحقوق في بغداد[*].

---

(1) لغة العرب، الجزء الرابع، 527 وما بعدها.

(2) گلشَن، 97. يرد ذكر المكان أيضاً عند سارزك، اكتشافات في خلده، 8، 1877(؟).

(3) انظر مقال المعدان.

(4) ليس في الجزائر (العاصمة الجزائرية) كما يعتقد م.هارتمان الذي ضلله الاسم، عالم الإسلام، الجزء الثاني، 50.

(*) توفي سالم الخيون في بيروت عام 1954م وخلفه ابنه ثعبان، وقد توفي ثعبان في بغداد سنة 2001م. (م. شبّر).

بني أسد(1) (سد)

شيخ المشايخ: . . . ابن خيون
المنطقة: الكبابش
بيوت القصبت: 1500

ملاحظات

1 ـ تعود إلى عام 1929م، السند: عجمي السعدون. خورشيد 48: 3000 رجل مع الحداديين. الصيامير الذين ورد ذكرهم لدى خورشيد بين بني منصور وبني أسد، موجودون أيضاً لدى عبد الرزاق الحسني، 146. بني حطيط، (عالم الإسلام، جـ 2، 42 رقم 78) هم نفسهم بنو خطيط الذين التحقوا مثل بني أسد بالمهدي محمد بن فلاح عام 1343م. انظر ص 651 هامش رقم 4 أعلاه.

بني لام

بني لام من القبائل القليلة التي نستطيع تتبع تاريخها دون انقطاع من العصر الجاهلي حتى الوقت الحاضر. انبثق بني لام عن طي، السكان القدامى لمنطقة شمال نجد، وأصبحوا في العصور الوسطى قبيلة قوية كانت غزواتهم تصل حتى شواطئ البحر الميت. وفي منتصف القرن السادس عشر هاجروا نحو الشرق وعبروا بلاد الرافدين ووصلوا حتى أعتاب لورستان. وما زالوا حتى اليوم القبيلة البدوية الكبيرة الوحيدة في هذه المنطقة.

لا تمتد ذاكرة بني لام إلا إلى مسافة قصيرة بعد المرحلة الأخيرة من تاريخهم. وحتى إدراكهم لأصلهم[1] مشوش وغامض؛ فهم لم يعودوا ينسبون أنفسهم إلى طي "جنوبي الجزيرة العربية" وإنما مباشرة إلى عنزة إلى قبائل وائل العربية الشمالية[2]. وهذا يجعلنا نستغرب أكثر أنهم حافظوا على اسم واحد من أجدادهم الحقيقيين، أوس[3] الذي هو دون شك أوس بن حارثة بن لام رئيس عائلة شيوخ

---

(1) الحكايتان التي يرويهما جونز، 379، ولوفتوس، 358 عن أصل القبيلة لا يتضمنان أي علاقات تاريخية. وهما شرح تعليلي لاسم لام الغريب فعلاً.

(2) حسب جونز، المرجع السابق نفسه؛ انظر الجزء الأول، 190؛ الجزء الثاني 483. تم مؤخراً بتأثير الباحثين تعويض هذا التعليل القائم على النسب بتعليل تاريخي، على سبيل المثال، محمد الباقر، 11.

(3) فلانين، حاجي ركان، 208.

عربية قديمة نرى أنها تشكل الخلية الأساسية للقبيلة.

عاش أوس بن حارثة في أواخر القرن السادس الميلادي. وكان معاصراً لحاتم طي المشهور وقائد مجموعة الجديلة من طي. وكانت ابنته زينب متزوجة من الملك النعمان الثالث ملك الحيرة (580م ـ 602م)، وأخوه سعد متصاهراً مع اللخميين أيضاً. أدت هذه العلاقة مع الأسرة الحاكمة في شمال شبه الجزيرة العربية إلى منح العائلة حق حماية طريق القوافل من الحيرة إلى مكة طالما أنها كانت تمر في منطقة طي أو تلامسها. وبعد خمسين عاماً أصبح بنو حارثة بن لام جماعة كبيرة وبعد وقت قصير أصبح بنو لام قبيلة مستقلة[1]. ويفسر هذا النمو السريع بأن بني لام امتصوا بقية الجديلة؛ وعلى أي حال فإن منطقة تجول القبيلتين هي نفسها: السهول الممتدة من طرف النفود بين أجا وسلمى حتى مسما. وهناك منخفض تحت الجانب الشرقي لمسما يسمى غوطة بني لام، أي أنه يحمل منذ ذلك الوقت اسم القبيلة[2].

أدت الهجرات التي أفرغت نجد من الناس منذ بداية الفتح الإسلامي إلى منح قبائل طي، التي كانت تعيش حتى ذاك الحين في مجال ضيق ومكتظ بالسكان، إمكانية الانفراج والتوسع. وكما تحركت الغازية نحو الشمال وسع بنو لام منطقة تجولهم نحو الجنوب حتى وصلوا في النهاية إلى محاذاة المدينة[3]. وفي أواخر العصور الوسطى تركزوا في الحجاز حيث كانوا يتنقلون شمالاً حتى تبوك ويتخطوا منها حتى أطراف شرقي الأردن، بينما يصلوا في الجنوب حتى منطقة بني حرب[4]. وقد أصبح هذا التوسع ممكناً بسبب تنامي أعداد العناصر الغريبة عن

---

(1) فوستنفلد، الجدول، 7، 24؛ ابن دريد، 229؛ روتشتاين، اللخميون، 117؛ ديوان حاتم الطائي، شولتس، 48 وما بعدها؛ نقائض، 919 وما يليها.

(2) ياقوت، الجزء الثالث، 825؛ انظر الجزء الأول، 211؛ الجزء الثاني 96.

(3) ابن سعيد (حوالى 1250م) عند ابن خلدون، البربر، الجزء الأول، 14؛ العبر، الجزء السادس، 7: بنو لام بين المدينة والعراق.

(4) سنوك ـ هورغونيه، مكة، 99.

القبيلة[1]. وحتى عنزة الذين كانوا يسكنون آنذاك في الحجاز، كانوا يحسبون أحياناً ضمن مجمع بني لام[2]. وكان بنو لام مرتبطين بأمراء (شرفاء) المدينة الذين كانوا تابعين للملكة المملوكية. ولكننا نسمع أنهم قاموا عام 666هـ/ 1267م، بمبادرة ذاتية طوعية بدفع ضرائب للقاهرة[3]، وهذا أمر لا يمكن تفسيره إلاّ بأنهم أرادوا التملص من الطلبات القاسية للأشراف. في أواخر العهد المملوكي حصل بنو لام على سمعة سيئة بسبب تعرضهم لقوافل الحج ونهبها. وكانوا يقومون بهذه الأفعال في السابق أيضاً ولكن في أحيان متفرقة فقط، منها، على سبيل المثال، في عام 715هـ/ 1313م هاجموا في محطة ذات الحج قافلة التبديل المتوجهة لملاقاة الحجاج العائدين، ثم تزايدت هجماتهم منذ نهاية القرن الخامس عشر. في محرم 909هـ/ 1491م نهبت قافلة الحج السورية عند الكرك، وفي عام 1502م أوقفت القافلة المصرية عند العقبة وأرغمت على دفع أتاوة عالية، لا بل إن حاكم الكرك ضرب في عام 912هـ/ 1506م ـ 1507م في حقل مكشوف وفي وضح النهار. وكان هناك العديد من الحملات التأديبية ضدهم ولكن واحدة منها فقط، عام 1498م، تكللت بالنجاح[4]. وحتى في العهد العثماني ظل بنو لام يشكلون خطراً على قوافل الحج. وكان بناء قلعة «حصن» الأخيصر في عام 938هـ/ 1531م ـ 1532م موجهاً في المقام الأول ضد بني لام؛ راجع الجزء الثاني صفحة 86.

بعد ذلك بوقت قصير غادر بنو لام الحجاز وتوجهوا نحو الشرق. وفي عام 1575م سكنوا في المنطقة التي يتجولون فيها الآن على الجانب الآخر من دجلة.

---

(1) هكذا يفسر تبدل نسب آل عدي بن أفلت الذين هم من طي ولكن ليسوا من بني لام إلا أنهم انضموا إليهم في وقت لاحق. قارن قلقشندي، 290، 241؛ السويدي، 60، مع فوستنفلد، الجدول، 6، 16 ـ 23.

(2) ابن إياس، الجزء الرابع، 106.

(3) المقريزي، كاترمير، الجزء الأول، 2، 48.

(4) أبو الفدا، الجزء الرابع، 76؛ مجير الدين، الإنس الجليل، 700 (بني لات)؛ ابن طولون، 29؛ ابن إياس، الجزء الرابع، 99، 105، 108.

أسباب هذه الهجرة غير معروفة. ويبدو أنها مرت عبر الباطن[1]؛ إذ إن الفضول الذين وجدناهم هناك (ص 238) توقفوا آنذاك هناك وبقوا في المنطقة. وفي الحجاز أيضاً بقي من بني لام بعض الجماعات الصغيرة المتفرقة، وكذلك في أعماق نجد في الشعارة «الشعرى»[2].

كانت المناطق الواقعة بين الفرات ودجلة مزدحمة بالسكان ولم تكن تتسع لنزول بني لام فيها؛ ولم يجد بنو لام إلا وراء دجلة المساحات الكافية لتوفير الغذاء لقبيلة بدوية. وخلال زمن قصير سيطروا على كامل المنطقة الممتدة من الوادي حتى الطيب والدويريج؛ وكانت غزواتهم تصل في الغرب حتى مندلي وفي الشرق حتى الكرخة[3]. وكان على الملاك السابقين، ربيعة، أن ينسحبوا إلى تفرع دجلة والغراف أو يدفعوا لبني لام الأتاوات مثلهم مثل الفلاحين والمعدان المقيمين على ضفاف دجلة.

كان بنو لام تابعين في المقام الأول لباشا بغداد. ولكن وبما أن منطقتهم كانت تتجاوز حدود الامبراطورية، فقد كان والي الحويزة المجاور لهم والتابع لفارس يفرض عليهم مطالبه. إلا أن المساوئ التي كان يسببها هذا الوضع لبني لام، وهي دفع ضرائب مضاعفة والاعتراف بعدة شيوخ، كانت تقابلها مزايا تعوضها أو تزيد، وهي إمكانية التهرب من سلطة الدولة عن طريق الهرب إلى وراء الحدود. وكانت

(1) تحوّل الروايات المتناقلة، محمد باقر، 11، هجرة القبيلة، كالمعتاد، إلى هجرة رب الأسرة: قام برّاك بقتل عمه الذي أصبح الشيخ بعد وفاة أبيه. وبعد ذلك خرج من جبل عامل مع زوجته وابنه الصغير حافظ وعبده برميل وتابع سيره حتى وصل عن طريق البصرة إلى المولى بركات في الطينة (الحويزة؟). لكن المولى بركات (سيد بركة خان) حكم من عام 1643م حتى عام 1650م، أي بعد زمن طويل من مجيء بني لام. لكنه هو أيضاً أصبح بطلاً لإحدى الحكايات. ولذلك جعلته الروايات المتناقلة شريكاً لبرّاك.

(2) جهان ـ نيما، 541 أدناه، 554. موزيل، شمال نجد، 324، يعتبر المساعيد من بني لام، ولكنه، على الأرجح، غير مصيب، انظر الجزء الثاني، 445، الملاحظة 23 ـ جهان ـ نيما، 527.

(3) تسمى المنطقة الواقعة بين دجلة والجبال الفارسية، بين الكرخة (والوادي)، التي استوطنت فيها القبيلة «جزيرة بني لام»؛ محمد باقر، 12.

نزاعاتهم مع السلطات الحكومية كثيرة ومتكررة. فما أن استوطن بنو لام في منطقتهم الجديدة حتى بدأت الشكاوى من غزواتهم والتي صدرت في أول الأمر عن الجانب الفارسي[1]. وفي القرن السابع عشر سببوا كثيراً من المتاعب لولاة الحويزة؛ ويصف ابن معتوق، شاعر الأسرة الحاكمة، المعارك التي انتصر فيها منصور وعلي خان على بني لام. وفي وقت لاحق يتحدث أيضاً مؤرخون بغداديون عن حملات تأديبية ضد القبيلة[2] وقعت بين عام 1678م و1704م ولا يقلّ عددها عن أربع حملات. وكانت الأسباب، كالعادة، السلب والنهب أو الامتناع عن دفع الضرائب[3].

في عام 1711م تجرأ بنو لام على التقدم حتى أبواب بغداد. وكان الباشا شخصياً على رأس الجيش الذي تصدى لهم لكنه لم يتمكن من اللحاق بهم لأن عبور الديالى أصبح في ذلك الوقت غير ممكن بسبب بدء موسم الفيضان الربيعي. وعندما تراجعت المياه تبعهم الباشا إلى الحدود. وطلب من عبد اللّه خان حاكم الحويزة إعادة الغنائم التي كانو بنو لام قد حصلوا عليها ووعد بالعفو عن اللصوص في حال تنفيذ ذلك. وبما أن الوالي رفض التنفيذ متذرعاً بأعذار مختلفة، وأن عبور الحدود بدا وخيم العواقب، اضطر الباشا إلى الانسحاب خائباً. خلفت هذه الحادثة حالة من التوتر ازدادت حدة في الأعوام التالية بسبب خلافات على السلطة في الحويزة: قام أقرباء عبد اللّه خان بإسقاطه لكنه تمكن في النهاية من العودة إلى منصبه بمساعدة الفرس. وبقي أحد منافسيه، سيد علي، (انظر ص 595 أعلاه) في

(1) نور اللّه الشوشتري، مجالس المؤمنين، 8. مجالس، 16. جند، النهاية. من هذا الموقع نستنتج فترة حكم مولى سجاد حاكم الحويزة (1541م ـ 1585م) كموعد أخير لهجرة بني لام. وهم يسمون هنا السلاطين (وفي المصادر اللاحقة آل سلطان).

(2) ديوان ابن معتوق، 16 وما يليها، 110 وما يليها.

(3) لا يجوز أن نستنتج من ذلك أن بني لام خيموا في بادئ الأمر في منطقة الحويزة فقط، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى منطقة بغداد؛ إذ إن "المجالس" تذكر صراحة أنهم كانوا رعايا أتراك. . لونكريك، 80، يقع في خطأ لأنه يعتمد على حكاية القبيلة.
گلشن، 104، 116، 124.

الحويزة لكن منافساً آخر، سيد محمد[1]، فرّ مع أنصاره إلى المنطقة التركية والتجأ إلى بني لام. ولكي يؤدب عبد اللّه خان بني لام ويقضي على اللاجئ الهارب اتحد مع حاكمين فارسيين مجاورين وتجاوز الدويريج وتقدم حتى ما بعد دجلة (1715م). فاحتج الأتراك على انتهاك الحدود وعلى مصادرة سفن في نهر دجلة، لكنهم لم يتمكنوا من جمع قوات كافية للدفاع عن حقوقهم. لكن بني لام حصلوا على دعم من قبائل أخرى وانتصروا على الجيش الفارسي عند واسط. ويُقال بأن العدو فَقَد 2000 رجل في ساحة المعركة وألف رجل أثناء الهرب عبر نهر دجلة. وكان بين الأسرى عبد اللّه خان نفسه الذي خلفه في الحويزة سيد علي. لكن تصرفاً غبياً من الأتراك، وهو اعتقال الشيخ عبد العالي، المنتصر في معركة واسط، أدى إلى عودة التقارب بين بني لام وعبد اللّه خان. فعاد عبد اللّه إلى بلده وحاصر سيد علي في الحويزة (1716م). حاول سيد علي الحصول على مساعدة من بغداد ولكن عبثاً. وهكذا استطاع عبد اللّه العودة إلى السلطة. وانطلاقاً من الثقة بالحصول على مساندة من الحويزة بدأ الشيخ عبد العالي، الذي كان في هذه الأثناء قد أطلق سراحه، بعملية انتقامية ضد الأتراك. لكن حساباته كانت خاطئة. فبعد تجربة عام 1715م لم يعد باشا بغداد يخشى انتهاك الحدود. واضطر عبد اللّه خان إلى إظهار اللين في اللعبة الشريرة وقبل أيضاً بتزويد الأتراك بالمؤن. ولم يتوقف بنو لام إلا بعد الكرخة على الكارون لكنهم اضطروا بعد تحقيق بعض الانتصارات في البداية إلى التخلي عن جميع قطعانهم وخيامهم (1717م)[2].

---

(1) لا يرد ذكره إلا عند راشد كأخ لعبد اللّه خان، ولا يرد ذكر سيد علي إلا عند كسروي، انظر الملاحظة التالية.

(2) لونكريك، 126: 1718م. المصادر التركية: گلشن، 127، 130؛ راشد، الجزء الثاني، 121، الفارسية «تذكرة إي شوشتر، 68، وفيما يتعلق بدور سيد علي، أيضاً كسروي، تاريخ. . . خوزستان، 100 وما بعدها. الأخير يستند هنا على مذكرات سيد علي المختصرة جداً للأسف. كما أن بني لام أيضاً يتحدثون عن انتصارهم على سيد الحويزة ولكنهم يخلطون بينه وبين أبيه فرج اللّه ويخلطون بين الشيخ عبد العالي وابن أخيه مذكور. ويبدو أن الجسر العائم المؤلف من خراطيم منفوخة والذي جلبه خان معه كان له تأثير خاص على البدو. أما الحديث

من الطبيعي أن بني لام شاركوا في الاضطرابات التي حدثت في الأعوام 1723م ـ 1736م خلال الحروب الفارسية في العراق[1]. وبعد عقد اتفاق السلام تولى أحمد باشا شخصياً ملاحقة الثوار. فتوجه من بغداد إلى علي الظاهر[*] حيث كان، بنو لام قد حشدوا قوة كبيرة، واتحد هناك مع قوات كانت قد نقلت من البصرة على سفن الأدميرال في النهر نحو الأعلى. افتتح أحمد باشا المعركة بأن نزل وحيداً إلى الساحة وطلب المبارزة. وبعد أن انتصر على أربعة من خصومه واحد تلو الآخر اشتبكت قوات الطرفين. فخسر بنو لام المعركة ووقعت نساؤهم وأطفالهم وقطعانهم في أيدي الأتراك. عندئذ خضعت القبيلة وتعهدت بدفع الضرائب المتأخرة وتكاليف الحرب (1737م). وفي العام التالي جاء الباشا مرة أخرى إلى منطقة بني لام بحجة القيام برحلة صيد. لكن بني لام كانوا يقظين وظلوا في مخيمات صغيرة بعيداً عن الطريق. ثم وجهت لهم ضربة أخرى في عام 1154هـ/ 1741م. فقد دعي شيوخهم إلى بغداد بحجة الحملة على المنتفق، حيث اعتقل بعضهم وأعيد بعضهم إلى القبيلة بعد سلبهم أملاكهم[2].

كان تأثير هذه الإجراءات قوياً جداً إلى درجة أنه خلال الستين سنة التالية لم تكن هناك حاجة للقيام بحملة تأديبية ضد القبيلة. لم تحدث حملة تستحق الذكر إلا في عهد علي باشا، وسنتحدث عنها بالتفصيل لأنها تُعبر عن سلوك العثمانيين وسلوك البدو على حد سواء: في بداية عام 1806م أرسل علي باشا ضابطه (الكهية) لتحصيل الضرائب (الميري) المتأخرة الدفع من الشيخ عرار العبد العال (ي). وفور وصوله إلى منطقة بني لام سحب الاعتراف من الشيخ عرار وعيّن عباس الفارس

عن ألف أداة كان يستعملها لتمهيد الطرق فهو من صنع الخيال. والممتع هو كيف كان خان الأسير يطلب من المنتصرين تقبيل يديه وكيف سمح له بعد 7 أيام بالعودة معززاً مكرماً إلى بلده؛ محمد باقر، 14 وما يليها..

(1) لونكريك، باسيم؛ محمد مهدي، تأريخ نادري، تبريز 1271، 64، النص: بني إمام.

(*) علي الظاهر هو علي الغربي (العزاوي ـ تاريخ العراق/ ج5، ص 251) (م. شبّر).

(2) دوحة، 44، 47، 54؛ قارن أوثر (1739 ـ 1741)؛ رحلة في تركيا وإلى إيران، الجزء الثاني، 33، 158.

بمنصب شيخ المشايخ. ولكن عباس تفاهم مع عرار، وبدلاً من الحضور إلى الضابط لاستلام أمر تعيينه هرب مع بني لام إلى وراء الطيب. وبعد أن قامت القوات التركية بالهجوم على مخيم للبدو على نهر دجلة ومصادرة 12000 شاة، تابعت ملاحقتها لبني لام الذين كانوا في هذه الأثناء قد انسحبوا إلى ما بعد الدويريج. ولكن بعد هذا النهر ضاع أثر الهاربين. وتعين على المقاصيص[1] المخيمين في مكان قريب أن يتحملوا تبعة ذلك؛ فقد صادر منهم الأتراك 2000 شاة. وعلى الرغم من ضياع الأثر ظل الكهية التركي متمسكاً بهدفه الرئيسي، ملاحقة بني لام. وبما أنه لم يتمكن من إلقاء القبض على الشيخ عباس الفارس دعا الشيخ المعزول عرار إلى المعسكر التركي. لكن عرار لم يحرك ساكناً، بل إن الذي حضر هو عباس الفارس الذي حصل عندئذ على الخلعة، أي على البدلة الفخرية التي تُعبر عن تعيينه شيخ المشايخ[2].

منذ الأحداث التي رويناها في الصفحة 658 أعلاه لا نعرف سوى القليل عن علاقة بني لام بالسلطات الفارسية. كل ما نعرفه هو أنهم قدّموا المساعدة للوالي عام 1751م ضد آل كثير. وعلى وجه العموم يعتقد أن بني لام كانوا يتمتعون هنا بحرية واسعة؛ إذ إن إمارة الحويزة آنذاك آيلة إلى السقوط ولم يكن حُكام فارس المؤقتين قادرين على الاهتمام بهذا الجزء الضائع من مملكتهم. لكن الأمر تغيّر بعد وقت قصير في زمن القاجارين. صحيح أن بني لام استغلوا الفترة القصيرة من الارتباك التي سببها موت فتح علي شاه (خريف 1834م) للهجوم على منطقة مدينتي دزفول وشوشتر، لكنهم أجبروا في العام التالي على التعويض عن الأضرار التي سببوها[3]. وعاملهم معتمد الدولة الشهير معاملة لا رحمة فيها حيث هاجمهم عند الكرخة وأخذ كل ما يملكون، قطعانهم ونساءهم وأطفالهم (1841م)[4].

(1) جدول ربيعة، جـ 2.

(2) المصدر، دوحة، 246 وما بعدها، لا تذكر الشرط البديهي وهو أنه كان يأخذ الضرائب.

(3) روضة الصفا، الفصل العاشر: انتطامي كرمنشاهان إلخ. . تحت بهران ميرزا لعام 1250هـ.

(4) لايارد في مجلة الجمعية الجغرافية، جـ 16، 1846م، 46.

في منطقة أبعد إلى الشمال، في منطقة لورستان الحدودية، تكبد بنو لام في تلك الأعوام كثيراً من الخسائر: استولى أولاد حسن خان صاحب بشتي كوه على أراضي القبيلة الواقعة شرقي زباطية، وأخذوا في بكساية نصف الضرائب العقارية التي كانت من نصيب بني لام، ودمروا في حرب الأخوة قريتي البيات ودهلران اللتين كان بنو لام يجبون ضرائبها(1).

وفي المنطقة العثمانية أيضاً فقدت القبيلة كثيراً من حقوقها: قام دواد باشا بعد عام 1825م بوضع المعدان المقيمين جنوب قناة أم الجمل، والذين كان بنو لام يجبون في ذلك الوقت ضرائبهم، تحت سلطة المنتفق (انظر الصفحة 603 أعلاه). وكان الإجراء مقبولاً لأن المنطقة المعنية كانت واقعة خارج منطقتهم. لكن الإجراء غير المقبول هو الذي اتخذه الأتراك في الأربعينيات ضد بني لام. كان شيخ المشايخ مذكور تخلف عن أداء التزاماته الضريبية(2). ولكي يجبروه على الدفع اعتقلوا ابنيه في بغداد ووضعوهما رهينة في السجن، وفي الوقت نفسه منحوا شيخ المنتفق (بندر) حق جباية الضرائب في منطقتهم على الضفة اليمنى لنهر دجلة. وكانت النتيجة ثورة أدت إلى توقف الملاحة النهرية وحركة القوافل بين بغداد والبصرة وأجبرت المنتفق على التخلي عن حقهم(3). وفي العقود اللاحقة حدثت خلافات داخل القبيلة أدت إلى شل طاقاتها.

نتيجة تأسيس ناحية العمارة في عام 1862م فقد بنو لام جزءاً كبيراً من سلطتهم. إذ قام المسؤول العام عن الجباية وتأجير الأراضي بتأجير الأراضي

---

(1) خورشيد، 98 وما بعدها؛ انظر آلفرد فون كريمر في الفلسفية ـ التاريخية، جـ 6، (1850م)، 251 وما بعدها ـ تقع بكسابه/ باكسايا، وتسمى أيضاً باغي شاه، على هذا الجانب من الحدود الإيرانية، بينما تقع أنقاض البيات دهلران على الجانب الآخر.

(2) يقدر خورشيد، 93، وجونز، 380، الضرائب "المقطوعة" التي كان بنو لام يدفعونها كل عام بحوالى 800000 قرش. بهدف تحديد الضرائب كانت تمسح الأراضي بالباع وكانت كل 10 باعات تشكل وحدة واحدة تبلغ ضريبتها 15 قرشاً. وكان الدفع يتم نقداً أو عيناً؛ فون كريمر، نفس المصدر السابق. كان المعدان يدفعون لبني لام رسوماً عن المراعي؛ جونز، 380.

(3) لوفتوس، 9 وما بعدها؛ انظر محمد باقر، 16.

مباشرة إلى شيوخ عدد من القبائل كانت حينئذ تابعة لهم، وهي: البو درّاج في شمال العمارة، والأزيرق والبو محمد في جنوبها.

في بداية القرن الحالي تمكن الشيخ غضبان البنيّة من إخضاع أولئك التابعين السابقين مرة أخرى. فقط البو محمد لم يستطع إخضاعهم. ولم يؤدِ إرسال محمد باشا الداغستاني إلا إلى صلح مؤقت بين القبيلتين. وعندما تصالح أخيراً غضبان وصيهود، زعيما البو محمد، إنما فعلوا ذلك فقط لكي يستطيعوا مقاومة الحكومة. وفي عام 1911م أرسلت لهم حملة تأديبية أعادت الهدوء إلى المنطقة وفرَّ غضبان إلى الحويزة لكنه أعفي عنه عام 1913م[1]. وعندما دخلت الامبراطورية الحرب العالمية الأولى شارك في الحملة التركية على الأهواز (بداية 1915م). وبعد ذلك بدل عدة مرّات الجهة المتحالف معها، شأنه في ذلك شأن بقية شيوخ بني لام. وفي وقت لاحق لم تجد سلطات الاحتلال أي مقاومة عند بني لام، وأيضاً خلال ثورة عام 1920م ظل سكان دجلة الأدنى هادئين.

خلال القرون الأخيرة شهد بنو لام سواء من ناحية الحجم أو من ناحية البنية الهيكلية عدة تغيرات. فقد اختفت، أو بالأحرى تفككت، القبيلتان الفرعيتان آل سلطان والفضول[2]، اللتان التقيناهما في القرنين السابع عشر والثامن عشر. أما الخسائر التي منيت بها القبيلة خلال هجرتها من الجزيرة العربية إلى العراق (انظر ص 576 أعلاه) فقد عوضوها وأكثر وذلك عن طريق انضمام عناصر غريبة: ربيعة (باوية، سرّاج)، وكنانة، وكعب، وخزرج، وصرخة، وبني جميل، وغيرهم. لكن

(1) عالم الإسلام، 301، رقم 156؛ محمد باقر، 37: في بداية الحرب العالمية.

(2) إسكندر منشي، تاريخ عالم آرايي عباسي، 713؛ نفس المصدر، 675؛ آل فضيل؛ ديوان ابن معتوق، 17: آل فضل ـ استوطن فرع من الفضول، آل غزي، عند الحويزة، لكن جزءاً منه هاجر 1025هـ/ 1616م إلى منطقة البصرة. وفي محاولة لإعادة المنشقين سقط سيد راشد صاحب الحويزة عام 1029هـ/ 1620م. وفي عام 1258هـ/ 1842م هاجر الغزي، الذين كانوا يخيمون في المنطقة التركية، إلى الحويزة؛ كسروي، 67؛ خورشيد، 89. ويبدو أن الغزي كانوا ممثلين أيضاً عند الفضول العرب، انظر ص 634 ـ 9 أعلاه.

هذا النمو كان مؤقتاً، إذ إن جميع هذه القبائل هاجرت بين عام 1789م وعام 1848م، بسبب عبء الضرائب أو المجاعات أو الجفاف أو الصراعات الداخلية، كلها (باوية، بنو جميل) أو الجزء الأكبر منها، إلى خوزستان[1].

تقسم تقارير الرحالة المكتوبة في القرن التاسع عشر بني لام إلى بدو رحل وفلاحين، أو بالأحرى معدان. لكن هذا الرأي غير صحيح تماماً. فالمجموعتان لا تختلفان في طريقة الحياة وحسب وإنما أيضاً من ناحية المنشأ والموقف السياسي. إذ يشكل البدو المهاجرون طبقة السادة، بينما يشكّل الفلاحون والمعدان، المقيمون على دجلة منذ القدم، الرعية (ولذلك سجلناهم في الجدول تحت بند: الملحقون). وقد أصبح بعض هؤلاء مستقلين إما عن طريق الهجرة أو، كما ذكرنا في الصفحة 576 أعلاه، عن طريق التطور السياسي.

منذ الحرب العالمية الأولى تفكك بنو لام بأنفسهم. فقد انسحب الفرعان الرحمة (4) وآل خميس (5) إلى بدره ومندلي حيث كان قد سبقهم إلى هناك المعبر (1) والطعان (2) والحمد (3)، وانتقل العبد الخان (8) إلى مينا و (ميان ـ آب)، أي "الجزيرة" بين ديز والكارون.

ظلت منطقة تجول بقية القبيلة تقتصر منذئذ جوهرياً على مقاطعة العمارة؛ إلا أن عبور الحدود كان ولم يزل مسموحاً لهم[2] لأن العمارة لا يوجد فيها مراعي كافية لقطعانهم[3]. على نهر دجلة تبدأ منطقة بني لام فوق الوادي، وتصل على الضفة اليسرى حتى العمارة، بينما تنتهي على الضفة اليمنى قبل العمارة حيث تقطعها منطقة البو درّاج.

---

(1) خورشيد، 87 وما يليها؛ انظر الملاحظة 1 في الجدول. ترك الدلفية، الذين هاجروا 1263هـ ـ 1264هـ/ 1847م ـ 1848م، مجموعة صغيرة أصبحت من أتباع آل جنديل المذكورين على الخريطة، شيخ سعد.

(2) المصاعب التي سببها لهم عام 1914م والي بوشتي كوه، أزيلت بعد الحرب؛ الشرق الحديث، الجزء الثاني، 301.

(3) محمد باقر، 155.

حول الهجرة الداخلية لبني لام يوجد لدينا تقرير دقيق يعود إلى النصف الأول من القرن الماضي[1]: كانوا في الشتاء يقيمون في أطراف الجبال الفارسية، وفي الربيع في سهول قره تبه، ويقضون شهراً آخر على ضفاف الوادي والطيب. وكانوا في الصيف يذهبون إلى دجلة حيث كانوا يتبعون مجراه من علي الغربي حتى تفرع الحد (فوق العمارة) مع بعض التوقفات، في علي الشرقي (18 يوماً) ونهر سعد (30 يوماً)، والدير.

كان بني لام يصدرون في السابق الصوف وزبدة الأغنام والجمال إلى بغداد. وكان الرز يشكّل غذاءهم الرئيسي، وحتى الخيول كان يقدم لها الرز كعلف.

في العادات والتقاليد كان التأثير الفارسي ملموساً؛ كان المحاربون يحملون الترس الدائري (درك) كسلاح، وكان الشيوخ يحوون فهوداً للصيد[2]. يعتنق بني لام المذهب الشيعي الذي يعتنقه أيضاً جميع من حولهم.

---

(1) فون كريمر، نفس المرجع السابق؛ قارن لايارد مجلة الجمعية الجغرافية، 16، 46 وما بعدها.

(2) فون كريمر، المصدر السابق؛ خورشيد؛ كيني «cuinet»، الجزء السابع، 240؛ حچي ركان، 48.

عائلة شيوخ بني لام

كانت تقود بني لام منذ القدم، مثلهم مثل كثير من القبائل الكبيرة، أسرتان. في القرن الثامن عشر كانتا آل عبد الخان وآل بلاسم، وكلاهما من آل سلطان. وتذكر المصادر الأدبية عبد العالي (1715م) ابن العبد الخان وأخاه (عبد) القادر (1737م) كقائدين كبيرين لبني لام، وتذكر الروايات المتناقلة ابن عمهما عبد السيد أيضاً[1].

في (عام 1751م) كان يحكم بني لام ثامر من آل عبد الخان ومذكور من آل بلاسم جنباً إلى جنب[2]. وعندما كبرت العائلتان وأصبحتا قبيلتين برز من آل بلاسم خط عبد العالي (عرار) وخط جنديل، بينما نُحيَّ آل عبد الخان وأصبحوا لهذا السبب خصوماً لعائلتي الشيوخ الجديدتين[3].

استغلت الحكومات هذا الوضع لصالحها وأخذت توقع بين الشيوخ بأن تدعم مرة هذا وأخرى ذاك: في عام 1821م عُزل عرار العبد العال (ي)، الذي التقيناه في الصفحة 660 أعلاه، وعيّن مكانه مذكور بن جنديل، الذي عزَلهُ الفرس من منصبه

(1) ص 659 أعلاه؛ دوحة، 44؛ تذكرة أي شوشتر، 113؛ محمد باقر، 13 وما بعدها.
(2) تذكرة إي شوشتر، 113.
(3) فون كريمر، المصدر السابق.

عام 1835م؛ وحلّ مكان عرار ابنه نعمة[1]. وكان الأتراك يحاولون مرة مع هذا وأخرى مع ذاك إلى أن قاموا أخيراً بتقسيم المنصب بأن أعطوا الضفة اليسرى لنهر دجلة لواحد والضفة اليمنى للآخر[2]. وفي النهاية نجح مذكور في جعل الجنديل يتقدمون على عبد العالي. كان مذكور الشخصية الأهم، لكن نعمة كان الشخصية الأكثر جاذبية[3].

في عهد مزبان بن مذكور حلّ محل النزاع بين العائلتين نزاع ضمن عائلة الجنديل نجم عن خلافات عائلية (1878م ـ 1879م)[4]، وفي عهد بنيّة بن مزبان اندلعت مرة أخرى الخصومة القديمة بين عبد العالي والجنديل: قام الشيخ غضبان النعمة بعقد قرانه على إحدى بنات موسى المذكور دون موافقة أبناء عمها الذين لهم حسب العرف القبلي الأسبقية في طلب يدها. نتيجة لذلك اضطر آل عبد العالي إلى اللجوء إلى الأراضي الفارسية طلباً للحماية وظلوا هناك 18 سنة، إلى أن توفي غضبان، أعيدوا بعدها إلى القبيلة مرة أخرى[5].

بعد وفاة غضبان النعمة تولى الزعامة ابن عمه غضبان البنية الذي لم يكن قد بلغ سن الرشد لكنه كان عنيفاً لا يرحم. قام في بادئ الأمر بتأديب السراج «السراي» وكنانة «چنانة» المتمردتين. عندئذ أعلن صيهود، شيخ البو محمد الواسع النفوذ الحرب عليه حيث كان غضبان قد جرحه شخصياً بفظاظته. فانهزم

(1) الأنسكلوبيديا الإسلامية، فون لام (مينورسكي)؛ روضة الصفا، الفصل العاشر: انتطامي إي كرمنشاهان إلخ. . . في عهد بهرام ميرزا العام 1250.

(2) فونتانيه «Fontanier» (1835 ـ 1836)، رحلة في الهند وفي الخليج الفارسي «العربي»، جـ1، 366، 404؛ خورشيد، 91.

(3) سي.آ.دي بود، رحلات في لورستان وعربستان، الجزء الثاني، 198؛ إينسو ورث، رحلة الفرات، جـ2، 239؛ لايارد في مجلة الجمعية الجغرافية، الجزء السادس عشر، 46؛ جونز، 380.

(4) يلعب ابن مذكور دور البطل في حكاية رومانسية مروية في حچي ركّان، 111 وما بعدها.

(5) حچي ركان Haji Rikkan، 196 وما بعدها.

غضبان، لكنه انتقم لهزيمته من البو درّاج الذين ساندوا خصمه. فأسر شيوخهم ودخل أراضيهم. وبدعم من قبائل الميناو انتصر عدة مرّات على البو محمد وأخضع الأزيرق «الأزيرج»، لكنه قبل بعد ذلك عرض السلام الذي قدّمه له صيهود. وعندما ذهب عام 1911م إلى الحويزة هرباً من الأتراك تقاسم ابن أخيه جوي اللازم، وعمه شبيب المزبان، وعلي خان، أراضيه فيما بينهم. ويُقال بأن غضبان عمل في الحويزة على تحريض بني طُرُف وقبائل الميناو ضد خزعل خان صاحب المحمرة الذي كان آنذاك قوياً جداً في عربستان، لكن خزعل انتزع منه سلاحه بالمحبه والملاطفة[1]. في أول 1915م شارك، كما ذكرنا في الصفحة 663 أعلاه، في الحملة التركية على الأهواز بعد أن وعدته الحكومة بإعادة الأراضي التي كان يديرها حتئذ جوي اللازم. وبعد الزحف البريطاني، الذي وصل في يونيو/حزيران 1915 إلى العمارة وفي يوليو/تموز إلى علي الغربي، خضع غضبان للإنجليز، ولكن عندما تراجع الإنجليز بعد ذلك بوقت قصير عاد ووقف إلى جانب الأتراك خوفاً على أملاكه التي كان قد استعادها قبيل ذلك. بعد ذلك بوقت قصير فَقَد أملاكه نهائياً بنتيجة تغيّر ظروف الحرب لصالح الإنجليز؛ عندما تقدم الإنجليز مجدداً أعطوا جميع الأراضي لجوي اللازم[2]. ويذكر أن غضبان خاض بعد ذلك عدة حروب ضد خزعل وأن خزعل كسبه إلى جانبه مرة بعد أخرى، أما في الحقيقة فقد ظلّ موقوفاً عند خزعل كنصف سجين إلى أن سمح له بالعودة عام 1921م بوساطة من الحكومة العراقية. لكنه توفي بعد ذلك بوقت قصير.

أما عمه شبيب المزبان، الذي دعمه في بداية حكمه، فهو اليوم أكثر شيوخ بني لام نفوذاً. ويُقال بأنه تخلى كلياً عن حياة البداوة وانصرف في المدينة إلى الشرب واللعب.

تقع أملاكه، الجزرة، على الضفة اليسرى لنهر دجلة. أما بقية زعماء

---

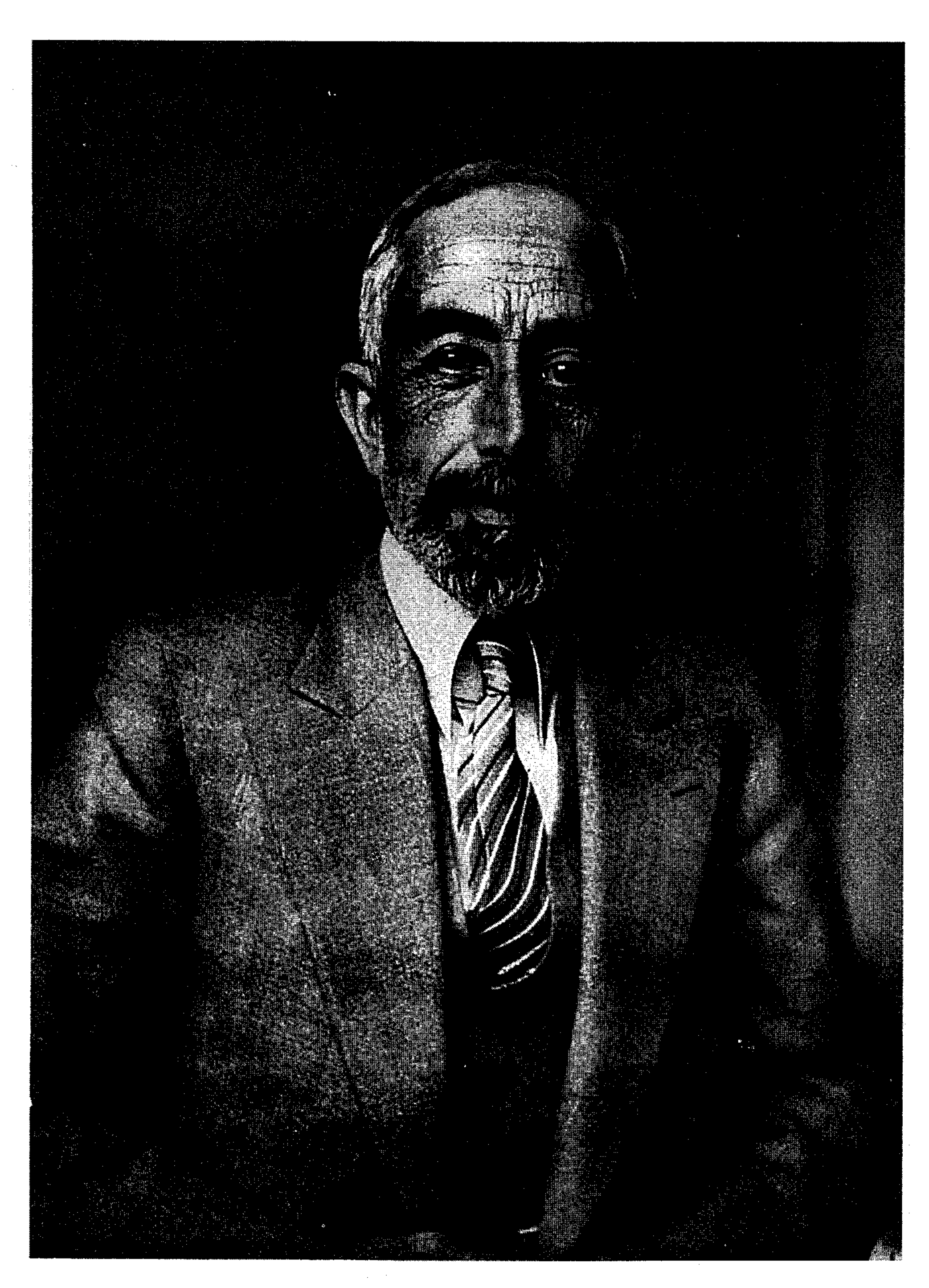
(1) لنكن أكثر وضوحاً من محمد باقر «بالذهب»، لأن الذهب كان سلاح خزعل، انظر الجزء الرابع. إلا أنني أشك في صحة هذه القصة لأنه لم يرد لها ذكر في أي مكان آخر.

(2) ريفيو، 31.

آل مذكور فلهم أملاك على الطيب والدويريج. ويقيم آل جنديل عند الشيخ سعد على هذا الجانب من دجلة، أما آل عالي خان فيقيمون على الضفة المقابلة. وتقع أملاك عبد العالي على الضفة اليمنى (من فهدية نحو الأسفل)[1].

أحوال الري متخلفة جداً. أهم قناتين على الضفة اليمنى، الفهادية والسعدية، لا يجري فيهما الماء إلا في موسم الفيضان الربيعي، وعلى الضفة اليسرى تهدمت جميع القنوات باستثناء قناة الوادي. وأما نهرا الطيب والدويريج فهما منخفضان جداً بحيث لا يوجد هناك سوى الزراعات البعلية (القمح والشعير)[2].

(1) توزيع الملكيات العقارية وحق جباية الضرائب على عوائل الشيوخ عادة قديمة العهد، انظر فون كريمر، المصدرالسابق.
(2) محمد باقر، 157 وما بعدها، 162 وما بعدها.



علي بن الحسين، ملك الحجاز (1932م).

ملاحظات حول مشجرة النسب

1 ـ كانت شجرة النسب قد أُعدت اعتماداً على المعلومات المتوفرة في كتب التاريخ وتقارير الرحالة فقط، إلى أن عثرت على «موجز تاريخ عشائر العمارة» لمحمد الباقر، بغداد 1947م الذي يحتوي على شجرة نسب تفصيلية لبني لام. تمكنت بمساعدة من سد ثغرتين، ألا وهما الصلة: عبد العالي ـ مذكور والصلة جنديل ـ مشعل ـ مذكور، وإكمال بعض حلقات الجيل الأحدث.

2 ـ تذكرة إي شوشتر 68، 117 (خطأ مطبعي: فريح)؛ ليكلاما آ نيهولت، جـ3، 227. محمد الباقر: فرج ـ سلسلة الأجداد: ف. ابن نصيري بن حافظ بن برّاق بن مفرج بن سلطان.

3 ـ راشد، جـ1، 257، مذكور ضمن ملاحظة مشوهة: بني آدم شيخي عبد الشان، حوالى 1700. أكبر الأبناء السبعة فريح (ليكلاما).

4 ـ محمد باقر: جادر؛ تذكرة إي شوشتر، 113؛ عبد القادر هنا يسمى أبوه عبد الخالق. ولكن هذا خطأ مطبعي لعبد الخان.

5 ـ تذكرة إي شوشتر، 113؛ «عبد اليد»؛ محمد باقر: "سيد".

6 ـ جد عبد العالي.

7 ـ جد آل عرار.

8 ـ جد بيت جنديل.

9 ـ جد آل مذكور.

10 ـ جد آل عالي خان.

11 ـ جد آل جنديل.

12 ـ بلونت، صورة رحلة، الجزء الثاني، 136 وما يليها؛ فون أوبنهايم، من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، 290؛ شيها، 245.

13 ـ بلونت؛ شيها.

14 ـ شيها.

15 ـ محاولة تحسين فاشلة لكلمة كونادر.

16 ـ ريفيو، 31.

بني لام(1)

شيخ المشايخ(2): شبيب المزبان، جوى اللازم، حاتم الغضبان، سكر الفالح
علوان الفليح، ناصر الماجد، حسن الماجد
قمندار الفهد، حنين بن أبو ريشة، يعقوب اليوسف
المنطقة: الوادي ـ العمارة، مندلي؛ بدره؛ ميناو

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المعلى		مندلي	250
2 ـ الطعان	نصيف الشاطي	بدره	
3 ـ الحمد	عبد الحسن اليوسف	مندلي: بدره	250
4 ـ الرحمة(3)	عبد الحسن اليوسف	مندلي	
	شياع الصفوق	بدره	
5 ـ آل خميس		بدره	
6 ـ الظاهر(4)			
7 ـ العبد الشاه			
8 ـ العبد الخان		خيراباد (ميناو)	
9 ـ البلاسم(5)			
10 ـ العبد العالي			
11 ـ الحويفظ			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
القبائل الملحقة :			
1 ـ الكنانة(6)	بيت زامل(7)		1000
أ ـ القمر(8)			
ب ـ الدريسات(9)			
ج ـ الشحيتات(10)			
2 ـ الكعب(11)	البندة(12)		1000
أ ـ العصافرة			
ب ـ آل حسن(13)			
ج ـ النبقان(14)			
هـ ـ الحاج(15)			
3 ـ الخزرج(16)			
4 ـ الصرخة(17)			
5 ـ السراج(18)			5000
أ ـ الصبيح(19)			
ب ـ الاخشاب			
ج ـ أهل الثلث			
أ ـ الوحيلات(20)	الحاج غضبان القاطع		500
ب ـ الحلاف			
ج ـ البو فرادي(21)			
د ـ الرسيتم(22)			
هـ ـ الفكيكات(23)			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ القوائم القديمة لبني لام: مجلة الجمعية الجغرافية، 1846م، 45، لايارد، أنظر هامش 5 ص 464، الفلسفية ـ التاريخية، جـ6، (1850م)، 251 وما بعدها. 253 كريمر، خورشيد، 86 وما بعدها. جونز 379 وما بعدها، شيها 245. لايارد يعطي خليطاً متنوعاً من أسماء العائلات والقبائل. كريمر، قبائل رُحل بشكل رئيسي، بينما لا تذكر من قبل جونز نهائياً. خورشيد مميز بين: أ ـ رُحل ونصف رُحل، ب ـ مستقرين: فلاحين ومعدان. ج ـ أقسام مهاجرة (قارن مع صفحة 663، 664 أعلاه). ضمن أ تنضوي 1ـ9 من الجدول. ضمن ب: البو محمد الزين أصبحوا مستقلين وكذلك البودراج، والأزيرق، والسواعد وبني سالة. علاوة على خمس قبائل سادة، إحداهما بيت العلاق، مذكورة أيضاً لدى/ آينسو ورث؛ (جـ 2، 237 كقبيلة سيد محمد العلاق). وكذلك الذهيبات الواردة لدى لايارد ضمن ج: صطاطلة، باوية، زبيد، صرخة، خزرج، الفكيكات، الدلفية، الغزي، السودان، السواعد، الذهيبات، بني جميل وغيرها. وباستثناء الغزي، جميع القبائل المذكورة ملحقة، يُضاف إليها أيضاً الصقور (لايارد، محمد الباقر، 12، 39). بعض القبائل الواردة لدى جونز لا يمكن إثباتها، الويمي عند لايارد وكريمر، لويمي، اللويمي.

لما كانت بياناتنا العائدة للعام 1939م ضعيفة فقد عدلتها استناداً إلى محمد باقر 39، 77، 78، 91. لم نستطع تصنيف الرويشد لدى شيها الرواشد، الواردة في البيانات في الجدول. من الملاحظ، كما هو الحال هنا، إن بعض الأسماء الأخرى تظهر في البيانات بصيغة النسبة (قارن الملاحظة 3، 17 ولويمي أعلاه) الأمر الذي لا نجده إلا لدى بعض قبائل الحجاز مثل حرب وجهينة.

عدد الخيم: خورشيد آ ـ 2750، ب ـ 8720. جونز: 3870 يضاف إليها 1900 خيمة للمعدان التابعين لبني لام.

القبائل من 1 ـ 5 موجودة في الجدول، قبائل صغيرة أسفل سلسلة الجبال

الإيرانية، ب 11، جـ1 ـ 4.

2 ـ تمّ ترتيبها وفق الخطوط الأربعة: آل مذكور، آل جنديل، آل عرار، آل علي خان.

3 ـ لايارد، خورشيد: 200 خيمة: البيان: الرحيمي. دوحت، 246 تثبت أنها تعود لعام 1806.

4 ـ فون كريمر، خورشيد، (100 خيمة) قارن ص: 671 ـ 672 أعلاه.

5 ـ لايارد، خورشيد، (1000 خيمة).

6 ـ لايارد، جونز، شيها. الأغلبية في إيران، أجزاء صغيرة في الهندية، الجدول بني طرف، 3.

7 ـ عائلة المشايخ.

8 ـ جونز: 500 خيمة.

9 ـ جونز: 600 خيمة.

10 ـ لايارد، خورشيد: 1205هـ/ 1790م ـ 1791م هاجرت مع الصرخة إلى الكارون، جونز: 100 خيمة.

11 ـ لايارد، خورشيد: 1000 كوخ. معدان مع بعض الأعمال الزراعية معظهم في إيران.

12 ـ عائلة المشايخ. على الخارطة بلاد ما بين النهرين السفلى على الضفة اليمنى فوق علي الشرقي.

13 ـ جونز: 250 خيمة.

14 ـ خورشيد، صطاطيلا «صطاطلة» 1203هـ ـ 1263هـ/ 1788م/ 1789م ـ 1847م هاجرت إلى الدز: جونز: 120 خيمة.

15 ـ خورشيد، صطاطيلا «صطاطلة» وإلخ. . مثل 14.

16 ـ خورشيد: 1259هـ/ 1843م و1263هـ/ 1847م هاجرت إلى الشاور عند سوسة. جونز: 250 خيمة. كلاهما خزرج، انظر صفحة 549 أعلاه.

17 ـ البيانات: صريخي، لايارد، خورشيد 1259هـ/ 1843م و1263هـ/ 1847م هاجرت إلى الشاوور؛ جونز: 100 خيمة.

18 ـ ربيعة / جـ آ تبدأ فوق الشيخ سعد. لايارد والسالنامة 279 يذكر أن فخذاً باسم بيت خلاطي.

19 ـ حتى عام 1919م (هرب غضبان) كانت القبيلة الحاكمة في السرّاج حيث كان شيوخ بني لام يختارون غالباً زوجاتهم. منذ ذلك الوقت اقتصرت على بعض المشايخ الذين لا يملكون أرضاً. خورشيد: 700 خيمة. أما بياناته الأخرى فهي خاطئة.

20 ـ حتى عام 1913م مقابل الكميت. ثم هاجرت بحثاً عن الأرض، لأن عند العمارة. كثير من الوحيلات يعيشون في العزبة كتجار أقمشة.

21 ـ خورشيد: 200 خيمة؛ جونز 400.

22 ـ خورشيد: 300 خيمة؛ شيها.

23 ـ خورشيد: 1260هـ ـ 61/ 1844م/ 1845م هاجرت إلى الحويزة.

البو دراج (دراج)

يعيش البو دراج على ضفة دجلة اليمنى تحت بني لام. وهم يرجعون أصلهم إلى ربيعة، ولكن هناك شك في صحة ذلك. كانوا يدفعون الضرائب لبني لام. وكانوا يلتقون قديماً في الجزء الغربي من منطقتهم مع المنتفق. وعندما حصل المنتفق في أربعينيات القرن الماضي على حق جباية الضرائب من رعايا بني لام على الصفة اليمنى، اعتمدوا على البو دراج. واستمرت العلاقات الطيبة بين القبيلتين على الرغم من عودة بني لام[1]. وبعد تأسيس ناحية العمارة (1862م) استقل البو دراج لكن بني لام أخضعوهم مجدداً في بداية القرن الحالي (انظر ص 686 أعلاه). ويُقال بأن غضبان ظل عدة سنين يأخذ شيوخهم معه أينما ذهب وهم محبوسون في أكياس من الصوف. ولم يستعد البو دراج على استقلالهم إلا بعد مجيء الحملة التركية عام 1911م[2].

تتفرع عائلة شيوخهم المنحدرة من بيت مذكور (6) إلى فرعين. ينحدر الفرع الحاكم من حسين بن طلال الذي كان ابنه حطاب معاصراً لغضبان. ويبدو أن ابن حطاب، محمد (1925م) لم يبرز لأن عمه فيصل ابن حسين غطى عليه. وابن

---

(1) خورشيد، 86: فلاحون عند بني لام؛ جونز، 377؛ يتبعون مرة بني لام ومرة المنتفق؛ محمد باقر، 75؛ قارن الصفحة 603 أعلاه.

(2) محمد باقر، 32، 34، 36.

فيصل، مطشر هو الآن "شيخ المشايخ" . أما جد الفرع الآخر فهو فعل بن جودة بن طلال .

البو دراج(1)

شيخ المشايخ : مطشر الفيصل
المنطقة : كميت ـ نهر البتيرة
العائلات : 2500

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ بيت فارس			
2 ـ الكولبة(2)			
3 ـ البو قمر			
4 ـ البو خضير			
5 ـ البو غيث			
6 ـ بيت مذكور	مطشر الفيصل	كميت : السفحة(3)	
	قاسم المحمد الحطاب		
	صبري المحمد الحطاب		
	صدام الشياع الفعل	السفيحة(3)	
	فهد الفعل		

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود لعام 1925م، ثم استكملت استناداً إلى محمد باقر 76، 159؛ خورشيد 86، 92: 1000 خيمة؛ جونز، 377: 500 خيمة، بدو رُحل .

2 ـ القولبة؟

3 ـ أملاك عائلة المشايخ . لم نجد أملاكاً لآل حطاب على الخارطة .

قبائل معدان على دجلة الأدنى(*)

كان المعدان[1] في السابق منتشرين في العراق أكثر جداً مما هم عليه اليوم. حتى منتصف القرن الماضي كان جزء كبير من سكان حوض الفرات بين الرماحية والسماوة يعيشون من تربية الجواميس وزراعة الأرز. وعندما انخفض منسوب النهر وجفت أراضي الغمر المجاورة له بدأ هؤلاء المعدان بزراعة مزروعات أخرى وبتربية الأغنام، أو هاجروا إلى الهندية الذي كانت أهواره قد اجتذبت قبل عام 1850م عدداً من أبناء قبيلتهم بالإضافة إلى معدان آخرين من الشرق البعيد مثل بني طرف. وكانت في بداية القرن الحالي قد جرت هنا عملية مماثلة لما جرى قبل ذلك على الفرات (شط الحلة). فقد تقلصت الأهوار ولم تعد اليوم قبائل الهندية والشامية، وسكان سهول الدغارة الخصبة، وحكيم «بنو حجيم» تختلف عن بقية فلح وشاويّة العراق.

(*) هناك مثل جاهلي يقول: «تسمع بالمعيدي خير من تراهُ. والمعيدي هنا اسم شخص وليس صفة أو اسم قبيلة، يسمى ابن بطوطة المعادي القبائل الصغرى في أنحاء الكوفة والأطراف المجاورة لها في طريق واسط والكوفة بالمعادي ومفردها معيدي. أمّا في الوقت الحاضر فيطلق عليهم المعدان والمعدنة. (تاريخ العراق بين الاحتلالين، عباس العزاوي، ج1، ص 541). فهل هذا المثل الشائع بين البدو والمحفور في ذاكرتهم قد ساهم في النظرة الدونية التي يحملها البدو ضد كل من يمتهن مهنة تربية الجاموس. وهل النظرة الدونية التي كانت تنظر للنبط من قبل العرب المسلمين لها علاقة باستمرار هذه النظرة والتي تحولت إلى المعدان، وكلاهما النبط والمعدان هم السكان الأصليين في العراق (م. شبّر).

(1) المفرد: معيدي.

كما أن المجموعات الصغيرة التي كانت تعيش بعيداً نحو الأعلى، في جرف الصخر وفي هور عقر قوف (انظر ص 350 أعلاه) وفي منطقة بغداد، على طريقة المعدان[1] تحولت في هذه الأثناء إلى فلاحين. وفي منطقة المنتفق حدث تطور مماثل. فقط في الأهوار المحتوية دوماً على المياه والممتدة على ضفتي دجلة اودنى ظل المعدان، جزئياً على الأقل، محافظين على خصائصهم.

مساحة خضراء لا نهاية لها تتلألأ فيها مرآة مياه مفتوحة بين أشجار القصب والحلفا، هكذا تبدو أراضي المعدان للمراقب. في مكان عميق بين شجيرات الحلفا تقع المسارب المائية التي تحمل زورق المعيدي الضيق «المشحوف» من بحيرة إلى بحيرة ثم إلى المرتفع الأرضي الذي يبني عليه كوخه[2] ويزرع فيه مزروعاته. وعلى الماء يقوم بصيد السمك. ويقدم له حيوانه المنزلي. الجاموس، الحليب والقشطة التي يصنع منها الزبدة. وهو يعرف كيف يكسب على حساب الهور مساحات إضافية لزراعة الأرز، وذلك عن طريق حجز الماء بواسطة الحصر أو عن طريق تجفيف المياه بواسطة الأقنية[3].

(1) خورشيد، 216 وما بعدها. بعض هذه المجموعات يسمون أنفسهم دبّات (نفس المصدر، 219: في هور عقرقوف، 208: عند بعقوبة، 131: عند خانقين)، كما يسمى المعدان على الغراف.

(2) تتألف أكواخ المعدان من هيكل بسيط من حزم الحلفا أو من قضبان وضعت عليها حصائر مصنوعة من الحلفا: يتم غرز كل حزمتين أو قضيبين مقابل بعضهما البعض في الأرض ثم يربطان في الأعلى ليشكلا قوساً مسطحاً. يغلق الكوخ من الجهة الخلفية بجدار من النبات والحلفا، أما من الجهة الأمامية فيبقى مفتوحاً. في بعض الأحيان توصل عدة أكواخ مع بعضها بحيث تصبح على شكل نفق منخفض طويل وتفتح له مداخل من الجانب عن طريق ثقب في الحصران. نصب الأكواخ ونقلها من مكان إلى آخر من مهام النساء. هذا النموذج من الأكواخ منتشر في جميع أنحاء منطقة المعدان تلك. انظر الصورة في بنك، بسماية، 223 (بدير). أما الصالات الكبيرة (صريفة) التي يسكن فيها الزعماء أو يستقبلون فيها ضيوفهم فهي أتقن صنعة. وهذا النموذج من المساكن منتشر أيضاً خارج منطقة المعدان الحالية. انظر مورتز، مباحث الجمعية الجغرافية في برلين، 1888م، 96.

(3) لوفتوس، 40؛ خورشيد، 93.

لا شك في أن صيد السمك في الأهوار هو بالتأكيد قديم قدم هذه المناطق. لكن الجزء الأساسي من حضارة المعدان، ألا وهو تربية الجواميس، فهو ينتمي إلى العصر الإسلامي، إذ إن الجاموس لم يكن موجوداً في العراق إلا بعد مجيء الزطّ الذين جلبوه معهم قادمين من الهند. أما الأرز فقد كان يزرع في العراق منذ العصور القديمة ولكنه لم يزرع بكميات كبيرة إلا في العصور الوسطى[1].

في هذا الزمن يظهر أجداد المعدان في المراجع تحت اسم معادي. ففي قصيدة أهداها ابن مقرّب لحاكم البصرة، باتكين «Bätekin»، بمناسبة إبادة بني معروف (612هـ/ 1215م) جاء قوله:

«لعمري لقد نال المعادي إن اعتدت
بساعة سوء أخرست شعراها»[2][*].

والتعليق على ذلك هو: «أن المعادي لقب لبني معروف وأتباعهم»[3]. وبعد قرنين من الزمن يرد الاسم "معدان" في التقرير الذي يتحدث عن المهدي محمد ابن فلاح الذي ظهر عام 840هـ/ 1463م وأعلن دعوته في واسط. وفي هذه المرة نتعرف أيضاً على بعض القبائل الأخرى التي تحسب منهم وهي: بنو سلامة، والسودان، وبنو طي، ومعاوية[4]. كانوا في البداية مقيمين في منطقة واسط لكنهم تبعوا بعد ذلك قائدهم، المهدي، إلى الحويزة. ولم يزل أحفاد بني سلامة (سلامات) يعيشون هناك

---

(1) متز، عصر النهضة الإسلامية، 405.

(2) ديوان، رقم 88، البيت 36.

(*) العيوني ـ ديوان المقرب العيوني ـ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة التعاون الثقافي ـ الاحسا ط1963 (م. شبَّر).

(3) كما أن ابن بطوطة، الجزء الثاني، 2، يذكر عام 1327م المعادي على نهر الفرات تحت النجف. وهذا الشكل من الاسم يرد أيضاً عند مؤرخ البلاط التركي عزي، 197.

(4) صحيح أن تقرير (نور الله الشوشتري، مجالس المؤمنين، مجالس 8، جند 16) لا يذكر صراحة بين المعدان إلاّ بني سلامة، لكن سودان لم يزالوا حتى اليوم من المعدان، ولا بدّ من أن يكون بنو طي من المعدان أيضاً لأنهم مذكورون معهم (أي مع السودان)، أما معاوية فيوصفون بأنهم من ملاّك الجواميس والأبقار.

حتى الآن، وسوف نتحدث عن السودان في هذا المقال بمزيد من التفصيل.

بين الطبقات التي يتألف منها أبناء القبائل في العراق، وهي البدو، والشاوية (عرب)، والفلح، والمعدان، يشكّل المعدان أدنى طبقة[1]. وهذا مفهوم. لأن طريقة حياة المعدان غريبة عن البدو ولذلك فهي محتقرة. إذ يكفي صيد السمك وحده ليجعل من العربي شخصاً قليل القيمة في أعين البدوي. كما أن شكل المعدان يبدو غريباً لجيرانهم. فالخوض في المستنقعات أدى إلى تطاول أطرافهم وحرقت الشمس اللاهبة، المسلطة على الجزء الظاهر من أجسامهم العارية فوق الماء، جلودهم[2].

وبنات المعدان جميلات وحيويات. ويرغب أبناء القبائل الغريبة في الزواج منهن. لكن البدوي لا يزوج ابنته للمعيدي؛ لأن المعيدي غير "أصيل" (ليس نقي النسب). ومن المشكوك فيه أن يكون هذا الحكم المسبق نابعاً من المكانة الاجتماعية المتدنية للمعدان. بل لعله انعكاس للاحتقار الذي كان يكنه العرب للآراميين الذين كانوا قد لجأوا قبلهم إلى البطايح، ويبدو أنهم ـ طالما أنهم كانوا ينتمون إلى طائفة المندائبين (الصابئة) ـ ظلوا هناك حتى العصور الوسطى[3]. ويزعم المثقفون العراقيون أن المعدان، وخاصة البو محمد، ينحدرون من أولئك الآراميين أو كما يقول العرب، الأنباط الذين كانوا في البطايح[4].

(1) هذا ما يذكره، على سبيل المثال، خورشيد، 59.

(2) أينسوورث، الجزء الثاني، 42، 48، 50.

(3) مثلاً، ديوان ابن مقرّب، رقم 30(*) (قصيدة هجاء لموظف في واسط، البيت 2آ، و3آ): "ابن صابئة غير مختتنة. . . من أنباط البطايح". وما زال أحفادهم يعيشون حتى اليوم في المدن الواقعة على أطراف منطقة المعدان، في العمارة، والحويزة، وقلعة صالح، وسوق الشيوخ، والبصرة، والمحمرة.

(*) بِع واسِطا بالنَّأيِ والهجرِ ... وَدَعِ المُرُورَ بها إلى الحشرِ

أرضٌ يُدبّرُها ابن صائبةٍ ... شابتْ مفارقُها على الكُفرِ

قلفاءُ مِن نبطِ البطائح لم ... تمرُرْ لها الموسَى على بظرِ

ديوان ابن المقرب ـ قصيدة 35 بيت 1 ـ 3 (م. شبَّر).

(4) أحد الذين يعرفون جيداً البو محمد يعتبرهم من أحفاد الزطّ أو التركمان؛ محمد باقر، 61 وما بعدها.

يتهم المعدان بأنهم جبناء وشريرون[1]. وهذا صحيح في بعض النواحي. فمن المعروف عنهم أنهم في الحروب يحرقون أكواخ أعدائهم بمن فيها من نساء وأطفال[2]. كما أن طريقة قتالهم فيها شيء من الغدر. ولكن هل يجب على المعيدي أن يتخلى عن الوسائل التي أعطته إياها الطبيعة في هيئة مخابئ يصعب كشفها ودروب وأقنية لا يعرفها أحد سواه؟ أما أن تكون غارات السلب والنهب النهرية؛ كالتي يقوم بها البو محمد وغيرهم من السكان المجاورين للأنهار الكبيرة، تفتقر، على عكس غزوات البدو إلى الروح الرياضية لا بل فيها شيء من الرهبة الغامضة، فهذا أمر لا يمكن نكرانه. لكن المعدان لا تنقصهم الشجاعة. ولقد أثبتوا في المعارك التي خاضوها ضد العثمانيين. كما أنهم يخضعون، كما يبدو، للانضباط العسكري أكثر من القبائل الأخرى . فالجنود فالجنود المحترفون في الجيش العراقي يتألف جزء كبير منهم من المعدان.

ويبدو أن المعدان المعزولين عن العالم الخارجي بحكم الظروف الطبيعية ليس لديهم، طالما ظلوا متمسكين بطريقة حياتهم الأصلية، نزعة إلى الاستقلال السياسي، خلافاً لما هو عليه الحال لدى القبائل الأخرى. ويعود السبب في ذلك إلى أنهم كانوا دائماً تقريباً يعيشون تحت قيادة البدو المجاورين لهم. كان معادي العصور الوسطى خاضعين لربيعة، ومعدان العصر الحديث خاضعون للخزاعل، أو المنتفق، أو بني لام. وقبائل المعدان الموجودون في منطقة دجلة الأدنى، الذين سنتحدث عنهم الآن، لم يتخلصوا من سلطة بني لام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

تروى منطقتهم الواقعة على الضفة اليمنى للنهر من ثلاث قنوات كبيرة هي: البطيرة فوق العمارة، والمجر الصغير (فوق الطبر) والمجر الكبير تحت المدينة. وعند العمارة نفسها يجري المشرّح نحو الشرق ويرسل، وهو في المنطقة المجاورة

(1) جونز، 357 وما بعدها؛ أينسوورث، الجزء الثاني، 42: إنهم الأكثر توحشاً ومكراً وقلّة ائتمان ممن يسمون العرب (معدان الخزاعل).

(2) أمثلة في: محمد باقر، 32، 68.

لمدينة الكحلاء نحو الجنوب، أما الأهوار فقد تراجعت ولكن جحم هذا التراجع غير واضح لا في الخرائط ولا في التقارير التي تصف المنطقة.

جميع منطقة العمارة، أي منطقة بني لام والبو دراج أيضاً، أراضي تابعة للحكومة (في عهد السلطان عبد الحميد غالباً أراضي تابعة للسلطان) وهي تؤجر بقطع كبيرة. ويستأجرها دائماً، مع بعض الاستثناءات القليلة، الشيوخ المتنفذون بحيث أن ملكياتهم تتطابق دوماً مع حدود القبيلة. ويعود هذا النظام إلى بدايات الإدارة المدنية في العمارة. وقد كان ناجحاً في الأعوام الأولى لكنه أدى في وقت لاحق إلى كثير من المشاكل وسوء الاستعمال. إذ إن الشيوخ أخذوا يسعون، من أجل توسيع نفوذهم، إلى استئجار أكبر مساحة ممكنة من الأراضي، وذلك ليس في منطقة قبيلتهم وحسب وإنما أيضاً خارجها. وعلى الرغم من أن هذه المحاولات كانت تؤدي في الحالة الأولى إلى صراعات دائمة داخل عائلات الشيوخ، وكانت في الحالة الثانية محكومة بالفشل لأن ما من قبيلة كانت تسمح بأن يحكمها على المدى الدائم شيخ غريب، فإن السلطات كانت تلبي هذه الرغبات لأنها كانت بهذه الطريقة تستطيع زيادة مبالغ التأجير باستمرار. وقد قام الإنجليز عام 1915م بتخفيض أجور الأراضي تخفيضاً كبيراً. وأزيلت أضرار المزيدة، التي كانت مطبقة سابقاً، بوضع معيار يعتمد كأساس لتحديد المساحة المزروعة (آخر مسح للأراضي تم عام 1936م) والمحصول الوسطي للمزروعات الصيفية والشتوية (الأرز، والذرة البيضاء، والعدس، والقمح، والشعير). من الطبيعي أن نظاماً بهذا الشكل يفتقر إلى الحافز لزراعة مساحة كبير قدر الإمكان من الأرض ولتشغيل أكبر عدد ممكن من الناس. وبما أن السكان تزايدوا أكثر من السابق بسبب السلام السائد منذ أكثر من ثلاثين عاماً وبسبب عدم حدوث أوبئة، فقد كان كثيرون لا يجدون طعامهم اليومي في الريف. ولذلك يهاجرون إلى المدن طلباً للرزق في العمل كجنود أو شرطة أو عمال أو خدم. كما أن الذين يبقون في الأرياف لا يفترشون الورود. فالمعدان الذين أصبحوا فلاحين لا يبقى لهم من المحصول سوى الربع. لكن الشيوخ يشكون من ارتفاع إيجارات الأراضي ـ أكثر من خُمس محصول الأرز ـ ومن نفقات الكتبة (الملاّ،

الملالي) والمحاصصين (سركال، سراكيل). ولكن لا أحد منهم يتخلى عن حرسه الشخصي (الحُوشيّة)[1]، وهي ظاهرة باقية من تلك الأيام التي كان فيها الشيوخ يتقاتلون من أجل كل شبر من الأرض.

من بين القبائل الأربع التي سنعالجها هنا السودان يسكن السودان شرقي الكحلاء، والسواعد على امتداد المشرّح، والأزيرج على المجر الصغير وبعده نحو الغرب، والبهادل على انعطافة دجلة عند العمارة. أما البو محمد فسنعالجهم في المقال القادم.

يعرف السودان[2] أنهم قد هاجروا في الماضي من واسط إلى الحويزة ولكنهم لا يعرفون أن المهدي محمد بن فلاح هو الذي قادهم إلى هناك ـ وكلا الأمرين نموذجيان بالنسبة لحكايات القبيلة حيث تبقى أسماء الأماكن راسخة بعناد بينما تنسى الظروف أو يستعاض عنها بلقطات من نسج الخيال. بعض الأبيات الشعرية والنوادر تذكر بإقامتهم قروناً عديدة في الحويزة. ثم جاء الطاعون عام 1247هـ/ 1813م ليجبرهم على الهجرة نحو الغرب. وفي الطريق توفي زعيمهم عبد الله بن عيسى ودفن على إيشان[*] واجف[3] (إلى الشرق من إيشان عزيزة). ثم تابعوا السير إلى الجريت وبقوا هناك كتابعين لبني لام. استقر سعد بن عبد الله في البحاثة وراء الكحلاء قامت معارك مع جيوش هذه الناحية، البو محمد، استمرت حتى بعد وفاته (1294هـ/ 1877م). في الحرب العالمية الأولى اعترفت السلطات البريطانية بحفيده صيهود العجيل كوريث شرعي لاستئجار جميع أراضي البحاثة ـ لكن الناحية لا تزرع؛ أي أن السودان ما زالوا يعيشون حياة المعدان. إلاّ أن التزايد الكبير لعدد أفراد

(1) شيء وكلمة عند بني لام أيضاً؛ فون كريمر (1850م)، 251 وما بعدها.

(2) ما يلي استناداً إلى محمد باقر، 64 ـ 73. القول بأنهم من كنده لا يستحق الجهد لإثبات عدم صحته. انظر بخصوص مثل هذه الأخطاء: كاسكل، أورينس، 2، 352 وما بعدها.

(*) إيشان كلمة سومرية تعني التل (المصدر: ميسان وعشائرها قديماً وحديثاً، عقيل المالكي، بغداد: 1992م). (م. شبّر).

(3) هنا يذكرهم جونز، 380 (1854).

القبيلة يرغم كثيراً من أبنائها على العمل في الغربة كعمال من وقت إلى آخر.

كان السواعد[1] يسكنون في الأصل في الخرمة[2]، وفي وقت لاحق في الجزاير حيث بقيت مجموعات صغيرة منهم. بعد ذلك هاجروا نحو الشمال، وعبروا بعد بعض الوقت نهر دجلة ثم استوطنوا على الحدّ، قبل المشرّح، تحت حماية بني لام (النصف الأول من القرن التاسع عشر)[3]. في بداية الثمانينيات قدم شيخ البو محمد، وادي بن منشد، الذي أصبح بلا أرض، عرضاً بأن يقوم بجمع الإيجارات المتأخرة من السواعد إذا ما عيّن مسؤولاً عن منطقتهم. فقبل الأتراك عرضه. فقام بمساعدة القوات التركية بطرد شيوخ السواعد. وفي المنفى توفي كبير عائلتهم حسين الحسّان من شدة الهم، وعندما تجمع الشيوخ لحضور حفل الوفاة، أخذ الشعراء يهجونهم ويهزؤون بهم وقرأت ابنة الشيخ المتوفى بيتاً حماسياً من الشعر ألهب مشاعرهم، فتوجهوا من الحويزة إلى منطقتهم وأجبروا الغرباء على الانسحاب.

على الرغم من أن السودان والسواعد كانوا قد أصبحوا مستقلين في الستينيات فقد ظلوا مرتبطين ببني لام بسبب عدائهم المشترك للبو محمد. ولذلك شاركوهم في الحرب بين غضبان وصيهود (انظر الصفحة 668 أعلاه) الهزيمة والنصر.

كانت القبيلتان الفرعيتان الكورجة وبيت زامل متعاديتين زمناً طويلاً؛ وقامت قبيلة فرعية ثالثة، بنو آذان، بالانضمام إلى الأزيرق «الأزيرج». وأخذ أحد عشر شيخاً يتقاسمون استئجار أراضي السواعد.

غادر الأزيرق «أزيرج» دجلة في منتصف القرن الثامن عشر موطن القبيلة الأصلي على الغراف وتوجهوا نحو الشمال الشرقي. ثم استوطنوا على الطبر

(1) يزعم أنهم زبيد، انظر الملاحظة قبل السابقة.

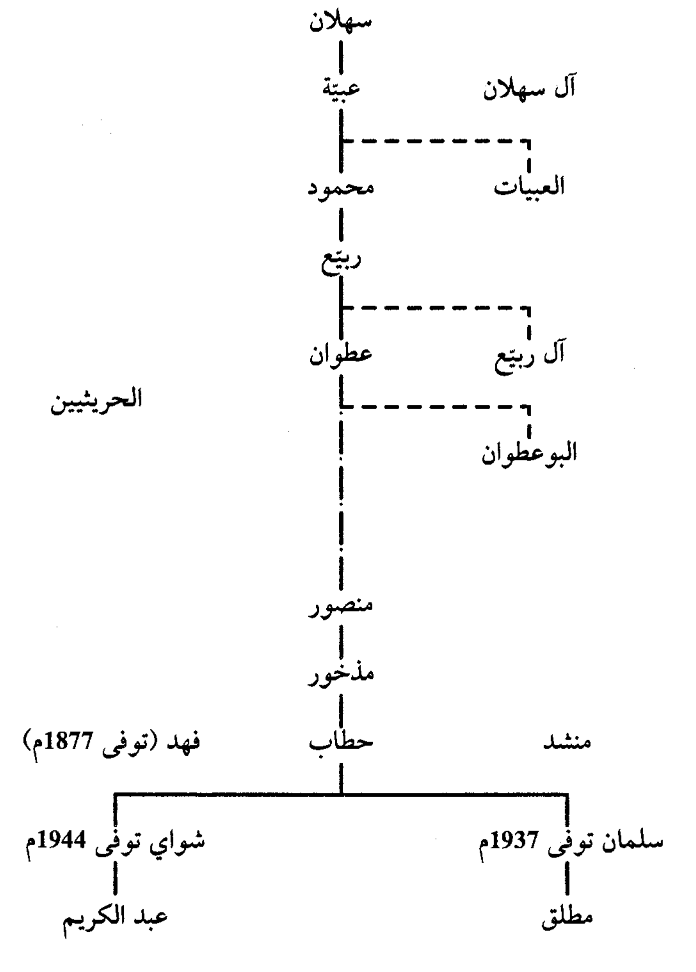
(2) في منطقة المنتفق. ولكن أين.

(3) يذكر أنهم وجدوا هنا الأسد/ بني أسد وأنهم بعد معارك عديدة كانت تنتصر فيها هذه الجهة مرة وتلك الجهة مرة أخرى، حيث تلتجئ القبيلة المهزومة إلى الحويزة، أجبروه على العودة إلى الجزاير.

المتفرع من المجر الصغير. وبعد ستة أجيال حدثت خلافات بين المهاجرين، عاد على أثرها الفخذان البو سعد وآل سهلان إلى موطنهم، بينما عبر العبيات نهر دجلة (قبل عام 1848م)[4]. أما بقية القبيلة فقد طردها بنو أسد/ بنو سد من وطنها.

---

(1) من أجل مزيد من الإيضاح نضع أمام القارئ المخطط التالي المبسط الذي يستند إلى مشجرة النسب الموجودة عند محمد باقر (الخطوط التي تصل بين الجد الذي تحمل القبيلة اسمه والقبيلة رسمناها منقطة):



فهرب الشيخ مذخور بن منصور إلى الحويزة وهرب الحريشيون (ج 4) إلى البو محمد. وبعد "سبع سنوات" عاد مذخور وهزم بني أسد بمساعدة العبيات والبو محمد واستعاد أراضيه. وبعد تأسيس ناحية العمارة (1862م) أصبح الأزيرق (الأزيرج)، الذين كانوا في البداية يدفعون الرسوم للمنتفق ثم في وقت لاحق لبني لام، مباشرة أو بواسطة البو محمد، مستقلين. ولكنهم لم يبقوا كذلك زمناً طويلاً. فمنذ عام 1880م حكمهم شيوخ البو محمد مراراً وتكراراً لفترات قصيرة أحياناً وطويلة أحياناً أخرى. ومنذ الحملة التأديبية التركية عام 1911م استقرت عائلة شيوخهم في مكان ثابت. وهي تنقسم إلى بيتين يملك الأول، بيت منشد، المجر الصغير، ويملك الثاني، بيت فهد، النواحي الواقعة غرباً والتي يرويها نهر البتيرة[1].

وأخيراً لا بدّ من ذكر قبيلة البهادلة الصغيرة التي تشكّلت في نهاية القرن الماضي. كان البهادل في الأصل من أتباع عائلة السادة (الأشراف) هاشم، التي كانت تقيم على ضفة دجلة اليمنى بين المجر الصغير والمجر الكبير، وما زالوا خاضعين لتأثيرها[2]. وبعد الاحتلال البريطاني تمكن شيخهم السدخان من الحصول على أرض لقبيلته على قناة العوفية السابقة إلى الشمال من الطبر (المجر الصغير). ثم حصل ابنه فعل «Fe'el» عام 1936م على بعض الأراضي الإضافية على قناة أبو حلانة المتهدمة أيضاً.

---

(1) عالم الإسلام، الجزء الثاني، 29، رقم 14؛ محمد باقر، 26 وما بعدها، 64 وما بعدها، 158.

(2) محمد باقر، 89. يروي المؤلف في الصفحة 79 حكاية هجرة القبيلة التي تقول بأن البهادل كانوا يسكنون في عقرقوف. وفي الصفحة 80 يقول إن القبيلة تنحدر من خفاجة التابعة للمنتفق.

قبائل معدان على دجلة الأدنى

المعدان(1)

أ ـ السودان(2)

شيخ المشايخ : حاتم الصيهود(3)
المنطقة : البحاثة : الجريت
عدد العائلات : 2500

القبيلة	الشيخ	المنطقة	بيوت القصب
1 ـ البو ضاحي			
2 ـ البو كريم			
3 ـ البو عبود			
4 ـ البو كحيلي			
5 ـ بيت مرجان			

ب ـ السواعد(4)

شيخ المشايخ : . . .
المنطقة : المشرح
عدد العائلات : 5000

القبيلة	الشيخ	المنطقة	بيوت القصب
1 ـ الكورجة	بيت حميدان(5)		
2 ـ بيت زامل	بيت جنزيل(6)		
3 ـ بيت عبد السيد	بيت مانع(7)	ذيل جريت	

ج ـ الازيرق(8)

شيخ المشايخ: عبد الكريم الشواي، مطلق السلمان

المنطقة: نهر البتيرة؛ المجر الصغير

عدد العائلات: 7500

القبيلة	الشيخ	المنطقة	بيوت القصب
1 ـ بيت مذخور(9)			
2 ـ البو عطوان			
3 ـ آل ربيع(10)			
4 ـ الحريشيين(11)			

د ـ البهادل(12)

شيخ المشايخ: كاظم السد خان

المنطقة: العوفية؛ أبو حلانة

القبيلة	الشيخ	المنطقة	بيوت القصب
1 ـ الجنانمة			
2 ـ البو حبيب			
3 ـ الشهابات			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ التصنيف وفق محمد باقر 75، 69، 66

2 ـ جونز 380: 400 خيمة، خورشيد 89 يذكر أن السودان (800 عائلة) هاجروا عام 1260هـ/ 1844م إلى الحويزة. وما زال جزء منهم هناك. لم يرد في

الجدول ذكر لاثني عشر قبيلة تابعة للسودان من أصل غريب.

3 ـ العجيل السعد (توفي 1294هـ/ 1877م) العبد الله العيسى الأحمد.

4 ـ خورشيد 86: معدان بني لام، 2500 كوخ، جونز 380: 300 كوخ لم ترد الفروع في الجدول.

5 ـ جونز، 380: 200 كوخ الشيوخ: شبل التامر، علي الشياع، شبيب، الشياع، صادق الغضبان.

6 ـ الشيوخ: محمد الموسى، الحاج اللعيبي الماضي، علي الخلف، فالح الموسى، جاسم المحمد الحيّال، منور المحمد الحيال.

7 ـ الشيخ: غبطان الدراج العبيد.

8 ـ خورشيد 86، معدان بني لام، 800 كوخ؛ جونز 381: 300 كوخ. لم ترد الفروع في الجدول.

9 ـ عائلة الشيوخ.

10 ـ جونز 381: 150 كوخ.

11 ـ جونز 381: 200.

12 ـ محمد باقر، 80 وما بعدها.

البو محمد

حافظ البو محمد من ناحية البنية الجسدية والخلقة، وجزئياً من ناحية طريقة الحياة أيضاً، على الطبيعة الخاصة للمعدان، لكنهم يختلفون عن المعدان بالأهمية السياسية التي اكتسبوها في القرن التاسع عشر. ويعود الفضل في صعودهم إلى قوة الإرادة التي يتمتع بها شيوخهم وإلى الموقع المتميز لمنطقتهم التي تمتد على جانبي نهر دجلة.

كانت القبيلة في الأصل تقيم في أبو حلانة والعوفية، على الضفة اليمنى للنهر تحت العمارة مباشرة. وفي وقت لاحق هاجرت نحو الجنوب وانتشرت على ضفتي دجلة، في الشرق حتى الحدود الفارسية[1]. في الجنوب كان البو محمد حوالى عام 1826 خاضعين للمنتفق[2]. ولكن وبما أن شيوخهم يسكنون في الشمال فقد حرصوا على ألا تتعكر علاقاتهم التقليدية مع بني لام. في عام 1848م حصل الشيخ فيصل بن خليفة، لقاء دفع مبالغ لشيخ مشايخ بني لام (مذكور)، على حق جباية الضرائب من بعض قبائل المعدان المجاورة وجباية رسوم جمركية من السفن؛ وحتى السفينة البخارية الإنجليزية، التي كانت آنذاك تسير في نهر دجلة، كانت تخضع لدفع الرسوم الجمركية. وبعد ذلك بوقت قصير ثار فيصل على بني لام. ويُقال بأنه قد شلّهم بحفر فتحات في ضفاف دجلة. وبينما غمرت المياه

(1) محمد باقر، 58.

(2) انظر الصفحة 602 أعلاه.

"جزيرة بني لام" حتى مستنقعات الطيب والدويريج، قام هو ببناء حصون وبصنع 12 مدفعاً قام حرفيون بغداديون بصبها (؟). وبعد وفاته (عام 1855م) خضع أخوه منشد لمزبان بن مذكور. وقد حاول أبناء فيصل، الذين حاربهم منشد، عبثاً الحصول على حقهم لدى مزبان. وأخيراً ذهب شياع، أكبرهم سناً، إلى بغداد. وكان ذهاب شياع إلى بغداد السبب المباشر لتلك الحملة التركية، التي أقيم خلالها في العمارة، حيث كان شيخ مشايخ بني لام يقضي جزءاً من العام، معسكراً للجنود الأتراك (1861م). وعيّن شياع شيخاً للبو محمد. أما منشد الذي هرب نحو الجنوب فقد أعفي عنه بعد بعض الوقت وعيّن شيخاً على الضفة اليمنى (المجر الكبير). وكان كلاهما يستأجران الأرض من السلطات مباشرة، أي أنهم كانوا مستقلين. لكن شياع تورط بعد ذلك في صراعات مع الأتراك لأنه، على أرجح الظن، تمسك بالرسوم الجمركية لنهر دجلة، فألقي القبض عليه وأرسل إلى القسطنطينية. وعندما عاد بعد "سبع سنوات" أعيد إلى مركزه السابق. في هذا الوقت توفي منشد وحلّ محله ابنه وادي. امتنع وادي عن دفع أجور الأراضي التي في حوزته وانسحب، كما يفعل شيوخ المعدان عادة في مثل هذا الوضع، مع صديقه حطاب من الأزيرق «الأزيرج» إلى الهور حاملاً معه محصول العام كله. فتبعه شياع، الذي كان طامعاً في الاستيلاء على أراضي ابن عمه، مع قوة تركية ضعيفة لكنه هُزم. وعلى إثر ذلك قامت الحكومة بإعفاء وادي من دفع المبالغ المتأخرة. ولقد روينا أعلاه كيف أصبح سيد السواعد وكيف سقط في النهاية. إلا أنه في هذه الأثناء كان قد استعاد منطقته القديمة على المجر الكبير. لكن العلاقة الجيدة بين البو محمد والأزيرق «الأزيرج» تحطمت بسبب اصطدام قتل فيه أخو وادي. فقام وادي بالاستيلاء على أراضيهم على المجر الصغير، لكن حلفاً مؤلفاً من صديقه القديم حطاب (أزيرق) واثنين من أبناء عم وادي اللذان لا يملكان أرضاً، ثم بمطاردته وطرده بموافقة السلطات التركية[1]. ومن الطبيعي أن الشيخين الغريبين عن القبيلة لم يلقيا قبولاً لدى الأزيرق (الأزيرج)، وهكذا بقي حطاب

(1) كان، على الأرجح، متهماً بمخالفات أخرى؛ ففي عام 1880م قام البو محمد بقطع طريق

المالك الوحيد للمنطقة. كما أن جميع محاولات البو محمد اللاحقة للاستيلاء على أراضي الأزيرق «الأزيرج» باءت بالفشل. على الكحلاء كان في هذه الأثناء الشيخ يسر قد خلف أخاه شياع الذي توفي عام 1885/ 1886م[1]. وانطلاقاً من تعطشه إلى السلطة مثل كامل القبيلة فكر في الاستفادة من نزاع كان قد نشب في عائلة منشد عند وفاة وادي: قام صيهود أخو وادي بتنصيب نفسه مكان أخيه دون أن يراعي حق ابن أخيه عريبي الوادي الوريث الشرعي لأبيه ودون أن يدفع المستحق عليه من أجور الأرض. فأرسل كاظم باشا من بغداد لإخضاع صيهود المتمرد. هرب صيهود إلى الهور الجنوبي بينما وضع يسر وعريبي قبائلهما تحت تصرف كاظم باشا. ولكن وفي مكان تقديم الولاء حدث صدام بين الفرعين المتعاديين البو علي والبيضان (2 أ، 2 ح) أدى إلى اعتقال شيخيهما. واعتقل عريبي أيضاً لأنه كان قد تسرب خبر يفيد بأنه يتعاون سراً مع صيهود. أما صيهود فقد هرب إلى الحويزة عند اقتراب الجيش من الحصن الذي كان بناه في الهور، بينما أرسل أبناؤه مع جميع المعتقلين الآخرين إلى القسطنطينية (1894/ 1895م)[2].

وهكذا أصبح يسر الحاكم الوحيد على البو محمد، ولكن ليس طويلاً. فقد تمكن صيهود عن طريق علاقات مع شخصيات متنفذة في البصرة من العودة إلى منصبه كما أن الشيوخ الذين نفوا إلى القسطنطينية سمح لهم بالعودة. وعندما توفي يسر في نهاية عام 1895م تمكن عريبي من الحصول على ناحية الكحلاء، بينما اكتفى أبناء يسر بناحية الشط الواقعة إلى الجنوب. ولقد تحدثنا ص 668 أعلاه عن الحرب بين البو محمد وبني لام. توفي صيهود بعد وقت قصير من عقد اتفاقية السلام. وتحدى أبناؤه الحكومة بأفعال مختلفة من بينها إطلاق النار على البواخر

الملاحة في نهر دجلة؛ لونكريك، 310. إلا أن ماكس فرايهرفون أوبنهايم، من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، 392، يقول إن المسؤول عن ذلك هو صيهود أخو وادي الذي كان يدير آنذاك بتكليف من وادي الكسره الواقعة فوق العزير.

(1) حسب محمد باقر، 23 (1303)، ولكن 26: 1298.

(2) من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، 292؛ لونكريك، 310 (1893)؛ عالم الإسلام، الجزء الثاني، 300، رقم 152؛ محمد باقر، 28.

المارة في دجلة (1911م)[1]. وعندما جاءت إليهم حملة تأديبية تركية فروا إلى الحويزة ولكن صدر عفو عنهم بعد مرور بعض الوقت. وعندما حصل عمهم خليفة، في هذه الأثناء، على المجر الكبير فقد اقتصر حكمهم على الكسرة. لكن رئيسهم فالح الصيهود تمكن بعد موت عريبي من الحصول من الإنجليز، الذين كانوا قد دخلوا للتو العمارة، على النصف الشمالي الشرقي من منطقة الكحلاء، وورث محمد ابن عريبي النصف الآخر، بينما كانت الكسرة من نصيب حاتم الصيهود أخو فالح. ومنذ ذلك الحين لم يتغيّر وضع توزيع الأملاك.

وبسبب أن أبا محمد العريبي كان يحمل لقب باشا، فقد حمل محمد لقب بيك ـ شيخ المشايخ (شدّاد الراية) لألبو محمد. ويتمتع ابن عمه مجيد الخليفة بأكبر نفوذ بعده. وكلاهما يحبان الظهور وعرض ما لديهما من ثروة: يحتفظ محمد بحرس شخصي يتألف من 550 رجلاً، وقام مجيد بإهداء المارشال مونتغمري سيفاً مطعماً بالذهب.

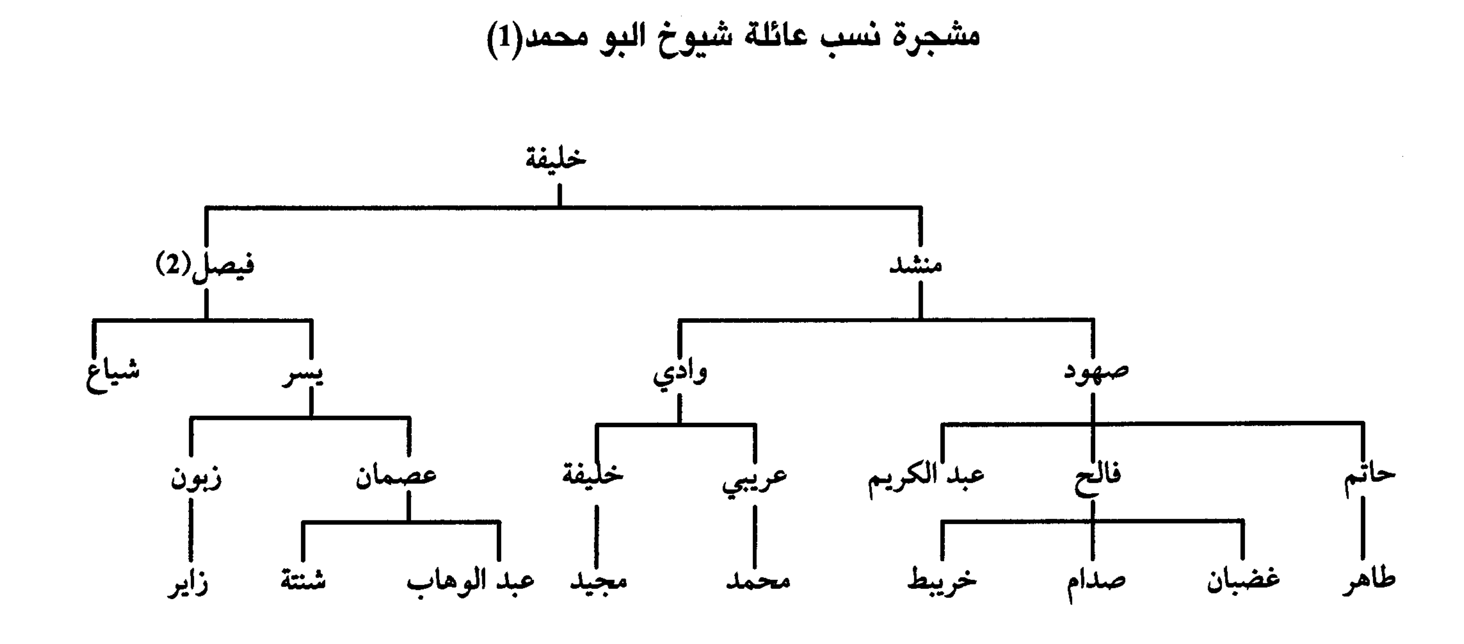
من المفهوم أن شيوخ البو محمد الذين صعدوا إلى أعلى المراتب كانوا يخجلون من أن أجدادهم قد خرجوا من أسفل درجات المعدان المحتقرين. ولذلك أعلنوا في بادئ الأمر أن جد القبيلة محمد زبيدي النسب، ثم قالوا بعد ذلك بحذرٍ أكبر أنه ينتمي إلى عزة، الذين هم أيضاً من زبيد. وكل ما يُقال ويروى عن هذا المحمد هو حكايات من نسج الخيال[2].

من بين القبائل الفرعية الثلاث يعيش البو عبود (2)، وجزئياً، الشدة (2 ط) حياة المعدان الكاملة. والبو علي (2 أ) متخاصمون، علاوة على خصومتهم مع البيضان (2 ح) (الصفحة 694 أعلاه)، مع بيت خليفة (2و) أيضاً، والبو غنام (2 ي) متخاصمون مع البوبخيت (2 ك).

---

(1) عالم الإسلام، الجزء الثاني، 33، رقم 27.

(2) محمد باقر، 62، اقتنع بذلك بعد نقاش مع شخص يعرف القبيلة معرفة جيدة، لكنه لم يستطع التحرر من العزة؛ «فقط لأن فيصل بن خليفة كان من أبناء قبيلته، أرسل له ديوان شيخ العزة ابنته». إنني أعترف بأن مشهد دخول الفتاة في الكحلاً بينما كانت تتجه نحو سفينتها سفينة أخرى تحمل جثة العريس، مشهدٌ شاعري. ولكن هذا لا يعني أنه صحيح.


مشجرة نسب عائلة شيوخ البو محمد(1)
خليفة
منشد
فيصل(2)
صهود
وادي
يسر
شياع
حاتم
فالح
عبد الكريم
عريبي
خليفة
عصمان
زبون
طاهر
غضبان
صدام
خريبط
محمد
مجيد
عبد الوهاب
شنتة
زاير

ملاحظات حول المشجرة

1 ـ حسب شجرة النسب عند محمد باقر.

2 ـ بدأ فيصل مسيرته بغارة على أخيه مشتت الذي كان يحكم شرقي دجلة. فقتل مشتت وقتل معه "الأسد الذي كان يحمي جواميس الشيخ الثمانمائة"، ثم عبر النهر وهجم على سعد الشرشاحي الذي كان يحكم على المجر الكبير.

البو محمد(1)

شيخ المشايخ: مجيد الخليفة، طاهر الحاتم،
محمد العريق، فالح الصيهود، آل يسر
المنطقة: الكحلا في الشرق حتى الحدود، في الجنوب حتى مقابل العزير
عدد العائلات: 15000

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	بيوت القصب
1 ـ بيت لويلو(2)			
أ ـ بيت منشد			
ب ـ بيت فيصل			
ج ـ بين صحن			
د ـ بيت غضب			
هـ ـ بيت كوربان(3)			
و ـ بيت مشتت			
ز ـ بيت عرمش			
ح ـ بيت ضمد			
ط ـ بيت فياض			
ي ـ بيت نصرالله(4)			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
ك ـ بيت موزان			
ل ـ الدهامات			
م ـ المشاكرة(5)			
ن ـ البطابطة(6)			
س ـ العمشان(7)			
2 ـ البو عبود(8)			
أ ـ البو علي			
ب ـ البو مطير			
ج ـ بيت سليم			
د ـ بيت شميل			
هـ ـ بيت الشرشاحى			
و ـ بيت خليفة			
ز ـ المصاليخ(9)			
ح ـ البيضان			
ط ـ الشدة(10)		هور الحويزة	
ي ـ البو غنام			
ك ـ البو بخيت			
ل ـ بيت سليمة			
م ـ النوافل			
القبائل الملحقة :			
1 ـ الفرطوس(11)			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
	2 ـ بني مالك(12) 3 ـ الشويلات(13) 4 ـ الفريجات		

ملاحظات حول الجدول

1 ـ خورشيد، 55، 86 : 3000 خيمة تحت المنتفق، 1000 خيمة تحت بني لام. التوزيع حسب محمد باقر، 62 وما بعدها، 157 وما بعدها.

2 ـ أجداد الفروع آ ـ جـ، هـ ـ ط من أحفاد خليفة، وأجداد الفروع د، ي ـ س ينتمون إلى أجيال أقدم كما يتبين من شجرة النسب عند محمد باقر.

3 ـ قوربان؟

4 ـ مُزارعو رز، ومربو جواميس في الهور، وكذلك ك، ل، م.

5 ـ جد القبيلة : مشكور.

6 ـ جد القبيلة : بطيط.

7 ـ جد القبيلة : عميش.

8 ـ جونز، 381 (150 خيمة)؛ شيها، 246. الفروع هـ ـ ز هم فقط من أقرباء البو عبود.

9 ـ جد القبيلة : مصلوخ.

10 ـ ينتمون مثل البو عبود إلى أقدم الأجيال. مربو جواميس وحائكي حصر.

11 ـ شيها، 246. سبعة آخرون عند محمد باقر.

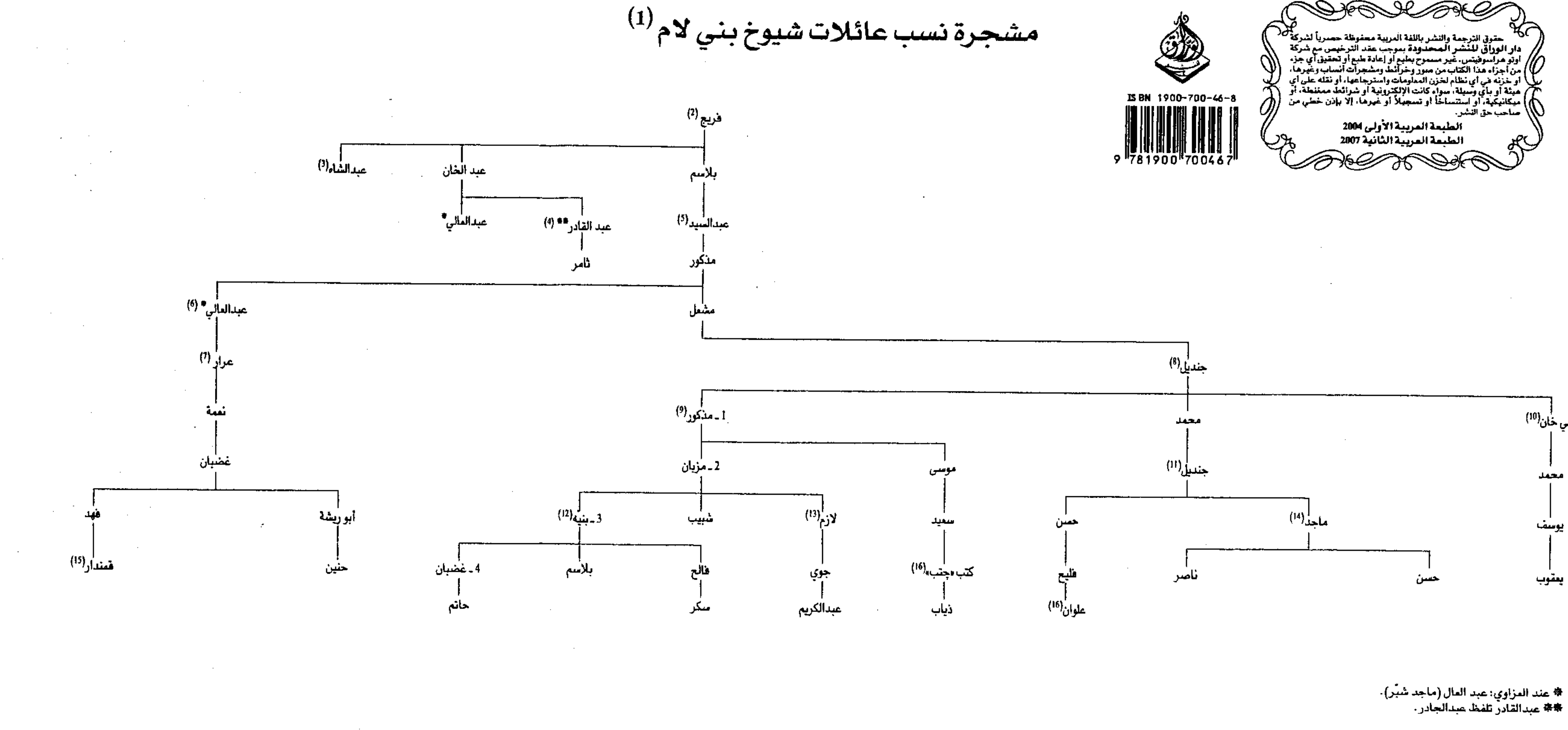
12 ـ المنتفق.

13 ـ انظر جدول المنتفق، ب 2 الملحقون جـ.

مشجرة نسب عائلات شيوخ بني لام (1)

الطبعة العربية الأولى 2004
الطبعة العربية الثانية 2007

ISBN 1900-700-46-8
9 781900 700467



* عند العزاوي: عبد العال (ماجد شبّر).
** عبدالقادر تلفظ عبدالجادر.